

خير القدي مدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلد ٢٠

الهدى النبوي

تصديرها جرح لعمه أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦ هـ الى سنة ١٣٨٧ هـ

ومن كتب فيها

الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفاء محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب

الناس

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ٢٣٥٨٦٤٤٠

مكتبة منار النور للنشر
المنيرة الجديدة ٤٨٤٥٤٠٠

الهدى النبوي

٢٠

من ١٣٧٧ هـ
الى ١٣٧٨ هـ

مكتبة ابن تيمية
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهدى النبوي

تصنيف جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت ٣٥٨٦٤٢٤٠١

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠



المهدي النبوي

مجلة دينية عليّة

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

مدير الإدارة

محمد رشدي خليل

الاشتراك السنوي

٢٠ - في مصر والسودان

٣٠ - في الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير

محمد ماهر الفقي

الإدارة :

٨ شارع قوله

بعبدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

العدد ١

غرة المحرم سنة ١٣٧٧

المجلد ٢٢

فاتحة السنة الثانية والعشرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله .

وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد فإن مجلة الهدى النبوي بهذا العدد الجديد تستقبل عامها الثاني والعشرين من حياتها الخصبية المثمرة النافعة . وإنها لتتظر مستقبلاً سعيداً حافلاً بتحقيق الآمال ، وإصابة الأهداف بعد ماضٍ قاست فيه الأهوال ، وشقت طريقها بين المتاعب والمصاعب . واقتحمت العقبات . وكانت تسير على الأشواك في الوقت الذي كانت فيه المجلات الدائرة الخليفة تسير بين الورود والأزهار ، وتتخطفها أيدى الشباب من الفتية والفتيات والرجال والسيدات ولا يضمنون عليها بشئ .

لقد كان أول أهدافها أن تقضى على الشرك البغيض وتنقذ سواد الأمة من شركه الخبيثة التي نصبها لهم الشيطان ليجذبهم بها إلى حظيرته ، ويخرجهم من نور التوحيد المشرق الوضاء إلى ظلمات الشرك المتدجية المتكاثفة ؛ ويفد عليهم سلامة أرواحهم ، ويدنس طهارة قلوبهم بما يغريهم به من دعاء غير الله والاستعانة في الأمور التي هي من خصائص رب العالمين بالضعفاء العاجزين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً من الأحياء المغترين

الدجالين ، ومن الموقى المقبورين . لقد زين الشيطان لكثير من الدين استحوذت عليهم الغفلة ، والجهل أن يندروا لغير الله ، ويشدوا الرجال إلى القبور ، ويتمسحوا بالتمائيل البدائية المقامة على رفات المالكين ، ويقفوا بين يديها في خضوع وخشوع وذلة وضراعة لا يستشعرون مثلها في الصلاة .

ولقد كان هذا سبباً في أن الأقطار الإسلامية خرج أمرها من يدها ، وتصرف في شئونها الفاسيون والمستعمرون الذين قضوا على جميع مقوماتها ، وذهبوا بثروتها وخيراتنا ، وجعلوا أهلها عبيداً أذلاء مسخرين .

فلما أشرقت شمس التوحيد في آفاق هذه الأقطار بتوفيق الله تعالى وفضل جهاد المصلحين ومادعت إليه هذه المجلة وأشباهاها من العودة إلى حظيرة التوحيد - حقق الله وعده للمؤمنين الموحدين وأعاد إلى كثير من هذه الأقطار حريتها واستقلالها وعزتها وكرامتها ، فقد قال جل شأنه - (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا : يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون : ٢٤ : ٥٥)

ومن أخص أهدافها مكافحة البدع ومجذبات الأمور التي فتن بها الشيطان كثيراً من الناس ، وخيّل إليهم أنها تزيدهم تعبداً لله ، وزانق لدينه ، وصرفهم عن تدبر قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأنمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ٥ : ٣) ولم يزل بهم بعدم ويمنيهم ويمدّم في الفى والضلال حتى طفت البدع على السنن ، وظن سواد الأمة أن الدعوة إلى محاربتها زندقة وإلحاد ، ونظروا بعين العداوة والبغضاء إلى من يدعوا إلى اعتناق السنة ومجانبة البدعة .

ومن أشرف أغراضها محاربة الخرافات والترهات والأوهام والأباطيل التي لا دليل عليها من العقل ، ولا سند لها من العلم ، ولا نص يؤيدها من الدين والتي - على الرغم من ذلك - يؤمن الناس بها ويتخذونها عقيدة وديناً ويرون محاربتها زيفاً وفتونا .

وما تستهدفه هذه المجلة في دعوتها ضم صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم ونبذ ما بينهم من

تفرق واختلاف وتنازع ، وذلك بالدعوة إلى نبذ وسائل التفريق والخلف من الطرق الصوفية التي جعلت المسلمين طرائق قذراً ، وفرقتهم شذراً مذبذباً ، وجعلتهم شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون ؛ وبالدعوة إلى البحث عن الصحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يجتمع المسلمون عليه بدل أن تفرقهم المذاهب والنزعات .

وإنها لتعنى فيما تعنى به بإحياء الآداب والأخلاق الإسلامية والقضاء على التحلل والفسوق والإلحاد والفجور بما تبسط من يسر الإسلام وماتوضح من سهولة مأخذه ، ومافي نصوصه من جليل الأسرار ، وبالغ الحكم وحكم التشريع .

وكذلك تدعو نساء المؤمنين إلى الاستمساك بأخلاق أمهات المؤمنين وآدابهن حتى يدنين عليهن من جلابيبهن ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ويدعن الخلاعة والاستهتار والاستهانة بأوامر الدين ويقمن الصلاة ويؤتين الزكاة ويطعن الله ورسوله . وبذلك تم السعادة في البيوت الإسلامية ، وتسود الرحمة والمودة والألفة التي هي قوام الحياة الزوجية السعيدة فتقل حوادث الطلاق التي تهدم بيوت الزوجية ، وتقضى على مستقبل الأبناء .

ولقد لقيت هذه الأهداف صداها في الأقطار الإسلامية كلها ، فأقبل كثير من قراء المسلمين على الاشتراك فيها ، والغيرة عليها والعمل بمبادئها والحرص على أن ينشرها كل مشترك في محيطه ، ولا يكاد قطر من الأقطار الإسلامية يخلو من المشتركين فيها كما أصبح كثير من سكان هذه الأقاليم يرسلونها ويستفتونها فيما يعرض لهم من الشئون الدينية من عقائد وعبادات ومعاملات ، وهي تفتيهم بما تستطيع استنباطه من النصوص الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله بعد دقة البحث وإنعام النظر وصدق التحرى .

وهي تقف بالمرصاد لكل بدعة يحاول أنصار الضلالة ترويجها ، فلا تكاد تطل برأسها حتى ترسل عليها شواظاً من مقال نارٍ يبددها ويأتى عليها .

ولقد فتحت عيون المسلمين على آفاق جديدة من العلم والمعرفة وبسر الإسلام ومفاخره ما كان كثير منهم يظنون لها أو يتنبهون إلى جمالها .

كما أنها كشفت من كنوز العلم و ذخائر المعرفة بأسرار كتاب الله وسنة رسوله كثيراً مما كانت الغفلة المستحوذة على العقول تحول بين كثير من المسلمين وبين الوقوف عليه ، وبذلك خدمت المسلمين المتفعين بها أجل خدمة وأصدقها ، وزادتهم إيماناً بدينهم ، ومعرفة بأسرار كتابهم ، واستمساكاً بسنة رسولهم . ولقد تعرضت في فجر حياتها لحملات شديدة قاسية من أنصار البدع والخرافات وعشاق الأوهام والضلالات وتجار الدين ، ولكنها بفضل ما أوتيت من صبر ومصابرة وثبات على الحق استطاعت أن تشق طريقها إلى أهدافها على الرغم من جميع مصادفها من العقبات . ومقام في طريقها من المعوقات . وقد خرجت من هذه الشدائد أشد قوة وأصلب عوداً ، وأعظم بأساً وأقوى شجاعة ، وأوضح صراحة في الإعراب عن الحق الذي يحاول إخفاءه المغرضون وتجار الدين الذين جعلوا الدنيا أكبر همهم ومباغ علمهم .

وإنها لتعاهد قراءها الكرام في مطلع هذا العام الجديد أن تكون دائماً عند حسن ظنهم بها ، وأن تكون حريصة على أداء أمانتها ، وتبليغ رسالتها ، والتمسك بمبادئها وإصابة أهدافها ، مستهدفة خير المسلمين وإرشادهم ، داعية إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . وخاصة بعد أن استأصلت الثورة المصرية شأفة الفساد وسارت في طريق الإصلاح العام الشامل لكل مرافق الحياة . وبالله التوفيق .

وهو نعم المولى ونعم النصير

أبو الوفاء محمد درويش

بين الحسنه والسئنه

إن للحسنة نوراً في القلب ، وزينة في الوجه ، وقوة في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق . وإن للسئنة ظلمة في القلب ، وشيناً في الوجه ، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق .

أيها العرب ——— رب !!

بقلم الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

إنكم لم تكونوا في يوم من الأيام — منذ جمعكم الله على الهدى ، وألف بين قلوبكم —
أحوج إلى الاتحاد وجمع الكلمة ، وبذ التفريق والخلاف منكم اليوم .
لقد تفرقتم في الماضي وذقتم مرارة التفريق ، وجربتم ماجره عليكم من كوارث وويلات .
وما الحق بكم من خسائر ونكبات .

إن اجتماعكم وتعاونكم وتضافركم قوة هائلة ترتعد لها فرائص الغرب ، وترجف بوادر
للتعمرين .

إن الله أودع بلادكم كنوزاً من الثروة تفوق الحصر ، والغرب واقف لكم بالمرصاد
يريد أن يفوز وحده بهذه الثروة ، ويستأثر بها من دونكم ، ويترككم تعانيون البؤس والفقر
والجهل والمرض والذل والاستعباد ، فإذا اتحدتم وتعاونتم استطعتم أن تزدودوه عن حاكمكم ،
وأن تحتفظوا بثروتكم لتبنوا بها مجد بلادكم ، وترفعوا مستوى المعيشة بين شعوبكم وتدرکوا
من سبقكم إلى العلم والمعرفة ، والقوة والمنعة ، والحرية والاستقلال .

إن القومية العربية بدأت تستيقظ بعد طول سبات ، وتنبه بعد شدة غفلة ، وتناهب
للنضال بعد فرط ذلة واستسلام ، وأخذ الاستعمار يخشى يقظتها ، ويهرب ثورتها ، ويخاف
أن تستعيد مجدها وقوتها فتقضي على آماله ، وتحطم مطامعه ، وتحول بينه وبين مالمبث
الأحقاب الطويلة ينعم به من السيطرة على الشعوب العربية ، استعبادها ، وامتصاص دماءها ،
والاستئثار بخيرات بلادها ، وحرمانها ثمرات ما أودعت الطبيعة أرضها الطيبة من ينابيع
الثروة .

اجتمعت كلمة الشعوب العربية وصح عزيمتهم على أن ينقذوا بلادهم ، ويخلصوها من براثن
الاستعمار ، وأجمعوا أمرهم على أن يعيدوا إليها حريتها واستقلالها ، وعلى أن يعيشوا
فيها كراماً أعزة ، وبذلوا جهد طاقتهم حتى استعادوا بعض حقوقهم ، فجلت فرنسا عن سوريا

ولبنان ، وتونس ومراكش ، وجلت إيطاليا عن طرابلس ، وجلت إنجلترا عن مصر وشرق الأردن ، وكانت من قبل قد جلّت عن فلسطين ، ولكن بعد أن خلفت فيها سرطاناً خبيثاً هو تلك اللقيطة التي سمت نفسها إسرائيل ، وهي خليط من شذاذ الآفاق الذين تجمعوا من كل صوب وحذب وهم يحملون بملك عريض يمتد من الفرات إلى النيل يقيمونه على حساب استقلال العرب وعزتهم وكرامتهم ، وأمنهم وطمانينتهم فبدؤوا بتشريد الفلسطينيين وإخراجهم من ديارهم واغتصاب حقوقهم ومزارعهم ومصانعهم ومتاجرهم وعقدوا العزم على أن يصنعوا هذا الصنيع بسائر الشعوب العربية حتى يحققوا حلمهم القديم ، والاستعمار من ورائهم يمدّهم بالمال والعتاد والذخيرة والسلاح ، ويتغاضى عن عدوانهم الشنيع الذي يفرّجهم به ويحرضهم عليه .

سقط في يد الاستعمار ، ورأى أنه قد باء بالخيبة والخسران ؛ فأراد أن يستعيد سلطانه القديم على الشرق بعد أن تقلص ظله ، وطوى بساطه ، ففكر في أن يمزق الوحدة العربية ، ويشتت شملها ، فبدأ بالعدوان الثلاثي الظالم الغاشم الفاضل على مصر ، ولكن هذا العدوان زاد العرب اتحاداً واثنافاً ، وتماسكاً وارتباطاً ، ولما أخفق في هذا العدوان وذل سعيه ، أراد أن يجرب وسيلة أخرى تدنيه من غرضه ، وتعيّنه على إصابة أهدافه ، فابتكر ما سماه مشروع إيزنهاور الذي يستهدف من ورائه تثبيت أقدامه في بلاد الشرق بدعوى الدفاع عنها ضد الشيوعية .

والحق إن الاستعمار لا يخشى الشيوعية ولكنه يخشى نهضة القومية العربية وبعد العدة للقضاء عليها .

أخذ يفرى حكومات البلاد العربية ببريق الذهب ، ويسحر ألبابها برنينه وبصطفي الخونة من الرجعيين والانتهازيين الذين لا يعرفون للوطنية معنى ، ولا تهمهم إلا مصالح أنفسهم ؛ ويشترى بالمال ذمهم الرخيصة الخربة وبالمناصب ، ضمايرهم الميتة لكي يمهّدوا له السبل .

نجح في شرق الأردن فأقصى الحكومة الوطنية التي كانت تسير رغبات الشعب ،
وتحقق آماله في الحرية والاستقلال ، واصطفى حكومة تملكه وتجاريه وتمده في غيه . ثم عمد
إلى لبنان فحقق فيها بعض أطاعه . ثم أخذ بسلك طريق الإرهاب ، فخرض إسرائيل
وأغراها بالهجوم على سورية لكي تستخذي وتستسلم وتلين قناتها وهو يهدف من وراء ذلك
كله إلى أن يضمن تفرق العرب واختلافهم لكي ينال بغيته منهم ، ويحقق مطامعه فيهم .

أيها العرب الأبحاد !

خذوا حذركم . واعلموا أن الأمة العربية باقية على الزمن وأن الحكم سحابة صيف
عن قليل تقشع ، فلا تبيعوا مجد أمتكم الخالد بسراب خادع وأمل كاذب .
إنكم إذا اتحدتم وتماسكنم استحال على عدوكم أن ينال منكم ، أما إن فتنكم العاجلة ،
وجريتم وراء المطامع الباطلة فتفرقتم فإنه هلاك الأبد والعار الذي لا يمحي .

إن الصهيونيين لكم بالمرصاد ، وهم قوم يعتقدون أن الله تعالى خالق الدنيا وما فيها من
أجلهم . وأن كل شيء في يد غيرهم إنما هو مقتصب منهم ، وأن واجبهم يحتم عليهم أن
يستردوه ، ويستخلصوه من الأيدي الغاصبة . إنهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وأن غيرهم
من الأمم أعداء الله ، وهم يتقربون إلى الله بسفك دم كل من لا يدين بالصهيونية ، فإذا تغلبوا
فلن يرحموا أحداً . ولن يبقوا على نفس ولا مال .

فاتحدوا وتعاونوا لتدروا عن أنفسكم هذا الخطر الداهم وانظروا ماذا جر عليكم تهاونكم
في الماضي حتى خرجت فلسطين من أيديكم . فإذا تماديت في هذا التهاون فسيكون المصير
الذي صارت إليه فلسطين - لا قدر الله - مصيركم .

أما إذا اتحدتم فإن الله سيؤيدكم بنصره وستكون الأمم الحرة والمحبة للسلام في عونكم .
والله معكم ولن يترككم أعمالكم .

مختارات من محاضرات الأستاذ الرئيس

في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة
١٣٧٦ - الموافق ٢٦ / ٦ / ١٩٥٧ . ألقى الأستاذ
الرئيس هذه المحاضرة بالمركز العام بالقاهرة .
وها نحن ننشر مقتبسات منها .
محمد رشدي خليل

رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين .
يقول : ربنا تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : (وقال الرسول يارب إن قومي
اتخذوا هذا القرآن مهجورا) .

يحكي الله سبحانه وتعالى جواب الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ سأله ربه عن أولئك الذين
سوف يعضون أيديهم من الحسرة واللدامة لأنهم اتخذوا سبيلاً غير سبيل الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ولأنهم اتخذوا فلاناً إماماً وخليلاً ، وقدموا قوله على قول الله ورسوله وزعموا
أن كلامه وقوله أقرب إليهم ، وأسهل في عقولهم إلى الفهم وأيسر عليهم من كلام الله
وكلام رسوله .

يسأل الله الرسول ، فيقول له : ماذا صنعت فيما حملتك من رسالة ، ألم تبين هذا
الكتاب إذ أمرتك ببيانه ، فيجيب الرسول بقوله : (يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن
مهجوراً) وإنى قد بلغت الرسالة حق البلاغ ، وأدبت الأمانة حق الأداء . والقرآن بين أيديهم
يقرأونه وبسمعونه ، وأحاديثي واضحة قريبة لديهم ، ولكنهم وقعوا فيما وقعوا فيه ، لأنهم
هجروا معاني القرآن ، فلم يطلبوها ولم يحاولوا أن يفهموا القرآن ، وهجروا حديثي وبياني
الذي بينت به القرآن ، وأطاعوا في ذلك الذين زعموا لهم أن القرآن مغلقة أبوابه دونهم ،

وإن لفهم القرآن شروطاً ليست متوفرة عندهم ، وهجروا القرآن مرة واحدة ، واتخذوا التقاليد والوراثات التي زعموها إسلاماً .

فالناس قد اتخذت القرآن اليوم مهجوراً ، وإن قرأوه ، وإن حفظوه ، وإن حملوا المصاحف ، وإن وضعوها تحت إبطهم حجاباً ، فكل ذلك لا يفيدهم ولا يزيدهم اختلاطاً ولا امتزاجاً بالقرآن ، وإنما يكون ذلك منهم هجراً للقرآن ، وإنما الاختلاط والامتزاج بالقرآن ، كالاختلاط والامتزاج بالإنسان ، فالاختلاط والامتزاج بالإنسان : أن يكون بينهما تفاهم ، وأن يقوم على هذا التفاهم تعاون .

فالرجل عند ما يهجر زوجته لا يطردها ، بل يبقيا معا ، تقدم له الطعام فيأكل دون أن يتحدث إليها وإذا احتاج إلى كوب من الماء أحضره بنفسه أو كلف ابنته باحضاره ، وإذا سألت الزوجة عن السبب قالت : إنه (مخاصمها) . وسبب خصامه لها أنه غير ممزوج بها وليس قلبه معها ، وليس محباً لها بل غاضب عليها .

فكون القرآن في جيب الإنسان يتلوه على الموتى ، وفي المآتم أو هو يحفظه للأولاد ، كل ذلك لا يعتبر امتزاجاً بالقرآن ولا اختلاطاً ، وإنما الامتزاج والاختلاط بالقرآن . هو أن يتفاهم معه ، وأن يكون بينهما حسن تفاهم ، يكلمه القرآن ، فيفهم مايقوله ، ويقع في مشكلة . فيسأل القرآن ، ويحتاج إلى شيء فيطلبه من القرآن . فهذه هي المصاحبة والمصادقة للقرآن .

ويدخل في هذا ، كل المصلين الذين يقرأون ولا يتفاهمون مع ما يقرأون ، ولا تتجاوب قلوبهم مع ما يقرأون ، فهما قرأوا في الصلاة ، فليس مجرد قراءتهم محبة وامتزاجاً واختلاطاً بالقرآن وإنما يكون مصاحباً للقرآن من يفهم ويتفاهم مع القرآن ، فإن لم يتفاهم ولم يكن بينه وبين القرآن مودة ومحبة قلبية تثمر هذا الامتزاج وهذا التفاهم ، فإنه يكون بذلك هاجراً للقرآن فالناس لا تريد أن تفهم ولا تحاول أن تتدبر . إذن يا إخواني تفهمون من ذلك معنى قوله (يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) أى هو ثقيل على قلوبهم ، غير مفهوم معناه ولا قريب لهم حتى يمكنهم أن يستفيدوا منه ويمتزجوا به .

قد يكون الرجل مع زوجته على غاية المحبة القلبية ، وعلى أحسن ما يكون من حال ، فتحدث وشاية بينهما فتدفع في قلبها الكره لبعضهما ، وينتهز الشيطان هذه الفرصة ، فيزيد في إشعال نار هذا الكره .

وكذلك القرآن كان محبوباً عند المسلمين ، يؤمنون بأنه متفاهم معهم ، وأن الله أنزله ليتفاهم معهم ويخدمهم ويعينهم ويساعدهم ويفتح لهم الأبواب ويهديهم الطريق القويم . فجاء الشيطان ووشى وشاية وقال « إن القرآن صعب وثقيل » .

فهل تتصورون أن المرأة التي يعاشرها زوجها ، وتعرف أنه يكرهها . هل تتصورون أنها تعطيه قلبها وتخلص له ، أو تكرهه أشد الكراهية ، وتتمنى اليوم الذى تفارقه فيه ؟ كذلك الأمر مع القرآن . كيف يكون محباً للناس وهم يكرهونه ، وكيف يكون قريباً منهم وهم يتباعدون عنه ، وكيف يعطيهم الهدى والرحمة والعافية وهم يكرهونه ويبغضونه ، ويقولون عنه « إنه ثقيل » فهمه عليهم .

هذا هو حال المسلمين ، وهكذا على مامم عليه من هذه الجاهلية ، أطفأوا نور العلم وهدى القرآن من قلوبهم ، وحرّموا على أنفسهم هذا الهدى وهذا النور وتركوا الطيب وكرهوه وأقبلوا على الخبيث وأحبوه ، تركوا الدواء الشافى الذى اختاره الله الحكيم لهم ، واتخذوا السموم القاتلة التى زينها لهم عدوهم .

والصحابة رضى الله عنهم لم يكن عندهم من المصاحف ما عندكم اليوم ، ومع هذا فهم أصدق الناس للقرآن وأشدّهم امتزاجاً واختلاطاً به ، وتعاوناً وتفاهماً معه .

وأتم اليوم لديكم من المصاحف ما بعد بالملايين ، ومع ذلك فلا فائدة منها لكم أبداً لا فى أنفسكم ولا عند ربكم ، لأنكم تتخذونها على غير ما أمر الله وتستعملونها على غير ما أنزل الله .

ويحتج البعض بأنه لا يمكنهم أن يتفهموا القرآن ، والسبب فى ذلك يا إخوانى أن القرآن طيب والرؤوس خبيثة ، ولا يجتمع الخبيث والطيب ، وليس السبب أن القرآن بعيد

الفهم ، بل إن القرآن ميسر رغماً عن الجميع ، فقد يسره الله سبحانه وتعالى ، إذ قال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) . فالله وحده الذى يعلم مافى القلوب ، وما تستحقه القلوب ، هو الذى يسره ، فلو كانت الرؤوس نظيفة والقلوب طاهرة ، لصب الله فيها معانى القرآن صباً وافتتح لها أبواب فهمه ، ولكن القلوب للأسف بعيدة وليست أهلاً لفهم القرآن ، ولا لهذا الغذاء الطيب .

فلتنظف قلوبنا ونفوسنا ، لأننا لا نرضى بهذا الحرمان ، إن الإنسان ليحزن إذا قاطعه صديقه الطيب ، وإنه يتألم ويبدل كل مافى وسعه حتى يسترد صداقته ويستعيدها .
فينبغى أن نعمل كل مانستطيع لنسترد صداقة القرآن وهديه ونوره الذى يملأ علينا الحياة الدنيا والآخرة بهجة وسروراً وأمناً و يقيناً .

إن القلوب تموت تماماً كما تموت الأجسام ، تموت بهذه الحياة التى نحياها بما فيها من مناظر سيئة نراها ، ومن منكر نسمعه ، فلا بد من أحيائها بتغذيتها بالعلم الجديد والإيمان الجديد ، وحينئذ يفتح الله علينا كل يوم من معانى القرآن جديداً .

وكما أكلت من فاكهة القرآن ، وكما استمتعت بمائدة القرآن ، وأطعمت قلبك بهذا الغذاء كلما علوت إلى عليين .

أسأل الله رب العرش العظيم أن يوفقنا وإياكم والمسلمين إلى أن نأخذ دائماً أسباب الهداية والولاية من رب العالمين ، وأن نأخذ دائماً طريقنا فى هذه الحياة بنور القرآن وهداه الطيب ، وأن يجعلنا وإياكم والمسلمين ممن اعتصموا بحبل الله المتين وعروته الوثقى ، وأن يكون لنا ولكم والمسلمين هادياً ونصيراً ، وأن يعيذنا وإياكم من الغرور والخداع .

وأسأل الله ربى أن يأخذ بقلوب رؤسائنا وقلوب قاداتنا والمسلمين جميعاً إلى هداة وهدى نبيه وأن ينصرهم على أعدائهم .

اللهم صلى وسلم وبارك على رسولك الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين .

لغة القرآن

- ٢ -

مفردات في اللغة العربية مجموعة من كتاب « تهذيب الصحاح »
واقترنت فيها على الفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة
محمد رشدي خليل

ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ، أى من النقصان بعد الزيادة . والحور أيضاً :
الهلكة .

والحور : شدة بياض العين في شدة سوادها .

وتحوير الثياب : تبيضها .

والخبير : العالم - والختر : الغدر .

الخدر : الستر - والخير : صوت الماء .

وخرَّ الله ساجداً يخِرُّ خُوراً ، أى سقط .

الخضرة : لون الأخضر ، وربما سُموا الأسود أخضر ، كما في قوله تعالى : (مُدْهَامَتَانِ)

أى خضراوان ، لأنهما بضربان إلى السواد من شدة الرُّمِّي . وسميت قُرى العراق سواداً
لكثرة شجرها . والخضراء : السماء .

وفي الحديث : « إِيَّاكُمْ وَخُضْرَاءَ الدِّمَنِ » يعنى المرأة الحناء في منبت السوء .

ودخلَ في نُخَارِ الناسِ وَخَارِهِمْ ، لغةٌ في غُمَارِ النَّاسِ وَغَمَارِهِمْ ، أى : في جماعتهم

مستتراً بهم .

ومنه انْخَارُ المرأة . وهو ماتفتى به رأسها . واختمرت به : لبسته . وخرت به رأسها :

غطته .

والذُّبْرُ والذُّبْرُ : الظاهر . ومنه قوله تعالى : (وَيُؤْكُلُونَ الذُّبْرَ) ودَبَرَ النهارُ وأدْبَرَ

بمعنى . ومنه قوله تعالى (والليل إذا أدْبَرَ) أى تبع النهار . وتدَابَرَ القومُ ، أى تقاطعوا .

والدُّنَّار : ما كان من الثياب فوق الشعار . وقد تدنَّرتُ ، أى تَلَفَف في الدُّنَّار .
الدحور : الطرد والإبعاد . تقول : دَحَرَه . وجاء في الكتاب العزيز (ويقذفون من
كلِّ جانب دحوراً) .

قال الفراء : قرأ الناس بالنصب والضم - أى بفتح الدال وضمها - فمن ضمها جعلها
مصدرأ كقولك : دحرت دحوراً . ومن فتحها ، جعلها اسماً كأنه قال : يقذفون بداحر
وبما يدحر .

الدَّائرة : الهزيمة ، يقال : عليهم دائرة السوء . والدائرة أيضاً : الداهية ، يقال دارت
عليه الدوائر ، أى نزلت به الدواهي .

والدَّهر : الزَّمان . وقيل : الدهر ألف سنة . والدهر : الغلبة .
الزُّبْرَةُ : القِطعة من الحديد ، والجمع زُبُرٌ . والزُّبْرُ : الكتابة . والمزْبَرُ : القلم .
والزُّبُور : الكتاب ، ومنه زبور داود عليه السلام .
الزُّور : الكذب ، وكل شيء يُعبد من دون الله .
والأساطير : الأباطيل ، والخرافات .
وأُسفر الصُّبح ، أى أضاء .

الشَّعيرة : البدنة تُهْدَى . والشَّعائر : أعمال الحج وكل ما جُعِلَ علماً لطاعة الله عزَّ
وجلَّ . والمشاعر : مواضع الناسك ، والحواس أيضاً . وشَعَرَت بالشيء ، أى فطنتُ له .
ومنه قولهم : ليتَ شِعْرى ، أى ليتنى علمت .

الشكر : الثناء على المحسن بما أولى من المعروف .
ويقال : شكره ، وشكر له ، وتشكَّر له .

الصَّبْرُ : الحبْسُ . وصَبَرَ فلان عند المصيبة ، إذا حبس نفسه عن الجزع .
وريح مَرَصْرُ ، أى باردة .

العُثُورُ : القَرْنُ الذى ينفخ فيه .

وقيل : هو جمع صُورة ، أى ينفخ في صور الموتى الأرواح .

وصارَه يَصُورُه وَيَصِيرُه ، أى أَماله . وقرىء (فَصَّرْهُنَّ إِلَيْكَ) بضم الصاد وكسرهما ،
يعنى وَجَّهْنَهُنَّ إِلَيْكَ .

والطَّور : التَّارَة . والنَّاسُ أطوارٌ ، أى أخفاف على حالات شتى . و (قد خلقكم
أطواراً) أى طوراً علقه وطوراً مضغة .
وقومٌ يتطهرون ، أى يتنزهون من الأدناس .

العَبْقَرُ : موضعٌ تزعم العرب أنه أرض الجن . ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا منه ،
فخاطبهم الله تعالى بما تعارفوه فقال : (عَبَقَرِي حِثَّان) وقد قرىء (عباقري) أيضاً .
والعبقري من النساء : السخية البضة الجميلة ، و (عبقر) من أسماء النساء . والعبقري :
الكذب البحت . يقال : كذب عبقرى ، أى خالص لا يشوبه صدق .

و « العبقرية » من الألفاظ التى تطورت فى هذا العصر ، وأصبح لها معنى خاص
لا يبعد عن حقيقة معناه الأصل الذى وضع له . وهى تؤدى فى العصر الحديث : الذكاء
العالى النادر الخارق للعادة . ومن أجل تعاريفها الحديثة ، أن العبقرية : بلوغ أرقى مراتب
العقل البشرى . وهذا فى العلم ، أما فى الفن ، فالعبقرية بلوغ الروح أرقى مراتب الانسانية .
الفِطْرَةُ : الخِلْقَة ، وقد فطره : خلقه .

وقبرتُ اللَّيْتُ : دَفَنْتُهُ . وأَقْبَرْتُهُ : أَمَرْتُ بِأَنْ يُقْبَرَ . وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره)
أى جعله ممن يُقْبَرُ ، إكراماً لبني آدم .
قَدَرُ الله وقَدَرُه : ما يَقْدَرُه من القضاء .

وفى الحديث : « إِذَا غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدُرُوا لَهُ » أى اتَّشُوا شِعْبَانِ ثَلَاثِينَ . وقيل : معناه
قدروا له منازل القمر فإنها تدلكم وتبين لكم أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون .
القِطْمِيرُ : القِشْرَة التى على النَّوَاة . ويوم قُطَامِيرٍ وقُطَيْرٍ ، أى شديد .

والكِبَرُ والكِبَرِيَاءُ : العِظَمَة . وكَبُرَ الشَّيْءُ : مُعْظَمُهُ . قال الله تعالى : (والذى
تولى كِبْرَهُ) .

وَأَكْبَرْتُ الشَّيْءَ : أى اسْتَعْظَمْتَهُ . وَالتَّكْبِيرُ التَّعْظِيمُ . وَالتَّكْبَرُ وَالِاسْتِكْبَارُ :
التَّعْظُمُ . وَالتَّكَبُّرُ فى أسماء الله عز وجل معناه : ذُو الكِبَرِيَاءِ .

الكُفْرُ : ضد الإيمان . والكُفْرُ أيضاً : جُحود النعمة ، وهو ضد الشكر . والكُفْرُ - بالفتح - التغطية . تقول : كَفَرْتُ الشيءَ أَكْفَرُهُ ، بالكسر كَفَرًا ، أى سترته . والكُفْرُ - بالفتح - التراب .

ومنه الكافر : اللَّيْل ، لأنه يَسْتُرُ بظلمته كلَّ شيء . ومنه الكافر للبحر ، والكافر للزَّارع لأنه يغطى البذر بالتراب .

الإِندَار : الإبلاغ ، ولا يكون إلا فى التَّخْوِيف . والاسم التَّنْذِر . وقوله تعالى : (فكيف كان عذابى ونذر) أى إندارى .

وأنشر الله الموتى : أحيام .

و (حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ) بكسر الفاء : نافرة .

وقرىء (مستنفرة) بفتح الفاء : أى استنفرها فزعمها من القسورة .

(نُفُورِى النَّافُورِ) أى نُفُخ فى الصور .

وَوَثَرَهُ حَقَّهُ ، نقصه . وقوله تعالى : (وَلَنْ يَتْرَكُوا أَعْمَالَكُمْ) ، أى لن يَنْتَقِصَكم فى أعمالكم .

الْوِزْرُ : الإِثْمُ وَالنَّقْل .

(ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) أى لا تحمل نفسٌ حاملةً حِمْلَ أُخْرَى .

الْوِقر ، الحِمْل : والوِقر : السحاب . قال الله تعالى : (والحاملات وقرا) يعنى

السحاب تحمل الماء الذى أوقرها .

والوقار : الرزانة . والتوقير : التعظيم و (لا ترجون لله وقارا) أى عظمة . « يتبع »

المرأة

فى الحديث النبوى « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة » .

وفى الأمثال المأثورة عن الحكماء : « المرأة الجميلة دمنة . والمرأة المتعلمة فاكهة . والمرأة

الفاضلة غذاء » .

أما الدواء .. فلا دواء !!

ليس المرض في هذه الأمة والأمم الإسلامية إلا مرض الأمم السابقة : جهل بحقيقة الدين الذي أكله الله وارتضاه وأتم به النعمة ؛ وضلال عن الصراط المستقيم الذي شرعه الله ، ودعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ضل عنه أولئك باتباع الأهواء والآراء ، وبُعد عن ذكر الله الأكبر ، وكتابه الحق المبين ، الذي أنزله الله أحسن الحديث ، شفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمحسنين والمؤمنين والمتقين .

ولقد طال عليهم الأمد في البعد عن هذا الذكر الحكيم ، والاشتغال بما استحدثوه من علوم أوربا وما افتنوا به بعد من قصص أمريكا ومجون أمريكا ولغوها وأدبها المكشوف وفلسفتها الحديثة ، ونحو ذلك مما صرفهم عن الاشتغال بالكتاب والسنة ، فقست بكل ذلك قلوبهم ، وخصوصاً شباب اليوم والجيل الحاضر وكثير منهم فاسقون ؛ لأنها حرمت من غذاء القرآن وشفائه ورحمته ونوره وحكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهدايته .

فكان من كل ذلك أن أصبح الدين عند المسلمين تقاليد ورسومًا صورية ، لا صلة لها بالأرواح . هذا هو داؤنا ، وهو داء الأمم قبلنا . أما الدواء ، فلا دواء إلا ما وصفه العليم الحكيم إذ قال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) . الدواء من عند الله ومن عند رسوله صلى الله عليه وسلم ، الدواء الناجع ، الذي شفى الله به القلوب من غلها وسلت به من أمراضها . وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه « والله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها » فترجو أن يتضافر المخلصون ويوجهوا جهودهم إلى الكفاح والجهاد ، لعل الله أن ينقذ هذه الأمة من الضيعة والانحلال ، الذي ماجرّه إلا النكوص عن دين الله والإعراض عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أينام أحدنا وهو جنب ...؟

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعاود فليتوضأ بينهما وضوءاً » رواه مسلم . وزاد الحاكم بإسناد صحيح « فإنه أنشط للعود » .

وعن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب « سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أبرق أحدنا وهو جنب ؟ فقال : نعم ، إذا توضأ أحدكم فليرقد » متفق عليه .

وعن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام - وهو جنب - غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة » رواه البخاري .

ولمسلم « كان إذا كان جنباً فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة » .
وعن أبي إسحاق السبيعي عن الأسود بن يزيد عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي .

وعن أبي إسحاق قال : سمعت الأسود بن يزيد يقول « سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ، فقالت : كان ينام أول الليل ، فإذا كان السحر أوتر ، ثم يأتي فراشه ، فإن كان له حاجة إلى أهله ألم بهم ، ثم ينام ، فإذا سمع النداء - وربما قالت : الأذان - وثب - وما قالت : قام . فإن كان جنباً أفاض عليه الماء . وما قالت : اغتسل . وإن لم يكن جنباً توضأ . ثم خرج إلى الصلاة » .

وفي صحيح ابن حبان عن عمر « أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أينام أحدنا وهو جنب ؟ فقال : نعم ، ويتوضأ إن شاء » .

وهذا الجمع هو الصواب ، وإليه ذهب ابن تقيّة في تأويل مختلف الحديث . قال : إن هذا كله جائز ؛ فمن شاء أن يتوضأ وضوءه للصلاة بعد الجماع ثم ينام ، ومن شاء غسل يده وذكره ونام . ومن شاء نام من غير أن يمس ماء . غير أن الوضوء أفضل .
إن الأمر على التخيير والوضوء أفضل .

عابد المال . . .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة : إن أعطى رضى وإن لم يُعط سخط ، تعس وانتكس ؛ وإذا شيك فلا انتقش . طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، وإن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يُشفع » رواه البخارى .

التعس : بمعنى الهلاك والعتار والسقوط والانحطاط والبعد .

والخميصة : كساء أسود له أعلام ، أى خطوط مغايرة للونه .

والانتكاس : معاودة الداء بعد البرد .

وشيك : أصيب بالشوكة .

انتقش : أخرج الشوكة بالمنقاش . وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران .

طوبى : هى الحسنى والخير . وقيل شجرة فى الجنة .

العنان : سير اللجام .

الأشعث : منتشر الشعر .

والحراسة : مقدمة الجيش .

والساقة : مؤخرته .

وهذا الحديث يعتبر أصلاً عظيماً من أصول الدين ينهى فيه النبى صلى الله عليه وسلم عن عبادة الدنيا التى رمز إليها بعبادة الدرهم والدينار والخميصة ، فالدرهم والدينار هما الوسيلة إلى قضاء اللبانات ، ونيل الأغراض والشهوات .

وحب الخميصة إشارة إلى حب الزينة ومباهج الحياة . وكل أولئك ولا شك إذا قصد إليه من الناحية المادية الصرفة وطلب لذاته ألهى عن عبادة الله والدار الآخرة .

أما إن طلب المال من حله وأنفق فى وجهه ، فكان منه الحق المعلوم ، للسائل

والمحروم . وكذلك إن روعى في استعمال الزينة ما أباحه الله ولم يَتَمَدَّ حدوده ، فذلك لا شيء فيه .

بل ينعكس الأمر ، فبدل أن يكون طلب المال والزينة في الحالة الأولى عبادة لغير الله ، يكون في الحالة الثانية عبادة خالصة له تعالى . والفرق بين الحالتين بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف عابد المال بأنه إن أعطى منه رضى ، وإن لم يعط سخط ، فهو حريص على جمعه والاستمتاع به على أية حالة . يفرح أشد الفرح إن توفر لديه . وبمحنة أشد الحزن إن قُدر عليه : وهو المعنى بقوله تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا . وإذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا) .

ثم انتقل الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم من التحذير من عمل ذلك المحروم والدعاء عليه : إلى حالة تفاير حالته كل المفارقة ، تلبس بها رجل وقف حياته في سبيل الله لا ينفى عن رضوانه حولا .

والواقع المشاهد أن الإغراق في حب الدنيا والإخلاص في حب الله لا يجتمعان في قلب واحد . وصدق الله إذ يقول (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثته وما له في الآخرة من نصيب) :

والمقصود من إرادة حرث الآخرة : هو الإخلاص في حرث الدنيا ، وعدم جعله غاية يقف الحارث عندها ، وإنما يكون حرث الدنيا مذموماً وحارماً صاحبه من حظ الآخرة إذا قصده لذاته ليقضى به لذاته .

فبقدر ما حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من حالة عابد الدنيا ودعا عليه ، بمقدار ما أثنى على من أسلم وجهه لله وهو محسن ، وانطوت جوانحه على صدق النية ، وبشره بالدرجات العلى ، وذلك جزاء من تزكى . وهل من شيء يزكى النفس ويرفعها إلى عليين مثل إخلاص في طليعة الناس أو في أخرياتهم . لايهمه إن وجد بين جماعة تعمل للخير أن يكون فيها رأساً أو ذنباً ، مادام غرضه العمل لله ، وتحرى مرضاته . فإن كانت كفايته تدفع به إلى مكان القيادة ، احتمل أعباءها وطلب من الله وحده جزاءها . وإن أخرته إلى صفوف

الجنـد ، وقـف بـين الصـفـوف ، ولم يـبال عـلى أـية هـيئة يـكون الوقـوف . واحتـياج الجـيش إلى أصـفر جـندى لا يـقل عـن احتـياجـه إلى أكـبر قائـد .

وقـد أراـنا رسـول الله صـلى الله عـليه وسلـم من عـلامـات ذلـك الرـجل الذـى يـعمل العـمل لا يـريد به إلا وـجـه الله مانـعـه به - حـيث لا يـريد - فـهو أبـعد النـاس عـن حـب الظهـور ، ونـسـج الدعايـات حـول شـخصه ، ودقـم الطـبول يـعلن بـها عـن حـركاته ، فـهو لا يـريد من أحـد جزاء ولا شـكورا . قـليل اتـصاله بالكـبراء لـعدم تـملقـه والتزاف إليهم ، بحـيث إذا اضـطرتـه الحـالة إلى الشـفاعـة في أحـد عـندهم لا تـقبل له شـفاعـة .

أسـأل الله الكـريم أن يـجعلنا من هـؤلاء برحمـته وتوفيقـه وإحسانـه . وصلـى الله عـلى محمـد إمام المـهتدين وعـلى آلـه وسلـم تسليما كـثيرا .

المراء !

قيل لإعرابي : ماتقول في المراء ؟!

قال : ماعسى أن أقول في شيء يفسد الصداقة القديمة . ويحل العقدة الوثيقة . أقل مافيه أن يكون دريئة للمغالبة . والمغالبة من أمتن أسباب الفتن .

أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس بشارع الجوهري

رقم ١ بميدان العتبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شباير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع

أحسن ما قرأت

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

قالت عائشة رضى الله عنها : لم أُغْلِلْ أَبَوَى قُطْ إِلَّا وَهَمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَلَمْ يَمِرْ عَلَيْنَا يَوْمَ إِلَّا بِأَتَيْنَا فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَةً ، فَلَمَّا ابْتَلَى الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبْشَةِ حَتَّى بَلَغَ بَرَكٍ^(١) الْغِيَادَ ، لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغْنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ^(٢) الْقَارَةِ ، فَقَالَ : ابْنَ تَرِيدٍ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي ، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي ، فَقَالَ ابْنُ الدَّغْنَةِ : فَإِنْ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ^(٣) ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ يِلْدَكَ . فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغْنَةِ فَطَافَ ابْنُ الدَّغْنَةِ عَشِيَةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنْ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلَهُ وَلَا يُخْرَجُ ، أَمْخَرَجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكُلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ .

فَلَمْ تُكْذَّبْ قُرَيْشٌ بِمَجْوَارِ ابْنِ الدَّغْنَةِ ، وَقَالُوا لَابْنِ الدَّغْنَةِ : مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَلْيَصِلْ فِيهَا ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ ، وَلَا يُوْذِنَا بِذَلِكَ ، وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتَنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا .

فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ . ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِنَاءَ دَارِهِ ، وَكَانَ بِصَلَاتِهِ فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَيَتَقَدَّفُ^(٤) عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ .

(١) أى موضع باليمن . (٢) قبيلة مشهورة من بنى الهون .

(٣) أى مجيراً أَمْنَعُ مِنْ يُوْذِيكَ . (٤) أى يتساقطون عليه .

وكان أبو بكر رجلاً بَكَّاءَ لَا يَمَلِكُ عَيْنُهُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ . فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدُّغْنَةِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا كُنَّا أَجْرَنًا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ : فَأَبْتَنِي مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقُرْآنِ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتَنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَانْهَ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلْ ، وَإِنْ أَبِي إِلَّا أَنْ يَمُنَ بِذَلِكَ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ^(١) وَلَسْنَا مُقَرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْإِسْتِعْلَانَ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَنَى ابْنُ الدُّغْنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي عَاقَدْتَ لَكَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَنْ تَقْتَصِرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي ، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقْدَتُهُ لَهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنِّي أُرَدُّ إِلَيْكَ جَوَارِكَ ، وَأَرْضَى بِجَوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ « إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَا بَتَيْنِ » وَهِيَ الْحَرَّتَانِ ، فَهَاجَرَ مِنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ ، وَرَجَعَ عَامَةً مِنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَنَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَى رِسْلِكَ^(٢) فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُوْذَنَ لِي ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ ، يَا أَبَى أَنْتَ ، قَالَ نَعَمْ ، فَخَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ^(٣) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمْرِ^(٤) ، وَهُوَ الْخَبْطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظُّهَيْرَةِ ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنَّعًا^(٥) فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاؤُكَ لِي أَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا وَأَمْرٌ . قَالَتْ : فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ فَقَالَ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ ، يَا أَبَى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

(١) أَيْ تَنْقُضَ عَهْدِكَ . (٢) أَيْ مَهْلِكُ . (٣) أَيْ مَنَعَهَا مِنَ الْهَجْرَةِ .

(٤) هُوَ شَجَرُ الطَّلَحِ . (٥) أَيْ مَغْطِيًا رَأْسَهُ .

قال : فإني قد أذن لي في الخروج ، فقال أبو بكر : الصَّحابة بأبي أنت يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال أبو بكر : فَخُذْ بِأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتَي هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالتمن .

قالت عائشة : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْت^(١) الجهاز ، وصنعنا لهما سُفْرَةً في جراب . فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها^(٢) ، فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سُمِّيَتْ ذات النطاق « وفي رواية أخرى » ذات النطاقين .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثَوْرٍ ، فكننا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌّ ، ثَقِفَ^(٣) ، لَقِنَ^(٤) ، فبدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ فلا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ^(٥) به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام . ويرعى عليهما عامر بن فهيرة ، مَوْلَى أبي بكر مِنْحَةً من غنم ، فيُرِيحُهُمَا عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسلٍ وهو لَبَنٌ مِّنْحَتُهُمَا وَرَضِيفُهُمَا^(٦) حتى ينقُ^(٧) بها ، عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بني الدَّيْلِ ، وهو من بني عبد بن عدى هادياً خَرِيْتًا - وَالْخَرِيْتُ الماهر بالهداية - قَدْ نَحَسَ حِلْفًا في آلِ العاصِ بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأمنأه ، فدفعاً إليه راحلتيهما وواعداه غار ثَوْرٍ بعد ثلاث ليال صُبْحَ ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل ، فأخذ بهم طريق السواحل .

قال مُرَاقَةُ بن جَفْثَم : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الحث : وهو الإسراع (٢) هو إزار تلبسه النساء (٣) أى معتدل القامة

لأعوجاج فيه . (٤) هو السريع الفهم . (٥) أى يطلبان الفوائد والمكره .

(٦) هو اللبن الذى جعل فيه الحجارة المحماة لتزول وخامته . وقيل : هى الناقة الحلوبة .

(٧) أى يصبح بها .

وأبى بكر ، دبةً كل واحد منهما من قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بنى مُدْج ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال :

بإسراقة إني قد رأيت آنفاً أسودةً ^(١) بالساحل أراها محمداً وأصحابه ، قال سزاقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا ، انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالةً لهم . ثم لبثتُ في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرس وهي من وراء أكمةٍ ^(٢) فتحبسها على ، وأخذت رُمحِي فخرجت به من ظهر البيت فخططتُ بِرُجْجِهِ ^(٣) الأرض ، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي ، فركبتها فرفعتها تُقَرِّبُ بِي حتى دنوتُ منهم ، فعثرتُ بِي فرسي فخرزتُ ^(٤) عنها ، فقممت فأهويت يدي إلى كنفاتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمتُ بها أضْرَهُمْ أم لا ، فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصبتُ الأزلام تُقَرِّبُ ^(٥) بِي ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفتُ وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت ^(٦) يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ثم زجرتها فتهضتُ ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لَأْمَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ ^(٧) ساطع في السماء مثل الدخان . فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حَتَّى جِئْتَهُمْ ووقع في نفسي حين لقيت مالمقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا منك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يَرَزْ آتِي ^(٨)

(١) أى أشخاصا .

(٢) هى الراية المرتفعة عن الأرض .

(٣) هى الحديدة فى أسفل الرمح .

(٤) أى سقطت عنها .

(٥) من التقريب وهو السير دون العدو وفوق العادة .

(٦) أى غاصت .

(٧) هو الدخان من غير نار .

(٨) أى لم يأخذنا منى .

ولم يسألاني إلا أن قال : أخفِ عنا ، فسأله أن يكتب لي كتاب أمني ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين ^(١) من الشام ، فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ، ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا يَغْدُونَ كلَّ غَدَاةٍ إلى الحَرَّةِ فينتظرونه حتى يردم حرَّ الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما آوَوْا إلى بيوتهم أَوْفَى ^(٢) رجل من يهود ، على أُطْمٍ ^(٣) من آطامهم لِأَمْرِ ينظر إليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مُبَيَّضِينَ يزول بهم السرابُ ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يامعاشر العرب ، هذا جدُّكم الذي تنتظرون ، فنار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بِظَهْرِ الحَرَّةِ ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عَوْفٍ ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحَيِّي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقبل أبو بكر حتى ظلَّ عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك .

فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ركب زاحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يُصَلِّي فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مِرْبَدًّا للتمرِّ ، سهيل وسهل ، غلامين يتيمين في حَجَرِ أسعد بن زُرَّارَةَ .

(١) أي راجعين .

(٢) أي طلع إلى مكان عال .

(٣) هو الحصن .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل ،
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمرء ليتخذ مسجداً ، فقالا : بل
نهبه لك يا رسول الله ، ثم بناه مسجداً ، وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم
اللين في بنيانه ويقول وهو ينقل اللين :-

هذا الجمال لا حال خَيْرَ هذا أبرُّ ربنا وأطهر
ويقول : اللهم إن الأجر أجزأ الآخرة فازحم الأنصار والمهاجرة .

(رواه البخارى)

رقة القلب من الإيمان

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال :

« أُرْسِلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ : أَنْ ابْنًا لِي قَبِضَ ، فَأَتَنَا ، فَأَرْسَلَ
يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى ،
فَلْتَصَبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ » فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ تَقْسِمُ عَلَيْهِ لِأَتَيْنَهَا ، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَمَعَاذُ بْنُ
جَبَلٍ ، وَأَبِيٌّ بْنُ كَعْبٍ . وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَرِجَالٌ ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعَّقُ كَأَنَّهَا شَيْءٌ ، فَقَاضَتْ عَيْنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ سَعْدُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
مَا هَذَا ؟ أَتَبْسِكِي وَتَنْهَى عَنِ الْبُكَاءِ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذِهِ رَحْمَةُ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي
قُلُوبِ عِبَادِهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وصية ...

أوصت امرأة ابناً لها يريد السفر فقالت : أجل أمنحك وصيتي وبالله توفيقك :
إياك والتمائم ، فإنها تزرع الضغائن ولا تجعل نفسك غرضاً للمرأة ، فإن الغرض إذا رمى
لا يلبث أن ينثلم ، ومثل نفسك مثلاً فما استحسنته من غيرك ، فاعمل به وما كرهته منه
فدعه واجتنبه ، ومن كان مودته بشره ، كان كالريح في تصرفها ، وإذا هزرت ، فاهرز
كرماً فإن الكريم يهتز لهزتك وإياك واللئيم ، فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ، وإياك والفدر ،
فإنه أقبح ما تقبل به ، وعليك بالوفاء فقيه النماء ، وكن بمالك جواداً وبدينك شحيحاً ،
ومن أعطى السخاء والحلم فقد استجد الحلة ربطتها وسر بالها .

ولله العزة ولن سوله وللمؤمنين

لقد بعث الله محمداً عبده ورسوله بشريعة محكمة تضمن للناس ما يبتغون من عز الدنيا وسعادة الآخرة . فعلمهم العزة وهداهم إلى الكرامة ورفعة القدر بصدق الإيمان ، والسير على سنة الله تعالى واتباع هديه ووحيه الذي أرشدهم إلى طرقها وبيان أسبابها فكان للمؤمنين منها نصيب وافر وحظ عظيم باهتمامهم بكتابهم وسيرهم على سنته ، وما زال المسلمون الأولون أحرص ما يحرصون على كرامتهم وعزتهم ، لا يبالون في سبيل ذلك بأى مظهر من مظاهر الحياة ، مهما كانت قيمته وتسامت درجته ولا يخضعون لخلق كائناً من كان خضعاناً يخدش تلك الكرامة أو يجرح تلك العزة وإن كان ذلك الخلق في الدروة من الثراء أو الملك أو السلطان ، فالناس سواسية كأسنان المشط . وإنما يتفاوت الناس بأعمالهم وآثارهم في الحياة . وعلى قدر ما يكون عند المؤمن من الكرامة والعزة والإباء وإيثار الحق يكون بقاءه وتمكينه واستخلافه في الأرض ونجح مطلبه وظفره بحاجته .

فالرسول صلى الله عليه وسلم ، تألبت عليه العرب ونحزبت ، وذهبوا إلى عمه ساخطين ، شاكين ، صارخين قائلين : أما أن تكفه أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا ، فمظم على أبى طالب فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه ، فقال يا ابن أخى : إن القوم جاؤوني ، فقالوا لي كذا ، فابق على نفسك ولا تحملى من الأمر مالا أطيق . فقال محمد صلى الله عليه وسلم ، تلك الكلمة العزيزة التي لا تخرج إلا من قلب عظيم الأثر « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما فعلت » .

وهؤلاء أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم السابقون ، وقد أنزل بهم جبابرة قریش ما أنزلوه من ألوان العذاب وأصناف الشقاء . ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا . ولكنهم كانوا يتفياون أثناء هذا العذاب الأليم أفنان العزة وينعمون بشرف العقيدة وثبات اليقين .

وما زال تلك سجنهم حتى في العهد الذي كان الأمر فيه ملكاً عصوراً .
 وكان للملوك فيه من السلطان والبطش والجبروت ما يضطر المرء أن ينزل منه عن
 عزته أو يداجي في عقيدته ، ولكن هيهات لمن تخلق بهذا الخلق الإسلامي الكريم أن
 ينزل عنه حتى في أكثر المواقف حرجاً وأدناها إلى الهلاك .

قال الأوزاعي « دخلت على المنطور يوماً فقال : ما أبطأ بك عني ؟ قلت : وما تريد
 مني يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الاقتباس منك ، فقلت : أنظر ما تقول فإن مكحولاً
 حدثني عن عطية بن بشر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من بلغته عن الله نصيحة
 في دينه فهي رحمة من الله ، سبقت له ، فإن قبلها بشكر وإلا فهي حجة من الله عليه ،
 ليزداد إنمأ ويزداد غضباً عليه .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين إنك تحملت أمانة هذه الأمة وقد عرضت على السموات
 والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وقد جاء عن جدك عبد الله بن عباس في تفسير قول
 الله عز وجل (لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) قال : الصغيرة التبسم والكبيرة
 الضحك ، فما ظنك بالقول والعمل ، فأعيزك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك بجمع مخالفة أمره فقد قال صلى الله عليه وسلم « يا صفية
 عمة محمد ، ويا فاطمة بنت محمد ، استوهبا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً »
 وكذلك جدك العباس سأل الامارة من النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أي عم نفس تحمينا
 خير لك من إمارة لا تحصيها » نظراً لعمه وشفقة عليه من أن يلي فيحيد عن سنته جناح
 بعوضة فلا يستطيع له نفعاً ، ولا عنه دفعاً .

وقال صلى الله عليه وسلم « ما من راع يبعث غاشاً لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة
 الجنة » وحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظراً ولما استطاع من عوراتهم سائراً ، وبالحق
 منهم قائماً ، فلا يتخوف محسنهم رهقاً ، ولا مسيئهم عدواناً ، فقد كان بيد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع عنه المشركين بها ، فأتاه جبريل فقال :
 « يا محمد ما هذه الجريدة التي معك ، أتركها لا تملأ قلوبهم رعباً ، فما ظنك بمن سفك
 (البقية على صفحة ٣٢)

بَابُ الْفِتَاوَى

سؤال وجواب

جاءنا السؤال الآتي :

ما الفرق بين المسلم والمؤمن ؟

الجواب

الفرق بين المسلم والمؤمن ، قد بينه الحديث الذي يرويه مسلم عن عمر بن الخطاب فقد قال : « بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام ، أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال صدقت . فمجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال فأخبرني عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة رببتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان ، ثم انطلق فلبث ملياً ، ثم قال : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . »

فالإسلام هو الانقياد الظاهري لهذه الأركان الخمس من قول وعمل ، والله أعلم بما في القلوب ، وذلك مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقولوا :

لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، ونحياهم على الله » .
 أى أن الإنسان يسمى مسلماً له مالمسلمين وعليه ماعليهم متى اعترف بهذه الأركان
 وعمل بها . ولكن الإيمان هو التصديق القلبي بالله وبما أتى به من دين رسوله وبما أمر به
 من سنة ظاهراً وباطناً بدون شك ولا ارتياب . وقد كفلت شرح هذا وتوضيحه آية
 الأعراب من سورة الحجرات ، حيث يقول الله عز وجل فيها (قالت الأعراب آمنا ، قل :
 لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله
 لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم ، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم
 يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) .

فالإيمان هو العقيدة التي تصدر عنها مختلف الفضائل التي سردت في القرآن موزعة على
 سورة وآياته ، أو هو الجهاز الذي يحرك الجوارح كلها في طاعة الله وابتغاء مرضاته .
 أما الإسلام فتوب يرتديه البر والفاجر ، والصادق ، والمنافق ، والأعمال هي التي
 تغربله وتنخله .

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

بقية الملشور على صفحة ٣٠

دماءهم وقطع أشعارهم ونهب أموالهم ؟ يا أمير المؤمنين إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما
 تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابياً لم يتعمده ، فقال جبريل « يا محمد
 إن الله لم يبعثك جباراً تنكسر قرون أمتك » .

واعلم يا أمير المؤمنين أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ولا ثمرة من
 ثمارها ، ولو أن ثوباً من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لأهلك الناس رأعته ،
 فكيف بمن تقمصه ؟ ولو أن ذنباً من النار صب على ماء الدنيا لأحمره ، فكيف بمن
 تجرعه ؟ ولو أن حلقة من جهنم وضعت على جبل لأذابته . فكيف بمن يسلك فيها ، ويرد
 فضلها على عاتقه ؟

مددنا الله تعالى جميعاً في القول والعمل ووقفنا إلى تلك الهداية ، والله ولى التوفيق .

اخبار الجمعية

المركز العام بالقاهرة

اجتمعت الجمعية العمومية للمركز العام يوم السبت ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٧٦ الموافق

٨ يونية سنة ١٩٥٧ - لانتخاب أعضاء مجلس الإدارة عن عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨

وقد أسفرت النتيجة كالآتي :

الأستاذ عبد الرحمن الوكيل (وكيل أول) الحاج سيد رضوان (وكيل ثان)
الأستاذ سليمان رشاد محمد (سكرتير أول) الأستاذ محمد سليمان فضل (سكرتير ثان) .
الأستاذ سيد محمد متولى (مراقب) الأستاذ سليمان حسونه (أمين صندوق)
الأستاذ محمد رشدي خليل (مدير المجلة) الأستاذ مصطفى عبد الجواد (مراقباً مالياً)
والسادة : الدكتور عبد المنعم حسنين ، الأستاذ رشاد الشافعي ، الأستاذ عبد الله محمد ،
الأستاذ أحمد محمد طه نصر ، الحاج صابر أحمد إبراهيم ، الحاج عطية حنفي محمد ، الحاج
إبراهيم قنديل (أعضاء) .

الأقطار الحجازية

سافر الأستاذ الجليل الشيخ محمد حامد الفقي رئيس الجماعة إلى الأقطار الحجازية وبهذه
المناسبة نقدم عظيم أسفنا للسادة قراء (الهدى النبوي) بصدر هذا العدد خالياً من
التفسير .

إلى السادة المشتركين

نرجو السادة المشتركين أن يتكرموا بإرسال اشتراكاتهم باسم محمد رشدي خليل
مدير إدارة المجلة . ونأسف مع الاعتذار بأننا منضطر إلى قطع المجلة عنهم اعتباراً
من عدد صفر سنة ١٣٧٧ أى العدد التالي . إذا لم يبادروا بتسديد اشتراكاتهم .

جماعة أنصار السنة المحمدية بالمنصورة

اجتمعت الجمعية العمومية يوم ٢ ذى القعدة سنة ١٣٧٦ الموافق ١٩٥٧/٥/٣١ لانتخاب

أعضاء مجلس الإدارة عن عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ .

وقد أسفرت النتيجة كالآتى :-

الأستاذ أحمد أحمد بدر (رئيس) الأستاذ محمد أحمد الشامى (وكيل أول)
الأستاذ عوض عباس على (وكيل ثان) الأستاذ محمد تيمم أبو الذهب (أمين صندوق)
الأستاذ محمد عبده الألفى (سكرتير أول) الأستاذ محمد عبد الرحمن زقير (سكرتير ثان)
الأستاذ يحيى إبراهيم على (مراقب حسابات) الأستاذ إبراهيم حامد محمد (مراقب إدارى)
والسادة : أحمد شحاته أبو الذهب ، محمود شحاته أبو الذهب ، سعد جعفر ، عبد الحميد
حنفى ، محمد عبد الرحمن داود ، يوسف على محمد ، عبد الحميد مصطفى (أعضاء) .

جماعة أنصار السنة المحمدية بسرس الليان

أعضاء مجلس الإدارة عن عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨

الأستاذ عبد الرحيم محمد عبد الله (رئيس) الأستاذ مصطفى محمد طلبه (وكيل أول)
الأستاذ عبد الحميد فهمى حسام الدين (وكيل ثان) الأستاذ عبد الحميد محمد طلبه (سكرتير)
الأستاذ سعيد مصطفى مرعى (أمين الصندوق) الأستاذ محمد محمد عيد (أمين المكتبة)
الأستاذ متولى حسن الشافعى (مراقب إدارى) .
والسادة : عبد المقصود بدر الدين ، محمد محروس الأبشهى ، فهم شاهين أبو النصر ،
سيد محمد عبد الله ، على إبراهيم داود ، عبد العزيز أبو المجد الجلال ، محمد إبراهيم الدويك ،
عبد الله حسين حسام الدين (أعضاء) .

وقد اختير الأستاذ زكى إمام حسام الدين (مراقباً مالياً)

أربعة تولد المحبة :

حسن البشر ، وبذل البر ، وقصد الوفاق ، وترك النفاق .

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات المتأززة فى الصنائة والمائة

آبأها عأء

الحاج مءر شرف عطاء صالح

٨ شارع قوله بعابءن

ساعات من آمع الماركااء العالمفة

آسافل فى الءفع على أقساط شهرفة

شركة غرب للساعات والمآوءهراا

إءارة : مءر الغرب مءر الباز

بشارع مءءفك فرفء رقم ١١٧ مصر عابءن

أءء الساعات فى المائة وءقة الصنائة

والمآوءهراا والنظـارات — أسعار مءءشة

آسافل فى الءفع على أقساط شهرفة

وبالمحل ورشة ففـة للصلف

﴿ أنصار السنة المءءفة لهم امأفازاا آاصة ﴾

مطبعة السنة المءءفة

١٧ شارع شرف باننا الكفر

٧٩.١٧ ٥

في أي مكان تجده يتألق ويزهو



آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكرسي النموذجي
انشاج، حسن علي حفاد

انه الكرسي النموذجي

في المثانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

مونتيلات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل

من علي صمد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندي سجل تجاري ٤١١٠١

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمحللات

الحاج زكير علي


تاجر عموم أصناف الخيش والحبال والدواب

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحمزاوي بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥



المذكرى النبوية

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

- ٣ التفسير لفضيلة رئيس التحرير
٢٤ إنعما الأعمال بالنيات لشيخ الإسلام ابن تيمية
٤١ أضلهم السامري لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٤٦ صوت من صوماليا
٥٣ انبعث في سبيل الحرية لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٥٥ لغة القرآن مفردات في اللغة العربية
٥٨ حول دفن الزعيم الإسماعيلي للأديب عبد السلام رزق الطويل .
٦١ خطبة منبرية للأستاذ سليمان رشاد محمد

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات الممتازة التي تحظى برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان

لمئاتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتي

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل في الدفع على أقساط شهرية

استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعي

الهدى النبوي

مدير الإدارة

محمد رسدى خليل

الاشتراك السنوى

٢٠ - فى مصر والسودان

٣٠ - فى الخارج

رئيس التحرير

محمد هاشم الفقى

الإدارة :

٨ شارع قوله

بمابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير البرى محمد صلى الله عليه وسلم

الأعداد ٢ - ٥

صفر - جمادى الأولى سنة ١٣٧٧

المجلد ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قول الله تعالى ذكره :

(١٦ : ٢٥) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ . وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) .

« الدعاء ، والدعوة » إلى الشيء : الحث على قصده ، والوصول إليه . و « دعوت

الرجل » صحته به ، وطلبت حضوره ، أو عودته ورجوعه من الطريق الذى هو سالكه ، إلى الطريق الذى تراه أصلح له وأولى به .

و « السبيل » الطريق السهل ، الذى لا صعوبة فيه ولا مشقة فى سلوكه و « سبيل الله »

الطريق الذى رسمه و بين معالمه إعادة الإنسان ونجاحه وفوزه بسعادة الأولى والأخرى .

و « الحكمة » العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه ، والعمل بمقتضاها ، بوضع كل شيء

فى موضعه اللائق به ، والذى خلقه الله له ، وأمر به من أجله ، لمصلحة الإنسان وسعادته .

و « الموعظة » نصيح وزجر بتخويف وتهديد بالعواقب ، وتذكير بما أعد الله للمتقين .

وبما أعد للكافرين المجرمين فى الأولى والأخرى .

و « المجادلة » من جدل الحبل لزيادة قوته . فعى اختيار اللفظ القوى ، والجل المفحمة ،

والججج البديهة التى تكون أقرب إلى إقناع الخصم ، أو إخامه وقطع شبهه .

و « ضل » قال ابن فارس في مقاييس اللغة : الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد . وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه . يقال : ضلَّ بَضْلًا وبِضْلًا - بفتح الضاد وكسرها - لغتان . وكل جائر عن القصد ضال . فالضال : من سلك طريقاً غير مؤد إلى غاية ومقصوده . لأنه يمشى على جهل وتقليد أعمى على غير هدى النظرة من السمع والبصر والعقل ، وعلى غير هدى الرسالة ونورها .

و « المهتدى » الذي سلك الطريق المؤدى إلى غاية ومقصوده . لأنه يمشى يقظاً يتحرى أن تكون كل خطوة من خطواته في كل شأن من شئونه على بصيرة ونور العلم من سنن الله الكونية وآياته القرآنية ، وهدى رسله ، مؤمناً بأن كل خطوة مرتبطة بالتى قبلها . لأنها ثمرتها ، وبالتى بعدها . لأنها تبيجتها مترتبة عليها . فخطوته الآخرة خير له من الأولى . قال الله تعالى (١٦ : ٩) وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر . ولو شاء لهداكم أجمعين) وقال (٦ : ١٥٣) وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) روى عبد بن حميد وأبو الشيخ عن قتادة قال : اعملوا أن السبيل سبيل واحد : جماعه الهدى . ومصيره الجنة ، وأن إبليس اشترع سبلاً متفرقة جماعها الضلالة . ومصيرها النار . وأخرج عبد بن حميد والنسائي والبخاري وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم - وصححه - عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ بيده . ثم قال : هذا سبيلي مستقيماً . ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله . ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه . ثم قرأ (وأن هذا صراط ربك مستقيماً - الآية) وأخرج ابن جرير وابن مردويه وعبد الرزاق عن ابن مسعود أن رجلاً سأله : ما الصراط المستقيم ؟ قال « تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطرفه الجنة . وعن يمينه جواد وعن شماله جواد . ونمَّ رجال يدعون من مَرَّ بهم . فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة » ثم قرأ ابن مسعود (وأن هذا صراطى مستقيماً - الآية)

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله :

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ادع يا محمد^(١) من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته - « إلى سبيل ربك » يقول : إلى شريعة ربك التي شرعها خلقة - وهو الإسلام - « بالحكمة » يقول : بوحى الله الذي يوحى إليك ، وكتابه الذي ينزله عليك « والموعظة الحسنة » يقول : وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه وذكرهم بها في تنزيله . كالذي عدد عليهم في هذه السورة من حججه ، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه « وجادلهم بالتي هي أحسن » يقول : وخاصهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها : بأن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ، ولا تقصر في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك . وقوله « إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله » يقول تعالى ذكره : إن ربك هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل ومحجة الحق . وهو مجاز جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه . انتهى .

وقال أبو حيان في البحر : أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف . وهو أن يسمع المدعو حكمة : وهي الكلام الصواب القريب ، الواقع من النفس أجمل موقع ، وعن ابن عباس : أن الحكمة القرآن . وعنه : الفقه . وقيل : النبوة . وقيل : ما يمنع من الفساد من آيات ربك المرغبة والمرهبة . و « الموعظة الحسنة » مواءمة القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما . وعنه أيضاً : الأدب الجميل الذي يعرفونه . وقال ابن عيسى : الحكمة المعروفة بمراتب الأفعال . والموعظة الحسنة : أن تختلط الرغبة بالرهبة ، والانذار بالبشارة . وقال ابن عطية : « الموعظة الحسنة » التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان ، بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل . ونحو هذا . اه كلام أبي حيان وقال السيد رشيد رضا « الحكمة » العلم الصحيح يكون صفة محكمة في النفس ، حكمة على الإرادة توجهها إلى العمل . ومتى كان العمل صادراً عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدى إلى السعادة . وكم من محصل لصور كثير من المعلومات ، خازن لها في

(١) كان أولى أن يقول « أيها النبي ، أو أيها الرسول » كما علمنا الله وأدبنا في مخاطبة نبيه صلى الله عليه وسلم بمخاطبته له بذلك وبقوله (٢٤ : ٦٣) لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً .

دماغه ليعرضها في أوقات معلومة لاتفيده هذه الصور - التي تسمى علما - في التمييز بين الحقائق والأوهام ، ولا في النزيل بين الوسوسة والإلهام ، لأنها لم تتمكن من النفس تمكنا يجعل لها سلطاناً على الإرادة . وإنما هي تصورات وخیالات تغيب عن العمل ، وتحضر عند المراء والجدل . وآلة « الحكمة » العقل السليم ، مع التوفيق لحسن استعمال هذه الآلة في تحصيل العلوم الصحيحة النافعة . وهذا يتفق مع ما روى عن ابن عباس : أن « الحكمة هي الفقه في القرآن » أى معرفة ما فيه من الهدى والأحكام بطلها وحكمها لأن هذا الفقه هو أجل الحقائق المؤثرة في النفس ، الماحية لما يعرض لها من الوسوس ، حتى لاتكون مانعة من العمل الصالح . اهـ (الجزء الثالث صفحة ٧٥)

يقول ربنا تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم - ولكل مؤمن به ، ومقتد به ، ومستمسك بحبل رسالته ، ومهتد بهداه ، ووارث لعلمه وحامل لأمانته - إنه حق لازم عليك لجميع الخلق : أن تدعوم ، وتصيح فيهم بكل قوتك : أن يتحروا في كل شئونهم ، وفي كل خطوة من خطواتهم السيل القاصد ، الذى يبلغ بهم إلى مرضاة ربهم ، وإلى خير العقبى في الأولى والأخرى . ولبس ذلك السيل إلا مارسه الله ، وبين للناس معاملة وضوؤه في كتابه ، وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم بالأقوال والأعمال والآداب والأحوال . فإن هذا هو سبيل الفلاح والفوز بطيب العيش والأمن والسلام في الأولى والأخرى .

ولن يستطيعوا أن يحققوا ذلك ، وتتم لهم نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم - صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين - إلا باليقظة من غفلة التقليد ، وسلامة الحواس والعقل وعودنا إلى ما فطرها الله عليه من استفادة المعارف والعلوم الصحيحة النافعة التي تكون من سنن الله السكونية ، ومن العلم اليقيني برسالة عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة المعرفة الصحيحة التي تطمئن إليها النفس ، ويهتدى بها القلب ويذعن لها مسلماً ، ويزداد إيماناً وهدى . وذلك هو المعنى بقوله سبحانه وتعالى (١٢ : ١٠٨ قل : هذه سبيلي : أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله . وما أنا من المشركين) وهذا هو سبيل المؤمنين الشاكرين : أنهم لا يخطون خطوة إلا وهم موقنون : أن مصيرهم بها إلى الله ، فلا يخطون ، ولا يتحركون ، إلا بعد أن يعلموا ماذا

يحب ربهم لهم في هذه الخطوة ، وماذا يجزيهم عليها ، وأنه هو الشهيد الرقيب ، الخبير الحبيب ، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور - فيتحررون محاب الله التي وعدهم بها خير العاقبة في الأولى والأخرى .

وهكذا في الخطوة الثانية يحرصون أن يعملوا صلتها وموافقتها للخطوة الأولى ، وهل هي من ثمراتها ، كما قال الله (١٩ : ٢٦) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أو لاصلة لها بها ، بل تنافرها . فلا تلتئم معها فتكون سوأى . كما قال الله سبحانه (٣٠ : ١٠) ثم كان عاقبة الذين أساءوا : السوأى) .

فلقد بين الله في عدة مواضع من كتابه الكريم أن الإنسان سالك في حياته الأولى طريقين ، لا ثالث لهما : طريق الذين أنعم الله عليهم ، وهداهم إلى الصراط المستقيم . وهم الذين صدقوا في إيمانهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر على ما جاء من الله ثمره علمهم ومعرفتهم بالله من آياته الكونية في الأنفس والآفاق ، وآياته المنزلة من عنده موعظة وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

علما ومعرفة بكتبه : أن الله أوحاها إلى المصطفين من رسله لخير الناس وإصلاحهم ، وهدايتهم إلى الطريق التي هي أقوم لبلوغهم الغاية الكريمة ، والعاقبة الحسنى في كل شأن من شئونهم ، حتى تبلغ بهم إلى رضوان من الله وحنان عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . وعلما ومعرفة برسله : أن الله العليم الحكيم الخبير اصطفاهم . فهم أطهر الناس قلباً ، وأزكاهم نفساً ، وأصدقهم قولاً ، وأعفهم عن كل ما يعيب ، وأبعدهم عن كل نقص وشين ، وأرشدتهم عقلاً ، وأحكمهم فكراً ونطقاً ، وأسرعهم إلى فعل الخيرات ، وأبعدهم عن الآثام والمنكرات . وأن الله إنما اختارهم وأرسلهم إلى الناس لخير الناس ، وصلاح الناس ، وفلاحهم وسعادتهم في الأولى والأخرى . فتحروا الاقتداء بهم في جميع شئونهم ، والاهتداء بهداهم في كل أمورهم ، لا يرضون بإمامتهم بديلاً ، ولا يتخذون غير سبيلهم سبيلاً

وعلما ومعرفة باليوم الآخر على ما وصف الله وأخبر ، وأنه اليوم الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت ، وتوفي كل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون لا يجزى والد عن ولده ، ولا ولد عن والده (٨١ : ٣٤ - ٣٧) يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه .

لكل امرئ منهم يومئذ شيء يغنيه) (٧٠ : ١١ - ١٥ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بينه وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه . كلا) (٨٢ : ١٩ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله) ، (٥٣ : ٣٨ - ٤١ ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى) . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته وحبيبتها فاطمة رضي الله عنها « يا فاطمة بنت محمد ، اعلمي ، فلن أغنى عنك من الله شيئاً » وكذلك قال لعمه العباس ، ولعمته صفية رضي الله عنهما . ويقول في حديث الخوض « يذاذ قوم عنه - أى عن الخوض - فأقول : أمتى - أو أصحابي - فيقال : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول : بعداً بعداً ، وسحقاً سحقاً إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك » وبغير ذلك من آى الذكر الحكيم . وأحاديث الرسول الكريم ، مما يهدم آمال المغرورين ، ويخيب ظنون الجاهليين وأمانهم الكاذبة في شفاعة آلهتهم ومعبوداتهم من الموتى ، وفي مخادعتهم أنفسهم بألفاظ يلوكونها بلا فهم ثم ويهدمونها بالعقيدة الوثنية ، والأعمال الجاهلية (٢٥ : ٢٧ - ٣١ يوم يعص الظالم على يديه ، ويقول : ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً . يا ويأتى ، ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى . وكان الشيطان للإنسان خذولاً . وقال الرسول : يا رب ، إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً . وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين . وكفى بربك هادياً ونصيراً) .

بهذا العلم والمعرفة الصادقة نبتت شجرة الإيمان الطيبة في قلوب أولئك المؤمنين الصادقين وزكا نورها ، وأشرق مصباحها . فكان لهم من نور الفطرة ما أمده نور ما اعتصروه بتدبرهم وتفكيرهم من آى القرآن . نور على نور . يهدى الله بنوره من يشاء .

فتحروا - بذلك النور - في كل خطوة ، وفي كل شأن وأمر من شئونهم وأمورهم - سبيل الله الذى أقام على رأسه رسوله خاتم المرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم ، يبصر الناس ويدعوهم - وهو بهم رؤوف رحيم - إلى سلوكه ، والاستقامة في كل شئونهم عليه ، واضعين نصب أعينهم ، وأمام بصائرهم : منار الهدى من كتاب الله وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم بكل يقظة ، وبأشد الخوف والحذر : أن يخدعهم عنه - في أى خطوة ، وفي أى شأن -

شياطين الإنس والجن الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً . يتقون ذلك أشد التقوى ، معتمدين بحبل الله ، مستمسكين بالعروة الوثقى من هداة وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، عاضين عليهما بالنواجذ ، بصراء بما حولهم من ظلمات الفتن ، ومضلات الأهواء ومغريات الشهوات ، فتفر منها نفوسهم ، وتمقتها أشد المقت قلوبهم ، ويفرون - فرار السليم من المجدوم - من أرجاسها وأنجاسها وقذرها ، حرصاً على إيمانهم أن تشوبه منها شائبة فيتقذر ، وعلى قلوبهم أن يصيبها من رشاشها فتتنجس . ويلجأون إلى الله ربهم الذى من عليهم بتزكية نفوسهم أن يعيدهم منها ، ويبعدهم عن أهلها لا يصيبهم مثل ما أصابهم ، وأن يمد لهم بالتوفيق والمعونة على دعوة أولئك المرضى لعلاجهم ونجاتهم ، من شر ما هم فيه من أدواء وعلل . والله معهم يستجيب لهم فيزيدهم إيماناً وهدى وتقى . ويثبتهم على صراطه المستقيم ، ويمد لهم بالمعونة ويؤتيهم من الحكمة ما يهدى الله به من يشاء عن فضله .

هذا هو طريق أهل البين من المؤمنين الصادقين . رسمه الله سبحانه لعباده فى كتابه وعلى لسان رسوله . وجمع فى سورة فاتحة الكتاب صفاته ومعاليه وصوابه . وأكد على عباده أن يسألوه الهداية إليه ، والتوفيق والثبات عليه فى كل ركعة من ركعات صلاتهم بالليل والنهار ، لأنهم بأشد الحاجة والفقر إليه فى نجاحهم وفلاحهم وفوزهم بسعادة الأولى والأخرى وحذرهم من الطريق الثانى طريق أهل الشمال ، المغضوب عليهم والضالين . فليت كل مصل يذهب ذلك ، ويعقل ويفقه الفاتحة ، ويقرؤها متأنياً متدبراً ليحظى بهذه السعادة الكبرى والفوز العظيم . ولكن أكثر الناس لا يعقلون ولا يتفكرون ولا يفقهون . فهل هم من المصابين ؟ إنهم عن صلاتهم ساهون . فهم لذلك يكذبون بيوم الدين .

ولقد وصف الله - سبحانه ، وجل ثناؤه ، وله الحمد كثيراً - طريق أهل الشمال المغضوب عليهم والضالين وصفاً أوضحه أشد الإيضاح ، وبينه أعظم البيان وأشفاه ، لمن عرف فضل ربه ، وتذكره على أنعمه ، ولم يكذب بآياته فى السمع والبصر والفؤاد . وفيما هيا للإنسان من أسباب العلم والكرامة بما بث فى نفسه وفيما حوله من الآيات الكونية ، وبما أوحى من القرآن المبارك والذكر الحكيم ، وما جمل فيه من الهدى المبين ، والفرقان

الظاهر ، وبما علم رسوله صلى الله عليه وسلم من البيان الذى جعل الطريق محجة بيضاء ،
ليها كنهارها . لا يزىغ عنها إلا هالك .

وصف الله هذا الطريق بأنه دين الوراثة والجاهلية والتقليد الأعمى للآباء والشيخ
القائلين على الله بغير علم ، المتفرقين فى الكتاب ، المفارقين للكتاب ، الذى اتخذوهم أرباباً
من دون الله . وأحبوهم حب العبد للرب ، كما يحب المؤمن ربه ويخشاه (٢ : ١٦٥ - ١٧١)
ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا أشد حباً لله .
ولو يرى الذين ظلموا - إذ يرون العذاب - أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب .
إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب . وتقطعت بهم الأسباب . وقال
الذين اتبعوا : لو أن لنا كرة ، فنتبرأ منهم كما تبرا منا ؟ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات
عليهم . وما هم بخارجين من النار - إلى قوله - وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله . قالوا : بل
نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أولو كان آبؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟ ومثل الذين كفروا
كمثل الذى يتعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء . سم بكم عى . فهم لا يعقلون) (٣ : ٧٧)
وإن منهم لفرقة يلوون ألنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب . وما هو من الكتاب .
ويقولون : هو من عند الله . وما هو من عند الله . ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)
(٣ : ١٠٢ - ١٠٥) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا - إلى قوله - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (٤ : ٦٠ - ٦٥) ألم تر إلى الذين
يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ؟ يريدون أن يتحاكموا إلى
الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا
قيل لهم : تعالوا إلى أنزل الله وإلى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً - إلى
قوله - فلا ، وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . ثم لا يجدوا فى أنفسهم
حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً) (٤ : ١٥) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى . ونضله جهنم مصيراً) (٥ : ٧٨ - ٨١)
لمن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . ذلك بما عصوا

وكانوا يعتدون . كانوا لا ينهاهون عن منكر فعلوه . لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيراً منهم فاسقون) (٦ : ١٥٩) إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء . إنما أمرهم إلى الله . ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) (٧ : ٣) اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) (٧ : ٩) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) (٧ : ٣٨ - ٤١) قال : ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار . كلما دخلت أمة لعنت أختها . حتى إذا ذاركوها فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم : ربنا هؤلاء أضلونا . فآتهم عذاباً ضعفاً من النار . قال : لكل ضعف - إلى قوله - كذلك نجزي القوم الظالمين) (٧ : ١٤٦) سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً . وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً . ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) (٧ : ١٧٢ - ١٧٩) وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم . وأشهدهم على أنفسهم : ألت بر بكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا : إنما أشرك آبائنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم . أقهملكنا بما فعل المبطلون ؟ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون . وإنا أنزلنا آياتنا على نوح عليه السلام ، فأتبعه الشيطان . فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكننا أخذنا به إلى الأرض واتبع هواه - إلى قوله - ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس . لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام . بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) (١٢ : ١٠٤ و ١٠٥) وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (١٣ : ١٩) أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولوا الألباب) (١٤ : ١٠) قالت رسالهم : أفى الله شك ؟ فاطر السموات والأرض . يدعوكم ليعفركم من ذنوبكم وبؤخركم إلى أجل مسمى . قالوا : إن أنتم إلا بشر مثلنا . تريدون أن تصدونا عما

كان يعبد آباؤنا . فاثبتونا بسلطان مبین) . (١٤ : ٢١ وبرزوا لله جميعاً . فقال الضمفاء للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعاً . فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا : لو هدانا الله لهديناكم . سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ، ما لنا من محيص) (١٥ : ١٢ و ١٣ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين . لا يؤمنون به ، وقد خلت سنة الأولين) (١٧ : ٤٥ - ٤٧ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا . وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً ، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولَّوْا على أذانهم نفورا . نحن أعلم بما يستمعون به . إذ يستمعون إليك ، وإذ هم نجوى . إذ يقول الظالمون : إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) (١٧ : ٨١ و ٨٢ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) (١٧ : ٨٩ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل . فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) (١٨ : ٥٦ و ٥٧ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق . واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا . ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه ؟ إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً . وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذن أبداً) (١٨ : ١٠٠ - ١٠٦ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً . الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى . وكانوا لا يستطيعون سمعاً - إلى قوله - الذين أضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - إلى قوله - واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) (٢٠ : ٩٩ - ١٠١ وقد أتيناك من لدنا ذكراً . من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه . وساء لهم يوم القيامة حملاً) (٢٠ : ١٢٣ - ١٢٧ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً . ونحشره يوم القيامة أعمى . قال : رب ، لم حشرتني أعمى ، وقد كنت بصيراً ؟ قال : كذلك ، أتتك آياتنا فلنسيها . وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه . وللعذاب الآخرة أشد وأبقى) (٢١ : ٢ و ٣ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استهموه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم) (٢٢ : ٣ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ، ويتبع كل شيطان مريد . كُتِبَ عليه أنه من تولاه فإنه يضلله ويهديه إلى عذاب السعير) (٢٢ : ٨ - ١٣ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى

ولا كتاب منير . ثانی عِطْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . له في الدنيا خِزْي . ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك ، وأن الله ليس بظلام للعبيد . ومن الناس من يعبد الله على حرف . فإن أصابه خير اطمأن به . وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه . خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين . يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضرُّه أقرب من نفعه لبئس المولى ، ولبئس العشير) (٢٢ : ٧١ و ٧٢ ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم . وما للظالمين من نصير . وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر . يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا . قل : أفؤنبئكم بشر من ذلكم ؟ النار ، وعدها الله الذين كفروا . وبئس المصير) (٢٣ : ٥٢ - ٥٥ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون . فتقطعوا أمرهم بينهم زُبْراً كل حزب بما لديهم فرحون . أيجسبون أن مانعهم من مال وبنين نارع لهم في الخيرات ؟ بل لا يشعرون) (٢٣ : ٦٦ و ٦٧ قد كانت آياتي تتلى عليكم . فكنتم على أعقابكم تنكصون ، مستكبرين به ، سامراً تهجرون) (٢٣ : ١٠٣ - ١١١ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار ، وهم فيها كالحون . ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ؟ - إلى قوله - إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) (٢٤ : ٣٩ و ٤٠ والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه . والله سريع الحساب . أو ظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) (٢٤ : ٤٦ - ٥٢ لقد أنزلنا آيات مبينات . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . ويقولون : آمنا بالله وبالرسول ، وأطعنا . ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك . وما أولئك بال مؤمنين . وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض ؟ أم ارتابوا ؟ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ؟ بل أولئك هم الظالمون . إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا : سمعنا وأطعنا . وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله

وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأَوَّاكُ هُمُ الْفَائِزُونَ) (٢٤ : ٦٣) لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدْعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا . قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا . فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن
تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم) (٢٥ : ٢١ - ٣٠) وقال الذين لا يرجون لقاءنا :
لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ؟ لقد استكبروا في أنفسهم ، وعتوا عتواً كبيراً .
يوم يرون الملائكة ، لا بشرى يومئذ للمجرمين ، ويقولون : حِجْرًا مَحْجُورًا . وَقَدِمْنَا إِلَى
مَاعْمَلُوا مِنْ عَمَلٍ لَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا - إلى قوله - وقال الرسول : يا رب إن قومي اتخذوا هذا
القرآن مهجوراً) (٢٥ : ٢٣ و ٤٤) أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ؟ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ
وَكِيلًا ؟ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ إن هم كانوا نعام ، بل هم أضل سبيلاً)
(٢٦ : ٥) وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين . فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم . فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) (٢٦ : ٩١ - ١٠٣) وَبُرِّزَتِ
الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ . وقيل لهم : أين ما كنتم تعبدون من دون الله ؟ هل ينصرونكم ،
أو ينصرون ؟ فَكُذِّبُوا كُذِّبُوا فِيهَا هُمُ الْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ . قالوا - وهم فيها مختصمون -
تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نُوسِبُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وما أضلنا إلا الجرمون . فما لنا من
شافعين . ولا صديق حميم . قُلْ أُنَا كَرِهْتُ ؟ فَكَفَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٢٦ : ٢٠٠ و ٢٠١)
كَذَلِكَ سَلَكَ نَاهٍ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ . لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) (٢٧ : ٨٠ و ٨١)
إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ، وَلَا تَسْمَعُ الْحَيِّ الدَّعَاءَ إِذَا وَاوَّا مَدْبِرِينَ . وما أنت بهادي العمى عن
ضلاتهم . إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا . فهُمْ مُسْلِمُونَ) (٢٨ : ٥٠ و ٥١) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ؟ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) (٢٨ : ٦٢ - ٦٧) وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ ،
فَيَقُولُ : أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ؟ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ : رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
أَغْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا . تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ . مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ . وقيل : ادعوا شركاءكم ،
فدعوهم . فلم يستجيبوا لهم ، ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون . وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ ، فَيَقُولُ :
مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَهَمَّيْنَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ . فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ . فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ

وَعَمَلٌ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) (٧٤ : ٢٨ و ٧٥ و يوم يناديهم ، فيقول : أين شركائي الذين كنتم تزعمون ؟ ونزعنا من كل أمة شهيداً ، فقلنا : هاتوا برهانكم . فاعلموا أن الحق لله . وضل عنهم ما كانوا يفترون) (٢٩ : ١٢ و ١٣ وقال الذين كفروا للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ، وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ . وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء . إنهم لكاذبون . وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ . وَأَبْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (٢٩ : ٢٥ وقال : إنما اتخذتم من دون الله أولئنا ، مودة بينكم في الحياة الدنيا ، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ، ويلعن بعضكم بعضاً . وماؤاكم النار . وما لكم من ناصرين) (٢٩ : ٤١ و ٤٢ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً . وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء . وهو العزيز الحكيم) (٣٠ : ٣٠ - ٣٢ فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها . لا تبدل خلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ، ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، كل حزب بما لديهم فرحون) (٣٠ : ٥٨ - ٦٠ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل . وثئن جئتهم بآية ليقولان الذين كفروا : إن أنتم إلا مبطلون . كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون . فاصبر إن وعد الله حق . ولا يستخفك الذين لا يوقنون) (٣١ : ٦ ، ٧ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هُزُوًا ، أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتنا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا ، كَانَ فِي أُذُنِهِ قُفْرًا ، فنبشروه بعذاب أليم) (٣١ : ٢٠ - ٢٤ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ؟ ومن يـلم وجهه إلى الله وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى . وإلى الله عاقبة الأمور . ومن كفر فلا يحزنك كفره إلینا مرجعهم فننبذهم بما عملوا ، إن الله عليم بذات الصدور . نمتعهم قليلاً ، ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) (٣٢ : ١٢ - ٢٢ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ،

ربنا أبصرنا وسمعنا . فارجعنا لعمل صالحا . إنا موقنون - إلى قوله - ومن أظلم ممن ذكر .
 بآيات ربه ثم أعرض عنها . إنا من المجرمين متقنون) (٣٣ : ٣٦ وما كان لمؤمن ولا
 مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً : أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله
 فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) (٣٣ : ٦٤-٦٨ إنا لعن السافرين . وأعدّ لهم سعيراً ، خائفين
 فيها أبداً ، لا يجدون ولياً ولا نصيراً ! يوم تَقَلَّبَ وجوههم في النار ، يقولون : يا ليتنا أطعنا
 الله وأطعنا الرسول . وقالوا : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءتنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتتهم ضعفين
 من العذاب وألغتهم لعناً كبيراً) (٣٤ : ٣١-٣٣ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم
 يرجع بعضهم إلى القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لسكننا مؤمنين .
 قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صدقناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم
 مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار . إذ تأمرونا أن
 نكفر بالله ونجمل له أنداداً ، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال في أعناق
 الذين كفروا ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ؟) (٣٧ : ٦٨-٧٣ ثم إن مرجعهم لى
 الجحيم . إنهم ألفوا آباءهم بآلهم . فهم على آثامهم يهْرَعُونَ . ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين
 ولقد أرسلنا فيهم منذرين) (٣٨ : ٦١-٨ وانطلق الملائمة منهم ، أن امشوا واصبروا على
 آلهتكم ، إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة . إن هذا إلا اختلاق . أنزل عليه
 الذكر من بيننا ؟ بل هم فى شك من ذكرى . بل لما يذوقوا عذاب) (٣٨ : ٥٩-٦٣
 هذا فوج مفتحم معكم ، لا مرحباً بهم . إنهم صالوا النار . قالوا : بل أنتم لا مرحباً بكم
 أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار . قالوا : ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً خفيفاً فى النار)
 (٣٩ : ٥٥-٦٠ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتىكم العذاب وأنتم
 لا تشعرون . أن تقول نفس : يا حمرتنى على ما فرطت فى جنب الله ، وإن كنت لمن
 السافرين ، أو تقول : لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب :
 لو أن لى كربة فأنكون من الحسنين ، بلى ، قد جاءتك آياتى فكذبت بها ، واستكبرت ،
 وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ،

أليس في جهنم مثوى للكافرين ؟ وينجى الله الذين اتقوا بمغازتهم ، لا يسهم السوء ولا هم يحزنون) (٤٠ : ١٠ - ١٢ إن الذين كفروا ينادون : لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون . قالوا : ربنا ، أمتنا اثنتان وأحييتنا اثنتان ، فاعترفنا بذنوبنا ، فهل إلى خروج من سبيل ؟ ذلسم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا . فالحكم لله العلى الكبير) (٤٠ : ٨٢ - ٨٥ أفلم يسيروا في الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فلما جاءتهم رسولهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم . وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده . وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا . سنة الله التي قد خلت في عباده . وخسر هنالك الكافرون) (٤١ : ٥٤ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته ؟ ألعجمى وعربى ؟ قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر . وهو عليهم عمى . أولئك ينادون من مكان بعيد) (٤١ : ٤٧ و ٤٨ ويوم يناديهم : ابن شركائى ؟ قالوا : آذنأك . ما مِنّا من شهيد . وضل عنهم ما كانوا يَدعون من قبل . وظنوا ما لهم من محيص) (٤٢ : ١٣ - ٢٢ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه . كبر على المشركين ما ندعوم إليه . الله يجتبي إليه من يشاء ويهذى إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ، بغيا بينهم . ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب - إلى قوله - أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟ ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم . وإن الظالمين لهم عذاب أليم) (٤٢ : ٤٤ - ٤٧ ومن يضل الله فما له من ولي من بعده . وترى الظالمين - لما رأوا العذاب - يقولون : هل إلى مَرَد من سبيل ؟ - إلى قوله - استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله . ما لكم من ماجأ يومئذ وما لكم من نكير) (٤٣ : ٢٢ - ٢٥ بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة . وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال

مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة . وإنا على آثارهم مقتدون . قُل : أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ كَانَ
عَمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ ؟ قَالُوا : إنا بما أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . فَاثْقَمْنَا مِنْهُمْ . فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (٤٣ : ٣٥ - ٤٠) وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا . فَهُوَ لَهُ
قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ :
يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينٌ . وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ - إِذْ ظَلَمْتُمْ - أَنُكُمْ فِي
الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ، أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّهْمَ ، أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ؟)
(٤٥ : ٧ - ١٠) وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . بِسْمِ آيَاتِ اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا . فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا . أَوَلَيْكَ لَهْمُ عَذَابٍ
مُهِينٍ . مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا ، وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٤٥ : ١٨ - ٢٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ ، فَاتَّبِعْهَا . وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ . وَاللَّهُ وَلَى الْمُتَّقِينَ . هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ، أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَحْمَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، سَوَاءٌ بِحَيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ ؟ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ . وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ . أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ آلِهَةً هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ
عَلَى بَصَرِهِ غِشَاءً ؟ فَنَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (٤٦ : ١١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا : لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ . وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ : هَذَا أَفَّاكَ قَدِيمٌ)
(٤٧ : ٨ - ١٤) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَعَسَى لَهُمْ وَاضِلٌ أَعْمَالُهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ
فَاحْبِطْ أَعْمَالَهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - أَفَن كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كُنْ زَيْنَ لَهُ - سَوَاءٌ عَمَلُهُ ، وَاتَّبِعُوا
أَهْوَاءَهُمْ ؟) (٤٧ : ٢٤ - ٢٨) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ؟ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ إِنْ الَّذِينَ
ارْتَدَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ، الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ -
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ ، وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ . فَاحْبِطْ أَعْمَالَهُمْ) (٤٩ : ١) يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) (٥٨ : ٥) إن الذين يحادون الله ورسوله كُتِبُوا كما كُتِبَ الذين من قبلهم ، وقد أنزلنا آيات بينات . وللكافرين عذاب مهين) (٦٢ : ٥) مثل الذين حملوا التوراة ، ثم لم يحملوها : كمثل الحمار يحمل أسفارا . بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله . والله لا يهدي القوم الظالمين) (٦٣ : ٤) وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم . كأنهم خشب مسندة . يحسبون كل صيحة عليهم . هم العدو فاحذرهم . قاتلهم الله أنى يؤفكون) .

هذا بعض ما جاء فى القرآن الحكيم فى طريق المغضوب عليهم والضالين ، ومعاله وآياته وخطواته ، وخصائص سالكيه وأعمالهم ، وعاقبة أمرهم ، ومآلهم فى الأولى والأخرى . أسأل الله أن يجنبنا طريقهم وكل مافيه . ويبعدنا عن المغضوب عليهم والضالين ، ويجعلنا مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا .

وآى الذكر الحكيم كلها - بل رسالات جميع الرسل من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - إنما جاءت للتعريف بالطريقين ، والدعوة الأكيدة إلى طريق المنعم عليهم ، والتحذير الشديد من طريق المغضوب عليهم والضالين .

فطريق المنعم عليهم : هو سبيل الله ، الذى يبلغ سالكوه - المؤمنون الشاكرون الصابرون على علم - منتهى غاياتهم الحميدة ، من فلاح الدنيا والآخرة ، والفوز بسعادتهما ، والأمن والسرور ، واطمئنان القلب ، وراحة البال ، ورغد العيش فى الأولى والأخرى .

وطريق المغضوب عليهم والضالين : هو طريق الشيطان وحزبه الكافرين الذين يسبرون فى كل شئونهم مقلدين للآباء والشيخوخ ، بجاهلية جهلاء ، عمياً وبكاً وصماً ، على اتباع للأهواء والشهوات والظنون التى لا تغنى من الحق شيئاً .

وجماع خصائص المنعم عليهم الصابرين الشاكرين الحسنيين : أنهم لا يعبدون إلا الله . ولا يعبدونه إلا بما أحب وشرع فى رسالة عبده وحببيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . ولازم ذلك : أن يبرأوا من كل ما يعبد الناس ليظهر قلبهم ويزكو . فيكون أهلاً لعبادة الله وحده . وأن يبرأوا من كل ما يبتدع الناس ويشرعون من شرائع وثنية ، وتقاليد

جاهلية ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ليظهر قلوبهم وتزكو نفوسهم . فتكون أهلاً لحب الرسول صلى الله عليه وسلم وتقديره قدره ، وتقديم حبه وطاعته على هوى أنفسهم ، والناس أجمعين ، وشرف الاقتداء والتأسي به .

وجماع خصائص المغضوب عليهم والضالين : أن يتخذوا من دون الله آلهة وأولياء من الموتى على قدر ما تهوى أنفسهم الجاهلية ، وما ورثوا عن آبائهم وشيوخهم الضالين . ويخادعون أنفسهم ويخادعون شياطين الجن والإنس بأن ذلك ليس شركاً ولا كفراً . فإنه الموروث عن الآباء والأجداد ، والمقرر عند الشيوخ والمتبوعين والجاهير الغفيرة تدين به . ثم يزيدهم شياطينهم غروراً وتمادياً في الجاهلية والغفلة عن الحق بأسماء وصور ورسوم يسمونها عبادات ، وما هي إلا لهو ولعب ، أو عبادات للشيطان لا تغنى عند الله شيئاً . ولا تخرجهم مما هم فيه من الضلال والباطل . فإنها كلها مبتدعة مخترعة ، إما في صفتها ، أو في أصلها وحقيقتها .

ثم يؤكد لهم شياطينهم هذا التمدد في الجاهلية والغفلة بالتحذير من الاتصال بمناجح الدين الصحيحة ، وعداوة ومحاربة كل من يدعو إليها .

والحياة - بكل ما فيها من جميع الشئون - ابتلاء يبتلى الله الإنسان بها وبما فيها . قال الله تعالى (٦٧ : ٢) الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً . وهو العزيز الغفور . وقال (٧٦ : ٢ - ٣١) إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه . فجعلناه سميعاً بصيراً . إنا هديناه السبيل : إما شاكراً ، وإما كفوراً - إلى آخر السورة) وقال (٩٠ : ١٠٨) ألم نجعل له عينين ؟ ولساناً وشفقتين ؟ وهديناه النجدين ؟ إلى آخر السورة) واقرأ سورة العصر وغيرها من سور القرآن متدبراً لتعرف ذلك .

ومن خصائص النعم عليهم الشاكرين الصابرين : أن يحبوا لإخوانهم من الخير والهدى ، والكرامة الإنسانية . والفلاح والسعادة ، وعمل الصالحات ما يحبون لأنفسهم . وإمامهم خليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

فقد ذكر الله سبحانه عنه : أنه كان شاكراً لأنعم ربه فاجتبه وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتاه في الدنيا حسنة . وإنه في الآخرة لمن الصالحين .

وكان أبرز آيات شكره : جهاده الصادق للوثنية ، وعداوته لما كان يعبد أبوه آزر وقومه من آلهة ، وبراءته من هذه الآلهة الباطلة ، وإعلانه الحرب العنيفة عليها ، حتى انتهت بتحطيمها وجعلها جذاذا ، مما أغضب المشركين عليه أشد الغضب ، حمية لآلهتهم ونصراً لهم فأججوا له ناراً عظيمة وألقوه فيها . فقال الله (يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) ونجاه وزوجه سارة ولوطاً إلى الأرض التي بارك فيها بكثرة المياه والزرع والثمار ، وطيب المناخ ، ووهب له إسماعيل وإسحاق ويعقوب عبداً صالحين ، وأنبياء مصطفين .

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، وكل من آمن به واهتدى بهداه ، واعتصم بحبل سنته ، واستمسك بعروتها الوثقى : أن يدعو إلى سبيل الله ربه كدعوة إبراهيم وأن يصدق صدق إبراهيم ، وأن يصبر صبر إبراهيم ، ويضحي بكل نفيس - حتى بنفسه - في سبيل إنقاذ الناس من مخالب شياطين الإنس ، أئمة الشرك ، دعاة الوثنية ، ومروجيها ليلبوا بطونهم ناراً من السمحة التي تدعون الجاهليين إلى نذره وتقديمه - مما رزقهم الله - في صناديقها وأعيادها الجاهلية الوثنية ، مستغلين جاهلية العامة ، مستغفلينهم بما يافكون من رؤى ومنامات وأكاذيب ، يدعونها كرامات وما هي إلا من وحى شيخهم إبليس . لعنه الله وحز به الخاسرين .

فقام حبيب الله ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ربه أفضل قيام وأبره ، ودعا الناس إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن . وكانت دعوته كما وصفها الله بقوله (١٥ : ٩٤ - ٩٦ فاصدع بما تؤمر . وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين . الذين يعملون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون) .

لم يكن صلى الله عليه وسلم يتهاون ولا يلين في الدعوة ، ولا يداجي ، ولا يتعلق أحداً من عتاة قريش وطغاتها . حاشاه وبرأه الله .

ويكفي أن نقرأ فيما أوحى إليه ربه ، ونقرؤه صباح مساء عتاب الله له إذ عبس وتولى . أن جاءه عبد الله بن أم مكتوم الأعشى ، وكان في مجلس سادة قريش ، وقد زعموا أنهم يسمعون لدعوته ، لو أنه خصهم بمجلس لا يشاركهم فيه غيرهم .

ومن شك في أن إبراهيم الخليل ومحمداً الحبيب - عليهما الصلاة والسلام - لم يكونا حكيمين حين حطم إبراهيم آلهتهم ، وحين شهر رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف على رقابهم ، وأشرع الرمح في صدورهم - من شك في حكمتها ، وأن ذلك كان أفضل الحكمة وأجلها : فهو كافر زنديق ، أو جاهل لا يفقه ولا يعقل .

ولقد تهاون المسلمون في الدعوة إلى سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى عمت البلية ، وعاقب الله الجميع بظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون .

وكان ذلك التهاون والتقصير من ثمرات التقليد الأعمى الخبيثة ، التي قست بها القلوب ، وغفلت عن ذكر الله فكان الأمر كله فرطاً . وأصبح الكثير يسمع الزيف والإلحاد والدعوة إليهما من دعائهما أكثر مما يسمعون من المسلمين الدعوة إلى سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فضلاً عن الفسوق والاصيان والاستهتار بشرائع الله وطاعته استهتاراً تحلت به كل الممومات الإنسانية ، فضلاً عن الإسلامية ، بل تحلت به كل مقومات الحيوانية .

ولقد شرط الله في خيرية هذه الأمة وإسلامها : أنها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله . فإذا فقدت ذلك وضعته كانت كغيرها من المالكين الغابرين . وحل بها من اللعنة والعذاب ما حل بمن سبق من الكافرين . وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل . ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولا تحويلاً .

روى البخاري والترمذي عن النعمان بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة . فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها . فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم . فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً . وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً .

وروى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعاً ، يقول : لا إله إلا الله . ويل للعرب من شر قد اقترب . فتح

اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها - فقلت :
يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم . إذا كثر الخبث .

وروى أبو داود الترمذى والنسائى وابن ماجه وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه
قال « يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها غير موضعها (٥ : ١٠٥) يا أيها الذين
آمنوا عاييكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم - يعنى الظالم لنفسه بتعدى حدود الله - فلم يأخذوا على يديه
أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده . »

ألا فليحذر كل ناصح لنفسه ، مشفق عليها من غضب الله وشديد عقابه ، وليبادر كل
واحد بدعوة أهله وإخوانه وأصدقائه إلى سبيل ربهم ، شفقة عليهم وبراً بهم ، ورحمة بنفسه
 وإنجاء لها من الهلاك ، وليعودوا إلى ما كان عليهم سلفنا الصالح رضى الله عنهم من الفلاح
والعزة والكرامة والسلطان .

وخير ما تدعو به نفسك وأهلك إلى سبيل ربك : هو الحكمة من كتاب الله وهدى
رسوله صلى الله عليه وسلم فإنك تغفل بالقرآن عن قلبك أضرار الجاهلية التي أفست العقيدة
والأعمال والأخلاق . ثم قطعت ما بين الناس من حبال المودة والإخاء والتعاون على البر
والتقوى . وإنك بهما لتزكى نفسك وتحببها فتقوى . وتثق بالله ربها ، وتصدر دعوتك حينئذ
عن قلب طيب ونفس زكية . فيجعل الله فيها الهدى والرحمة . ويهل لها السبيل إلى القلوب
فتكون هادياً مهدياً .

جعلنا الله وإياك من الهداة المهتدين إلى صراط الله المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم
المفضوب عليهم ولا الضالين .

وصلى الله وبارك على عبد الله ورسوله إمام الهداة المهتدين وخاتم المرسلين محمد وعلى آله
أجمعين . وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد مامون

إنما الأعمال بالنيات

شرحه هذا الشرح للمتنع

شيخ الإسلام ابن تيمية

قال شيخ الإسلام العالم المحقق ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني رحمه الله : الحمد لله المستوجب لصفات المدح والكمال . المستحق للحمد على كل حال . لا يحصى أحد ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه بأكمل الثناء وأحسن المقال . فهو المنعم على العباد بالخلق . وإرسال الرسل إليهم ، وبهداية المؤمنين منهم لصالح الأعمال . وهو المتفضل عليهم بالعفو عنهم ، وبالثواب الدائم بلا انقطاع ولا زوال . له الحمد في الأولى والأخرى ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه متصلاً بلا انفصال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هدى به من الضلال . وأمر المؤمنين بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ، ووضع عنهم الإصرار والأغلال . فصلى الله عليه وعلى آله خير آل .

أما بعد : فإن الله تعالى خلق الخلق لما شاء من حكمته . وأسبغ عليهم مالا يحصونه من نعمته . وكرم بني آدم بأصناف من كرامته . وخص عباده المؤمنين باصطفائه وهدايته . وجعل أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - خير أمة أخرجت للناس من بريته . وبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعلمون صدقه وأمانته ، وجميل سيرته ، يتلو عليهم آياته ليخرجهم من ظلمة الكفر وحيرته ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، ويدعوهم إلى عبادته .

وأنزل عليهم أفضل كتاب أنزل إلى خليقته . وجعله آية باقية إلى قيام ساعته ، ومعجزة باهرة مبدية عن حجته . وبيّنة له ظاهرة موضحة لدعوته (٥ : ١٦) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور) ويدلهم على طريق جنته . فالسعيد

من اعتصم بكتاب الله ، واتبع الرسول في سنته وشريعته . واتبع ما جاء به من منهاجه وشرعته . والمهتدى بمناره المقتنى لآثاره : هو أفضل الخلق في دنياه وآخرته . والحجى لسنة من سنته له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص أحد في أجر طاعته . فإن الله لا يظلم مثقال ذرة ، بل يضاعف الحسنات بفضلہ ورحمته .

وإحياء سنته يشمل أنواعاً من البر ، لسعة فضل الله وكرامته .
فيكون بالتبليغ لها والبيان لأجل ظهور الحق ونصرتة ، الذي أرسل به أفضل صفوته .
ويكون بالإعانة عليها بإتفاق المال ، والجهاد إعانة على دين الله وعلو كلمته . فالجهاد بالمال مقرون بالجهاد بالنفس . وقد ذكره الله تعالى قبله في غير موضع لعظم منزلته وثمرته .
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازياً فقد غزا . ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا » وقال « من فطر صائماً فله مثل أجره ومثوبته » .

لأسباب ما يبقى نفعه بعد موت الإنسان ومصيره إلى تربته . كما قال في الحديث الصحيح « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » فهذه الثلاث هي من أعماله الباقية بعد ميته بخلاف ما ينفعه بعد موته من أعمال غيره من الدعاء ، والصدقة ، والعق . فإن ذلك ليس من سعيه ، بل ينفعه الله به كما ينفعه بدعاء نبيه وشفاعته . بل من سعى غيره وشفاعته . وكما يلحق بال مؤمن من يدخله الله الجنة من ذريته .

وأصل العمل الصالح : هو إخلاص العبد لله في نيته . فإنه سبحانه إنما أنزل الكتب وأرسل الرسل ، وخلق العباد لعبادته . وهي دعوة الرسل لسكافة بريته . كما ذكر ذلك في كتابه ، وعلى السنة رساله بأوضح دلالة .

قال تعالى (٥١ : ٥٦) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال تعالى (٢١ : ٢٥) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه : أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (٤٣ : ٤٥) واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا : أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وقال (١٦ : ٣٦) ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .

وقد أخبر عن نوح وغيره من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - أنهم إنما أرسلوا يدعون الناس إلى عبادة الله وحده وطاعته .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قيل له « يا رسول الله : الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل رياء ، ويقاتل حجة . فأى ذلك في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا . فهو في سبيل الله » .

وفي النسائي عنه : أنه قال « بُعثت بالسيف بين يدى الساعة ، حتى يعبد الله وحده ، لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي . وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري » . ومثل هذا كثير في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كان السلف يستحبون أن يفتحوا مجالسهم وكتبهم وغير ذلك ، بحديث « إنما الأعمال بالنيات » في أول الأمر وبدايته . فتجربى في ذلك على منهاجهم ، إذ كانوا أفضل جيش الإسلام ومقدمته .

فنعول - مستعينين بالله على سلوك سبيل أهل ولايته وأحبته - عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

هذا حديث صحيح متفق على صحته . تلقته الأمة بالقبول والتصديق . مع أنه من غرائب الصحيح .

فإنه - وإن كان قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة ، كما جمعها ابن منده وغيره من الحفاظ - فأهل الحديث متفقون على أنه لا يصح منها إلا من طريق عمر الخطاب رضي الله عنه - هذه المذكورة - ولم يروه عنه إلا علقمة بن وقاص الليثي ، ولا عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمي ، ولا عن محمد إلا يحيى بن سعيد الأنصارى قاضي المدينة . ورواه عن يحيى بن سعيد أئمة الإسلام .

يقال : إنه رواه عنه نحو من مائتي عالم ، مثل : مالك ابن أنس ، والثوري ، وسفيان ابن عيينة ، وحاد بن زيد ، وحاد بن سلمة ، وعبد الوهاب الثقفي ، وأبي خالد الأحمر ، وزائدة بن قدامة ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويزيد بن هارون . وغير هؤلاء خلق من أهل المدينة ، ومكة ، والكوفة ، والبصرة ، والشام وغيرها من شيوخ الشافعي ، وأحمد وإسحاق ، وطبقهم ، ويحيى بن معين ، وعلي ابن المديني ، وأبي عبيد .

ولهذا الحديث نظائر من غرائب الصحاح .

مثل حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه نهى عن بيع النولاء وهبته » أخرجاه في الصحيحين .

قالوا : تفرد به عبد الله بن دينار عن ابن عمر .

ومثل حديث أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المنقر . فقيل له : إن ابن خطّال متعلق بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه » أخرجاه في الصحيحين . قالوا : تفرد به الزهري عن أنس . وقيل : إنه تفرد به مالك عن الزهري . وقيل : تابعه غيره .

والحديث الغريب في اصطلاح أهل الحديث : ما انفرد به واحد . وقد يكون غريب المتن ، أو غريب الإسناد ، مثل أن يكون متنه صحيحاً من طريق معروف ، وروى من طريق أخرى غريبة .

ومن الغرائب : ما هو صحيح . وغالبها غير صحيح ، كما قال أحمد : اتقوا هذه الغرائب .. فإن عامتها عن الكذابين .

ولهذا يقول الترمذي في بعض الأحاديث : إنه غريب من هذا الوجه .

والترمذي أول من قسم الأحاديث إلى صحيح وحسن وغريب وضعيف .

وهذا التقسيم لم يعرف قبله عن أحد من أهل الحديث ، لكن كانوا يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف ، كما يقسمون الرجال إلى ضعيف وغير ضعيف .

والضعيف عندهم نوعان : ضعيف لا يحتج به . وهو الضعيف في اصطلاح الترمذى .
والثاني : ضعيف يحتج به . وهو الحسن في اصطلاح الترمذى .
كما أن ضعف المرض عند الفقهاء نوعان : نوع يحمل تبرعات صاحبه من الثلث . كما
إذا صار صاحب فراش . ونوع يكون تبرعات صاحبه من رأس المال ، كالمرض اليسير الذى
لا يقطع صاحبه ، ولا يلزمه الفراش !
ولهذا يوجد في كلام الإمام أحمد رحمه الله وغيره - من العلماء والفقهاء - : أنهم
يحتجون بالحديث الضعيف ، كحديث عمرو بن شعيب ، وإبراهيم الهجرى وغيرهما .
فإن ذلك الذى سماه أولئك ضعيفاً : هو أرفع من كثير من الحسن ، بل هو مما يجعله
كثير من الناس صحيحاً .
والترمذى قد فسر مراده بالحسن : أنه ما تعددت طرقه ولم يكن فيها من يتهم . ولم
يكن شاذاً .

فصل

والمعنى الذى دل عليه هذا الحديث : أصل عظيم من أصول الدين ، بل هو أصل كل
عمل . ولهذا قالوا : مدار الإسلام على ثلاثة أحاديث . فذكروه منها . كقول الإمام أحمد
رحمه الله : الإسلام يدور على ثلاثة أحاديث . حديث « الأعمال بالنيات » وقوله صلى الله
عليه وسلم « ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وقوله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين
والحرام بين » .

ووجه هذا الحصر : أن الدين فعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى عنه .
فحديث « الحلال بين » فيه بيان ما نهى الله عنه .
والذى أمر الله به نوعان .

أحدهما : العمل الظاهر : وهو ما كان واجباً أو مستحباً .

والثاني : العمل الباطن . وهو إخلاص الدين لله .

فقوله « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ينفي التقرب إلى الله بغير ما أمر الله به :
أمر إيجاب ، أو أمر استحباب .

وقوله « إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئ ما نوى » يبين العمل الباطن ، وأن التقرب إلى الله إنما يكون بإخلاص الدين له . كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى (٦٧ : ٢) ليلوكم أيكم أحسن عملاً قال : أخلصه وأصوبه . وقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً : لم يقبل . وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً : لم يقبل حتى يكون ، خالصاً صواباً . فالخالص : أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة .

وعلى هذا أدل قوله تعالى (١٨ : ١١٠) فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)

فالعمل الصالح : هو ما أمر الله به ورسوله أمر بإيجاب ، أو أمر استحباب ، وأن لا يشرك العبد بعبادة ربه أحداً . وهو إخلاص الدين لله .

وكذلك قوله تعالى (٢ : ١١٢) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله (٤ : ١٢٥) ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، واتخذ الله إبراهيم خليلاً) وقوله (٣١ : ٢٢) ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) .

فإن إسلام الوجه لله يتضمن إخلاص العمل لله . والإحسان : هو إحسان العمل . وهو فعل ما أمر به فيه . كما قال تعالى (١٨ : ٢٠) إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً) . فإن الإساءة في العمل الصالح تتضمن الاستهانة بالأمر به ، والاستهانة بنفس العمل ، والاستهانة بما وعد الله عليه من الثواب .

فإذا أخلص العبد دينه ، لله وأحسن العمل له : كان ممن أسلم وجهه لله ، وهو محسن . فكان من الذين لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون .

فصل

لفظ « النية » في كلام العرب من جنس لفظ « القصد ، والإرادة » ونحو ذلك . تقول العرب : نواك الله بخير أى أراذك بخير . ويقولون : نوى غربة أى بعيدة ، والمكان الذى ينويه يسمونه نوى . كما يقولون : قبض بمعنى مقبوض .

« والنية » يعبر بها عن نفس نوع من الإرادة ، ويعبر بها عن نفس المراد . كقول العرب : هذه نيتي ، يعني : هذه البقعة التي نوى قصدها ، لكن من الناس من يقول : إنها أخص من الإرادة . فإن إرادة الإنسان تتعلق بعمله وعمل غيره . والنية لا تتعلق إلا بعمله . فإنك تقول : أردت من فلان كذا ، ولا تقول : نويت من فلان كذا .

١ فصل

وقد تنازع الناس في قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » هل فيه إضمار أو تخصيص ، أو هو على ظاهره وعمومه ؟

فذهب طائفة من المتأخرين إلى الأول .

قالوا : لأن المراد بالنيات : الأعمال الشرعية التي تجب ، أو تستجب . والأعمال كلها لا يشترط في صحتها هذه النيات . فإن قضاء الحقوق الواجبة - من المغصوب ، والمواري ، والودائع ، والديون - تبرأ منها ذمة الدافع ، وإن لم تكن له في ذلك نية شرعية ، بل تبرأ ذمته منها من غير فعل منه ، كما لو تسلم المستحق عين ماله ، أو أطارت الريح الثوب المودع ، أو المغصوب ، فأوقعته في يد صاحبه ونحو ذلك .

ثم قال بعض هؤلاء : تقديره : إنما ثواب الأعمال المترتبة عليها بالنيات ، وإنما تقبل الأعمال بالنيات .

وقال بعضهم ، تقديره : إنما الأعمال الشرعية ، أو إنما صحتها ، أو إنما جزاؤها ، ونحو ذلك . وقال الجمهور : بل الحديث على ظاهره وعمومه . فإنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بالنيات في هذا الحديث : الأعمال الصالحة وحدها ، بل أراد النية الحمودة والمذمومة ، والعمل الحمود والمذموم .

ولهذا قال في تمامه « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . فذكر صلى الله عليه وسلم النية الحمودة بالهجرة . وهي الهجرة إلى الله ورسوله . والنية المذمومة بالهجرة . وهي الهجرة إلى امرأة أو مال .

وهذا ذكره تفصيلاً بعد إجمال .

قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » ثم فصل ذلك بقوله « فمن كانت هجرته إلى ورسوله إلخ » .

وقد روى أن سبب هذا الحديث : أن رجلاً كان قد هاجر من مكة إلى المدينة لأجل امرأة كان يحبها تدعى أم قيس . فكانت هجرته لأجلها . فكان يسمى مهاجر أم قيس . فلهذا ذكر فيه « أو امرأة يتزوجها » وفي رواية « ينكحها » فخص المرأة بالذكر لاقتضاء سبب الحديث لذلك . والله أعلم .

والسبب الذي خرج عليه اللفظ العام لا يجوز إخراجه منه باتفاق الناس .

و « الهجرة » في الظاهر : هي سفر من مكان إلى مكان .

و « السفر » جنس تحته أنواع تختلف باختلاف نية صاحبه . فقد يكون سفراً واجباً ، كحج أو جهاد متعين . وقد يكون محرماً كسفر العادي لقطع الطريق ، والباغى على جماعة المسلمين ، وسفر العبد الآبق ، والمرأة الذائرة .

ولهذا : تكلم الفقهاء في الفرق بين العاصي بسفره ، والعاصي في سفره .

فقالوا : إذا سافر سافراً مباحاً - كالحج والعمرة ، والجهاد - جاز له فيه القصر والفطر باتفاق الأئمة الأربعة ، وإن عصى في ذلك السفر .

وأما إذا كان عاصياً بسفره - كالمسافر لقطع الطريق وغير ذلك - فهل يجوز له الترخيص برخص المسافر ؟ كالقصر ، والقصر فيه نزاع معروف .

فذهب مالك والشافعي ، وأحمد لا يجوز له القصر ، ولا الفطر . ومذهب أبي حنيفة : يجوز له ذلك .

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر هذا السفر وهذا السفر : علم أن مقصوده ذكره جنس العمل مطلقاً ، لأنفس العمل الذي هو قرينة بنفسه . كالصلاة والصيام ومقصوده ذكر جنس النية .

وحيثما : يتبين أن قوله « إنما الأعمال بالنيات » مما خصه الله تعالى به من جوامع الكلام

كما قال « بعثت بجوامع الكلم » وهذا الحديث من أجمع الجوامع التي بعث بها صلى الله عليه وسلم . فإن كل عمل يعمله عامل من خير وشر : هو بحسب ما نواه . فإن قصد بعمله مقصود إحسان : كان له ذلك المقصود الحسن . وإن قصد به مقصودا سيئا : كان له ما نواه ^(١) .

فصل

ولفظ « النية » يراد بها النوع من المصدر ويراد بها المنوى . واستعمالها في هذه العلة . وأغلب في كلام العرب .

فيكون المراد : إنما الأعمال بحسب ما نواه العامل ، أى بحسب منويه . ولهذا قال في تمامه : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . فذكر ما ينويه العامل ويريده بعمله . وهو الغاية المطلوبة له . فإن كل متحرك بالإرادة لا بد له من مراد .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « أحب الأسماء إلى الله : عبد الله وعبد الرحمن . وأقبحها حرب ومرة . وأصدقها حارث وهام » فإن كل آدمى حارث وهام . والحارث : هو العامل السكاسب . والهام : الذى يهيم ويريد . قال تعالى (٤٢ : ٢٠) من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثته منها (أى كسبها وعملها . ولهذا وضع الحريرى مقاماته على لسان « الحارث بن هام » لصدق هذا الوصف على كل أحد .

فصل

ولفظ « النية » يجرى في كلام العلماء على نوعين .

(١) وكذلك يفهم في الحديث أيضا : أن نجاح كل عامل في عمله - أى عمل من أعمال الدين أو الدنيا - فإنما هو على قدر نيته وإرادته . فإن النية - التي هى القصد ، والعزم إذا كانت صادقة : سبقها - ولا بد العلم الصحيح بالعمل ، والعلم بعقداته ونتائجه ، والعلم بطريقه وما يقوم فيه من عقبات ، وانخاذ الأسباب التي يتغلب بها على اقتحام العقبات . وهكذا . والله الموفق والمعين .

فتارة يريدون بها تمييز عمل من عمل ، وعبادة من عبادة .

وتارة يريدون تمييز معبود عن معبود ، ومعمول له عن معمول له .

فالأول : تكلم العلماء في النية فيه : هل هي شرط في طهارة الأحداث ؟ وهل تشترط

نية التعيين والتبیت في الصيام ؟ وإذا نوى بطهارته ما يستحب لها : هل تجزيه عن الواجب ؟ وأنه لا بد في الصلاة من نية التعيين ؟ ونحو ذلك .

والثاني : كالتمييز بين أهل إخلاص العمل لله ، وبين أهل الرياء والسمعة . كما سألوا

النبي صلى الله عليه وسلم « عن الرجل يقاتل بشجاعة ، وحمية ورياء . فأى ذلك في سبيل الله » فقال « من قاتل لنكون كلمة الله هي العليا . فهو في سبيل الله » .

وهذا الحديث يدخل في سائر الأعمال .

وهذه النية تميز بين من يريد الله - والدار الآخرة بعمله ، وبين من يريد الدنيا ،

مالا وجاهاً وثناء وتعظيماً ، وغير ذلك .

والحديث دل على هذه النية بالقصد . وإن كان قد يقال : إن عمومها يتناول النوعين .

فإنه صلى الله عليه وسلم فرق بين من يريد الله ورسوله ، وبين من يريد ديناً أو امرأة . ففرق بين معمول له ومعمول له . ولم يفرق بين عمل وعمل .

وقد ذكر الله تعالى الإخلاص في كتابه في غير موضع . كقوله تعالى (٩٨ : ٥)

وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وقوله تعالى (٣٩ : ٢ و ٣ فاعبد الله

مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص) وقوله تعالى (٣٩ : ١٤ قل الله أعبد مخلصاً له

ديني) إلى غير ذلك من الآيات .

وإخلاص الدين لله : هو أصل دين الإسلام .

وكذلك ذم الرياء مثل قوله تعالى (١٠٧ : ١ - ٦ فويل للمصلين ، الذين هم عن

صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون) وقال تعالى (١٤٢ : ٤) وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا

كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) وقال تعالى (٢ : ٢٦٤ كالذي ينفق ماله

رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر - الآية) وقوله تعالى (٤ : ٣٨ والذين ينفقون

أموالهم رئاء الناس - الآية) .

فصل

وقد اتفق العلماء على أن العبادة المقصودة لنفسها - كالصلاة ، والصيام ، والحج - لا تصح إلا بنية .

وتنازعوا في الطهارة - مثل من يكون عليه جنابة فينساها ، ويغتسل للنظافة - فقال مالك والشافعي وأحمد : النية شرط لطهارة الأحداث كلها .

وقال أبو حنيفة : لا تشترط في الطهارة بالماء ، بخلاف التيمم .

وقال زفر : لا تشترط لافي هذا ولا في هذا .

وقال بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد : تشترط لإزالة النجاسة . لكن هذا القول شاذ . فإن إزالة النجاسة لا يشترط لها عمل العبد ، بل تزول بالمطر النازل ، والنهر الجاري ، ونحو ذلك . فكيف تشترط لها النية ؟ .

وأيضاً : فإن إزالة النجاسة من باب التروك ، لا من باب الأعمال . ولهذا لو لم يخطر بقلبه في الصلاة أنه يجنب النجاسة : صحت صلاته إذا كان محتجباً لها .

ولهذا قال مالك وأحمد - في المشهور عنه - والشافعي - في أحد قولي - : لو صلى وعليه نجاسة - لم يعلم بها إلا بعد الصلاة - لم يعد ، لأنه من باب التروك .

وقد ذكر الله تعالى عن المؤمنين قولهم (٢ : ٢٨٦) ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الله قل عن هذا الدعاء « إن الله قد استجاب هذا الدعاء » فقال « فعلت » فمن فعل ما نهاه الله عنه ناسياً ، أو مخطئاً ، فلا إثم عليه بخلاف من ترك ما أمره الله به ، كمن ترك الصلاة ناسياً ، فلا بد من قضائها .

ولهذا فرق أكثر العلماء - في الصلاة ، والصيام ، والإحرام - بين من فعل المحظور ناسياً ، وبين من ترك الواجب ناسياً . كمن تكلم في الصلاة ناسياً ، ومن أكل في الصيام ناسياً ، ومن تطيب أو لبس ناسياً في الإحرام .

والذين يوجبون النية في طهارة الأحداث يحتجون بهذا الحديث على أبي حنيفة ، وأبو حنيفة يسلم أن الطهارة غير المتوية ليست عبادة ولا نواب فيها . وإنما النزاع في صحة الصلاة بها .

فقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » لا يدل على محل النزاع إلا إذا ضُمت إليه مقدمة أخرى . وهى : أن الطهارة لا تكون إلا عبادة ، والعبادة لا تصح إلا بنية .

وهذه المقدمة إذا سُمِّت لم يحتج إلى الاستدلال بهذا . فإن الناس متفقون على أن مالا يكون إلا عبادة لا يصح إلا بنية ، بخلاف ما يقع عبادة وغير عبادة . كأداء الأمانات وقضاء الديون .

وحينئذ : فالمسألة مدارها على أن الوضوء هل يقع غير عبادة ؟ .

والجمهور يحتجون بالنصوص الواردة فى ثواب المتوضىء . كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأ العبد المسلم خرجت خطاياه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء - الحديث » وأمثال ذلك . فيقولون : كل وضوء ففيه الثواب ، لعموم النصوص . والثواب لا يكون إلا مع النية . والوضوء لا يكون إلا بنية .

وأبو حنيفة يقول : الطهارة شرط من شرائط الصلاة . فلا يشترط لها النية ، كاللباس وإزالة النجاسة .

وأوائلهم يقولون : اللباس ، والإزالة : يقعان عبادة وغير عبادة . ولهذا لم يرد نص بثواب الإنسان على جنس اللباس والإزالة . وقد وردت النصوص بالثواب على جنس الوضوء . وأبو حنيفة يقول : النصوص وردت بالثواب على الوضوء المعتاد . وعامة المسلمين إنما يتوضئون بالنية . والوضوء الخالى عن النية نادر ، لا يقع إلا فى مثل من أراد تعليم غيره . ونحو ذلك .

والجمهور يقولون : هذا الوضوء الذى اعتاده المسلمون : هو الوضوء الشرعى الذى تصح به الصلاة ، وما سوى هذا لا يدخل فى نصوص الشارع . كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » فإن المخاطبين لا يعرفون الوضوء المأمور به إلا لوضوء الذى أنى عليه ، وحث عليه ، وغير هذا لا يعرفونه . فلا يقصد إدخاله فى عموم كلامه ولا يتناوله النص .

فصل

وأما « النية » التي هي إخلاص الدين لله : فقد تكلم الناس في حدها ، وحد الإخلاص . كقول بعضهم : المخلص هو الذي لا يبالي لوسقط كل قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل ، ولا يجب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله . وأمثال ذلك من كلامهم الحسن .

لكن كلامهم يتضمن الإخلاص في سائر الأعمال . وهذا لا يقع من سائر الناس ، بل لا يقع من أكثرهم ، بل غالب المسلمين يخلصون لله في كثير من أعمالهم ، كإخلاصهم في الأعمال المشتركة بينهم . مثل صوم شهر رمضان . فغالب المسلمين بصومونه لله . وكذلك من داوم على الصلوات . فإنه لا يصلي إلا لله جل وعز^(١) ، بخلاف من لم يحافظ عليها . وإنما يصليها حياء أو رياء ، أو أمانة دنيوية . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » فإن الله تعالى يقول (١٨ : ٩) إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة . ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) ومن لم يصل إلا بوضوء واغتسال . فإنه لا يفعل ذلك إلا لله .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه من حديث ثوبان رضي الله عنه . أنه قال « استقيموا . ولن تحصوا . واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة . ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

فإن الوضوء سرٌّ بين العبد وبين الله عز وجل . وقد ينتقض وضوؤه ، ولا يدري به أحد . فإذا حافظ عليه لم يحافظ عليه إلا الله سبحانه وتعالى . ومن كان كذلك لا يكون إلا مؤمناً

(١) ذلك إنما يكون إذا صلى على علم وبصيرة ، وفقه وتدبر لما نقرأ من القرآن ولما يكبر ويسبح ويذكر . أما المقلد التقليد الأعمى . فإنه آله صماء تتحرك حركات لا تمس القلب ولا تتعل بالروح . فكانت صلاة أمثال هؤلاء عادة لا عبادة . وعلى الأخص المشركون الذين يتحرون بصلاتهم المأجدة التي أقيمت باسم من اتخذوهم أولياء وآلهة من دون الله .

والإخلاص في النفع المتعدى أقل منه في العبادات البدنية . ولهذا قال في الحديث المتفق على صحته « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل . وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه . ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين » .

فصل

و « النية » محلها القلب باتفاق العلماء . فلو نوى بقلبه ولم يتكلم بلسانه : أجزأته النية باتفاقهم .

وقد خرج بعض أصحاب الشافعي وجهاً من كلام الشافعي ، غلط فيه على الشافعي . فإن الشافعي إنما ذكر الفرق بين الصلاة والإحرام . فإنه قال « الصلاة أولها كلام » . فظن بعض الغالطين : أنه أراد التكلم بالنية . وإنما أراد التكبير ، والنية تتبع العلم . فمن علم ما يريد أن يفعله فلا بد أن ينويه ضرورة . كمن قدم بين يديه طعام لياً كله . فإذا علم أنه يريد الأكل فلا بد أن ينويه . وكذلك الركوب وغيره ، بل لو كلف العباد أن يعملوا عملاً بغير نية كلفوا ما لا يطيقون . فإن كل أحد إذا أراد أن يعمل عملاً مشروعاً أو غير مشروع فعله سابق إلى قلبه . وذلك هو النية .

وإذا علم الإنسان أنه يريد الطهارة والصلاة والصوم . فلا بد أن ينويه إذا علمه ضرورة . وإنما يتصور عدم النية إذا لم يعلم ما يريد ، مثل من نسي الجنابة واغتسل للتنظافة أو للتبرد ، أو من يريد أن يعلم غيره الوضوء ، ولم يرد أن يتوضأ لنفسه ، أو من لا يعلم أن غداً من رمضان ، فيصبح غير ناول للصوم .

وأما المسلم الذي يعلم أن غداً من رمضان ، وهو يريد صوم رمضان : فهذا لا بد أن ينويه ضرورة ، ولا يحتاج أن يتكلم به .

وأكثر ما يقع عدم التبيت والتعيين في رمضان عند الاشتباه ، مثل من لا يعلم أن غداً

من رمضان حتى يصبح . فينوي القيام بعد طلوع الفجر ، أو يشك هل غداً من رمضان
 أم لا ؟ فينوي صوماً مطلقاً ، أو يقصد تطوعاً ، ثم يتبين أنه من رمضان .
 ولو تكلم بلسانه بشيء ، وفي قلبه خلافه : كانت العبارة بما في قلبه ، لا بما لفظ به .
 ولو اعتقد بقاء الوقت ، فنوى الصلاة أداء ، ثم تبين خروج الوقت ، أو اعتقد خروجه
 فنوها قضاء ، ثم تبين له بقاءه : أجزأته صلاته بالاتفاق .
 ومن عرف هذا : تبين له أن « النية » مع العلم في غاية اليسر ، لا تحتاج إلى وسوسة ،
 وآصار وأغلال .
 ولهذا قال بعض العلماء : الوسوسة إنما تحصل للعبد من جهله بالشرع ، أو من خبل
 في العقل .

وقد تنازع الناس : هل يستحب التلفظ بالنية ؟
 فقالت طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد : يستحب ، ليكون أبلغ .
 وقالت طائفة من أصحاب مالك وأحمد : لا يستحب ذلك ، بل التلفظ بها بدعة . فإن
 النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين : لم ينقل عن واحد منهم أنه تكلم بلفظ « النية »
 لا في صلاة ، ولا في طهارة ، ولا صيام .
 قالوا : لأنها تحصل مع العلم بالفعل ضرورة . فالتكلم بها نوع هوس وعيث وهذيان .
 والنية : تكون في قلب المبتدع الجاهل ، ويعتقد أنها ليست في قلبه . فيريد تحصيلها
 بلسانه وتحصيل الحاصل محال . فلذلك يقع كثير من الناس في أنواع من الوسواس .
 واتفق العلماء على أنه لا يسوغ الجهر بالنية للإمام ولا للمأموم ولا لمنفرد . ولا يستحب
 تكريرها . وإنما النزاع عندهم في التكلم بها سراً . هل يكره أو يستحب ؟

فصل

ولفظه « إنما » للحصر عند جماهير العلماء . وهذا مما يعرف بالاضطرار من لغة العرب
 كما تعرف معاني حروف النفي ، والاستفهام ، والشرط ، وغير ذلك .
 ولكن تنازع الناس : هل دلالتها على الحصر بطريق المنطوق أو المفهوم ؟ على قولين .

والجمهور على أنها بطريق للنطوق .

والقول الآخر قول بعض مثبتى المفهوم . كالفوضى أبى يعلى فى أحد قوله . وبعض الغلاة من نفاته . وهؤلاء زعموا أنها لاتنفيد الحصر . واحتجوا بمثل قوله (٤٩ : ١٠) إنما المؤمنون إخوة) .

وقد احتج طائفة من الأصوليين على أنها للحصر بأن حرف « إن » للإثبات . وحرف « ما » للنفي . فإذا اجتمعا حصل النفي والإثبات جميعاً .

وهذا خطأ عند العلماء بالعربية . فإن « ما » هنا : هى « ما » الكافة ، ليست « ما » النافية . وهذه الكافة تدخل على « إن » وأخواتها ، فتسكنها عن العمل . وذلك لأن الحروف العاملة أصلها أن تكون للاختصاص . فإذا اختصت بالاسم أو بالفعل ، ولم تكن كالجزء منه : عملت فيه « فإن » وأخواتها اختصت بالاسم ، فعملت فيه . وتسمى الحروف المشبهة للأفعال . لأنها عملت رفعاً ونصباً ، وكثرت حروفها .

وحروف الجر : اختصت بالاسم . فعملت فيه .

وحروف الشرط : اختصت بالفعل ، فعملت فيه .

وكذلك « أن » المصدرية اختصت بالفعل فعملت فيه .

بخلاف أدوات الاستفهام . فإنها تدخل على الجملتين ولم تعمل . وكذلك « ما » المصدرية

ولهذا القياس فى « ما » النافية أن لاتعمل أيضاً على لغة تميم . ولكن عملت على اللغة

الحجازية التى نزل بها القرآن ، فى مثل قوله تعالى (٥٨ : ٢ ما هن أمهاتهم) وقوله (١٢ :

٣١ ما هذا بشراً) استحساناً لمشابتها « ليس » .

وهنا لما دخلت « ما » الكافة على « إن » أزال اختصاصها . فصارت تدخل على

الجملة الاسمية والجملة الفعلية . فبطل عملها . كقوله تعالى (١٣ : ٧ إنما أنت منذر) وقوله

(٥٢ : ١٦ إنما تجزون ما كنتم تعملون) .

وقد تكون « ما » التى بعد « إن » اسماً لاحرفاً . كقوله تعالى (٢٠ : ٦٩ إنما صنعوا

كيد ساحر) بالرفع ، أى : إن الذى صنعوه كيد ساحر ، بخلاف قوله تعالى (٢٠ : ٧٢ إنما

تلقى هذه الحياة) فإن القراءة بالنصب لاتستقيم إذا كانت « ما » بمعنى الذى . وفى كلا

المعنين الحصر موجود ، لكن إذا كانت بمعنى الذى . فالحصر جاء من جهة أن المعارف هي من صيغ العموم .

فإن الأسماء إما معارف ، وإما نكرات . فالمعارف من صيغ العموم . والنكرة في غير الموجب - كالنفي وغيره - من صيغ العموم . كقوله تعالى (٢٠ : ٦٩) إنما صنعوا كيد ساحر) تقديره : إن الذى صنعوه كيد ساحر .

وأما الحصر في «إنما» فهو من جنس الحصر بالنفي والاستثناء ، كقوله تعالى (٣٦ : ١٥) ما أنتم إلا بشر مثلنا) وقوله (٣ : ١٤٤) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) .

والحصر قد يعبر عنه بأن الأول محصور في الثانى . وقد يعبر عنه بالعكس . والمعنى واحد . وهو أن الثانى أثبت الأول ولم يثبت له غيره ، مما يتوهم أنه ثابت له . وليس المراد أنك تنفى عن الأول كل ما سوى الثانى . فقوله تعالى (١٣ : ٧) إنما أنت منذر) أى إنك لست رباً لهم ولا محاسباً ، ولا مجازياً ، ولا وكيلاً عليهم . كما قال تعالى (٨٨ : ٢٢) لست عليهم بمصيطر) وكما قال (٣ : ٢٠) فإنما عليك البلاغ) وكما قال (٥ : ٧٥) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) أى : ليس هو إلهاً ولا أمه إلهة ، بل غاية : أن يكون رسولاً . كما غاية محمد أن يكون رسولاً ، وغاية مريم : أن تكون صديقة .

وهذا مما استدل به على بطلان قول بعض المتأخرين : إنها نبيه .

وقد حكى الإجماع على عدم نبوة أحد من النساء : القاضى أبو بكر بن الطيب ، والقاضى أبو يعلى ، والأستاذ أبو المعالى الجوينى إمام الحرمين وغيرهم .

وكذلك قوله تعالى (٣ : ١٤٤) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى ليس مغلداً في الدنيا لا يموت ولا يقتل . بل يجوز عليه ما جاز على إخوانه من المرسلين من الموت والقتل (٣ : ١٤٤) أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ؟) نزلت يوم أحد ، لما قيل « إن محمداً قد قتل » وتلاها الصديق رضى الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من كان يعبد محمد فإن محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » . ثم تلا هذه الآية . فكان الناس لم يسمعوها حتى تلاها أبو بكر رضى الله عنه . فكان لا يوجد أحد إلا يتلوها . (يتبع)

أضلهم السامري !!

بقلم الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

— ١ —

قد أتى على المصريين القدامى حين من الدهر صرفهم فيه السكينة عن التوحيد ، ووجههم إلى عبادة الأوثان . لأنهم كانوا يحنون من وراء ذلك أرباحاً طائلة ، وثروات ضخمة . وكان مما عبدوه في تلك الأحقاب : العجل « أيس » وهو عجل يمتاز بصفات نادرة تجعل الحصول على مثله من أندر الأمور .

وقد برعوا في الفنون السحرية براعة تتحدى وصف الواصفين ، وإعجاب المعجبين . وأعنى بالفنون السحرية : تلك الضروب من الشعوذة القائمة على أساس من البراعة في خفة اليد ، وسرعة الحركة ، أو المهارة في الخداع والتضليل ، أو التعقيد في المعرفة بأسرار القوى الكونية ، التي لا يكشف الحجاب عن غوامضها إلا العباقرة من العلماء ، أو الرسوخ في الحقائق العلمية التي تخفى على الدماء .

ولقد تحدى بها فرعون معجزات السماء ، حين رأى أن سحرته يسحرون أعين الناس ، ويسترهبونهم ، ويخيلون إليهم أن الحبال والعصى تتحرك وتسير وتسعى . ولقد غره ذلك منهم حتى ظن أن في وسعهم أن يغلّبوا موسى عليه السلام على أمره ، أو يفضوا من قدر معجزاته . ولكن الله أفسد كيدهم ، وأبطل سحرهم ، فانقلبوا صاغرين ، وألقى السحرة ساجدين .

ولقد باغ من براعتهم في الفنون السحرية : أنهم أقاموا تماثيل عظيمين غربي النيل تلقاء مدينة الأقصر ، وهما تماثلاً « ممنون » وجهزوهما بأجهزة علمية دقيقة تعمل بقوة تمدد الهواء بالحرارة ، فكانتا يصيحان بأصوات عالية مدوية كلما أشرقت عليهما الشمس ، وغمرتاهما بأشعتهما الذهبية .

أقام بنو إسرائيل في مصر منذ دخولها في عصر يوسف عليه السلام ، واتصلوا بالمصريين ، وتعلموا منهم علومهم وفنونهم ، وعبدوا آلهتهم ، وعكفوا معهم على أصنامهم ، وكان المصريون يسخرونهم في أشق الأعمال وأحقرها ، ويكلفونهم أشق الصناعات وأحطها .

ولما جاء موسى عليه السلام لينقذهم - بأمر الله - من ظلم فرعون وطفيفانه وعسفه ، وجبروته وبطشه . وواعدهم ليلة يخرجون فيها جميعاً من هذه البلاد إلى فضاء الحرية الفسيح . احتالت كل امرأة منهم على جارتها المصرية ، وطلبت منها حليها لتحتل به ، فلم يبخلن عنهن بشيء مما طلبن .

١ - ٢ -

سار موسى وقومه ، مشرقين مولين وجوههم شطر طور سيناء ، وعلم فرعون بمخروجهم فأسرع في حشد جنوده ، وسار في أثر بني إسرائيل يريد أن يعيدهم ، لما يترتب على خروجهم من اضطراب الأعمال في معاملهم ومصانعهم ومزارعهم . فأدركهم عند شاطئ البحر ، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه ، فانقلب فكان كل فريق كالطود العظيم . فسار موسى وقومه في طريقهم ، وتبعهم فرعون وجنوده ، ولكن البحر بعد خروج موسى وقومه أطبق على فرعون وجنوده ، فكانوا من الهالكين .

٣ -

واعد الله - جلت قدرته - موسى أربعين ليلة ، يلقى عليه فيها التوراة . فترك قومه لأخيه هارون ، يرعاهم ويأمرهم وينهاهم . ولم يكذب موسى يفارقهم لميقات ربه ، حتى تحركت الوثنية في نفس رجل منهم ، يقال له : السامري . فطفق يذكركم بعبودهم الذي تركوه في مصر ، وهو العجل « أيس » ولم يكونوا أقل منه تشبهاً بالوثنية ، فإنهم بعد أن جاز بهم موسى عليه السلام البحر . أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم . فقالوا : يا موسى ، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، فصادف إغراء السامري لهم هوى في نفوسهم ، فخت إلى عبادته . وكان السامري رجلاً صَوَّافاً . فطلب إليهم أن يعطوه ما أخذوا من زينة القوم ليصوغ لهم تمثالا للعجل يعبدونه ، فأجابوه إلى ما طلب ، فصاغ لهم تمثالا للعجل جهزه بجهاز خاص يتوصل به إلى إحداث صوت كخوار العجل ، وأبرزه لهم قائلاً : هذا إلهكم وإله موسى ، ولكن موسى نسي ، وذهب يلتمسه في موضع آخر .

٤ -

أخبر الله تعالى موسى عليه السلام ، بما كان من فتنة قومه ، وإضلال السامري لهم ،

وارتدادهم إلى عبادة العجل . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، فقال : بئسما خلفتموني من بعدى ! أفتال عليكم العهد ، أم أردتم أن يجل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ؟ وأقبل على هارون ، وأخذ برأسه يجره إليه ويقول :

ياهارن مامنك ، إذ رأيتم ضلوا ، ألا تتبعن ؟ أفعصيت أمرى ؟

قال : يا ابن أُمِّ لا تأخذ بالحيثي ولا برأى . لقد قلت لهم من قبل : يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني ، وأطيعوا أمرى . قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى .

والنفث موسى إلى السامري ، وقال له : ما خطبك يا سامري ؟ قال : إني أدركت ببصيرتي ما لم يدركوا ، وفطنت إلى ما لم يفتنوا له . فحين رأيته تدعوهم إلى عبادة إله لا تدركه الأبصار ، ولا تلمسه الأيدي ، وهم لم يأنفوا ذلك من قبل ، وكان ذلك سيصرفهم عن العبادة ، نبذت هذا الجزء من تعليمك ، وأخرجت لهم هذا الإله حتى يعودوا إلى العبادة كما كانوا يفعلون في مصر ، وكذلك سولت لى نفسى .

فأمر موسى عليه السلام بمقاطعة السامري مقاطعة تامة ، حتى لا يتبادى فى إضلالهم . ثم حرق الإله الزائف . ونسفه فى اليم نسفاً بين سمعهم وأبصارهم .

— ٥ —

هذه هى قصة السامري ، كما تفهم من نصوص القرآن الكريم ، ومن طبائع الأشياء . ومن سنن الله التى لا تبدل ولا تتحول . ولكن المفسرين نقلوا مادسه المنافقون الأولون من اليهود الذين أسلموا ليفسدوا عقائد المسلمين .

قال المفسرون : إن السامري رأى جبريل وهو قادم لدعوة موسى لمناجاة ربه ، وكان يمتطى فرساً ، فأخذ قبضة من التراب الذى وطئته أقدام هذه الفرس ، ووضعها فى الذهب المنصهر ، فسرت فيه الحياة . فلما صاغ منه عجلاً ، كان عجلاً حياً ذا لحم ودم . هكذا قالوا ، وبئسما قالوا ! إن نص القرآن الصريح يخالف الذى قالوا .

إن القرآن لم يترك كلمة «عجل» بغير تعقيب ، بل عقب عليها بقوله (جسداً له خوار) فدل هذا التعقيب على أن العجل لم يكن عجلاً حقيقة ، وأنه لم تكن فيه حياة وإنما هو

جسد بنير روح ، لأن المجمل الحقيقي جسد وروح . وهذا الذى أخرجه السامرى جسد فقط ، له صوت كخوار البقر .

لا يمكن أن يكون ما قال المفسرون صحيحاً ، إذ لو كان صحيحاً لكان السامرى خالقاً . لأنه أوجد كائناً حياً ذا روح ولحم ودم ، والخلق من خصائص رب العالمين جل شأنه . وقد نفي الله سبحانه الألوهية عن سواهم بعدم القدرة على الخلق . فقال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون ١٧ : النحل)

وقال تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ٢٠ : النحل) وقال تعالى (قل أرايتم ما تدعون من دون الله . أروني : ماذا خلقوا من الأرض ؟ ٤ : الأحقاف) وقال تعالى (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ بل الظالمون في ضلال مبين . ١١ : لقمان) .

لقد كان من الممكن أن يتتبع السامرى سير الفرس ، ويجمع كل التراب الذى وطئته حوافرها ويحتفظ به ليضع ذرات منه على كل ما يريد صنعه من الذهب أو الفضة أو الرصاص أو الحديد أو الطين أو الصلصال ، ليخلق حيواناً أو طيراً أو إنساناً . ثم يدعى الألوهية أو الرسالة ويستحدي من ينكر ألوهيته أو رسالته بقدرته على الخلق والإيجاد ، ويرى ذلك آيته البينة ، ومعجزته التى لا تنكر .

إن القول بما يقول به المفسرون سيكون سبيلاً إلى التمدح فى نبوة موسى عليه السلام ، إذ يطوع للمقابلين أن يقولوا : إذا كان هذا الكافر قد وقف على هذا السر ، مع كفره ، وأتى بهذا الخارق العجيب ، أفلا يكون موسى قد وقف على سر أعظم من هذا السر ، وأتى بفضله بما أتى به من الخوارق والمعجزات ؟

ولماذا اختص السامرى وحده برؤية جبريل دون سائر بنى إسرائيل ، وهو رائد قومه إلى الشرك البغيض ؟

وما حاجة جبريل إلى امتطاء الفرس حين يهبط بالوحى على الرسل والأنبياء ؟ وكيف عرف السامرى أن أثر حافر فرس جبريل يؤثر هذا التأثير العجيب . وهو قلب الجاد حيواناً ذا لحم ودم ؟

وإذا جاز - في نظر المفسرين - أن يُقدَّر مضافان في قوله تعالى (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي قبضت قبضة من أثر حافر فرس الرسول ، فلم لا يجوز أن يقدر مضاف واحد في قوله : فأخرج لهم عجلاً . أي صورة عجل ، وهو بالبلاغة أليق !!
الحق أن أثر الرسول هو تعليم موسى ، والرسول هو موسى عليه السلام ، والقبضة من أثره هو الجزء من تعليمه الذي لم يعجب السامري . وهو الدعوة إلى عبادة إله لا تدركه الأبصار .

- ٦ -

ومن عجب أن المفسرين يستدلون بإسرائيليات بسمونها أحاديث ، ويضعون لها أسانيد من ذلك ما أخرجه ابن مردويه عن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم - فيما زعموا « أن الله تعالى لما واعد موسى عليه السلام أن يكلمه خرج للوقت الذي واعده ، فبينما هو يناجي ربه إذ سمع خلفه صوتاً ، فقال : إلهي ، إني أسمع خلفي صوتاً . قال : لعل قومك ضلوا . قال : إلهي ، من أضلهم ؟ قال : أضلهم السامري ! قال : فبم أضلهم ؟ قال : صاغ لهم عجلاً جسداً له خوار . قال : إلهي ، هذا السامري صاغ لهم العجل ، فن نفخ فيه الروح حتى صار له خوار ؟ قال : أنا ياموسى !! قال : فوعزتك ما أضل قومي أحد غيرك !! قال : صدقت يا أحكم الحكماء ، لا ينبغي للحكيم أن يكون أحكم منك » .

وفي رواية أخرى عن راشد بن سعد - فيما زعموا - « أنه سبحانه قال : ياموسى ، إن قومك قد افتتنوا من بعدك . قال : يارب كيف يفتنون ، وقد نجيتهم من فرعون ، ونجيتهم من البحر وأنعمت عليهم ، وفعلت بهم ؟ قال : ياموسى ، إنهم اتخذوا من بعدك عجلاً له خوار . قال : يارب فن جعل فيه الروح ؟ قال : أنا . قال : فأنت يارب أضلتهم . قال : ياموسى ، يارأس النبيين ، ويا أبا الحكماء ، إني رأيت ذلك !!! »

هذا كلام - بل ظلام - لا يمكن أن يخرج من مشكاة النبوة ، بل هو أقرب إلى أن يكون قول يهودى زنديق يريد أن يفسد على المسلمين عقائدهم .

هذا قول لا يحل لمسلم أن يقوله .

والحق أحق أن يتبع ، وليس بعد الحق إلا الباطل ، وليس بعد الهدى إلا الضلال . والسلام على من اتبع الهدى .

صوت من صوماليا

يشكو من جاهلية الصوفية

أرسل إليكم بهذه النبعة ، التي أريد أن أشرح فيها نبذة ضئيلة مما تقوم به طبقة من أهل الطرق « الصوفية » في « صوماليا » وتدعو إليها الناس ، بإلحاح وملاحقة في كل مكان . زاعمة بصراحة جريئة أن من لم يتمسك بذيل شيخ من مشايخ الطرق - وخاصة بذيل القادرية - لا ينظر إليه الله في يوم النشور ، بل شيخه في القيامة الشيطان ، لأن من لم يكن له شيخ في الدنيا ، يلتجئ إليه ويتضرع أمام عتبه ، ويرتمي في ساحته ، إذا حلت به الحوادث ، وألمت به الملمات ، وأحاطت به الكوايد من جميع الجهات ، ليس له ملجأ يلتجئ إليه في يوم الحساب ، ولا يجد شافعاً ولا نصيراً ، ويكون من الفرقة الشمالية الزاهية بالقت من القدير إلى النار .

سيدى الفضال : ترى في « صوماليا » طرائق عديدة ، من قادرية ، وصالحية ، وأحدية ، ورقاعية ، وزيلعية ، وأويسية ، وأويابية ، وقلنولية ، وحسينية ، وسليمانية ، ويوسفية ، (نسه إلى الشيخ الصوفي المقبور في مقدشوه) وبراوية . الخ .

وكل طريقة تتفرع إلى فروع متشعبة ، تزعم كل منها أنها هي الوحيدة القائمة على الحق الداعية إلى الرشاد - مع أن ما تدعو إليه كل طريقة هو الوثنية ، الداعية إلى عبادة الموتى ودعائهم باسم الشفاعة ، واتخاذ الوسائط بين الله وبين عباده ، إذ لا وسيلة - عندهم - للعباد إلى الله إلاً بوسيط يستنزلون به المطر والرزق ، ويستغيثون به ويحاجه عند ربهم ويستترشدون بكرامته ودعوته - وأنها هي المطلعة على الغيب ، وبواطن العلم ، وأسرار القرآن ، وغوامض الأحاديث ، وأن لديها علماً باطنياً يفاير ظاهر القرآن وآياته البينات ، والأحاديث النبوية الشريفة الواضحة ، التي بين بها الرسول صلى الله عليه وسلم ما أنزل إليه من ربه ، وأن لمعبودهم المقبورين - الذين يهتفون بأسمائهم عند الشدائد - قدرة على دفع المضار عنهم ،

وجلب المنافع لهم ، وأنهم يغيثونهم المستغيثين ويفرجوا كربهم إذا استغاثوا بهم وإن كانوا
في الشرق أو الغرب ، أو في بطون البحار ، أو فوق السموات السبع ، كما هو محرر في
كتبهم التي يدينون بها ، ولا يرضون بها بديلا .

ومريدي إذا دعاني بشرق أو بغرب ، أو نازل بحر طامى
فأغشه ، أو كان فوق هواء أنا سيف القضا بكل خضامى الخ
فهذه الطرق نافذة الأمر ، مسموعة القول ، مطاعة الرأي .

وكل من قال : إن تلك الأفعال التي تقوم بها الصوفية ، لا تتفق وشرائع الإسلام ،
بل هي ألوان شركية قاصمة للظهر ، تزيت بزى الإسلام لمخادعة العوام ، ودخلت في حظيرة
المسلمين من طريق تعظيم الأولياء والفلو في الصالحين ، لفرض تفريق كلمة المسلمين ،
وإضعاف شوكتهم ، وصرفهم عما هم فيه من توحيد الله الواحد الديان والعمل الصالح لخدمة
الأوطان والسكان - أطلقوا عليه كلمة الكفر والإلحاد والزندقة ، وأسأوا إليه بكل إساءة
جائرة بالغة ، وأهدروا دمه لسكل من يقتله ويؤذيه ، وقابلوه بكل منكر من القول وزور ،
ورموه بكل نقيصة وعيب وشنار ، وودوا لو قدروا أن يقضوا عليه ، وقالوا - وبئس ما قالوا -
أنزعم أن آباءنا الماضين كانوا على ضلال وطغيان ، وأنت أتيت بالحق في القرن الرابع عشر
من الهجرة ؟ إن هذا أقول قاله قائل مجنون ، لا يعي ما يقول (أو لو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟) .

فأوضاعنا في « صوماليا » مقلوبة من جهة الدين ، وعقائدنا معكوسة ، فلا ترى في
مكاتبتنا من كتب الأحاديث والتفاسير المعتمدة عليها ، إلا بعض كتب تؤيد مزاعم الطرق ،
وتعهد لها السبيل ، وتضفر لها الأحاييل ليصرعوا بها العامة العمياء ، ويستأنروا بها في
جيوبهم من الأموال . فإذا أراد صاحب مكتبة أن يستورد كتب الأحاديث والتفاسير
المهمة ، عبسوا وقطبوا وجوههم نافرين ، ولا يعبدون يشترون من مكتبته شيئا ، عالمين بأن
هذه الكتب إذا درست في « صوماليا » وعرف الشعب منها حقيقة الدين الخفيف . فلا
يصدق أحد مشايخ الطرق في دجلهم وضلالهم فتنور بضاعتهم الشيطانية ، وتسكد تجارتهم

الوثنية ، وتتبدد ظلمات جاهليتهم بنور هذه الكتب الطافحة بالدعوة إلى عبادة الله وحده ،
ومجانبة عبادة الطواغيت .

قالكتاب الوحيد الذى يعتمدون عليه ، هو كتاب ألفه إسماعيل بن محمد سعيد .
ويسمى « الفيوضات الربانية ، فى المآثر والأوراد القادرية » فهو المعول عليه ، والمحتج
به إذا عارضهم فى عقيدتهم الشريكة لمعارض .

ويقرا هذا الكتاب فى بيوت « صوماليا » فى كل يوم أربعاء .

ويزعمون - وويل لهم مما يزعمون - أنهم بقراءته يستنزلون الرحمة والبركة ، وأن كل
من قرأ فى بيته هذا الكتاب لا يصيبه فى الدنيا همٌّ إلا ويسر الله له منه مخرجاً ، ولا كرباً
إلا وفرجها الله عنه .

والآن أريد أن أسألك عن مغازى بعض ما فى هذا الكتاب من جعل نظمية ونثرية ،
حتى أقف على حقيقة معناها ، وأعرف العقيدة التى يرتكز عليها هذا الكتاب الوثنيّ الذى
أضل المفتونين به عن الصراط المستقيم ، وصرفهم عن تدارس وتفاهم كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم . وذلك ما يلى :

(١) لقد رأيت فى ذلك الكتاب فى (ص ٦ س ٣) ما لم أعرف مغزاه ، وهو :

ثم قال لى - أى الله - يا غوث الأعظم ، الإتحاد حال لا يعبر بلسان المقال ، فمن
آمن به قبل وجود الحال ، فقد كفر بالله ، ومن طلب العبادة بعد الرسول فقد أشرك
بالله العظيم .

فما هو هذا الاتحاد الذى إذا وصل إليه العبد وطلب العبادة ، أشرك بالله العظيم .

فهل هناك درجة إذا وصل إليها الإنسان سقط عنه التكليف وصار طلق العنان ، غير
مطالب بالواجبات ؟ فما مغزى هذا القول اللئيم ؟ .

(٢) وجاء فى (ص ٧ س ١) من نفس الكتاب ما يأتى :

ثم قال الغوث - أى عبد القادر الجيلانى - رأيت الرب تعالى ، وقال لى : يا غوث

الأعظم ، من سألني عن الرؤية بعد العلم فهو محبوب بعلم الرؤية ، فمن ظن أن الرؤية غير العلم فهو مغرور برؤية الله تعالى .

ثم أتى في نفس الصفحة سطر ٦ ثم قال لي : يا غوث الأعظم ، ليس الفقير عندي من ليس له شيء . بل الفقير الذي له أمر في كل شيء . إذا قال لشيء كن فيكون .

فهل هناك ما يبرز أن قائل هذه الكلمات رأى الله في حياته الدنيوية ، وأنه يصح النظر إلى الله في الدنيا ؟ وهل لا نرى الله في الآخرة إذا رضى عنا وأدخلنا في رحمته ؟ وهل وصف الفقير بهذه الصفات التي لا تكون إلا لله يجوز اعتقاده ؟

تلك هي الجمل الثرية التي أردت الوقوف على حقيقة معانيها ، والكتاب طافح بمثل هذه الجمل ، والآن أسرد لك بعض الآيات الشعرية التي في الكتاب ، وهي هذه :

لقد شهدت في السطر الأول في صفحة ٤٤ من نفس الكتاب ما هو :

ضربى بيت الله من جاء زاره يهرول له يحظى بهز ورفعته
وسرى سر الله سار بخلقها فلذ بمنابى إن أردت مودتى
وأمرى أمر الله إن قلت كن يمكن وكل بأمر الله فاحكم بقدرتى

ومن نفس القصيدة بعد أبيات قليلة جاء ما هو :

فلا علم إلا في بحار وردتها ولا نقل إلا من صحيح روايتى
على الدرة البيضاء كان اجتماعنا وفي قاب قوسين اجتماع الأحياء
وعاينت إسرائيل واللوح والرضا وشاهدت أنوار الجلال بنظرنى
وشاهدت ما فوق السموات كلها كذا العرش والكرسى فى طى قبضتى

وجاء أيضاً في (ص ٤٦ - ٤٧) :

نظرت إلى بلاد الله جمعاً كحردلة على حكم اتصالى
فلو ألقيت سرى . فوق نار لخذت وانظفت من سر حالى
ولو ألقيت سرى فوق ميت لقام بقدرة المولى مشا لى
ولو ألقيت سرى فى جبال لادكت واختفت بين الرمال

ولو ألتيت سرى فى بـحـار
وما منها شهرور أو دهـور
وتخبرنى بما يأتى ويجرى
بلاد الله ملكى تحت حكمى
مرىدى هم وطب واشطح وغن
وأيضاً رأيت فى (ص ٥٣) ما يأتى :

وقفت على الإنجيل حتى شرحته
كذا السبعة الألواح جمعاً فهمتها
وفكيت رمزاً كان عيسى يحله
وغصت بحار العلم من قبل نشأتى
فمن فى رجال الله تال مكاتتى
أنا قادرى الوقت عبد لقادر
وورد أيضاً فى (ص ٥٤)

كل قطب يطوف بالبيت سبعاً
وقال بعد أربعة آيات :

وإذا ماجزت قوس مراى
سائر الأرض كلها تحت حكمى
وفى (ص ٥٩) جاء ما يلى :

وقفت بباب الله وحدى موخداً
ونوديت يا جيلانى ادخل ولا تخف
ذراعى من فوق السموات كلها
وأعلم نبات الأرض كم هو نابت
وأعلم علم الله أحمى حروفه
ونوديت يا جيلانى أدخل لحضرتى
عطيت اللوامن قبل أهل العناية
ومن تحت بطن الحوت أمددت راحتى
وأعلم رمل الأرض كم هو رمله
وأعلم موج البحر كم هو موجه

وجاء أيضاً في (ص ٦) .

وقالوا لي : يا هذا تركت صلاتك
ولا جامع إلا ولي فيه منبر
ولا عالم إلا بعلمى عالم
ولولا رسول الله بالهدى سابقاً
مريدى لك البشرى تكون على الوفا
مريدى تمسك بى وكن بى وانقاً
أنا لمريدى حافظ ما يخافه
وكن يا مريدى حافظاً لهدونا
أنا كنت فى العليا بنور محمد
أنا كنت مع نوح أشاهد فى الورى
وكننت مع إبراهيم ملقى بناره
أنا كنت مع راعى الذبيح فداءه
أنا كنت مع يعقوب فى عشو عينه
أنا كنت مع إدريس لما ارتقى العلا
أنا كنت مع موسى مناجاة ربه
أنا كنت مع أيوب فى زمن البلاء
أنا كنت مع عيسى وفى المهد ناطقاً

ولم يعلموا أنى أصلى بمكة
ولا منبر إلا ولي فيه خطبتى
ولا سالك إلا بفرضى ومنى
لا غلقت ببيان الجحيم بعظمتى
إذا كنت فى م أغتلك بهمتى
لأحيك فى الدنيا ويوم القيامة
وأنجيه من شرّ الأمور وبلوة
أكن حاضر الميزان يوم الواقعة
وفى قاب قوسين اجتماع الأجنة
بحاراً وطوفاناً على كفّ قدرى
وما برد النيران إلا بدعوتى
وما نزل الكبشان إلا بدعوتى
وما برئت عيناه إلا بتفلى
وأقعدته الفردوس أحسن جنتى
وموسى عصاه من عصاى استمدت
وما برئت بلواه إلا بدعوتى
وأعطيت داوداً حلاوة نعمتى

فهذه هى عقائد الصوفية فى « صوماليا » وفى كل بلد تروج فيها هذه الكتب الوثنية الجاهلية دعت إليها الناس فأطاعوها على غير بصيرة ولا برهان ثابت ، فنصبت لهم هذه الشرك الشيطانية فوقوا فيها ، وإذا طالبتهم بالاستبراء من هذه الخايزى الوثنية ، تكاثروا عليك وأغروا بك السفهاء والبلهات ، والعامة جمعاء ، واحتجوا فى غباوة وتقليد أعمى بقوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » . كأن الوسيلة الإصرار على

للعاصي والمآثم ، ثم الإرتقاء على قبور وهتبات من يظن فيهم الولاية والصلاح لتخلص مما
اجترحو من فسوق وكفر ، ومن ذنوب وفواحش ، أو كان الله أنهى الأولياء في القرن
الثامن أو التاسع من الهجرة ولا ولي الله بعد القرن التاسع ، أو كان الجيلاني ، أو البدوي ،
كانا قادرين على دفع المضار عن مريديهم وجلب المنافع لهم ، أو كان الأولياء ليسوا هم
(الذين آمنوا وكانوا يتقون) بل هم من أتوا بالشعوذة الشيطانية ، والتي يظنها الجاهليون
خوارق وكرامات . ولا خارقة أبلغ مما أتى به الأفرنج من اختراع البرق والمسرات وغيرها ،
مما هو مثار الدهشة في شرق البلاد وغربها . والله يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم .
ومن يضل الله فلن تجد له وليا مرشداً .

لوخ فرندي

عمر علمي ورسمه

المدرس المساعد في المدرسة الابتدائية الحكومية
في « لوخ فرندي » — جيا الأعلى — صوماليا

الهدى النبوي : جواب هذه السائل مبسوط في مقالات المجلة وأعدادها للماضية . وفي
كتاب المبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، بتعليق الفقير إلى عفو الله ورحمته .

أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس بشارع الجوهري

رقم ١ بميدان القبة تليفون ٤١٢٢٦ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شباير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع

انبعاث في سبيل الحرية

الهجرة

بقلم الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

الدعوة الإسلامية دعوة إلى تحرير البشرية كلها من عبودية ثقيلة كانت ترزح تحت أوقارها ، وتئن من ثقل أوزارها ، وتتلمس السبل للخلاص منها ، والانطلاق من ربقها . كانت العقول في أسر الأوهام والخرافات ، والترهات والخزعبلات ، وكانت الأرواح في أغلال الكهنوت وتجار الأديان ، وكانت القلوب خاشعة لآلهة شتى من الموتى والأحياء من بنى الإنسان ، من السدنة والكهان ، ومن الجن والحيوان ، ومن الأصنام والأوثان . ومن الأشجار والأنهار والتماثيل والأحجار : قيود تشل الخطأ وتنقل الأقدام ، وأغلال تغل الأيدي وتمنعها الحركة إلا في طاعة المسيطرين ، وكأثم تكم الأفواه فلا تنطق ولا تبين ، إلا تسييحاً بحمد الطغاة والمستبدين .

وبعث الله نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليحطم القيود والأغلال ، ويطلق الأرواح والعقول من إسارها ، ويبعثها تنظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، وترى آياته تعالى في الأنفس والآفاق لتوقن بوحداية الخالق جل شأنه ، وتسقط الآلهة الزائفة من عليائها ، وتثل عروشها ، بل تسحقها بأقدامها وتدوسها بنعالمها . نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الحق ، ولكن أسرى الأوهام وعبيد العادات برموا بهذه الدعوة ، وضاعت بها صدورهم ، وحنثوا بآلهتهم أن يأفل نجمها بعد تألق وأن تغرب شمسها بعد إشراق وقالوا : اجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا شيء عجاب : وانطلق الملائمة : أن امشوا واصبروا مع آلهتكم . إن هذا شيء يراد ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة . إن هذا الاختلاق .

ثاروا في وجه الرسول الكريم . يريدون أن يصدوه عن سبيل الحق ، وأن يقفوا في طريق دعوة الخير . وكلما أمعن في الاستمسك بالحق والحرص عليه لجوا في عتوم ونفورهم ، وأمعنوا في عدوانهم وطفيتانهم حتى لقد أثمروا به ليقتلوه دفاعاً عن باطلهم وما كانوا يافكون

ورأى عليه الصلاة والسلام أن مكة لا يمكن أن تنمو في تربتها شجرة الحرية ، ولا أن تتفتح في جوها زهرة الاستقلال الفكرى ، وأن البقاء فيها قضاء على حرية الفكر ، وقتل لدعوة الحق ، وإزهاق لروح البحث والنظر والتأمل والاستدلال ، وفشل في بلوغ الأهداف العلاء وتقصير في أداء الأمانة ، وتبليغ الرسالة ، والواء بحقوق الإنسانية المقدسة وأدرك عليه الصلاة والسلام أن حريته وحرية أصحابه بمكة مهددة ، وأنه لاجية ولا نجاح لدعوة من الدعوات إذا كتمت أنفاسها وحيل بينها وبين نسيم الحرية ، وإذا لا بد أن يرتاد مكانا أصلح تتفتح في جوه زهرة الحرية وتنبت في تربته شجرة الاستقلال الفكرى ، ونجد الدعوة بين جنباته مكانا رحباً ترفع فيه هامتها ، وتعلو كلمتها .

وكان عليه الصلاة والسلام في أثناء جده في نشر الدعوة قد اتقى قوماً من أهل المدينة عرض عليهم دعوة الحق فسارعوا إلى قبولها ، وأنزلوها من قلوبهم مكاناً علياً ، وبايعوه صلى الله عليه وسلم على أن يؤيدوه وينصروه ويمنعوه عما يمتنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنفسهم هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة لكي تنبت دعوته في سبيلها حرة كريمة ، هاتفة مدوية . لا تنفلها القيود ، ولا تعوقها الأغلال ، وتقوم في طريقها المصاعب والعقبات . فنمت شجرة الدعوة في هذا الجو الواسع النقي ، وأثمرت وأزهرت ، وتقبلت النفوس الحرة الكريمة نفوس الأنصار دعوة الحق مغتبطة بها ، معترزة بقبولها ، مناصرة لها . مجاهدة في سبيلها ، مضحية بالأموال والأنفس من أجل نشرها وإذاعتها ، وإعلاء كلمتها .

لقد كانت الهجرة النبوية انبعاثاً في سبيل الحرية ، وإن ثورتنا المباركة لهى انبمات في سبيل الحرية أيضاً ، وقد حققت الهجرة أهدافها فأظهر الله الإسلام على الدين كله ، وقد حققت الثورة أهدافها كذلك فقصت على الفساد والمفسدين ، وردت على الشعب حريته تامة موفورة في عزة وكرامة .

وكلما أظللنا الهجرة جددت في أنفسنا هذه الذكريات الكريمة فعسى أن تثير في أنفسنا لواعج الشوق إلى إعادة المجد القديم للإسلام والمسلمين . وما ذلك على المسلمين بعزير إذا اتحدت كلمتهم ، واتلفت قلوبهم ، وصح عزيمتهم على استعادة مجدهم وبناء دولتهم ، ولينصرن الله من ينصره إن الله قوى عزيز .

لغة القرآن

مفردات في اللغة العربية مجموعة من كتاب « تهذيب الصحاح »
 واتصرت فيها على الفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة
 محمد رشدي خليل

الأزيز : صوت الرعد ، وصوت غليان القدر - والأز : التهييج والإغراء . وقوله تعالى :
 (تَوَزُّؤُا) أى تفرهم على المعاصى .
 تجوز في صلاته : خفف .

حزّه واحزّه : أى قطعه . وفي الحديث : الإنم حَزَّازُ القلوب ، أى يحز في القلب
 خوفه ، وقيل أى يحوزها ويتملكها ويغلب عليها . الرجز : القدر ، مثل الرّجس . والرّجز
 أيضا : العذاب . والرّجز : الصّتم .

ضاز في الحكم : أى جار . يقال : ضاز ، حقه يضيّزه ضيّا ، أى بحسه . وقوله تعالى
 (فِسْمَةُ ضِيَرَى) جائرة .

مطر عز : أى شديد . وعزّ الشئ : يعزّ عزّا وعزّاة ، إذا قل . وعزّ فلان ، إذا
 قوى بعد ذلّة . وقوله تعالى (فعزّزنا بنات) أى قوينا .

وعزّ عليّ كذا ، أى اشتدّ . والعزّة : القوّة والغلبة ، وعزّه في الخطاب وعازّه :
 أى غالبه .

الهمز مثل اللّهمز . والهمزة اللّهمزة : العيّاب . وهمزات الشياطين : خطراتها التي
 تخطر بها بقلب الإنسان .

البأس : العذاب والشدة في الحرب . وعذاب بئس ، أى شديد . ولا تبئس ، أى
 لا تحزن . والبأساء : الشدة .

أَبْلَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، أَى يَثْس . وَمِنْهُ إِبْلِيسَ .

خَنَسَ بِخُنْسٍ ، أَى تَأَخَّرَ . وَالْخَنَاسُ : الشَّيْطَانُ ، لِأَنَّهُ يَخْنُسُ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .
وَالْخُنْسُ : الْكَوَاكِبُ كُلُّهَا ، لِأَنَّهُ تَخْنُسُ فِي الْمَغِيبِ ، وَقِيلَ : هِيَ النُّجُومُ الْخَمْسَةُ .
عَسَمَسَ اللَّيْلُ ، إِذَا أَقْبَلَ بِظِلَامِهِ ، وَعَسَمَسَ أَيْضًا ، إِذَا أَدْبَرَ .

الْقُدْسُ الطَّهُرُ . وَرُوحُ الْقُدْسِ : جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَالتَّقْدِيسُ : التَّطْهِيرُ .
الْقِسْطَاسُ وَالْقِسْطَاسُ : الْمِيزَانُ .
الْكُنْسُ : الْكَوَاكِبُ ، لِأَنَّهُ تَكُنْسُ فِي الْمَغِيبِ ، أَى تَسْتَرُ .
الْوَكْسُ : النَّقْصُ . وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا وَكْسَ ، وَلَا شَطَطَ » أَى لَا نَقْصَانَ وَلَا زِيَادَةَ .
الْيَاسُ : الْقَنُوطُ . وَيَثْسُ أَيْضًا : عَلِمَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (أَفَلَمْ يَبَيِّنْ أَلْيَاسَ الَّذِينَ آمَنُوا)
أَغْطَشَ اللَّهُ اللَّيْلُ ، أَى أَظْلَمَهُ .
التَّنَاوُشُ : التَّنَاوُلُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) مَعْنَاهُ أَنَّى لَهُمْ
تَنَاوُلُ الْإِيمَانِ فِي الْآخِرَةِ ، وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا .

حَصَحَصَ الْحَقُّ : بَانَ وَظَهَرَ .
رَصَصْتُ الشَّيْءَ أَرُصُّهُ : أَلْصَقْتُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (بَنِيانَ مَرْصُوصٍ) .
و « رَضِرَصْتُ » الْبِنَاءُ ، إِذَا أَحْكَمْتَهُ وَشَدَدْتَهُ .

مَحَصَّتْ الذَّهَبَ بِالنَّارِ . إِذَا خَلَصَتْهُ مِمَّا يَشُوبُهُ . وَالتَّمْهِيصُ : الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِخْتِبَارُ .
التَّنُوصُ : التَّأَخُّرُ . وَيُقَالُ : نَاصَ بِنُوصٍ نَوْصًا وَمَنَاصًا ، أَى فَرَّ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(وَلَآتَ حِينَ مَنَاصٍ) أَى لَيْسَ وَقْتُ تَأَخُّرٍ وَفَرَارٍ . وَالْمَنَاصُ أَيْضًا : الْمَلْجَأُ وَالْمَفَرُّ .
الرُّكْضُ : تَحْرِيكُ الرَّجُلِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَرَكُضْ بِرَجُلِكَ) .

وقيل : « اركض » اضرب و « يركضون » : يعدون ، وأصله تحريك الرجلين .
 التعرض : المتاع ، وكل شيء فهو عرض سوى الدراهم والدنانير ، فإنها عين ، وعرض
 «للدنيا : ما كان من مالٍ قليلٍ أو كثيرٍ .
 وقوله تعالى : (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا) أى أبرزناها حتى نظر
 إليها الكفار .

والعارض : السحاب المعترض فى الأفق .

* * *

غاص الماء : أى قل ، وغاص الكرام . أى قلوا ، وفاض اللثام ، أى كثروا .
 حبط عمله حبطاً ، وحبطوا : بطل نوابه ، وأحبطه الله .
 المحط : المنزل . وقوله تعالى : (وقولوا حطة) أى حطاً عنا أوزارنا .
 وأمر فرط : أى متجاوز فيه الحد . ومنه قوله تعالى (وكان أمره فرطاً) . وأمر
 فرط أيضاً : متروك . ومنه قوله تعالى (وأنهم مفراطون) أى متروكون فى النار منسيون .
 قوله تعالى : (والناشطات نشطاً) يعنى النجوم تنشط من برج إلى برج .
 وقيل : هى النجوم تطلع ثم تغيب . وقيل : إنها الملائكة . تنشط نفس المؤمن بقبضها .

* * *

الشواظ والشواظ : اللهب الذى لا دخان له ، ويقال لدخان النار : شواظ ، ولحرها :
 شواظ أيضاً . يقال : أصابنى شواظ من الشمس .
 رجل إمع وإمعة ، للذى يكون بضعف رأيه مع كل واحد .
 قال ابن مسعود رضى الله عنه : « كنا نعد الإمعة فى الجاهلية ، الذى يتبع الناس إلى
 الطعام من غير أن يدعى ، وإن الإمعة فيكم اليوم المحقب دينه » ومعناه المقلد الذى جعل
 دينه تابعا لدين غيره بلا روية ولا تحصيل برهان .
 بنح نفسه بنحما : أى قتلها غما . ومن ذلك قوله تعالى : (فاعلمك باخع نفسك) ،
 و « بنحت » الأرض بالزراعة ، أبنحها إذا نهكتها وتابت حرثها ولم تجمها علما .

مول دفس الزعيم الاسماعيلي في أسوان :

مسلمون... وزعماء... ولا يعرفون الصلاة...!!?



بهذا العنوان صدر الأستاذ محمد البلي تحقيقه الصحفي في صحيفة الشعب عما دار في دفن الزعيم الاسماعيلي في أسوان . فكان عجيباً !! وكان أبلغ من المعجب ، وكان تعبيراً صادقاً عن مدى ارتباط هذه الطائفة وسواها من الطوائف التي تشاركها في الرأي والمبدأ بالإسلام ، إذ كيف تتصور من يتزعم طائفة تدعى الانتساب للإسلام ، وتؤمن بعقائده ، وتقتدى برسوله أن يجمل بديهيته ، ولا يعرف أموراً عرفت منه بالضرورة ؟ أمور تتحرك بها السنة الأطفال في مهادم أول عهدهم بالتحدث عن الحياة والحياة مع ذلك يجملها زعماء الاسماعيلية !! فاتحة الكتاب ، وسورة الإخلاص ، وكيفية الصلاة ، إذا كانوا لا يعرفون هذا فإذا

يعرفون من الإسلام ؟ إذا كانوا لا يعرفون البديهي فما بالك بما يحتاج إلى بحث ونظر ؟ وإذا كانوا يجهلون الأحكام العامة التي يعرفها عامة المسلمين فكيف بالأحكام التي لا يدركها إلا الخاصة ؟ لست أدري أي شعور كان يخالج الزعيم الاسماعيلي الجديد ، وأي خاطر كان يسيطر عليه ، وأين منه الخجل في هذه اللحظة حين سأله صحفي أجنبي عن كيفية صلاة الجنائز ، وعن أم الكتاب فيحيله على أي صحفي مصري مسلم ، وينفذ الموقف مندوب وكالة الأنباء للشرق الأوسط فيجيب الصحفي عما يريد !!

ثم ماذا كان موقفه هو وزملاؤه من زعماء الاسماعيلية وقد وقفوا في المسجد حيارى لا يدرون كيف يصلون فأخذوا يقلدون عامة المصلين في صلاتهم ، ولهذا كانوا مرة يسبقون الإمام ومرة يتأخرون ؟ فما السر في هذا الجهل ؟ وما عسى أن تكون مبرراته ؟ !

الواقع أننا لو تتبعنا تاريخ هذه الطائفة في القديم والجديد لوجدنا الإجابة الكافية عن هذا السؤال ، فالاسماعيلية التي يتزعمها أغاخان جزء من الاسماعيلية الكبرى نسبة إلى إسماعيل ابن جعفر الذي انقسمت الشيعة الإمامية عند الخلاف على إمامته إلى إسماعيلية واثنى عشرية ،

وقد ظهرت الإسماعيلية في عهد الدولة العباسية حين تلبد جو الثقافة الإسلامية بفلسفات المجوس والفرس واليونان فكانت الإسماعيلية أمشاجاً من هذه الفلسفات ، وخليطاً من هذه الآراء والأفكار .

ثم لو رأيت مبادئهم لوجدت واحداً منها يكفي في نقي الإسلام عن صاحبه فهم يقولون ::
 يقدم العالم وأن له مدبراً الله والنفس ، وأن الأنبياء سواس العامة وأما الخاصة فأنبياءهم .
 الفلاسفة .، ولهذا فهم لا يعتقدون بأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام لأنها للعامة فقط ،
 ولهذا لا نعتب عليهم إذا جهلوا الصلاة وأحكام الدين إذ العبادات وسيلة العامة والجاهل وأما
 الخاصة فقد وصلوا ولذا فهم في غنى عنها ؛ وهم ينكرون معجزات الأنبياء ، ويكفرون مغتصبى
 الخلافة من على أى يقولون بكفر أبى بكر وعمر وعثمان ، وأن الإمام يعين بالنص .
 بالانتخاب .

ومن مبادئهم استباحة الأموال والمحارم ، وتقديس الزعماء ، واعتبار ما يصدر منهم دين .
 واجب الاتباع ، وبهذا يمكن أن تغل هذا الثراء الواسع الذى تتمتع به زعيمهم الراحل ،
 ستمائة مليون جنيه ، ثروة يعجز عن حيازتها كبار رجال المال والأعمال ، فمن أين اكتسبها ؟
 وفيه أنفقها ؟ اكتسبها من رعاياه المساكين ، ضحايا المبادئ الذين يدفعون دماء قلوبهم ،
 وعرق جبينهم لزعيمهم وإلههم على أنه دين واجب الاتباع ، ثم ينفقها في الترف ، ومن
 مصايف أوربا ومشاتها ، ومنزهاها ، وفي زواج الممثلات ، ونجوم السينما ، والتقلب في
 أعطاف الملذات .

إن هذه الفرق الكثيرة التى تدعى الانساب للإسلام ، ما اختلفت عليه ، وخرجت
 عن مبادئه ، وظهرت بمبادئ جديدة إلا لأغراض وأهواء ، إما اكتساب للمادة ، أو جمع للمال .
 أو رغبة في السلطان ، أو دسيسة صهيونية للقضاء على الإسلام ، ولو كان اختلاف هذه
 الطوائف نزيها لما اشتطوا في الشقاق والخلاف ، ولما انحرفوا عن طريق الإسلام القويم
 ولتحاكموا فيما اختلفوا إلى القرآن وسنة خير الأنام كما قال تعالى : (وإن تنازعتم في شئ
 فردوه إلى الله والرسول) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في

أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) ولكن ماذا تقول لأهواء القلوب ونزعات النفوس ؟!

فإذا عرفت هذه المبادئ للاسماعيلية فلا تعجب من جهل زعمائهم فاتحة الكتاب وبديهيات الإسلام فهم في ناحية والإسلام في أخرى .

ولو كانوا يحرصون على الإسلام الحق ، فلم تحيط الجنة ؟ ولم توضع في تابوت له قفلان ؟ ولم يخشى زعيمهم تلف جسده فيوصى بأن يدفن في أسوان لجفاف جوها ؟ ولكن من يدري لعله يريد أن يضم لنحلته ودينه بعض الأنصار والأتباع من مصر حتى يكثر ، دخل أنجاله وأحفاده .

وأخيراً مرحى واعظ أسوان ، وشكرا لله له على هذه الغيرة النبيلة ، والحرص الكريم والتقوى الطيبة ، والنفس اليقظة ، والقلب الذكي الذي منعه من الصلاة على زعيم الاسماعيلية الراحل .

وبعد هذه كلمات ماأريد بها التجنى على أحد ، ولكنها حقائق أثبتتها التاريخ من صفحاته (ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة)

عبد السلام رزق الطويل

طالب بكلية اللغة العربية

اخبار الجماعة

جماعة أنصار السنة المحمدية بأم درمان

المركز العام بأم درمان سودان ، يحتسبون عند الله بمزيد الأسمى والحزن ، مدرسهم ومرشدهم فضيلة الشيخ يوسف أبوه . وقد توفى إلى رحمة الله بأم درمان يوم الأربعاء ١١ محرم سنة ١٣٧٧ (الموافق ٧ أغسطس سنة ١٩٥٧) وبسألون الله أن يجزيه خير الجزاء لما قام به من جهاد وتضحية في سبيل دعوة الحق .

السكرتير

يوسف عمر آغا

خطبة من ————— برية

بقلم سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . قامت السموات والأرض بأمره وتديره ، وجرت الحياة - بكل ما فيها بقضائه وتقديره .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا وزير ولا معين له في ربوبيته ، ولا مشير له في حكمه ومشيطته . وهو الخالق الباري المصور . لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله ، أرسله ربنا تبارك وتعالى بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، فجزاه الله خير ما يجزي نبياً عن أمته . وصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين . وجعلنا من آله وحزبه المفلحين .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول - وهو أصدق القائلين - (وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، قل : إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟ قل أمر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون . فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) .

في هذه الآيات - وغيرها من آي الذكر الحكيم - يذكر الله سبحانه وتعالى شأن المقلدين الذين يقولون محتجين لصحة دينهم التقليدي الباطل : إن مامم عليه من العقيدة والأعمال التي يحسبونها هدى . وهي كفر وفوق وعصيان وانحراف عن طريق الهدى والرشد : هو الدين الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم وانتقل إليهم كذلك . فلا بد وأنه الحق الذي أمر الله به ، وأنزله على رسله ، وارتضاه لعباده .

يرد الله سبحانه وتعالى عليهم رداً بليغاً مفجعاً بأنه سبحانه - تبارك اسمه ، وتعالى جده - لا يمكن أن يأمرهم بما هم عليهم من الوثنية والكفر والفحشاء والظلم لأنفسهم .
وهل مما يقبله الإنسان العاقل : أن الله أمر بهذا الشرك من عبادة الموتى بسؤالهم ودعائهم ، واللجوء إليهم في الشدائد والنذر لهم ، والطواف حول قبورهم والخلف بهم ، وإنزالهم من القلوب - بالحب والتعظيم والتعديس منازل العبادة والتأليه ؟
وهل مما يقبله العاقل : أن الله سبحانه وتعالى أمر بتقديم قول الناس الظاهر البطلان على الحق الواضح الصريح من قوله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ؟
هل من المعقول : أن يأمر الله عباده أن يعيشوا هكذا فوضى في كل أمر من أمورهم على غير ما أمر وشرع وأنزل في كتابه ؟

فلا صلة رحم ، ولا تعاون على البر والتقوى ، ولا تراحم ولا تعاطف بينهم . ولا حياة ولا عفاف . ولا شرف ولا فضيلة ولا عزة ولا كرامة ؟ بل ولا العبادات فإنها . أصبحت على غير أمره وشرعه سبحانه . فصلاتهم نقر غراب ، لا يحافظون فيها على أركان ولا خشوع ، ولا يذكرون الله فيها إلا قليلا .

وصيامهم حبس وتعذيب ، لا يثمر تقوى ولا صدق عزيمة . لا يدعون فيه قول الزور والباطل والكذب ، ولا العمل بها ، من حفظ عيونهم وآذانهم وجوارحهم عما لا يليق بالمسلم الكريم الضعيف ، فضلا عن الصائم الحابس نفسه مع الله في عبادة .

وحجهم جدال وضيق صدر وسباب وفوق مع كل من يقابلون أو يعاملون ، في سفر أو إقامة . وفي كل تحركاته ليس لله ولا حرمانه ولا شعائره أى تعظيم في نفسه . وأكثرهم يسافر إلى الحج وفي نفسه العقيدة الوثنية والروح الجاهلية التي يذهب بها إلى موالد أوليائهم ومؤلهيهم ، بل لأنهم أكثر احتراماً وتعظيماً لتلك الموالد والقبور منهم لبيت الله الحرام ، والمناسك الحرام والمشعر الحرام .

أما الزكاة . فإنهم قد ضيعوها تماماً ، وكأنها لم تفرض عليهم ، وكأن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه لم يحارب مانعيها واعتبرهم مرتدين .

كل ذلك وغير ذلك مما يتمرغ فيه الناس من الجاهلية العمياء ، ظنوا الناس بغيابهم وعى بصائرهم وغرورهم وتمردهم على الله ورسوله ، ظنوها ديناً إسلاماً وصراطاً مستقيماً أمر الله بها ، لأن آباءهم ومشايخهم عليها .

وكل ذلك قول على الله بغير علم . وليس قول أحد ولا فعله كائناً من كان حجة على الله إنما الحجة على البالغة لله سبحانه على عبادته جميعاً بما أرسل إليهم من رسل ، وأنزل عليهم من كتب . وقد أمر الله فيها بالقسط ، أى العدل ، وهو عدم الجور والميل مع الأهواء والشهوات ، بل اتباع الصراط المستقيم والطريق القويم ، والسبيل القاصد في كل الأمور .

وأمر بإقامة الوجوه عند كل مسجد بالطاعة والانقياد لله ، ولكل ما شرع الله سبحانه وتعالى وأن ندعوه وحده لا ندعوه معه أحداً . فهو الذى يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء . نعبدته مخلصين له الدين . مؤمنين من قرارة أنفسنا أننا مبعوثون من بعد الموت ، ومحاسبون بكل ما كسبت أيدينا من عمل . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . ثم تكون العاقبة جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنى الله وإياكم منهم . أو ناراً وقودها الناس والحجارة ، أعاذنى الله وإياكم منها .

ما وقع الناس قديماً وحديثاً فيما وقعوا فيه من الوثنية وتسميتها توحيداً ، والفسوق والعصيان ، وتسميتها طاعة ، وإحسان ، وتوفيق إنما هو من الثمرات الخبيثة للتقليد الأعمى ، الذى نشر ظلمات الجاهلية فى القلوب والمجتمعات .

إن المعنى اللائق لكلمة « التقليد » لا يليق بالإنسان الكريم ، فالتقليد : أن تضع قلادة فى عنقك ، وتسلم قيادك لغيرك . فتكون كالأنعام بل أضل من الأنعام سبيلاً ، والعياذ بالله .

ما من شر أصاب الناس فى دينهم ولا دنياهم إلا من سوء عاقبة التقليد .

والله ربك الذى خلقك - فدواك فعداك - يحب لك أن تكون أهلاً لما أكرمك به من أنواع الكرامات وفضلك عن سائر المخلوقات ، وسخر لك ما فى السموات والأرض من

الكائنات ، ولا يجب لك أن تكون إمعة كالريشة في مهب الريح ، تميل مع المذاهب والأهواء والآراء والأقوال حيث مالت . بل يجب أن تكون إنساناً مستقلاً في فهمك وتقديرك وعملك ، تفهم دينك بنفسك من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . كما أنك ستكون مسئولاً وجدك عن عملك في الدنيا والآخرة .

اللهم وفقنا إلى اتباع السبيل الذي تحبه لنا وترضى ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والشهداء والصالحين . وجنبنا سبيل الضلال وطريق المفضوب عليهم والضالين . إنك سميع قريب مجيب الدعاء .

وصل اللهم وبارك على مصطفىك وحبيبك خاتم المرسلين محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه . ونستهديه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد في الأولى والآخرة وهو الولي الحميد ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، وخيرته من خلقه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى هو الملك القدوس الذي لا يمكن أن يجري في ملكه ومملكه إلا ما قدره وأراد . فهو الذي يهدي إلى سبيله وصراطه ورضوانه فريقاً من عباده لاستحقاقهم لذلك بشكرهم لنعمة عليهم بالسمع والبصر والفؤاد وكل ما آتاهم من أسباب العلم وهداية الفطرة ، وإخلاصهم قلوبهم من كل شائبة تعكرها ، ونشوب توحيدهم الصادق لإلههم الحق ، الذي ذقت قلوبهم لذة عبادة وطاعته ، بما أشرق عليها من هدى الفطرة ونور هدى القرآن الكريم ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأطاعوه وقدموا طاعته على كل أحد وحرصوا على إقامة شريعته على علم وبصيرة وهدى لا عن جهل وتقليد وعمى .

وأما الفريق الآخر - ونسأله سبحانه أن لا يجعلنا منهم - فإنهم حق عليهم الضلالة ، أى استحقوا الضلال بإعراضهم عن هدى الفطرة ، وعن هدى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فشاقوا الرسول واتبعوا غير سبيل المؤمنين واتخذوا شياطين الإنس والجن

أولياء من دون الله فزينا له الباطل حتى رأوه حقاً وهدى . والبدة والضلالة فكانت عندهم ، خيراً من السنة . والفسوق والعصيان ، ومحاربة الله ورسوله مدنية وحضارة ورقياً وتقدماً . فيأتون كل منكر وقبيح ويزين لهم الشيطان أعمالهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعا . نعوذ بالله من انتكاس الفطر وانكاس العقول حتى ترى حسناً ما ليس بالحسن . يحب الله لعباده أن يتخذوه وحده ولياً فكفى بالله ولياً وهادياً ونصيراً . ولكنهم لجهلهم يتخذون من كل نكرة لا يعرف له فضل ولا سابقة أولياء ، كما يتخذون من بعض ينتسبون إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها ، أولياء كذلك - وبراً الله نبيه وآل بيته من ذلك - وإنما دعاهم إلى ذلك شياطين الإنس والجن . فهم في الواقع يتخذون هؤلاء الشياطين أولياء باسم هؤلاء الصالحين الذين زعموا للناس أنهم يحبون ذلك .

والحقيقة التي يعلمها كل مسلم يعرف دينه : أن هؤلاء الصالحين لا يرضون أبداً أن يتخذهم الناس أولياء من دون الله ، بعد أن أنزل الله في كتابه (وكفى بالله ولياً) وقال (الله ولي الذين آمنوا) وقال (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال (المؤمنون بعضهم أولياء بعض) .

وحكى ربنا عنهم في آي الذكر الحكيم أنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم . وأنه يقول لهم (أنتم أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك (من أولياء) وقال سبحانه (ويوم نحشرهم جميعاً . ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم : ما كنتم إيانا تعبدون . فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ، إن كنا عن عبادتكم لغافلين) .

فتلك مسائل ثلاثة : ولاية الله سبحانه لعباده بالتوفيق والتسديد والإرشاد والهداية وغير ذلك .

وولاية المؤمنين لله سبحانه وتعالى بالإيمان والإسلام والتقوى والخوف والرجاء والتوكل والإقامة والتفويض وغير ذلك .

ورعاية المؤمنين بعضهم لبعض بالتعاون والتناصر والتآخي وغير ذلك .

والناس في الولاية فريقان . لا ثالث لهما . أولياء الرحمن الذين أعد الله لهم الجنة - جعلنا الله منهم - وأولياء الشيطان الذين أعد الله لهم النار - أعاذنا الله منها .
فاختر لنفسك يا أخى ، فإنك إن رفضت أن تكون من أولياء الرحمن كنت ولا بد من أولياء الشيطان . أعاذنى الله وإياك من ذلك .

فاتقوا الله ، واعلموا يا إخوانى أن الولاية ليست خاصة بطبقة من الناس مقدسين بالنسب والولادة مهما عصوا الله أو عبدوه بغير مasherع ، لا يا إخوانى إن كل مسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر على علم وهدى من ربه ، ويؤدى كل ما أمره الله به ، ويحجب كل ما نهى الله عنه ، ويخشى الله في السر والعلن ، ويعلم يقيناً أن الله سيبعثه في يوم كان شره مستطراً . فيحاسبه على القتل والقطير ، وأنه سيقف أمام ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، وأنه سيسأله عن كل ما قدمت يداه ، وأنه لن ينفعه في ذلك اليوم إلا سعيه وعمله ، لقوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى) وأنه لن تنفعه شفاعة الشافعين ، ولا أى شيء آخر أبداً .

إن كل مسلم ذلك شأنه فإنه من أولياء الله ولا ريب . لا يمنعه أن يكون كذلك أن يكون عربياً أو أعجمياً . ولا أن يكون روسياً أو أمريكياً ، أو حتى انجليزياً ، ولا أن يكون في عصر مضى ، أو في هذا العصر ، أو في مستقبل الأيام . فلا زمان ولا مكان ولا جنس ولا بلد يؤثر في صفات المؤمنين أولياء الله ، أو صفات الكافرين أولياء الشيطان قال الله تعالى (٢ : ١٦٢) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم . ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

اللهم إنا نسألك أن تهدينا صراطك المستقيم ، وتوفقنا إلى العمل بكتابك وهدى نبيك علماً وعملاً وعقيدة ، وأن تجعلنا من أوليائك المؤمنين المتقين . كما نسألك أن توفق الأمة الإسلامية كلها إلى ذلك ، وأن توفق رؤسائهم وكبراءهم إلى العمل الصالح لهم ولأممهم ، حتى يتبوأوا المكان اللائق بالإسلام من الزعامة والقيادة للشعوب كلها . إنك سميع قريب مجيب وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين ورضى الله عن جميع أصحابه ومن اهتدى بهديه ، وخصوصاً الخلفاء الأربعة أبا بكر وعثمان وعلى وعمر .

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات الممتازة في الصناعة والمثانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عطية صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المثانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باننا الكبير

٧٩.١٧ ٥

في أي مكان تجده يتألق ويزهو



آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكرسي النموذجي
انشاج، حسن علي حفاة

انه الكرسي النموذجي

في المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

مويليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة القلبي شارع الخديوي إسماعيل

ممن على صماد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندي سجل تجاري ٤١١٠١

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمحلات

الحاج زكير علي


تاجر عموم أصناف الخيش والجبال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحزاوي بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد ميناء البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥



المهدي النجوي

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣	التفسير لفضيلة رئيس التحرير
١٥	إنما الأعمال بالنيات لشيخ الإسلام ابن تيمية
٢٤	الرسالة المقدسية والكلمات القدسية للإمام ابن قيم الجوزية .
٣٣	الإختيار وحرية الإرادة في الإسلام لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٤٧	خطبة منبرية للأستاذ سلمان رشاد محمد
٥٣	لا إكراه في الدين لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٥٧	آفة الجماعة الإسلامية للأديب عبد السلام رزق الطويل
٦٢	تريية النشء للأديب سعد صادق محمد
٦٥	لغة القرآن مفردات في اللغة العربية

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات الممتازة التي تحظى برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان

لمئاتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتي

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل في الدفع على أقساط شهرية

استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعي

الهدي النبوي

رئيس التحرير

محمد هاشم الفقي

الإدارة :

٨ شارع قوله

بجديد بمصر

ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة

محمد رشدي خليل

الاشتراك السنوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير المي دعي محمد صلي الله عليه وسلم

٢٠ - في مصر والسودان

٣٠ - في الخارج

العددان ٦ - ٧

جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٧٧

المجلد ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قول الله تعالى ذكره ، وجل ثناؤه :-

(١٦ : ١٢٦ - ١٢٨) وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر - وما صبرك إلا بالله - ولا تحزن عليهم ، ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون) .

« عاقبتهم » آخذتم وجازيتهم من يعتدى عليكم ويظلمكم . وأصله من « العقب » مؤخر القدم الذي يكون عقبها في السير دائماً . ومنه « أعقب الرجل » إذا خلف أولاداً ، والأولاد « عقب » .

فالمعاقبة يُخلّفها البغى ، والعدوان والظلم ، وتكون في إثره . وتأتى بعده مباشرة . و « مثل ما عوقبتم به » مساوٍ له في السكينة والسكيفية ، بلا نقص ولا زيادة ، وليس من جنس آخر . أو مثله في الإيلام والعذاب ، وإن كان من غير جنس ما عوقبتم به .

وسمى بدء الظالم بالعدوان « عقاباً » لأنه يصدر فيه عما زين له شيطان الجاهلية ، وهوى النفس الأمارة بالسوء والبغى ، من أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين المهتدين يهداه - الداعين دعوته إلى إخلاص العبادة لله ، وتحقيق الطاعة والاتباع لرسالته على هدى

و بصيرة - : ظالمون معتدون . لأنهم خارجون على ما يدين به الظالم الباغي ، من دين الآباء والأجداد ، مفارقون لدين الجماعة الجاهلية وشيوخها وسوادها ، آتون بغير ما يعرف الجاهليون . للشركون في الملة الآخرة ، الموروثة من مئات السنين عن الآباء والشيوخ ، محاولون إبطال هذه الملة الآخرة ، وإزالتها من القلوب ، وإزالة آثارها من العادات والتقاليد الموروثة ، والعقائد الوثنية ، التي يحبونها هدى ، وعمل صالحا . وإحلال هذا الدين الجديد محل الملة الآخرة ، وتحطيم آلتهم المقدسة عندهم أشد التقديس ، وتقويض معابدها وهياكلها وأصنامها من القباب المرفوعة ، والمقاصير المنصوبة ، التي يعيش السادة والشيوخ على ما تغل لهم ، وتحتلب من جيوب الدهاء مما رزقهم الله .

وفي معنى « الصبر » الجمع . ومنه « صُبْرَةُ الطعام » وفيه معنى الحبس : ومنه سمي رمضان شهر الصبر . و « نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صبر ذى الروح » ونهى « عن المصبورة » وهى أن يمسك شئ من ذوات الروح حيا ، ثم يرمى بشئ حتى يموت . وفيه معنى الإلزام . ومنه حديث « من حلف على يمين صبر » أى ألزم نفسه بها . وأنشد نعلب :

فأوجِعِ الجَنبَ ، وأغْرِ الظهْرَ أو يبلى الله يميناً صَبْرًا

وصبر الرجلُ الرجلَ : لزمه ولم يفارقه .

فالصبر : جمع كل عناصر القوة في النفس - من الحواس الظاهرة والباطنة ، والمعلومات الصحيحة - وإلزامها الوقوف والاحتباس - بكل يقظة - مع آيات الله في الأنفس والآفاق ، ومع نعم الله الجسمية والروحية ، وما يتتالى منها آتاء الليل والنهار في كل لحظة ، على أنه امتحان من الله وابتلاء وفتنة ، ليعلم الله الذين صدقوا في معرفتهم بربهم وإيمانهم به ، وإذعانهم وإسلامهم في كل شأن له وحده ، وتحريمهم - في يقظة تامة - سبيل النجاح في هذا الابتلاء والامتحان ، بمعرفة خصائص وصفات وأوضاع كل نعمة ، وإحسان الانتفاع بها بتناولها واستعمالها على أوضاعها وخصائصها وصفاتها ومزاياها التي من أجلها أنعم بها الرب العالم الحكيم ، البر الرؤوف الرحيم . إن أصابتهم سرأ شكروا صابرين . وإن أصابتهم ضراء رضوا صابرين .

ويعلم الكاذبين ، الذين يدينون دين الجاهلية التقليدى ، فهم لا يفقهون لأنهم لا يتفكرون ولا يعلمون . فهم آلات صماء تتحرك حركات لا إرادية . فإذا أصابتهم سراء أشروا وبطروا مرحين . وإن أصابتهم ضراء جزعوا وهلعوا كافرين .

والناس - من قديم - لم يفهموا « الصبر » على حقيقته - كغيره من ألفاظ القرآن - لما غلب عليهم من الاصطلاحات الصوفية المبتدعة المضللة . فزعموه « كبت النفس ، وحبس الغيظ ، وربط اللسان عن الشكوى مما يصيب من فجاعة المصائب فى المرض والموت ونحوها » وكثرة عليهم الحن والابتلاءات . لأن كل نعم الله امتحان وبلاء . إذ يقول سبحانه (٦ : ١٦٥) وهو الذى جعلكم خلائف الأرض . ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . إن ربك سريع العقاب ، وإنه لفتور رحيم) فكل ما آتانا ربنا إنما آتانا إياه للابتلاء والامتحان (٢٩ : ٢ ، ٣) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم . فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين) .

وهم بمجاهليتهم - التى أثارت الصوفية كلها ، فى القديم والحديث عجاجها ، ونشرت ظلماتها - دائماً يسقطون فى هذا الامتحان ، فيتبدل الخير الذى يجيئهم - من آثار أسماء الله الحسنى - خيراً وحسناً وجميلاً : شراً وسوأً وقبيحاً ، وغصة وعذاباً ألماً ، ونكدأ دائماً ، بما فى نفوسهم وقلوبهم من أقدار الجاهلية وثنيتهما وعقائدها ، وأنجاسها وأرجاسها ، ويزين لهم الشيطان سوء أعمالهم ، فيندفعون فى الضلال وراء الأهواء الضالة ، والشهوات الجاحجة ، فيكون الغضب والعذاب من الله العزيز الحكيم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . فيطول الكبت . حتى يكون الانفجار الشنيع ، بالحقد والضغن والحسد ، والاعتراض والسخط على تدبير العليم الحكيم ، الرحمن الرحيم ثم يسمون هذا صبراً . وهم أكذب الكاذبين . لأنهم أغفل الغافلين ، وأجهل الجاهلين .

وليس الصبر إلا للذين قالوا : ربنا الله . ثم استقاموا على سنن الربوبية ، وشرائع الربوبية ، وما يقتضيه تجلى أسماء وصفات الرب الذى بيده الخير وهو على كل شئ قدير .

إذ أخذوا أنفسهم بكل عزم وقوة فأوقفوها ، وحبسوها مع الله ربهم الغنى الحميد ، ومع آلائه ونعمه وبره وإحسانه . رضى وشكراً ، وهذا هو صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر أصحابه ومن تبعهم بإحسان رضى الله عنهم ، ورضوا عنه . وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . ونعم أجر الصابرين الشاكرين .

و « الحزن » بضم الحاء وسكون الزاى ، وبفتحهما .

قال أبو عمرو : إذا جاء « الحزن » منصوباً فتحو الحاء . وإذا جاء مرفوعاً أو مكوراً ضموا الحاء . كقول الله عز وجل (١٢ : ٨٤) وايضت عيناه من الحزن) لأنه فى موضع خفض . وقال تعالى (٩ : ٩٢) تفيض من الدمع حَزَنًا) لأنه فى موضع النصب . وقال الله تعالى (١٢ : ٨٦) إِنَّمَا أَشْكُو بِنِى وَحُزْنِى إِلَى اللَّهِ) لأنه فى موضع الرفع . اهـ

و « الحزن » هو الهم والغم الذى يترك خشونة وضيقاً وإقفاراً فى النفس ، ووحشة فى القلب وضيقاً فى الصدر وحرماً . مأخوذ من حزونة الأرض : المرتفعة البعيدة عن مجرى المياه ، فهى خشنة قاسية لذلك .

و « لا تك فى ضيق » « الضيق » الانكماش والخرج ، وضده : السعة والانشراح والسماحة بالفرح والسرور .

قال ابن جرير رحمه الله : اختلف القراء فى قراءة ذلك . فقرأته عامة قراء العراق « ولا تك فى ضيق » بفتح الضاد . وقرأه بعض قراء أهل المدينة بكسر الضاد . وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه بفتح الضاد . لأن الله تعالى إنما نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يضيق صدره مما يلقى من أذى المشركين على تبليغه إياهم وحى الله وتنزيله . فقال له (٧ : ٢) فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به) وقال (١١ : ١٢) فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك ، أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ؛ إنما أنت نذير) وإذا كان ذلك هو الذى نهى عنه ، ففتح الضاد : هو الكلام المعروف من كلام العرب فى ذلك المعنى تقول العرب : فى صدرى من هذا الأمر ضيق . وإنما تكسر

الضاد في الشيء الذي يتسع أحياناً ويضيق من قلة المعاش ، وضيق المسكن ونحو ذلك .
فإن وقع « الضيق » بفتح الضاد في موضع « الضيق » بالكسر كان على أحد وجهين :
إما على جمع الضيقة . كما قال الأعشى :

فلئن ربك في رحمتك كشف الضيقة عنا وفسح

والآخر على تخفيف الشيء الضيق ، كما يخفف الهين واللين . فيقال : هو هين لين .

و « المكور » الخديعة والاحتيال في خفية لاستدراج المكور به ، وإيقاعه في التهلكة والضرر . ولا يكون في الإنسان الماكر إلا عن أثم نفس ، وحقد وضغن . فيستدرجه الله ويمد له في حبل خبثه وحقده ولؤمه ، حتى إذا قارب الغاية السيئة التي يسعى لإيقاع المكور به فيها : رد الله سهم كيده إلى نحره ، وعاد سعيه وبلاً وشرأ عليه . وسَلَّم المكور به المظلوم من مكروه السوء ، فكانت عاقبة الماكر السوأى . وعاقبة المكور به المظلوم الحسنى . والله خير الماكرين .

« إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

معية الله سبحانه وتعالى : عامة ، وخاصة .

فالعية العامة : التي ذكرها في قوله تعالى (٥٧ : ٤ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . وهو معكم أينما كنتم . والله بما تعملون بصير) وفي قوله (٥٨ : ٧ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ؟ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا . ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة . إن الله بكل شيء عليم) .

وهذه معيته بعلمه المحيط بكل شيء ، وبكل عبد وما توسوس به نفسه ، وما يضطرب فيه من جميع شئون الحياة التي يدبرها جميعها له سبحانه وتعالى . والتي علمها وقدرها قبل أن يخلق السموات والأرض . ثم هو سبحانه يحصيها عليه في هذه الحياة ، التي ابتلاء وامتحان بكل ما آتاه فيها . ثم يجزيه عليها الجزاء الأوفى .

وهذه المعية : يذكرها ربنا للتخويف والوعيد والتهديد . فإنه يذكر : أنه يحصى على العباد أعمالهم جميعها - من مثاقيل الذر ، إلى ما هو فوق ذلك - لا يغفل شيئاً منها ، ولا يظلم أحداً مثقال ذرة من قول أو عمل ، أو حال . فإنه (٤٠ : ١٩) يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور (٦٧ : ١٤) ألا يعلم من خلق ؟ وهو اللطيف الخبير (٥٠ : ١٦ - ١٨) ولقد خلقنا الإنسان ، ونعلم ما توسوس به نفسه . ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (٤ : ١٠٧) يستخفون من الناس ، ولا يستخفون من الله ، وهو معهم . إذ يبیتون ما لا يرضى من القول . وكان الله بما يعملون محيطاً (والقرآن مليء من هذا . لا يكاد يحصى .

والمعية الخاصة : هي معيته سبحانه بالولاية والتوفيق ، والتسديد والنصر ، والفلاح والسعادة في الأولى والأخرى : للمؤمنين والمتقين والحسنين ، الشاكرين الصابرين . قال (٥ : ٢) قال الله : إني معكم ، لئن أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وآمنتم برسلي ، وعزتموه ، وأقرضتم الله قرضاً حسناً ، لأكفرن عنكم سيئاتكم ، ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) وقال (٢ : ١٥٣) و ٨ : ٤٧ إن الله مع الصابرين) وقال (٢ : ١٩٤ و ٩ : ٣٧ ، ١٢٤) إن الله مع المتقين) وقال (٢ : ٢٤٩ و ٨ : ٦٦ والله مع الصابرين) وقال (٨ : ١٩) وأن الله مع المؤمنين) وقال : (٢٩ : ٦٩) والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . وإن الله لمع الحسنين) وقال لموسى وهارون (٢٠ : ٤٦) لا تخافا . إني معكما أسمع وأرى) وقال (٢٦ : ٦٢ ، ٦٣) قال أصحاب موسى : إنا لمدركون . قال : كلا ، إن معي ربي سيهدين) وقال (٤٧ : ٣٥) فلا تهينوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون . والله معكم) وقال (٩ : ٤٠) إلا تنصروه فقد نصره الله . إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين . إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن . إن الله معنا) .

ومعية ربنا سبحانه وتعالى - انعاماً لكل عباده ، والخاصة للمتقين والصابرين والحسنين والشاكرين - من صفاته التي لا يعلم كنهها إلا هو ، ككل صفاته العلية . وهو سبحانه - مع ذلك - مستوى على عرش (٢ : ٤ - ٨) خلق الأرض والسموات العلى . الرحمن على

العرش استوى . له مافى السموات ومافى الأرض وما بينهما وما تحته الثرى . وإن تجهر بالقول ، فإنه يعلم السر وأخفى . الله ، لا إله إلا هو . له الأسماء الحسنى) .

وقد ضل وخاب من افترى ، وأدخل هواء السفية الغاوى الجاهلى ، الذى هوى به إلى أسفل سافلين - وزعمه عقلا وعلماء - فخرق القول عن موضعه ، وقال فى الله وعلى الله بلا علم ، وضرب بعض كلام الله ببعض ، وزعم بكفره وجاهليته - بل ووثنيته - أنه وشياطينه من كفره الفرس واليونان وعبداء الأوثان ، يملعون عن الله وعما يليق به سبحانه من الجلال والعظمة ، والأسماء الحسنى - مالا يعلم ربنا . فزين لهم الشيطان أسوأ القول والعمل ، وألغو كلمة الله الحق ، وجعلوا موضعها كلمتهم أبطل الباطل وأكفر الكفر .

ثم زادهم الشيطان زيفاً وتوغلاً فى الكفر . فقالوا : إن إفكهم وإفك أشباههم : أعلم وأحكم من صريح كلام الله العربى المبين ، الذى فهمه خير خلق الله وأصفاهم ، وأهداهم وأتقاهم لربهم ، وأعلمهم به ، وأرشداهم وأحكمهم - بعد المرسلين - الذين اختارهم الله لصحبة خاتم أنبيائه وصفوة رسله ، ولحل الأمانة الكريمة فى هذا الوحي الذى أحكت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير . والحمد لله الذى أنقذنا من هذه الهاوية السحيقة ، وهدانا إلى الصراط السوى ، وأثار بصائرنا . وفقهنا فى كلامه ، وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم . فعرفنا ربنا بما عرفنا به . وهدانا به إلى الإيمان به . وإسلام الوجه وإخلاص العبادة والعمل والدعوة له وحده .

و « الذين اتقوا » هم الذين جعلوا أنفسهم فى وقاية مما يخافون ويحذرون من كل مؤذ وضار ، ومعوق ومانع من بلوغ العاقبة المرجوة ، والغاية المطلوبة الحمودة ، من العافية والأمن والسلام ، والحياة الطيبة ، والسعادة فى الأولى والأخرى .

و « التقوى » من « الوقاية » التى هى صيانة النفس وحفظها من الخوف الضار ، والاجتهاد فى السلامة منه ، بالأخذ بالأسباب الدافعة له المانعة من حصوله .

ولا يتم ذلك إلا بالحرص على المنافع الذى تتوفر بها أسباب العافية والفلاح ، وسعادة الأولى والأخرى .

وإنما يصح ذلك ، وينجح الإنسان به في حفظ نفسه من الخوف الضار الذي تكون عاقبته الخسران والشقاء ، وينجح في توفير النافع الذي تكون عاقبته السعادة ، والفلاح : باليقظة والعلم الذي يزكي النفس من ظلمات الجاهلية ، وينير البصيرة ، ويتميز به الضار من النافع ، والمنجى من المهلك ، والمربح من الخسر . والمسد من المشقى ، ورضوان الله من غضبه ، والضلال من الهدى ، والحق من الباطل . فيكونان من المحسنين ، الذي أحسنوا استعمال نعم الله على أوضاعها التي جعلها الله فيها . فقدروا النعم ، وشكروا الله المنعم بها .

فاليقظة : هي قوة حياة الروح والقلب ، وسلامتهما من أمراض الغفلة والنسيان والجهل بسنن الله الكونية ، وآياته في الأنفس والآفاق ، التي يكون منها الحجب والأكنة على القلوب . فتحول بينها وبين الفقه في آياته القرآنية .

فباليقظة وسلامة القلب يتأمل العبد في سنن الله الكونية ، ويتدبر ويفقه الآيات اللينات من الكتاب المبين . ويحرص على الفقه في سنة وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيعرف ربه بأسمائه وصفاته . فيثمر له ذلك العلم الصحيح بمقائق الأشياء التي هي كلها نعم من الله العليم الحكيم ، الغني الحميد ، وهي كلها ابتلاء منه سبحانه لعباده وفتنة . إذ هي آثار أسمائه الحسنى ، تجلى ربنا سبحانه بها على عبده ليعرف ربه معرفة صادقة ، تفرس في قلبه شجرة الإيمان الصادق الطيبة ، فيؤتيه ربه أكلها طيباً كل حين . فيزداد يقظة في حواسه الظاهرة والباطنة ، ويزداد علماً ومعرفة بربه وثباتاً و يقيناً في إيمانه وإذعانه وإسلام وجهه لله سبحانه في كل عمل ، وكل حال ، ليسكون صالحاً ، ويزداد بصيرة وهدى ونوراً في كل خطوة في سعيه إلى ربه .

فيوقن اليقين الأكيد : أن خلقه وتصويره وتسويته في أحسن تفويم - من تراب ثم من نطفة - وأن كل ما هو فيه من نعم وعافية في جسمه ولبه ومعناه ، وأن كل ما خلقه الله وبسر له ووفره ، وهياً له أسباب الحصول عليه والانتفاع به في أولاده وأخراه : كله من الله حسن وجميل . ليس فيه شيء ، ولا شر ولا قبيح . وأن القبح والشر والسوء إنما كان من سوء الاستعمال ، نتيجة الغفلة والنسيان والجهل بربه وسنن ربه وآيات ربه ، والإعراض عن العلم

الصحيح النافع الذى هيا الله له أسبابه فى الكون وفيما أوحى من رسالات ، وأنزل من كتب وأرسل من رسل لهداية الإنسان إلى التى هى أقوم فى استعمال هذه النعم ، وحسن الاستفادة بها ، و بلوغ الغاية المحمودة ، والحياة الطيبة الآمنة بها فى الأولى والأخرى .

وأن الفتنة والابتلاء بها وفيها ليعلم الصادق من الكاذب .

الصادق فى معرفته وعلمه اليقيني - الذى لا يحوم الشك حوله - أن الله رب العالمين قد فطر الإنسان وجبله على الرغبة والرغبة ، والحب والكره ، وأن الله ربه قد جعل فى كل ما يعطى للإنسان ، وما ينعم عليه به - فى جسمه وبهيمته ، ومعناه وروحانيته - ناحية يرغب فيها ويحبها ، وناحية يرهبها ويخافها ويكرهها . وأن هذا هو البلاء والامتحان ، وأنه سبحانه قد أعطى الإنسان من البصر والبصيرة ، ومن التفكير والتدبر ، ومن علوم السنن الكونية ويسر له من علوم الرسالات والشرائع والكتب المنزلة ، وهدى المرسلين : ما يسر على الإنسان وسهل له السبيل إلى معرفة ما يكره ويخاف ، فينتقيه ويحذره ، ويتباعد عنه ، وعن كل دواعيه ، وما يقرب منه . ويسر له السبيل إلى معرفة ما يرغب ويحب لمعادته وفلاحه ونجاحه ، وفوزه بسعادة الأولى والأخرى ، فيسعى إليه ، ويعمل جاهداً على تحصيله ، واستكمال أسباب الحياة الطيبة ، وتوفير ما يكفل الله به السعادة فى الأولى والأخرى .

وبذلك يحرص الإنسان أشد الحرص على كل الأسباب التى يبلغه الله بها هذه الغاية ، وينجو بها من شقاء الأولى والأخرى .

وأول خطوة فى هذه الطريق : هو تحطيم أغلال التقليد الأعمى للآباء والشيوخ والجاهلير ، وتزكية النفس وتطهيرها - فى حرص ويقظة وقوة - من آثار هذا التقليد وغفلته ، وظلماته الجاهلية ، وما بث فى جوها شياطين الجن والإنسان من كفر وفسوق وعصيان ، وفاحشة ومنكر ، وأشدّها فحشا ونكرا : اعتقاد أن الله حرمه من الفقه والفهم لرسالة رسله ، وحال بينه وبين التدبر والتفكير فى آياته الكونية وسننه ، فى حين أنه - سبحانه - خص بذلك غيره ، لا بسبب خموله وركوده وإعراضه ، وغفلته وموت قلبه ، بل بسبب الزمان أو

المكان ، أو ما يوحى به شياطين الجن والإنس من أسباب وهمية لا تمت إلى الحقيقة والواقع بأى صلة . بل الحقيقة والواقع فى خلق الله وربوبيته للجميع ، وتهيئة أسباب الحياة الجسمية المميشية للجميع على سواء : تدل أبين الدلالة ، وتنادى أوضح النداء وأصرحه : أن كتاب الوجود مفتوح الصفحات لكل من يريد التأمل والتفكر ، وكتاب الفرقان مفتوح الصفحات لكل من يريد العلم والهدى والرحمة ، وشفاء القلب ، والفقه والتدبر والاهتداء إلى التى هى أقوم . فالكل عبد الله .

فإذا ما حطم أغلال هذا التقليد ، وزكى نفسه من آثاره التى مات بها القلب وتعفن : أعانه الله ربه على تمزيق أكفان الأوهام والخرافات الجاهلية ، وخدع الطواغيت وكيدهم بما يحولون بين الناس وبين هدى الله ربهم ، لتبقى طاغوياتهم . وخرج منها ليه وقلبه ومعناه الإنسانى الكريم مفكراً ومتدبراً ، ومتفكراً ، ومستضيئاً بهدى الفطرة . فيمده الله بهدى الوحي والرسالة ونورها المشرق ، وتحقق له اليقظة الانسانية الكريمة . فيكون صادقاً فى علمه ومعرفته ، صادقاً فى يقينه وإيمانه وإذعانه وإسلامه . لأنه بنفسه فكر ، وبنفسه تدبر وتفقه ، وبنفسه تأمل وتبصر ، فعرف الحق فى كل ما خلق الله فى هذا الوجود ، وأخذ النعم على الوجه الحق الذى جعله الله فيها : فكان من المحسنين فى استعمال النعم . والارتفاع بها . وكان من الصابرين الواقفين بثبت وتفكر فى هذه النعم ومسديها بأسمائه الحسنى . فكان من الشاكرين . وكان الله معه المعية الخاصة بولايته ، وزيادته هدى على هدى ، وتوفيقاً على توفيق ، وتثبيتاً على تثبيت ، واستقامة على استقامة ، وإعازة من الأهواء الجاهلية ، والشهوات البهيمية ، ومن مكاييد شياطين الجن والإنس وما يغترون به من زخرف القول وزيفه . أما الكاذبون : فهم المقلدون الجاهليون . الذين اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . لا يرضون إلا ما يشرعون لهم من الدين الباطل مالم يأذن به الله ، مهما لقوا فى سبيلهم وسعيهم بهذا الدين الباطل من أوحى العواقب وشر النتائج ، ومهما قرعتهم قوارع العبر من الحوادث التى تنطق بأنها من آثار غضب الله ولعنته ، فهم مصرون على صمهم وعمامهم وبكمهم ، قد انسلخوا من آيات الله الكونية فى الأنفس والآفاق ، وأعرضوا - فى

استكبار واستهتار - عن آيات الله المنزلة ، وشرائعه المحكمة ، ورسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم . فتوحيدهم شرك ووثنية ، وصلاتهم هزؤ وسخرية . وعبادتهم لهو ولعب ، وقراءتهم للقرآن موسيقى وأغاني ، يتبعون كل ناعق ، ويميلون مع كل ريح ، ولو كانت ريح أعدى الأعداء ، وأبغض البغضاء ، وأنى لهم أن يفرقوا بين العدو والحبيب ، والمسلم والمحارب ؟ إنها لاتعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . فهم الذين عناهم الله بقوله (٢ : ٨ - ١٦) ومن الناس من يقول : آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض . فزادهم الله مرضاً . ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم : لا تفسدوا في الأرض ، قالوا : إنما نحن مصلحون . ألا إنما هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم : آمنوا كما آمن الناس . قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ إلا إنهم هم السفهاء ، ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا ، قالوا : آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم ، قالوا : إنا معكم . إنما نحن مستهزئون . الله يستهزئ بهم ، ويمدهم في طغيانهم يعمهون . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) (٧ : ١٧٩) لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها : أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) (٩ : ٥٦ ، ٥٧) ويخلفون بالله : إنهم لمنكم . وما هم منكم ، ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مداخلًا لو آوؤا إليه وهم يجمعون) (١٠ : ١٨) ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل : أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والافى الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) (١٠ : ٤٢ - ٤٣) ومنهم من يستمع إليك ، أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ؟ ومنهم من ينظر إليك ، أفأنت تهدى العمى ، ولو كانوا لا يبصرون ؟ إن الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون) (١٠ : ٣٦) إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) (١٨ : ٥٧) ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها ، ونسى ما قدمت يدها ، إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً . وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً)

(١٨ : ١٠١ - ١٠٦ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى ، وكانوا لا يستطيعون سمعا ،
أنحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ؟ إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزْلاً ،
قل : هل أنبئكم بالآخرين أعمالا ؟ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم
يوم القيامة وزناً ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا ، واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) .
(٢٠ : ١٢٣ - ١٢٧ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن
له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال : رب ، لم حشرتني أعمى وقد كنت
بصيراً ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها . وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف
ولم يؤمن بآيات ربه . ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) (٢١ : ١ - ٣ اقرب للناس حسابهم
وهم فى غفلة معرضون . ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون .
لا هية قلوبهم) (٢٢ : ٣ ، ٤ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ويتبع كل شيطان
مريد ، كُتِبَ عليه أنه من تولاه فأنه يضله . ويهديه إلى عذاب السعير) (٢٥ : ٤٣ ، ٤٤
أرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفأنت تكون عليه وكيلاً ؟ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون
أو يعقلون ؟ إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً) (٨٥ : ١٩ استحوذ عليهم الشيطان
فأنساهم ذكر الله . أولئك حزب الشيطان . ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .
أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنى وإياكم من الصادقين ، وأن يعيذنى
وإياكم من هذا الكذب والكاذبين ، وأن يجعلنا - بفضلہ ورحمته وهداه وتوفيقه - من
الصادقين ، المؤمنين المتقين ، الخاشعين ، الصابرين المحسنين المجاهدين ومن أوليائه وحزبه
المفلحين ، ويثبتنا على هداه ، وهدى عبده الكريم ورسوله الصادق المصدق . صلى الله
وبارك عليه وسلم وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمّد النقي

إنما الأعمــــــــــــــــال بالنيات (٢)

شرحه هذا الشرح الممتع

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله ورضى عنه

فصل

وأما قوله تعالى (٨ : ٢) إنما المؤمنون الذين إذا ذكروا الله وُجِلَتْ قلوبهم . وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) فقد أثبت فيها الإيمان لهؤلاء ونفاه عن غيرهم ، كما نفاه النبي صلى الله عليه وسلم عن نفاه عنه في الأحاديث . مثل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني - حين يزني - وهو مؤمن . ولا يسرق السارق - حين يسرق - وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر - حين يشربها - وهو مؤمن . فأياكم » وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « لا إيمان لمن لا أمانة له . ولا دين لمن لا عهد له » .

ومن هذا الباب قوله تعالى (١٥ : ٤٩) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا . وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وقوله تعالى (٢٤ : ٦٢) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله . وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله . فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله . إن غفور رحيم) .

وهذه المواضع : قد تنازع الناس فيها .

والذي عليه جماهير السلف ، وأهل الحديث وغيرهم : أنه نفي الإيمان لا انتفاء بعض الواجبات فيه . والشارع دائماً لا ينفى المسمى الشرعي إلا لا انتفاء واجب فيه .

وإذا قيل : المراد بذلك نفي الكمال . قال الكمال نوعان : واجب ، ومستحب . فالمتحجب : كقول بعض الفقهاء : الفصل ينقسم إلى كامل ومجزئ ، أى كامل المستحبات . وليس هذا الكمال هو المنفى في لفظ الشارع ، بل المنفى هو الكمال الواجب . وإلا

قال شارح لم ينف الإيمان ، ولا الصلاة ، ولا الصيام ، ولا الطهارة ، ولا نحو ذلك - من المسيمات الشرعية - لانتفاء بعض مستحباتها . إذ لو كان ذلك كذلك لانتفى الإيمان عن جواهر المؤمنين . بل إنما نفاه لانتفاء الواجبات . كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صيام لمن لم يبيت ثبة الصيام » و « لا صلاة إلا بأمر القرآن » .

وقد رويت عنه ألفاظ تنازع الناس في ثبوتها عنه . مثل قوله « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل » وقوله « لا صلاة إلا بوضوء » و « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » وقوله « لا صلاة لجار المسجد ، إلا في المسجد » .

ومن ثبتت عنده هذه الألفاظ : فعليه أن يقول بموجبها . فيوجب ما تضمنته من التبييت وذكر اسم الله على الوضوء ، وإجابة المؤذن ، ونحو ذلك .

ثم إذا ترك الإنسان بعض واجبات العبادة . فهل يقال : بطلت كلها ، فلا ثواب له عليها ، أم يقال : يثاب على ما فعله ، ويعاقب على ما تركه ؟ وهل عليه إعادة ذلك ؟ هذا يكون بحسب الأدلة الشرعية . فمن الواجبات في العبادة : ما لا تبطل العبادة بتركه ، ولا إعادة على تاركه ، بل يجبر المتروك ، كالواجبات في الحج التي ليست أركاناً ، مثل رمي الجمار ، وأن يكون الإحرام من الميقات ، وأن يحرم من غير الميقات . ونحو ذلك .

وكذلك الصلاة عند الجمهور كالك وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم - رحمهم الله - فيها واجب لا تبطل الصلاة بتركه عندهم . كما يقوله أبو حنيفة في الفاتحة والطمأنينة . وكما يقوله مالك وأحمد في التشهد الأول .

لسكن مالك وأحمد يقولان : ما ترك من هذا سهواً ، فعليه أن يسجد للسهو . وأما إذا تركه عمداً فتبطل صلاته ، كما تبطل الصلاة بترك التشهد الأول عمداً في المشهور من مذهبهما أي مالك وأحمد .

لسكن أصحاب مالك يسمون هذا سنة مؤكدة . ومعناه : معنى الواجب عندهم . وأما أبو حنيفة ، فيقول : من ترك الواجب الذي ليس بفرض عمداً ، أساء ولا إعادة عليه والجمهور يقولون : لا نهى في العبادات واجبا فيها يتركه الإنسان إلى غير بدل ولا إعادة عليه . فلا بد من وجوب البدل ، أو الإعادة .

لكن مع هذا : فقد اتفق الأئمة على أن من ترك واجبا في الحج ليس بركن ، ولم يجبره بالدم الذى عليه : لم يبطل حجه . ولا تجب إعادته .

فهكذا يقول جمهور السلف وأهل الحديث : إن من ترك واجبا من واجبات الإيمان الذى لا يناقض أصول الإيمان : فعليه أن يجبر إيمانه ، إما بالتوبة ، وإما بالحسنات المكفرة . قال كبار : يتوب منها . والصفائر : تكفرها الصلاة ، والصدقة ، والصيام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فإن لم يفعل لم يحبط إيمانه جملة .

وأصلهم : أن الإيمان يتبعض ، فيذهب بعضه ويبقى بعضه ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » ولهذا مذهبهم : أن الإيمان يتفاضل ويتبعض . هذا مذهب مالك والشافعى وأحمد وغيرهم رحمهم الله .

وأما الذين أنكروا تبعيضه وتفاضله ، فإنهم قالوا : متى ذهب بعضه ذهب سائر . ثم انقسموا حزينين . فقالت الخوارج والمعتزلة : فعل الواجبات وترك المحرمات من الإيمان . فإذا ذهب بعض ذلك ذهب الإيمان كله . ولا يكون مع الفاسق إيمان أصلا بحال . ثم قالت الخوارج : هو كافر .

وقالت المعتزلة : ليس بكافر ولا مؤمن ، بل هو فاسق ، نزل منزلة بين المنزلتين . فخالفوا الخوارج في الاسم . ووافقهم في الحكم . وقالوا : إنه مخلد في النار . لا يخرج منها بشفاعاة ولا غيرها .

والحزب الثانى : وافقوا أهل السنة على أنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد . ثم ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الإيمان ، لا اعتقادهم أن الإيمان لا يتبعض . فقالوا : كل فاسق فهو كامل الإيمان . وإيمان جميع الخلق متماثل لا متفاضل . وإنما التفاضل في غير الإيمان من الأعمال .

وقالوا : الأعمال ليست من الإيمان . لأن الله فرق بين الإيمان والأعمال في كتابه . ثم قال الفقهاء المعتبرون من أهل هذا القول : إن الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان . وهذا هو المنقول عن حماد بن أبى سليمان . ومن وافقه . كأبى حنيفة وغيره .

وقال جهنم بن صفوان ، والصالحى ، ومن وافقهما من أهل الكلام - كآبى الحسن الأشعري وغيره - إنه مجرد تصديق القلب ومعرفة القلب .

وفصل الخطاب فى هذا الباب : أن اسم « الإيمان » قد يذكر مجرداً . وقد يذكر مقروناً بالعمل أو بالإسلام . فإذا ذكر مجرداً تناول الأعمال . كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة . أعلاها قول لا إله إلا الله . وأدناها إمطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان » .

وفى الصحيحين أيضاً : أنه صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبد القيس « آمركم بالإيمان بالله . أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ماغنمتم » .

وإذا ذكر مع « الإسلام » كما فى حديث جبريل أنه « سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، والإسلام ، والإحسان » ففرق بينهما . فقال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . والبعث واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » وقال له « الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت - الخ » .

وفى المسند عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب » فلما ذكرهما جميعاً جعل « الإيمان » فى القلب ، و « الإسلام » ما يظهر من الأعمال . وإذا أفرد « الإيمان » أدخل فيه الأعمال الظاهرة . لأنها لوازم مافى القلب ، وأنه متى ثبت الإيمان فى القلب ، والتصديق بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم : وجب حصول مقتضى ذلك ضرورة . فإنه ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وقلبات لسانه . فإذا ثبت التصديق فى القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه ألبته . ولا تستقر معرفة تامة ومحبة صحيحة ، ولا يكون لها أثر فى الظاهر . ولهذا ينبى الله الإيمان عن انتفت عنه لوازمه . فإن انتفاء اللزوم يقتضى انتفاء اللزوم . كقوله تعالى (٥ : ٨١) ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) وقوله (٥٨ : ٢٢) لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر

يؤادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم ، أو عشيرتهم . أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه . ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله . ألا إن حزب الله هم المفلحون) ونحوها .
فالظاهر والباطن متلازمان ، لا يكون الظاهر مستقيماً إلا مع استقامة الباطن . وإذا استقام الباطن فلا بد أن يستقيم الظاهر .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد كله ، وإذا أفسدت فسد لها الجسد كله . ألا وهي القلب » .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن رآه يعيث في صلاته « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » .

وفي الحديث « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه » .

فلهذا كان الظاهر لازماً للباطن من وجه ، وملزوماً له من وجه . وهو دليل عليه من جهة كونه ملزوماً ، لا من جهة كونه لازماً . فإن الدليل ملزوم للمدلول عليه . يلزم من وجود الدليل وجود المدلول ، ولا يلزم من وجود الشيء وجود ما يدل عليه . فالدليل يطرد ولا ينعكس . بخلاف الحد . فإنه يطرد وينعكس .

وتنازعوا في العلة : هل يجب طردها ، بحيث تبطل بالتخصيص والاتقاض ؟ .
والصواب : أن لفظ « العلة » يعبر به عن العلة التامة . وهو مجموع ما يستلزم الحكم . فهذه يجب طردها . ويعبر به عن المقتضى للحكم الذي يتوقف اقتضاؤه على ثبوت الشروط وانتفاء الموانع . فهذه إذا تخلف الحكم عنها - لفوات شرط ، أو وجود مانع - لم تبطل ، بل النقص بالفرق ، وإن تخلف عنها لغير ذلك : بطلت .

وكذلك تنازعوا في انعكاسها . لجواز تعليل الحكم بعلتين .
وقيل : يجب الانعكاس . لأن الحكم متى ثبت مع عدمها لم تكن مؤثرة فيه ، بل كان غنياً عنها . وعدم التأثير مبطل للعلة .
وكثير من الناس يقول : بأن عدم التأثير يبطل العلة .

ويقول : بأن العكس ليس بشرط فيها .

وآخرون يقولون : هذا تناقض .

والتحقيق في هذا : أن العلة إذا عُدمت عدم الحكم المتعلق بها بعينه ، لكن يجوز وجود مثل ذلك الحكم بعلّة أخرى . فإذا وجد ذلك الحكم بدون علة أخرى : علم أنها عديمة التأثير ، وبطلت .

وأما إذا وجد نظير ذلك الحكم بعلّة أخرى : كان نوع ذلك الحكم معللاً بعلتين . وهذا جائز . كما إذا قيل في المرأة المرتدة : كفرت بعد إسلامها . فتقتل ، قياساً على الرجل . تقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً فيقتل بها » . فإذا قيل له : لا تأثير لقولك « كفر بعد إسلامه » فإن الرجل يقتل بمجرد الكفر . وحينئذ : فالمرأة لا تقتل بمجرد الكفر .

فنقول : هذه علة ثابتة بالنص . وبقوله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه » وأما الرجل : فما قتله لمجرد كفره . بل لكفره وجرائته . ولهذا : لا أقتل من لم يقاتل . لقوله صلى الله عليه وسلم - لما وجد امرأة مقتولة في بعض مغازيه - « ما كانت هذه لتقاتل » ولهذا لا أقتل من كان عاجزاً عن القتال ، كالشيخ الكبير الهرم ونحوه .

وأما الكفر بعد الإسلام : فعلة أخرى مبيحة للعدم . ولهذا أقتل بالردة من كان عاجزاً عن القتال ، كالشيخ الكبير . وهذا قول مالك وأحمد .

وإن كان ممن يرى أن مجرد الكفر يبيح القتل - كالشافعي - قال : الكفر وحده علة ، والكفر بعد الإيمان علة أخرى .

وليس هذا موضع بسط هذه الأمور . وإنما ننبه عليها .

والمقصود هنا : أن لفظ « الإيمان » يختلف دلالاته بالإطلاق والاقتران . فإذا أطاق مع العمل : أريد به أصل الإيمان المفتضى للعمل . وإذا ذكر وحده : دخل فيه لوازم ذلك الأصل وكذلك إذا ذكر بدون « الإسلام » كان « الإسلام » جزءاً منه . وكان كل مسلم مؤمناً .

وإذا ذكر لفظ «الإسلام» و «الإيمان» تميز أحدهما عن الآخر . كما في حديث جبريل . وكما في قوله تعالى (٣٣ : ٣٥) إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) .

ولهذا نظائر . كلفظ «المعروف» و «المنكر» و «العدل» و «الإحسان» وغير ذلك ففى قوله تعالى (٧ : ١٥٧) يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر (يدخل فى لفظ «المعروف» كل مأمور به . وفى لفظ «المنكر» كل منهى عنه .

وفى قوله تعالى (٢٩ : ٤٥) إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (جعل «الفحشاء» غير «المنكر» والبغى . وفى قوله (١٦ : ٩٠) وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى (جعل الفحشاء : غير المنكر والبغى .

وإذا قيل : هذا من باب عطف الخاص على العام ، والعام على الخاص : فللناس هنا قولان .

منهم من يقول : الخاص دخل فى العام ، وخص بالذكر . فقد ذكر مرتين .

ومنهم من يقول : تخصيصه بالذكر يقتضى أنه لم يدخل فى العام .

وقد يعطف الخاص على العام . كما فى قوله تعالى (٢ : ٩٨) من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال (وقوله (٣٣ : ٧) وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى ، وعيسى ابن مريم) .

وقد يعطف العام على الخاص . كما فى قوله تعالى (٣٣ : ٢٧) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطووها) .

وأصل الشبهة فى الإيمان : أن القائلين بأنه لا يتبع بعض ، قالوا : إن الحقيقة المركبة من أمور ، متى ذهب بعض أجزائها : انتفت تلك الحقيقة ، كالعشرة المركبة من آحادها . فلو قلنا : إنه يتبع بعض لزوم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها .

فيقال لهم : إذا زال بعض أجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية الحاصلة بالتركيب ، لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء .

والإيمان المؤلف من الأقوال الواجبة ، والأعمال الواجبة الباطنة والظاهرة : هو المجموع الواجب الكامل . وهذه الهيئة الاجتماعية تزول بزوال بعض الأجزاء . وهذه هى المنية فى .

الكتاب والسنة بمثل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » .
وعلى ذلك جاء قوله تعالى (٤٩ : ١٥) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله - الآية)
ولكن لا يلزم أن تزول سائر الأجزاء ، ولا أن سائر الأجزاء الباقية لا تكون من
الإيمان بعد زوال بعضه . كما أن واجبات الحج من الحج الواجب الكامل ، وإذا زالت
زال هذا الكمال ، ولم يزل سائر الحج .

وكذلك الإنسان الكامل يدخل في مسماه أعضاؤه كلها ، ثم لو قطعت يده ورجلاه
لم يخرج عن اسم الإنسان ، وإن كان قد زال منه بعض ما يدخل في الاسم الكامل .
وكذلك لفظ « الشجرة » و « الباب » و « البيت » و « الحائط » وغير ذلك : يتناول
المسمى في حال كمال أجزائه . وبعد ذهاب بعض أجزائه .

وبهذا تزول الشبهة التي أوردها الرازي ، ومن اتبعه - كالأصبهاني وغيره - على الشافعي
فإن مذهبه في ذلك مذهب جمهور أهل الحديث والسلف .
وقد اعترض هؤلاء بهذه الشبهة الفاسدة على السلف .
والإيمان يتفاضل من جهة الشارع . ومن جهة العبد .

أما من جهة الشارع ، فليس ما أمر الله به كل عبد هو ما أمر به غيره . والإيمان الذي
يجب على كل عبد يجب على غيره . بل كانوا في أول الإسلام يكون الرجل مؤمناً تام الإيمان
مستحقاً للثواب إذا فعل ما أوجبه الله عليه ورسوله ، وإن كان لم يقع منه التصديق المفصل
بما لم ينزل من القرآن ، ولم يهزم رمضان . ولم يحج البيت . كما أن من آمن في زماننا هذا
إيماناً تاماً ، ومات قبل دخول وقت صلاة عليه ، مات مستكلاً للإيمان الذي وجب عليه ، كما
أنه مستحق للثواب على إيمانه ذلك .

وأما بعد نزول ما نزل من القرآن ، وإيجاب ما أوجبه الله ورسوله من الواجبات ، ونتمكن
العبد من فعل ذلك : فإنه لا يكون مستحقاً للثواب بمجرد ما كان يستحق به الثواب قبل ذلك
فلذلك يقول هؤلاء : لم يكن هذا مؤمناً بما كان مؤمناً به قبل ذلك . وهذا لأن
الإيمان الذي شرع لهذا أعظم من الإيمان الذي شرع لهذا . وكذلك المستطيع للحج يجب

عليه ما لا يجب على العاجز عنه . وصاحب المال يجب عليه من الزكاة ما لا يجب على الفقير . ونظائره متعددة .

وأما تفاضله من جهة العبد : فتارة يقوم هذا من الإقرار والعمل بأعظم مما يقوم به هذا . وكل أحد يعلم أن مافي القلب من الأمور يتفاضل . حتى إن الإنسان يجد نفسه أحيانا أعظم حبا لله ورسوله ، وخشية لله ورجاء لرحمته ، وتوكلا عليه ، وإخلاصا له منه في بعض الأوقات .

وكذلك المعرفة والتصديق يتفاضلان في أصح القولين . وهو أصح الروايتين عن أحمد . وقد قال غير واحد من الصحابة ، كعمرو بن حبيب الخطمي وغيره « الإيمان يزيد وينقص . فإذا حمدنا الله ، وسبحناه ، وذكرناه : فتلك زيادته . وإذا غفلنا ونسينا وضعنا : فذلك نقصانه »

وعلى هذا : سن الاستثناء في الإيمان . فإن كثيراً من السلف من الصحابة والتابعين استثنوا في الإيمان ، وآخرون أنكروا الاستثناء فيه . وقالوا : هذا شك .

والذين استثنوا فيه ، منهم من أوجبه . ومنهم من لم يوجبه ، بل جوز تركه باعتبار حالين . وهذا أصح الأقوال .

وهذان القولان في مذهب أحمد وغيره .

فمن استثنى لعدم علمه أنه قائم بالواجبات كما أمر الله ورسوله : فقد أحسن . وكذلك من استثنى لعدم علمه بالعاقبة .

وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله . لا شكاً .

ومن جزم بما هو في نفسه في هذه الحال - كمن يعلم من نفسه أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - فجزم بما هو متيقن حصوله في نفسه : فهو محسن في ذلك .

وكثير من منازعات الناس في مسائل الإيمان ، ومسائل الأسماء والأحكام : منازعات لفظية . فإذا فصل الخطاب ، زال الارتياب . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(يتبع)

الرسالة المقدسية والكلمات القدسية

للإمام المحقق شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر

ابن قسيم الجوزية

رحمه الله ورضي عنه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

الحمد لله كاشف الكربات ، ومنزل البركات ، ومقيل العثرات ، ومجيب الدعوات ، وغافر الخطيئات ، الذي بنعمه تتم الصالحات ، وبفضله ونعمته تستجلب الخيرات ، الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يذهب بالسيئات إلا هو (١٠ : ١٠٧) وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فرق سبحانه بين ما يقضيه من الشر وما يقضيه من الخير ، فقال في الخير « وإن يردك بخير » وقال في الشر « وإن يمسك الله بضر » وهذا فيه أمران :

أحدهما : أن الخير والشر كل بقضائه وقدره ، والخير يضاف إليه إرادة ومحبة ورضا . وأما الشر : فلا يضاف إلا إلى مفعولاته . لا يضاف إلى صفاته ، ولا إلى أفعاله ، ولا إلى أسمائه وصفاته . فصفاتها كلها صفات كمال ، لا نقص فيها بوجه ما . وأفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والرحمة ، والمصلحة والعدل ، لا تخرج عن هذه الأقسام . فليس فيها شيء هو عبث ولا مفسدة ولا شر . ولو كان في أفعال الله سبحانه شر لاشتق له منه اسم ، لكن أسماء كلها حسنى ، كما قال سبحانه (٧ : ١٨٠) والله الأسماء الحسنى) فليس فيها اسم سيئ بوجه ما . كما أنه ليس في أفعاله فعل قبيح ، ولا شر ، ولا عبث .

ومن فهم هذا عرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم ، في الحديث الصحيح « والشر ليس إليك » وأن المعنى أجل مما فسر به من فسر به أن الشر لا يتقرب به إليك ، ولا يصعد إليك . فإن هذا - وإن كان حسنا - لكنه لا يتضمن من الثناء عليه سبحانه ، والتعظيم

والتنزيه له : ما يتضمنه تنزيهه سبحانه عن الشر في أفعاله وإرادته ، وحكمته وعدله ، وأنه يستحيل إضافة الشر إلى شيء منها .

فإن الشرسية : إما جهل ، أو حاجة ، أو نقص في الطبيعة ، مرجعه إلى الحاجة . فيستحيل إضافته إلى الغنيّ الحميد الذي له الغنى المطلق التام ، والعلم المحيط بكل شيء والكمال الذي لا كمال فوقه . فمن أين يضاف إليه الشر ؟ .

وأيضاً : فإنه سبحانه له الحمد كله . فهو مستحق لجميع أنواع الحمد . فليس في الإمكان حمد إلا وهو أهله ومستحقه ، ومن كان هكذا استحال أن يضاف إليه شر .

فقوله صلى الله عليه وسلم « والشر ليس إليك » في التنزيه : نظير تنزيهه نفسه سبحانه عن الظلم بقوله (٢١ : ٤٦ وما ربك بظلام للعبيد) .

ومن تأمل طريقة القرآن في مثل قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) عرف كيف أضاف النعمة إليه ، وحذف فاعل الغضب ، وبين فعله للفعل ؟ مع أن غضبه سبحانه ليس بشرّ قائم به . بل هو عدل وحكمة ، فهو خير وكال من هذه الجهة .

وأما بالنسبة إلى المغضوب عليهم : فهو شر لهم . ومع هذا فقال « غير المغضوب عليهم » ثم قال « ولا الضالين » فأضاف الضلال إلى محله القائم به وهو المباشر له ، المتصف به . ونظير هذا : قول الخضر لموسى عليهما السلام (١٨ : ٧٩ أما السفينة : فكانت لمساكين يعملون في البحر . فأردت أن أعيبها) وقال في إصلاح الجدار (١٨ : ٨٢ وأما الجدار : فكان لفلانين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما . وكان أبوهما صالحاً . فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ، ويستخرجا كنزهما . رحمة من ربك) فأضاف عيب السفينة إليه ، وأضاف بلوغ الأشد من الفلامين ، واستخراجهما كنزهما ، إلى ربه . وقال في الفلام الذي قتله (فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة) . فإنه باشر قتله بيده . فأراد أن يبدلها الله خيراً منه . وهذا التبديل خارج عن محل قدرته . وليس متولداً من السبب المباشر ، بل التبديل مراد لله عز وجل ، الذي يخلق بدله . فلم يخص نفسه بإضافة ذلك إليه . ولما باشر السبب

الذى يُفَضَّى إلى التبديل بيده : كان مريداً له ولمُسَبِّهه . فقال (فأردنا أن يبدلها ربهما) والله أعلم بأسرار كلامه .

ونظير هذا : قول خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم لقومه (٢٦ : ٧٥ - ٨٠ أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ؟ فإنهم عدو لي ، إلا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطمئنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين) فأضاف الخلق ، والهداية ، والإطعام والسقيا ، والشفاء إلى ربه للنعم بذلك . وأضاف المرض إلى نفسه . وليس هو من جنس النعم المتقدمة . تأديباً مع ربه أن يقول « وإذا أمرضى » تأديب الحب مع حبيبه .

ومثل هذا قول مؤمنى الجن (٧٢ : ١٠) وأنا لا ندرى أشعر أريد بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشداً ؟) فحذفوا الفاعل فى إرادة الشر ، تأديباً مع الله ، وأضافوا إرادة الرشد إلى ربهم .

ويبلغ هذا إلى ما هو أطف وأدق ، كقوله تعالى (٢ : ١٨٧ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) وقوله (٤ : ٢٤ أحل لكم ماوراء ذلكم : أن تبتغوا بأموالكم) فحذف الفاعل عند ذكر « الرفث » وهو الجماع . وصرح به عند إحلال العقد .

وقال تعالى (٥ : ٣ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) فحذف الفاعل عند ذكر هذه الأمور . وقال (٦ : ١٥١ قل : تعالوا أنل ما حرّم ربكم عليكم : أن لا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً) وقال (٢ : ٢٧٥ وأحل الله البيع وحرم الربا) ونظائر ذلك كثيرة فى القرآن .

والأمر الثانى : محض التوحيد ، وإفراد الرب سبحانه بالخلق ، والأمر . وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . وأنه هو الذى يصيب عبده بالخير والشر . وأنه لا دافع لما أصاب به العبد من الشر ، ولا صارف له ، ولا كاشف له سواء . وهذا يوجب على العبد إيمانه وتصديقه به : أن لا يخاف غيره ، ولا يخشى سواه ، ولا يبقى فى قلبه خوف من مخلوق أصلاً . ويوجب عليه : أن لا يعلق رجاء بغيره أصلاً . فإن الذى يرجوه العبد ويخافه : إنما يرجوه لكشف ضرّه ، والإحسان إليه ، ولحفظ نعمته به . فإذا تيقن العبد أنه لا يكشف سوء

إلا الله ، ولا يأتى بالחסنات إلا هو ، ولا يطيق أهل السموات والأرض أن يردوا فضله الذى يسوقه إلى عبده . فأى معنى لخوفهم ورجائهم بعد ذلك ؟ .

فهذان الأصلان يوجبان للعبد حقيقة التوحيد ، ويرميانه على طريق المحبة ، ويسوقانه إلى ربه وهو تأم على فراشه . ولا يزال أثرهما وموجبهما يقوى عنده حتى يصير سائراً إلى ربه فى نومه ويقظته ، وقيامه وقعوده ، وحركته وسكونه . كما قال بعض السلف : حبذا نوم الأكياس ، وفطرهم . كيف يقيسون به سهر المحتفى وصومهم ؟ .

وفى مثل هذا قيل :

ومن لى بمثل سـيرك المدلل نمشى رويداً ونجىء فى الأول

وما لم يباشر القلب روح المحبة ، وحلاوة الإيمان بالله ، والسكون إليه ، والطمأنينة بذكره : فهو القلب المعذب ، الذى لاراحة له ولا نعيم ، ولا لذة أصلاً . وإن ظن أن ماهو فيه خير ولذة ، وسرور وبهجة ، فهو غالط من وجوه عديدة .

منها : أن ذلك القلب محشو بالآلام ، والحسرات ، والهموم ، والغموم . وإنما يباشر تلك المروحات ليدفع بها عنه ماهو فيه من الكرب والغم . وهو لا يندفع بها . وإنما يتوارى ويستتر . فإذا أقلمت عنه تلك اللذة - التى هى لذة ساعة - طلعت جيوش الأحزان والهموم ، واستولى ساطانها عليه ، فسعى فى إزالتها بنظير ماباشره أو مثله ، أو مايقوم مقامه ، فلا يزال فى هم وغم حتى يحصل له ذلك . فإذا حصل فهو خائف من ذهابه . وهو لا يدوم . فإذا ذهب فهو حزين على فقدته ، فلا يزال مغموراً بواردات الهموم والغموم ، والخواف ، والأحزان ، كلما برىء من داء منها ظهر به داء آخر . كما قيل :

إذا بَلََّ من داء به ظن أنه نجى ، وبه الداء الذى هو قاتله

ولا تزال هذه الحالة حاله ، حتى إنه يجعل تناول اللذات والشهوات من باب التداوى . فلا يجد بها لذة ، كما يحصل للمدمنى الخمر وغيره . فإن أحدهم إذا ترك ذلك أقبلت جيوش الهم والغم إلى قلبه من كل جانب ، فيداوئها بالمعاودة على كُـرِّه ، أو على غير شهوة . كما قال قائدهم فى ذلك :

وكأْس شَرِبْتُ على لذة وأخرى تداوَيْتُ منها بها

ثم يقوى ذلك إلى أن تصير تلك المآرب نفسها عذاباً حاضراً في قلبه ، لا يجد منه انفكاكاً . وقد صدق القائل الخبير بذلك في قوله :

مآرب كانت في الشباب لأهلها عذاباً . فصارت في المشيب عذاباً
ولا خلاص من هذا ، ولا انفكاك ، إلا بقرّة العين بالله ، والإنابة إليه ووجدان حلاوة
محبه ومعرفته ، والأنس به ، وصرف النوازع القلب وجواذب الإرادات إليه . فذلك قرّة
العيون ، وسرور القلوب ، ونعيم الروح وكلها ، الذي لا كمال لها سواء ، ولا فلاح لها
بدونه أصلاً .

قال بعض السلف « من قرّت عينه بالله ، قرّت به كل عين . ومن لم تقرّ عينه بالله
تقطعت نفسه على الدنيا حشرات » .

فالروح والريحان ، والسرور واللذة ، والتعيم كله في الأنس بالله ، والإقبال عليه ،
والإنتطاق إليه .

قال بعض السلف « في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة » .
ومن فهم هذا فهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم - وقد نهى عن الوصال - فقالوا :
« إنك تواصل » فقال « إني لست كهيتكم . إني أظل عند ربّي يطعمني ويسقيني »
وليس هو كما ظنه بعض الغالطين : أن هذا طعام وشراب يؤكل ويشرب بالفم ، وينزل
إلى المعدة ، لوجوه عديدة .

منها : أن هذا لو كان كما ظنه من ظنه لم يكن وصلاً .
ومنها : أنه لا يكون صائماً أيضاً فإنه قال « أظل عند ربّي يطعمني ويسقيني » و« ظل »
إنما هي للفعل النهاري دون الليل .

ومنها : أن الطعام والشراب - الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنما هو
ما يفيضه الله سبحانه على روحه الكريم من المعارف والأحوال ، والتنزلات التي لا ينبغي
مثالها لغيره . وهي توجب من قوة البدن وعيشه ، وعيش الروح ولذتها : أضعاف ما يوجب
الطعام والشراب .

وإذا كان الوجود شاهداً بأن العاشق الذي قد بلغ في العشق غايته : إذا ظفر بمعشوقه ،

وحصل عليه ، وقاز بقر به . فإنه تغيب عنه شهوة الطعام والشراب . ولا يكاد يحس بألم ذلك . بل ولا بألم الحر والبرد والتعب ، لتغذى قلبه وروحه بوصال محبوبه ، مع ما يقتزن به من الآفات ، والأنكاد والخاوف ، وقصوره عن استغناء الروح به الاستغناء التام .

فما الظن بمن اتخذ الله خليلاً ، وكرمه تكريماً ، واصطفاه على العالمين ، وخصه من قر به وكرامته بما لم يعطه بشراً سواه ؟ .

ومعلوم أن ما يفتحه الله على قلبه الكريم من الأحوال السنية ، والمعارف القدسية الإلهية ، التي تليق به صلى الله عليه وسلم : هي من أعظم الغذاء للقلب ، والبدن . وقد قيل :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام ، وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا اشتكت من كلال السير أنعشها روح القدوم ، فتحجي عند ميعاد
ومن هذا يفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن يأكل في معي واحد . والكافر يأكل في سبعة أمعاء » فإن مافي قلب المؤمن من حلاوة الإيمان ، وبهيجته وفرحه به ، وامتلاء قلبه من محبة الله والأنس به : يغنيه عن كثرة الأكل . فإذا خلا قلبه من ذلك : لم يبق له شغل سوى الأكل والشرب ، واتباع الشهوات .

وكذلك في الشاهد : إذا امتلأ قلب الرجل من المحبة والعشق ، قل أكله ، حق كثر على ألسنتهم ذم العاشق البطين . كما قال قائلهم :

فلو كنت عذري الصبا لم تكن بطينا وأنساك الهوى كثرة الأكل
والمقصود : أن صلاح القلب ونعيمه وكاله ، في أن يكون الله وحده هو معبوده وإلهه ، وغاية مقصوده . وأنه لا يزال معذباً حتى يصل إلى هذا . فإنه هو كاله الذي خلق له ، وحياته التي لا سعادة له بدونها . فما لم يحصل عليها فهو معذب .

ولكن هذا العذاب قد لا يظهر إحساسه به لاشتغاله بشهواته ومألفاته . فإذا زالت عنه تلك الشواغل ، والمألفات والشهوات بالمفارقة المحضة : ظهرت تلك الآلام ، وتجردت . فيبقى في عذاب دائم . من وجوه ثلاثة :

أحدها : مفارقتها لشهواته ولذاته ، وكونه قد حيل بينه وبينها .

الثاني : التفاته إليها وتعلقه بها .

الثالث : حسرته على ما فاتته من النعيم واللذة والسرور الدائم الذي لا نظير له .
هذامع ما ينضاف إلى ذلك من العذاب الذي أخبر به الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ومعلوم : أن لذة هذا آخرها ، وهذه البلايا عصارتها ، بأن تتوَقَّى وتجتَنَّب أولى منها بأن يُسْتَعَى لها وتُؤَثَّر ، ويُنفَق فيها نفائس الأوقات .

ولقد أحسن الحسن بن هانيء - أبو نواس - في وصف هذا بقوله :
ولقد نهزت على الفواة بدلوهم وأتمتُ سَرَحَ اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ إمرؤ بشبابه فإذا عصارة كل ذاك أثم
ويكفي في هذا قوله تعالى (٢٦ : ٢١٣) فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من
المعذبين) .

فكل من عبد غير الله ، وتعلق قلبه بذلك الغير : لا بد وأن يكون معذباً في هذه
الحياة ، وفي البرزخ ، وفي دار الجزاء .

فإن من تعلق قلبه بغير الله فهو في عذاب حاضر بحسب ذلك التعلق .
فإن تلك المحبوبات : إما جاه ورياسة ، وإما صور ، وإما مال .
فهذه الثلاثة من أصول محبوبات الدنيا . وما عداها فتبع لها . وعلى كل واحد منها من
الآفات مالا يحصيه إلا الله .

فأما الجاه والرياسة : فمشاقهما أتعب خلق الله ، وأشغلهم قلوباً ، وأقلهم راحة ،
وأنكدهم عيشة . تسرهم الكلمة . وتسوهم الكلمة . وهم أغراض لسهام البلاء من كل
جانب . ولا يمكنهم إرضاء الخلق كلهم . فإن ذلك جمع بين النقيضين . فإن رضا هذا
يسخط هذا . فلا بد أن يرضوا واحداً ويسخطوا مَنْ هو أكبر منه ، أو أقوى . وحينئذ
فتنشأ العداوة . ولا يزال الشيطان يسعى في إفساد حالهم بحسب إمكانه .

فأى عيش لمن أفكاره مشغولة بأعدائه ، مستعد لحلول البلاء بساحته بينهم صباحاً

ومساء ؟ هذا مع اشتغاله بحزبه الذين قيام رياسته بهم ، وفكرته في مصالحهم ، ومحاربة من يحاربهم ، واستعتاب من قصر منهم ، ومعاشرتهم على قدر أخلاقهم وإرادتهم .

وأيضاً ، فإن كل أحد يحب أن يكون هو الرئيس للغير ، وأن يكون كل من سواه تحت قدرته ، وتصرفه وحكمه . وكل من سواه يسعى في إبطال رياسته ، وهدمها وإعدامها . وهو يسعى في دفعها هذا الدفع وإعدامه . فلا تزال نفسه تعيش دائماً في المحاربة .

وأما أعوانه وأنصاره الذين يساعدونه في قيام رياسته : فإنهم إنما يساعدونه عند مجزهم عن نيل تلك الرياسة .

فأما إذا استشعروا قدرتهم عليها ، فإنهم ينازعونه إياها . فهو دائماً بين محاربتهم ، إن استشعر منهم المنازعة ، وبين حمد كلهم واحتمالهم إن لم ينازعوه .

وأيضاً ، فإن طالب الرياسة إنما يطلبها لتزيل عن نفسه ألم العجز والذل ، وقهر عدوه له . فإذا حصل له نوع منها : ازداد طلبه لتمامها ، واستشعر حاجته منها لأكثر مما حصل له . فيشتد طلبه وحرصه . وتكثر الموانع والعوارض .

وأيضاً ، فإنه لا يمكنه التروؤس على كل أحد . بل لابد أن يذل لكثير من النفوس ، رغبة في إقامة رياسته ، ورهبة من معاندة مرءوسيه . وطالب الرياسة أذل الناس للناس . معاقبة من الله له بنقيض قصده .

وأيضاً ، فإن كون الرجل خادماً للرئيس ، ذليلاً تابعا له : أمر مؤلم جداً . لا يصدر من العاقل إلا لغرض يحصله بتلك الخدمة ، يكون أثر عنده من دفع مفسدة عبوديته وخدمته . ولا ريب أن قلبه كاره لتلك الحال . إذ هي منافرة لطبعه . والرئيس المخدم يستشعر ذلك ، ويحسه من نفسه . وهذا يوجب دوام الوحشة والخوف منهم في قلبه .

وأيضاً ، فإن الشيء كلما كان ألد كانت الرغبة في تحصيله أتم . وكان دفع المعارض له أقوى . فحصول الرياسة لغير هذا الساعى فيها من أعظم الموانع عن تمام رياسته . فسميه في دفعها من أقوى السعى . وكذلك غيره معه . وهذا يوجب أشد العداوة ، ويستدعى النفوس إلى إعدامه ، أو سلبه رياسته .

ومن تأمل أحوال الملوك والرؤساء ، والولاة والأمراء ، وعلم كيف تزول رياستهم وقدرتهم ، ويسى فى إعدامهم : عرف حقيقة الأمر . وتبين له أن ضررها أضعاف أضعاف نفعها . كما قيل :

قايست بين جمالها وفعلها فإذا الملاحاة بالقباحة لانتفى
فنعمت المرضعة . وبئست الفاطمة .

وبالجملة : فضرر هذا المطلوب وألمه ، وتعبه أضعاف أضعاف لذته ، والألم الحاصل من الفراغ منه والإعراض عنه دون الآلام التى تحصل فى نشوئها وقبلها وبعدها .

ومما يبين ذلك : أن الله سبحانه طبع النفوس البشرية على أنها متى استشعرت من بعضها محبة الترفع عليها ، وقهرها ، وإدخالها تحت طاعته : أبغضته على ذلك . ونفرت منه . فيبقى بين حالين : إما أن لا يحصل له مقصوده من ذلك . فيبقى بينهم بغيضاً ممقوتاً عاجزاً . وهذا غاية الألم والهم والغم . وإن حصل له مقصوده : فهو يستشعر منهم بفضهم له فيعاملهم معاملة البغيض لبغيضه . وهو لا يقدّر على التشفى منهم . فلا بد أن ييش فى وجوههم ويداهنهم ، وقلبه يلغنهم ويبغضهم . وكذلك قلوبهم معه .

ولا ريب أن المعاشرة على هذا الوجه هى إلى أن تكون عذاباً وبلاء أقرب منها إلى أن تكون راحة ولذة ونعمة . والواقع شاهد بهذا .

وأيضاً ، فلا بد لطالب ذلك أن يشغل فكره وقلبه بمصالح من تقوم رياسته بهم ، وبعداوة من يسعى فى هدم رياسته . فلا يبقى فيه فضلة للفكر فى مصلحة قلبه وروحه ، وسعادتهما وكاملهما . بل يعرض عن ذلك بالسكلية إلى ما هو بصدد . فينسى نفسه وراحته ونعيمه وحياته . وهذا غاية الشقاء والبلاء .

وأيضاً ، فإن طالب ذلك مضطر إلى مدح من يستوجب الذم رغبة أو رهبة . وإلى ذم من يستحق المدح كذلك . .

وهذا كما أنه بهت وكذب وزور يوجب تسلط النفوس عليها . فهو رياء ، وكتمان للحق وإبطال له ، وإخفاء للمحاسن ، وإضرار بها وإيهاؤها . وكذلك نهاية الجهل والظلم . (يتبع)

الاختيار

أو

حرية الإرادة في الإسلام

رسالة وضعتها بالفرنسية سيدة جليلة من فضليات نصيرات السنة المحمدية

ونقلها إلى العربية

الأستاذ أبو الوفاء محمد درويش

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ..

أما بعد ، فهذه رسالة « الاختيار » أو « حرية الإرادة في الإسلام »

كتبتها سيدة مسلمة صالحة من كرائم العقائل الصالحات ، القانتات ، الحافظات لأغيب

بما حفظ الله .

جمعت بين ثقافة غربية واسعة عميقة ، وإحاطة بما كتبه المستشرقون ، والمتعصبون ضد

الشرق من رجال الدين الغربيين - جند الاستعمار الغربي الصليبي - في الإسلام وعقائده ،

وشرائعه ونحريتها عن جهل ، وسوء قصد ، ووقوف على مادون في كتب الدين المتداولة بين

أهل الكتاب ، وعلم غزير بنصوص الشريعة الإسلامية ، وآراء علمائها على اختلاف

مذاهبهم ، وتباين آرائهم ، وبخاصة في هذا الموضوع ، الذي أنفقت من حياتها النافعة ثمانى

حجج في بحثه ودراسته . حتى خرجت منه بهذه الرسالة القيمة ، التي أقدم اليوم ترجمتها إلى

قراء العربية .

ولم تشأ السيدة الفضلى أن تعلن اسمها ، تواضعاً لله تعالى ، وحرصاً على أن يكون عملها

خالصاً لوجهه الكريم . لا تريد من أحد جزاء ولا شكوراً . وإنما تبغى ثواب عملها عند الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

بعث إلى أستاذى الجليل - صاحب الفضيلة الشيخ محمد جامد الفقى - بهذه الرسالة لأطلع عليها ، وأبدى رأى فيها ، وأرى : هل حوت شيئاً يخالف العقيدة الإسلامية السليمة التى جاء بها كتاب الله تعالى ، والصحيح من سنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ ولما أتاحت لى الأقدار المسعدة فرصة قراءتها رأيتنى مأخوذاً بروعة أسلوبها ، وسلاسة عباراتها ، وما فيها من عمق الفكرة ، وصحة الاستدلال ، وسلامة المنطق ، وقوة الحجة ، واستقامة المعانى . ولم أجد فيها شيئاً يخالف ما يمتقده المسلمون المستنيرون ، الذين وقفوا على أسرار كتاب الله ، وروح الشريعة الإسلامية التى بينها الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، فيما نصح به لأمته . بل وجدت فيها دعوة جريئة إلى العمل ، والاضطلاع بالتبعات ، وتحمل المسئوليات ، ومكافحة عنيفة للأفكار المضللة ، التى نفثت سمومها فى المسلمين طائفة الكسالى المتصوفة الذين قعدوا عن العمل النافع ، معتمدين على صدقات المحسنين ، معطلين لما منحهم الله من قوى لو استعملت لأنتجت خيراً كثيراً ، ودفعت شراً مستطيراً .

ومما أثار عجبى ، وإعجابى ودهشتى فى هذه الرسالة أمران :

أولهما : إجادة المؤلف للغة الفرنسية إجادة مكنتها من التعبير عن أدق المعانى الفلسفية بعبارة سليمة سهلة واضحة ، يحسدها عليها كبار الكتاب من فلاسفة الفرنسيين أنفسهم .

الثانى : سلامة عقيدتها الإسلامية ، على الرغم من السنين الطوائل التى قضتها فى مدارس البنات الفرنسية ، التى مردت على أن تفرض دروسها الدينية الصليبية فرضاً على تلميذاتها جميعاً على اختلاف عقائدهن ، فيخرجن منها متشعبات بعقائد لا يرضى عنها الإسلام .

عرفتُ تلميذة مسلمة فى الخامسة عشرة من عمرها ، كانت ابنة موظف كبير قضت عليه ظروف قاهرة ، وخطوب قاسية : أن يدخلها مدارس البنات الفرنسية فى الطفولة الباكورة .

عهد إلى أن أعلمها الدين الصحيح واللغة العربية . فلما شرعت ألقى عليها دروس الدين تنكرت لها ، وأجفلت منها . لأنها - كما قالت - تخالف ما عرفت طول حياتها من « التاريخ المقدس » الذى تلقته فى المدرسة الفرنسية .

ولقد لقيت أشد النصب في محاولة إقناعها ، وإسلاس قيادها ، وتطويعها للمعائد الإسلامية حتى أذعنت بعد لأى ، ولا أدرى : هل كان إذعانها اقتناعاً ورضا ، أو نفاقاً ومجاملة ؟
اطلمت على هذه الرسالة في أصلها الفرنسى ، ففزت على أن يحرم قراء العربية مما انطوت عليه من غذاء روحى دسم شعى . فاستأذنت المؤلفة الفضلى - شكر الله لها - في نقلها إلى العربية . فنفضلت بالإذن مشكورة ، وأتاحت لى شرف الإسهام فى خدمة الإسلام .
ولا يفوتنى أن أشكر للسيدة الفضلى تنويرها بمحاضرتى فى القضاء والقدر ، واعتبارها مرجعاً من مراجع رسالتها القيمة .

والله أسأل أن ينفع بأصلها الفرنسى من أرادت المؤلفة الفضلى أن ينتفعوا به ، من غير قراء العربية ، وأن يهديهم إلى الصواب فيما يعتقدون ، كما أرغب إليه تعالى أن ينفع بترجمتها للعربية الناطقين بلغة القرآن ، حتى يهتدوا بها ، ويصححوا عقائدهم على ضوئها .
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

أبو الوفاء محمد درويش الحامى

سوهاج فى ٣ رجب سنة ١٣٧٤ - ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٥

مقدمة المؤلفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإننى قد وضعت هذا الكتاب للفربيين ، الذين يجهلون ما فى ديننا الحنيف من روعة وجمال ، وللمسلمين الذين يعرفون من لغة الفرنجة ما لا يعرفون من لغة القرآن .
وقد استقيت كل ما جاء به - مما يتصل بالمسيحيين - من التعاليم المسيحية ، ومن تاريخ الكنيسة ، ومن معجم لاروس لآقرن العشرين .

المؤلفة

مواد الكتاب

- ١ - المقدمة .
- ٢ - عقيدة الجبر ظهرت في كل عصر ، ولكنها ليست من الإسلام .
- ٣ - الإنسان حر في إراداته ، ومستول عن أعماله .
- ٣ - قضاء الله ، وإرادته ، وحكمه ، وسابق علمه : لا تعارض الإنسان في حرية إرادته .
- ٤ - (أ) إرادة الله .
- (ب) حكم الله .
- (ح) سابق علم الله .
- (د) القدر .
- ٤ - أينبغي أن نستسلم للأقدار دون مقاومة ؟ .
- ٥ - القرآن يقيم الدليل على حرية الإرادة .
- ٦ - الإسلام يدحض عقيدة الجبر والأسباب الطارئة .
- ٧ - الإسلام يدعو المؤمنين إلى التوكل على الله ، وتفويض الأمر إليه ، ولكنه لا يدعو إلى الكسل ، ولا إلى المذلة ، ولا إلى التواكل وضعف الإرادة .
- ٨ - ضرورة الإيمان بإرادة الله ، وثمرته .
- ٩ - ليس جبرياً ذلك الذي يقول « إن شاء الله »
- ١٠ - كيف يتوكل المؤمن على الله ؟
- ١١ - الهدى والضلال .

مقدمة

هذا الكتاب ثمرة سهر طويل ، وبحث متصل ، وعمل مضني طوال ثماني حجج .
ولقد كان هذا العمل فوق طاقتي ، ولكنني صممت على أن أنجزه مهما تكن العوائق .
ولقد وطنت النفس ، وصححت العزم -مخالصة- على النجاح في أن أردّ عن الإسلام كل افتراء .

وقد حقق الله العليم بذات الصدور ما صح عزمي على الوصول إليه ، وأنار لي السبيل ،
وهداني إلى سواء الصراط ، وأتاح لي الظفر بالسكتب التي ألفتني ، ويسر لي الوقوف على
الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية الصحيحة ، التي تقوى حجتي ، وتمضد برهاني .
ولقد انتصرت على كل الصعوبات بما أفرغ الله عليّ من صبر . والله مع الصابرين .
وإني لأشكر الله - بكل قوى نفسي - على هذه النعمة التي أضافها إلى نعمه التي
لا تحصى عليّ ، والتي تتوالى وتتتابع بغير انقطاع في كل ساعة من ليل أو نهار . وإن قلبي
ليفيض بالشكر ، وإن قلبي ليعجز عن الإعراب عما أنا مدينة به منه للكريم الوهاب
جل ثناؤه .

* * *

هذا الكتاب موجهٌ إلى الغربيين ، وإلى أهل الكتاب - من اليهود والنصارى - الذين
حكموا على الإسلام بما رأوا من آراء المستشرقين ، أو بما قرءوا من ترجحات غير صحيحة للقرآن
الكريم .
وإلى المسلمين الذين لا يلمون بلغة القرآن إماماً يمكنهم من فهم كتابهم الكريم ،
وأحاديث رسولهم الأمين ؛ وإلى هؤلاء الذين نشئوا في بيئة غير إسلامية ، في المدارس
الأجنبية ، واعتنقوا آراء ومذاهب أولئك الذين تولوا تربيتهم .
فهؤلاء المسلمون الذين يجهلون دينهم ، لا يعرفون الإسلام إلا معرفة سطحية خاطئة
كالأجانب عنه .

وقد حان الوقت لهؤلاء الذين لم يدرسوا إلا إلهيات « برسويه ، وفينلون ، ولوتر ،
والقدبس أوجستين ، وفلسفة داروين ، وجال ، وكاباتيس ، وسقراط ، وليبنيز ، وباسكال »
ليعرفوا أخيراً الإلهيات الإسلامية ، وفلسفة القرآن التي هي أسمى وأصدق وأقوى من كل
الفلسفات الأخرى . لأن الفلسفة الإسلامية منزلة من عند الله واهب البلاغة والحكمة^(١) ،

(١) الهدى : الفلسفة بكل صورها دخيلة على الإسلام . ولعل السيدة تريد معاني القرآن
ومقاصده إلى إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع ، بما جعل الله منزله فيه من الهدى والرحمة والعلم
والحكمة ، والشفاء مافي الصدور .

بينما الفلسفات الأخرى ليست إلا تجارب الذكاء الإنساني الضعيف المحدود .
 وإني أرفع - بخشوع - على المتواضع إلى الله العلي الكبير ، وأرجو أن يتقبله من أُمته
 التي ليس لها غرض إلا أن تنال رضاه ، وأن تعمل على تمجيد الإسلام ، حريصة على أن
 يقدّره الناس حق قدره ، ليسعدوا به .
 ولا أعتقد أني نهضت بجميع ما يلج على نحو ديني ، ولكنني اجتهدت - مخلصاً - أن
 أفعل . والله الذي يعلم ما منحنا من القوى لا يكلفنا إلا وسعنا .
 ولست مدينة بما في هذا الكتاب - من أفكار سليمة صحيحة ، أو شروح موفقة - إلا لله
 وحده . فهو وحده الذي يعين ويلهم .
 أما ما يبدو فيه من خطأ : فهو راجع إلى وحدي ؛ إذ لست إلا إنساناً ضعيفاً ليس
 معصوماً من الخطأ .
 وإني أبتل إلى الله أن يغفر لي خطيئتي ، ويبارك عملي ، ويثيني بمجهودي تحقيق
 ما أرجوه من ثمرات .
 أمة الله

١ - حرية الإرادة في الإسلام

نشأت عقيدة الجبر من قديم الزمان ، وقد جدّ الإنسان الحادّ لله ولرسله - في خبث ،
 واجتهاد في مكر ودهاء : أن ينكر حريته ، ليبرر كفره وخطايا ، ونقائصه ، وإهماله ،
 وجرائمه ومعاصيه ، بدلا من أن يستعمل عقله وهدى ربه في البحث عن الحقيقة والوصول إليها
 ولقد ميز الإنسان الخير من الشر منذ أقدم العصور . ولكنه بدل أن يوجه جهوده
 للتغلب على أهوائه ، ولاسير في سبيل الخير والحق : آثر أن يتبع هواه ، ويشبع شهواته ،
 زاعماً أنه مجبر على أعماله ، وأن أفعاله لا تخضع لإرادته .
 وإن التاريخ ليرشدنا إلى أن المنجمين ، وكل الشعوب الوثنية القديمة - كالليونان والرومان
 والعرب في جاهليتهم - كانوا يؤيدون عقيدة الجبر المطلق .
 ولقد جادل الفلاسفة - على اختلاف نحلهم ونزعاتهم ، سواء أكانوا وثنيين ، أم مفكرين

أحراراً ، أم يهوداً ، أم مسيحيين أم مسلمين - في عقيدة الجبر والاختيار : واختار كثير منهم رأى الوثنيين الجبريين من وجهات نظر مختلفة .

فعند القدماء : كان أتباع المذهب الذى يقول « إن السعادة فى الفضيلة » كزينون ، ومنيكا ، وإبيكتيت ، ومارك أربل - جبريين .

ثم ظهر فى القرن الثالث المسيحى : مذهب مانيس الجبرى ، الذى يقول بالظلم والظلام ، وينسب الخلق إلى قوتين : قوة خيرة تخلق الخير ، وقوة شريرة تخلق الشر .

وقد اختلف الأحزاب من اليهود بين معتنق لهذه العقيدة - عقيدة الجبر - ومجاف لها .

وكانت عقيدة الفيلسوف الهولاندى اليهودى الشهير « باروخ اسبيوزا » (١٦٣٢ -

- ١٦٧٧) تمثل الجبرية العنيفة .

وعند المسيحيين : نجد أتباع كليمن ، وزوينجل ، ولوتر : قد دافعوا عن عقيدة الاصطفاء

الأزلى ، كما نجد أيضاً كثيراً من الكاثوليك ، يؤمنون بالجبر ، وينكرون الاختيار .

ولا ينبغي أن ننسى مذهب جانسينيوس الذى اضطربت له أوروبا وفرنسا والكنيسة

قرنين كاملين من الزمان . وقد ظهر فى فرنسا مع القديس سيران فى سنة ١٦٤٠ ، واختاره

معتزلة بور روابال .

ومن بين الآخرين : أرنولد ، ولانسيلو ، ونيكول ، ودسامى وغيرهم .

وقد قاوم الجزويت عقائدهم وكتب بسكال رسائله الإقليدية الشهيرة ، ليرد على الجزويت

فى تلك المدة .

وقد أثر دفاعه تأثيراً قوياً فى آراء المثقفين .

وقد انقسمت الكنيسة الفرنسية بين أتباع جانسينيوس ، وأتباع مولينا ، أو الجزويت .

وظل مذهب جانسينيوس محتفظاً بكثير من أتباعه إلى القرن التاسع عشر ، على الرغم من

عدم موافقة البابا على هذا رأى . وهم يكتوّنون جماعة صغيرة فى هولندا إلى اليوم .

ومن الآراء التى تنكر الاختيار يجب أن نذكر أيضاً الرأى القائل بتأثير الظروف

المادية الطارئة ، ذلك الرأى الذى قال به « جال » (١٧٥٧ - ١٨٠٨) و « كاباتيس »

(١٧٥٨ - ١٨٢٨) وكانا يريدان أن يجدا في الخلق والطبع ، والتربية ، والجو ، والسن والبيئة ، والاستعداد الوراثي : أسباباً لكل ما يبدو منا من إرادة ، وعزم واختبار . ويعزوان كل تصرف لنا إلى قوة هذه الدوافع النفسية ، المتأثرة بهذه المؤثرات .

ومنها : ذلك المذهب الفلسفي الذي ينكر حرية الإرادة والاختبار ، ويعزو أفعال الإنسان إلى قوة الأسباب الطارئة .

وهناك أيضاً المذهب الذي يزعم أن الحرية الإنسانية لاتوافق سابق علم الله ولا حكمه ، ويسمى هذا المذهب بـ « مذهب القدر التوحيدي » .

وهو أكثر انتشاراً في أيامنا هذه ، حتى بين المثقفين من اليهود والنصارى والمسلمين على السواء .

وفي الصدر الأول من العصر الإسلامي - حين كان المسلمون مؤمنين حقاً ، وحين كان الإيمان بملأ نفوسهم المطمئنة - لم يكونوا يبحثون في القدر . لأنهم كانوا يدركون معناه حق الإدراك ، ويفهمونه تمام الفهم ، ويحرصون على أن يخلصوا دينهم لله ، ولا يريدون أن يضلوا في الخصام والمراء . ولكن حين دخل في الإسلام المناقون ، وأسفت النفوس - مع شديد الأسف - بدأ الصراع الشديد بين المعتزلة الذين يقولون بالاختيار المطلق ، والجهمية الذين يقولون بالجبر المطلق ، والذين بسببهم اتهمنا بأننا جبريون . لأنهم يزعمون أن الإنسان يعمل على الرغم منه ، وأنه بين يدي الله تعالى كالريشة في مهب العاصفة ؛ فالله خالق كل شيء ، ولا يستطيع أحد غيره أن تخلق - وهم يعتبرون كل عمل خلقاً - ويقولون : ليس للإنسان حرية ولا إرادة ولا اختيار .

وقد قال الشيخ محمد عبده : إن هذه الطائفة المتطرفة من الجبرية لم يعد لها وجود بعد القرن الرابع الهجري ، أي منذ القرى الحادى عشر الميلادى .

وظهرت من بعدهم عقيدة أبى الحسن الأشعري (توفي سنة ٣٣٠ هـ - ٩٥٢ م) الخنفقة التي حاولت التوفيق بين الحزبين .

وهذه العقيدة تقرر أن من بين أفعالنا أفعالا نختارها ، وأخرى نحن مرغمون على فعلها ، ولكنه لم يوضح مدى هذا الاختيار ، أو حرية الإرادة الإنسانية .

وأخيراً ظهر ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨) وأراد أن يقرب بين الرأيين باتخاذ عقيدة تعترف للإنسان بإرادة ، ولكنها إرادة محدودة بالأسباب الخارجية ، أو العلة الفعالة . ونرى في هذه العقيدة تشابهاً بعقيدة ليبنيز^(١) التي ظهرت بعد ذلك بخمسة قرون ، والتي تقرر أن أفعال الإنسان متنوعة ، وليست صادرة عنه بالضرورة ، كما يصدر الضوء عن الشمس ، والعبير عن الزهرة . بل لها أسباب تقتضى وجودها ، أى مجموعة من الأسباب الفعالة النهائية التي تسبب وجودها . فهي توجد لهذه الأسباب ، لا لشيء آخر . ومع ذلك فإن الجهمية والمعتزلة كانوا جميعاً مخطئين .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله - وهو من مشهورى أهل السنة - : إن الجهمية ردوا بدعة المعتزلة ببدعة أخرى . فإن هؤلاء أنكروا الحكم الإلهى ، وتأثير الهداية والتوفيق . وأولئك لم يريدوا أن يعترفوا بأن الإنسان قادر على أن يريد ، وعلى أن يفعل ما يريد . اهـ . ولا يزال بين الفلاسفة المعاصرين والمستشرقين من يعتقد - قليلاً أو كثيراً - فى الجبر ، ولكن السواد الأعظم من المسلمين - إلا العناصر التي لا يعتد برأيها - يعتقدون حرية الاختيار

كل هذا يبرهن على أن الإنسان يميل دائماً إلى أن يؤمن بهذه العقيدة الخاطئة - عقيدة الجبر التي اعتنقتها العامة فى كل العصور - لأنها تجعلهم - فى نظر أنفسهم - غير مسئولين عن أفعالهم ، وتبسط عذرهم حين يقتربون مالا يحل ولا يجمل ، وتوهمهم أنهم ليسوا أحراراً فى أن يفعلوا ما يريدون .

ومن البين أن الإنسان لا يحب أن ينسب الخطأ إلى نفسه ، فهو يتعزى بأن ينسب خطأه إلى الحظ والقدر ، ويعتذر بأنه مجبر على أفعاله ، ليس له فيها إرادة ولا اختبار . ومن اليسير على الإنسان أن يقول : إن أفعاله تتوقف على قوة سامية فوق الطبيعة تحدد أفعاله مقدماً بدون مراجعة ولا تعقيب .

والنظرة الناقدة الفاحصة تكشف عن سوء نية المستشرقين الذين يحكمون علينا بمجرد

(١) فيلسوف شهير ، وعالم ألماني ولد . فى ليبزج وهو مؤلف « الموضوعات الحديثة »

النظرة السطحية الخالية من التعمق ، ويعززون الجبر إلى المسلمين وحدهم ، متخذين سنداً من بعض الآيات التي لم يفهموها ، أو التي شرحوها طوعاً لأغراضهم وأهوائهم .

ومع ذلك فالقرآن مرشد حكيم ، ورائد أمين . يقنعهم بحكمته ، وينير أمامهم السبيل . قال الله تعالى : (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ٩٤ . النحل .

أى إن رحمة الله اقتضت أن تنير بالقرآن الطريق للمؤمنين . فعليهم أن يقتدوا بهداه حتى لا يضلوا .

ولكن المستشرقين - وهم يستعدون للحكم على ديننا - اجتهدوا في أن يجعلوا آياته بحيث يعارض بعضها بعضاً ، ليبرهنوا على أنها متناقضة .

على أنهم لو نظروا بغير تحيز . واجتهدوا في أن يفسروا بعض الآيات على ضوء بعض : لاقتنعوا بمنطقها الذي يزيد الإيمان ، ويثبت القلوب . ويرغم العقل على أن يعتقد ، وأن يُعجَب كل الإعجاب .

قال « برويبر : إن السرور بالنقد ينزع منا الإعجاب بالشئ الجميل .

والمعجب لهؤلاء المستشرقين ! كيف يعتبرون أنفسهم علماء مع هذا التحيز البالغ الغاية الذي يعميهم عن رؤية الحقيقة ؟ »

وقالت مدام داركونفيل : الجاهل يؤكد ، والعالم يشك ، والحكيم يفكر ، ثم يؤجل إصدار الحكم .

لوم يكن هؤلاء المستشرقون سيئ النية لاجتهدوا أن يقفوا على حقيقة أفكار المسلمين المستنيرين ، أو آراء الصحابة الذين كانوا متصلين بالرسول صلى الله عليه وسلم كعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب مثلاً ، بدلاً من تعقيد الأمور بقراءة كتب التفسير التي لانهاية لها ، أو علوم اللاهوت التي لا يفهمون شيئاً منها ، أو سؤال أشخاص بعيدين كل البعد عن فهم حقائق الدين ، لا يعلمون عن روح دينهم شيئاً ؛ لكي يستنبطوا أن الإسلام يدعو إلى الجبر المطلق .

والتاريخ يحدثنا : أن عمر بن الخطاب ، ثانى الخلفاء الراشدين ، رضى الله عنهم أجمعين

كان قد أزمع السفر إلى الشام . فلما بلغه انتشار الطاعون هناك أمر بالترحل عن الأمكنة الموبوءة . فلما قال له أبو عبيدة « أتفر من قدر الله يأمر المؤمنين ؟ قال : نعم : أفر من قدر الله إلى قدر الله »

وهذا تفكير حكيم عادل جدير بالتقدير .

وهكذا تخرج الحقيقة من فم عمر الذي كان من خير المسلمين ، وأشدّهم غيرة على الإسلام . وكلماته تشهد بأنه كان يعتقد بحرية الإنسان في اختياره وعزمه وتصميمه .

ولم يتأثر عمر رضى الله عنه بفلسفة أخرى غير ما فهم من مقاصد القرآن والسنة .

وقد ظهر عمر قبل فلاسفتهم ، وقبل علمائهم اللاهوتيين ، الذين يقولون بحرية الإرادة والاختيار ، إذ أنه عاش في منتصف القرن السابع الميلادي .

ومعنى جواب عمر رضى الله عنه : أنه يفر من قدر الله في الشام - أى من الطاعون أو المرض أو الموت - إلى قدر الله في المدينة ، أى إلى الصحة والحياة .

وفوق ذلك فإن الله عاب عقيدة الجبر ، تلك العقيدة الوثنية ، ورد على القائلين بها . إذ قال تعالى : « سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرمانا من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون ١٤٨ قل : فله الحجة البالغة . فلو شاء لهداكم أجمعين ١٤٩ » سورة الأنعام .

ومن هاتين الآيتين الكرّيمتين تدرك أن العرب في جاهليتهم كانوا جبريين ، وقد تمكنت هذه العقيدة منهم - كشأن كل جاهل وثني - ورسخت جذورها في أنفسهم حتى إنها استمرت بعد الإسلام عند كثير منهم .

فإذا قال العربى : هذا مكتوب . فهو يعنى : أنه يتصرف مجبراً بغير إرادة ولا اختيار فليس الدين هو الذى ألهمه ذلك أو أوحى به إليه ، ولكنه استمر يقول ما كان أسلافه يقولون في جاهليتهم ، وما كانت تقوله الأمم والشعوب الجاهلية التى سبقتة ، أولئك الذين أعرضوا عن طاعة الله ، وآثروا أن يرضوا أهواءهم وشهواتهم ، ويوفروا لها الجهود التى كان

ينبغي أن تبذل في مقاومتها ويُنَحَّوْا عن أنفسهم للامانة باحتمائهم في عقيدة الجبر، ويتخذوا نصائح الرسل وإرشادهم وتوجيههم هزواً، ويتهومون بالكذب والرياء . ولم في ذلك منطق عجيب .

والقرآن ينكر أشد الإنكار هذا الرأي ويعارضه أشد المعارضة، ويرد على اعتراض الوثنيين . ويقول : إنهم ليسوا أول من ضل وقع في هذا الضلال . ولم يتغير الناس ، بل هم يتبعون آثار أسلافهم ، ولكن لما كانت هذه العقيدة كذباً دينياً ، وإلحاداً في عدل الله وحكمته ، استحق أصحابها عقاب الله ، واستوجبوا غضبه .

ولو كان الأمر كما يدعون ، ولو صح أنهم لم يفعلوا إلا ما أجبروا على فعله ، وإلا ما لم يستطيعوا أن يجتنبوه : لكانوا معذورين ، وما استوجبوا عقاباً . لأن عدل الله يأبى ذلك . وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

يطالبهم الله تعالى في القرآن الكريم بالبرهان الذي أقاموا على أساسه حكمهم ، وأثنى لهم هذا البرهان ؟ .

وما داموا لم يثبتوا دعواهم بالبرهان ، فقام إلا كاذبون مفترون . إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون .

ولو رجعوا إلى أنفسهم ، وحرروا عقولهم من سلطان الهوى ، لأيقنوا أنهم مخطئون فيما يزعمون ، وأن أحكامهم لا تقوم على أساس سليم ، ولا يقبلها عقل حكيم .

وقد أقام الله تعالى الدليل القاطع على كذبهم ، وأثبت أنهم أحرار مختارون بحجة بالغة ، وبرهان منطقي قاطع ، سالكا طريق الاستدلال التي سلكوها في بلاغة رائعة ، وهدم اعتراضاتهم الزائفة الخادعة في سهولة ويسر ، وقال لهم : إن الأمر على النقيض مما تدعون . فلو كانت أعمالكم بأمر الله لكانت كلها خيراً لأن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر ولو كان يرغب الناس على أعمالهم لأرغهم على الخير ، ولم يكن من أفعالهم الشر . والله يطلب إليهم أن يعتقدوا في الحقائق العليا ، وأن يعبدوا الله مخلصين له الدين ، وألا يعبدوا معه أو من دونه أحداً .

ولما إذا لم يهدم على الرغم منهم ، وهو القادر على كل شيء ؟ .

أليس ذلك لأنه ترك لهم حرية الاختيار بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والهدى والضلال ، والكفر والإيمان ، والطاعة والنسوق والعصيان ؟ ١١١ .
فهل للجبريين برهان آخر ينصر رأيهم ، وتعتمد عليه عقيدتهم ؟ كلا . إن الحق غير ما يزعمون .

وهيات أن يجدوا حجة مقنعة تعزز آراءهم ، أو تؤيد عقائدهم .
قال تعالى : (وقال الذين أشركوا : لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم . فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ؟ ٣٥ : النحل) .

هل في وسع الرسل ، أم هل يجب عليهم أن يهدوا الناس على الرغم منهم ؟ لا . فإلى الرسل إلا البلاغ المبين . وينحصر واجبهم في أن يبشروا الناس وينذروهم ، ويبلغهم شرائع الله التي أنزلها إليهم . والناس - بعد هذا - أحرار يفعلون ما يشاءون .
وقد اتضح مما تقدم : أن الله تعالى ينكر الجبر في القرآن الكريم ، ويلوم العرب على اعتقاده .

ولو كنت سيئة النية - مثل هؤلاء المستشرقين - لنسبت عقيدة الجبر إلى دينهم . ففي وسع كل من يريد النقد أن يجد في كتب العهد الجديد ينبوعاً غزيراً من العبارات التي يسهل شرحها طوعاً للهوى ، ولا سكتي لا أهداف إلى هذا . وإني لموقنة أن المسيحية الصحيحة تنسب إلى الإنسان حرية الإرادة كالأسلام . ولأضرب مثلاً واحداً أثبت به أن من اليسير أن يهاجم كتبهم من بسى سمهم ، وينظر بمنظارهم . ففي الأناجيل الأربعة ينبىء المسيح بأن واحداً من تلاميذه سيخونه .

في إنجيل متى (٢١ - ٢٥ : ١٧)

وفي إنجيل لوقا (٢١ - ١٢ : ٢٢)

وفي إنجيل مرقس (١٨ - ٢١ : ١٤)

وفي إنجيل يوحنا (١٨ - ٢٠ : ١٣)

فالأناجيل كلها متفقة على تقرير هذا . وليس ذلك الأمر موضع نزاع فيها .

ويسرنى أن أورد هنا ما قاله إنجيل متى في الإصحاح السادس عشر . وها هو ذا بلفظه .
 « وفيما هم يأكلون قال : الحق أقول لكم : إن واحداً منكم يسلمنى . فحزنوا جداً ، وابتدأ
 كل واحد منهم يقول له : هل أنا هو يا رب ؟ فأجاب ، وقال : الذى يغمس يده معى فى
 الصفحة هو يسلمنى . إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه : ولكن وبيل لذلك
الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد . فأجاب يهوذا مُسلمه .

وقال : هل أنا هو ياسيدى ؟ قال له : أنت قلت . » .

ينبىء المسيح - كما رأيتم - أن أحد تلاميذه سيخونه ، ولأن هذا مكتوب وجب أن
 يحدث ولقد مضى فى إخباره حتى عين يهوذا ، ولكنه شكاً قائلاً « وبيل لهذا الرجل الذى
 يخون ابن الإنسان ، وكان خيراً لهذا الرجل ألا يكون قد ولد . » .

هذا البائس الذى يعتبره المسيحيون أكفر وأشقى المجرمين ، هذا الخائن العجيب القاتل
 - لإلهم بزعمهم - الذى لا يستحق الشفقة ، والذى يستحق أن يقاسى أشد ألوان العذاب فى
 جهنم - كان مكتوباً عليه أن يقع فى هذه الخيانة ، ومن أجل أن ذلك مكتوب عليه وجب
 أن يحصل .

إذا لم يكن حراً فى إرادته ، ولا فى عزمه ولا فى تصميمه . بل هو مرغم على كل هذا
 لأنه مكتوب عليه .

ولما كان من غير الممكن أن يجتنب هذه الخيانة ؛ فكيف يكون مسؤولاً عما فعل ؟
 إذ مادامت أفعاله محدودة مقدماً ، فليس من الممكن دفعها .

أليس هذا من الجبر المطلق ؟ ابحنوا فى القرآن كله ، وحتى فى الآيات التى لم تفهموها
 وحدثونى : هل تستطيعون أن تجدوا فى آية منها مثل هذا ؟ .

نسبة هذه العقيدة إلى المسيحيين ، مع الاحتجاج بالأناجيل : أيسر وأسهل من أن
 يتهموا بها المسلمين ، وليس فى كتابهم الكريم - وهو القرآن العظيم - أقل دليل عليها .
 نستطيع أن نجد فى القرآن كثيراً من الآيات التى تنقض عقيدة الجبر ، وتعلن بكفر
 معتقديها ، وتهددهم أشد التهديد . ولن نجد فى الأناجيل نصاً يستطيعون أن يبرهنوا به على
 حرية الإنسان فى إرادته واختياره .

خطبة من خطبة برية

بقلم سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، البر التواب الرحيم ، الرؤوف الودود . الذي يتوود إلى عباده - وهو غنى عنهم - بنعمه وآلائه وفضله ، لعلهم إليه يرجعون .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا يستحق العبادة سواء ، ولا يليق بالإنسان العاقل المقدر لنعم الله وإحسانه عليه ، أن يدعو غيره ، أو يسأل أحداً من دونه في شدة أو رخاء ، ليتخذهم شفعاء ووسطاء إليه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون الجاهلون علواً كبيراً .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله ربنا تبارك وتعالى بالدين القيم الذي يضمن للبشرية سعادة الدنيا والآخرة ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون ، فيشاقون الله ورسوله ، ويتبعون غير سبيل المؤمنين ، فكانوا مع المالكين . ونبينا صلى الله عليه وسلم قد ترك الأمة على الحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة . وإن الله سبحانه وتعالى يقول (له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ، إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو بباله ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال . والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ، وظلالهم بالغدو والآصال . قل : من رب السموات والأرض ؟ قل : الله . قل : أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ؟ قل : هل يستوى الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كنهه فتشابه الخلق عليه ؟ قل : الله خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار . أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ، وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع

زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) .

يقول ربنا تبارك وتعالى : إن كل دعاء أو نداء لغيره باطل ، وأن الدعاء الحق له وحده سبحانه . فإذا سألت غيره ، ودعوت أو ناديت من دونه ، فإن عملك يكون في ضلال وشرك وخسران .

وهل من أدب العبد من سيده ، أن يعاهده في صلاته (إياك نعبد ، وإياك نستعين) أى لا أعبد سواك ، ولا أستعين بغيرك . ثم ينقلب على عقبيه ، فينادى ويدعو : ياسيدى فلان ياست فلانة أغثنى أدركنى ؟ إن ذلك عين الحماقة والجنون .

ولذلك يشبه الله سبحانه وتعالى فيما تلوته عليكم من آى الذكر الحكيم من كان شأنه كذلك من دعاء ونداء غير الله أن مثله كمثل الذى يكون عطشاناً فيقف على شاطئ النهر ينادى الماء ليأتنى ويدخل إلى فيه . إن ذلك لن يكون ، ولو وقف ألف سنة . وكذلك من يدعو الموتى ، فإنهم لن يسمعوا دعاءه ، ولن يستجيبوا له . لأنهم موتى قد قهرهم الله بسنته الكونية فصاروا تراباً . كما قال تعالى للناس جميعاً من غير أن يستثنى منهم أحداً . (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

فكيف يسمع من تعطل سمعه وحواسه كلها بالموت الذى قهره الله تعالى به ؟ فجميع المخلوقات تخضع له سبحانه وتسجد طوعاً وكرهاً ، لأنه سبحانه القاهر فوق عباده . فالذين آمنوا بالله وخضعوا له طوعاً باتباع أوامره واجتتاب نواهيه ، سعدوا في الدنيا والآخرة ، والذين تمردوا على الله وعلى أوامره وشرائعه ، يقهرهم الله ويخضعهم رغم أنوفهم بالمرض والصحة ، والجوع ، والشبع ، والنوم واليقظة ، والموت والحياة . يقهرهم سبحانه بسنته الكونية في أنفسهم وفي الآفاق ، ثم يكون مصيرهم شقاء الدنيا والآخرة . والعياذ بالله .

يسأل الله سبحانه هؤلاء الذين تمردوا على أوامره وشرائعه : من رب السموات والأرض ؟ أى من الذين خلقها وأوجدوها ويدبرها ؟ أليس هو الله ؟ فلماذا تتخذون من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً ؟ .

إن هؤلاء الأولياء ممن خلقهم الله ، ويدبرهم الله ، ممن خضعوا لله فقهرهم بسنته ،

فأحيائهم ثم أماتهم حتى عادوا تراباً . لقد قهرهم ربهم بالموت ، ففسلتموهم بأيديكم ، ورأيتم بأعينكم أنهم قدودوا كل حركة ، فقلبتموهم يميناً وشمالاً ، ثم كفنتموهم وحملتموهم على أعناقكم ، ودفنتموهم وأحكمتم على قبورهم الأغلاق حتى لا يتأذى الأحياء من روائحهم . فإذا قيل لكم بعد ذلك : أنهم يفعلون ويتصرفون ، وينفعون ويضرون ، صدقتم شياطين الإنس والجن ، وكذبتهم حواسكم . إنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، فكيف يملكون لكم ؟ .

إن مثل الذى يعتقد هذه العقيدة الوثنية : كمثل الأعمى الذى لا يرى ، لأنه فقد آلة الإبصار . أو لم يفقدها ، ولكنه أحاط نفسه بظلمات . فلم يستطع أن يرى شيئاً ، فهو والأعمى سواء .

أما المؤمن بالله وآياته وسنته : فإنه يعلم بما يرى فى نفسه وفيما حوله : أن الذى يموت قد أفضى إلى ربه بخيره وشره ، لا يمكن أن يكون له صلة بدياننا ، فلا يمكن أن يسمع أو يبصر ، أو يستطيع شيئاً . ويعلم أن الله هو السميع البصير ، المحيى القريب . فيدعوه ويخلص الدعاء والعبادة له وحده ، ولا يشرك به شيئاً . فذاك مثل الأعمى ، والذى فى الظلمات ، وهذا مثل البصير الذى يسير على نور من ربه .

لماذا يتخبط الإنسان هكذا فى الظلمات ، وقد أثار الله الرحمن الرحيم له الطريق ، وأظهر له معالم الصراط المستقيم ؟ .

إنك ترى بنفسك كل يوم آثار قدرته ورحمته ، وأنه الخالق لكل شيء . فلماذا تتوجه لغيره بشى من الخوف أو الرجاء أو التوكل ؟ .

لماذا تنادى غيره ، وتستمع بسواه ؟ هل خلق أحد ممن تدعوهم وتناديهم شيئاً حتى يستحقوا منك الدعاء والنداء ويتشابه عليك الأمر ؟ .

لا . إن أحداً منهم لم يخلق شيئاً ، بل لن يستطيعوا ذلك أبداً (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، إن الله قوى عزيز) إن الله سبحانه وتعالى ، هو خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار الذى يخضع لجهنم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً

فلماذا تجعل في قلبك محلاً لمعبود آخر تخافه وتخشاه ؟ ، ألا تعلم أن الدعاء بقولك (يا سيدي فلان) أو (يا ست فلانة) عبادة ؟ . لقد ذكر الله في كتابه أن الدعاء عبادة . فقال سبحانه وتعالى (أرايتم ماتدعون من دون الله ، أروني ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك في السموات ؟ إئتوني بكتاب من قبل هذا ، أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ، ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة . وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فجعل الدعاء عبادة . بل الدعاء مخ العبادة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : ماضٍ من ضل من الأمم السابقة ، إلا بما زين لهم الشيطان من التوسل إلى الله بالأولياء والصالحين . وقد بينَّ الله سبحانه وتعالى لنا ذلك أتم بيان وأوضحه في كتابه الكريم . اسمع لقوله تعالى (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ، فيقول : أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ، أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ، ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً) .

فهؤلاء الصالحين الذي عبدتهم الضالون ، يتبرءون منهم ويقولون : إنهم ما كانوا يتخذون من دون الله أولياء . فكيف يرضون أن يتخذهم الناس أولياء ؟ ثم يذكرون سبب ضلالهم ، وهو أنهم وآباءهم اترفوا في الحياة فجهلوا العلم الصحيح ونسوا الذكر حتى أقحلت عقولهم وصارت كالأرض البور التي لا تنبت لأنها حرمت غيث السماء .

اللهم فقهنا في ديننا ، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، اللهم وفقنا إلى فهم كتابك ، والعمل به ، ووفقنا إلى التأسى برسولك واتباع سنته ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدي ورحمة وشفاء للمؤمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، العلي الكبير ، الولي الحميد . الذي تعنو لعظمته الوجوه ، وتخضع لكبريائه القلوب . لا يذل من والاه ، ولا يعز من عاداه .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، أعرف الخلق بالله ، وأتقاهم لله . أرسله ربنا بهذا الكتاب الكريم ليخرج به الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، قبله وبينه وأقام به الحجة على الناس جميعاً حتى تقوم الساعة . صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد : أيها المسلمون ، إن هذا القرآن الذي أنزله ربنا على نبيه صلى الله عليه وسلم شبهه ربنا سبحانه وتعالى بالفيث الذي ينزله من السماء ، فكما أن المطر يحيا به ميت الأرض كذلك تحيا بالقرآن القلوب . وكما أن معدن الأرض يختلف باختلاف كبراً من طينية خصبة إلى رملية جعدة إلى صخرية صلبة . ويكون انتفاعها بالماء حسب نوعها واستعدادها ، كذلك القلوب يكون انتفاعها وتقبلها للقرآن حسب فطرتها ونوعها واستعدادها . ففنها قلوب خصبة تنتفع بالقرآن وتنفع به ، ومنها قلوب رملية مائعة لا تكاد تمسك به فلا تنتفع بالقرآن ولا تنفع غيرها ، ومنها قلوب متحجرة قاسية لا تقبله ولا ينفذ إليها وقد تمسكه لغيرها ينتفع به . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل ما بعثني الله به ، كمثل الفيث الكثير أصاب أرضاً . فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعمل . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) .

ومن القلوب يا إخواني قلوب واسعة تحوى العلم الكثير فتكون للناس إماماً ، ومنها قلوب ضيقة تأخذ من العلم بقدرها . ومنها قلوب رقيقة طيبة على الفطرة التي خلقها الله عليها فتتقاد إلى ما أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم مستسلمة طيبة بمجرد أن تسمعها . ومنها قلوب فسدت بالتقليد والشهوات والشبهات لا تعود إلى الله ورسوله إلا بالتهديد والإنذار والوعيد . فذلك قوله تعالى : (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) .

فكما أن الوديان تأخذ من السيل بقدرها كذلك تأخذ القلوب من القرآن بقدرها .

وكما أن زبد الوديان يأخذه السيل فيطرحه بعيداً ، كذلك يأخذ القرآن من القلوب ما فيها من الجاهلية والتقاليد فيطرحها بعيداً . وكما أن النار إذا سلطت على المعادن الشديدة القاسية تنفى عنها زبدتها وخبثها ، كذلك وعيد القرآن وتهديده يخرج من القلوب القاسية شهواتها وشبهاتها وضلالها .

ثم يكون البقاء والخلود للأصلح ، فإن الزبد وهو الباطل لا بد وأن يزهرق ويبطل ، وإن ما ينفع الناس وهو الحق فإنه يبقى ويكون له العلو والنصر مهما حاول المبطلون أن يمحوه أسفل . والحق هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والباطل هو ما يأفك الدجالون من الأوراد والقصائد ليصرفوا بها الناس عن القرآن وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام . فالله الحق الذى أنزل كتابه الحق ، هو الذى تكفل بحفظه وإظهاره على الدين كله ولو كره الكافرون .

أيها المسلمون :

عاهدوا الله على العودة إلى كتابه وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم وأن تلتصقوا بعروته الوثقى ، وأن تتأدبوا بأدبه وتتخلقوا بخلقه ، وأن تأتمروا بأوامره وتلتزموا بنواحيه لتنالوا سعادة الدنيا وعزها ، وسعادة الآخرة والفوز فيها .

فوالله إنه لمن يصل أحد إلى راحة النفس وطمأنينة القلب والسعادة الكاملة في الدنيا والآخرة إلا إذا سلك صراط القرآن المستقيم على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم حقق لنا ذلك .

اللهم إنا نسألك ضارعين إليك أن تهدينا إلى تلاوة كتابك حق تلاوته ، وتدبره حق تدبره ، والعمل به في كل شئونا : في بيوتنا وأعمالنا وأنفسنا وأزواجنا وأبنائنا وجيراننا . اللهم وفق جميع المسلمين لذلك .

اللهم خذ بأيدينا وقلوبنا ونواصينا وقلوب ونواصي رؤساء المسلمين وساداتهم إلى طريق الفلاح والرشاد والهدى . وانصرهم يارب الحق وانصر الحق بهم . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهبنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

لا إكراه في الدين !

لصاحب العقيدة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش



أساس الدين العقيدة .

والعقيدة ما قر في القلب ، ورسخ في النفس ، وانطوى عليه الوجدان ، وتغلغل في أطواء الضمير .

والعقيدة من الأمور الغيبية التي لا يدرك كنهها ، ولا يعلم حقيقتها ، ولا يحيط بها بعد صاحبها إلا علام الغيوب . العليم بذات الصدور .

والعقيدة نوعان : عقيدة صحيحة ، وعقيدة فاسدة ، فالعقيدة الفاسدة ما كانت وليدة مما كان للآباء والأجداد بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير أو ما تسالت إلى النفس منذ الطفولة الأولى مما يسمع الطفل من البيئة التي عاش فيها ونشأ بين جنباتها كالعقائد التي كانت سائدة في الجاهلية الأولى ، وكالكثير من عقائد الأمم والشعوب التي لاتدين بالإسلام الصحيح . أما العقيدة الصحيحة فهي ما نشأت وتكونت عن اقتناع بالدليل الصحيح والحجة القاطعة أو خبر المعصوم .

وإذا كانت العقيدة تصديقا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر سميت إيمانا . أما أعمال الجوارح كالصلاة والحج والجهاد فقد تكون ثمرة العقيدة وتلبية لندائها ، وقد تكون طاعة واستجابة لأمر ، وقد تكون رياء ونفاقا . فإن كانت ثمرة العقيدة ، وتلبية لندائها ، فهي مصداق الإيمان ، وأمارته الدالة عليه كما قال الحسن عليه الرضوان : « ليس الإيمان بالتمنى ولاكن ما قر في القلب وصدقه العمل » .

ولاعبد ثوابها وثواب الإيمان الذي بصحبها .

وإن كانت استجابة لأمر الله ورسوله بغير إكراه ولا إلزام . وبدون أن يتغلغل الإيمان

في القلب ، ويبلغ مبلغ العقيدة . كما كان من الأعراب في صدر الإسلام ، فهي إسلام ، والعبد مأجور عليها . قال تعالى في سورة الحجرات : (قالت الأعراب : آمنا . قل : لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا . إن الله غفور رحيم ١٤) .

أما الرياء والنفاق فالباعث على الأعمال التي تصدر عنهما إما الخوف ، وإما طلب المنفعة العاجلة ، ولا ثواب على الأعمال التي يبعث عليها الرياء ، والنفاق ، وعلى أصحابها وزر رياستهم ونفاقهم . ولهم ما أعد الله للمرائين والمنافقين من العذاب المهيئ .

لا يمكن أن يكون الإيمان ثمرة إكراه وإلزام ، بل هو ثمرة الاقتناع بعد إعمال الفكر ، وإجالة النظر ، ورضا الضمير قال تعالى في سورة هود : (قال : يا قوم ، أرايتم إن كنت على بينة من ربي وأتاني رحمة من عنده فعميت عليكم . أنزل مكوها وأنتم لها كارهون ٢٨) .
قد تغل الأيدي والأعناق ، وتقيد الأرجل ، وتضرب الأجساد وقد يرغم الإنسان على أن يقول مالا يحب من القول ، أو على أن يعمل مالا يرضى من العمل . أما القلوب فهيات أن يكون لأحد عليها سلطان ، وليس في وسع إنسان مهما تبلغ قوته أن يرغم آخر على أن يعتقد عقيدة لا يقتنع بصحتها .

أشاع أعداء الإسلام أن الإسلام قد انتشر بالسيف ، وجاراهم في ذلك سليمو النية من علماء المسلمين ، والحق أن الإسلام لم ينتشر إلا بالإقناع والحجة والبرهان قال تعالى في سورة البقرة : (لا إكراه في الدين . قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، الانقسام لها . والله سميع عليم ٢٥٩)

وقال تعالى في سورة يونس (ولو شاء ربك لآمنَ مَنْ في الأرض كلهم جميعا . أفأتات تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ٩٩)

دعا سبحانه إلى الإيمان بوحدايته ، فأقام الدليل المقنع على ذلك . قال تعالى في سورة الأنبياء : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ٢٢) ودعا إلى الإيمان بالبعث والنشور ، فأتى بالبرهان القاطع الذي لا يرتاب معه مرتاب . قال تعالى في سورة الحج : (يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً . وترى الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ٥ ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير ٦ وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ٧)

ودعا إلى الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فجاء بالحجة القاطعة . قال تعالى في سورة العنكبوت : (وقالوا : لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل : إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين ٥٠ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ٥١)

* * *

السيف لا يشمر إيماناً وإنما يشمر نفاقاً ، وضرر النفاق شر من ضرر الكفر ، وفساد المنافقين أبشع من فساد الصرحاء من الكافرين . إن من أكره على الإيمان وصدده منشراح بالكفر لا يكون مؤمناً ، كما أن من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لا يكون كافراً . قال تعالى في سورة النمل (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ١٠٦)

* * *

أما القتال الذي وقع من المسلمين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان لرد

عدوان الكافرين ، وإزاحتهم عن طريق دعوة الحق ، حتى تستمتع بحريتها الكاملة ، وتأخذ سمتها إلى قلوب العقلاء الذين يتقبلونها ، ولو أن الكافرين كفوا أيديهم ، ولم يقاتلوا المؤمنين ولم يصدوم عن سبيل الله ، ولم يقصدوا للدعوة ، ماقاتلهم المسلمون ولا شهروا عليهم سيفاً ، ولا أشرعوا رحماً ، ولا سدوا سهماً . قال تعالى في سورة البقرة : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين ١٩٠)

وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً : (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ١٩٣)

قد أمر سبحانه بالقتال لدفع الفتنة وهي محاولة الكافرين إعادة المؤمنين في ملتهم ، بعد إذ نجاهم الله منها .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله » فإن الناس الذين أمر صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم ، هم الذين أمر أن يقاتلهم في الآية السابقة وهم المحاربون المعارضون لدعوة الحق .

ولما مالاً المشركون بعضهم بعضاً وأصبحوا يداً على المسلمين ، أمر المسلمون بقتالهم جميعاً لأنهم محاربون معتدون . قال تعالى في سورة التوبة : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين ٣٦)

وبهذا يثبت ماقررتة آنفاً ، وهو أن الناس لا يكرهون على العقيدة إكراهاً ، ولا يرغبون على الإيمان إرغاماً لأن الإيمان اقتناع وتصديق ، ولا يكون إلا بعد إعمال الفكر وإزالة النظر . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

آفة الجماعة الإسلامية

نفاق العمل - ٣ -

للأديب عبد السلام رزق الطويل

نحدث مع قراء المجلة في المقالين السابقين عن آفة النفاق في الدنيا ، وآفة النفاق في الدين ، وحينما تحدثت في المقال السابق عن النفاق في الدين ، كان حديثي مقصوراً على النفاق في العقيدة من حيث نشأته وتطوره ، والأسباب التي نمته ؛ ثم انكشاه ؛ ثم ظهوره مرة أخرى ، وشرحت ما كان للمنافقين من مواقف مع الإسلام ورسوله . وفي هذه المرة سأحدث إلى القراء عن النفاق في أعمال الدين . فأقول : وبالله التوفيق .

لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه ، حسناً في قصده ، نزيهاً عن الرياء ، بريئاً من النفاق ، بعيداً عن لؤثة الإشرار ، كما قال الله في كتابه مخاطباً رسوله : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا الله الدين الخالص) وأيما عمل يعملها صاحبه لا يرجو منه جلال الطاعة ، وعظمة العبادة ، وتطهير النفس ، وسمو القلب ، وتهذيب الوجدان ، ونقاء الضمير ، ورضوان المولى ، بل يبغي شهرة ذائقة ، وسمعة كاذبة ، وثناء براقاً ، وإعجاباً ضالاً . وخداعاً للخلق ، وتمويهاً على البشر ، فذلك عمل لا خير فيه ، ولا نفع يرجى منه ، فهو سراب خداع ، وغيم جهام ، وسحاب ليس فيه ماء ، لا يقدم ، بل يؤخر ، ولا ينفع بل يضر . ينقلب حسنه إلى أسوأ ، ونافعه إلى أضر ، وخيره إلى شر ، فهو عمل حابط ، وجهد ضائع ، ولهذا جاء في الحديث القدسي : « أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري ، فأنا منه براء ، وهو للذي أشرك » .

فالصلاة التي يداخلها الرياء ليست بصلوة ، وكأين من رجل يصلي ، وهو شارد الذهن ، مشنت الفكر ، مشغول البال في أمور دنياء ، لا يفكر في جلال من يخاطبه ، وعظمة من

يناجيه ، فيخرج منها كما دخل فيها ، مازادت حسناته شيئاً ، بل حملته أوزاراً وأوزاراً إذ الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل » وكان هذا لأنه دخل فيها كسولاً ، فخرج منها مخدولاً ، فتحقق فيه قوله تعالى : (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن بضل الله فلن تجد له سبيلاً) .

والذى يدفع هؤلاء لهذا ، هو الظهور بمظهر الطاعة ، والانسام بسمه الخشوع والعبادة ، والذى يقول الناس عنهم ، إنهم يصلون ويتحدثون عنهم كما يتحدثون عن العباد الخالصين ، وكانت هذه الصلاة المصحوبة بهذا القصد حابطة لأنها فشلت في أداء رسالتها ، وعجزت عن تطهير النفس وتركيتها ، وقرنت بسوء النية ، وخبث الطوية ، وتفاهة القصد ، وحقارة الغرض ، وقبح الرياء ؛ وكأين من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، لأنه قد دفع إلى هذا الصيام دفعاً وحمل عليه حملاً ، لأنه خشى لوم الناس ، وتأنىب الصائمين ، ولهذا نراه يصوم ولا يصلى ، مع أنه لا فائدة للصيام بدون الصلاة ، والعبادات ، كل لا يتجزأ ، وعقد نظم لو سقطت منه حبة اختل نظامه ، وشاء جماله ، وذهبت روعته ، وذوت حليته ، وتراهم إذا صاموا فجاءوا ، وأحسوا بشيء من الظم ، ضاقت أخلاقهم ، وساءت طبائعهم ، واختل توازنهم ، فيسبون ويشتمون ، مع أن الصيام شرع لغرس مكارم الأخلاق ، وتراهم يقضون أيام الصوم في نهش الأعراض ، وهتك الحرمات ، واغتيال الناس ، فصاموا عما أحل الله ، وأفطروا على ما حرم الله . فضل سعيهم في الحياة الدنيا . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

ومن أبرز صفات الصلاة الكاذبة ، والصيام الخادع أن مؤديهما لا يدفع الزكاة وهو موسر ، ويمنعها وهو قادر ، ويضن بها على أصحابها من عباد الله ، غير مفكر في أن ما هو فيه من خير إنما هو من عند الله ، وأن الفضل بيد الله ، قال شوقي :

عجبت لمعشر صاموا وصاموا ظواهر خفية ، وتقى كذابا
وتلفاهم حيل المال صمماً وبكماً ، إذا داعى الزكاة بهم أهابا

على أن الزكاة المفروضة حق معلوم للسائل والمحروم ، ومانعها متجرد من ثوب الإيمان غير موقن بثواب الواحد الديان ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ألم يقل الله تعالى : (وويل للمشركين الذين لا يؤنون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) ؟ .

ومن أداها حفظ لنفسه إيمانها ، وصان لها إسلامها ، أسراً أم جهر ، كتم أم أظهر ، بل لو أظهر لكان خيراً لا رياء فيه ، حتى يقتدى به الأغنياء ، وينافسه الموسرون . وأما صدقة التطوع فالإسرار بها أفضل ، لأن روح الامتنان فيها أظهر ، وهذه بخلاف الأولى لأن الأولى حق مقدر ، ولذا قال الله تعالى : (إن تبدو الصدقات فنعما هي وإن تخفوها ، وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « صدقة السر تطفى غضب الرب » ، وقال فيما رواه البخارى فى حديث السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

فإذا شفعت بالبن ، وقرنت بالأذى ، خسر صاحبها المال الذى أنفقه ، والثواب الذى يربح به كما قال المنبجى :

إذا الحود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوبا ، ولا المال باقيا
وقد ضرب القرآن الكريم مثلين من أروع الأمثلة وأسماها ، وأبلغها وأعلاها للصدقة الخالصة ، والتى دنسها إثم الرياء . فانظر كيف صور صدقة الخالص فقال تعالى : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآنت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير) فعلى الحالين مشرة ، وعلى الحالين فيها خير كبير ، وما أجل قوله تعالى : (جنة بربوة) إنها ليست كسائر الجنان ، بل هى جنة بمكان عال حيث تحسن الجنات وتجود الزروع ، وتتضاعف الثمار ، والعرب تضرب المثل بزهر الربا ، وتلك نظرية أقرها علماء النبات .

وبهذا التصوير الدقيق أيضاً صور القرآن صدقة الرياء . فقال تعالى (يأبى الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى ؛ كالأذى ينفق ماله رئاء الناس ، ولا يؤمن بالله ، واليوم

الآخر . فمثل كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرّون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين) فهو مجرد من الثواب تجرد الحجر الأملس من غباره بعد هطول الواابل عليه .

والحج قصد كريم إلى بيت كريم ، وبقاع مقدسة ، وأماكن مباركة في أشهر حرم ، فإذا داخله رياء ، أو شابه نفاق ، فد القصد ، وتلوث الغرض ، إذ الحج رحلة روحية يجب أن تنفعل لها النفس ، ويحس بها القلب ، ويتأثر لمشاهدها الوجدان ، ويهتز لمناسكها الضمير حتى تثمر ثمرتها ، وتؤتي أكلها ، ويرجع صاحبها كيوم ولدته أمه ، مبرأ من ذنبه مجرداً من خطاياها ، أما إذا ابتغى اللقب ، واتخذ ثوبا يكسوه بين الناس هيبة ويخلع عليه تقوى وورعاً فذلك هو الضلال البعيد : والعمل الحابط ، والعبادة الكاسدة .

وهكذا نرى أن الإخلاص هو روح العبادة ، وشرط قبولها ، ودليل على صلاح العمل . وآية على خيريته ، وأماراة على نزاهته ، ألم يقل الله تعالى لرسوله في القرآن : (فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا الله الدين الخالص) ؟ .

إن الرياء يفسد العمل ، ويحبط العبادة ، بل ويقلبها خطيئة ، ويحيلها إلى رذيلة تودي بصاحبها إلى جهنم ، وبئس المصير . وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المصير حين صور حال المرائين يوم الدين فقال : « فيما رواه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول رجل يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأثى به ، فعرفه نعمه فعرّفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت . ولكن قاتلت أن يقال : جرى . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى يلقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن . فأثى به فعرفه نعمه فعرّفها . فقال : ما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقل : عالم . وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأثى به فعرفه نعمه فعرّفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها

إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت إيقال : هو جواد ، فقد قيل .
ثم أمر به فسحب على وجهه ، فالتقى في النار ، رواه أحمد ومسلم ، ونحوه في سنن الترمذي «
فأنظر كيف انقلبت الطاعات إلى معاصي ، واستحال البر إلى إثم ، وأمسى الخير شراً ، كل
هذا لفساد النية ، وخبث الطوية ، وموت الضمير ، وأى عمل يؤديه صاحبه رياء يكون
دائماً - كما نرى ونشاهد - ناقصاً مختلفاً بعيداً عن القصد والاستقامة ، وعلى هذا يكون
قبيح الثمرة ، هزيل القطف لأن للأخلاص دخل كبير في اتقان الأعمال والله يحب المحسنين
والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، ولا أدل على قدر النية في
قبول العمل من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل مانوى
فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى تجارة
أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

هذا ما أردت أن أقوله في هذه الآفة القاتلة ، وهذا الداء العضال ، آفة النفاق بجميع
فروعها وأقسامها ، سواء أكان في الدنيا أم في الدين ، في العقيدة أم العبادة ! ! وأرجو أن
أكون قد وفيت ، فصورت هذا الداء تصويراً يبين خطره ، ويحدد ضرره ، فإن أصبت
فن الله ، وإن أخطأت فني ومن الشيطان ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الشركة الاقتصادية العامة

(هزل و الشافعى)

لتجارة الشاى والبن والبقالة وغيرها

بالجمله - والقطاعى

شارع الترجمان المتفرع من شارع القلعة (محمد طى سابقاً) ممر الشامى

تليفون ٤٥٧٢٢

تربية النشء

الأديب سعد صاوي محمد

النشء هو سند الوطن وسواعده القوية الفتية التي تحميه من كل معتد غادر . وعينه الساهرة على راحته وأمنه . وقلبه النابض الذي يرسل إليه دماء الحياة والطمأنينة ، ويبعث فيه السعادة والكرامة . ولذلك عنى الإسلام أشد العناية بتربية النشء وتلقينه مقومات الحياة والمبادئ السامية ، من حث على عمل الخير والأمر بالمعروف واجتناب المنكر وحب الوطن والتضحية والفداء . وهكذا حمل الإسلام للنشء على لسان نبي الهدى ورسول الخير محمد صلوات الله وسلامه عليه من الاهتمام والعناية نصيباً موفوراً وقسطاً غير منقوص بما يكفل له تربية صحيحة سليمة تؤهله للحياة ، وتجعله قوياً عاملاً نافعاً .

ومن أهم العوامل التي يجب أن تراعى في تربية النشء هي (البيت) فالبيت هو أول شيء يفتح النشء عليه عينيه ويحده أمامه فيحبه ويألفه ، ويتبوأ نظره مافيه من المراتب . والبيت هو المسئول عن النشء ، فهو أول شيء يتأثر به لما يأخذه منه من طبائع ومحوطة من خصال ولما يتلقنه من تعاليم . فالنشء إن وجد في بيته تقاليد وعادات متغلغلة تسود البيت آمن بها ومشى وراءها وكبر في ظلها وتطبع بها . وإن وجد في بيته فساداً وانحلالاً وتدهوراً في كل ما يأتية البيت وبدع من الأمور ، اعتنقها واغترف منها وحرص على الأخذ بها وعاش فيها . وإن وجد النشء في بيته مبادئ سامية وتعاليم حكيمة وأدباً ، فإنه يشب عليها . ويتزعرع بين أحضانها ويتربى تحت سماها .

والبيت مدرسة إن إخلص في تربية النشء أو تحرى الإصلاح وجادة الطريق نحوه ، أعدّ جيلاً قوياً صالحاً يؤمن بالله وبوطنه وبنفسه . والبيت تقع على عاتقه مسئولية اختلاط النشء بغيره ممن فسدت أخلاقهم وضاعت منهم مقومات النشأة الصالحة وعوامل التربية الصحيحة .

وهكذا نجد أن البيت هو صاحب المسؤولية الأولى في حياة النشء وأتجاهه ولا نستطيع أن نبذل حياته التي ألفها وكبر عليها ، ولا يمكننا كذلك أن نغير من هذا الاتجاه مهما حاولنا بشق الطرق ومختلف الوسائل ، أن نفرس في نفسه شجرة جديدة لحياة جديدة تخالف مانشأ عليه .

والبيت المؤمن بحق أولاده والمؤمن بواجبه نحوهم ، لا يمكن أن يخرج للوطن أبناء معوجين فاسدين لاندل سلوكهم وأحوالهم على معنى واحد من معاني الجسد والاستقامة والرشاد إننا نرى اليوم أكثر الناس يمنحون أبناءهم جانباً كبيراً من العطف والحرية ويفرطون في الحب والرفاهية فيتركونهم لما يحبون ويحبون لهم ما يشاءون دون أن يكون هناك إلى جانب ذلك نوعاً من القيد الذي يجد من تماردهم في سلوكهم المعوج ويكبح جماحهم ويكون مانعاً بينهم وبين كل ما يحملهم يخرجون عن دائرة الأدب والحياء ويجرهم إلى كل شيء غير مستساغ ومعقول . نرى ذلك كثيراً عند أكثر الناس وخاصة عند من فتنوا بالمال ، فإذا كبر الأبناء عل هذا الحال فقدوا السيطرة عليهم كما يفقدوا إرادتهم التي تصبح عندئذ أضعف من خيط العنكبوت . وقد يصل تمارد بعض الأبناء في سلوكهم المعوج إلى حد إهانة أهليهم والاعتداء عليهم . لقد فقد النشء التربية الصحيحة وانحرف وحاد عن الطريق المستقيم . غرائبهم يتسكع في الطريق ليعاكس النساء بادياً بمظاهر كاذبة زائفة خادعة . يبذل وقته هباء ويتل ساعاته في لهو ومجون وعربدة . وشاهدناه أيضاً في حركات مائعة ، وقد انقلب إلى شخصية هازلة لا يعرف معنى الرجولة والخشونة . رأيناه كذلك لا فراغ يستغله لما فيه النفع والخير ، ولا وقت يقدر ويوزن بميزان دقيق بحيث لا يجب إضاعة شيء منه إلا في ميدان الخير والعمل والإنتاج . ولاتقدير لتبعات المستقبل ومسئوليته يكون لها نصيب من الاهتمام . فيخرج النشء فاقد الشخصية جاهلاً بالمسؤولية معتمداً على غيره في تدبير شئون الحياة .

ثم يأتي بعد ذلك دور المدرسة التي تضطلع بالناحية الثانية في حياة النشء ويقوم على عاتقها الشطر الآخر المكمل لهذه التربية وهو دور (التربية الثقافية العملية) وهذا الدور يجب أن يكون قائماً على أساس من العلم الصحيح والمعرفة الحققة والإرشاد إلى الفضيلة ، والشعور بالواجبات والحقوق .

والبيت والمدرسة هما عنصران مرتبطان ببعضهما البعض يساهم كل منهما بنصيبه في تربية النشء وتعاليمه ولسكننا إن وجدنا أن البيت والمدرسة قام كل منهما بواجبه على قدر المستطاع رأينا هناك عقبة تقف في سبيل تحقيق ما نرجوه للنشء من الخير والصالح . رأينا عالماً آخر يعيش أهله في الأرض فساداً . عالم يعيش فيه الاباحى والمتحلل والملاحد والوجودى . خليط من كل دين ضال ، وعناصر هوى وفساد تنفث سمومها في الصغير وفي الكبير . نجد هذه العقبة وقد برزت وعاشت في هذا العالم في شكل صحف ومجلات تدعو إلى الدعارة السافرة والخلاعة الظاهرة ، وإلى مناجاة الشيطان بما تنشره دون حياء ولا خجل من صور لنساء عاريات في أوضاع تنير الفرائز الجنسية . ومؤلفات وكتب تنبعث من بين سطورها رائحة الرذيلة والفجور وتفتح على النشء أبواب الاثم والكفر . ودور ملاهى لا تأتى إلا بالحب ، والهيام وأعمال اللصوصية والإجرام ، عاش النشء مع كل هذا فكان معارل هدم له وتحطيم لمقومات الحياة الصحيحة فيه . فكان لا بد أن ينحرف ويحيد وتسرى فيه روح التفكك والضعف حتى أصبحنا نرى اليوم شباباً نجعل أن نسميهم (رجالاً) ونبراً (آسفين متألين) أن نجعلهم في عداد المتعلمين المثقفين . لقد نادى وينادى كثير من المصلحين بضرورة حماية النشء من شرور هذه الملاهى والكتب والصحف وذلك عن طريق فرض رقابة قوية حازمة على كل ما ينشر ويكتب ويعرض والسكن !!! ... مازال هناك قوم تجردوا من الدين والضمير جرباً وراء عرض زائل وريح ماضى ضائع وأشباع شهوات خبيثة دينية على حساب مقومات الأمة وعلى حساب الفضيلة والحياء .

وهؤلاء القوم لديهم من وسائل الفن الصحفي وأمامهم من ميادين الأعمال الشريفة وطرق معالجة أمراض المجتمع والإصلاح الاجتماعى بطريقة نبيلة سامية بريئة لديهم من كل ذلك ما يغنيهم عما يأتونه من هذه المهالكات والحطامات لمقومات الأمة ومعنوياتها .

إن النشء تبعه كبرى من تبعات الحياة ، وهى غصون غضة طرية يجب أن نتهددها بالرعاية الصحيحة والاهتمام فنقومها قبل أن نحف وتيبس وتستعصى على التقويم .

إننا نرجو مخلصين أن يكون لنا نشء ينبذ العادات الضارة ويبتعد عن ، واطن الانحراف والانحلال ومهاوى الفساد والطيش ويؤمن بإنسانيته وبوطنيته فيتجه إلى العمل والمستقبل حتى يكون للأمة منه مجتمع سليم .

لغة القرآن

مفردات في اللغة العربية مجموعة من كتاب « تهذيب الصحاح »
واقصرت فيها على ألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة
محمد رشدي خليل

البذعة : الحَدَث في الدين بعد الإكمال .

الباعُ : قدر مدُّ اليدين .

بعتُ الشيء ، أبيعُه بَيْعاً وبيعتهُ أيضاً : اشتريته ، وفي الحديث : « لا يَبِيعُ الرَّجُلُ على بَيْع أخيه » يعني لا يشتري على شراء أخيه ، فَإِنَّ النَّهْيَ يَقَعُ على الْمُشْتَرَى لا على البائع .
تبعْتُ القوم ، إذا مشيت خلفهم . وأتبعْتُهُمْ ، إذا كانوا قد سَبَقُواك فلاحَقْتَهُمْ .
والتَّبِيعُ : الذي لك عليه مالٌ . وقوله تعالى (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ علينا به تَبِيعاً)
أى ثائراً ولا طالباً .

جُمَاعُ الناس : أخلاطهم وهم الأَشَابَةُ من قبائل شتى . ويقال للمزدلفة « بَجْع »
لاجتماع الناس بها .

وأجمعتُ الأمر وعلى الأمر ، إذا عزمْتَ عليه .

وجماعُ الشيء : جمعه . يقال الغمرُ يَجَاعُ الإنم .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم » يعني القرآن الكريم
وما جمع الله عز وجل له من المعاني الجمّة في ألفاظ قليلة .

الخُشوع : والخُضوع . و « خُشوع » الكواكب دنوها من الغروب . والخُشوع

التواضع .

وخَشَعَ بصره ، أى غَضَّهُ . ومكان خاشع : لا يهتدى له . والخاشع : الراكع .

الخُضوع : التَّطَامُّن والتَّواضُع .

وقوله تعالى : (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ) . أى يتلاوَمُونَ . وفلان يؤمن بالرجعة ، أى بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت .

والرجعة : مذهب قوم من العرب فى الجاهلية معروف عندهم ، ومذهب طائفة من أولى البدع والأهواء ، يقولون إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان . ومن جعلهم طائفة من الرافضة يقولون : إن علي بن أبى طالب رضى الله عنه مستتر فى السحاب ، فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادى مناد من السماء : أخرج مع فلان « ومن خرافات الباطنية أن الرد صوت علي رضى الله عنه .

الترقيع : السماء الدنيا ، وكذلك سائر السموات . وفى قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ حين حكم فى بنى قريظة : « لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » . والترقيع : الأحمق ، وقيل « الذى يتمزق عليه عقله » .

الركوع : الانحناء ، ومنه ركوع الصلاة . و « ركع » فلان أى أفقر بعد غنى وانحطت حاله . (يتبع)

أحدث النظارات الرائعة

تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصرى الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ ب ميدان العتبة تليفون ٤١٢٢٦ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شباير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار فى متناول الجميع

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات المتازة في الصناعة والمتانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عظمه صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنية للتصليح

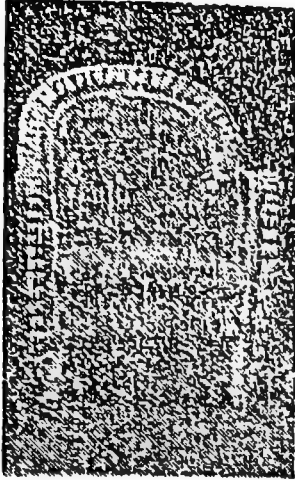
﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

مطبعة السنة المحمدية

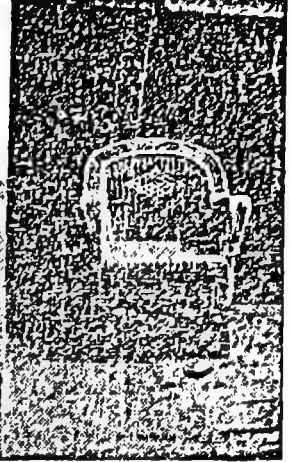
١٧ شارع شريف باشا الكبير

٧٩.١٧ ٥

في أي مكان تجده يتألق ويزهو



آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكرسي النموذجي
انشاج، حسن علف حقاد



انه الكرسي النموذجي

في المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

موبيليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل

مس على صمد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندی سجل تجارى ٤١١٠١

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمحلات

الحاج زكير على

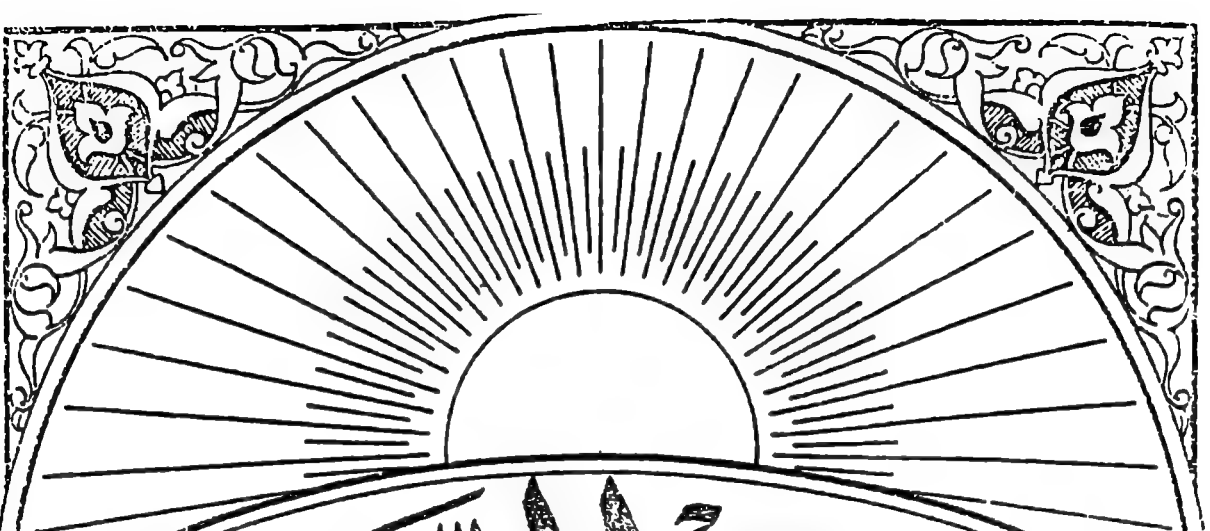
تاجر عموم أصناف الخيش والحبل — ال والدوباره

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥



أَمَّا ذِي النُّبُوِّ

مَجْلَدٌ دِينِيَّةٌ عَلَيْهِ

تَصَدَّرَهَا

جَمَاعَةُ أَنْصَارِ السُّنَّةِ الْمَحْمَدِيَّةِ

خَيْرُ الْهَدْيِ

هَدْيٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

صفحة

٣	التفسير لفضيلة رئيس التحرير . . .
٢٢	إنما الأعمال بالنيات لشيخ الإسلام ابن تيمية
٣٣	الولاية فرض على كل مؤمن ومؤمنة لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٣٦	خطبة منبرية للأستاذ سليمان رشاد محمد . . .
٤٢	آفة الجماعة الإسلامية للأديب عبد السلام رزق الطويل
٤٧	باب الفتاوى لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات الممتازة التي تمخض برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان

لمئاتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

محلات محمد حبيب الساعاتي

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل في الدفع على أقساط شهرية

استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعي

المذنب النبوي

مدير الإدارة

محمد رشدي خليل

الاشتراك السنوي

٢٠ - في مصر والسودان

٣٠ - في الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير البري عدني محمد صلي الله عليه وسلم

رئيس التحرير

محمد هاجر الفقي

الإدارة :

٨ شارع قوله

بعبدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

١٠ - ٨

شعبان - شوال سنة ١٣٧٧

المجلد ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة بني إسرائيل

وتسمى « سورة الإسراء »

وآياتها إحدى عشرة ومائة آية . مكية

روى البخارى - فى تفسير سورة بنى اسرائيل - بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال - فى بنى اسرائيل ، والكهف ، ومريم - « لمنهن من العتاق الأول . وهن من تلادى » .

ورواه فى تفسير سورة الأنبياء ، وزاد فيه « الأنبياء » .

قال الحافظ ابن حجر فى تفسير سورة بنى اسرائيل « العتاق » بكسر المهملة وتخفيف المثناة ، جمع « عتيق » وهو القديم ، أو هو كل ما بلغ الغاية فى الجودة . وبالثانى : جزم جماعة فى الحديث . وبالأول : جزم أبو الحسن بن فارس . وقوله « الأول » بتخفيف الواو . وقوله « تلادى » بكسر المثناة وتخفيف اللام ، أى مما أحفظ قديماً . و « التلاد » قديم الملك . وهو بخلاف « الطارف » .

ومراد ابن مسعود رضى الله عنه : أنهن من أول ما تعلم من القرآن ، وأن لهن فضلاً ،

لما فيهن من القصص ، وأخبار الأنبياء والأمم . وسيأتى الحديث فى فضائل القرآن بآتم من هذا السياق إن شاء الله تعالى .

يعنى الحافظ الحديث الثانى فى باب تأليف القرآن - بالسند الذى رواه به البخارى فى تفسير سورة بنى إسرائيل ، وتفسير سورة الأنبياء - عن عبد الرحمن بن يزيد قال : سمعت ابن مسعود يقول - فى بنى إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء - « إنهن من العتاق الأول . وهن من تلادى » .

وقال الحافظ ابن حجر فى تفسير سورة الأنبياء : زاد فى هذه الرواية ما لم يذكره فى تلك - يعنى التى فى سورة بنى إسرائيل .

وحاصله : أنه ذكر خمس سور متوالية . ومقتضى ذلك : أنهن نزلن بمكة . لكن اختلف فى بعض آيات منهن .

أما فى « سبحان » فقوله تعالى (ومن قُتلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً - الآية ٣٣) وقوله تعالى (وإن كادوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا . سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا . وَلَا تَجِدُ لَسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا - الآيتين ٧٦ ، ٧٧) وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ، فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم - الآية ١٠١) وقوله تعالى (وقل : رب ، أدخلنى مدخل صدقٍ وأخرجنى مخرج صدق - الآية ٨٠) .

وفى « الكهف » قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (الآية ٢٨)) وقيل : من أول السورة إلى قوله تعالى (أحسن عملاً - الآية ٣٠) .

وفى « مريم » قوله تعالى (وإن منكم إلا واردةا . كان على ربك حتماً مقضياً - الآية ٧١) .

وفى « طه » (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - الآية ١٣٠) .

وفى « الأنبياء » (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ؟ - الآية ٤٤) .

قال : ولا يثبت شيء من ذلك . والجمهور على أن الجميع مكيات . وشذ من قال خلاف ذلك . انتهى كلام الحافظ ابن حجر فى الجزء الثامن من فتح البارى .

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ١ سبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ، إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ آيَاتِنَا . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

« سبْحَانَ » أصله مصدر نحو غفران . وفعله « سَبَّحَ » .

قال في الصحاح : « السَّباحة » العوم . و « السَّبَّح » الفراغ ، والتصرف في المعاش .

قال قتادة في قوله تعالى (٧٣ : ٧) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) أى فراغا طويلا .

وقال أبو عبيدة : منقلباً طويلا . وقال المؤرج : هو الفراغ والجئنة والذهاب . و « سَبَّح »

الفرس « جريه . و « التسبيح » التنزيه . و « سبْحَانَ اللَّهِ » معناه : التنزيه لله . و « اللَّهُ »

نصب على المصدر . كأنه قال : أبرئ الله من السوء براءة . والعرب تقول « سبْحَانَ اللَّهِ مِنْ كَذَا »

إذا تعجبت منه . قال الأعشى :

أقول - لما جاءنى فخره سبْحَانَ اللَّهِ من علقمة الفاخر

يقول : العجب منه إذ يفخر .

وإنما لم ينون لأنه معرفة عندهم . وفيه شبه التأنيث اهـ . باختصار .

قال شارح القاموس : وقال ابن برى : إنما امتنع صرفه للتعريف ، وزيادة الألف

والنون . وتعريفه : لكونه اسماً علماً للبراءة . كما أن « نزال » اسم علم للنزول و « شتان »

اسم علم للفرق . قال : وقد جاء « سبْحَانَ » في الشعر منونا . قال أمية بن أبي الصلت :

سبحانه ، ثم سبحاناً يعود له وقبلنا سبح الجودى والجُمد

وقال ابن جنى « سبْحَانَ » اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه ، بمنزلة « عثمان » و « حمران » .

اجتمع في « سبْحَانَ » التعريف والألف والنون . وكلاهما علة تمنع من الصرف .

ومال جماعة إلى أنه معرف بالإضافة المقدرة ، كأنه قيل : سبْحَانَ اللَّهِ من علقمة

الفاخر .

وقال الرضى « سبْحَانَ » هنا للتعجب .

والأصل فيه : أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائه تعالى . ثم كثر حتى

استعمل في كل متعجب منه . اه باختصار . ونحوه في لسان العرب .
 وقال أبو علي الفارسي في مقاييس اللغة « التسبيح » تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء .
 و « التنزيه » التبعيد ، والعرب تقول : سبحان من كذا ، أى ما أبعد .
 والساج من الخيل : الحسن الين في الجرى . اه . باختصار .
 وقال ابن الأثير في النهاية : أصل « التسبيح » التنزيه ، والتقديس ، والتبرئة من
 النقائص . فعنى « سبحان الله » تنزيه الله . وهو نصب على المصدر بفعل مضم . كأنه
 قال : أبرئ الله من سوء براءة .

وقيل : معناه : التسرع إليه والخفة في طاعته .
 ويقال أيضاً للذكر ، والصلاة النافلة : « سُبحَة » . و « السُّبحَة » من « التسبيح »
 كالسخرة من التسخير . اه باختصار .

وقال في القاموس : « سبح » بالنهر ، وفيه : كنع سَبَحًا وسباحة - بالكسر - : عام
 وهو ساجح وسُبوح من سُبحاء ، وسَبَّاح من سباحين - إلى أن قال و « السواجح » الخيل
 لسبحها يديها في سيرها ، و « سبحان الله » تنزيهاً لله من الصاحبة والولد ، معرفة .
 قال شارحه السيد مرتضى الزبيدي ، قال شيخنا ^(١) : يريد أنه علم جنس على التسبيح
 كبرة على البر ، ونحوه من أعلام الأجناس الموضوعة للعاني .

قال الزجاج في قوله تعالى (سبحان الذي أسمى) نصب على المصدر ، أى على المفعولية
 المطلقة . ونصبه بفعل مضم متروك إظهاره ، تقديره : أصبح الله تسبيحاً . قال سيبويه :
 زعم أبو الخطاب أن « سبحان الله » كقولك « براءة الله » أى أبرئ الله تعالى من سوء
 براءة . وقيل : قوله « سبحانك » أى أنزهك يارب من كل سوء وأبرئك .

قال شيخنا : ثم نزل « سبحان » منزلة الفعل ، وَسَدَّ مَسَدَهُ ، ودل على التنزيه البليغ
 من جميع القبائح التي يضيفها إليه المشركون ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(١) يعنى به : أبا عبد الله محمد بن الطيب بن محمد القاسى المولود بفاس سنة ١١١٠ والتوفى
 بالمدينة للنورة سنة ١١٧٠ هـ .

وقال النضر بن شميل : رأيت في المنام كأن إنساناً فسر لي « سبحان » فقال : أما ترى
 الفرس يسبح في سرعته ؟ وقال : « سبحان الله » السرعة إليه والخفة في طاعته . اه
 وقال الراغب في المفردات « السبح » المر السريع في الماء والهواء . يقال : سبح سَبْحًا
 وسِبَاحَةً . واستعير لمر النجوم في الفلك . نحو (وكلُّ في فَلَكَ يسبحون) ولجى الفرس
 نحو (والسابحات سَبِحًا) ولسرعة الذهاب في العمل . نحو (إن لك في النهار سبْحاً طويلاً)
 و « التسبيح » تنزيه الله تعالى . وأصله : المر السريع في عبادة الله . وجعل ذلك في فعل
 الخير ، كما جعل الإبعاد في فعل الشر . فقيل : أبعد الله . وجعل التسبيح عاماً في العبادات
 قولاً كان ، أو فعلاً ، أو نية . اه

وقال شارح القاموس : قال شيخنا - نقلاً عن بعضهم - و « سبحان الله » إما إخبار
 قصد به إظهار العبودية ، واعتقاد التقديس والتقديس . أو إنشاء نسبة القدس إليه سبحانه
 وتعالى . فالفعل للنسبة ، أو لسلب النقائص ، أو أقيم المصدر مقام الفعل ، للدلالة على أنه
 المطلوب . أو للتجاشي عن التجدد ، وإظهار الدوام . ولذا قيل : إنه للتنزيه البليغ ، مع قطع
 النظر عن التأكيذ .

وفي المعجائب - للكرمانى - من الغريب ما ذكره المفضل : أن « سبحان » مصدر
 « سَبَحَ » إذا رفع صوته بالدعاء والذكر . وأنشد :

سَبَحَ الإلهُ وجوه تغلب كلما سَبَحَ الحبيج وكبروا إلهالاً

قال شيخنا : قلت : قد أورده الجلال السيوطى في الإتيان عقب قوله : وهو - أى
 « سبحان » - مما أميت فعله . وذكر كلام الكرمانى متعجباً من إثبات المفضل لبناء
 الفعل منه . وهو مشهور . أورده أرباب الأفعال وغيرهم . وقالوا : هو من « سَبَحَ » مخففاً
 كشكر سُكرانا . وجوز جماعة أن يكون فعله « سَبَحَ » مشدداً ، إلا أنهم صرحوا بأنه
 بعيد عن القياس . لأنه لا نظير له ، بخلاف الأول . فإنه شير ، وإن كان غير مقبس .
 وأشاروا إلى اشتقاقه من السبح : العموم ، أو السرعة ، أو البعد ، أو غير ذلك .

أقول - ومن الله أستمد العون والتوفيق - نخلص من هذا كله بأن معنى « التسبيح »

أن يلاحظ المسيح : أنه يسبح ويعوم في بحر هذه الحياة المأسج بالفتن والبلاء ، وأن الله سبحانه قد أعطاه ما أعطاه من النعم والسنن - في نفسه وفي الآفاق - ليتخذ منها آلات لسبحه وعومه لينجوها من الفتن والحزن ، وينجح بها في الإبتلاء ، حتى يصل إلى بر الحياة الآخرة سليماً معافى . ولذلك يقول ربنا (فسبح بحمد ربك) أى بآثار تجليه عليك بأسمائه الحسنى ، التى يحمدها ويثنى عليه بها . لأنها كلها جميلة وخير ونفع لك ، ويقصد بها ربك المحمود بكل الحمد أن يرييك ، ويعطيك ، ويرفعك على مدارجها إلى أعلى درجات الكرامة مع الأبرار في عليين .

فلو أن المسيح في الصلاة وغيرها كان حاضر القلب ، فقيهاً في دينه ، عربى الفكر والعقل والقلب واللسان يسبح بقلبه وعقله وجوارحه وأعماله مع لسانه ، لنال من هذا التسبيح كل أسباب القوة والنجاح ، كما نجح به - وبغيره من هدى القرآن - سلفنا الأولون رضى الله عنهم .

و « السرى » سير الليل . يقال : سريت وأسريت . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه حى النضيرة ربة الحذر أسرت إليك ، ولم تكن تسرى وقال الراغب : وقيل : إن « أسرى » ليست من لفظة « سرى يسرى » وإنما هي من « السراة » وهى أرض واسعة ، وأصله من الواوى . ومنه قول الشاعر - وهو ابن مقبل ، كما في المقائيس لابن فارس - :

بَسَرُوْ حَيْبَرٍ أَبْوَالُ الْبَغَالِ بِهِ أَنَّى تَسَدَّيْتُ وَهْنًا ذَلِكَ الْبَيْنَا

فأسرى ، نحو : أجبل وأنهم وأنجد . وقوله تعالى « سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً » أى ذهب فى سراة من الأرض . وسراة كل شىء أعلاه . ومنه سراة النهار ، أى ارتفاعه . اه وقال الزمخشري : فإن قلت : الإسراء لا يكون إلا بالليل ، فما معنى ذكر الليل ؟ قيل : أراد بقوله « ليلاً » بلفظ التنكير : تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة . وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية . ويشهد لذلك قراءة عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما « من

الليل « أى فى بعض الليل ، كقوله تعالى (١٧ : ٧٩ ومن الليل فتهجد به نافلة لك) يعنى الأمر بالقيام فى بعض الليل اه .

و « عبده » هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأصل « عبد » المعبود والمذلل لغيره ، إما بالملك والقهر . والكل - بهذا المعنى - عبيد لله لأنه هو الذى خلقهم . وهو الذى يدبر كل أمرهم (وهو القاهر فوق عباده) قال الله تعالى (١٩ : ٩٣ إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) .

وإما أن يكون العبد هو الذى أذل نفسه وعبدها . فيكون جمعه عبّاداً . فهو إما عبد للطاغوت . وهو المشرك الوثنى الذى يعبد الموتى ، ويتخذ الأنداد من دون الله . وهو فى الواقع عبد للشيطان . كما قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه (١٩ : ٤٤ يا أبت ، لا تعبد الشيطان . إن الشيطان كان للرحمن عصياً) وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدرهم . تعس عبد الدينار . تعس عبد الخميصة والقطيفة » .

والعبد الكريم الناصح لنفسه : هو الذى عرف لنفسه قدرها ، فعرف لمن يذلها ويخضعها . فتكون يبذلها وخضوعها له عزيزة كريمة . فعبدّها الله وحده . والمؤمنون فى ذلك درجات . أعلام المرسلون . وأعلام خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم . ومن ثم كان لقب « عبد الله » أحب لقب إلى قلبه . وعلم المسلمين أن يقولوا فى صلاتهم « عبد الله ورسوله » .

وهو الذى حقق العبودية بكل معانيها خالصة لربه . إذ - عرف من ذنوبهم - الربوبية وجلالها ، وعظمتها وكبريائها ، وحقوقها ، بآثار أسماء ربه وصفاته فى نفسه وفى الآفاق التى عاش فيها قبل النبوة إنساناً كريماً ، يقظاً أشد اليقظة ، شاكراً لأنعم ربه فيما آتاه وأكرمه به ، من السمع والبصر والفؤاد ، وما يحس بكل ذلك ، من آيات وسنن كونية ، رآها فى كل شىء . وفى كل ناحية حل بها واضطرب وسار فيها ، محمد المصطفى : راعياً للفنم ، وعاملاً فى التجارة ، وتاجراً مستقلاً ، عازفاً بنفسه الكريمة أن تعيش عائلة على الجاهليين الذين انتكسوا شر انتكاس . فزعموا التقليد الأعمى طريق رشد ، والموتى تحت أطباق الثرى آلهة

وزعموا الكسل والخمول سيادة وشرفاً ، والتقاليد الجاهلية المظلمة علماً وهدى ، والتعظيم بالفخر والانتساب إلى الآباء والأجداد : كرامة وعزا .

عزفت نفس محمد - الآية الكريمة السامية - عن كل ذلك . وذهب بضرب في الأرض راعياً للغنم ، يبتغى من فضل الله . فأنام الله من فضله أطيب الرزق وأوسع له جسمه ومعناه . فكان ينفق منه ويحسن إلى الناس كبيرهم وصغيرهم ، قريبهم وبعيدهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فيصل الرحم ، ويقرى الضيف ، ويحمل الكَلَّ ، ويكسب المعدم ، ويعين على نوائب الحق .

يصدر في كل ذلك عن قلب سليم بالفطرة ، عرف الربوبية . فأخلص لها العبودية . فكان رحيماً برّاً شفوفاً ، يعمل جاهداً - بكل ما أوتى من قوة - في تجنب أهله وذوى قرباه من أهل مكة - ولم يكن بيت في مكة إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قربى - أنساب الشر والشقاق . ويحرص على أن يوفر لهم سعادة العيش ، وطيب الحياة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وكان - بعبوديته الشاكرة الصابرة هذه - يزيد ربه معرفة به ، ونور بصيرة ، وهدى وحكمة ورشداً ، ورحمة وشفقة بالناس . فيزداد عبودية ، وحباً لربه ، ورضى به رباً ، ورضى بسننه وتدييره له في كل شأن ، وشكراً لعطائه وفضله ، وفهماً لسننه ، واستقامة على ماتقتضيه حتى كان هو العبد المعبّد قلبه حقيقة لربه . فكان الذي يقدر وحده من دون أهل الأرض جميعاً على حمل الأمانة العظمى عن ربه سبحانه ، ليخرج بها الناس من الظلمات إلى النور ، من الجاهلية الجهلاء وظنونها وريبها ، وضلالها وفسادها ، وكفرها وفسوقها وعصيانها ، إلى هدى الرسالة الرشيدة ، وعلمها المنزل من الحكيم الخبير ، شفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة تطمئن القلوب به إلى ربها ، وفي إخلاص العبادة له ، والاستقامة على سننه الكونية وشرائعه التي تهدي المتبع لها إلى أقوم سبيل وأهداها في بلوغه كل غاية حميدة ، يوفر الله له بها أسباب السعادة ، والعيش الرغد الهنيء ، والحياة الطيبة في الأولى والأخرى .

و « عبده » هنا تدل على أن الله سبحانه إنما أعطى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ما أعطى - من المنح والعطايا التي لا يعلم قدرها ، وعظيم فضلها إلا الله معطيها ، والحبيب الكريم معطاها ، في هذا الإسراء وما وراءه من المروج إلى ما فوق السموات السبع العلى ،

الذى ماناله أحد من السابقين . ولن يناله أحد من اللاحقين - إلا لأنه الذى عبّد قلبه لربه وفاطره وحده فى هذه البيئة الجاهلية الوثنية ، التى عبدت اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فكان ذلك مكافأة من الله الرب الشكور لالعبد الكريم الشاكر الذى صدّق فى عبوديته لربه ومولاه صدقاً انفراداً به عن جميع المرسلين ، حتى أعطاه العليم الحكيم ما أعطاه .

فلقد كانت قريش قد بالغت فى أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد موت عمه أبى طالب ، وخديجة الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها وأرضاها - وقد كانا يمتنعان قريشاً ويدفعان شرها ، فتحقق قريش ، وبشتد غيظها وحنقها ، حين تجدد منهما سداً منيعاً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدفع شرهم عنه ، ويمنعه منهم - فلما أراد الله ما أراد ببالغ حكمته موتهما فى أسبوع واحد ، انطلقت قريش كالوحوش الضارية الكاسرة ، مندفعة بكل ما كانت تنطوى عليه نفوسها من حقد وضغن مكبوت ، حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد ضاقت عليه مكة - إلى الطائف يعرض على سادة تقيف وأشرافهم - عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسمود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير - أن يؤوه وينصروه ، حتى يبلغ رسالة ربه ، ويعدهم على ذلك فلاح الدنيا والآخرة . فردوه أشنع رد وأقبحه ، وأغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة ، ويقذفونه من أفواههم النجسة بما كان وقعته فى نفسه الكريمة أشد عليه صلى الله عليه وسلم من وقع الحجارة ، ومازالوا يطاردونه حتى كلوا وأعيوا ، فعادوا أدراجهم ، فجلس على الحال التى وصفها صلى الله عليه وسلم فى قوله لعائشة رضى الله عنها « إن أشد ما لقيت من قومك يوم قرن الثعالب » وكان به صلى الله عليه وسلم من الملم والحزن ما يصوره دعاؤه الذى ناجى به ربه ، إذ يقول « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى قريب يتجهمني - وفى رواية : إلى بعيد - أم إلى عدو ملّكته أمرى ؟ إن لم يكن بك سخط عليّ فلا أبالي ؛ ولكن عافيتك هي أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة : من أن ينزل بى غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العُتْبَى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وكان جلوسه أمام بستان عتبة وشيبة ابني ربيعة ، ألد أعدائه وأعنف المشركين فى

أذاه بمكة . فلما رآياه كذلك رقق الله قلباهما ، وأرسلا إليه صلى الله عليه وسلم غلامهما النصراني عداس ، يقطف من عنب ، فحين مدَّ رسول الله يده يتناوله سمى الله ، فقال له عداس : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ؟ فقال : من نينوى ، فقال له : من قرية الرجل الضالح يونس بن متى ؟ فقال له عداس ، فى لهفة ودهشة : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال له : ذاك أخى . كان نبياً وأنا نبي . فأكب عداس يقبل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويديه وقدميه . فلما عاد إلى سيديه عتبة وشيبة ، قال له : مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ احذره أن يفتنك عن دينك . فدينك خير من دينه . فقال : يا سيدى مافى الأرض خير من هذا . لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبي .

ثم بعث الله إليه - استجابة لشكاته ودعائه - جبريل ، ومعه ملك الجبال . فقال له ملك الجبال : مرنى فيهم بما شئت . مرنى أن أطبق عليهم الأخشبين - الجبلين اللذين بينهما وادى مكة والطائف - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعهم ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده » .

ثم عاد إلى مكة . وفى طريقه صرف الله إليه نفراً من الجن يستمعون القرآن - وقد قص الله نبأهم فى سورتي الأحقاف ، والجن - ولو أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يقتلوا أهل مكة لقتلهم فى ساعة . ولكنه صلى الله عليه وسلم صرفهم لينذروا قومهم .

فلما دنا من مكة ذهب مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه إلى المطعم بن عدى ، فسأله أن يصحبهما فى دخول مكة ، ليدفع عنهما أذى أهل مكة ، الذين حرشهم وزادهم شراً ما بلغهم من فعل سفهاء أهل الطائف بهم . ولم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رد إليه جواره مشكوراً ، وأبى إلا جوار الله ربه القوى العزيز ، البر الرحيم .

من تدبر هذا وغيره من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تجلّى له السر الجليل فى حبه الشديد لما لقّبه الله به فى أشرف المواطن ، وأحبها إلى الله وإلى رسوله . إذ يقول ربنا سبحانه « سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » ويقول : (٢ : ٢٣ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) ويقول (٨ : ٤١) إن كنتم آمنتم بالله وما

أُنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) ويقول (١٨ : ١ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) ويقول (٢٥ : ١ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) ويقول (٥٣ : ١٠ فأوحى إلى عبده ما أوحى) ويقول (٥٧ : ٩ هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور) ويقول (٧٢ : ١٩ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً) .

ففى أمسية هذا اليوم - الذى ردفه جوار مطعم بن عدى - جاءه جبريل يبلغه دعوة حبيبه الأجل الأعلى سبحانه ، ليناجيه مناجاة الحبيب حبيبه الصفى ، الذى انخلع من كل نفسه البشرية وكل انفعالاتها انخلاعاً كلياً ، حتى ينسى كل مالتى من قريش ، ومن ثقيف وسفهاهم ، فلا يذكر نفسه ولا آلامه ولا أحزانه . ولكن يذكر ربه الذى حمّله أمانة الرسالة يبلغها لعباده ، وأعطاه الشفاء والرحمة ليدفعهما إليهم ، ويعمل جهده حتى ينتفعوا بهما ، لينالوا عافية وسعادة الأولى والأخرى . فيقول للملك الجبال ، وقد تبرأ من أن يفضب لنفسه ، بل من أن يحس بها ، ويرى لها حقاً ، أو شيئاً مع ربه « دَعَهُمْ ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد » أى من يسعد بهذه الرسالة ، فيتناول من رحمة الله بها وشفائه ما يعرف به نعمة الله عليه فى الإنسانية الكريمة ، فيقدرها قدرها ويشكر الله عليها ، فينقذ نفسه من برائن الجاهلية العمياء وتقاليدها المظلمة ، ووثنيها السافلة المنحطة - التى تذلل صاحبها وتحقره أشد التحقير ، فتجعله عبداً ذليلاً لميت تحب التراب - ويسمو على درجات العلم الرشيد المنير من هذه الرسالة إلى عزة وكرامة العبودية الخالصة الكريمة لله العلى الأعلى ، الحى القيوم ، الذى بيده الخير . وهو على كل شىء قدير .

ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم البراق ، ومشى جبريل وميكائيل فى ركابه من المسجد الحرام - مسجد مكة - إلى المسجد الأقصى بيت المقدس . ثم عرج كذلك إلى فوق السموات العلى . وقد أعد الله فى كل سماء من خبر أهل الأرض من الأنبياء ، ومن أهل السماء من يتلقون عبد الله ، ورسول الله وحبيب الله محمداً صلى الله عليه وسلم « مرحباً به . ولنعم المجيء جاء » ، « مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح ، أو الابن الصالح » حتى رفع إلى سدرة المنتهى . فرأى جبريل على صورته الملكية العظيمة التى خلقه الله عليها .

ثم تقدم وتقدم وتقدم حتى كان حيث لا يعلم إلا الله وحده حيث يسمع صريف الأقلام .
 وكان له صلى الله عليه وسلم من ربه ما أذهب عن قلبه الهم والحزن ، وشرح صدره
 أوسع الشرح . وثبت قلبه أنتم التثبيت بأن العاقبة له ، والنصر مفعود بلوائه .
 وما قيمة قريش وثقيف الأخرى . بل ما قيمة من في الأرض كلها لو غضبوا عليه
 وحاربوه متناصرين . وهذا جبريل سيد الملائكة ورئيسهم ، وسفير رب العالمين يمشى في
 ركابه ، ويفتح له أبواب السموات ، ويقدمه إلى من أعدم الله فيها لاستقباله « مرحباً به .
 ولنعم المحيىء جاء » وهؤلاء خير أهل الأرض ، وصفوة الله من خلقه ، وخيرة المرسلين ،
 يتلقونه « مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح » وهذا رب العزة - سبحانه وجل ثناؤه
 وتباركت أسماؤه - يحبه هذا الحب ويرضى عنه هذا الرضى ، وبحببه التحية التي لا يعلمها إلا
 الله وعنده حبيبه ، سيد أولى العزم عليه الصلاة والسلام .

ثم كانت خلعة الوصل والمحبة ، وآية الحب الدائم حتى يرتفع إلى الرفيق الأعلى ، والمنحة
 الكريمة ، والعطية السنية من الحبيب للحبيب ، في هذه الليلة الكريمة : هي الصلاة ، التي
 هي الصلة بين العبد وربّه . والتي كانت قرّة عين عبد الله ورسوله الحبيب محمد صلى الله
 عليه وسلم .

حديث الإسراء والمعراج

روى الإمام أحمد والبخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن مالك بن
 صعصعة رضى الله عنه حدثه : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال
 « بينما أنا في الحطيم - وربما قال قتادة : في الحجر - مضطجماً إذ أتاني آت ، فجعل يقول
 لصاحبه : الأوسط ، بين الثلاثة . قال : فأتاني ، فقدّ - سمعت قتادة يقول : فشق - ما بين
 هذه إلى هذه - وقال قتادة : فقلت للجارود ، وهو إلى جنبى : ما يعنى ؟ قال : من ثغرة نحره
 إلى شعرته . وقد سمعته يقول : من قصته إلى شعرته - قال : فاستخرج قلبي . قال : فأنتيت
 بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة . ففصل قلبي . ثم حُشى . ثم أعيد . ثم أتيت بدابة -
 دون البغل وفوق الحمار - أبيض . قال فقال الجارود : هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : نعم .
 يقع خطوه عند أقصى طرفه . قال : فحُملت عليه . فانطلق بي جبريل ، حتى أتى بي إلى

السماء الدنيا . فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .
 قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . فقيل : مرحباً به . ولنعم الجيء جاء . قال : ففتح لنا .
 فلما خلصت ، فإذا فيها آدم . فقال : هذا أبوك آدم . فسلم عليه . فسلمت عليه . فرد السلام .
 ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم صعد ، حتى أتى السماء الثانية . فاستفتح .
 فقيل : من هذا ؟ فقال : جبريل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟
 قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ولنعم الجيء جاء . قال : ففتح لنا . فلما خلصت . فإذا عيسى
 ويحيى . وهما ابنا الخالة . قال : هذان يحيى وعيسى . فسلم عليهما . قال : فسلمت . فردا
 السلام . ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد ، حتى أتى السماء الثالثة .
 فاستفتح ، فقيل له : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل
 إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به . ولنعم الجيء جاء . قال : ففتح لنا . فلما خلصت فإذا
 يوسف . قال : هذا يوسف . فسلم عليه . قال : فسلمت عليه . فرد السلام . ثم قال : مرحباً
 بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة . فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟
 قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل :
 مرحباً به ولنعم الجيء جاء . قال : ففتح لنا . فلما خلصت فإذا إدريس . قال : هذا إدريس
 فسلم عليه . قال : فسلمت عليه . فرد السلام . ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .
 قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة . فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل :
 ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، ولنعم الجيء
 جاء . ففتح لنا . فلما خلصت فإذا هارون . قال : هذا هارون ، فسلم عليه . قال : فسلمت
 عليه . قال : فرد السلام . ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . قال : ثم صعد حتى
 أتى السماء السادسة . فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال :
 محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به . ولنعم الجيء جاء . ففتح لنا .
 فإذا أنا بموسى . قال : هذا موسى ، فسلم عليه . قال : فسلمت ، فرد السلام . ثم قال :
 مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . قال : فلما جاوزته بكى . قيل له : ما يبكيك ؟ قال :
 أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . قال : ثم

صعد حتى أتى السماء السابعة . فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء . قال : ففتح لنا . فلما خلصت ، فإذا إبراهيم . فقال : هذا إبراهيم . فسلم عليه . قال : فسلمت عليه . فرد السلام . ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . قال : ثم دفعت إلى سدرة المنتهى . فإذا نبقتها مثل قلال هجر . وإذا ورقها مثل آذان الفيلة . فقال : هذه سدرة المنتهى . قال : وإذا أربعة أنهار . نهران باطنان ، ونهران ظاهران . فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما النهران الباطنان : فنهران في الجنة . وأما الظاهران : فالنيل والفرات . قال : ثم رفع لى البيت المعمور .

قال قتادة : وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه رأى البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألفاً . ثم لا يعودون إليه . ثم رجع إلى حديث أنس . قال : ثم أتيت ياناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل . قال : فأخذت اللبن . قال : هذه الفطرة . أنت عليها وأمتك . قال : ثم فرضت على الصلاة - الحديث . »

وهناك روايات كثيرة في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة تفيد التواتر المثبت قطعاً لمعجزة الإسراء والمعراج .

واعلم بأن هذا إنما هو من علم الغيب ، الذى تؤمن به كما ورد وثبت ، ولا نجادل فيه ، ولا نقيس عليه . فلا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له فى تلك الليلة حالة خاصة بها تم له ما أراد ربّه من هذه المعجزة ، ولقى من لقى من الملائكة والموسلين من حيّاه ورحب به هذا الترحيب . وأن جبريل استفتح أبواب السموات . ووجد فى كل سماء رسولاً من السابقين . والله أعلم كيف كان ذلك . لا يعلم كنهه إلا الله وحده . ولا نقول : هل أحى الله أولئك المرسلين قبل البعث ؟

وتؤمن أن أصل النيل والفرات والمياه العذبة على الأرض من الجنة . والله أعلم بذلك . وقد جاء الخبر الصادق به عن عيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا نقول شيئاً إلا ما قال الصديق وإخوانه من المؤمنين السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ولا نمارى فيما أراه ربنا من آياته الكبرى لنينا صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة الكريمة . كما مارى كفار قرىش وكما يمارى خلقهم اليوم من الملحدين الجاهليين الكافرين ونسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأن يطهر قلوبنا من أرجاس الشكوك والريب والأهواء والشهوات . وأن يشرح صدورنا بما طهر به وشرح به صدور الصحابة والتابعين .

فإذا أردت أن تظفر بسعادة الأولى والأخرى وفلاحهما ، وتذوق حلاوة الإيمان الذى يشرح الله به صدرك . فاقرا - مؤمناً صادق الإيمان ، متفقهاً متفهماً ، حاضر القلب والروح - سيرة هذا العبد الكريم . والرسول الحبيب الأمين . واحرص على الاهتداء بهداه ، والافتقار لآثاره فى أشد الحذر واليقظة ، أن تسلم من أعدائه من شياطين الإنس والجن الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً . وشمربكل عزم وهمة فى اللحق به صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

وقول الله تعالى « بعبده » يدل دلالة واضحة أتم الوضوح لمن شرح الله صدره للإسلام وعرف هذا العبد الكريم من صحيح سيرته ، وهدى رسالته صلى الله عليه وسلم - أن هاتين المعجزتين - الإسراء والمعراج - كانتا بحسبه صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما ، بقدر الله القوى الكبير المتعال ، الذى يسخر السموات والأرض ومن فيهما ، ولا يعجزه شئ فى السموات ولا فى الأرض . وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن . فيكون .

فإن « العبد » يدل على مجموع الجسم البشرى والروح ، وأنه إنما رحل هذه الرحلة الكريمة متلبساً بحال العبودية انصافاً التى كان - وما زال - هو المثل الكامل الأعلى لها . وإنما ضل من ضل - بزعم : أن هذا كان بالروح ، أو فى المنام - بما ران على قلبه من ظلمات الجهل والهوى ، والريب والشكوك ، التى نفت سمومها أعداء الله وأعداء رسوله ، وأعداء الإسلام والمسلمين ، فى القديم والحديث . وبالأخص فى عصرنا الذى ضرب الشيطان فيه بجرانه ، ونصب سردافه على القلوب ، إلا ما شاء الله . بما رمانا به من أعوانه وحزبه المستشرقين الخاسرين ، الذين سلكوا أضل الطرق وأعوجها وأغواها إلى استغلال البلاد الإسلامية ، وتخريبها بامتصاص خيراتها ودماء أهلها ، سلكوا مازعموه طريق العلم والبحث

والفلسفة ، وهو - والله لو فقه الناس وعقلوا - طريق التبديل والتحريف ، وطمس الحقائق وترويح الأكاذيب والأباطيل في ثياب مهلهلة من العبارات المزخرفة ، راجت على البعيدين عن رسالة وسنة وسيرة رسول الرحمة ، والهادى إلى صراط العزيز الحميد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأصبح أكثر المسلمين اليوم جغرافيين ، لا علميين حقيقيين ، يرددون ما روجه أوائك الحخبون المفسدون في شرائع الإسلام وعقائده ، وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرة سلفنا الصالح رضى الله عنهم ما أبعد الشباب - إلا من شاء الله - عن توقير الله وتوقير شرائعه^(١) ورسالاته ورسله ، وما أنزله هدى ورحمة للناس ، وشفاء لهم من كل ما يشكون منه من أمراض مجتمعاتهم إلى قيام الساعة . ولا حول قوة إلا بالله . وما ظلموا إلا أنفسهم . وما ضلوا إلا أنفسهم (فلا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا) (فذرهم في غمرتهم حتى حين . أيجسبون أن مانعهم به من مال وبنين يسارع لهم في الخبرات ؟ بل لا يشعرون) .

ومن الأدلة الواضحة البينة على صحة وقوع المعجزة - الإسماء والمعراج بالجسم والروح يقظة - قول الله تعالى في سورة النجم (٥٣ : ١٣ - ١٨) ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فإنه لا يمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على صورته الملكية العظيمة ، التي خلقه الله عليها - الرؤية الثانية - عند سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى ، إلا وهو فوق السموات العلى ، بجوار سدرة المنتهى ، التي رأى عندها

(١) ولقد روج أعداء الإسلام وأعداء الله وأعداء رسوله ، وأعداء الإنسانية - روجوا - تسمية « شرائع الإسلام » بكلمة « تعاليم الإسلام » وهي كلمة كندية لاتعرفها العرب ، فضلا عن الإسلام والمسلمين السالفين . وأصبح كل الكتاب - حتى من شيوخ الدين - يكتبونها ويقولونها وهم يشعرون أو لا يشعرون . وإنما قصد المستشرقون الخبثاء إلى تهوين هذه الشرائع الحكيمة - التي عزبها المسلمون الأولون ، وكانوا - حين اعتصموا بمروتها الوثقى - خير أمة أخرجت للناس . فنتشروا العدل والرحمة والأمن والطمأنينة ، وأدوا إلى كل ذى حق حقه - حتى يهجرها المسلمون ، ثم يكرهونها ، ثم يحاربونها فيهنوا ويضعفوا . ليلبغ أعداؤهم منهم ما يريدون ، كما وقع ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مارأى - فيها وفي غيرها - من عجائب خلق الله في السموات والأرض ما هو من آيات ربه الكبرى .

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل مرة أولى على الأرض ، على صورته الملكية ، حين كان صلى الله عليه وسلم في غار حراء . وراه ما لا يحصى من المرات على الهيئات التي كان يحىء فيها بالوحي .

وقد أشار الله إلى أول محيىء جبريل في سورة النجم ، حيث يقول (٥٣ : ١-١٢) والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مِرَّةٍ فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أقتارونه على ما يرى ؟) يفسر ذلك ويشرحه حديث « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » حيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه حين ذهب إلى غار حراء يتحنث . رأى جبريل في النوم ، وهو في الأفق يناديه « يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل » ثم أصبح فرآه يقظة في موضعه من الأفق الأعلى . وسمعه يقول له « أنت رسول الله ، وأنا جبريل » ثم رآه في الليلة الثانية كذلك ، وقد دنا منه قليلاً . وراه في الصباح يقظة كذلك وقد دنا قليلاً . وسمعه يقول له مثل الأمس . وما زال جبريل يدنو ويتدلى كل ليلة ويوم أكثر من الذي قبله ، حتى كان - في آخر الستة أشهر - قاب قوسين أو أدنى . فدخل عليه الغار . وأوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى ، وأقرأ ما أقرأ .

وكذلك استفتح الله الحديث عن هذه المعجزة بتسبيحه وتنزيهه عما لا يليق به وعما لا ينبغي له مما ينسب إليه عبيد الأهواء الجاهلية ، والشبهات الاستشراقية التخريبية ، ودعواهم الكاذبة الفاجرة : أنه سبحانه لم يمنح عبده الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم رسالة ولا معجزة . ولم يعطه مثل ما أعطى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من المعجزات ، لأن محمداً - عندهم - لم يكن رسولا ، بل لم يكن أهلاً لهذه الكرامة التي يعطيها ربنا سبحانه لمن يحب ويصطفى من عباده المرسلين . فنزه الله سبحانه نفسه عن تلك القرية الكاذبة الفاجرة الآئمة .

وزاد تأكيداً بذلك النسبة الكريمة التي أضاف إليه هذا العبد الكريم ، فقال :
« عبده » الذي حقق معنى العبودية ، إذ عرف الربوبية المعرفة الصادقة ، التي أعطاها بها
حقها من العبودية الخالصة الصادقة .

وزاد ربنا ذلك تأكيداً - لمن يعقل ويفهم من شرح الله صدره للإسلام - فقال
« لنريه من آياتنا » كما قال في سورة النجم « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .
ثم قال ربنا سبحانه « إنه هو السميع البصير » اسمين يتضمنان التهديد والوعيد للذين
يفترون عليه الكذب سبحانه ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ممن لا يرجون الله وقاراً ،
فينفون عنه صلى الله عليه وسلم كل مزايا الرسالة . إذ يزعمون أنها إنما كانت صادرة عن
عبقريته وقوة تفكيره ، أو أنها كانت رؤى ومنامات ، لكثرة ما كان يفكر - بزعمهم -
في حال قومه العرب ، وما وصلوا إليه من الانحطاط والتأخر ، وما السبيل إلى إنقاذهم مما هم
فيه . ومن ثم فقد أدت هذه الرسالة مهمتها ، وانقضى زمانها من العصور الوسطى التي كانت
صالحة لها . وأصبح الناس في أشد الحاجة إلى غيرها ، بل أصبحت غير صالحة مطلقاً أن
تُمَاشي ما زعموه من الحضارة والمدنية ، التي هي في حقيقة الأمر الانحلال من كل عناصر
الإنسانية الفاضلة الكريمة ، والاندفاع بتهور وسفه في طاعة الهوى والشهوات - الجاحجة أشد
الجوح وأعنفه - بما جلب على الإنسانية كل شقاء ، وعرضها لأشد الأخطار ، وحرماها طيب
العيش ، والأمن والعافية والسلام .

وزاد ربنا ذلك التأكيد بثبوت - هذه المعجزة الصريحة - في أن عبد الله ورسوله
محمداً صلى الله عليه وسلم : هو خير المرسلين وخاتمهم ، وأن شريعته ورسائله هي الباقية ،
المهيمنة على كل ما جمع ويجمع البشر ، ويؤلفون من كتب ونظم وديساتير ، وأنها هي فضل الله
ورحمته ، التي هي خير لهم من كل ما يجمعون .

وأن الله سبحانه ذكر بعدها مباشرة شأن بني إسرائيل المفسدين في الأرض أشد الفساد
تحذيراً للناس من الاغترار بزخارف قولهم ، وكيدهم ومكرهم ، وأنهم إنما يعملون للفساد
والإفساد ، الذي هو شر شيء وأضره على كل مجتمع إنساني رشيد يسعى لخير الإنسانية ،
وتوفير أسباب العيش الهنيء والحياة الطيبة لها .

فالإسرائيليون هم أشد الناس عداوة للإنسانية ، وأحرص الناس على تمزيق مجتمعاتها

كل ممزق . لنتبها لهم أسباب العيش الوحشي الخسيس على هذه الأشلاء وامتصاص الدماء ،
والتمتع والتلذذ بشقاء غيظهم المكبوت ، وحقدهم المتوارث على الانسانية كلها - بنكدها
وشقائها وبؤسها وعذابها .

وقول الله تعالى في صفة المسجد الأقصى « الذي باركنا حوله » البركة : هي زيادة
الخير ودوام النفع به .

والمراد بها هنا : خصب الأرض وطيبها ، وطيب جوها ومناخها ، وكثرة المياه والأنهار
التي تجري بها ، والتي يمكن أن تستغل أحسن استغلال . فيعود منها أكثر النفع وأوسع
العيش وأرغده إذا عقل الناس ، وعملوا بسنن الله في تكثير بركات الأرض بحسن استغلالها
وتقدير نعم الله عليها فيها ، وشكرها .

ولكن - مع الأسف - غفلوا عن ذلك ، وعموا عن سنن الله وعن شرائعه بما أوحى
إليهم أعداؤهم - الصهيونيون المضطربون عليهم ، والمخربون من الصليبيين ، ومن الصوفية
الجاهلية - فزعموها بركة يتمسحون بترابها وجدرانها وأحجارها ومياهها وتمادت بهم هذه
الغفلة حتى كاد أولئك الخبيثاء الصهيونيون ينتزعونها من أيديهم مرة ، بلى ، قد نجسوا بعضها
بمحاولة اتخاذها وطناً قومياً ، ومعقلاً للشر والسعى بالفساد في الأرض ، ومعاونة كل مجرم
وفاجر وشرير ومتوحش .

ولكن قريباً جداً - إن شاء الله - سيردم الله خائبين خاسرين ، مرتكسين في
حظيرة الذلة والصغار الذي ضربه الله عليهم - بأيدي عباده المؤمنين اليقظين الذين يؤمنون
بسنن الله وآياته وكتبه ورسالاته . ويأخذون سبيلهم في الحياة على هدى وبصيرة ، لا على
تقليد أعمى وغفلة .

والله المرجو والمستول من فضله : أن يجعل بسرادق الذلة والصغار والمسكنة يضرب على
اليهود الإسرائيليين وأعوانهم بكل أسم ولون - بيد وجند رئيسنا القوى الحازم ، الرئيس
جمال عبد الناصر . مكن الله من رقابهم ومن رقاب كل عدو للمسلمين ولنبههم ورسالة نبههم .
وجعلنا الله من جنده المجاهدين الصابرين لإعلاء كلمة الله . وإرغام أنوف أعدائه .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده الكريم ورسوله الأمين محمد وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير الله ورحمته

إنما الأعمال بالنيات (٣)

شرحه هذا الشرح المتع

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله ورضي عنه

فصل

وقوله صلى الله عليه وسلم « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله » ليس هو تحصيلاً للحاصل ، لكنه إخبار بأن من نوى بعمله شيئاً فقد حصل له ما نواه ، أى : من قصد بهجرته الله ورسوله ، حصل له ما كان قصده . ومن كان قصده الهجرة إلى دنيا ، أو امرأة : فذلك هو الذى يحصل له وليس له إلا ذلك .
فهذا تفصيل لقوله « إنما الأعمال بالنيات » .

ولما أخبر أن « لكل امرئ ما نوى » ذكر أن لهذا ما نواه ، ولهذا ما نواه .
و « الهجرة » مشتقة من الهجر .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله » كما قال « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » .

وهذا بيان منه صلى الله عليه وسلم لكمال معنى هذا الاسم . كما قال « ليس المسكين بهذا الطواف ، الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والتمر والتمرتان . ولكن المسكين : من لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس إحفاً » .

وقد يشبه هذا قوله صلى الله عليه وسلم « ما تعدون الفلاس فيكم ؟ قالوا : من ليس له درهم ولا دينار . قال : ليس هذا الفلاس ، ولكن الفلاس من يأتى يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال . فيأتى وقد ضرب هذا ، وشتم هذا ، وأخذ مال هذا . فيعطى هذا من حسناته

وهذا من حسناته^١ . فإذا لم يبق له حسنة : أخذ من سيئاتهم فطرحته عليه ، ثم طرح في النار » .

وقال « ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قالوا : من لا يولد له . قال : الرقوب من لم يقدم من ولده شيئاً » .

ومثله قوله « ليس الشديد بالصرعة . إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .
 لكن في هذه الأحاديث : مقصوده أن يبين ما هو أحق بأسماء المدح والذم مما يظنون . فإن الإفلاس حاجة . وذلك مكروه . فبين أن حقيقة الحاجة^(١) المكروهة إنما تكون يوم القيامة .

وكذلك عدم الولد تكثره النفوس ، لعدم الولد النافع . فبين أن الانتفاع بالولد حقيقة إنما يكون في الآخرة لمن قدم أولاده بين يديه .

وكذلك الشدة والقوة محبوبة . فبين أن قوة النفس أحق بالمدح من قوة البدن . وهو أن يملك نفسه عند الغضب .

وقوة النفوس تكون بأن يملك الإنسان نفسه عند الغضب . كما قيل لبعض سادات العرب : ما بال ممالككم أصبر منكم عند الحرب وعلى الأعمال ؟ فقال : هم أصبر أجساداً ونحن أصبر نفوساً .

وأما قوله في اسم « المسكين » فهو من جنس قوله في « المسلم » و « المؤمن » و « المهاجر » و « المجاهد » .

وهذا مطابق لما تقدم من أن الشارع لا ينفى مسمى اسم شرعى إلا لانتفاء كاله الواجب فإن هجر ما نهى الله عنه واجب ، وسلامة المسلمين من عدوان الإنسان بلسانه ویده واجب . وأمن الناس للمؤمن على دماهم وأموالهم لا يكون إلا إذا كان أميناً ، والأمانة واجبة . والمسكين الذي لا يسأل ، ولا يعرف : هو أحق بالإعطاء بمن أظهر حاجته وسؤاله . وإعطاؤه واجب .

(١) وفي نسخة بهامش الأصل : الحاجة الحقيقية .

وتخصيص السائل بالعطاء دون هذا لا يجوز ، بل تخصيص الذى لا يسأل أولى وأوجب وأحب .

وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا هجرة بعد الفتح . ولكن جهاد ونية . وإذا استنفرتم فانفروا له » وقال « لاتقطع الهجرة ماقتل العدو » . وكلاهما حق .
 فالأول : أراد به الهجرة المعهودة فى زمانه . وهى الهجرة إلى المدينة من مكة وغيرها من أرض العرب . فإن هذه الهجرة كانت مشروعة لما كانت مكة وغيرها دار كفر وحرب وكان الإيمان بالمدينة . فكانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة لمن قدر عليها . فلما فتحت مكة ، وصارت دار إسلام ودخل العرب فى الإسلام صارت هذه الأرض كلها دار إسلام . فقال « لا هجرة بعد الفتح » .

وكون الأرض دار كفر ودار إيمان ، أو دار فاسقين : ليست صفة لازمة لها ، بل هى صفة عارضة بحسب سكانها .

فكل أرض سكنها المؤمنون المتقون ، فهى دار أولياء الله فى ذلك الوقت . وكل أرض سكنها الكفار فهى دار كفر فى ذلك الوقت . وكل أرض سكنها الفاسق فهى دار فسوق فى ذلك الوقت . فإن سكنها غير من ذكرنا ، وتبدلت بغيرهم : فهى دارهم .
 وكذلك المسجد إذا تبدل بجماعة ، أو صار دار فسق ، أو دار ظلم ، أو كنيسة يشرك فيه بالله تعالى ، كان بحسب مكانه .

وكذلك دار الخمر والفسوق ونحوها ، إذا جعلت مسجداً يعبد فيه الله عز وجل كان بحسب ذلك .

وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقاً ، أو الفاسق يصير صالحاً ، أو الكافر يصير مؤمناً أو المؤمن يصير كافراً . ونحو ذلك . كل بحسب انتقال الأحوال من حال إلى حال .
 وقد قال الله تعالى فى ذلك (٦٦ : ١١٢) وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان . فكفرت بأنعم الله . فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) .

نزلات في مكة لما كانت دار كفر ، وهي مازالت في نفسها خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، وإن كان سكانها إذ ذاك كفاراً^(١) .

فقد روى الترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال - لمكة وهو واقف بالخزوة « والله إنك خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله . ولولا أن قومي أخرجوني منك لما خرجت » وفي رواية « خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى » .

فبين أنها أحب أرض الله إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم . وكان مقامه صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ومقام من معه من المؤمنين بها : أفضل في المقام من مقامهم بمكة لأجل الهجرة والجهاد . وذلك أفضل الأعمال . ولهذا كانت دار هجرتهم التي اختارها الله لهم .

ولهذا كان الرباط بالنغور أفضل من المجاورة بمكة والمدينة . كما ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه . ومن مات مرابطاً مات مجاهداً ، وأجرى عليه عمله ، وأجرى عليه رزقه من الجنة ، وأمين القَتان » .

وفي السنن عن عثمان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » . وقال أبو هريرة رضي الله عنه « لأن أرباط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود » .

ولهذا كان أفضل الأرض في حق كل إنسان : أرضاً يكون فيها أطوع لله ورسوله . وهذا يختلف باختلاف الأحوال .

فلا تتعين أرض أن يكون المقام فيها أفضل في حق كل إنسان . وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان بحسب حاله فيها من التقوى والطاعة ، والخشوع ، والحضور ، والخضوع لله عز وجل .

(١) والاصح أنها عامة في كل بلد لا تشكر نعم الله عليها ، فلا تدين دين الحق . ولا تقبل هدى الله .

وقد كتب أبو الدرداء رضى الله عنه إلى سلمان « هلم إلى الأرض المقدسة » فكتب إليه سلمان « إن الأرض لا تقدر أحداً . وإنما يقدر العبد عمله » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان وأبي الدرداء رضى الله عنهما . وكان سلمان أفقه من أبي الدرداء في أشياء ، من جملتها هذا .

وقد قال تعالى لموسى عليه السلام (٧ : ١٤٥ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) وهى الدار التى كان بها أولئك العاقلة . ثم صارت بعد هذا داراً للمؤمنين . وهى الدار التى دل عليها القرآن : من الأرض المقدسة ، وأرض مصر التى أورثها الله بنى إسرائيل . فأحوال البلاد كأحوال العباد .

فيكون الرجل تارة مسلماً ، وتارة كافراً ، وتارة مؤمناً ، وتارة منافقاً ، وتارة براً تقياً ، وتارة فاسقاً عصياً ، وتارة فاجراً شقيماً . وهكذا المساكن بحسب سكانها . فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصى إلى مكان الإيمان والطاعة كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة . وهذا أمر باق إلى يوم القيامة .

وقال الله تعالى (٨ : ٧٥ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) قال طائفة من السلف : هذا يدخل فيه كل من آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة . وهكذا قوله تعالى (١٦ : ١١٠ ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَفَقُورٌ رَحِيمٌ) يدخل في معناها كل من قتله الشيطان عن دينه أو أوقعه في معصية . ثم هجر السيئات . وجاهد نفسه وغيرها من العدو ، أو جاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ، وصبر على ما أصابه من قول أو فعل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

فائدة : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

وتجوز الصلاة خلف كل مسلم مستور باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم . والله أعلم .
آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف الرسلين وإمام المتقين . وآله أجمعين .
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

من يجب هجره في الله وحدود الهجر

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الإمام العالم العلامة والبحر الفهامة ، أبو العباس ، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني رضي الله عنه وأرضاه : عن يجب أو يجوز بغضه أو هجره - أو كلاهما - لله سبحانه وتعالى .

وماذا يشترط على الذي يبغض ويهجر لله تعالى من الشروط ؟
وهل يدخل ترك السلام في الهجران أم لا ؟
وإذا بدأ المهجور للهاجر بالسلام ، هل يجب الرد عليه أم لا ؟
وهل يستمر البغض والهجران لله عز وجل ، حتى يتحقق زوال الصفة المذكورة التي أبغضه وهجره عليها ، أم يكون لذلك مدة معلومة ؟ فإن كان لها مدة معلومة . فما حدها ؟
أفتونا مأجورين .

أجاب الشيخ رضي الله عنه :
الهجر الشرعي نوعان :
أحدهما : بمعنى الترك للمنكرات .
والثاني : بمعنى العقوبة عليها .

فالأول : هو المذكور في قوله تعالى (٦ : ٦٨) وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وَإِنَّمَا يُنِيسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ - بعد الذكري - مع القوم الظالمين) وقوله تعالى (٤ : ١٤٠) وقد نزل عليكم في الكتاب : أن إذا نعم آيات الله يكفر بها ، وبُستَها بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره .
كم إذا مثلهم) .

فهذا يراد به : أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة ، مثل قوم يشربون الخمر لا يجلس عندهم . وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم . وأمثال ذلك ، بخلاف من حضر عندهم للإنكار عليهم . أو حضر بغير اختياره . ولهذا يقال : حاضر المنكر كفأله . وفي الحديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » .

وهذا الهجر : من جنس هجر الإنسان نفسه لفعل المنكر . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

ومن هذا الباب : الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان . فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به . ومن هذا قوله تعالى (٧٤ : ٥) والرجزَ فاهجر) .

النوع الثاني : الهجر على وجه التأديب ، وهو هجر من بظهر المنكرات ، يهجر حتى يتوب منها ، كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الثلاثة الذين خَلَفُوا حتى أنزل الله توبتهم^(١) حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر . ولم يهجر من أظهر الخير ، وإن كان منافقا .

فهذا الهجر هو بمنزلة التعزير .

والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات ، وفعل المحرمات . كتارك الصلاة والزكاة ، والمتظاهر بالمظالم والفواحش ، والداعى إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة ، وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع .

وهذا حقيقة قول من قال من السلف والأئمة : إن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم ولا يصلى خلفهم ، ولا يؤخذ عنهم العلم ، ولا يباكون . فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا .

(١) وهم كعب بن مالك من بني سلمة ، ومرارة بن الربيع العمرى من بني عمرو بن عو وهلال بن أمية الواقفي رضى الله عنهم وأرضاهم .

ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية . لأن الداعية أظهر المنكرات ، فاستحق العقوبة . بخلاف الكاتم . فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم ، ويكبلُ سرائرهم إلى الله ، مع علمه بحال كثير منهم .

ولهذا جاء في الحديث « إن المعصية إذا خفيت : لم تضر إلا صاحبها ، ولكن إذا أعلنت ، فلم تُنكر : ضرت العامة وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الناس إذا رأوا المنكر ، فلم يغيروهُ ، أو شك أن يعصمهم الله بمقاب منه » .

فالمنكرات الظاهرة يجب إنكارها وتغييرها ، بخلاف الباطنة . فإن عقوبتها على صاحبها خاصة .

وهذا الهجر يختلف باختلاف المهاجرين ، في قوتهم وضعفهم ، وقتلهم وكثرتهم .

فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ، ورجوع العامة عن مثل حاله .

فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة ، بحيث يقضى هجره إلى ضعف الشر وخفته : كان مشروعاً . وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك . بل يزيد الشر ، والمهاجر ضعيف ، بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته : لم يشرع الهجر ، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر . والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف أقواماً ، ويهجر آخرين .

وقد يكون المؤلفة قلوبهم أشرف حالا في الدين من المهجورين ، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم ، لما كان أولئك سادة مطاعون في عساثرهم . كانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم . وهؤلاء كانوا مؤمنين ، والمؤمنون سواهم كثيرون . فكان في هجرهم عز الدين ، وتطهيرهم من ذنوبهم .

وهذا كما أن المشروع في العدو : القتال تارة ، والمهادنة تارة ، وأخذ الجزية تارة . وكل ذلك بحسب الأحوال والمصالح .

وجواب الأئمة : كأحمد وغيره ، في هذا الباب : مبنى على هذا الأصل .

ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع ، كما كثرت القَدَرِيَّة في البصرة ، والتَّجَهُّم بخراسان ، والتشيع بالكوفة . وبين ما ليس كذلك . ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم .

وإذا عرف مقصود الشريعة : سلك في حصوله ، أوصل الطريق إليه .
وإذا عرف هذا ، فالهجرة الشرعية هي من الأعمال التي أمر الله تعالى بها ورسوله صلى الله عليه وسلم . والطاعات لا بد أن تكون خالصة لله ، وأن تكون موافقة لأمره ، فتكون خالصة لله صواباً .

فمن هجر لهوى نفسه ، أو هجر هجراً غير مأمور به : كان خارجاً عن هذا .
وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ، ظانة أنها تفعله طاعة لله .
والهجر لأجل حظ الإنسان لا يجوز أكثر من ثلاث . كما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث . يلتقيان ، فعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » .
فلم يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الهجر أكثر من ثلاث . كما لم يرخص في إحداث غير الزوجة على ميت أكثر من ثلاث .

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « تفتح أبواب الجنة كل يوم اثنين وخميس . فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ، إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء . فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحان » .

فهذا الهجر لحق نفس الإنسان حرام . وإنما رخص صلى الله عليه وسلم في بعضه . كما رخص للزوج أن يهجر امرأته في المضجع إذا نشزت ، وكما رخص في هجر الثلاث المخلفين .
فينبغي أن يفرق بين الهجر لحق الله ، وبين الهجر لحق نفسه .
فالأول مأمور به . والثاني : منهي عنه . لأن المؤمنين إخوة .
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « لا تقاطعوا . ولا تدابروا . ولا تباعدوا . ولا تحاسدوا . وكونوا عباد الله إخواناً » .

وقال صلى الله عليه وسلم ، في الحديث الذي في السنن « ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : إصلاح ذات البين . فإن فساد ذات البين هي الحالقة . لا أقول : تمحق الشعر ، ولكن تمحق الدين » .

وقال في الحديث الصحيح « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحس والسر » . وهذا لأن الهجر هو من باب العقوبات الشرعية . فهو من جنس الجهاد في سبيل الله . وهذا إنما يفعل لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله . والمؤمن عليه أن يعادى في الله ، ويوالى في الله .

فإذا كان هناك مؤمن . فعليه أن يوالى وإن ظلمه . فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية قال تعالى (٤٩ : ٨ ، ٩) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . فإن بقت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنفي ، إلى أمر الله . فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا . إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة) .

فجعلهم إخوة مع وجود الاقتتال والبغى . وأمر بالإصلاح بينهم . فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين . فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر . ولتعلم أن المؤمن يجب موالاته ، وإن ظلمك واعتدى عليك . والكافر يجب معاداته ، وإن أعطاك وأحسن إليك . فإن الله سبحانه بعث الرسل ، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله . فيكون الحب له ولأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه . والثواب لأوليائه ، والعقاب لأعدائه .

فإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وبر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة : استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير . واستحق من المعادة والعقاب بحسب ما فيه من الشر .

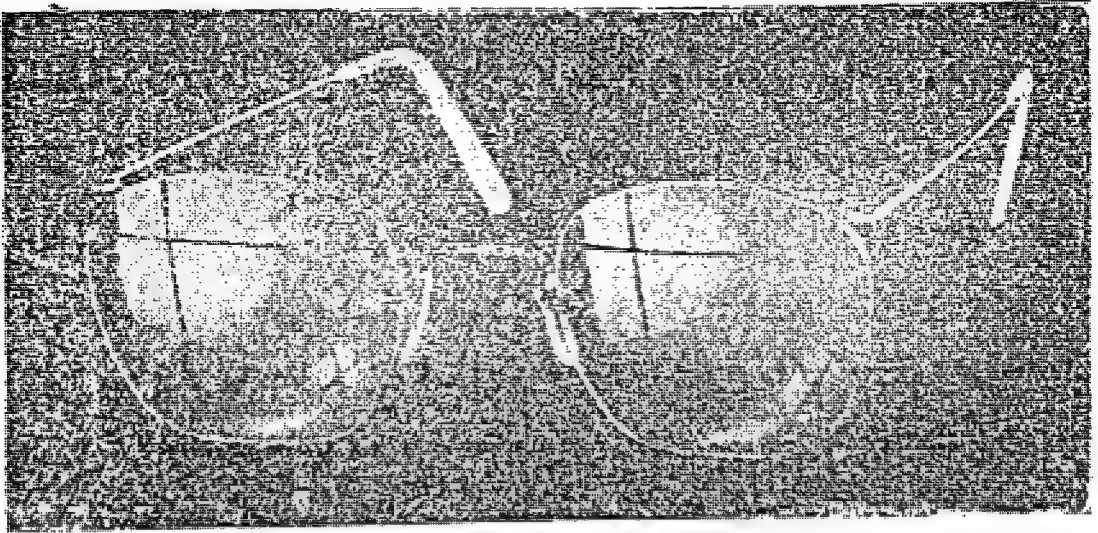
فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة . فيجتمع له من هذا وهذا ، كاللص الفقير ، تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته .

هذا هو الأصل الذى اتفق عليه أهل السنة والجماعة .
وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه . فلم يجعلوا الناس إلا مستحقاً للثواب فقط . أو مستحقاً للعقاب فقط .

وأهل السنة يقولون : إن الله يعذب بالنار من أهل الكبائر من يعذبه ، ثم يخرجهم منها بشفاعة من يأذن له فى الشفاعة ، وبفضل رحمته . كما استفاضت بذلك السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم . والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وسلم .

صلاة العيد

ستؤدى جماعة أنصار السنة المحمدية صلاة عيد الفطر المبارك بميدان الجمهورية كعادتها السنوية كل عام . أعاده الله على المسلمين بالعزة والنصر على الأعداء . بقيادة الرئيس العظيم بطل العروبة السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة أدام الله توفيقه .



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائى

أحمد محمد خليل

المصرى الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ بميدان العتبة تليفون ٤١٢٢٦ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شباير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار فى متناول الجميع

الولاية فرض على كل مؤمن ومؤمنة

لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

إي ، وربى إنه لحق ا

إنه لحق وإن جهله الجاهلون ، وجحدته المكابرون ، وتنكر له الغافلون .
إنه لحق أقرّ به السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ،
ووطنوا نفوسهم على النهوض بأعبائه ، والاضطلاع بتبعاته .
ما الولاية ؟

الولاية مجموع أمرين اثنين لا ثالث لهما : هما الإيمان والتقوى . ولا شيء وراء هذا ، فمن
آمن واتیق فهو الولی . لا شك في هذا ولا مرأ .

دليل هذا قول الله تعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من
خلفه . قال تعالى في سورة يونس : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٦٢
الذين آمنوا وكانوا يتقون ٦٣ لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة . لا تبديل لكلمات
الله . ذلك هو الفوز العظيم ٦٤) .

* * *

والناس أمام الولاية ثلاث طوائف : طائفة آمنوا واتقوا ، وهم الأولياء .
وطائفة آمنوا ولم يتقوا وهم الفاسقون : الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض . وليس بين هؤلاء الفاسقين وبين الولاية
إلا التوبة النصوح ، فإذا تابوا وأنابوا إلى ربهم ، وأخلصوا دينهم لله ، وعملوا الصالحات ،
واجتنبوا السيئات صاروا أولياء بمجرد التوبة الصادقة بغير إهمال .

والثالثة : طائفة من لم يؤمنوا ولم يتقوا ، وهم الكافرون ، وليس بينهم وبين الولاية
إلا الإيمان والتقوى ، فإن هم آمنوا واتقوا أصبحوا من أولياء الله الذين لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون .

الولاية إيمان وتقوى !

والإيمان فرض . قال الله تعالى في سورة النساء : (يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضللاً بعيداً : ١٣٦)
هذا أمر ، والأمر يقتضى الفرضية .

والتقوى فرض .

قال الله تعالى في سورة آل عمران : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن وإلا وأنتم مسلمون : ١٠٢)
وقال تعالى في سورة المائدة : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ٣٥)

وقال تعالى في سورة الحشر : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ١٨) .
ففي هذه الآيات الكريكات أمر بالتقوى والأمر في أصله يقتضى الفرضية ، وبذلك تكون التقوى فرضاً .

وما دام ركنا الولاية وهما الإيمان والتقوى مفروضين كانت الولاية المؤلفة منهما فرضاً لا يمارى في ذلك إلا من سفه نفسه ، وغبن رأيه وألغى عقله وضل ضللاً بعيداً .

* * *

ولقد طالبنا الله صراحة بالولاية في سورة الصف . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، فأممت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ١٤) .

ونصرة الله هي ولايته ، فأنصار الله أولياء الله ، فمطالبة المؤمنين بأن يكونوا أنصار الله هي مطالبتهم بأن يكونوا أولياء الله .

* * *

من لم يكن ولياً لله تعالى كان واحداً من اثنين :
فإما أن يكون فاسقاً ، إن آمن ولم يتق . وإما أن يكون كافراً ، إن لم يؤمن ولم يتق .
ولا ثالث لهما .

فليُنظر المسلمون أين يضعون أنفسهم .
ليس من شروط الولاية أن يكون الولي مجذوباً أو معتوهاً أو سائل اللعاب ، أو ممزق
الإهاب ، أو رث الثياب ، بل الأولياء يبرءون من هذه العاهات ، منزهون عن هذه
الوصمات .

كما أنه ليس من شروطها إبراز الكرامات ، وإظهار خوارق العادات .

* * *

زعم الذين غلبت الغفلة والجهالة على عقولهم أن الولاية منحة تنزل من السماء ، ومن
تصادفه يكن ولياً أياً ما يكن ، ولو كان من غير المؤمنين ، بل ولو كان من غير البشر .
اجتمع فريق من المتصوفة في مولد من موالد بعض من يسمونهم أولياء حول النصب
الذي ينصبونه ليجمعوا حول البله والمجانين والمحتالين والدجالين ، وإذا بكلب يثب في بهرة
الحلقة ، فتصدى لهم بعضهم يريد أن يطرده ، ولكن شيخهم اتهم ذلك الذي حاول أن
يطرد الكلب قائلاً له في صرخة مزعجة :
دعه : خشيته أن يكون منهم !! .

* * *

لا جرم أن هؤلاء القوم ينكرون حكمة الحكيم سبحانه ، ويعتقدون أنه يوزع الولاية
جزافاً ، ويفرقها عبثاً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .
نصر الله امرأ وعى مقالتي هذه فعمل بها وحقق الولاية في نفسه ودعا إخوانه إلى أن
يحققوها في أنفسهم حتى يكونوا من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

خطبة منبرية

بقلم سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة في الدنيا والآخرة للمتقين ، والفوز والنجاح والعزة للمؤمنين ، والخيبة والخسران على المشركين الكافرين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة أرجو بها رضاه ، وأسأله ولا أسأل سواه . لا أنخذ من دونه الأولياء ، ولا أتقرب إليه بالوسطاء ، ولا أتوسل إليه بالشفعاء . فهو سبحانه السميع القريب المجيب ، وقد أنزل في كتابه (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) وقال سبحانه (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله ربنا بشيراً ونذيراً ، فبشر وأنذر ، بشر المؤمنين الذي اتبعوه وأطاعوه بالحق والرضوان ، وأنذر الكافرين الذين خالفوا عن أمره بالنار والعذاب والهوان . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لقرواحهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

ويقول الله سبحانه وتعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم

ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ، ورزق كريم (صدق الله العظيم . هذه يا إخواني بعض الآيات التي يذكر الله سبحانه وتعالى فيها صفات المؤمنين يقول الله تبارك وتعالى إن هؤلاء المؤمنین الذين يكون نصيبهم الفلاح في الدنيا ، ووراثه الفردوس يوم القيامة . يكون من أبرز صفاتهم المحافظة على الصلوات ، والخشوع فيها ، وأدائها كاملة الأركان ، كاملة الاطمئنان . أما الذين يؤدونها نقرأ كنقر الغراب ، فلا يمكن أن يكونوا من الخاشعين المحافظين عليها . ومن صفاتهم أنهم للزكاة فاعلون ، فينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته . والمال كما يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه محك الإيمان ، فإن له في النفوس مكانة عظيمة ، وهو شقيق الروح ، ولا يمكن أن يخرج سمحة به نفسه إلا من كان في قلبه دافعاً أقوى منه وهو الإيمان . أما من كانت الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه - نسأل الله أن لا يجعلنا منهم - فإن الله سبحانه وتعالى يعاقبه بأن يجعل الفقر بين عينيه - والعياذ بالله - فلا تزال نيران الجشع والطمع والحرص والبخل مشتعلة في قلبه حتى تفسد عليه حياته كلها ، فتجده يمنع حق الله ، وحق الأرحام ، بل حق نفسه واسرته .

ومن صفات هؤلاء المؤمنين أنهم يعرضون عن اللغو والباطل وسفاسف الأمور ، ويكون همهم دائماً الحق والهدى ومعالي الأمور . إنهم دائماً يسعون لرفعة الأمة أكثر مما يسعون لأنفسهم ، إن نفوسهم تكون مطبوعة على الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الإسلام هي العليا . إنهم آمنوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) فاتخذوا قوله شعاراً لهم في الحياة ، فهم في جهاد دائم وسعي دائم لاخراج الناس من ظلمات الجهل والجاهلية ، إلى نور العلم والإيمان ، فطوبى لهم وحسن مآب .

ومن صفات المؤمنين أنهم يغيضون أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، خصوصاً في هذا الزمان الذي امتلأ فيه الدنيا كلها بأسباب الفتنة والتبرج . في هذا الزمان الذي انقلبت فطر الرجولة فيه من الغيرة على الأعراض إلى التفريط فيها . إن الآباء والأزواج والأخوة أصبحوا لا ينجلون من دفع أعراضهم من البنات والأزواج والأخوات إلى التبرج . بل وتقديمهم

وتعريفهم بالأجانب عنهم من الذئاب . لقد صرنا إلى أيام تعير فيه بالجمود والرجعية والتخلف عن ركب الحياة ، والتأخر إذا حاولت أن تتمسك بالمثل والأخلاق الإسلامية ، لقد كثرت أعوان الشر من شياطين الإنس والجن ، وعدم الأعوان على الخير والصلاح والتقوى . لقد أصبحنا في الزمن الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من ورائكم أياماً الصابر فيهن المستمسك بدينه كالعابض على النار ، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم . قلنا : منا أم منهم يا رسول الله ؟ قال بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون على الخير أعواناً) .

ومن صفات المؤمنين أنهم لأماناتهم وعهدهم راعون ، وذلك ليقظة ضمائرهم ، وحياسة قلوبهم ، وأنهم يتأسون في كل شئونها بالمثل الكامل للإنسانية الكريمة ، رسولنا وقودتنا عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فقد كان من أبرز صفاته عليه السلام الأمانة حتى لقبه قومه (بمحمد الأمين) من قبل الرسالة .

والأمانة تكون في كل شيء ، تكون في الأفعال والأعمال يؤديها على أحسن الوجوه ، واضبطها سواء كان عملاً للدين أو للدنيا ، وتكون الأمانة في الأقوال ، فلا يكذب ولا ينافق ولا يرأى ، إنما الصدق والحقيقة لا يبالي ما يكون بعدها ، وتكون الأمانة في كل حركة وسكنة وحال ، فلا يهز خائناً ، ولا يستمع متلصصاً ، ولا يسعى غادراً ، ولا يبطش فاجراً . بل إنه لا يهز ولا يفخر ولا يكون في أي شأن من شئونه إلا أميناً صادقاً . ذلك كله فوق أنه أمين على ما يسترعى ويستأمن من أموال الناس وودائعهم وما يحرصون عليه . ومن صفات المؤمنين أنهم يوفون بالعهد ، فلا يغدرون ولا ينكثون ، لا يحلفون بالله ولا ينقضون الميثاق . أما الذين يحلفون ويغدرون فهم المنافقون الذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم إذا وعدوا أخلفوا ، وإذا عاهدوا غدروا .

ومن صفات المؤمنين : تقوى الله في السر والعلن ، وأنهم يقدمون أوامره ومحابه وما يرتضيه ، ولو كانت مخالفة لما نهوى أنفسهم ، ويحبها أهلهم ، وترضى عشيرتهم . فإذا ذكر الله وجلت قلوبهم خوفاً ورجاء ، ورغباً ورهباً ، وخشية وخشوعاً . وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً .

وكذلك انقرآن يا إخواني يفعل في نفوس المؤمنين ويؤثر فيها ويملؤها إيماناً وهدى وخيراً . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكروهم الله فيمن عنده » فكيف لا يزداد من يتلو كتاب الله إيماناً ، وذلك شأنه . كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم ، يدعوا بعضهم بعضاً لتلاوة كتاب الله ، فيقول أحدهم للآخر : تعالوا نؤمن ساعة . فكانوا يسمعون تلاوة القرآن : إيماناً . وإنه من غير المعقول أن يؤمن إنسان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر إلا إذا قرأ القرآن وتدبره وفهمه وفهم بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له .

اللهم إنا نسألك أن توفقنا وتهدينا إلى ذلك ، وأن توفق المسلمين جميعاً إليه ، اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الليل والنهار ، وجعل الظلمات والنور ، لتكون للناس آيات بينات واضحات ليخرجهم من الجهل إلى العلم ، ومن الضلال إلى الهدى . وهو الذي أنزل كتابه الكريم آيات مفصلات لمن أراد أن يذكر ويهتدى إلى صراط الله المستقيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى طريق الهدى والرشاد ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وأول المسلمين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الإيمان بضع وسبعون شعبة . أعلاها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » والإيمان يضعف ويقوى ، ويزيد وينقص . فكلما زادت معرفتك بالله وآياته وسننه وآلائه : زاد إيمانك ، وكلما نقصت المعرفة بنقص الإيمان ، وكلما قوى اتصالك بكتاب الله ، وهدى رسول الله ، وقوى

مخالطتك لجماعة المسلمين : قوى إيمانك ، ومن هجر كتاب الله ، ونبذ هدى رسول الله ، وفارق الجماعة : نقص إيمانه ، إن لم نقل إنه يتلاشى .

فأعلا شعب الإيمان (لإله إلا الله) وهى الكلمة الطيبة التى شبهها الله بالشجرة الطيبة ، لأنها إذا نبتت وترعرعت فى القلب أنثرت أطيب الثمرات عملاً صالحاً فى الجوارح ، فأعمال الناس دائماً دليل على مافى قلوبهم ، وكلمة (لا إله إلا الله) كفر وإيمان : كفر بالطاغوت وإيمان بالله ، (فلا إله) كفر بكل ما اتخذ الناس قديماً وحديثاً من آلهة باطلة ، (وإلا الله) إيمان بالله : الخالق ، البارى ، المصور الذى له الأسماء الحسنى .

ومن صفات المؤمنين أن لا يقدموا شيئاً بين يدى الله ورسوله ، فلا يقدموا على أمر الله ، ونهيه ، وقوله ، وهدى رسوله أمراً لا نهياً ولا قولاً لأحد كائناً من كان . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » أن يكون حبه وما تهوى نفسه مع ما جاء به عليه الصلاة والسلام من عند الله الحكيم الخبير .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » والإنسان بطبعه وفطرته يحب الخير والسعادة لنفسه ، ويحب الله سبحانه وتعالى من المؤمن أن يحب الخير والسعادة للبشرية جميعاً ، وأن يكون قلبه محلاً للسلامة والحب لإخوانه من بنى آدم ، ولا يحب منه أن يحمل قلبه مباداة للكرهية والحسد والبغضاء :

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يأمن بخاره بوائقه » أى أذاه بالقول أو بالعمل : لا يحسده ، ولا يحقره ، ولا يفتابه . ولا يتجسس عليه .

ويقول عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فليحسن إلى جاره » .

وليس الإيمان دعوى ندعيها ، ولا شقشقة لسان تشدق بها ، إنما الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وأما الذين يتيهون فى الأوهام ، ويتخبطون فى ظلمات الجهل والضلال ، ويتشبثون بالأمانى ، ويتمنون إيماناً كإيمان المجازر ، وأنهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام بدون علم ولا عمل ، وأنهم المسلمون بالولادة والوراثة والبيئة ، وأنهم

في حسب فلان أو فلانة من الموتى أو الأحياء ، كل ذلك وهم وضلال وباطل لا يغنى عن الحق شيئاً وإيمان فاسد كاذب .

أما الإيمان الصادق ، فهو الإيمان المبني على أساس من العلم بكتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الإيمان الصادق : هو الذي يغرس في القلب حب الله وحب رسوله ، ويقدم حبهما على حب ماله وولده وزوجه ونفسه التي بين جنبيه .

الإيمان الصادق : هو الذي يثمر الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة الكريمة .

لا أدري ، كيف يفهم بعض الناس أنه قد يكون إيمان بغير عمل ؟ .

ألم يفهموا قول الله تعالى في آيات كثيرة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ؟ .

وقوله تعالى (إن الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا) ؟ . أى آمنوا بالله واستقاموا على

العمل الصالح . كما أمر وبيّن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد سأل أحد أصحابه مرة قل لى

يارسول الله في الإسلام قولاً لا أسأل بعده أحداً أبداً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

« قل : آمنت بالله ثم استقم » . وفي هذه الكلمة الجامعة ضم الرسول عليه الصلاة والسلام

طرفي الإسلام : الإيمان ، والعمل . فلا يمكن أن يكون في القلب إيمان بالله واليوم الآخر

ثم لا يبعث صاحبه على العمل بأوامر الله ، راغباً في عفوه ورحمته ، ومغفرة ورضوانه وجنته ،

راهباً من عقوبته ، وشديد عذابه ، ونسكاله ، والعياذ بالله .

اللهم إنا نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا ، وتستر عيوبنا ، وتيسر لنا أمورنا . اللهم ارزقنا

إيماناً صادقاً ، ووقفنا للعمل الصالح ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . اللهم وفق

المسلمين جميعاً لذلك ، اللهم خذ بنواصينا وقلوبنا ، ونواصي وقلوب رؤساءنا وقادتنا إلى ماتحب

لنا ولهم من العمل الصالح ، والفلاح في الدنيا والآخرة ، إنك ياربنا سميع مجيب .

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ،

ربنا إنك رؤوف رحيم) اللهم اختم لنا بخاتمة الإيمان . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

وآله أجمعين .

آفة الجماعة الإسلامية

الفرق والاختلاف - ١ -

لأدب عبد السلام رزق الطويل

« يسرنى أن أبدأ هذه السلسلة ، وقد بزغت شمس الوحدة العربية واستضاء بنورها مصر وسورية ، بقيادة بطلين : شاب شهم شجاع ، وشيخ مضح نبيل . نرجوا أن يجتمع العرب تحت لوائها فهم - رغم كيد الاستعمار - أمة واحدة » .

قبل أن أنحدث عن هذا الموضوع كافة حلت بالجماعة الإسلامية ، يجدر بي أن أقدم بين يلى بحثى هذا نظرة مجلى ، أتناول فيها الروابط التى تربط بين بنى الإنسان فى مختلف الأزمان والأعصار ، مهما تباعدت بهم الديار ، واشتطت الأمصار .

غريزة الاجتماع ومزيتها : سنة الله فى البشر ، وحكمته فى بنى الإنسان أن جعل الاجتماع سبيل سعادتهم ، ومعراج رقيهم ، وسلم فلاحهم ، فلا يصلون إلى مجد ، ولا يرتقون إلى حضارة ولا يكسبون مدنية إلا إذا كانت وسيلتهم اجتماعا ، والتشاما ، واتفاقا . فبالاجتماع تتلاقى الكفايات ، وتجتمع مصادر الخير ، وتتوحد منابع القوة ، فيعمل الساعد الفتى بإرشاد العقل الذكى لإسعاد الجماعة التى ينضوى تحت لوائها الجميع ، ولهذا جعل الله تعالى حب الاجتماع غريزة فى الإنسان يميل إليها بطبعه ، ويهفو إليها بفطرته ، ويفر إلى بنى جنسه فرار الظبى إلى كناسه ، والطير إلى وكره حتى أترعن علماء الاجتماع القدامى « الانسان مدنى بالطبع » وذلك لأن حب الجماعة مغروس فيه ، مركز فى جوانحه ، لأنه لا يستطيع أن يقضى جميع شئونه بنفسه ، ويحقق - فريدا - رغبات عيشه ، ومطالب فؤاده ، فلا بد من تلاقى الجماعة ، وتكاتفها لتحقيق مطالب الجميع وإسعادهم .

تحدث الله تعالى عن هذه الرابطة الإجتماعية الأولى حين قال : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وحين قال : (كان الناس أمة واحدة) ونامسها في قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس إن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب » وفي قوله : (يد الله مع الجماعة) .

أثر الاجتماع في الأفراد : لـسكن الجماعة إذا سارت على ضوء عقلها ، واهتدت بهدى أفكارها لن تصل إلى غايتها لأن عقول البشر - مهما ذكت - كلية ، وأفكارهم - مهما نضجت - عليلة ، لأنها إن أبصرت المحسوس لن تبصر المعقول ، وإن أدركت شيئاً من عالم الشهادة عذب عن إدراكها كل شيء من عالم الغيب ، فتهم في متاهات الخرافات ، وتضل في بيداء الشرك وعبادة الأوثان ، وتنطبع هذه الاتجاهات للجماعة في نفوس أفرادها ، فما يكاد يبرز في بيئتها طفل حتى تسارع إلى صقله بصقالها ، وطبعه بطابعها ، يبين أثر الجماعة في الفرد أجلى بيان قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » ثم ينقاد الفرد للجماعة ، ويدعن للعقل الفردي ، للعقل الجماعي ، ويفقد شخصيته فقداناً كاملاً ، ويدوب فيها ذوباناً تاماً ، وهذا من آفات الجماعة ، لأنه إن صلح في نواحي البذل والإيثار ، فسيكون ضرره أبلغ في نواحي الفكر والعقائد ، وقد أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هذا الإنقياد في الفرد محذراً له من فقدان الشخصية ، وحافزاً له على الاستقلال الفكري ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول : أنا مع الناس ، إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت . ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءاتهم » وعقل الجماعة ، وتفكيرها الشخصي ، وحكمها يصدر غالباً بدون روية وإمعان مجرداً في معظم أحواله عن الثبات والاتزان ، قائماً في جل أمره على الارتجالية والاندفاع ، ولذلك يقول الله تعالى : (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) ، وحين جاء الرسول صلى الله عليه وسلم منذراً إلى قومه ، سارعت الجماعة الطائشة

الهامة في بيداء الضلال إلى تكذيبه واتهامه ، والتغلب على صوت القرآن يتلوه لهم بأصواتهم الجشة العتيدة ، لذلك دعاهم الرسول إلى التفكير ملياً ، والتأمل فردياً ، والهدوء شيئاً ما ، والكف عن الضجيج والمجيج ، وأن يناقشوا بهدوء وجه الحق حتى يتضح ، ويبحثوا بتمعن عن طريق الخير حتى ينكشف . فيقول تعالى : (قل : إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ، ثم تنفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) .

رابطة الدين : ومن هذا يتجلى لنا أن هذه الغريزة وحدها لا تصلح بحال أن تكون أساساً لإسعاد البشر . لأن عقل الإنسان لم يصل إلى درجة من القوة تجعله يستطيع التوفيق بين العقل الفردى ، والعقل الجماعى ، كما أن عقل الإنسان كما ذكرنا لا يستطيع أن يخترق حجب الغيب ليصل إلى ما وراءه من آثار كبار ، وملاك عظيم ، إذا لابد من الدين ، ولا بد أن يكون من عند الله العليم بذات الصدور ، والخبير بطوايا النفوس ، واللطيف الذى يدرك مكنون الضمير ، إذ هو وحده الذى يضع العلاج الشافى ، والدواء الناجع لهذه الجماعة الهامة ، ويخطط الطريق السوى لتلك الفئات الضالة الشاردة ، فكان إرسال الرسل ليكونوا دعاة للحق فى الأرض ، ورواداً للتوحيد بين الناس ، يحملون من عند الله كتباً هى قانون الجماعة الذى تتحاكم إليه ، وتلجأ إليه فى اختلافها ليفصل فيه ، ولهذا نرى القرآن الكريم يرتب بعثة الأنبياء على وحدة الأمة حيث يقول : (كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) . إذا الدين هو أصدق رابطة ، وأوثق عروة يرتبط بها بنى الإنسان ، وكان الدين فى كل زمان مخرج الجماعات من أزمتها ، ومنقذها من ضلالها ، وهاديها إلى سواء السبيل ، وكانت هذه البعثات المختلفة ، والرسالات المتنوعات ، ماهو إلا محاولات ناجحة لإصلاح شأن الجماعة فى أحيان فسادها ، وأوقات خلافها ، وكانت كومضات النور فى الليل البهيم ، وأشعة الضوء فى دياجير الظلام ، حتى يطمس معالمها البشر ، وتفسدها يد الناس ، فتلاحقها شريعة أخرى نعى مدارس ، وتسكمل مانقص ، وتزيد ما يلائم البيئة ، وما يتفق وأحوال الأمة المرسل

إليها ، وهى مع هذا كله متفقة الأصول ، متحدة فى الاتجاهات العامة ، متتامة ، متكاملة غير متنازعة ، ولا متشاكسة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد » بمعنى أن الاختلاف كان فى فروع التشريع التى تختلف طبيعتها باختلاف الأزمان والعصور .

دين الإنسانية : وكانت هذه الشرائع كلها لتربية الإنسانية وتعهدها فى دور صباها ، وتبلغ رشدها وتستعد لتلقى الرسالة الكبرى العامة الشاملة ، الخاتمة لرسالات الرسل ، الخالدة الباقية ، تلك الرسالة التى جمعت وسائل الفلاح ، وحملت صنوف الأدوية تعالج بها أسقام الحياة فى مناحيها المختلفة ، وفى جوانبها المتعددة ، من عقيدة وعبادة ، وأخلاق واجتماع ، وسياسة واقتصاد ، فهى قد تعرضت لصفات الجماعة المثلى ، والأمة الراقية ، وهى بهذا تدل أبلغ دلالة على صلاحيتها لهداية الإنسان فى كل عصور نهضته ، وفى جميع أماكن إقامته يدل على الارتباط الوثيق بين الرسالة المحمدية والرسالات السابقة أن من مبادئ الدعوة الإسلامية الإيمان بكل من أرسل الله من رسله ، وما أنزل من كتب ، لأنها كانت عوامل فعالة لتهيئة الإنسان لتلقى الرسالة الكبرى ، فيقول تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله) ، (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر فقد ضل ضالاً مبيناً) . كما يصور لنا هذه الرابطة ، ويبين لنا منزلة هذه الرسالة مما قبلها ، قوله عليه الصلاة والسلام : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه ، فقال الناس : ما أحسن هذا البيت ! ؟ لولا هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

هذه الأدلة كلها تشير إشارة صريحة إلى أن الرسالة المحمدية فى قمة الرسالات ، وأنه عند نزولها أصبح البشر على استعداد لتلقى القانون الخالد ، وأنهم بها سيصلون إلى ذروة التحضر والارتقاء ، إذا عملوا بها ، وقاموا على حدودها ، ونصبوا من أنفسهم حراساً على مبادئها .

دين العالم : ونرى هناك دلالة قوية على هذا التقارب منبهة في كثير من آيات القرآن تفيد ترابط الأديان ، وشمول الإسلام لها كلها ، حيث إن هذا الاسم كان علماً على دين إبراهيم وأبنائه من قبل ، فيقول تعالى (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق إلهاً واحداً ، ونحن له مسلمون) .

كما تشير الآية الأخيرة من سورة الحج إلى اصطفاء الله تعالى لهذه الأمة ، وارتباطها بملة إبراهيم ، وإطلاق هذا الاسم عليها منذ قديم ، فيقول تعالى : (وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) . إن الإسلام منتهى ما كسبه البشر من وحى السماء ، وقمة ما وصل إليه الإنسان من هداية الله . ولذا فلن يقبل الله من بشر أن يدين بسواه ، أو يلتصق بعلام الهدى من غيره معرضاً عن سواه . قال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) ، كما قال تعالى : (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين ، كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين) .

أجل ، إنه منتهى ظلم الإنسان لنفسه ، أن يحجبها عن الهدى ، ويكفر بالبينات الواضحة ، ويعرض عن أم الشرائع ، شريعة الإسلام .

أما أثر الإسلام في العالم ، وجمعه لشتات الشعوب ، وسموه بالعالم ، ثم ظهور بذور الشقاق ، وسريان نار الاختلاف فيه ، ثم الحديث عن أسباب ذلك ، فذلك موضوع المقالات المقبلة إن شاء الله .

بَابُ الْفَتَاوَى

أَسْئَلَةٌ وَأَجْوَبَتُهَا

١ - الأَسْئَلَةُ :

السيد الأستاذ أبو الوفاء محمد درويش

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم . وبعد فخرجوا أن يجيبوا عن الأسئلة الآتية ولكم من الله حسن المثوبة :

س ١ - قرأنا في بعض الكتب أن الماء المستعمل في الوضوء أو الغسل يجوز استعماله مرة أخرى ، أى يصح الوضوء والغسل به . فما رأيكم في هذا الحكم ؟

س ٢ - سمعنا شخصاً من المنسويين إلى العلم يقول : إن سنن الصلاة ترقيع لقروضها ، وأن سنن الصلاة بمثابة الترقيع للثوب . فما مبلغ هذا القول من الصحة ؟

س ٣ - هل يجوز الاقتداء بالمسبوق في الصلاة ؟
ورجاؤنا أن تكون الإجابة على صفحات مجلة الهدى النبوى الغراء لنعم بها الفائدة .
والسلام عليكم ورحمة الله .
من قراء المجلة بسنهور . مينا القمح . شرقية
متولى محمود . على السيد على . إبراهيم يس

ب - الأجوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

ج ١ - اختلف أهل العلم في حكم الماء المستعمل في قُرْبَةٍ ، أو رفع حدث :

أهو طاهر مطهر ، أم طاهر غير مطهر ، أم نجس .

أما أبو حنيفة ، فقد اختلفت الرواية عنه : فروى عنه الحسن أنه نجس نجاسة غليظة .

وروى أبو يوسف أنه نجس نجاسة مخففة . وروى محمد أنه طاهر غير مطهر . وهذا هو رأى

المعتمد عند الحنفية كما في شرح الكنز للزيلعى .

وأما الإمام مالك فقد قال : إنه طاهر غير مطهر ، ولكن يجوز منه الوضوء عند عدم وجود غيره .

وقال الشافعي وأحمد : إنه طاهر غير طهور فلا يجزىء منه الوضوء ولا الغسل (انظر الروضة الندية)

وقد اختلفوا كذلك في تعريف الماء المستعمل اختلافا لا أجد في إirاده كبير فائدة .

ولم أر أحداً من أصحاب هذه الأقوال أورد نصاً من السنة يؤيد قوله .

وقال الإمام ابن حزم : إنه طاهر طهور يجوز الوضوء والغسل به . ونقل هذا القول عن

الحسن البصري ، وإبراهيم النخعي ، وعطاء بن أبي رباح ، وسفيان الثوري وغيرهم .

وقد استدل على إباحة استعمال الماء المستعمل في الوضوء والغسل بما جاء في سنن

أبي داود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : مسح رأسه من فضل ماء كان في يده . وقد

رواه الدارقطني بلفظ : توضأ ومسح رأسه بيلل يديه . كما استدل بأن الصحابة كانوا

يتمسحون بوضوئهم صلى الله عليه وسلم إذا توضأ ، وبأنه صلى الله عليه وسلم سقى إنساناً ذلك

الوضوء ، وبأنه توضأ وصب وضوءه على جابر بن عبد الله .

وقد كتب ابن حزم في تعزيز رأيه والرد على مخالفيه ما يزيد على سبع صفحات من

كتابه « المحلى »

« وعندي أن جميع ما استدل به لا يثبت إلا طهارة الماء المستعمل ، ولكنه لا يثبت جواز

استعماله في إزالة الحدث مرة أخرى .

فحديث مسح الرسول صلى الله عليه وسلم رأسه بيلل يديه لا يدل على أن الماء المستعمل

يجوز استعماله مرة أخرى ، لأن البلل القائم باليد لا يعتبر ماء مستعملاً لاشتراطهم في الماء

المستعمل أن يكون منفصلاً عن العضو ، وهذا لم ينفصل . ورواية أبي داود لا تدل على أن

الماء الذي كان بيده مستعمل .

وكذلك تمسح الصحابة بوضوئهم صلى الله عليه وسلم وسقيه الإنسان ، وصبه على جابر

بن عبد الله . كل هذا لا يثبت إلا طهارته فقط .

ولم أقف فيما بين يدي من كتب السنة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم توضأ وجميع

ماتقاطر من الماء من أعضاء الوضوء في إناء ثم عاد فتوضأ منه مرة أخرى ، كما لم أجد أنه صلى الله عليه وسلم اغتسل في إناء ثم عاد فتوضأ من الماء الذي تساقط من جسده الشريف أو اغتسل به مرة أخرى أو أذن في الوضوء أو الاغتسال منه ، أو أقر أحداً على ذلك .

وإذا راعينا بعد هذا كله ، أن الماء المستعمل استعمال في المضمضة وقد يكون في اللثة أو الأسنان بعض الأمراض ، وفي الاستنشاق وقد يكون الشخص مريضاً ، وفي غسل الوجه والعينين وقد تكونان مصابتين ببعض الأمراض . وفي غسل عرق أصابع القدمين . إذا راعينا كل هذا مع عدم ورود ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم استعماله أو أذن في استعماله . ترجح لدينا عدم جواز استعماله . والله أعلم .

ج ٢ — لم أقف في كتب السنة التي اطلعت عليها على عبارة كهذه العبارة . ولعل قائلها يقصد : أن النوافل جوايز لما يقع في صلاة الفرض من إخلال ببعض سنتها أو مستحباتها ، لأن الحسنات يذهبن السيئات . وهذا المعنى سائغ وإن كان اللفظ شنيعاً . وإن كان يقصد غير ذلك ، فلا معنى لهذا القول ، لأن أركان الصلاة إذا ضيعت لا تجبرها السنن . والله أعلم .

ج ٣ — اختلف الفقهاء كذلك في شأن الاقتداء بالمسبوق ؛ فقال المالكية : من اقتدى بمسبوق أدرك مع إمامه ركعة : بطلت صلاته ، سواء أكان المتقدي مسبقاً مثله أم لا .

وقال الحنفية : لا يصح الاقتداء بالمسبوق ، سواء أدرك مع إمامه ركعة أم أقل منها . وقال الشافعية : لا يصح الاقتداء بالمأموم مادام مأموماً . فإن اقتدى به بعد أن سلم الإمام أو بعد أن نوى مفارقه (ونية المفارقة جائزة عندهم) صح الاقتداء به فيما عدا الجمعة . وقال الحنابلة : لا يصح الاقتداء بالمأموم مادام مأموماً ، فإن سلم إمامه وكان مسبقاً : صح اقتداء مثله به إلا في صلاة الجمعة .

ويرى الإمام ابن حزم : أن الأفضل للمسبوقين الذين يتمون ما فاتهم أن يقضوه بإمام

يؤمنهم منهم لأنهم مأمورون بالصلاة جماعة . وقد استدلل بما رواه عن ليث ، قال : دخلت مع ابن سابط في أناس المسجد والإمام ساجد ، فسجد بعضنا وتنهياً بعضنا للسجود . فلما سلم الإمام قام ابن سابط فصلى بأصحابه ، فذكرت ذلك لعطاء فقال : كذلك ينبغي ، فقلت : إن هذا لا يفعل عندنا . قال : يفرقون « أى يخافون » ثم قال : هذا يبين أن الناس مضوا على أعمال سلاطين الجور المتأخرين .

وأضاف قائلا : وعن معمر عن قتادة : في القوم يدخلون المسجد فيدركون فيه مع الإمام ركعة . قال : يقضون ما بقى عليهم يؤمهم أحدهم وهو قائم معهم في الصف .
ويبدو لي أن هذا الاستدلال صحيح ، وإنما يتم ذلك إذا كان المسبوقون يعرفون هذا الحكم . والله أعلم .

قد تم طبع

الْأَخْيَارُ

أو

حُرِّيَّةُ الْإِرَادَةِ فِي الْإِسْلَامِ

رسالة وضعها بالفرنسية

سيدة مؤمنة مسلمة جليلة ، من فضليات نصيرات السنة المحمدية
وتلقاها إلى العربية الأستاذ الكبير الشيخ

أبو الوفاء محمد درويش

الحامى

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات الممتازة في الصناعة والمثانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عطاء صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المثانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

٧٩.١٧ ٥

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات الممتازة في الصناعة والمتانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عطية صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

٧٩.١٧ ٥

في أي مكان تجده يتألق ويزهو



آخر ما وصلت إليه صناعة الخزيران
الكرسي النورجي
الناس، حسن صنع حقا

أنه الكرسي النورجي

في الثانة ودقة الصناعة المصرية آخر ما وصلت إليه صناعة الخزيران

موبيسات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة القلبي شارع الخديوي إسماعيل

من على صناد النصب : رقم ١٣ شارع يوسف الخديوي سجل تجاري ٤١١٠١

الجودة

حسن العاملة

الأمانة

بمحلات

الحاج زكير على

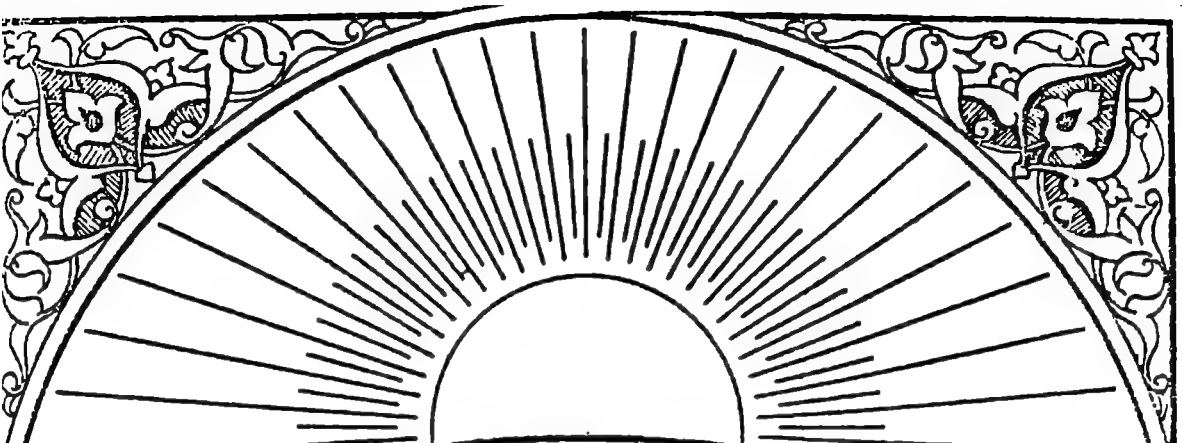
الحاج عموم أضاف الخيش والخمير واللبان

وتستعد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكية بالجالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الخواوي وكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مبنا البصل بالأسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥



المَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

٣	الإسلام دين واسع الأفق	لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٧	خطبة منبرية	للاستاذ سليمان رشاد محمد
١٤	أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه	لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٢٠	آفة الجماعة الإسلامية	للأديب عبد السلام رزق الطويل
٢٧	رد على كتاب	لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٢٨	هذه البدع	للأديب سعد صادق محمد
٣٣	سيد أحمد الفقي	للاستاذ سليمان رشاد محمد

«ساعات حبيب» السويصرية

الساعات الممتازة التي تحظى برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان

لمئاتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

محلات محمد حبيب الساعاتي

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل في الدفع على أقساط شهرية

استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعي

المهدي النبوي

مدير الإدارة

محمد رشدي خليل

الاشتراك السنوي

٢٠ - في مصر والسودان

٣٠ - في الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير اللهى محمد مصطفى الله عليه وسلم

رئيس التحرير

محمد هاشم الفقى

الإدارة :

٨ شارع قوله

بعبدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

١٢، ١١

ذى القعدة - ذى الحجة سنة ١٣٧٧

المجلد ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإسلام دين واسع الأفق

الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

من السمات البارزة التي يمتاز بها الإسلام من الدين كله أنه دين كريم سخي سمح صريح ، واضح القسّمات ، بين المعالم ، لا غموض فيه ولا إبهام ، لا يرضن بالسعادة على من ينتفعها بأسبابها ، وليس فيه أسرار خاضة يجود بها على قوم ، ويخفيها على آخرين ، يرحب بالإنسانية كلها ، ويدعو الناس جميعاً للانضواء تحت لوائه ، والتفويض في ظلاله ويفتح باب الرحمة لمن في الأرض كلهم جميعاً إذا آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات : يقول الله تعالى في سورة البقرة : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٦٢) .

إن من شرع الإسلام هو من شرع ما سبقه من الدين ، وإن مرسل رسول الإسلام هو مرسل من تقدمه من المرسلين ، ومن أجل نجد الإسلام لا يضيق بأحد من الناس - بر الجادة ، ويسلك الصراط السوي ، ويسير فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وإنما ينعي على

المنحرفين الذين يمشون مكبين على وجوههم ، ناكبين عن سبيل الحق والخير والجمال ، داعين إلى التفرق والاختلاف . قال تعالى في سورة الشورى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوم إليه . الله يجتبي إليه من يشاء ، ويهدي إليه من ينيب ٣٣ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب : ٣٤) .

هذه دعوة صريحة واضحة ، تدعو البشرية كلها إلى الاجتماع على كلمة سواء ، وإلى إقامة الدين ، وبند التفرق فيه . هذا التفرق الذي هو من آثار قصر النظر ، وضيق الفكر ، والبلادة والجود ؟ إذ مادام البشر جميعاً قد خلقوا من ذكر وأنثى فلم يتفرقون ويختلفون في عبادة من خلقهم ؟ ولماذا لا يدينون ديناً واحداً وهو الدين الذي شرعه لهم وأوصى به رسله وأنبياءه . قال تعالى في سورة المؤمنون : (يأتيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً ، إني بما تعملون عليم ٥١ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ٥٢) فقد جعل سبحانه البشرية كلها من أتباع الرسل أمة واحدة لأنهم مجتمعون على الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات .

جواز الدخول في رحمة الله الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الخير ، والإيمان بالله لا يتم إلا بالإيمان بالملائكة والكتب والرسل وعدم التفريق بين أحد من الرسل . قال تعالى في سورة البقرة : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون : كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله . وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير : ٢٨٥) ؛ فقد فسر رب العزة جل شأنه ، إيمان الرسول والمؤمنين بأنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وعدم التفريق بين أحد من رسله . .

وقال تعالى في سورة الإعراف : (ورحمتي وسعت كل شيء ، فأسألكمها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ١٥٦ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل

لم الطيبات ويحرم عليهم الخبثات ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم
 قالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون : ١٥٧
 والعقل والمنطق يشهدان بأن الذي لم يؤمن بجميع رسل الله لا يكون مؤمناً بالله . فمن آمن
 ببعض الرسل وكفر ببعض لم يكن مؤمناً بالله لأنه ينكر قدرته تعالى على إرسال الرسول
 الذي كفر به ، وعلى تأييده بالآيات التي تشهد بصدق رسالته وتقوم مقام قوله تعالى :
 « صدق عبدي فيما يبلغ عنى » .

من أجل ذلك أخذ الله ميثاق النبيين ليؤمنن بمن يأتهم من الرسل مصداقاً لما معهم
 قال تعالى في سورة آل عمران : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
 ثم جاءكم رسول مصداق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ؟ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم
 إصري ؟ قالوا : أقرزنا . قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ٨١ فمن تولى بعد ذلك
 فأولئك هم الفاسقون : ٨٢) .

ومصداق هذا أن المسيح عليه السلام بشر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى
 في سورة الصف : (وإذ قال عيسى بن مريم ، يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً
 لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات
 قالوا : هذا سحر مبين : ٦) .

* * *

وبعد فها نحن أولاء نرى أن دعوة الإسلام دعوة واسعة شاملة جامعة تدعو الإنسانية
 كلها إلى الدخول في حظيرته ، والتفويض في ظلاله ، وتنمى على المختلفين والمتفرقين من الأمم
 والشعوب فكيف يسوغ لأبناء الإسلام أن يتفرقوا فيما بينهم ، وأن يختلفوا طوائف
 ومذاهب وطرائق ؟

قال تعالى في سورة آل عمران : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا
 نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . وكنتم على

شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون : (١٠٣) .

ويعينى أنه عندما ترتقى الإنسانية كلها وتبلغ غاية نضجها ونهاية كمالها ستجتمع كلها على الإسلام ، لأنه الدين الذى يسير العقل ، ويرضى الشعور ، ولا يصادم العواطف الإنسانية ويدعو إلى التسامح والتسامى ومعالي الأمور ، ويكره الإسفاف والجود ، ويدعو المؤمنين إلى الدخول فى السلم كافة ، ولا يمكن أن يسود السلام الذى تحلم به الأمم إلا إذا اتخذوا الإسلام ديناً ، وحرصوا على التمسك بآدابه ورعايته أحكامه . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

أبو الوفاء محمد درويش

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمجلات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والجبال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

خطبة من خطبة برية

بقلم سلجانه رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، البر الثواب الرحيم ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام .
وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا نعبد إلا إياه ، ولا نسأل سواه . فله سبحانه تعنو الوجوه ،
وله سبحانه يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها .
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أعرف الخلق بالله ، وأتقاهم لله ، وأهداهم إليه سبيلاً .
صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : أيها المسلمون ، إن الله سبحانه وتعالى شرع لنا وأوجب علينا الحج إلى بيته
الحرام ، وجعله ركناً من أركان الإسلام . فقال سبحانه وتعالى (إن أول بيت وضع للناس
لهذا بكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ،
والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) .
فجعل الله سبحانه من حقه على الناس حج البيت ، وتلطف بهم رحمة منه سبحانه ، فقيده
بالاستطاعة ، ثم تهدد المستطيع الذي يهمل هذا الركن من الإسلام فسلكه في زمرة الكافرين
الجاحدين لأنعم الله ، العاصين لأوامره .

والاستطاعة تنحصر في أمور ثلاثة : النفقة ، والقوة البدنية ، وأمن الطريق . فإذا توفرت
هذه الأسباب فليس لمعتذر أن يعتذر بعمل أو غيره من الأعذار التي يتشبث بها من ضعف
في قلوبهم دافع الإيمان ، وقوى فيها حظوظ الشيطان من الحرص على الدنيا ، وحب الترف
والتنعم .

ذكر الله سبحانه وتعالى الحج في مواضع كثيرة من القرآن ، وحببه إلى المؤمنين
بأساليب متنوعة كقوله تعالى (وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ، واتخذوا من مقام إبراهيم

مصلّى ، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) .
وكفوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل
فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ، على ما رزقهم من بهيمة
الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تقصمهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا
بالبيت العتيق . ذلك ، ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه : وأحلت لكم الأنعام
إلا ما بئلى عليكم ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير
مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في
مكان سحيق . ذلك ، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع إلى
أجل تسمى ، ثم محلها إلى البيت العتيق . ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على
ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهمكم إله واحد فله أسلموا ، وبشر المحبتين : الذين إذا ذكر
الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون .
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ،
فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها ، وأطعموا القانع المعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم
تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها
لكم لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر الحسنين) .

فالذي بوأ لإبراهيم مكان البيت - أي هياه وخطه له - هو الله سبحانه وتعالى ، فأكرم
به من بيت يحدد مكانه رب السموات والأرض خليله عليه الصلاة والسلام ليكون خالصاً له
سبحانه لا يعبد فيه سواه ، مطهراً من كل رجس ووثن ، يستضيف فيه من يصطفيه من
عباده كل عام ، ويملاً قلوبهم شوقاً إليه ، فيأتوه راجين وراكبين ، يحدوهم الأمل في
مغفرته ورضوانه . ما أسعدهم إذ يقضون تقصمهم ويوفون نذورهم ، ويطوفون ببیت ربهم .
وما أبهجهم إذ يستلمون الأركان ، ويعظمون شعائر الرحمن ، ويسعون بين الصفا والمروة .
وما أهنأهم إذ يخرجون إلى منى ، ثم إلى عرفة مابين ، مكبرين ، مهللين ، قد تجردوا من
زخارف الدنيا وزورها وبهتانها .

إخواني : إننا هنا وفي كل بلد إسلامي نقف في صلواتنا متجهين إلى الكعبة مركز دائرة الإسلام ، وقلوبنا تهفو أن تراها رأي العين ، فأول ما تنفع عينك عليها يستولى عليك شعور روحى يملك عليك أقطار نفسك حتى لا تكاد تحس بشيء إلا روعة البيت وعظمته ، فينطلق لسانك بالدعاء وتهمر الدموع من عينيك ، مقبلاً على ربك بكل قلبك ترجوه وتستعطفه أن يكتبك في القبولين وأن يحو ما قدمت من الأوزار والآثام في سالف الأيام ، وتتوب توبة خالصة أن لا تعود لمعصية أبداً ، مستشعراً نفسك كأنها في مصيدة من حبال الشيطان وأنت تجرى طائفاً حول البيت ، ترغب جاهدأ أن تخرج من تلك المصيدة ، فإذا أنتمت الطواف سبع مرات فزعت إلى الصلاة في مقام إبراهيم - وهو المكان الذى كان يصلى فيه عليه السلام - فيدخل إلى قلبك الاطمئنان والسكون . ثم تخرج إلى الصفا لتسعى بينها وبين المروة ، متأسياً بهاجر عندما تركت وليدها إسماعيل في مكان البيت يموت عطشاً خصعت الصفا لعلمها تجد مغنياً ، ثم هبطت مهرولة إلى المروة فصعدتها لعلمها تجد المغيث من الجهة الأخرى . وظلت كذلك تجرى بين الصفا والمروة ، وهى فى كل مرة تقطع حبلاً من حبال الأمل فى غوث الأرض ، حتى إذا ما سمت سبعة أشواط انقطع كل الأمل إلا فى غوث السماء . فتوجهت إلى الله بقلب خالص لا يشوبه رجاء فى مخلوق ، فما أن وصلت عند وليدها حتى وجدت الماء قد نبع عند قدميه - فكان زمزم - فسقته وشربت .

وهكذا ينبغي لمن قصد بيت الله حاجباً أن يتخلص من جميع العلائق التى كان يتخبط فيها من علائق الشرك ، وعبادة المخلوقين ، من الموتى والأحياء ، وأن يخلص دينه وقلبه لله رب العالمين . ولذلك تجدون أن الله يأمرنا اجتناب الرجس من الأوثان ، ويأمرنا أن نكون حنفاء له غير مشركين به ، ويدعونا إلى تعظيم شعائره ، وأن لا نتخذ إلهاً نعبده ونعظمه ونسلم له سواء . كل ذلك فى ثنايا آيات الحج ومناسكه .

ولكن وأسفاه على المسلمين ، من منهم اليوم يخلص دينه كله لله ؟ إنه اليوم من أندر النادر ، وأقل القليل ، يخرج الواحد منهم إلى الحج وكأنه ذاهب إلى مولد من تلك الموالد التى يقيمونها فى بلادهم لأوليائهم ومعبودهم ، لا يفرقه للحج معنى ، ولا لمناسكه حكمة ، ولا

لشعائره في نفسه حرمة . يدفع هذا ، ويؤذى هذا ، ويشور لأنفه الأسباب ، ويكثر من الشغب والسباب . ولا يذكر قول الله تعالى (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولي الألباب) وينسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج ولم يفسق ولم يرفث ، عاد كيوم ولدته أمه » .

أيها المسلمون : لقد فرض الله سبحانه وتعالى علينا الحج لنشهد منافع لنا ، ومن أعظم تلك المنافع ، إخلاص الدين لله وحده ، فلا نشرك به أحداً من خلقه ، في تعظيم أو رجاء أو خوف أو ذكر ، فلا يجرى على لساننا ياسيدى فلان ، وياست فلانة أبداً . بل يكون كل ذكرنا لله وحده من تلبية وتهليل وتسكبير ، ودعاء ونداء واستعانة واستغاثة . فقد حذرنا الله من الشرك أشد التحذير في آيات الحج التي تلونها فقال (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) ثم لا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ينقذه ، إلا أن يتوب إلى الله فيجد الله تواباً رحيماً ، ويمجده نعم المولى ونعم النصير . ومن منافع الحج وفوائده ، أننا نتعود على ترك الأهل والأولاد والأحباب ، ونغيب عنهم فترة من الزمن ، ونتعود على تحمل المشاق والمتاعب وخدمة أنفسنا بأنفسنا ، ونتعود على تغيير نظام الحياة التي تعونها وألفناها ، ونترك بعض عاداتنا وأخلاقنا . ونعلم كيف نعامل الغرباء عنا ، وكيف نعاملهم ، وكيف نعاون الناس ونساعدهم ، ونعرف على أحوال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ونحاول أن ننفعهم وننتفع منهم ، وندرس شؤونهم ونعرفهم شئوننا . ونعمل على أن نوثق بيننا وبينهم الصلات ، وعلى أن نتجنب إليهم ونحبهم إلينا ، ونعلمهم ونتعلم منهم ، ونشيع بيننا وبينهم الأخوة الإسلامية من التعاطف والتراحم والتوادد . فالحج أيها المسلمون مؤتمر الإسلام والمسلمين في كل عام ، فيتعارفون ويتعاونون ويتناصحون ويتناصرون ويتعاضدون ، وبذلك يكونون قوة متماسكة يرهبهم عدوهم ، ويكون لهم وزن واعتبار في أعينهم . فما ضاع المسلمون وصاروا غناء كغناء السيل إلا من تفرقهم وشتات كلنهم وهوانهم على أنفسهم .

اللهم إنا نسألك أن تجمع كلمة المسلمين وتوحد بين صفوفهم وتقوى شوكتهم إنك على كل شيء قدير . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله العلى الكبير الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد .
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .
وأشهد أن أفضل خلق الله ، وأكرمهم على الله ، عبد الله ومصطفاه ، نبينا محمد عليه من الله أطيب الصلاة وأزكى السلام .

أما بعد : أخى المسلم ، يا من أكرمك الله واختارك ووفقك لتكون من ضيوفه عند بيته المكرم . أنصح لك ولنفسى أن لا تضع هذه الفرصة الذهبية التى هياها لك الله ، فقد تكون فرصة العمر فاغتنمها . وطن نفسك من يوم أن تخرج من بيتك أن يكون عمالك كله خالصاً لله ، لا تكن طالب لقب ، بل كن طالب مغفرة الله ورضوانه . لا تؤذى أحداً من رفاقك ، بل قدم له كل ما تستطيع من عون ومساعدة ، وأرشد من يكون فى حاجة إرشاد منهم فى رفق ولين ورحمة . حبيه إليك بأدبك وخلقه ولين جانبك قبل أن تبدأه بوعظك وإرشادك حتى تضمن اصغاءه إليك .

أخى المسلم : إن أول ما تبدأ به من مناسك الحج (الإحرام) . فإذا أدركت الميقات اغتسلت ولبست الإحرام وصليت ركعتين ، ثم لا يزال بعدهما لسانك رطباً بذكر الله . قد تجردت من زخرف الحياة وزينتها وغرورها ، فتشبهت بيوم ولدت ويوم تموت ، دخلت الدنيا عارياً لا تملك شيئاً فلففت فى قطعة قماش ، وستخرج منها عارياً ملفوفاً فى قطعة قماش وقد تركت ماخولك الله وراء ظهرك ، فيالها من عبرة لمن يعتبر ، ويا له من ذكرى لمن يذكر . فإذا استحضرت كل ذلك عند إحرامك تذكرت كيف دخلت الدنيا ، وكيف ستخرج منها ، فتهمون الدنيا وزينتها ومتاعها وما كنت متشبثاً منها فى نفسك ، فتقبل على الله بكل قلبك صائحاً (لييك اللهم لييك) أى ها أنذا قد تركت كل استجابة لدعوتك وامتنالاً لأمرك ، مخلصاً لك وحدك (لييك لا شريك لك لييك) فإنك وحدك المستحق

لا خلاص العباد ، لانك وحدك المنعم المتفضل مالك الملك (إن الحمد والنعمة لك والملك ،
لا شريك لك) ثم لا تزال كذلك لا يفتر لسانك عن ذكر الله ، والتوجه إليه بقلب خاشع
ونفس متطلعة إلى رضوان الله ومغفرته حتى تدخل مكة المكرمة خاضعاً متواضعاً متذلاً لله
ربك ، فإذا دخلت المسجد الحرام ورأيت أمامك الكعبة المعظمة تسأل الله من فضله
ورحمته ، وتسأله أن يزيد بيته تكريهاً وتشريفاً حتى إذا حاذيت الحجر الأسود تدنو منه
وتقبله إذا تيسر لك ذلك من غير مشقة أو إيذاء أحد ، وإلا فلك أن تشير إليه بيدك اليمنى
وتقول (باسم الله ، الله أكبر) كما فعل رسول الهدى صلى الله عليه وسلم ، ثم تطوف
باليات سبعة مرات تسرع في الثلاث الأولى وتدعو بما تحب سائلاً الله خيراً الدنيا والآخرة
وتمس بيدك الركن اليماني الذي قبل الحجر الأسود مباشرة وتقرأ بينهما (ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فإذا أتممت السبعة أشواط تتحرك إلى مقام
إبراهيم بين زمزم وباب بني شيبه فتصلي ركعتين . ثم تخرج من باب الصفا وتصعد عليها
وتقف هنيئة مستقبلاً الكعبة وتدعو بما تشاء ثم تنزل ساعياً إلى المروة وتصعد عليها وتستقبل
الكعبة وتدعو أيضاً فهذا شوط واحد ، ثم تكمل السعى سبعة أشواط تهوول في كل مرة
بين الميادين وتدعو في سعيك بما تشاء ، ثم تتحلل من إحرامك بحلق رأسك ولبس ملابسك
المعتادة . وتبقى في مكة كذلك لمحتللاً تفعل كل المباحات ، ثم تعود فتحرم يوم ثامن
الحجة وتخرج إلى منى تدرك فيها الظهر في مسجد الخيف وتبيت فيها ليلتك . وتخرج تاسع
الحجة إلى عرفة فتجمع في مسجدها نمرة الظهر والعصر تقديماً ، ثم تقف في عرفة حتى قبيل
المغرب . تدعو لنفسك وأهلك وإخوانك والمسلمين جميعاً دعاءً تخلص فيه فهذا وقت الإجابة
وموضها وهذا هو أكبر شعيرة من شعائر الحج كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحج
عرفة) وينبغي ألا يضيع لحظة من لحظات الموقف من غير دعاء وإتهال وصدق لجاء إلى
الله لعل الله أن يقبلك فيتوب عليك ويمحو ذنوبك فتعود كيوم ولدتك أمك طاهراً مظهرأ
من كل ذنب ورجس ودنس .

وقبيل المغرب تفيض من عرفة موقناً أن الله قد حط عنك خطاياك وقبل توبتك فإذا
وصلت إلى مزدلفة وقفت هنيئة عند المشعر الحرام ، تدعو الله بما يلهمك من الدعوات ،

ثم تصلى المغرب والعشاء تأخيراً وتبيت ليلتك بها . فإذا أصبحت جمعت في يدك منها سبع حصيات بقدر حبة الفول ، وتنحدر إلى منى حتى تصل إلى العقبة الكبرى فترجمها بالحصيات السبع ، قائلاً مع كل حصيات (بسم الله ، الله أكبر) . ثم تنزل إلى مكة فتطوف بالبيت طواف الإفاضة ثم تعود إلى منى فتحلق وتذبح الفدية وتتحلل من إحرامك وتبقى بها يومين إن كنت متعجلاً أو ثلاثة إذا نويت التأخير وأيام منى دعاء وجبور وسرور ورجم .

الجمرات الثلاث كل يوم مرة بسبع حصيات لكل جرة ، وتذكر عند الرجم أن خليل الرحمن إبراهيم عند ما أمره ربه أن يذبح ابنه إسماعيل ، أخذه وخرج به إلى منى ، وزوجه هاجر أم إسماعيل تتبعهما ، فجاء الشيطان يوسوس لها مرة ، ولإسماعيل مرة ، ولإبراهيم مرة ، ليأمرهم بعصيان أمر الله ، فحصبته هاجر مرة ، وإسماعيل مرة ، وإبراهيم مرة حتى طردوا الشيطان وتهيأوا للتنفيذ أمر الله في استسلام تام . فأكرمهم الله وفدى إسماعيل بذبح عظيم . وكذلك ينبغي لك أيها الحاج أن ترجم الشيطان متمثلاً في تلك الجمرات معلناً أنك لن تطيع أمره وتقم في شبابه وحبائله بعد اليوم .

فإذا انتهيت من أيام منى نزلت إلى مكة وتبقى فيها ماشاء الله لك تطوف بالبيت وتصلى في المسجد الحرام ، حتى إذا آذنت بالرحيل والعودة إلى بلدك طفت طواف الوداع وعدت إلى بلدك بحج مبرور؛ وذنب مغفور، ونجاة لن تبور .

أيها المسلمون : هكذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا أمرنا أن نحج ونأخذ مناسكنا منه ، وهكذا ينبغي أن يحج كل مسلم يحب التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدى به حتى لا يضيع جهده وماله وتعبه .

أسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم ، أن يوفق المسلمين جميعاً لذلك ، وأن يكتبنا من ضيوف بيته هذا العام ، وأن يفقر لنا ذنوبنا ، ويستر عيوبنا ، وبصلح أمورنا ، وأن يوفق الراعى والرعية إلى ما يحب ويرضى ، وأن يجمع كلمة قادة المسلمين ورؤسائهم على البر ، والتقوى ، والتعاون ، والإيمان ، والعمل الصالح ، إنك سميع مجيب .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج



انفقت كلمة الشرائع جميعاً على الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له ، وامتلاً القلب يقينا بأنه موصوف بالكمال المطلق الذي لا كمال بعده . منزّه عن جميع شوائب النقص ، برىء من كل نواحي العيب ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير . على ذلك انفقت كلمة الشرائع ، وعليه اجتمعت العقول السليمة التي برئت من الشوائب ، وخلصت من رق الأوهام .

وقد أوصى الله أنبيائه ورسله أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه ، لأن شريعة الله واحدة ، وإن اختلفت فروعها باختلاف أزمان الأمم (إن الدين عند الله الإسلام) (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فكل دين سماعي صحيح فهو إسلام ، وكل متبع لدين سماوي صحيح لم تنسخ أحكامه فهو مسلم . قال تعالى « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » .

وقال تعالى (ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب : يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى حكاية عن يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض وأنت ولي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) .

وقال تعالى حكاية عن سحرة فرعون (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) .

وقد شرع الله لنا مآشرع للأنبياء من قبل ، وأوصانا بما أوصى به المرسلين .

قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .

فأين منا هذه الوصية الحكيمة ، وكيف تلقينا هذه الحكمة البالغة ؟

لم يكد عليه الصلاة والسلام يلحق بالرفيق الأعلى حتى نجحت نواجم الفتنة وبدرت بوادر الفرقة ، ولكن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وأرضاهم ، وبرّد مضاجعهم وأكرم منوهم ، تداركوا الأمر بالحزم والعزم ، وأخذوا الكتاب بقوة ، وساسوا الرعية كما ينبغي أن تأس أمة دخلت في الإسلام بعد أن كانت مختلفة النزعات ، متفرقة المذاهب ، متنوعة العقائد ، متعددة المعبودات ، لا يجمعها دين ، ولا ترابطها نخلة .

سهر الخلفاء على التوحيد حتى لا تعبث به الأهواء ، وصانوا عمود الدين حتى لا تزعزعه البدع ، وحفظوا العقيدة الإسلامية حتى لا تذهب بها أعاصير الفن ولا تطغى عليها الأباطيل التي امتلأت بها قلوب شعوب دخلت في الإسلام ظاهراً لتصيب به عرض الحياة الدنيا وهي أبغض ما تكون للإسلام ، وأحرص ما تكون على أن تزلزل أركانه ، وتذك معاقله ، وتهدم حصونه .

ثم مضى ذلك العصر وطويت صفحته البيضاء ، وتوالت من بعده على الإسلام عصور كان الشرف فيها أكثر من الخير ، والمنكر فيها أروج من المعروف ، والأباطيل أشهر من الحقائق ، والبدع أحب إلى القلوب من السنن ، وتفرق الأمر ، وتشتت الشمل ، وأصبح المسلمون أحزاباً وشيعاً وطوائف (كل حزب بما لديهم فرحون) .

فالمسلم الحريص على دينه ، الذي يؤمن بالله وكلماته ورسوله حق الإيمان ، ويرجو الدار الآخرة ، ويقتدى بهدى الكتاب الحكيم ويهتدى بنوره - ينبغي له أن يدع هذه الأهواء وتلك النزعات جميعاً ، ويستمسك بالحق الذي بينه كتاب الله ودعت إليه سنة رسول الله . فمن يفعل ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وإن قليلاً من العلم النافع ينال به الإنسان الفوز والنجاة والظفر بالآخرة الطيبة ، والحلول في دار المقامة ومستقر الرحمة

والكرامة - خير من كثير يصرف عن الحق ويفرى بالباطل ، ويفضى إلى خسران الدنيا والآخرة .

يقول عليه الصلاة والسلام « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وما أغلاها من حكمة !
وما أسناها من وصية ! وما أجلاها من موعظة !

لو أننا أخذنا بها وسلكنا سبيلها لأجدت علينا وأغنت عنا وربحنا من تجارتها أجزل
الربح ، وجنينا من شجرتها أطيب الجنى وأشهى الثمرات .

القرآن الكريم لا يريب مؤمناً ولا مسلماً ، والحق الصحيح الثابت من سنة إمام
المُرسلين صلى الله عليه وسلم لا يريب مؤمناً ولا مسلماً . فلم ندعهما إلى غيرهما ؟ ولا ندع
غيرهما من أجلهما ؟ والله سبحانه وتعالى يقول (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)
ويقول (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا
وأطعنا وأولئك هم المفلحون) .

ويقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم
في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير
وأحسن تأويلاً) .

ويعلم كل من أوتى ذرة من العلم أن الرد إلى الله تعالى هو الرد إلى محكم كتابه
الكريم ، والرد إلى رسوله هو الرد إلى الحق الثابت الصحيح من سنته (ذلك الدين القيم
ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

ويقول تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) .

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام قد التحق بالرفيق الأعلى ولا يتسنى لنا أن
نتحاكم إلى ذاته الشريفة فكيف نحكمه فيما شجر بيننا ؟ .

الأمر واضح بيننا ، فلنتحاكم إلى القانون الواضح العدل المستقيم الذي تركه لنا ولنرض

بأحكامه ؛ ولا يكونن في صدورنا حرج ولا في أنفسنا ضيق من قضائه ، فإن فعلنا فنحن مؤمنون صادقون حقاً ، وإلا فكفى بالله علينا شهيداً .

قال عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي » .

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

لقد نبذ كثير من أمتك كتاب الله وسنتك وراء ظهورهم واشتروا بها ثمناً قليلاً فبئسما يشترون .

لئن سار الكتاب والسنة في سبيل العيش ، وطريق الدنيا ، لنعمائهما ، وأصدق وأعدل بأحكامهما ، ولكن إن كان اتباعهما ، والعمل بهما والخضوع لأحكامهما يفوت عليهم عرضاً فانياً من أعراض الحياة ، تنكروا لهما ، وقلبوا حاليقهم لمن يدعوم إليهما ، وازدلفوا إلى الشيطان بالطن في دينه ، وتمزيق عرضه وقادوا العامة وراءهم إلى الهاوية .

رويداً ياقوم ! اتقوا الله في عامة المسلمين ، وأنبروا لهم الطريق ، وأرشدوهم إلى الحق ، لا تجعلوا الدنيا أكبر همكم ، ولا مبلغ علمكم ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين .

يقول الله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) فلم لا يسلك الناس صراط ربهم المستقيم الذي يفضي بهم إلى مرضاته . والظفر بجنته ورضوانه ؟ .

ولم يتبعوا السبل التي تفرقت بهم عن سبيله وأفضت بهم إلى الضلال البعيد والعذاب الشديد ؟ .

سبيل الله واضحة بينة المعالم ، ظاهرة الأعلام ، فلم يتنكبها الناس ، ويسلكون الطرق المضلة المهلكة التي لا يستبين منارها ، ولا تنضح صواها ؟ .

ولم لا يجتمع الناس على كتاب الله وسنة رسوله ، والله سبحانه وتعالى يقول :

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وما حبل الله إلا شريعته المطهرة ، وكتابه المبين . الذى ينطق بالحق ، ويهذى إلى الرشـد .

* * *

لم يفرق المسلمون طرائق قديماً ؟ ولم يختلفوا في دينهم ؟ وإلههم واحد وكتابهم واحد ونبىهم واحد ؟ .

لم يكون بينهم الأحدى ، والبطائى ، والبيوى ، والدسوقى ، والشاذلى ، والميرغنى ، والتيجانى ، والسعدى ، والنقشبندى ، وغير هؤلاء من الفرق والطرائق التى أقل ما يقال فيها : إنها فرقت المسلمين ، وجعلتهم أحزاباً وشيعاً . والله سبحانه وتعالى يقول لنبىه الكريم (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) .

ألم يكفهم أن يكونوا مسلمين يتبعون كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين ؟ .
لم نرى بين المسلمين من يدعو غير الله ، ويستعين غير الله ، ويضرع إلى غير الله ، وينذر لغير الله ؟ .

لم نرى بين المسلمين من يتبعون ماتشابه من كتاب الله ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وهم يعلمون أن الله تعالى يقول وقوله الحق (وما يعلم تأويله إلا الله) ؟ .

ولم لا يكونون كالراسخين فى العلم الذين (يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا) .
هل أمرهم الله بالتأويل فأطاعوه ؟ أم هل سن لهم الرسول الأمين طريقة التأويل فكان لهم فيه أسوة حسنة ؟ .

لم لا بسكتون عما سكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الأخيار ، وهم أعلم الناس بكتاب الله ؟ وأشد الناس تعظيماً لله .

لقد كثر ما قالوا : « إن طريق السلف أسلم » فالهم لا يسلكون سبيل السلف وهم يؤمنون بأنها طريق السلامة التى لا عوج فيها ولا تنواء ؟ .

وما لهم يدعون إلى الفتنة ، ويؤثرون نارها ، ويثيرون شرارها ويرمون المعتصمين

يجبل الله المستمسكين بسنة رسوله باعتقاد التجسيم والتشبيه . وهم يتلون كتاب الله ويؤمنون بقوله : (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) .

انهم يحاطرون بدينهم ويحازفون بعقائدهم حين يتهمون المستمسكين بطريقة السلف الصالحين بما يتهمونهم به لأنهم يرمون محابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه التهم أيضاً ، ويصقونها بهم إصافاً من حيث لا يشعرون .

يرمون بها محابة رسول الله الذين شهد الله لهم بقوله (وكلا وعد الله الحسنى) . وكفى بالله شهيداً ، وقوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدون فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) .

دعوا المراء ياقوم فليس فيه خير ، وإنما يفضى إلى شر وتفرق ، واجتمعوا على كتاب الله فنيه الخير كله .

ألم يأنسكم قول الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن ما اجتمعت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه » ؟ لقد بلغ من حرصه عليه الصلاة والسلام على ضم صفوف المسلمين واجتماع كلمتهم على أن أمرهم أن يقوموا عن القرآن إذا اختلفوا فيه حتى لا يؤدي هذا الخلاف إلى الفرقة والانقسام ، وفيهما البلاء كله ، وفيهما الخذلان المبين .

ما أصاب المسلمين ما أصابهم من الضعف والهزيمة وفقدان الحرية والاستقلال وخروج الأمر من دينهم ، وغلبة الأعداء عليهم إلا من هذا الطريق المردى ، طريق التفرق والانقسام .

فلنعد إلى حظيرة الإسلام جميعاً ، ولننزع مافي صدورنا من غل ، ولنكن إخواناً متحابين متآلفين متعاونين متناصرين متآزرين ، وليسعنا ما وسع النبي وصحابته ، ولنقل ما قالوا ، ولنسكت عما سكتوا عنه ، وليكفنا القليل من العلم النافع ولنعدع المراء الذي لاخير فيه ، وليغننا الحق المنجي عن الباطل المردى .

أبو الوفاء محمد درويش

التفرق والاختلاف - ٢ -

آفة الجماعية الإسلامية

لأدب عبد السلام رزق الطويل

بكلية اللغة العربية

(إشارة موجزة) كنت قد تحدثت في المقال السابق عن الرابطة الدينية كوثاق متين وأصرة قوية تضم أشتات الجماعة ، وتلم شعث الشعوب ، وأشرنا إلى أن غريزة الاجتماع مهما قويت شوكتها ، ونشطت في أداء وظيفتها فلا تستطيع النهوض بذلك العبء وحدها ، ولذا أرسل الله رسله يحملون مشاعل الأديان ليهدوا الناس إلى سواء السبيل ، ويجمعونهم على كلمة الإيمان وشهادة التوحيد .

(المجتمع الإنساني قبل الإسلام) والإسلام كدين عالمي انتهى بظهوره حديث السماء إلى الأرض حيث أخذت كفايتها من وحى السماء ، وتلقت بنزول القرآن إلى الأرض قانوناً ثابتاً لا تضل بعده - إن تمسكت به - أبداً ، وكسبت من رسوله ذخيرة من الهداية كانت تفسيراً صادقاً لما أجمل في ذلك القانون الحكيم .

هذا الدين الذي كان آخر زاد تزودت به البشرية في رحلتها الشاقة ، غمر ضياءه البرايا وكان العالم إذ ذاك أشبه بمخمور تربو فترات سكره على فترات صحوه ، أو بمحموم غاب عنه في سورة الألم وعيه ، فهو يهذى ولا يدري .

كان البشر في خلاف دائم ، وخصام متواصل ، ونزاع مستمر ، بين الشرق والغرب ، بين الفرس والروم ، وتحت نير هؤلاء أمم ترسف في أغلال ظلمهم ، وتئن تحت ربة استعبادهم ، وتذوق نكال حروب لا ناقة لنا فيها ولا جمل .

واليهودية والنصرانية عبثت بهما عقول البشر ، فذهبت معاني القدسية منهما واختلطت [أفكار البشر بوحي السماء فاختلف الأمر وضل الناس السبيل ، وأصبح التماس الهدى منهما كالتماس النور من مصباح أصابه القار ، إن نفذ منه شيء فهو شعاع خافت ضئيل ، هذه هي

الحال في بلاد تتمتع بالحضارة والدين ، فما بالك ببلاد تعيش في الشوارع الخلفية من العالم ؟
 محجوبة عن حضارته ، محجوبة عن جدله وفلسفته . تعيش على الفطرة ، وفي فطرتها جفاء
 وغلظة ، إذ هي فطرة جهالة موروثة لا فطرة إيمان وكرامة ، ووراء الجهالة آفات وآفات ،
 أخلاق ذميمة ، وخصال قبيحة ، وعادات مستهجنة كانت كلها نتاجاً لشجرة خبيثة وثمار
 الفرس ذميم ، هو غرس الشرك وشجرة الوثنية ، وإذا اتصلت بالعالم الخارجي لانجنى منه إلا
 شره ، ولا تصيب منه إلا ضره ، واتصالها به بين الفينة والفينة هو الذي جرَّ عليها بلاء الوثنية
 الذي طغى على دين إبراهيم وإسماعيل^(١)

ولعل بعدم عن الحياة الجدلية في العالم هو الذي رشحهم لأن يكون منهم منقذ البشر
 وقائد الإنسانية ، إذ من المتعذر أن يقبل أهل المراء دين الفطرة أو يدعو الناس إليه ، وقد
 أصابت عقولهم لوثنة الجدل والفسطة .

وأي تصوير لحالة العالم في ذلك الحين أصدق من قول الرسول عليه الصلاة والسلام :
 « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ثم أرسل
 رسوله رحمة للعالمين » .

أجل أرسل رسوله رحمة للعالمين ، فكانت نسمة قدسية وروحاً إلهية هبت على هذا
 العالم فكانت صبا داعب أجفان قوم طهرت قلوبهم وزكت نفوسهم فهم يتوقون إلى هذا
 النسيم ، وكانت دبوراً صنع وجوه قوم مردوا على الضلال ، وألقوا حياة الفوضى واستمروا
 خصال البغي والظنانيان ، فرت عليهم غيوث الهداية مرور السلسيل على الصفوان ، فلم ينجش
 منهم قلب ، ولم تهذب منهم نفس ، أولئك الذين ختم الله على قلوبهم ، وجعل على سمعهم
 وأبصارهم غشاوة فهم لا يهتدون .

يصور لنا الرسول عليه الصلاة والسلام مدى استعداد القلوب إذ ذاك لتلقى رسالته ،
 ومدى ما بينها من تخالف في المعدن ، وتفاوت في الجوهر نتج عنه إيمان قوم وكفران آخرين

(١) في كتاب الأصنام للكلبي : أن عمرو بن لحي الخزاعي أول من نقل الأصنام والتماثيل
 إلى بلاد العرب .

فيقول صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منه نقيّة قبلت الماء فأنبثت السكّلاً والعشب الكثير ، وأصاب طائفة أخرى أمسكت الماء فنفخ الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت سكّلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله فلم يعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي جئت به » .

رحمة الله تنقذ العالم

ألا ما أروع الغيث يهيم على الأرض الطيبة مشتاقاً إليه فتهتز وتنمو وتربو وتنبت من كل زوج بهيج !! والإسلام ذلك الغيث الإلهي الكريم هيم على قلوب طيبة فهبت إليه واجتمعت عليه ، واتحدت في سبيل الانتفاع به ، ثم أخذت تعمل وتكافح داعية غيرها ممن أعرضوا عنه إلى الاغتراف من منهل ، والارتشاف من رحيقه ، سلاحها الإيمان ، والحجة والبرهان ، وقوة اليقين ، ونصوع الدليل ، فإذا بالعالم الشقي يستجيب لهم مبتغياً الأمن في ظلال دعوتهم ، والطمأنينة في نهج مسلكهم ، والحرية والأخاء والمساواة ، تلك المبادئ الثلاثة التي افتقدها العالم زمناً طويلاً ، عثر عليها في دينهم ، فلهذا فاءوا إلى دوحته يتنون الراحة والأمان من وعناء الشقاء والضلال .

والسيف الذي استل في بعض لم يكن لإجبار أو إكراه أو لحل الناس على مالا يريدون ولكن تأميناً للدعوة ودفاعاً عنها وحراسة لمبادئها الإنسانية ، لأن من حق كل دعوة أن تدافع عن نفسها ، حتى دعوات الإلحاد ترى لنفسها هذا الحق ، فما بالك بدعوة تحمل رسالة التوحيد والإيمان إلى القلوب ؟!

لقد كانت رسالة خلاص وإنقاذ ؛ ورحمة وأمان (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

إنها لمعجزة رائعة حقاً تلك الدعوة التي برزت للعالم ، وهو متشاحن متناحر غارق في المادية المملوكة حتى « يثرب » دار الهجرة ، تلك الأرض الطيبة التي نما فيها زرع الإسلام واستوى على سوقه ، دخلها الإسلام وهي كأنون مستعر يصل أهلها نار الخلاف ، وجحيم

الشقاق لا يأمن المرء على نفسه أو على ماله ، بل يترقب الموت بين ساعة وأخرى ، إذا برز الإسلام تنفخ في ذلك الأنون فتخمد ، وتمسح بيدها على القلوب المتباغضة فيمسي أعداء الأوس أحباء اليوم ينهضون جميعاً وقد التصقت مناكبهم ، وتشابكت أيديهم ليستقبلوا رسول الإسلام الذي حقق لهم أعز أمانيتهم وأعاد الأمن إلى بلادهم .

وها هو القرآن الكريم يذكرنا بتلك المكربة التي أنقذتنا من النار بعد أن كنا على مشارف الهويِّ فيها فيقول الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم . إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

إن جمع الأوس والخزرج على قلب رجل واحد ليس في مقدور البشر ، وما كان لإنسان مهما كان أن ينهض به حتى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنها قدرة الله ورحمته التي تمثلت في عقيدة الإسلام !! قال تعالى : (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم إنه عزيز حكيم) .

والدين الإسلامي الذي تمت على يديه تلك المعجزة ، ضم في طيات تشاريعه دعائم الوحدة ، وأسباب الألفة ، وأسس الاستقرار .

دعائم الوحدة في التشريع الإسلامي

(١) عقيدة التوحيد : حين نتحدث عن دعائم الوحدة نلح أولى هذه الدعائم وأقواها ممثلة في العقيدة التي جمعت الأهواء المختلفة ، والقلوب المتنافرة ، والميول المتباينة ، واتجهت بها جميعاً نحو الإله الواحد الذي خلقها وبرأها ، تصبو إليه مخلصاً في دعائها ، وتلجأ إليه وحده في استغاثتها ، وتهرع إليه دون سواه في كروبها ، وتختصه بحلفها وأيمانها . فيالها من وحدة رائعة !! شاملة جامعة !! توحيد في الألوهية ، وتوحيد في الربوبية ، فما أروع عقيدة الإسلام !!

إن من دلائل السمو في هذه العقيدة أن أثرها لا يظهر إلا في مجال العبودية وفي محيط القلب والضمير فحسب ، بل تنطبع صورتها على المجتمع المؤمن بها الحريص عايتها ، إنها تجمع للمعتقدين بها على كلمة سواء ، وباسم الإيمان والعقيدة يدعو القرآن المجتمع إلى أسباب الخير والفلاح ، إذ الإيمان الحق والعقيدة القوية من أهم العوامل في تكييف الاتجاه وتحديد السلوك ، ولذا نرى الرسول عليه الصلاة والسلام حين يتحدث عن الإيمان يذكر له علامات من وجدت فيه لمس ثمرته ، وذاق حللته ، وخالطت قلبه بشاشته . فيقول :

« ثلاث من كن فيه وجد حلوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يبكره أن يعود في الكفر ، كما يبكره أن يهذف في النار » .

ولو نظرت إلى ثمانية هذه العلامات لوجدتها - الوحدة الإسلامية ولكن في صورة منظمة ، والأخوة الإيمانية ولكن في وضع مذهب حيث ربطها الرسول صلى الله عليه وسلم بمقياس ثابت هو العقيدة ومرجعها إلى أساس متين هو الإيمان ، فتحايهم الله ، وتباغضهم الله بهذا يسير المجتمع المسلم على طريق - للوحدة - قويم أساسه الإيمان ، ومنهجها المحبة ومظاهرها إخوة وتراحم وتعاون وإيثار .

وإنه لرائع حقاً أن ترى الاتجاه الوترى في بعض عبادات الإسلام كأثر أو نتيجة للوحدة في العقيدة ، فالرجل الذي يقوم ليله ، ساجداً لربه ، شاكراً أنعمه عابداً متهجداً ليكن ختام سجوده وهجوده رمزاً لتلك الوحدة في العقيدة ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً » .

والرجل الذي يخرج إلى مصلاه صباح عيد الفطر بعد قيام وصيام ليفطر أولاً ، وليكن مايفطر به تماً ، وليكن وتراً ، ونرى من توجيهات الرسول العملية « إن الله وتر يحب الوتر » !! .

وهكذا حتى يتغلغل معنى الوحدة في دماء المسلمين ، وفي أعمالهم وسلوكهم بعد ثبات الحقيقة الواحدة في قلوبهم .

و بمقدار قوة العقيدة وحماستها وصلابتها بمقدار ما يكون بين المعتقدين بها من ترابط وتماسك وانسجام ، و بمقدار ما يظهر في جماعتهم من تضحية وإيثار .

والفيلق القوي الذي حفظ للمسلمين وحدتهم ، وأبقى لهم جماعتهم في حياتهم الأولى كان هو العقيدة ولا شيء غيرها ، تلك القوة التي وُحِّدَت بين المسلمين في النظرة والاتجاه ، فلم يختلفوا في أصل من أصول الدين ، ولا فرع من فروعها إلا بمقدار ما يربد المختلفان أن يصلوا إلى الحق الذي يبغيه الجميع ، ويعتبرا على الطلبة التي اختلفوا من أجل الوصول إليها ، والخلاف على هذا الوضع ، أي الذي كرمت غايته ، وسلت وسيلته خلاف يسبوا بالجمع ولا يردبه^(١) .

وكانوا حريصين على وحدتهم لم يجرم للخلاف نص متشابه في التنزيل ، بل كانوا مؤمنين مذعنين يحدون في صفات الله في القرآن تصويراً لعظمته وبيانا لقدرته ، وشرحا لمظاهر ألوهيته وربوبيته ، وما كان للمؤمنين أن يتخذوا من هذه الآيات موضوعا للجدل الكلامي ، والنظر الفلسفي ، والمنطق الأرسطي الذي كان سببا فيما بعد في تفريق جماعتهم ، وانقسام وحدتهم ، ورمي بعضهم بعضا بالكفران والخروج عن الدين .

يقول الباحثون في تاريخ التفكير الإسلامي^(٢) « واللمحة التي تصون فيها الجماعة مصدر العقيدة عن المناقشة والتفهم ، وترتفع بها دائما عن مقاييس المعرفة الإنسانية هي دائما الفترة الأولى للعقيدة ، فترة الإيمان القوي الذي يؤخذ فيها الإنسان بما اشتملت عليه من مبادئ ومثل دون تلمسك في الطاعة ، ودون ترف في التخلص من تبعة عدم المتابعة ودون أن يدخل شخصه في تحديداتها .

فوق الجماعة الإنسانية من عقيدة اعتقدتها يتمثل دائما في مظهرين متواليين : في مظهر الإيمان القوي ، ثم في مظهر التفهم والتعقل ، وكلما خفت حرارة الإيمان في

(١) كاختلاف الصحابة في موت الرسول ، واختلافهم في قتال مانعي الزكاة وحرب المرتدين ، إذ سرعان ما كان يرجع المختلف إلى الحق ويعود إلى الصواب .

(٢) الجانب الإلهي من التفكير الفلسفي - للدكتور محمد البهي ص ٣٩ ج (١) .

القلوب كلها برزت ناحية التفهم للعقيدة في الأذهان ، وبالأحرى كلها برزت ناحية الاختلاف في فهمها .

ويقول ابن القيم^(١) « قد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المسلمين وأكمل الأمة إيماناً ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلمهم على إثبات ما نطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية كلمة واحدة من أروهم إلى آخرهم لم يسوموها تأويلاً ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً ، ولم يبدو لشيء منها إبطالاً ، ولا ضربوا لها أمثلاً ، ولم يدفعوا في صدورهم وإعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإجلال والتعظيم . »

« يتبع »

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ١) ص ٥٥ . طه منير الدمشقي .

اخيار الجماعة

اجتمعت الجمعية العمومية للمركز العام مساء يوم السبت ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٧٧ الموافق ٣١ مايو سنة ١٩٥٨ برئاسة فضيلة الأستاذ الرئيس العام وتم انتخاب مجلس الإدارة على الوجه الآتي :

الأستاذ عبد الرحمن الوكيل وكيل أول - الحاج سيد محمد رضوان وكيل ثان
السيد سيد محمد متولى سكرتير أول - السيد عبد المحسن حسين الجندى سكرتير ثان
« سليمان محمد حسونه أمين الصندوق - السيد محمد سليمان فضل مساعد لأمين الصندوق
« رشاد الشافعي مراقب

السادة : سليمان رشاد محمد ، ومحمد رشدي خليل ، والحاج إبراهيم محمد قنديل ،
وأحمد طه نصر ، ومحمد صالح سعدان ، وصابر أحمد إبراهيم ، وشريف عكاشة (أعضاء) .
كما تم اختيار الأستاذ مصطفى عبد الجواد مراقباً مالياً للجماعة

رد على كتاب

وصلنى كتاب من أحد قراء المجلة لم يذكر فيه اسمه ، يترض فيه على بعض عبارات وردت فى مقالى المنشور فى العدد الأول من مجلة الهدى النبوى ، ولما لم أقف على عنوانه ، آثرت أن يكون الرد على صفحات المجلة لينتفع به الكاتب وغيره من القراء ؟
أبو الوفاء محمد درويش

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

إلى السيد الموحد من قراء المجلة :

سلام عليكم ، وبعد :

فقد وصلنى كتابكم الكريم ، وأستغفر الله مما كاد يساور نفسى من غرور بما أغرقتم فى الثناء على شخصى الضعيف .

أما ماروؤكم من قولى : (وحرمانها مما أودعت الطبيعة أرضها الطيبة من ينابيع الثروة) إذ لم أقل مما أودع الله .

فلو أنكم أدبتم حق الفصحى عليكم بدراسة مناحى بلاغتها ، والوقوف على أسرارها والإحاطة بما فيها من استعارة ومجاز وكناية ، ماروؤكم قولى .

وهل روؤكم قول النبى صلى الله عليه وسلم : « شيتنى هود وأخواتها » إذ لم يقل عليه الصلاة والسلام شيتنى الله ، لأن المشيب على الحقيقة هو الله ، وإسناد التشيب إلى هود وأخواتها من باب المجاز العقلى ، والمجاز العقلى مما يلم به الشادون فى طلب العلم .
فكيف خفى أمره على السيد ؟ .

والمجاز العقلى : هو إسناد الفعل ، أو مافى معناه إلى غير ماهوله عند التكلم فى الظاهر لملاقته مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقى .

والعلاقة فى الحديث السببية لأن هوداً وأخواتها بما فيها من قوارع وزواجر سبب شيبه
(البقية على صفحة ٣٢)

هذه البدع

للأرباب سعد صادق محمد

لا يعدو الحقيقة من يقول إنه لم يسئ إلى مبادئ الإسلام السمحة شيء كما أساءت إليها تلك البدع التي بلغت من شدة خطرها وقوة تأثيرها على البسطاء والدماء (والجهلة من للتعلمين) أن أصبحت أخطبوطاً تلتف أذرعته حول خلايا العقول فتختلط عليهم تفكيرهم وتدخل الشك في نفوسهم ، ووحشاً ضارياً ينهش إنسانيتهم فيقبح جمال معتقداتهم وبشوه حسن إسلامهم .

ولقد كان - مع الأسف - من الممكن أن تجد هذه الملايين من المسلمين صاحب صيحة حق أو غيور على دين الله يذب عن حياض الإسلام ويدافع عن كيانه من أخطر آفة تشوب جماله وتشوه جلاله وتجمل دعوته السليمة الحقبة مبتورة معكوسة . . نعم من كان من الممكن أن تجد هذه الملايين من المسلمين في شتى بقاع الأرض من يرفع الصوت عالياً ليجهر بدين الله الحق خالياً من هذه البدع ووثقياً من تلك الخرافات التي دخلت في قلب الإسلام بواسطة الدجاجة المموهين ورمته بسهامها لتمزقه وتفسده ولتحد من تفكير أهله بل وتشحن هذا التفكير بمعتقدات خاطئة وتملاء بأفكار سقيمة وتجره إلى اتباع سبل باطله وأعمال كلها زيف دائم . وتمكن لكل ذلك في الأذهان المحدودة التفكير حتى ليصبح الدخيل الفث هو الحق في اعتقادهم . والحديث المرذول هو الصحيح الأقوى عندهم وكل عمل مشى عليه الجميع (ولو كان باطلاً) هو دينهم وعبادتهم ، أعمال لا برهان لها إلا التقليد وأقول لادائل يجعلها تنهض على قدميها إلا (قول الأكثرية وما كان عليه الأولين) .

ومع أن الله سبحانه وتعالى شدد النكير على التقليد ووصف المقلدين بأنهم (شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) إلا أن الناس افتتنوا بمن لا يعرفون من العلم إلا أداء الوظيفة الرسمية فمشوا وراءهم مقلدين دون بحث ولا تنقيب ، وخدعوا بهؤلاء الذين

دفعهم الجهل والجحود فأكثرُوا من الخلط والتخبط في دين الله غير مباليين بما يصيب العقول من التضليل ولا حاسبين حساباً لو خيم العواقب وسيء النتائج . فالتبس الأمر على الناس وخفيت عن بصائرهم معالم العلم الصحيح وتعطلت الآذان عن الاستماع إلى الرأي السديد النافع والأفئدة عن الفهم والتدبر .

وهناك فئة دخيلة ممن يُلبّي بهم الإسلام ، وشرذمة خبيثة من دعاة الباطل وأنصار الضلال تدعى لنفسها ظلماً العلم بالدين والمعرفة بالإسلام سموا أنفسهم (بالصوفية) يطلعون على الناس بدع ليس فيها خلق رضى ولا هدى إلى طريق سوى ولا عمل فيه دليل من كتاب أو برهان من سنة . بدع لا يذكر فيها اسم الله إلا مع دف وطبول أو مزمار وأرغول ، رقص في الأضحيان والأسحار ، خلاعة في المواسم والأذكار ، مظاهر خادعة من ملابس بالية ومساج طويلة ولحى كاذبة وأصوات منكرة ترتفع بالأناشيد الماجنة والكلمات المزيفة . والله يعلم إنهم لكاذبون .

وهذه مساجد ملأت ساحاتها البدع وزخرت رحباتها بالضلالات .

مساجد لا تخلو من صنم يُعبد من دون الله ، ومن ضريح يستعبد بصاحبه عند الشدائد ويُسَدُّ إليه الرحال في الأعياد . بل لقد أصبحنا نرى في كل ركن وكل جهة أضرحة وقباباً لأشخاص خلع الناس عليهم لقب الولاية ، وأنزلوهم من أنفسهم منزل التقديس والتبجيل وجعلوا لهم من قلوبهم مكانة عظيمة حتى أصبح هؤلاء وأولئك يشار إليهم بالبنان وكانت لهم الموالد تقام فيها أسواق الفجور والإثم وساحات تجرح فيها الفضيلة وتهتك في ظلها أستار الحياء والأدب وتسلب فيها الأموال ، موالد تقام لتبعث المدن إليها بفساقها وتقذف البلاد إليها بمجرميها ليعيشوا تحت اسم الدين ويعربدوا ويفسدوا باسم الموالد (الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا) الآية .

وهكذا أصبحنا نشاهد الإسلام صوراً مزرية تدعو إلى التفزز والأذى ، ومناظر سيئة منكرة تجرح الصدر وتؤلم الفكر يأتى بها المظلون المتعطلون ومن مشى على دينهم من الجبهة أمام الناظرين وفيهم (الأجانب) ليعطوهم عن الإسلام صورة مشوهة زائفة تبعدهم

عن الفهم عن أن يكون الإسلام دين الروعة والجمال ، وأنه السبيل القويم إلى الهدى والرشاد .

كل ذلك أمور مستحدثة في الدين ، ودخيلة عليه . هي ظلم للشريعة الغراء ، وافتراء على عقيدة التوحيد . هي نمزيق للإسلام ، وكذب على الله ، ومحاربة لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد ظلت هذه المستحدثات ، ولا تزال تجدد لها أرضاً خصبة تحيا فيها وتصول في رحابها ، وهي لا تزال أيضاً تجدد لها أنصاراً من أهل الزور وأرباب الشهوات تساندها وتأخذ بيدها يدافعون عما يشرعون وما يدعون بكل ما يدخرون وآخر ما يملكون احتفاظاً بمكائدهم عند الناس وبقاء على مراكزهم عندهم ، ولتظل خزائهم مسقطاً لوابل النذور ومجلباً للأموال الحرام تمرح بها جنباؤها وتمتلىء بالسحت أركانها .

لقد صيغ الناس هدى الإسلام وأحكامه التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للسابقين ، فأخرج بها الناس من ظلمات الشرك وغياهب الوثنية وجعلها تستروح أنفاس التوحيد وتستظل بشجرة النور والحق ، وتحظى بالقوة والبأس .

لقد ضاعت الدرة العزيرة الغالية التي تهذى الضال ، وتغنى الفقير وتغنغ الغنى ، وتحمي الضعيف ، وتكسر شوكة الظالم ، وتهدم معازل البغي والكفر وتناوى الطفيان ، وتدفع الإنسانية إلى فعل البر والخير ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتدخل السكينة والرحمة في القلوب ، وتشفي ما تحمله الصدور من الضغائن والأحقاد ، وتحقق المساواة والعدل والحرية . وتسو بالإنسانية إلى مراتب العزة والإباء والسيادة (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (ومن بطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

لقد ضاع النور الذي أضاء بشماعة أركان الدنيا والذي بهر الأبصار وأخذ بالآلباب ، وألان القلوب التي كانت قاسية متحجرة . تلك القلوب التي كانت تدب في فجر الإسلام بالخرافات والبدع وتقف منه موقف العداء والنشر جعلها هذا النور متعطشة إلى معين الإسلام الصافي ومتشوقة إلى معرفة الدين الحق الذي يدعو إلى عبادة الله وحده والاتجاه إليه سبحانه في كل شأن من شئون الحياة ، وإلى نبذ الباطل وترك العقائد الفاسدة .

نعم . لقد ضاع النور الذى أضاء للأصغر الأول الطريق إلى حياة الإيمان الصادق والعمل الصالح ، ودفعهم إلى الجهاد وقوى سواعدهم للدفاع عن دينهم وبنى الإسلام ، على أيديهم مجده التليد ، فكان بهم قوياً منفذاً ، وكانوا هم به أعزة منصورين وسادة مرهوبين فى جميع أقطار الدنيا ، بل كانوا خير أمة أخرجت للناس . ولكن ١٩ . . . خلف من بعدهم خلف أضاءوا كتاب الله وتنكروا له ، وهجروا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتمردوا عليها واستبدلوا بها بدعاً موروثة وأباطيل مستحكمة وأموراً مخترعة متغلغلة ما أنزل الله بها من سلطان ، ثم ادعوا بعد ذلك الانتساب للإسلام ، ولما كنا عند ما ننظر إلى أعمالهم وأحوالهم نظرة مجردة من التعصب ، نظرة نرجو منها معرفة الحق من الباطل . نجد بعدهم عن كتاب الله واضح ، وضلالهم عن هدى رسوله صلى الله عليه وسلم ظاهر ، نجدهم يعيشون فى دنيا الأوهام والخرافات ، ويدينون بدين هو شر من دين الجاهلية الأولى ، فقد حياة الفرد كما خدعت حياة مجتمعاتهم ، إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ويقول : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » فإين هم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يدعون أنهم على سنته ، وأنهم مطمئنون إلى رضى الله ونصره لأنهم من (أمة محمد) صلى الله عليه وسلم . حقاً إنها (لا تعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب التى فى الصدور) .

وعجيب كل العجب ، أن يكون هذا حال المسلمين ، وأن يكون الدين الذى يدين به أكثر الناس اليوم ليس هو دين الله الحق الذى جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ليرشد الناس إلى العلم الصحيح والمعرفة الحقة وإلى طريق الله المستقيم . بل وعجيب أن يجرى هذا كله عياناً جهاراً تحت أسماع وأبصار القائمين على الدين الداعين إليه وليس فيهم من يعمل لرفع هذا المنكر ومحاربة هذه الضلالات ، وتطهير الإسلام من هذه الرواسب . . .

إذن من الحق أن نعترف أن موجة قوية جارفة قد طفت على العقول والأفكار فى غفلة من الزمن ، وفى غرور من أمم الإسلام وانغماسهم فى الترف والمقاصد واتباع الشهوات ، وحين قامت مبادئ ودعوات وظهرت نظم وإنجازات نافست دعوة الإسلام فى نفوس أبنائه ، وزاحت شرائعه أفكارهم . فهياً لهم ذلك من الأسباب مادفعهم فى غفلة إلى هذه

الظلمات والضلالات التي أبت إلى أن تدخل عليهم من كل باب وأن تحتل منهم كل مكان وتحيط بهم إحاطة السوار بالمعصم .

ومن الحق أيضاً أن نعتزف بأننا بعدنا عن هدى الإسلام ، وصرنا بمنأى عنه . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للفرباء الذين يصلحون عند فساد الناس ويصلحون ما أفسد الناس » ولا شك أن الله تعالى لا يرضيه أن يشاهد المسلم المؤمن هذه الخرافات والأباطيل وهي تعمل مخالبها وأنيابها في الإسلام لتأقن على البقية الباقية من مظاهره وأن ينظر إلى هؤلاء الدجالين والمارقين بعين الرضا والارتياح ليمعنوا في ضلالتهم ويمضوا في دجلهم فلا يحرك ساكناً ولا يظهر خافياً فيعمل على تطهير الإسلام من هذه البدع ، والقضاء على المنكرات التي يأبأها الدين ويمقتها الإسلام ولا يقبلها الحق .

إننا نرجو مخلصين أن يكشف هذا الزيف والبهتان ، حتى تعود للمسلمين حقائق الإسلام وصفاء عقيدته . والحمد لله رب العالمين .

رد على كتاب

(بقية النشور على صفحة ٢٧)

عليه الصلاة والسلام ، والقرينة عقلية ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم خير الموحدين وهو يخاطب الموحدين .

وفي قولي (أودعت الطبيعة) مجاز عقلي كذلك ، لأن فيه إسناد الإيداع إلى الطبيعة . وهو في الحقيقة لله تعالى لأنه المودع على التحقيق .

فإسناده للطبيعة مجاز عقلي علاقته السببية وقرينته عقلية ، لأن الكاتب موحد يخاطب موحدين يعلمون أن مودع ينابيع الثروة هو الله جلّت قدرته .

والمعنى قصيدة عصماء يخلق بالموحدين من قراء المجلة أن يقرأوها في عناية وتدبر وتفقه . وهي القصيدة التي مطلعها :

إذا غمرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
وأسأل الله أن يتقبل لى دعواتكم الصالحات كما أسأله أن يتجاوز لكم عما بهل
من تعريض ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سيد احمد — د الفقى

فى فجر يوم الجمعة ١٨ ذى القعدة عام ١٣٧٧ والمؤذن يدعو المؤمنين فى السحر إلى الفلاح
صعدت روح الأخ سيد احمد الفقى إلى بارئها .

إنه نجل الإمام المجاهد الصابر المحتسب الشيخ محمد حامد الفقى الرئيس العام لجماعات
أنصار السنة المحمدية .

إنه الشاب الذى نشأ فى طاعة الله ، فى البيت الذى انبثق منه التوحيد فى هذا العصر ،
— ولا يزال — بحمد الله — يشع منه نور الإسلام ، فاستضاء به خلق كثير أخرجهم الله به
من ظلمات الجاهلية والشرك إلى نور السنة النبوية المطهرة .

لقد كان رحمه الله مهندساً بوزارة الأشغال ، ولقد عرفته عن قرب معرفة أخوة ،
وصداقة منذ عشرين عاماً .

وقد اختلف فيه إخوانه وإخوانى من أنصار السنة المحمدية اختلافاً على قدر صلتهم
ومعرفتهم بطباعه وأخلاقه .

وما أكثر ما يحكم الناس على الناس بأهوائهم أو لحاجة فى نفوسهم .

وقد يكون مرجع ذلك إلى ما كان يتصف به — رحمه الله — من الصراحة التامة
الكاملة ، وصدق القائل : لم تترك لى الصراحة صديقاً .

كانت الصراحة من أبرز صفاته ، غير أن بعض النفوس — إن لم تكن أكثرها —
تضيق من الصراحة ، ولا يؤمنون بأن صديقك من صدقك لامن صدقك . كان
— رحمه الله — لا يبالي أن يقول الحق مهما كان مؤلماً .

قلت له مرة : يا أخى كثير من إخوانك يلومون عليك صراحتك ويعمدونها غلظة
وجفوة ، فقال : وأنت ، قلت : إني أحدها لك ، ولكنى أبلغك رأى الآخرين .

فقال — رحمه الله — إني لأرجو أن أكون عند الله مخلصاً ، وبماذا ينفعنى رضى الناس
إذا أسخط ربي بالمداينة والمراعاة .

فقلت : ألا بسمك ما رسع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل : « إنا لنبش .
لقوم وقلوبنا تلعنهم » فقال : لم يكن ذلك لأصحابه المؤمنين ، بل كان للمناققين ،
والكافرين ، ولماذا لانكون لإخواننا كما قال عليه الصلاة والسلام « المؤمن مرآة أخيه » .
كان يضيق أحياناً بالجدال والمارة إذا زادا عن حدهما ، ويضيق بمن يراه حاد عن
الطريق السوى في قول أو عمل ، ويضيق بمن يخلف الوعد ولو قيد شعرة - كان رحمه الله - .
يريدنا حياة جادة مستقيمة صارمة ، حتى إنه لم يكن يعطى لنفسه راحة أبداً ، كان يريدنا
عملاً دائماً ، وجهداً متصلاً ، وهكذا كانت حياته حتى أصيب بداء الكبد ، فألزمه الفراش .
قراءة شهر بذل له فيه من الطب والعلاج والدواء ما بذل ، ولكنه الأجل المحتوم لا يستطيع
أن يدفعه طب ولا علاج (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

رحمه الله أوسع رحمة ، وأوسع له في قبره ، وجعله له روضة من رياض الجنة ، ورزقه
داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، كما نسأله تعالى أن لا يحرمنا من أجره ،
ولا يفتنا من بعده .

وما يبشر بحسن الخاتمة : أن روحه فاضت مع أذان الفجر ، وفي يوم الجمعة ، ثم أن
قبض الله له اجتماع مئات من إخوانه للصلاة عليه والدعاء له .

وكان من آيات الله ، أنه أنزل على قلب والده السكينة ، وجعله بلباس الصبر الجليل ،
فخطب خطبة اتعظ فيها ووعظ ، فذرفت الدموع وعلا النشيج ، وهو ثابت ثبوت الراسيات .
حتى إذا فرغ طلب من المصلين الانتظار حتى يحجى إليهم بأخيهم ليصلوا عليه ، فلم يغادر
منهم أحد إلا من رأى منهم أن يتبع الجنازة من البيت إلى المسجد ، ثم صلى بهم عليه ،
فدعا ودعوا ماشاء الله لهم أن يدعوا .

غفر الله لنا وله ، وألحقنا به على الإيمان والتقوى ، والعمل الصالح . وصلى الله على نبينا
محمد وآله وسلم .

سليمانه رشاد محمد

ساعات، (شريف) السو يسرية

الساعات الممتازة في الصناءة والمثانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عظمه صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المثانة ودقة الصناءة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنيّة للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

٧٩٠١٧ ٥

فى أى مكان تجدته يتألق ويزدهر



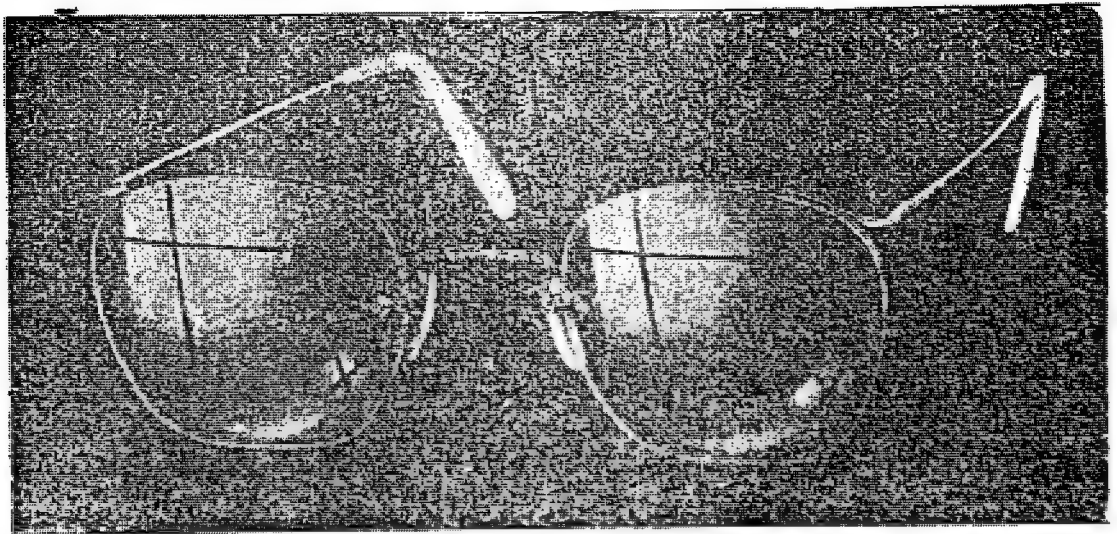
آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكرسى النمسوزجى
انشاج، حسن عات حقاد

انه الكرسي النمسوزجى

فى المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

موبيليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة القللى شارع الخديوى إسماعيل

مسن على صمما المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندى سجل تجارى ٤١١٠١



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائى

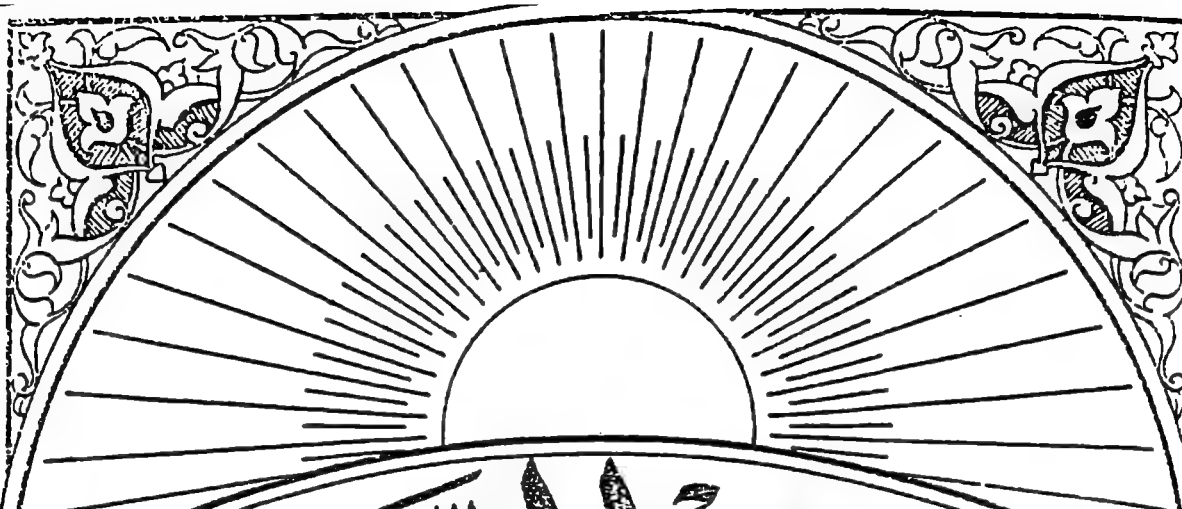
أحمد محمد خليل

المصرى الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ بيمدان العتبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شباير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار فى متناول الجميع



الْمَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ

مجلة دينية عليّة

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

صفحة	
٣	الافتتاحية
٤	نظرات في مجلة التصوف (١) للأستاذ عبد الرحمن الوكيل . . .
٨	خطبة منبرية للأستاذ سليمان رشاد محمد . . .
١٥	الأحاديث النبوية
١٨	آفة الجماعة الإسلامية للأديب عبد السلام رزق الطويل
٢٣	تراجم مختصرة لأئمة الحديث للأستاذ سليمان رشاد محمد .
٢٨	تعليقات .
٣٢	طرائف . .

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين لإرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترحو السادة المتعهدين لإرسال مابعدهتهم . ولهم جميعاً الشكر .

تهنئة

تهنىء جماعة أنصار السنة المحمدية وإدارة مجلة الهدى النبوى جميع المسلمين بالعام الهجرى الجديد ، أعاده الله عليهم باليمن والإقبال والسعادة والعز والنصر

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات الممتازة التى تحظى برضاء وإعجاب العملاء فى أنحاء مصر والسودان
لمتانتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتى

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل فى الدفع على أقساط شهرية

استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالمجلة والقطاعى

الهدى النبوى

مدير الإدارة

محمد رضى خليل

الاشتراك السنوى

٢٠ - فى مصر والسودان

٣٠ - فى الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهى رضى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير

محمد حامد الفقى

الإدارة :

٨ شارع قوله

بعبدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

العدد ١

الحرم سنة ١٣٧٨

المجلد ٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله نفتتح العام الثالث والعشرون من مجلة (الهدى النبوى)
لقد أنشئت هذه المجلة عام ١٣٥٦ هجرية لتكون منارة للتوحيد ، والسنة النبوية
المطهرة ، ولا تزال بحمد الله ترفع لواءها عاليا خفاقا فى العالمين وبها وصلت دعوة التوحيد إلى
آفاق بعيدة ، وبلاد نائية ، وأصبح لها قراء وعشاق كثيرون فى جميع البلاد الإسلامية .
ولها كذلك أعداء من الصوفية والمبتدعة وعباد القبور ، لأنها دأبت على تبديد الظلمات
التي يضرّبونها على الناس ، والجهالات التي ينشرونها عليهم .

وإدارة المجلة تشكر السادة الكتاب الذين يمدونها بذوب قلوبهم ، وعصارة أفئدتهم ،
ونتاج قرائحهم : من كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . إبتغاء مرضاة الله ،
مدخرين أجرهم عند الله ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، فشكر الله لهم ، وجزاهم خير
الجزاء وآثام ثواب الدنيا وحن ثواب الآخرة .

كما تشكر إدارة المجلة السادة المشتركين والقراء وتقدر لهم تشجيعهم وحبهم وتلهمهم
عليها إذا تأخرت عنهم - عن غير قصد ولا إرادة ، ولكن لأسباب قاهرة - فهى المجلة
الوحيدة التي تترجم عن عقيدتهم فى التوحيد فى وسط بحر لظى من الضلال والفسوق
والإلحاد والإباحية والفجور .

(البقية على ص ٢٧)

نظرات في مجلة الصوفية

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الوكيل

(١)

قيل لي : لقد صدرت للصوفية مجلة . قلت : مرحباً بها سلاحاً يقضى على مبتدعه ، واعترافاً صريحاً بحمل المترددين يؤمنون بأن خلاف الصوفية عين سلفهم ، وأنهم يدينون بدينهم ، ويدجلون سرّاً حيارى في نفس التيه السحيق العميق !! وأنهم يبذلون جهد الدين والدنيا في سبيل صون تراثهم ، هذا التراث الذي يحق له أن ينتسب إلى كل شيء إلا شيئاً واحداً نساءت بهداه الإنسانية ، وبنت به أمجادها فوق قمة الخلود ، ذلك هو الإسلام .

إن اسم المجلة نفسه يحمل طابع المغايرة بين الإسلام وبين التصوف ، فاسمها « مجلة الإسلام والتصوف » إن المشرفين على المجلة اختاروا لها هذا الاسم ، تؤكداً لما يدينون به وهو أن الإسلام غير التصوف ، وإلا فما معنى عطف التصوف « بالوار » على كلمة الإسلام ، وأظنهم لا يجهلون أن العطف يقتضى المغايرة !!

وقرأت في المجلة مقالاً للأستاذ الكبير أنور السادات ، واستوعبت المقال جيداً ، ثم ابتسمت . ذلك لأن مقاله ليس تأييداً للصوفية كما أحبه أصحاب المجلة تصويره للقراء . وإنما هو نقد حكيم فيه جرأة الثورة ، وقوة الحق ، لأنه ثورة على الصوفية ، وحقٌّ يَجِبُهُ الصوفية بالمرور عن الدين الحق ، إنه دَمْعٌ للصوفية بكل خصائصها ومقوماتها منذ نشأ شيء اسمه التصوف !! إنه يهتك عن سرائر الصوفية ومعتقداتها القناع ، فتبدو كما هي في قلوب معتققيها ، لا كما يحبون هم أن يترأوا بها أمام الناس ، وأن يفتنوا الدهماء عن بواطنها . إنه حكم عدل سجلوه بأنفسهم في مجلتهم يحكم عليهم بأنهم فئة نابذت الإسلام ، وكانت عوناً للمستعمر عليه !!

اقرأ له وهو يعدد طوائف الدخلاء على التصوف ، ومن ثمَّ تؤمن بأنه لا يعدد الدخلاء ، وإنما يعدد نفس شيع التصوف ونحلها منذ نشأت ، وإلى أن تبيد .

يقول : « ولكن بعض الدخلاء على الصوفية اتخذوها مطية للشهوات ، ومورداً للكسب والارتزاق ، فأصبحوا يشترون بآيات الله وإيمانهم ثمناً قليلاً ، ويقبلون على موائد الحكام والطفاة » أوقن أن هذا القول يشير بدلائله القوية إلى الصوفية المعاصرة أبلغ دلالة ، ونحن لانفسى ، وأنور النائر لانفسى لياذ الصوفية بفاروق . وقد خشعت بين يديه خشوع السكينة تحت أقدام الصنم ، وشيخهم الأكبر يقول لفاروق « بك نستضيء ، ومن هديك نسترشد ، ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدى ^(١) » إن الصوفية لم تكف بقولها « نستضيء بك ، ونسترشد من هديك » بل أبت إلا أن تؤكد أن رب هداها ورشدها هو فاروق وحده لا شريك له ^(٢) . ثم اقرأ قول النائر « واتجه بعض الدخلاء على الصوفية إلى الطقوس وازسوم والمظاهر المادية القائمة على لبس الرقعات والزهد في الطيبات والانغماس في القذارات وإطالة الشعر وحمل المسابح ، والإكثار من الأحجية والتعاويد وجر السيوف الخشبية » ويقينى أن هذه الصور بواقعيتها الخزفية ، وتجسدها المقيت يؤذى ناظره في غدوك وزواحك ، وأنت ترمق من بعيد الماكفين على القباب واللائذين بالأضرحة والمر بدين في مباءات الدنس التي يسمونها « موالد » !!

أما دعوى الزهد . فيشر بها كبار الشيوخ بين دراويشهم ، فحسب . ليحمل هؤلاء إلى شيوخهم ما كسبت أيديهم . وقصة الزهد مع الصوفية قصة قديمة ترجع إلى « ماني » ذلك المتنبيء الجوسى الذى ظهر فى فارس . وادعى أن الظلام امتزج بالنور وأن إله النور لن يستطيع الخلاص من الظلام إلا بعد فناء العالم . ولذا وصى بالزهد فى الحياة ، والصيام الطويل ، والامتناع عن الزواج . وظهر أثر هذه المانوية فى أحاديث موضوعة يرويها أبو طالب المكي شيخ الصوفية القديم ، ومصدر إلهام الغزالي فى كتابه الإحياء .

يقول أبو طالب ناسباً إلى النبي قوله . والرسول صلى الله عليه وسلم برآء من هذا البهتان

(١) اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ١٩٤٧/٣/٢٥

(٢) ذلك لأن تقديم الجار والمجرور فى قوله « بك نستضيء ، ومن هديك نسترشد »

يفيد القصر . أى قصر استضاءتهم على فاروق ، وقصر استرشادهم على هدى فاروق !!

المفتضح : « لَأَنْ يُرَى أَحَدُكُمْ جَرَوْ كَلْبَ خَيْرٍ مِنْ أَنْ يَرْبِيَ وَلَدًا » وقوله : « إذا كان بعد المائتين أبيضت العزبة لأُمِّي^(١) » . ويقول الجنيد وهو شيخ الصوفية الذين يسمون أنفسهم معتدلين « أحب المبتدئ ألا يَشْفَلَ قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله : التسكيب وطلب الحديث ، والزواج . وأحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهم^(٢) » . إنها المانوية المجوسية نفسها . ولقد تلقفها المستعمر ، وذهب عنه الصوفية يبشرون بها في الشرق . ليصبح أشباحاً هزيلة تتراعى ظلالها الواهنة على تيه العدم !!

ثم يقول الكاتب الكبير « وهناك فريق ثالث من الدخلاء شوهاوا التعاليم الصوفية عن جهالة أو سوء نية ، فأدخلوا فيها ضروب الألاعيب وشتى الأخابيل بما يشبه الكرامات . فهم يلتهمون النيران والزجاج ويأكلون الثعابين ويمشون على السيوف ، ويدقون الطبول ويقرعون الدفوف ويعزفون الموسيقى الصاخبة ، ويتمايلون على أنغامها في حركات راقصة هستيرية لا يقرها خلق ولا دين ولا قانون » . وهل أنت بحاجة إلى مَنْ يؤكد لك أن ماصوره الأستاذ الكبير إنما هو منتزع من الصوفية المعاصرة ، وما حلقات الذكر الوثني التي يعربد فيها الشيطان إلا دليل صدق على ما نقول . انظر ماتقترفه الصوفية في أيام الجمع حول قباب الهامدين من آلهنهم !! وانظر ماتجترحه في أعياد الأصنام الموسمية في سرادقات السحت . ثم يقول السيد أنور السادات - وهذا بيت القصيد - « وهناك فريق رابع من الدخلاء حاول مزج الدين بالفلسفة والسياسة بالشرعية : فزعم للدين ظاهراً وباطناً ، وادعى أن هناك شريعة للخاصة وأخرى للعامة ، وحاول إقحام التعاليم الهندوكية والفلسفة الإغريقية الوثنية . فعقد من الدين ماسهل ، وصعب منه ماوضح . وكاد يفتن الناس عن دينهم السمع القائم على الفطرة التي فطر الله الناس عليها (صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة) . وعلى ما قال الأستاذ الكبير ، قام التصوف منذ نشأ شيء اسمه التصوف بل لا يمتدبر

(١) انظر ص ١٥٠ ج ٤ قوت القلوب ط ١٣٥١

(٢) ص ١٣٥ ج ٣ المصدر السابق وقرأ كتابي « هذه هي الصوفية » ففيه تفصيل

لهذا الإجمال .

صوفياً إلا من آمن بأن للدين ظاهراً وباطناً ، وما قدست الصوفية من كهنتها إلا أوائلك الذين مزجوا الدين بالفلسفة الإغريقية الوثنية وبالعلوم الهندوكية . وإليك الدليل مما كتبه الأستاذ أبو الوفاء التفتازانى فى العدد الثانى من المجلة نفسها « إن بعض الصوفية الذين كان لهم نصيب وافر من دراسة الفلسفة والمعرفة بمناهجها واصطلاحاتها قد مزجوا التصوف بموضوعات الفلسفة ، وخرجوا لنا بنظريات هى مزيج من الذوق والفلسفة ، ولعل أبرز هؤلاء ابن عربى وابن الفارض وابن سبعين والصدر القونوى وعفيف الدين التلمسانى » .

وابن عربى عند الصوفية كما تنعته المجلة نفسها « شيخ الصوفية الأكبر » وابن الفارض هو - كما سمته المجلة : « شاعر الإلهام الأعظم » وقد حكم الأستاذ الكبير أنور السادات بأن من مزجوا الدين بالفلسفة قوم خارجون عن الدين . والمجلة نفسها تقول عن كبار شيوخهم أنهم مزجوا الدين بالفلسفة . وهؤلاء هم سادة الصوفية وأربابهم وأكفئهم . هذا يدعوك إلى الإيمان بأن الصوفية هى هذا الشيء الذى سماه النثر البطل دخيلاً عليها ، إنه فى الحقيقة أراد أن يقول للصوفية : إن من يقوم بهذا ، ويفعل هذا فهو دخيل على الإسلام . لقد فرح الصوفية بمقال الأستاذ الكبير ، وموهوا على الناس بأنه تأييد لهم . وما إخالك الآن إلا موقناً بأن النثر بمقاله هذا إنما هدم أصنام الصوفية على رؤس كهنتها . وإلى العدد القادم يعيشه الله لتتابع بعونه نظراتنا فى مجلتهم .

حاشية : عاتبنى إخوانى - وأحجب بعتاب الحب والاخوة - لانى جنحت طويلاً إلى التفريط فى حق قراء المجلة على . وأقول للعائنين - ولهم الحق فى العتبى - أن مما يشفع لى أن هذا التفريط والتقصير غير متعمد ، وأضرع إلى الله أن يوقفنا إلى أداء الواجب ، وإلى القيام بما يفرضه علينا من الكفاح فى سبيل إعلان كلمة الحق .

إعلان

بمونه تعالى سيكون بين يدى القراء قريباً كتاب (تنبيه الأذهان) ، تأليف الأستاذ محمد صالح سعدان ، للرد على مفتريات الشيخ عبد ربه سليمان .

خطبة من————برية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والعاية للمتقين .
وأشهد أن لا إله إلا الله ، يضاعف الحسنات ، ويربى الصدقات .
وأشهد أن نبينا محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، أرسله ربنا بأكل شريعة ،
وخير دين ، يكفل سعادة الدنيا والآخرة . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
وشر الأمور محدثاتها وكل ضلالة في النار . وإن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يأخذ
زكاة المال ممن آمن به من المسلمين فقال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ،
وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم) وقال تعالى (والذين في أموالهم حق
معلوم للسائل والمحروم) وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين
هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون) فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أمر
ربه تبارك وتعالى ، فكان يأخذ الصدقات من الأغنياء ويردها على الفقراء .

أيها المسلمون : إن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة ، بل هي الركن الذي يلي ركن
الصلاة ولذلك يقرنهما الله في القرآن الكريم كثيراً كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة) (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) (ويقيموا
الصلاة ويؤتوا الزكاة) (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) (وأقم الصلاة وآتين الزكاة) .
(لئن أقم الصلاة وآتينم الزكاة) (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) وغيرها من الآيات
الكثيرة الدالة على مكانة الزكاة في الإسلام .

إن للمال سلطاناً على النفوس ، وهو محك الإيمان ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخراجه وبذله في سبيل الله ومرضاته وأداء حقه ، دليل على أن سلطان الإيمان أقوى على القلوب من سلطانه . وقد أعظم الله سبحانه ثواب المزكين للتصدقين في آيات كثيرة من القرآن ، من ذلك قوله تعالى (فأنذرتكم ناراً تملأ) لا بصلاها إلا الأشتى . الذين كذب وتولى . وسيجنبها الأتقى . الذي يؤتى ماله يتزكى) وقوله تعالى (وما آتيتم من زكاة نريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) .

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الزكاة ووقتها ونصابها ومصارفها ، أكل بيان وأعدل شرع ، راعى فيه مصالح أرباب الأموال ومصالح المساكين في وقت واحد . وكان يوصى عماله بالرفق في طلبها كما قال لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن فقال له « إنك ستأتى قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لمن يأتى بركاته ويقول « اللهم صل على فلان » أو « اللهم صل على آل فلان » ويقول حائثاً على الانفاق « اللهم أعط كل ممسك تلقاً ، وكل متفق خلفاً » .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الزكاة طهرة للمال وصاحبه ، وقيد النعمة بها على الأغنياء ، فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته ، بل يحفظه عليه وينمي له ، ويدفع عنه بها الآفات ، ويجعلها سوراً عليه ، وحصناً له وحارساً له . ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال عبد من صدقة . ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزاً . ولا فتح عبد مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » .

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة في أربعة أصناف من المال ، وهى أكثر الأموال تداولاً بين الناس ، وحاجتهم إليها ضرورية . أحدها : الزروع والثمار . والثانى : بهيمة

الأنعام ، الإبل والبقر والغنم . الثالث : الجواهران اللذان بهما يقوم كل شيء في العالم : الذهب والفضة . الرابع : أموال التجارة على اختلاف أنواعها . ثم إنه أوجبها مرة واحدة كل عام إلا زكاة الثمار والزروع فإنها يوم حصادها لقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) . وحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل صنف النصاب الذي إذا بلغه المال وجب فيه الزكاة . من ذلك قوله « ليس فيما دون خمس أواق صدقة ، ولا فيما دون خمس ذود صدقة ، ولا فيما دون خمسة أوسق صدقة » ثم أوضح ذلك فجعل نصاب الفضة مائتي درهم ، ونصاب الذهب عشرين مثقالاً . وجعل للإبل خمساً وما يعادل ذلك في البقر والغنم ، فجعل للبقر ثلاثين بقرة ، وللغنم أربعين شاة . وجعل نصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق . وهي خمسة أحمال من أحمال إبل العرب وقد قدرها الفقهاء خمسين كيلة (بالمسكيال المصري) أي كل وسق عشر كيلات .

كما حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقادير الزكاة وفاوت فيها بحسب سعي أرباب الأموال وتحصيلها وسهولة ذلك ومشقته . فأوجب التحنن فيما صادفه الإنسان مجموعاً محصلاً مثل الركاز - أي الكنز - ولم يجعل له حولا . وأوجب ربع العشر في الذهب والفضة وعروض التجارة . وجعل في الزروع والثمار العشر فيما يباشر العبد الحرث والبذر ويسقيها الله من السماء . ونصف العشر فيما يتولى العبد السقي بالدوالي والتواضيع . وربع العشر فيما كان النماء موقوفاً على عمل متصل وجهود دائم .

أما الأنعام فقد جعل في كل ثلاثين بقرة بقرة ، وفي كل أربعين شاة شاة . ولما كان نصاب الإبل لا يحتمل الإخراج من نوعه ، جعل في كل خمس منها شاة حتى تبلغ خمساً وعشرين وحينئذ يحتمل نصابها واحد منها ولكن من أقلها سنّاً ، وكلما زاد عدد الإبل زاد في سن زكاتها ، حتى إذا بلغت مائة وجب عليها ناقة كاملة . ذلك أعدل خطة ، وأحكم طريقة ، وأقسط سنة . لا يمحف أرباب الأموال ، ولا يضيع حق الفقراء .

أما مصارف الزكاة : أي الذين يستحقون أخذها فقد ذكرهم الله تعالى في قوله (إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين ،

وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم) فهؤلاء الثمانية أصناف هم المستحقون للزكاة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنه لاحظ فيها لغنى ، ولا لقوى مكتسب » وكان يأخذها من أهلها ، ويضعها في حقها . وكان يأمر بتفريقها على المستحقين الذين في بلد المال ، وما فضل عنهم منها أحملت إليه فيفرقها هو بنفسه .

ولم يكن من هديه وسنته صلى الله عليه وسلم أخذ الزكاة من الخليل ولا الرقيق ولا البغال ولا الحمير ولا الخضروات ولا الفواكه التي لا تسكال ولا تدخر ، إلا العنب والرطب فإنه كان يأخذ الزكاة منه جملة ، ولم يفرق بين ما يبس منه وما لم يبس .

وكان يبعثُ عماله يخرصون الرطب والعنب ، قبل أن تؤكل الثمار وتصرم . ويأمر الخارص - أى الذى يقدر قيمة الثمار - أن يترك لهم الثلث أو الربع ولا يدخله في خرصه لما قد يعرفونها من التلف . وذلك حتى يستطيع أصحابها أن يتصرفوا فيها ويضمنوا قدر الزكاة .

أيها المسلمون : لقد استحدثت أنواع جديدة من الأموال في عصورنا هذه ، ولكن رسولنا صلى الله عليه وسلم وضع القاعدة فلنلحق كل نوع بنظيره . فيلحق الماس والمعادن النفيسة والأحجار الكريمة بالذهب وتقاس عليه . وتلحق به أيضاً الأسهم والسندات وأوراق البنوك . وتلحق بالتجارة الدور والعمارات والأموال المودعة بالبنوك . والجاموس نوع من البقر يسرى عليها نصابها . وكذلك الأراضي التي تؤجر فإن على المستأجر وعلى المالك أن يخرجوا الزكاة كلاهما يخصه حتى لا يضيع حق الفقراء بينهما .

أيها المسلمون : لقد ضيعنا فيما ضيعنا من أحكام ديننا ، وأوامر ربنا ، وهدى نبينا هذه الفريضة المؤكدة - فريضة الزكاة . وهى فريضة كفر بضة الصلاة والصوم والحج سواء ، فما بال الناس حتى الذين يؤدون الفرائض الأخرى ، يمسكون أيديهم عن هذه الفريضة ؟ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضه ؟ ألم تقرأوا وعيد الله لمن يبخل بحقه بقوله تعالى (ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة . والله ميراث السموات والأرض . والله بما تعملون خبير ؟)

نسأل الله العافية . كما نسأله تعالى أن يوفق المسلمين جميعاً لأداء حقوقه ، حتى يزول من بينهم الحسد والإحن والبغضاء ، وتسود بينهم المودة والمحبة التي كانت بين سلفهم ، يوم كان الغنى يعرف حق الفقير في ماله ، فيؤديه إليه راضياً مسروراً طيبة بها نفسه . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونسأله أن يقينا شح أنفسنا حتى نكون مع الفائزين المفلحين .
ونشهد أن لا إله إلا الله ، الرزاق ذو القوة المتين . ونشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله ، أرسله ربنا بالدين الحق وأظهره على الدين كله ، فأكمل به الدين وأتم به النعمة . صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد روى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل جلاله في الحديث القدسي أنه قال « وماتقرب إلىَّ عبدي بشيء أحب إلىَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه » والنافلة : هي الزائدة عن الفريضة . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة » والزكاة لها نوافل كثيرة ، فإذا أدبت يا أخى - وفقى الله وإياك - ما فرض الله عليك من الزكاة فلتكثر من الصدقات حتى يحبك الله .

ولقد حجب الله إلى المسلمين التطوع في الصدقات في كثير من آى الذكر . وضرب لهم ولصدقاتهم الأمثال المشوقة ، والمواعظ التي تحنن القلوب وترققها . من ذلك قوله تعالى :
(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم) وقوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتاً من أنفسهم ، كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل نفل ، والله بما تعملون بصير) وقوله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعما هي ،

وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير) وقوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ، سراً وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي لا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم .

وإن الله سبحانه وتعالى كما يحض على البذل والانفاق والتصدق ، فإنه سبحانه يحذرنا من الأسباب التي لانجملها مقبولة عنده مثل إعطاء الخبيث حساً أو معنى . فالخبيث الحسى هو ما كان رديئاً فاسداً ، ولا ينتفع منه آخذه . والمعنوى ما كان من سرقة أو غصب ، أو دخل فيه ربا . فالله طيب لا يقبل إلا طيباً . ولذلك يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، وما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بأخذيهِ إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد) يستطيع أن يغنى الناس جميعاً من خزائنه التي لا تنفد ، ولكنه سبحانه جعل الصدقات سبيلاً وسماً لنا لترتقى في مدارج الكرامة والشرف عنده .

وما حذر الله سبحانه وتعالى منه أن يمتن الغنى على الفقير ، ويحاول أن يستذله بما يعطيه من الصدقات . وينسى أن المال مال الله جعله وكيلاً عليه ليبتليه ويختبره به ، ويرى كيف يصنع فيما خوّله فيه ، واستخلفه عليه . ولذلك يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالدّى ينفق ماله رياء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر . فقله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل ، فتركه صلداً ، لا يقدرّون على شيء مما كسبوا . والله لا يهدي القوم الكافرين) ويقول تعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حلیم) .

أيها المسلمون : إن خير ما يقدمه الإنسان لنفسه ، من حياته لموته ، هو البذل في سبيل الله ، والتصدق على الفقراء ، وخصوصاً لذوى القربى واليتامى . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الصدقة تطفىء الخطيئة ، كما يطفىء الماء النار » وكل ابن آدم خطاء ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى من فضله هذه الصدقات الصغيرة التي نواسى بها ذوى

الحاجة سبيلا إلى تكفير الخطايا والذنوب . فأى إنسان عاقل لا ينتهزها فرصة ، قبل أن يقدم إلى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، وإنه لا بد قادم إليه . فلتبادر إلى إدراك ما فاتنا ، عسى الله أن يكتبنا مع الذين قال عنهم (إن المصدقين والمصدقات ، وأقرضوا الله قرضاً حسناً ، يضاعف لهم ولهم أجر كريم) .

أيها المسلمون : أبكم يتأخر إذا ما طلب منه كبير من كبراء الدنيا قرضاً . فما بالكم لاستجبيون لداعى الله الكبير المتعال ، مالك الدنيا والآخرة ، الذى بيده مقاليد السموات والأرض ، والذى منه كل مافى أيديكم من المال ، والذى يستطيع أن يسلبكم إياه فى طرفة عين ، بل الذى بيده الموت والحياة ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاء ، والعز والذل ، إنه يدعوكم بالليل والنهار لتقرضوه ، لا لنفسه فهو الغنى . ولكن لإخوانكم فى البشرية ممن أخنى عليهم الدهر ، بل لأنفسكم ليدخرها لكم . فيقول سبحانه وهو الغنى ، فى هذا الأسلوب الذى يلين له الحديد ، ويرق له الصخر (مَنْ ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعف له ، وله أجر كريم) ويقول (مَنْ ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعف له أضعاافاً كثيرة ، والله يقبض ويبسط ، وإليه ترجعون) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تصدق أحدكم بصدقة فإنما يضعها فى يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - فيربها له كما يربى أحدكم فُلُوهُ - المهر الصغير - حتى تكون يوم القيامة كأمثال الجبال » ألا يكفى ذلك ، إذا كنا صادقين فى دعوى الإيمان بالله ، وبما أعده للمحسنين فى جنات النعيم ، أن نسارع بالبذل والإنفاق مما أفاء الله علينا مما قل منه أو أكثر وخصوصاً لذوى القربى واليتامى ومن نعلم أنهم فى أشد الحاجة إلى أقل القليل ، ابتغاء مرضاة الله ورجاء ما عنده . وما عند الله خير للأبرار .

نسألك اللهم أن توفقنا وجميع إخواننا إلى ذلك ، كما تتضرع إليك ياربنا أن توفى المسلمين جميعاً للعمل بكتابك ، وهدى نبيك . اللهم أصلح ذات بيننا ، واغفر لنا ذنوبنا ، ويسر لنا أمورنا ، واستر عيوبنا . اللهم أصلح الراعى والرعية ، ووفى رجال حكومتنا الجمهورية ، وأصلح بهم شئوننا ، وانصرنا على أعدائنا .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الأحاديث النبوية

سألنا سائل عن أحاديث ثلاثة وردت في صحيح البخارى أو في صحيح مسلم أو في كليهما

وهى :

١ — حديث تخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس في ليلة المعراج .

٢ — حديث سحر الرسول .

٣ — حديث موسى عليه السلام مع ملك الموت .

فقلنا إنها أحاديث صحيحة رويت في الصحيحين اللذين تلقاها المسلمون خلفاً عن سلف بالقبول الحسن ولم يتكلم أحد فيهما وفي أى حديث روى فيهما . إلا في بضع أحاديث تكلموا فيها من الناحية الفنية البحتة وهى ناحية المصطلح : أى الرواية . فقالوا إن فلاناً المحدث خالف شرطه في هذا الحديث أو ذاك ، ولم يتعرض أحد منهم للطعن في متن الحديث لأنه لا يوافق رأيه . وفتنة تحكيم رأى في النصوص بدعة نجمت في هذه الأيام ، لا يقصد منها التشكيك في الأحاديث فحسب ، ولكنها خطوة إلى التشكيك في كتاب الله نفسه . فالإنطلاق في هذا المضمار لا يقف عند حد ، ومتى فتح هذا الباب فلن يستطيع أحد أن يفلقه أبداً . فخير للمسلم أن يتهم رأيه وفهمه ومداركه من أن يتهم النصوص الصحيحة الصريحة . إما ردها جملة وتفصيلاً ، وإما بتأويلها تأويلات فاسدة ملتوية .

نم رأي وعقل من الذى يحكم على النصوص ؟ إن لكل إنسان عقلاً ورأياً فلما يتفق فيهما مع غيره ، فإذا ترك الناس وعقولهم وآراءهم فسيكون لكل منهم دين خاص به حسب عقله ورأيه وفهمه . فينبغى أن يكون للناس موازين ومقاييس ، يرجعون إليها إذا اختلفوا ويشوبون إليها إذا تنازعوا . تلك الموازين والمقاييس هى نصوص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك يقول الله تعالى (٤ : ٥٩) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم . فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول أن كنتم تؤمنون .

بِالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً) فما بال بعض الناس يحاولون تحطيم مقاييس الإسلام وموازينته ؟

نم : نعود إلى الأحاديث موضوع السؤال : أما الحديث الأول : فقد روى في الصحيحين ولفظ البخاري في بعض طرقه أنه صلى الله عليه وسلم رجع من المعراج فرعى موسى عليه السلام فسأله : (بم أمرت ؟ قال : بخمسين صلاة . قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك . إرجع إلى ربك فله التخفيف لأمتك . فالتفت إلى جبريل - كأنه يستشيره - فأشار : أن نم إن شئت) ثم يمضي الحديث إلى آخره ، وأنه رجع إلى ربه فوضع عشرأ ، ولم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل ويضع كل مرة عشرأ حتى جعلها خمسا . ماذا ينكر في هذا الحديث ؟ تخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس ، أم ينكر المعراج كله ؟ ما أظن إلا أنه المقصود . لماذا لانفهم من هذا التخفيف أنه تكريم وتشريف من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ؟ لماذا لانفهم من هذا التخفيف أنه من جملة نعم الله وفضله علينا فتزيد حمداً له وثناء عليه ، إذ جعلها خمسا في العمل وخمسين في الأجر كما ورد في بعض الروايات . وما الفرق بين التخفيف في الصلاة وبين التدرج في تحريم الخمر الذي نزل الله في كتابه ؟ اللهم لافرق ، ولا تبديل لأمره وحكمه .

أما الحديث الثاني : فقد روى في الصحيحين أيضاً . وقد ظن من أنكره أن ينزه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يسحر ، وحسبه نقصاً وعيباً ، وليس كما زعم بل هو من جنس ما كان يعتريه من الأسقام والأوجاع ، وهو مرض من الأمراض ، وإصابته به كماصابته بالسقم ، لافرق بينهما . ولا يقدح ذلك في نبوته ، وليس في هذا ما يدخل داخله في شيء من صدقه ، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز طروؤه عليه في أمر دنياء التي لم يبعث لسببها ، ولا فضل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر . فقير بعيد أن يخيل إليه من أمورهم مالا حقيقة له ، ثم ينجلي عنه كما كان ، كما خيل لموسى عليه السلام حبال السحرة وعصبيهم أنها نسي . ولا فرق . وقد أبان عن هذا ، الإمام ابن القيم في زاد المعاد بأوضح بيان .

أما الحديث الثالث : فقد رواه البخارى ويفهم من سياقه أن ملك الموت جاء إلى موسى في صورة آدمي - لا في صورته الملائكي - فلم يعرفه موسى عليه السلام ، فغضب لما أخبره أنه جاء لقبض روحه - وكان في موسى عليه السلام الحدة والغضب ، كما ورد في كثير من آي القرآن - فاطمه وهو لا يعلم إلا أنه ياطم آدمياً يعتدى عليه . فلما علم الحق استسلم لأمر ربه ، بل تعجل إلى ثقائه ولم يختر البقاء في الدنيا سنين بعدد الشعر الذي يكون تحت يده من جلد الثور . وحضور ملك الموت إلى الناس في صورة الآدمي في الأمم السابقة ورد في أحاديث كثيرة .

في الحقيقة لا نجد سبباً واحداً يدعو إلى إنكار شيء من هذه الأحاديث ، فكلها معقولة جداً وليس فيها ما يصادم العقول : عقولنا نحن وعقول من تلقوها قبلنا منذ مئات السنين بالرضا والتسليم . أما أصحاب تحكيم آرائهم في النصوص فلا حيلة لنا معهم ، إلا أن ندعو الله لأنفسنا ولهم بالثبات والرشد .

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمجلات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والجبال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

التفرق والاختلاف - ٣ -

آفة الجماعة الإسلامية

الأديب عبد السلام رزق الطويل

بكلية اللغة العربية

الوحدة الإسلامية نابعة من صميم عقيدة الإسلام ، بادية في
مظاهر عبادته ، منبعثة من التوجيه الخلق والإسلامي فيه ، ولقد
عاش المسلمون في ظلالها زمنا طويلا ، يشملهم الأمن ؛ وتغمرهم
السعادة ، وتبدو عليهم علامات الهناءة .

(٢) الدعامة الثانية من دعائم الوحدة في المجتمع الإسلامي : مظاهر العبادة في
الأسلام .

لو تأملنا مظاهر العبادة في الإسلام من صلاة وصيام ، وحج وزكاة لوجدنا فيها دلائل
قوية على هذه الوحدة ، وسمة واضحة على تلك الرابطة ، ففي الصلاة تتراس المناكب
وتتلاقى الأقدام ، وتلتصق الأجسام وتأنف الأرواح متجهة إلى الله رب العالمين مبتغية الصلة
به ، واللجوء إلى حماه ، وفي الصيام وحده في الجوع ومقاساة الآلام ، ومصارعة النفس
وشهواتها ، وفي الزكاة وحدة في العاطفة والشعور حيث تنبسط يد الغنى بالمطاء للفقير ، وتمتد
بالعون للمحتاج ، وبالتنفيس عن المكروب ، وفي الحج وحدة في الاتجاه ووحدة في الدعاء ،
ووحدة في التكبير والتهليل ، ووحدة في أداء المناسك ، وتمظيم الشعائر ، ووحدة في
خلاص القلب وطرد الشيطان عن ساحة النفس ، ثم فضلا عن ذلك فهناك وحدة في الملبس
والمظهر ، والسمة ، والمنظر حيث يقف الجميع على تباين بلدانهم وتفاوت درجاتهم واختلاف
أستهم وألوانهم في مكان واحد بلباس واحد ، يشتركون جميعاً أغنياء وفقراء في بساطة ،
إنه مظهر للوحدة كريم ، وآية على ترابط المسلمين محكمة !!

فعبارات الإسلام إذن في مظهرها وجوهرها تمتد دعائم قوية لوحدة المجتمع الإسلامى ،
وتماسك أجزائه ، وفى تكرار هذه العبادات فى أوقات معينة تنمية لهذه الوحدة ، وتوطيد
لتسليم الرابطة .

(٣) الدعاة الثالثة : التوجيه الخلقى والاجتماعى .

إن نظرة الإسلام إلى المجتمع والناس نظرة خاصة تمتاز بالعمق والتفهم والتقدير والخبرة
الواسعة بطبائع البشر ونفوس الناس ، ولا عجب فهو من لدن حكيم خبير !! فهو يرى أن
الناس إخوة ، وليس هذا القول جزافاً أو قائماً على عاطفة مبالغه ، وإنما يرجع إلى فلسفة عميقة
الجدور ، ثابتة الأصول أنظر إلى قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير) ،
وبوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : « كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن
أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى » إذن أخوة الناس
ثابتة ، وحقيقة واقعة ، له سند من الواقع وتأييد من التاريخ ، ومن هنا ساع للقرآن أن
يقول : (إنما المؤمنون إخوة ، فاصلحوا بين أخويكم) ، (فأصبحتم بنعمته إخواناً) ، ومن
أجل ذلك أيضاً يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو
المسلم لا يظلمه ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل
المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

ومن سياق تقرير مبدأ الأخوة يقرر الرسول عليه الصلاة والسلام مبدأ المساواة ، إذ
الأخوة ما داموا إخوة سواء فى الحقوق والواجبات ، ومن هنا يقول الرسول عليه
الصلاة والسلام « الناس سواسية كأسنان المشط » وفى النصوص التى تقرر مبدأ الأخوة
تقرير من جهة أخرى لمبدأ المساواة ، والأخوة المعتبرة فى الإسلام ليس أخوة النسب
والمصلحة لأنها أخوة مادية تافهة لا ثبات لها ولا قرار ، بل أخوة الإيمان والعقيدة التى على
أساسها بنى الإسلام توجيهاته العملية والاجتماعية والخلقية مثل : حق الجار على جاره ، وحق
الضيف على مضيفه ، وحق الفنى على المقير ، وحق الأب على بنيه ، وحق الإبن على أبيه ،

وحق الزوج على زوجته ، وحق الزوجة على زوجها ، وحق الحاكم على المحكوم ، وحق المحكومين على الحاكم ، ومنل حث المسلمين على : غض البصر ، وكف الأذى ، وتحصين الفرج ، ورد السلام ، وإسداء النصيحة ، وقول الخير ، وانبساط الوجه والإصلاح بين المسلمين ، والإغاثة ، والإعانة ، والتنفيس ، والصدقات بمختلف صورها وأشكالها ، ومثل نهيبهم عن : تكذيب بعضهم بعضاً ، وخذلان بعضهم لبعض ، ونحوه لهم ، وإشاعة الفاحشة بينهم ، واستباحة الأموال والأعراض والدماء والنجس^(١) ، والبيع على البيع ، والخطبة على الخطبة ، والاعتياب والسمى بين الناس بالفساد .

ثم نرى بعد هذا كله أن الإسلام رجع هذه التوجيهات إلى الإيمان ، وربطها بالعقيدة ، وأقامها على أمتن أساس وأقواه ألا وهو الأخوة في الله ، فيالها من توجيهات كريمة في مبنائها ، سامية في مغزاها ومرماها ، حرية بأن تعلى صرح الوحدة ، وتثبت دعائم الألفة ، وتحافظ على أسس المودة والمحبة بين المسلمين .

(٤) الدعامة الرابعة : العصبية الإسلامية .

كانت العصبية طبيعة راسخة في نفوس العرب ، ولكنها كانت عصبية قبلية ذميمة لاتعرف الحق ولا العدل ولا المعروف كما بصورها شاعراً إذ يقول :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا
وقول الآخر :

وما أنا إلا من غزية إن غوت
غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

ولما جاء الإسلام بسماحته وتشاريعه العالية السديدة كان موقفه من العصبية كموقفه من سائر غرائز الإنسان وطبائمه الفطرية ، أى أنه هذبها ، وسما بأهدافها ، وارتقى بمراميها ، فطم العصبية القبلية الجاهلية ، وحذر من التمسك بها ، وجعل الدعاء بدعواها نكوصاً إلى الكفر ، ورجوعاً إلى الشرك ، وانغماساً في الظلمات ، وأبدلها بعصبية أرقى ، وأسمى ،

(١) في اللغة : تنفير الصيد من مكانه ليصاده ، والمعنى المراد هنا : أن يقول الرجل لصاحب السلعة : هل تبعها بكذا وهو لا يريد شراءها وإنما يريد أن يوقع غيره فيها .

وأشرف مرمى ، وأكرم مغزى ، هى التعصب للعقيدة والمبادئ والمقومات الإنسانية الكريمة ، وقد يهولك أن تسمع أن الإسلام حبذ هذه العصبية ورفع من شأنها ، ولكن ينقضى عجبك حين تعلم أن المراد بها ليس هو الرضا بالباطل لأنه جاء من بنى جنسك وأهل ملتك ، والإعراض عن الحق لأنه صدر عن قوم لا تربطك بهم رابطة ، ولا تصلك بهم وشيجة ، وإنما المراد بها الاعتزاز بملك من دين ومبادئ وترث إنسانى كريم ، والحرص على نشره ، والعمل على إذاعته حتى ينتفع به غيرك من بنى البشر ، وعدم القعود عن نصرته ، والتهارن فى شأنه . ذلك لأن الدين والتراث والمبادئ هى كيان الجماعة ومقومات وجودها وشرابىن الحياة فيها ، فإذا لم تميز عن غيرها ، وتتضح عن سواها ، فإنها ستذوب ، وتضيع الأمة تبعاً لذلك فى مهب الرياح .

فالجماعة الإسلامية جماعة متميزة عن غيرها من الجماعات بما لها من عقيدة متينة ، وتشريعات سامية ، وتوجيهات حكيمة جعلت منهم أمة تكاملت فيها كل عناصر الأمة ، واستحقت بذلك أن تكون خير أمة أخرجت للناس كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم . وقد حرص المسلمون على هذه العصبية الإسلامية فى عصورها الأولى ، فذنبوا تحت لوائها دعوة الإسلام فى الأرض ، وأذاعوا مبادئه فى الناس ، ودهش العالم لهذه المبادئ الإنسانية العادلة ، وكانوا يرون أن دينهم هو الحق ، ولغتهم هى اللغة المثلى ، وأدبهم هو الأدب الرفيع . وقد غلوا فى هذا حتى جاوزوا الحد فى عهد بنى أمية إذ كانت دولتهم كما يقول الجاحظ : عربية أعراية ، لم تستعن بغير العرب فى الولاية والإمارة والديوان ، ولم تستعن فى حياتها بغير علوم العرب ومعارفهم ، وهذا الانجاء وإن حافظ على الوحدة الإسلامية من ناحية إلا أنه من ناحية أخرى وقف حائلاً بين المسلمين وبين مجال التنقيف العاصم فى العلوم النافعة كالطب والكيمياء والطبيعة والنبات والحيوان وغير ذلك من العلوم الكونية البشرية إلا أن ذلك كله يهون بجانب حيطة الدين وحفظه لشرائعه من الثقافات الفلسفية والجدلية ، والديانات الشرقية والوثنية التى سرت إلى العقيدة فيما بعد وشوهتها شر تشويه ، ولا أقول : إن المسلمين قبل ذلك العهد لم يختلفوا ولم يتأثروا بثقافات غيرهم ، ولكنهم اختلفوا وتأثروا بثقافات غيرهم ، ولكن بصورة ووضع ودرجة غير الصورة والوضع والدرجة

التي كانت لهم أو ستكون لهم حين عصر الترجمة في عهد الدولة العباسية .

الاختلاف في العصر الأول : اختلف المسلمون في العصر الأول ، وكان اختلافهم حول أحداث مباشرة لوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد امتاز هذا الخلاف كما أشرنا إلى ذلك في المقال السابق بحسن النية وتوافر الحرص للوصول إلى الحق ، ولهذا حينما كان ينبغي لهم وجه الحق فيما يختلفون فيه يلوذ كل منهم إلى ذلك الحق تاركاً رأيه وهواه طارحاً هواجس نفسه ورائه ظهرياً .

فقد اختلفوا كما قال الشهرستاني في الملل والنحل^(١) في وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى حسم الحق أبو بكر رضي الله عنه ، واختلفوا في مكان دفنه وانتهوا إلى أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون . واختلفوا في الخلافة وانتهوا إلى اختيار أبي بكر . واختلفوا في قتال المرتدين ، وكان بعض المسلمين وفيهم عمر رضي الله عنه يرى أن لا قبل للمسلمين بقتال العرب وليأزم المسلمون وخليفتهم دينهم ومسجدهم ، حتى قال أبو بكر قوله : والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليه .

ثم تطور الخلاف إلى شر ، وتحول إلى وزر ، وأمسى باطلا ظهرت فيه نية السوء وضعف الثقة ، ودوافع العدوان ، وظهر في محيط المسلمين مفاقون وطلاب رياسة ومبتغوا إمارة . وكانت بذرة الشر الأولى مقتل عمر الذي كان المثل الكامل للعادلة في الإسلام . وحامى حتى الدولة الإسلامية وناشر لوائها ، وكان مقتله على يد أبي لؤلؤة فيروز الجوسى مولى المغيرة بن شعبة ، ثم تلتها القاصمة ، والفتنة الجائحة التي بددت الشمل وفرقت الجمع ، وبذرت بذور الفرق والأحزاب ، وهى مقتل عثمان ، وقيام الحرب بين علي ومعاوية ، تلك الحروب التي أريق فيها من الدماء الزكية ما يحز في نفوس المسلمين الغيورين في كل عصر وزمان .

عفا الله عنهم فقد كانوا قبل ذلك حماة الإسلام وحاملي دعوته والمجاهدين في سبيله . وأما أسباب الخلاف ، وتطوره ، ونشوء الفرق والأحزاب من ورائه فذلك هو حديثنا القادم إن شاء الله .

(١) الجزء الأول ص ٢٣ ط صبيح سنة ١٣٤٧ هـ .

تراجم مختصرة لأئمة الحديث

البخارى

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخارى .
ولد ببخارى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة .
وتوفى ليلة السبت ليلة عيد الفطر ودفن يوم الفطر بعد الصلاة سنة ست وخمسين
ومائتين بقرية خرتنك على فرسخين من سمرقند .

اشترط في صحيحه أن يكون الراوى للحديث عاصراً من يروى عنه وسمع منه بلا واسطة .
وسمى كتابه الجامع الصحيح : سماه جامعاً لأنه جمع فيه جميع أمور رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسننه وأيامه ، فاتى فيه بأحاديث الأحكام ، والعقائد ، وأحاديث الرقاق ، وآداب
الأكل والشرب ، وأحاديث السفر ، والقيام والعود ، وأحاديث التفسير والتاريخ والسير ،
وأحاديث المناقب والمثالب ، وأحاديث الفتن ، وأحاديث فى جميع الشؤون والفنون ، وسماه
صحيحاً لأنه اشترط أن لا يدخل فيه إلا ما صح عنده من الحديث على شرطه بعد التحرى
والتدقيق الشديد .

وصحيح البخارى أربعة آلاف حديث بإسقاط المكرر وبالمكرر سبعة آلاف ومائتان
 وخمسة وسبعون حديثاً ، وقد عنى البخارى بتقسيم كتابه على أبواب الفقه ، واستنباط المعانى .
واستخراج لطائف فقه الحديث ، والترجمة بذلك لأبواب الكتاب فجاء كتابه آية من الآيات
الدالة على علو مرتبته ، وسمو مكانته ، فى الفقه والعلم ، حتى أنه سمي بحق أمير المؤمنين فى
الحديث ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

مسلم

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .

ولد سنة أربع ومائتين ، وتوفي لأربع بقين من شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين
اشترط في صحيحه أن يكون الراوى معاصراً لمن يروى عنه ، ولم يشترط السماع .
وصحيحه يلى صحيح البخارى فى علو الرتبة ، ورفع الدرجة ، ويرى بعضهم أنه أعلى رتبة ،
وأرفع درجة من صحيح البخارى .

قال الإمام النووى فى مقدمة شرح صحيح مسلم : وقد انفرد مسلم - أى عن البخارى -
بفائدة حسنة ، وهى كونه أسهل متناولاً من حيث أنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً
يليق به ، جمع فيه طرقه ، فيسهل على الطالب النظر فى وجوهه ؛ بخلاف البخارى ، فإنه
يذكر تلك الوجوه المختلفة فى أبواب متفرقة ، وكثير منها يذكره فى غير بابها الذى يتبادر
إلى الفهم لدقيقة يفهمها البخارى ، ومما قيل فى تفضيل صحيح مسلم أنه لم يكثر فيه من
التعليق ، كما فعل البخارى الذى جمع فى صحيحه بين الفقه والحديث ، وكان هذا العمل نفسه
سبباً لتفضيله على مسلم عند آخرين .

وصحيح مسلم أربعة آلاف حديث أيضاً ، وبالمكرر ثمانية آلاف .

وبالجملة كان لصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، المنزلة العالية عند جمهور العلماء والفقهاء
والأصوليين ، والنحويين ، والمتكلمين وغيرهم - وهم أهل الحذق والفهم فى هذه الفنون
والعلوم ، دراية ورواية ، ومتناً وسنداً - وكان لهما تلك المنزلة ، وذلك الاحترام ، لأنهما
اشترطا أن لا يوردا فى جامعيهما إلا الصحيح الذى لا يستطيع أحد من أقرانهما أن يقدح فى
صحته ، وقد وفيا بشرطيهما ، فكانا هما العمدة والصحيح والموثوق بهما ، إلا أن أهل الاتقان
والحذق والفوص على أمرار الحديث قالوا : إن كتاب البخارى أحصهما صحيحاً ، وأكثرهما
فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخارى ، ويعترف
له بأنه ليس له نظير فى علم الحديث ، وهو يشارك البخارى فى كثير من شيوخه :

فإذا علمت أنهما انتقيا صحيحيهما هذين ، من بين مئات الآلاف من الأحاديث التى

جمعاهما لأنهما التزما أن لا ينقلا من الأسانيد إلا ما كان مجمعا على ثقة نقلتها إلى الصحابي المشهور ، وبشرط أن يروى الحديث عن الصحابي راويان على الأقل ، وأن يروى عن كل راو راويان حتى يتصل إلى شيوخهما ، إذا علمت ذلك ، أدركت السبب في تقديمهما واحترامهما ، وتلقيهما بالقبول ، ووضعهما في المنزلة الثانية بعد كتاب الله تعالى .

أبو داود

هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني .

ولد سنة اثنتين ومائتين - وتوفي بالبصرة يوم الجمعة في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين .

وهو صاحب كتاب السنن ، جمع فيه الصحيح والحسن واللين الصالح للعمل ، ولم يذكر فيه حديثا أجمع الناس على تركه ، وما كان منه ضعيفا صرح بضعفه . وتنقسم أحاديث سننه إلى ثلاثة أقسام .

١ - القسم الأول : الصحيح المخرّج في الصحيحين .

٢ - القسم الثاني : صحيح على شرطه ، وهي أحاديث أقوام لم يجمع على تركها ، وإسنادها متصل من غير وقف ولا إرسال .

٣ - القسم الثالث : أحاديث أخرجها من غير قطع منه بصحتها ، وقد أبان علتها ، وإنما أودع هذا القسم في كتابه لرواية قوم لها ، واحتجاجهم بها ، فما أوردها ، وبين ضعفها إلا لتزول الشبهة ، ولأنها عنده أقوى من آراء الرجال .

ومكانة كتاب سنن أبي داود بعد الصحيحين عند جمهور العلماء والفقهاء ، وعنى بها كثير منهم ، وقد اختصره الحافظ المنذرى وشرحه أبو سليمان الخطابي ، وكتب الإمام ابن القيم تهذيباً على مختصر المنذرى . وقد جمع فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة الحمديدية هذه الكتب الثلاثة - مختصر المنذرى ، وشرح الخطابي ،

وتهذيب ابن القيم - في كتاب واحد ، رتبه ورقم أحاديثه وعلق عليها - وأخرجه في ثمانية أجزاء ، في غاية من الجودة والإتقان .

النسائي

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار الخراساني النسائي ، ولد سنة خمس عشرة - وقيل خمس وعشرين - ومائتين وتوفي بمكة في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة .

وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه ، وكتابه الرابع بين كتب السنة الستة التي حازت القبول ، وتداولها فقهاء الأمصار ، وعليها المدار في الاستدلال واستنباط الأحكام . وينقسم كتابه إلى نفس الأقسام الثلاثة التي مر ذكرها في سنن أبي داود . ويقدمه بعضهم على سنن أبي داود من جهة التصنيف ، وإن كان الإجماع على خلاف ذلك . ولم يتعرض العلماء لشرحه أو التعليق عليه إلا القليل .

الترمذي

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الضرير الترمذي . ولد سنة تسع ومائتين - توفي بترمذ ليلة الاثنين ثلاث عشر من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين .

وهو صاحب كتاب السنن ، وقد قسمه إلى نفس الأقسام الثلاثة التي في كتابي أبي داود والنسائي ، إلا أنه زاد عليهما في كتابه قسماً رابعاً ، أبان هو عن أحاديثه ، وهي الأحاديث التي عمل بها بعض الفقهاء ، وعلى هذا الأصل أخرج كل حديث احتج به محتج أو عمل به عامل ، سواء صح طريقه أو لم يصح ، وقد تكلم عن كل حديث بما فيه ، وإنما أورد هذه الأحاديث من باب الشواهد والمتابعات .

وكان لجامع الترمذي حظ وافر من اطلاع العلماء عليه ، والاعتناء بشرحه والتعليق عليه

ومما لوحظ أن الأجل حال بينه وبين من تصدى لشرحه الشرح الوافي الكافي فما تعرض منهم له أحد حتى تحفظته يد المنون قبل أن يتم شرحه أو التعليق عليه .

ابن ماجه

هو أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه الربيعي .

ولد سنة تسع ومائتين . وتوفي لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين .
وكتابه من السنن الأربعة الصحيح . وفي عده من الصحيح خلاف بين أئمة الحديث .
وهو في الجملة دون الكتب الخمسة المتقدمة في المرتبة ، ولم يُعَدَّ في السنن ، ويجعل سادساً
للخمس إلا عند المتأخرين .

وسبب نزول مقام كتابه عن مقام سنن أبي داود والنسائي والترمذي أنه خرج عن
رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث . وروى فيه أحاديث لا تعرف إلا من جهة
هؤلاء .

ولم يعتن العلماء بشرحه اعتناءهم بالصحيحين والسنن الثلاثة لأن ما انفرد به لا يخلو
من خدش غالباً .

سليمان بن سعيد محمد

حاشية :- سنتبع هذه التراجم ، بتراجم مختصرة لبقية أئمة الحديث ، وأئمة المذاهب ، إن
شاء الله .

(بقية الإفتاحية)

ونرجو أن لا يأتى مثل هذا اليوم من العام القادم ، إلا وقد مَنَّ الله على العرب والمسلمين
بالانحداد في دولة عربية إسلامية واحدة . دستورها القرآن ، وإمامها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وشعارها لا إله إلا الله . نحت زعامة قوية تجدد لهذه الأمة أمر دينها ، فتنبؤوا المكانة
المرموقة بين الدول ، بل تكون قدوة لجميع الأمم في المجال الإنساني الكريم .

اللهم حقق لنا ذلك ، إنك على كل شيء قدير . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد
وآله أجمعين .

تعليقات

- ١ -

كثرت في هذه الأيام أخذ أحاديث صحفية من بعض السادة العلماء ، ونشرها بـسناوين مثيرة ملفتة للأنظار ، وحشوها بكثير من الغمز واللمز ، مما يقطع أن هؤلاء الصحفيين إنما يريدون السخرية من الدين وحملته .

من ذلك ما نشر بالعدد الصادر بتاريخ ١٦/٦/١٩٥٨ من مجلة روز اليوسف وفيه يتحدث عالم وصفوه بأنه إمام أهل السنة بالمغرب عن التمثيل والموسيقى ، وأم كلثوم وعبد الوهاب ، ويوسف وهبي وعبد الحليم جافظ ، ويأامه القمر على الباب ، والشيخ جمال الدين الأفغاني - الذي وصفه الشيخ أو الناشر لا أدري - أنه جمال الطين ، وعن الشيخ محمد عبده - وقد وصفه أيضاً سامحه الله بأنه فاتح باب الضلال . وقد نشر الحديث في صفحتين من المجلة مع الصور الكريكاتيرية المناسبة للمقام في خلط وتشويه عجيب . فبينما نجلده يتكلم عن الصلاة في النعال ، إذا به يقفز إلى أنه يود لو تذاع « يامه القمر على الباب » أربع مرات كل يوم . ومن ذلك ما نشر بالعدد الصادر في ٢٠/٦/١٩٥٨ من جريدة الأخبار عن موضوعة الشوال ، ورأى عالم من كبار العلماء فيها . ووصفه لمن يسمح لزوجته أو بنته بارتداء الشوال ، بأنه كافر ، وامل فضيلته لا يعلم أن كلمة كافر لم تعد تفزع أحداً من هؤلاء ، وأنها فقدت مدلولها عندهم ، بل لعلهم يحبون أن يوصفوا بها . لأنها وأخواتها : ملحد ، فاسق ، إباحي وغيرها ، أصبحت ترادف عندهم متمدين ، متحضر ، مثقف ، وباليات فضيلته وصفهم بالديانة وما شابهها من الألفاظ التي قد توظف فيهم المذكورة التي تحافظ وتغار على أئناها .

لا أريد بهذه الكلمة أن ينصرف العلماء من واقع الناس وحياتهم إلى صوامع وكهوف وبروج عاجية ، بل أدعوم إلى المزيد من مخالطة الناس ومعالجة أمراضهم الخلقية والاجتماعية وانحرافهم عن دين الله وصراطه المستقيم . ولكن في حذر وبقظة حتى لا يكونوا سبباً في الهزء والسخرية بالدين ورجاله . يمكنهم أن يعطوا للصحف والمجلات أحاديث مكتوبة ،

ويحظروا عليهم زيادة كلمة أو نقص كلمة منها ، ويمكنهم غير ذلك حتى يضمنوا وصول إرشادهم ووعظهم إلى الناس كما أرادوا من غير تشويه ومسح يؤدي إلى عكس ما أرادوا .

— ٢ —

روى الأستاذ محمد زكي عبد القادر في (نحو النور) بجريدة الأخبار يوم ١٩٥٨/٦/٢٤ عن السيد مدحت أحمد ، أنه صلى الجمعة في مسجد سوق التوفيقية ، وأن الخطيب استمر في الخطبة أربعين دقيقة حتى فاتته القطار . وأن في مسجد الرقاعي إماماً لا تقل مدة خطبته عن ساعة ، وأن في الأزهر خطيباً أمهم وظل يخطب أربعين دقيقة . ثم أخذ السيد مدحت يرغى ويزبد ويشور ويستعدى وزارة الأوقاف على هؤلاء الخطباء . ويقول أنه يعرف نفرأ من المسلمين آثروا عدم التردد على المساجد يوم الجمعة حرصاً على وقتهم وحتى لا تتعطل أعمالهم .

أربعون دقيقة : كاملة ضيعها السيد مدحت هباء من وقته الثمين في الإصغاء إلى خطيب يتكلم في الدين . أربعون دقيقة تضيع كل أسبوع ، إنها لإحدى الكبر . إنه لأعلم من خطباء المساجد جميعاً ، إنه لا يذهب إلى المساجد يوم الجمعة إلا لأنه اعتاد على ذلك . أما أنه يذهب ليسمع علماً ، ويزداد معرفة بدينه ، ويسمع وعظاً يذكره بما نسى ، وينبهه لما غفل عنه فذلك ما لم يخطر على باله .

إن بعض الناس يحلوه أن يتكلم في الدين كما يتكلم عن أى شيء آخر ، من غير تثبت ولا إطلاع ، ولا يدري هؤلاء المساكين أن الدين قد أنزله رب السموات والأرض الذي بيده ملكوت كل شيء ، وأنه لا عمل فيه لنبي ولا إمام ولا أحد أبداً إلا التبليغ عن الله رب العالمين . فهل يستدرك هؤلاء على الله الذي أنزل في كتابه (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) فما هي تلك الأعمال والمواعيد وشئون الرزق التي يتشوق بها هؤلاء . نعوذ بالله من مرض القلوب .

ماذا يستفيد مثل السيد مدحت هذا من الصلاة أو الخطبة التي يسمعها وهو جالس على

أحر من الجمر : ضجرأ ، سئما ، متبرماً يكاد ينشق غيظاً ، يتطلع إلى ساعته في كل دقيقة مرتين . إنه لم يستفد منها شيئاً بل خرج بذنب عوقب عليه - كما ذكر في كلمته - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

بالله عليك ياسيد مدحت ألم يحدث أنك جلست ثلاث ساعات كاملة أمام شاشة السينما وأنت مسرور مبتهج بما ترى من الإنم والفجور ؟ ألم يحدث أنك جلست أمام المذياع ساعات تسمع إلى رواية من تلك الروايات التافهة التي تذاع ، محاولاً أن يسود حولك السكون لاحتى لاتفوتك كلمة ؟ ألم يحدث أنك جلست على قهوة لعبت فيها (عشرين طاولة) استغرقت منك ساعة أو أكثر في لهو وباطل ؟ ألم يحدث أنك جلست في الطريق تحمق في المارة ساعات وساعات تُكتب عليك مع كل نظرة وزراً تحاسب عليه يوم القيامة (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) .

لماذا لا يشتكى النصارى ولا اليهود من طول المواعظ التي يسمعونها في كنائسهم وبيوتهم يوم الأحد والسبت ، مع أنهم يقضون الساعات الطويلة يصغون إلى كلام قد لا يكون معقولاً ولا مفهوماً عند كثير منهم ، ولكنه احترام الدين ، والإبقاء على وازعه في القلوب ، والضمائر . إذ بدون ذلك يكون الناس وحوشاً ضارية .

إن على من ينشر مثل هذا الطعن في الدين ويعلق ويحبذه كفل من الوزر ، خصوصاً إذا كان ممن نعلم أنه من الفاهمين لدينهم من أمثال الأستاذ محمد زكي عبد القادر . لقد تعود المسلمون منذ الفجر الأول للإسلام إلى وقتنا هذا أن يتفرغوا للصلاة والعبادة يوم الجمعة ، وأن يذهبوا إلى المساجد مبكرين ، وأن ينصتوا إلى المواعظ ، وأن يصغوا إلى الإرشاد ، وأن يتعرفوا إلى شئون إخوانهم المسلمين ، وأن يتعاونوا معهم على البر والتقوى ، وكيف يتأتى ذلك لمن يريد الصلاة وهو يجرى .

وكثيراً ما نسمع عن التخفيف ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالتخفيف ، فما هو حد هذا التخفيف ؟ إنها مسألة نسبية ، فنصف الساعة أخف من ساعة ، والساعة أخف من

الساعتين ، ذلك أمر لا يحتاج إلى إيضاح ، فليترك كل إمام وتقديره ، وأهمية الموضوع الذى يعالجه .

(٣)

صدرت فى الآونة الأخيرة مجلة تزعم أنها ستعمل على تنظيف التصوف من الخرافات والحزبيلات والشعوذة والبدع ، ولا أدري ماذا يبقى فى التصوف بعد ذلك ؟ ثم هى بعد ذلك كلمات متناقضة متخبطة ، ينقض كل كاتب كلام الكاتب الذى قبله ، بل يتناقض مع نفسه بين فقرة وأخرى ، وهكذا الباطل وأهله .

لقد اطلعت على العدد الثانى منها فلم أجدها فيها ما يستحق القراءة ، فكلمها أباطيل سودت بها صفحات ممن تغذوا بمفتريات سلفهم ، وأنا على يقين من أنهم - مهما أعطوا أنفسهم من ألقاب - لا يدرون عما يقولون شيئاً ، وإن هى إلا تمويه ودجل ، وما صدرت هذه المجلة إلا لتعميد الطلاء على وجه التصوف الباهت بطلاء قد يجذب بعض البسطاء والسذج عنهم يحبون موات طرفهم . وإن ربك لبالمرصاد . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ^(١) .

(٤)

أفتى فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الأزهر - لمندوب الإذاعة بأن الأرباح التى يأخذها المتعاملون مع صندوق التوفير بالبريد حلال ، ولا يمكن اعتبارها ربا . فأصدر فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن راشد رئيس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بمحرم بك - الأسكندرية رسالة فى أكثر من عشرين صفحة من القطع الكبير ، أورد فيها نص فتوى الشيخ شلتوت ، ثم رده عليها ، ثم بيان ربا الذبيحة ، وربا الفضل ، والحكم فى بدلى الذهب والفضة من البنوك والعملات الأخرى ، والحكم فى الأموال المودعة بالبنوك وصناديق التوفير ، وما يجب على من ابتلى بأكل الربا ، ثم أورد فصلاً فى فساد حجة من رد أحاديث الآحاد .

والرسالة مكتوبة بأسلوب مقنع وأدلة واضحة ، وهى تطلب من الأستاذ المؤلف وعنوانه : ٤٣ شارع المعز - محرم بك - أسكندرية ونمن الرسالة ثلاثة قروش .

(١) للأستاذ عبد الرحمن الوكيل كلمة قبة عن مجلة التصوف بهذا العدد .

طرائف

(١)

كانت للفضيل بن عياض، ابنة صغيرة، فوجع كفها . فسألها يوماً وقال : يا بنية ما حال كفك ؟ قالت : يا أبت بخير ، والله لأن كان الله تعالى ابتلى منى قليلاً ، فلقد عافى منى كثيراً ابتلى كفى ، وعافى سائر بدنى ، فله الحمد على ذلك . فقال : يا بنية أرني كفك ، فأرته ، فقبلها . فقالت : يا أبت ، أناشدك الله ، هل تجبني ؟ قال : اللهم نعم فقالت : سوءة لك من الله ، والله ما ظننت أنك تحب مع الله سواء . فصاح الفضيل وقال : يا سيدى ، صية صغيرة تعاتبني في حبي لنفرك ، وعزتك وجلالك لا أحببت معك سواك .

(٢)

حكى الشعبي ، قال : أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم ، فلما وصلت إليه، جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبت . وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده ، فحبسني أياماً كثيرة ، حتى استحثت خروجي . فلما أردت الإنصراف ، قال لى : من أهل بيت المملكة أنت ؟ فقلت : لا ، ولسكنى رجل من العرب في الجملة ، فدفن إلى برقة ، وقال لي إذا أدبت الرسائل إلى صاحبك ، فأوصل إليه هذه الرقعة . قال الشعبي : فأدبت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك ، وأنسيت الرقعة ، فلما صرت في بعض الدار ، أريد الخروج ، تذكرتها فرجعت ، فأوصلتها إليه . فلما قرأها ، قال لى : أقال لك شيئاً قبل أن يدهمها إليك ؟ قلت : نعم . قال لى من أهل بيت المملكة أنت ؟ قلت لا ، ولسكنى من العرب في الجملة . ثم خرجت من عند عبد الملك ، فلما بلغت الباب ، رددت . فلما مثلت بين يديه ، قال لى : أتدرى ما في الرقعة ؟ قلت ، لا . قال : اقرأها ، فقرأتها ، فإذا فيها « عجبت من قوم فيهم مثل هذا . كيف ملّكوا غيره ؟ » فقلت له : والله لو علمت ما فيها ما حتمتها ، وإنما قال هذا لأنه لم يرك . قال : أتدرى لم كتبها ؟ قلت : لا ، قال حمدنى عليك ، وأراد أن يغرينى بقتلك . قال الشعبي : فبلغ ذلك ملك الروم ، فقال : ما أردت إلا ما قال .

(٣)

روى الأوزاعي أنه أدخل على عبد الله بن بعل عم السفاح - وكان قد قدم الشام وقتل خلقاً كثيراً من بني أمية - فسأله فقال : أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير . قال : ماتقول في دماء بني أمية ؟ قلت : قد كان بينك وبينهم عهد ، وكان ينبغي أن يوفوا بها . قال : ويحك اجعلني وإياهم لا عهد بيننا . فأجهشت نفسي ، وكرهت القتل ، فذكرت مقامى بين يدي الله تعالى ، فلنظتها ، فقلت : دماؤهم عليك حرام فغضب ، وانتفضت أوداجه ، واحمرت عيناه . فقال لي : ويحك ، لم ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : ثيب زان ، ونفس بنفس وتارك لدينه » قال : ويحك ، أو ليس الأمر لنا ديانة ؟ قلت : كيف ذلك ؟ قال : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى لعلى ؟ قلت : لو أوصى إليه ، لما حكمكم الحكمين ، فسكت .

(٤)

يحكى أن الرشيد قال يوماً للفضيل : ما أزهدك ! فقال له الفضيل : أنت أزهد مني . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني أزهد في الدنيا ، وأنت تزهد في الآخرة ، والدنيا فانية ، والآخرة باقية .

(٥)

مدح الكرم وزم البخل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اصطناع للعروف بقي مصارع سوء . وقال عليه الصلاة والسلام : إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق ويبغض سفاهاً . وقال أكرم بن صيني حكيم العرب : ذللوا أخلاقكم للمطالب ، وقودوها إلى الحماد ،

وعلموها للكارم ، ولا تقيموا على خلق تَذْمُونَهُ من غيركم ، وصَلُّوا من رَغْبِ إِلَيْكُمْ ،
وتَحَلَّوا بالجود يكسبكم المحبة ، ولا تمتدوا بالبخل ، فتعجلوا الفقر .

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسه ويحذره
الفقر ، فردَّ عليه : (الشیطانُ يَعدُّكم الفقرَ ويأمرکم بالفحشاء والله يَعدُّكم مغفرةً منه وفضلاً)
وإني أكره أن أترك أمراً قد وقع لأمرٍ لعله لا يقع .

وقال أبو ذر : إن لك في مالك شريكين : الحَدَثَانِ ، والوارث ، فإن استطعت أن
لا تكون أبخسَ الشركاء حظاً فافعل .

وقال بزُرْجَمَرُ الفارسی : إذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فإنها لا تنفني ، وإذا
أدبرت عنك فانفق منها ، فإنها لا تبقى .

أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَاً وَهِيَ مُقِيلَةٌ فَلَيْسَ يَنْتَمِصُهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ
وإِنْ تَوَلَّيْتُ فَأَخْرَى أَنْ نَجُودَ بِهَا فَالْحَدُّ مِنْهَا إِذَا مَا أَدْبَرْتَ خَلْفُ

وقال عبد الله بن عباس : سادات الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء .

وقال زياد : كفى بالبخل عاراً أن اسمه لم يقع في حمد قط ، وكفى بالجود مجداً أن اسمه
لم يقع في ذم قط .

قال الشاعر :

إن الحيلة مزارعٌ	فأزرعُ بها ما شئتُ نمحصد
والناس لا يبقى سوى	آثارهم والعين تنفقد
أو ما سمعت بمن مضى	هذا يذم وذاك يحمّد

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات الممتازة في الصناعة والمثانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عطاء صالح

٨ شارع قوله بعبدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المثانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

الثن ٢٠ ملجا

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

٧٩.١٧ ٥

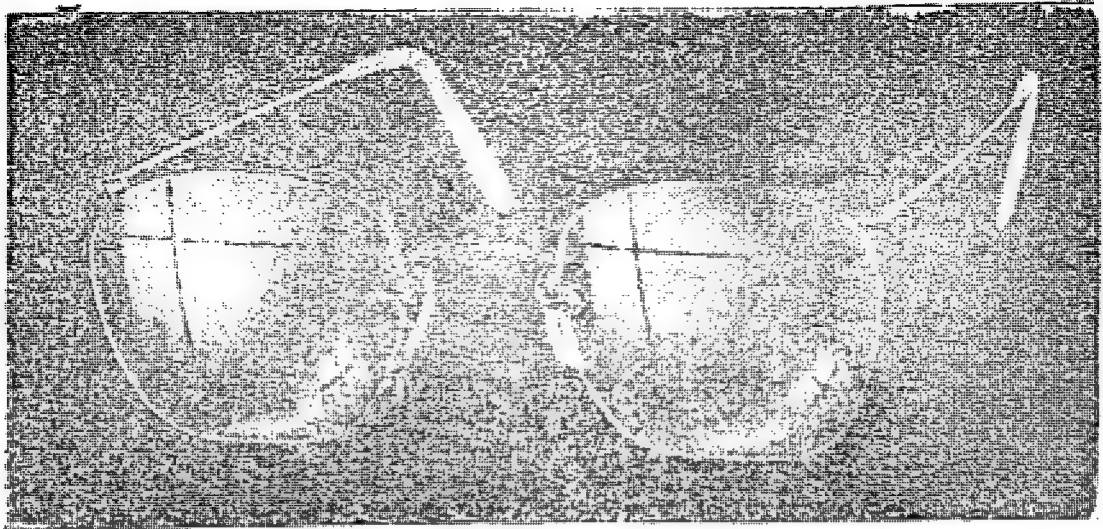
في أي مكان تجده يتألق وينزهو



آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكريسي النموزجي
انشاج، حسن علي حقاد

إنه الكريسي النموزجي

في المثانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
مويليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل :
مس علي محمد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندي سجل تجاري ٤١١٠١



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي


أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ ب ميدان القبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شباير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع



المَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة	
٣	تفسير القرآن الحكيم لفضيلة رئيس التحرير
١٣	مقام إبراهيم للشيخ عبد الرحمن بن يحيى الطلي.
٢٤	كذب واقتراء لفضيلة الشيخ أبي الوفاء درويش .
٢٩	نظرات في مجلة التصوف (٢) للأستاذ عبد الرحمن الوكيل
٣٤	خطبة منبرية للأستاذ سليمان رشاد محمد
٤٢	تراجم مختصرة لأئمة الحديث للأستاذ سليمان رشاد محمد
٤٧	تعليقات

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين لإرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترجو السادة المتعهدين لإرسال مابعدتهم . ولهم جميعاً الشكر .

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات الممتازة التي تحظى برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان
لمئاتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتي

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل في الدفع على أقساط شهرية
استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالمجلة والقطاعي

المهدي النبوي

مدير الإدارة
محمد رسدي خليل
الاشتراك السنوي

٢٠ - في مصر والسودان
٣٠ - في الخارج

رئيس التحرير
محمد حامد الفقي
الإدارة :
٨ شارع قوله
بهايدن بمصر
ت ٧٦٥٧٦

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

العدد ٢

صفر سنة ١٣٧٨

المجلد ٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ٢ ، ٣) وآتينا موسى الكتاب . وجعلناه هدى لبني إسرائيل : ألا تتخذوا من دوني وكيلا . ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ . إنه كان عبداً شكوراً) .

« موسى » هو ابن عمران، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . وينطقه اليهود « موسى » بالشين . وهو مركب من كلمتين عبريتين « مو » بمعنى الماء . و « شا » بمعنى الشجر . يعنون الذي وجد بين الماء والشجر .

و « الكتاب » المراد منه هنا : التوراة . وأصل « الكتّاب » عند العرب : ضم أديم إلى أديم بالخياطة . يقال : كتبت السقاء ، إذا جمعت طرفي الجلد بالخياطة . فسمى العرب - من ذلك - المضموم من الحروف والكلمات إلى بعضها بالخط ، أو باللفظ ، ليؤدى معنى مقصوداً : كتاباً . وسماه الله أيضاً فرقاناً ، قال سبحانه (٢١ : ٤٨) ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين) .

و « الكتاب » في الأصل مصدر . ثم سمي المكتوب فيه كتاباً ، وهو اسم للصحيفة مع المكتوب فيها من كلام .

و « جعل » الجَمَل : تصيير الشيء على حالة يوجد منه بها المقصود من هذا الجمل . فالله قد صيّر التوراة - بما فيها من العلوم والحقائق والشرائع والإرشاد والبيان لما يصلح بني إسرائيل وينقذهم من شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم ، وينير لهم طريق الحياة القويم ،

في العقائد والأعمال والأخلاق . ويعرفهم بربهم معرفة صادقة ، خالصة من تقاليد جهالات وظلمات أوهام وخرافات ووثنيات الصوفية . فلا يتخذون من دونه ولياً ونصيراً ، ولا حفيظاً ولا وكيلاً ولا وسيطاً ولا شفيعاً .

وإنما يتم ذلك ويحصل لمن يتلو الكتاب حق تلاوته ، ويفهمه حق فهمه ، ولا يكون مثل الحمار يحمل أسفاراً لا يعقلها ، ولا يفهم منها معنى ، فهذا المتدبر المتفقه هو الذي يعرف من فهمه للكتاب ربه منزل الكتاب بأسمائه وصفاته .

صير الله التوراة - بهذا كله وبغيره من الذكرى والعبر - ليهدي الله بنى إسرائيل ، وينير لهم طريق الحياة الآمنة الطيبة ، فيعرفوا نعم الله عليهم ويقدروها قدرها ، ويشكروها بوضعها مواضعها ، ويركبهما ما استفادوا من الهدى والعلم ، ويطهرهم من الجاهلية وتقليد الآباء ، واتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً ، فترق قلوبهم القاسية وتلين ، فتتأثر بالعظات والعبر ، وتذوق سعادة التراحم والشفقة بأنفسهم وبغيرهم ، فيكونوا من الحسنين ، ويعرفوا لكل ذى حق حقه . فيعطوا الرب حقه من العبادة بجميع أنواعها . ويعطوا العبد حقه الملازم للعبودية والمناسب لها فلا يتخذوا عبداً - حياً ولا ميتاً - من دون الله وكيلاً ولا ولياً ولا حفيظاً ولا نصيراً .

و « الاتخاذ » افتعال من الأخذ . والأخذ هنا معناه الاختيار والتخصيص وقد مجرى مجرى الجعل .

و « الوكيل » فعيل بمعنى مفعول ، يعنى مُوَكَّل . وهو من تعتمد عليه وتُسند إليه القيام بأمرك . وتختاره نائباً عنك في الحصول على ما تريد ، أو صيانتك وحفظه ، لأنه يعجزك ويعيبك القيام به على وجهه الأكمل . مفتقداً أنه قادر على القيام به خير قيام ترجوه .

وذلك يقتضى - ولا بد - أن يعتقد الموكل عند الوكيل علماً تاماً بهذا الأمر من جميع جوانبه ، وقدرة تامة على تحصيل هذا الأمر تحصيلاً كاملاً ، ودفع كل ما يعترضه من صعاب وتذليل كل ما يقوم في طريقه من عقبات ، حاضرة ومستقبلية . مشهودة أو غائبة . وكفايته في حفظه وصيانتك ، والقيام عليه .

ومن ذلك كان من معانى كلمة « وكيل » عبد العرب : الحفيظ ، والقيم ، والمدير ، والولي ، والناصر ، والمدافع . ويوضح هذا اتخاذ الجاهليين - من قديم الدهور وإلى اليوم - أولياءهم من موتى القبور المقدسين ، وكلاء في قضاء الحاجات ، وشفاء المرضى ، ورد الغائب والانتقام من الأعداء ، وغير ذلك مما يستغيثون بهم فيه . واذهب إلى أى قبر من القبور المقدسة المؤهلة ، تسمع ذلك صريحاً . أو اقرأ أى كتاب طبقات الأولياء نجد فيه : أن الولاية - عند أولئك الجاهليين - لا تتمحق إلا بأن يكون الميت متصرفاً في الأرزاق والآجال ، والخفض والرفع ، والعطاء والمنع ، والقهر والتحكم . واقرأ الطبقات الكبرى للشعراني .

و « ذرية » منصوب على النداء . أى يا ذرية من حملنا مع نوح ، أو منصوباً على البذل من « وكلاء » أو على التخصيص ، بتقدير « أعني » .

و « الذرية » النسل ، وهو مأخوذ من الذرة ، وهى أصغر شيء وأدق . وسمى النسل « ذرية » لأن الحيوان المنوى من الذكر وبويضة المرأة ، صغيران جداً جداً ، لا تمكن رؤيتهما إلا بالمنظار الذى يكبر المرئى به آلاف الأضعاف .

و « عبد » هو الذى حقق معنى العبودية بتام الذل والخضوع والإسلام الصادق لرب العالمين ومر بيهم جميعاً بنعمه وفضله وآياته وإحسانه . لأنه عرف الربوبية معرفة صادقة ، من تفكره وتأمله فى مظاهر ومجالى أسماء الرب وصفاته ، وآثارها فى الأنفس وفى الآفاق . ولا يتحقق له ذلك العلم وتلك المعرفة إلا بصبره ، ووقوفه - بكل يقظة وتنبه ، وب عقل وتفكير - مع كل نعمة وآية ، يتأملها من جميع زواياها ، فيعرفها ويعرف بها نفسه الفقيرة العاجزة التى يلازمها الفقر الذاتى والحاجة ، حتى يغنيها ويعطيها ما تحتاجه الرب البر الرحيم . فيثمر ذلك الصبر : التقدير للرب ونعمه ، والعبد وما يلزمه من الشكر المتواصل .

و « شكور » فعول ، صيغة ، بالغة من الشكر ، يعنى كثير الشكر وعظيمه . لأنه شكر بعلم ومعرفة ، وهو شكر متصل وتقدير متصل لكل نعمة فى كل حركة وسكنة ، كل واحدة منه مرتبطة بأختها حتى كان الشكر سلسلة متصلة الحلقات فكان شكراً بليغاً .

و « الشكر » ضد « الكفر » الذى هو العمى عن سنن الله وآياته وآثار تجلى أسمائه

وصفاته ، وغمط النعمة التي تفضل بها الرب في الإنسانية الكريمة العاقلة المفكرة المميزه ، فيخسر الكافر الظالم نفسه ، ويحقر ويهون ويرتد إلى أسفل سافلين في ظلمات جاهليته الحقيرة المهيئة .

وعلى ذلك : فالشكر معرفة النعمة بخصائصها ومزاياها وصفاتها ، ووقتها وكيفية الانتفاع بها ، ثم تقديرها قدرها . ثم حين الأخذ لها والانتفاع بها على الوجه الجامع لخصائصها وصفاتها ووقتها وكيفيةها .

والعرب تقول : « ناقة شِكرَة » إذا كانت صحيحة الجسم نشيطة ، تسعى بنفسها إلى المرعى الخصب فترعاه . فتظهر أثارة لك سمنا وقوة وامتلاء ضرعها باللبن .

* * *

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره : سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا ، وآتى موسى الكتاب ، ورد الكلام إلى « وآتيناه » وقد ابتدأه بقوله « أسرى » لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب في نظائر ذلك : من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب ، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباه ذلك . وعنى : « الكتاب » الذي أوتى موسى : التوراة . « وجعلناه هدى لبني إسرائيل » يقول : وجعلنا الكتاب - الذي هو التوراة - بيانا للحق ، ودليلا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم ، وأمرهم به ، ونهاهم عنه . وقوله « ألا تتخذوا من دوني وكيلا » اختلفت القراء في قراءة ذلك . فقرأته عامة قراء المدينة والكووفة « ألا تتخذوا » بالناء . بمعنى : وآتيناه موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يا بني إسرائيل من دوني وكيلا .

وقرأ ذلك بعض قراء البصرة « ألا يتخذوا » بالياء ، على الخبر عن بني إسرائيل . بمعنى : وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا يتخذ بنو إسرائيل من دوني وكيلا . وهما قراءتان صحيحتا المعنى ، متفقتان ، غير مختلفتين . فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب . غير أني أوتر القراءة بالناء . لأنها أشهر في القراءة ، وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء

ومعنى الكلام : وآتيناه موسى الكتاب هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا حفيظاً لكم

سواى . وكان مجاهد يقول : معناه - فى هذا الموضع - الشريك . وكان مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئاً سوى الله مقامه : تشريكاً منه له ، وتوكيلاً للذى أقامه مقام الله . اهـ .

وقال أبو حيان : ولما ذكر الله تعالى تشریف الرسول صلى الله عليه وسلم بالإسراء ، وإراءته الآيات . ذكر لشريف موسى بإبنتائه التوراة . و « آتينا » معطوف على الجملة السابقة ، من تنزيه الله تعالى ، وبرأته من سوء - إلى أن قال - و « لا » نهى و « أن » تكون مصدرية تعليل ، أى لأن لا يتخذوا .

وقرأ ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبو رجاء وأبو عمرو - من السبعة - « يتخذوا » بالياء ، على الغيبة . و باقى السبعة بناء الخطاب .

و « الوكيل » فعيل من التوكل . أى متوكلاً عليه .

وقال الزمخشري : ربا تكلون إليه أموركم .

وقال ابن جرير : حفيظا لكم سواى .

وقال أبو الفرج ابن الجوزى : قيل للرب « وكيل » لكفايته وقيامه بشئون عباده .

لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط منزلة الوكيل . اهـ كلام أبى حيان .

وفى الدر المنثور : أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله « آتينا موسى

الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل » قال : جعله الله لهم هدى يخرجهم به من الظلمات إلى النور . وجعله رحمة لهم .

وأخرج ابن أبى شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد - فى قوله

« ألا تتخذوا من دونى وكيلاً » - قال : شريكاً . اهـ كلام الدر .

وقال ابن جرير - فى قوله تعالى « ذرية من حملنا مع نوح . إنه كان عبداً شكوراً »

يقول - تعالى ذكره - سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وآتينا موسى الكتاب هدى لبني إسرائيل ، ذرية من حملنا مع نوح . وعنى بالذرية : جميع

من احتج - الله جل ثناؤه - عليه لهذا القرآن من أجناس الأمم ، عربهم وعجمهم ، من بني إسرائيل وغيرهم . وذلك : أن كل من على الأرض فهم من ذرية من خلقه الله مع نوح في السفينة .

ثم ساق بسنده عن قتادة « ذرية من حملنا مع نوح » والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة . وذكر لنا : أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له وامرأته ، وثلاث نسوة . وهم : سام ، وحام ، ويافث . فأما سام : فأبو العرب . وأما حام : فأبو الحبش . وأما يافث : فأبو الروم .

ثم ساق ابن جرير - بسنده إلى مجاهد - قال : بنوه ونساؤهم ونوح . ولم تكن معه امرأته ، وقال : هو الصواب ^(١) .

* * *

وقال أبو حيان : وانتصب « ذرية » على النداء ، أى يا ذرية . أو على البذل من « وكيلاً » أو على المفعول الثانى ليتخذوا . و « وكيلاً » فى معنى الجمع . أى لا تتخذوا وكلاء ذرية ، أو على إضمار : أعنى ذرية .

وقرأت فرقة « ذرية » بالرفع . وخرّج على أن يكون بدلاً من الضمير فى « يتخذوا » على قراءة من قرأها بياء الغيبة - إلى أن قال - وذكر من حملنا مع نوح تنبيهاً على النعمة التى نجاهم بها من الفرق .

وقرأ زيد بن ثابت ، وأبان بن عثمان ، وزيد بن على ومجاهد - فى رواية - بكسر ذال « ذرية » . وقرأ مجاهد أيضاً بفتحها . وعن زيد بن ثابت « ذرية » بفتح الذال وتخفيف الراء وتشديد الياء على وزن فعليّة كطية اه .

* * *

وفى الدر المنثور « ذرية من حملنا مع نوح » أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله « ذرية من حملنا مع نوح » - قال : هو على النداء . يا ذرية من حملنا مع نوح .

(١) والقرآن صريح فى أنها وامرأة لوط كاتما كافرتين . فهلكتا مع الهالكين .

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن زيد الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذرية من حملنا مع نوح : ما كان من نوح إلا أربعة أولاد : حام وسام ويافث وكوش فذاك أربعة أولاد ، انتسبوا هذا الخلق » اهـ .

* * *

وقال ابن جرير : وقوله تعالى ذكره « إنه كان عبداً شكوراً » يعني بقوله « إنه » إن نوحاً ، والهاء من ذكر نوح ، كان عبداً شكوراً لله تعالى .

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي سماه الله من أجله شكوراً .

فقال بعضهم : سماه الله بذلك لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه - ثم ساق بسنده إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه - قال « كان نوح إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً حمد الله ، غسمى عبداً شكوراً » وعن سعيد بن مسعود الثقفي قال « ما لبس نوح جديداً قط ، ولا أكل طعاماً قط إلا حمد الله . فلذلك قال الله تعالى : عبداً شكوراً » وعن مجاهد قال : إنه لم يجدد ثوباً قط إلا حمد الله . ولم يبل ثوباً قط إلا حمد الله . وإذا شرب شربة حمد الله . قال : الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذة وصحة وعن عمران بن سليم قال « إنه كان إذا أكل الطعام قال : الحمد لله الذي أطعمني . ولو شاء لأجاعني . وإذا شرب قال : الحمد لله الذي سقاني . ولو شاء لأظمأني . وإذا لبس ثوباً قال : الحمد لله الذي كساني ، ولو شاء لأعزاني . وإذا لبس نعلاً قال : الحمد لله الذي حذاني ولو شاء لأحفاني . وإذا قضى حاجة قال : الحمد لله الذي أخرج عني أذاه ، ولو شاء حبسه » وبسنده عن ابن أبي مریم قال « إنه كان إذا خرج البراز منه قال : الحمد لله الذي سوغنيك طيباً ، وأخرج عني أذاك ، وأبقى منفعتك » وبسنده عن قتادة « أنه لم يستجد ثوباً قط إلا حمد الله . وكان يأمر إذا استجد الرجل ثوباً أن يقول : الحمد لله الذي كساني ما أنجمل به وأواري عورتي » . اهـ .

وقال أبو حيان : ونبه على الشكر لأنه يستلزم التوحيد . إذ النعم التي يجب الشكر عليها هي من عند الله تعالى . فكأنه قيل : كونوا موحدين ، شاكرين لنعم الله ، مقتدين بنوح الذي أنتم ذرية من حمل معه . اهـ .

* * *

وفي الدر المنثور - زيادة عما ذكر ابن جرير - وأخرج ابن مردويه عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنما سمي نوح عبداً شكوراً لأنه كان إذا أمسى وأصبح قال : سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون » .

وأخرج ابن أبي شيبة عن علي رضي الله عنه أنه قال « حق الطعام أن يقول العبد : بسم الله . اللهم بارك لنا فيما رزقتنا . وشكره أن يقول : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا » .
وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجه والطبراني - في الدعاء - عن حاتم عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه « أنه لبس ثوباً جديداً . فقال : الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى ، وأتجمل به في حياتى . ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من لبس ثوباً جديداً فقال : الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأتجمل به في حياتى . ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق ، فتصدق به : كان في كنف الله ، وفي حفظ الله ، وفي ستر الله حياً وميتاً . قالها ثلاثاً » . اهـ

* * *

أقول - مستمداً من الله العون والتوفيق والهدى فيما أقول :

إن الله الذي أكرم موسى - عليه السلام - بكلامه ، وأعطاه النوراة فيها هدى ونوره ، وفيها فرقان لبني إسرائيل ، ولمن أرسل موسى إليهم - من فرعون وقومه - أعطى عبده ورسوله محمداً خاتم رسله وصفوته من خلقه - صلى الله عليه وسلم - من الإكرام بالإسراء والمعراج . ليؤيده على عدوه ، ويطمئنه على أن العاقبة بالنصر والظفر له ولمن آمن به . والخليفة والخسران لعدوه . وأعطاه الكتاب العربي المبين هدى للناس وبيئات من الهدى والفرقان . والله الذي أرسل موسى لخير الناس وصلاح الناس وسعادتهم ، وليخرجهم من ظلمات الضلال والوثنية إلى نور الهدى واللم والحكمة والتوحيد، والإيمان الذي يُعزُّ به الله الإنسانية ويزيد في كراماتها وبسموها إلى أعلى الدرجات ، حتى لا يذل الإنسان الإنسان ، ولا يظأطأ الإنسان رأسه للإنسان ولا يستعبد الإنسان الإنسان . بل يعز بالذل لرب الإنسان ، ويرتفع بالتواضع واركوع والسجود ، والخوف والرجاء ، لرب العالمين وحده لا شريك له .

وإنما يسعد الإنسان بذلك حين يبدد عن قلبه ظلمات الجاهلية وتقاليدها بما يقتبس من نور بتدبر الكتاب والنقح في الكتاب ، بتلاوته حق تلاوته ، وإصغاء القلوب إليه في يقظة وشديد رغبة إلى التعرف إليه وجنى ثمراته الطيبة .

فنعندئذ يعلم أنه الحق المبين ، وأنه جاء بالحق ، ويعرف أن الحق لا يتبدل ولا يتحول . بأهواء الظانين ، وغفلة وغرور الغافلين المغرورين . فيعرف الله ربه ثمرة علمه بهذه الحقائق الكونية ويعرفه بأسمائه وصفاته وآياته ، ورحمته وغضبه ، وآثارها من الملاح والنعم والنور بسعادة الأولى والأخرى للذين آمنوا به إيماناً صادقاً ، متفهمين في كتابه ، متدبرين لآياته ، عاملين بها ، واقفين عندما أوقفهم ، متحررين الصدق ، مبتغين وجه ربهم ، مقتفين آثار رسولهم في يقظة تامة ، وعلم يملك عليهم كل حواسهم ومشاعرهم ، ومن ضد ذلك للذين يخالفون عن أمر ربهم ، فاختلفوا في الكتاب وخالفوا الكتاب ، إذ لم يتدبروا آياته ، ولم يفقهوا معانيه ، بل ولوا عنه مدبرين لأنهم يدينون دين التقليد الجاهلي لا دين الحق العلمي اليقيني . فباؤوا بسخط من الله وغضب ، وأحاطت بهم لعنته . وأذاقهم الله المذاب الأليم ، والأخرى في الدنيا والآخرة .

إن الله يعظنا ويحذرننا ماحل بمن سبقنا من الأمم الذين كفروا بالله وكتبه ورسله . نتيجة غفلتهم ، وغرورهم بدين الآباء والشيوخ ، وغرورهم بالتقليد الأعمى ، الذي خسروا به عقولهم وأفهامهم وأسماعهم وأبصارهم وأنفسهم .

فإن القرآن أبين من كتبهم بياناً . لأنه عرى مبين . أحكت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير . وأبسر فهماً من كتبهم ، وأقوى أسلوباً وأحلاه من كتبهم ، وقد ضمن الله حفظه ، وضمن الله تيسيره للمتذكرين والمتدبرين والمتفهمين .

فلئن كان غضب الله على بنى إسرائيل شديداً ، وقد ضرب لهم الحمار مثلاً ، وسلط عليهم من بسوءهم سوء المذاب ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة . لأنهم لم يقيموا النوراة : فقهاً وعقيدة وعملاً وحكماً وشرعاً - وقد نال النوراة ما نالها من التحريف والتبديل - فكيف بمن حفظ الله لهم الكتاب المبين كما أنزله . وأقسم لهم أنه يسره لكل متذكر ومتدبر ،

وحضهم على فهمه . فقال (فهل من مذكر ؟) عدة مرات . ووبخ أشد التوبيخ من أعرض
عن فهمه وفقهه ، واتخاذ الأسباب إلى العلم بمراد الله الذي يهdy به التي هي أقوم ،
ويشفي قلبه ونفسه ومجتمعه من كل ما يشكو من مرض هوى أو شهوة ، أو فسوق أو
عصيان . فقال ربنا سبحانه (٤٧ : ٢٤ أفلا يتدبرون القرآن ؟ أم على قلوب أقفالها ؟)

ولقد قص علينا ربنا أحسن القصص وأبلغه في القرآن ، لتدبر ونعتبر ونخاف وتبصر
ونحذر . فهذا قصص نوح عليه السلام ، وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يعانى
أشد البلاء وأقسى ما يمكن قومه من الأذى . ثم كانت الدافقة هلاكهم جميعاً ، ونجاته ومن
آمن معه في الملك المشحون ، وما آمن معه إلا قليل . ذلك لأنه كان عبداً شكوراً . فهذا
حبل النجاة من الهلكة ، وهذا سبيل العزة والمعادة والحياة الطيبة فهل من مستمسك ؟

وكذلك ما قص علينا ربنا سبحانه من قصص موسى عليه السلام مع عدوه فرعون
وآله . إذ نجى الله موسى وبنى إسرائيل وأغرق فرعون وآله أجمعين . ثم لما كفر بنو إسرائيل
وفسقوا وعصوا عن أمر الله لعنهم الله ، على لسان داود وعيسى بن مريم . وضرب عليهم
الصغار والذلة . وأذاقهم ألوان المذاب الأليم . وستحق عليهم إن شاء الله الكلمة ويزوقون
على أيدي المسلمين والعرب أشد ألوان الخزي والهلاك . ويظهر الله منهم أرض فلسطين ،
ويعيدهم في أطراف الأرض مشتتين صاغرين .

أسأل الله سبحانه أن يهدينا بهدى رسله ، ويجعل في قلوبنا من النور واليقظة ما يحملنا
على تحرى رسالة الله الحكيمة الرشيدة لاولئك المصطفين من عباده ، وعلى حسن التقدير
لهم ، وإخلاص حبهم ، والاقتداء بهم في العلم والعقيدة والعمل والشرائع والأحكام والآداب
والأحوال .

وصلى الله وسلم وبارك على خاتمهم إمام المهتدين محمد وعلى إخوانه من الأنبياء
والمرسلين وعلى آلهم أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

صمد المني

مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ

عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسلام

هل يجوز تأخيره عن موضعه عند الحاجة لتوسيع المطاف ؟

بقلم

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني

أمين مكتبة الحرم المكي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأنقذ كل شيء خلقاً وأمرأ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فهذه رسالة في شأن « مقام إبراهيم » وما الذي ينبغي أن يعمل به ، عند توسعة المطاف . حاولت فيها تنقيح الأدلة ودلالاتها على وجه التحقيق ، معتمداً على ما أرجوه من توفيق الله - تبارك اسمه - لي . وإن قلّ علمي ، وكَلَّ فهمي .

فما كان فيها من صواب فمن فضل الله عليّ وعلى الناس . وما كان فيها من خطأ فني . وأسأل الله التوفيق والمغفرة .

قال الله تبارك وتعالى - في سورة البقرة الآية ١٢٥ (وإذ جعلنا البيت مشابةً للناس وأئناً ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً ، وعهدنا إلى إبراهيم ، وإسماعيل أن طهرا بيّتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) .

وقال سبحانه وتعالى في سورة الحج ، الآية ٢٦ (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً . وطهراً بيّتي للطائفين والقائمين والركع السجود) .

جاء عن جماعة من السلف تفسير « التطهير » في الآيتين بالتطهير من الشرك والأوثان . وهذا من باب ذكر الأهم الذي يقتضيه السبب فإن إخلال المشركين بتطهير البيت كان بشركهم ، ونصبهم الأوثان عنده .

ولا ريب أن التطهير من ذلك هو الأهم . لكن « التطهير » المأمور به أعم .
أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد وسعيد بن جبیر قالا « من الأوثان والربيب ، وقول الزور والرجس » ذكره ابن كثير وغيره .
وقال البغوي : قال ابن جبیر وعطاء « طهراء من الأوثان والربيب ، وقول الزور » .
وأخرج ابن جرير عن عبيد بن عمير قال « من الآفات والربيب » .

* * *

أقام إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - البيت على الطهارة بأرقى معانيها . فالأمر بتطهيره أمر بالمحافظة على طهارته ، وأن يُمنع ويزال عنه كل ما يخالفها .
وقوله « للطائفين - الآية » يدل على أنه - مع أن التطهير مأمور به لحمة البيت - فهو مأمور به لأجل هذه الفرق - الطائفين والعاكفين والقائمين والركع السجود - لتؤدي هذه العبادات على الوجه المطلوب .

وهذا يبين أن « التطهير » المأمور به لا يخص الكعبة ، بل يعم ماحوالها ، حيث تؤدي هذه العبادات ، وأن في معنى « التطهير » إزالة كل ما يمنع من أداء هذه العبادات ، أو يُسرّها ، أو يُخل بها ، كأن يكون في موقع الطواف ما يعوق عنه ، من حجارة أو شوك أو حُفَر .

ثبت الأمر بأن تهيئة ماحول البيت تهيئة تمكن الطائفين والعاكفين والمصلين من أداء هذه العبادات بدون خلل ولا حرج .

لم يحدد الشارع ما أمر بتهيئته حول البيت بمقدارٍ مسمى ، لكن لما أمر بالتهيئة لهذه الفرق على الإطلاق علم أن المأمور به تهيئة ما يكفيها ويتسع لهذه العبادات مع اليسر .
فلما كان المسلمون قليلاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يكفيهم المسجد القديم .
نعم كثر الحجاج في حجة الوداع ، لكن لم يكن منتظراً أن يكثروا تلك الكثرة ، أو ما يقرب منها في السنوات التي تليها . وكانت بيوت قریش ملاصقة المسجد ، لئلا يمكن توسعها إلا بهدمها ، وهدمها ينفرم . وهدمهم بالشرك قريب .

فلما كثروا في زمن عمر رضى الله عنه ، وزال المانع : هدم الدور ، وزاد في المسجد . وهكذا زاد من بعده من الخلفاء بحسب كثرة المسلمين في أزمئتهم .

وأذخر الله تعالى الزيادة العظمى لصاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود . أيده الله ، وأوزعه شكر نعمه ، وزاده من فضله .

* * *

قدم الله تعالى في الآيتين « الطائفين » على « العاكفين » و « المصلين » والتقديم في الذكر بشعر بالتقديم في الحكم . فقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم في السعى بالصفاء . وقال : « نبدأ بما بدأ الله به » وبدأ في الوضوء بالوجه .

فيؤخذ من هذا أن التهيئة للطائفين أهم من التهيئة للعاكفين والمصلين .

فعلى هذا يقدم الطائفون عند التعارض ، ولا يكون تعارض عند إقامة الصلاة المفروضة جماعة مع الإمام . لأن الواجب عليهم جميعاً الدخول فيها . وإنما يمكن التعارض بين الطائفين وبين العاكفين والمصلين تطوعاً .

وإذا كان المسجد - بحمد الله - واسعاً وسيزداد سعة . فإنما يقع التعارض في المطاف ، كما إذا كثرت الطائفون ، وكان في المطاف عاكفون ومصلون تطوعاً ، وضاق المطاف عن أن يسعهم جميعاً بدون حرج ولا خلل .

فإن قُدِّم بقرب البيت العاكفون والمصلون ، وقيل للطائفين : طوفوا من ورائهم ، كان هذا تأخيراً لمن قدمه الله . ولزم فيه الحرج على الطائفين ، لطول المسافة عليهم ، مع أن الطواف يكون فرضاً في الحج والعمرة . وإذا خرج العاكفون والمصلون عن المطاف ، وأدروا عبادتهم في موضع آخر من المسجد : زال الجرج والخلل البتة .

* * *

منذ بعث الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم يزل عدد المسلمين يزداد عاماً فعاماً . وبذلك يزداد الحجاج والمعتمر . ومع ذلك فقد توفرت في هذا العصر أسبابٌ زاد لأجلها عدد الحجاج والمعتمر زيادة عظيمة .

منها : حدوث وسائل النقل الآمنة السريعة المريحة .

ومنها : الأمن والرخاء اللذان لا عهد لهذه البلاد بهما . ولذلك زاد عدد السكان والمقيمين زيادة لا عهد بها .

ومنها : الأعمال العظيمة التي قامت وتقوم بها الحكومة السعودية لمصلحة الحجاج ، بما فيها تعبيد الطرق ، وتوفير وسائل النقل ، والعمارات المريحة ، كمدينة الحجاج بجدة ، والمظلات بمئى ومزدلفة وعرفة ، وتوفير المياه ، وكل ما يحتاج إليه الحجاج في كل مكان ، وإقامة المستشفيات العديدة ، والحجر الصحي ، الذي قضت به الحكومة السعودية على ما كانت بعض الدول تتعامل به لمنع رعاياها عن الحج أو تصعيبه عليهم ، والعمارة العظمى للمسجد النبوى ، والتوسعة الكبرى الجارية الآن^(١) للمسجد الحرام ، وغير ذلك مما زاد في رغبة المسلمين من جميع البلاد في الحج .

فزاد عدد الحجاج في السنين الماضية . وينتظر استمرار الزيادة عاماً فعاماً لذلك أصبح المسجد - على سعة - يضيق بالمصلين في كثير من أيام الجمع في غير موسم الحج ، فما الظن به فيه ؟ .

فوفق الله تعالى جلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز - أطال الله عمره في صالح الأعمال - لتوسعته والعمل فيه جار .

وأشد ما يقع الزحام في الموسم في الطواف ، وتنشأ عن ذلك مضار تلحق الأقوياء ، فضلاً عن الضعفاء والنساء . ويقع الخلل في هذه العبادة الشريفة ، وهى الطواف ، لزوال ما يطلب فيه من الخشوع والخضوع والتذلل ، وصدق التوجه إلى الله عز وجل . إذ يهتم كل من وقع في الزحام بنفسه .

وقد يكون مع الرجل القوى - أو الرجلين - ضعيف أو امرأة ، أو أكثر . فيحاول القوى أن يدفع الزحام عن نفسه وعن معه . فيدفع من بجانبه وأمامه ليشق له ولهم معه

(١) محرم سنة ١٣٧٨ هـ

طريقاً على أى حال . فيؤذى بعضهم بعضاً . وربما وقع النزاع والخصام والضرب والشتم .
ويقع زحام الرجال للنساء . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من
ابن آدم مجرى الدم » .

وقد رأينا من الناس من يسيء بغيره الظن ، وربما أدى ذلك الإيذاء بالدفع والشتم ،
وربما بالضرب .

ومن المعلوم : أن صحة الطواف لا تتوقف على أدائه في المطاف . وإنما شرطه أن يكون
في المسجد ، لكن جرى العمل على أن يكون في المطاف ، ولو مع الزحام ، لأسباب : -
منها : أن خارج المطاف غير منهي للطواف فيه بغير حرج .

ومنها : أن غير الطائفين يقفون ويجلسون ويسلكون وراء المطاف وعند زمزم .
فيشق على الطائفين تخلل تلك الجموع .

ومنها : أن من أهل العلم من يشترط لصحة الطواف في المسجد أن لا يحول بين الطائف
والكعبة بناء ونحوه . ومن ذكر صاحب الفروع (ج ٢ ص ٣٩٠) .
وإزالة هذه العوائق إنما تتم بتوسعة المطاف .

فلم يكن بدّ من توسعة المطاف . والعمل بذلك جارٍ والله الحمد .
إن أضيق موضع في المطاف : هو ما بين المقام والبيت . ويزداد ضيقه بالناس بشدة ،
لقربه من الحجّير الأسود والملتزم ، حيث يقف جماعة كثيرة للاستلام والالتزام والدعاء .
وإذا كانت توسعة المطاف مشروعة ، فتوسعة ذلك الموضع مشروعة ، وما لا يتم المشروع
إلا به - ولا مانع منه - فهو مشروع .

يرى بعض أهل العلم أن هذا منطبق على تأخير المقام ، وأن التوسعة المطلوبة لا تتم
إلا به .

فأما ما يقوله بعضهم - من إمكان طريقة أخرى لتوسعة المطاف في تلك الجهة أيضاً .
مع بقاء « المقام » في موضعه ، وذلك بأن يحدد موضع يكفي المصلين خلفه ، ويوسع المطاف
من وراء ذلك توسعة يكون مجموع عرضها وعرض ما بين « المقام » والبيت مساوياً لعرض

المطاف بتوسعته في بقية الجهات . فإذا كثّر الطائفون سلك بعضهم أمام المقام كالعادة ، وسلك بعضهم في التوسعة التي خلفه ، وخلف موضع المصلين فيه .

ففي هذه الطريقة خلل من أوجه .

الأول : أنها مخالفة لعمل مَنْ عملهُ حجة .

فإن موضع « المقام » في الأصل بلصق الكعبة . وسيأتى إثباته .

فلما كثّر الناس في عهد عمر رضى الله عنه ، وصار بقاء المقام يحجب الكعبة - ويصلى الناس خلفه - مظنة تضيق المطاف على الطائفين : أخره ليبقى مأمّامه للطائفين متسعاً لهم . ويخلو ماوراءه للمصلين . وأقره سائر الصحابة رضى الله عنهم . فكان إجماعاً . وهو حجة .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى أخر « المقام » لعلته نفسها .

وأيّاً ما كان فهو حجة . وكان ممكناً حينئذ أن يبقى « المقام » يحجب الكعبة ، ويحجّر

لمن يُصلى خلفه موضع يطوف الطائفون من ورائه . ويوسع لهم المطاف من خلف .

وهذا نظير الطريقة الأخرى التي يشير بها بعضهم الآن ، وأبعد منها عن الخلل .

وقد أعرض عنها من عمله حجة . واختار تأخير « المقام » عن موضعه الأصلي .

وإذا كانت الحال الآن كالحال حينئذ ، فالذى ينبغي هو الاقتداء بالحجة ، وتأخير

« المقام » .

وإذا ساغ - لهذه العلة - تأخيره عن موضعه الأصلي فَلَأَن يسوغ لأجلها تأخيره عن

موضعه الثانى أولى .

الثانى : أن تلك الطريقة لاتنى بالمقصود . لأن حاصلها : أن يكون للمطاف في ذاك

الموضع فرغٌ بسلالك وراء « المقام » وموضع المصلين فيه .

وهذا مظنة أن يحرس أكثر الطائفين على أن يسلكوا أمام « المقام » كالعادة ،

واختصاراً للمسافة . ويحرص على ذلك المطوفون ، وخلف المطوف جماعة لا يجدون بُدّاً من

متابعته . فيبقى الزحام قريباً مما كان .

الثالث : أنه إن أحيط موضع المصلين خلف « المقام » بمحاجز : شق الدخول إليه والخروج منه . وإن لم يحجز كان مظنة أن يسلكه بعض الطائفتين اختصاراً للمسافة ، فيقع الخلل في العبادتين .

وإنما كان يمنعهم من ذلك فيما مضى - مع بعد المسافة - توهمهم أن الطواف لا يصح إلا في المطاف .

وسيزول هذا الوم عند توسعة المطاف من خلفه .

وبقيت أوجه أخرى ، كتقديم حق المصلين على حق بعض الطائفتين وتطويل المسافة عليهم ، واحتمال أن يضيق الموضع الذي يختص المصلين خلف « المقام » لأنهم يكثرون في بعض الأوقات ، ويحرص كثير منهم على المسكث هناك للدعاء وغير ذلك .
وبالجملة فلا ريب أنه إذا تحققت العلة ، ولم يكن هناك مانع من تأخير « المقام » فتأخيرها هو الطريقة المثلى .

هل هناك مانع ؟

يبدى بعض الفضلاء معارضات ، يرى أنها تشتمل على موانع .
وسأذكرها مع ما لها وما عليها . وأسأل الله التوفيق .

المعارضة الأولى

يقول بعض الناس : ذكر جماعة من المفسرين ما يدل على أن « المقام » ليس هو « الحجر » فقط . بل هو الحجر والبقعة التي هو فيها الآن . وتأخير البقعة غير ممكن . فإذا نقل الحجر عنها ، فإما أن يفوت العمل بالآية . وإما أن يبقى الحكم للبقعة لأنها موضع الصلاة .

وأقول : إن النظر في هذا يقتضى بسط ما يتعلق بالمقام .
وسأشرح ذلك في فصول .

الفصل الأول

ماهو المقام ؟

عامة ماورد فيه ذكر « المقام » من الأحاديث والآثار وكلام السلف والأئمة - ويأتى كثير منها - يبين أن « مقام إبراهيم » الذى فى المسجد هو الحجر المعروف ، غير أن بعض من روى عنه هذا روى عنه فى تفسير « المقام » فى الآية بأنه الحج كله ، أو المشاعر .

وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما مايبين عدم الخلاف ، وأن من قال « الحج كله » أو « المشاعر » إنما أراد أن الآية ، كما تنص على شرع الصلاة إلى هذا الحجر الذى قام عليه إبراهيم لعبادة ربه عز وجل ، كما يأتى - فهى تدل على شرع العبادة فى كل موضع قام فيه إبراهيم للعبادة ، على مايبينه الشرع . وذلك هو الحج والمشاعر . ولهذا جاء عنهم فى تفسير كلمة « مصلى » قولان .

الأول : « قبله . يصلون خلفه ، أو يصلون عنده » .

الثانى : « مدعى » .

فالأول : بالنسبة إلى الحجر . والثانى - كما أفاده ابن جرير - بالنسبة إلى المشاعر . لأن الدعاء مشروع عندها كلها ، بل يجمع العبادات المختلفة المشروعة فيها . إذ المطلوب بتلك العبادات هو مايطالب بالدعاء من رضوان الله ومغفرته ، وخير الدنيا والآخرة ، فالدعاء عبادة والعبادة دعاء .

فأما ما ذكر فى المعارضة من بعض المفسرين . فأولهم - فيما أعلم - الزمخشري ، وتبعه بعض من بعده .

الزمخشري - على حسن معرفته بالعربية - قليل الحظ من السنة . ورأى أنه لا يكون الحجر مصلّى على الحقيقة ، إلا إذا كانت الصلاة عليه وذلك غير مشروع ، ولا ممكن . لأنه يصغر عن ذلك .

ولو وفق الزمخشري للصواب لجعل هذا قرينة على أن المراد بكلمة « مصلى » قبله ،

كما قاله السلف ، أى : يصلى إليه . كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمل به أصحابه فمن بعدهم .

ومن العلاقات المتبعة فى المجاز : المجاورة ، وهى ثابتة هنا ، فإن الصلاة إذا وقعت إلى الحجر فهى بجواره .

وروجه آخر : وهو أن تكون كلمة « مصلى » اسم مفعول . والأصل : مصلى إليه . حذف حرف الجر . فاتصل الضمير واستتر . كما يقوله ابن جنى فى « مزمل » من قول امرئ القيس :

كأن أبانا فى عرائن رُوبله كبيرُ أناس فى بحاد مزمل

أن الأصل « مزمل به » فحذف حرف الجر . فاتصل الضمير واستتر . والنكتة على الوجهين : هى - والله أعلم - التنبيه على أن المزية للحجر لقيام إبراهيم عليه للعبادة . والمشروع لهذه الأمة التأسى به .

والقيام على الحجر لمثل عبادة إبراهيم لا يمكن إلا نادراً فعوض عنه بما يمكن دائماً ، وهو القيام للصلاة ، وهو يصغر عن الصلاة عليه . ودفعه - ليتسع مع بعض ماحوله للصلاة - يؤدى إلى اندثاره .

ولماذا التكلف ؟ ..

وإنما المقصود : أن يكون للقيام إلى الصلاة تعلق به . فشرعت الصلاة إليه : وعبارة الزمخشري « مقام إبراهيم : الحجر الذى فيه أترقدميه ، والموضع الذى كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه » .

ويبطل هذا القول - مع ماتقدم - أن المذكور فى الآية مقام واحد ، لامقامان ، وأن وضع الرجل على الحجر بدون قيام حقيقى : لا يكفى لأن يطلق عليه كلمة « مقام » على الحقيقة ، وأن الذى كان من إبراهيم على الحجر ، فسمى لأجله « مقام إبراهيم » قيام حقيقى ، لا وضع رجل فقط ، وأن الموضع الذى قام فيه على الحجر ليس هو موضعه الآن . وأن ، المقام كان أولاً بلبقى السكبة ، وكان الحكم معه ، ثم حول إلى موضعه الآن . فتحول الحكم معه .

وسياتى إثبات هذا كله فى الفصول الآتية إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

لماذا سمي « الحَجَر » مقام إبراهيم ؟

أعلى ما جاء في هذا : ما أخرجه البخاري وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما - في خبر مجيء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأمه إلى مكة وما جرى بعد ذلك - وفيه في ذكر بناء البيت « حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر ، فوضعه له . فقام عليه وهو يبني » .

وفي رواية أخرى « حتى إذا ارتفع وضمف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على المقام » . وعند ابن جرير ، بسند صحيح يلاقى بسند البخاري الثاني « فلما ارتفع البناء وضمف الشيخ عن نقل الحجارة ، قام على حجر . فهو المقام » .

وفي فتح الباري : أن الفاكهي أخرج نحو هذه القصة من حديث عثمان ، وفيه « فكان إبراهيم يقوم على المقام يبني عليه ، ويرفعه له إسماعيل . فلما بلغ للوضع الذي فيه الركن وضعه - يعني الحجر الأسود - موضعه . وأخذ المقام فجعله لاصقاً بالبيت . . . ثم قام إبراهيم على المقام ، فقال : يا أيها الناس ، أجيئوا ربكم » .

قال في الفتح : روى الفاكهي بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قام إبراهيم على الحجر ، فقال : يا أيها الناس ، أجيئوا ربكم » .

وفي أول الخبر عند البخاري عن كثير بن كثير ، قال « إني وعثمان بن أبي سليمان جلوس مع سعيد بن جبير ، فقال : ما هكذا حدثني ابن عباس . ولكنه قال » .

وفي فتح الباري (ج ٦ ص ٢٨٣) بيان مانقاه سعيد بن جبير .

ذكر ذلك عن رواية الفاكهي والأزرق وغيرهما .

وفيه : أنهم سألوا سعيد بن جبير عن أشياء ، قال « قال رجل : أحق ما سمعنا في المقام - مقام إبراهيم - أن إبراهيم حين جاء من الشام حلف لامراته أن لا ينزل بمكة حتى يرجع . فقربت إليه امرأة إسماعيل المقام فوضع رجله عليه حتى لا ينزل ؟ فقال سعيد بن جبير : ليس هكذا . . »

والخبر - وفيه قريب من هذا - عند الأزرقي (ج ٢ ص ٢٤) وفي آخره « فلما ارتفع
البنيان وشق على الشيخ تناوله ، قرَّب له إسماعيل هذا الحجر . فكان يقوم عليه ويبنى ،
ويُحوِّله في نواحي البيت حتى انتهى إلى وجه البيت . يقول ابن عباس : فذلك مقام إبراهيم
عليه السلام ، وقيامه عليه » .

وقصة مجيء إبراهيم ولقائه امرأة إسماعيل قد ذكرها ابن عباس . وليس فيها ما يحكى
من وضع رجله على الحجر .

وكان مجيئه ذلك قبل بناء البيت .

فهب أنه ثبت وضعه رجله على الحجر وهو على دابته . فليس هذا بقيام على الحجر ،
ولا هو في عبادة . فلا يناسب مزية للحجر . إنما القيام الحقيقي على الحجر الذي يناسب
مزية له : هو ما وقع بعد ذلك من قيامه عليه لبناء السكبة . ثم للأذان بالحج .

فهذا هو الثابت في وجه تسمية الحجر « مقام إبراهيم » . « يتبع »

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمجلات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والحبال والدوابة
ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحزاوي بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

كذب وافتراء

للاستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

تحت هذا العنوان كتب السيد حسن العمري مصطفى أبو الفيط في العدد الخامس من السنة العشرين من مجلة الاعتصام الغراء رسالة إلى السيد الجليل رئيس تحريرها ، من محتوياته ما يلي :

« وبعد فقد نشرت جماعة أنصار السنة الحمديّة كلمة في إمساكية شهر رمضان المعظم لسنة ١٣٧٧ تحت عنوان : الأولياء والصوفية جاء فيه أن الصوفية دخيلة أو غريبة عن الإسلام وأنها جاءت من الوثنية والهندوكية الخ .

ولما كان هذا افتراء وكذبا على الإسلام وعلى الصوفية مخالف (كذا) للواقع لجأنا لسيادتكم وكلنا أمل في أن تنشروا الرد التالي على هذا الافتراء الذي ما أنزل الله به من سلطان ، وما أراد أصحابه إلا تشهيراً بالصوفية وتفريقاً بين المسلمين . فأنتم معقد الآمال ومناطق الرجاء في أن تردوا كيد المعتدين ، وتكذبوا أباطيل المفسدين » .

* * *

وأقول للسيد الأستاذ الكاتب : إذا كان التفريق بين المسلمين لا يرضيك فكيف أبحت لنفسك أن تكتب صدر هذا المقال الذي هو دعوة صارخة إلى التفريق بين المسلمين ، ورمي لطائفة من المسلمين بالكيد والاعتداء والإفساد ؟

ولقد كنت تستطيع أن ترد ، وأنت عف القلم ، نزيه البيان ، ليكون ردك للحق ، وبالحق ، وليقبل المردود عليهم نصحك وإرشادك مادام خالصاً لوجه الحق .

لا جرم أنك ياسيدي الأخ الكريم تريد بردك على هذه الطائفة أن ترشدهم إلى الصواب الذي تعتقده فكيف خفي على فطنتك أن العنف لا يكون وسيلة من وسائل النصيح ، ولا سبيلاً من سبل الإرشاد ، ألم ينصح الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم

باصطناع الرفق في كل الأمور؟ ألم يقل عليه الصلاة والسلام : من يحرم الرفق يحرم الخير كله ؟

ألم يقل صلى الله عليه وسلم : إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالا يعطى على ماسواه ؟

ألم يقل الله تعالى في محكم كتابه الكريم : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن . فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ٣٤ وما يلقاها إلا الذين صبروا . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ٣٥ : فصلت) .

فما بالك يا أخى تصدف عن الرفق إلى العنف ، بل تتجاوز العنف إلى السباب ، وما وراء السباب .

ولم يفوتك الدفع بالتي هي أحسن ، وأنت غيور على الإسلام ، وعلى الآداب الإسلامية والأخلاق النبوية ؟

إنك يا سيدى تقدس التصوف لأن قروناً طويلة مرت عليه والناس يعتقدونه بغير نظر إلى أصله ، ولا بحث في مصدره ، ولو أن السيد الكاتب الكريم نحرر قليلاً من آثار الماضى ، وأزال عن جوهر نفسه رواسب القرون لعرف التصوف على حقيقته ووضعه في الوضع الذى يجب أن يوضع فيه ، فالحق قديم ، وهو أولى بالمجاملة ، وليس بعد الحق إلا الباطل وليس بعد الهدى إلا الضلال .

حدثنى ياسيدى الأخ : ما التصوف ؟

إن كان التصوف هو الإسلام ، وشريعة التصوف هي شريعة الإسلام ، وطريقته هي طريقة الإسلام ، وحقيقته هي حقيقة الإسلام فقد أغنانا الله بالإسلام عنه ؛ ففي الإسلام الذى جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يغنيننا عما سواه . فيه ما يلزمنا من العقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، والآداب ، وما يُصَفَّى النفوس ، ويطهر القلوب ، ويعرِّج بالأرواح إلى آفاق الطهر والقدس . قال تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ٨٩ النحل) .

وقال جل شأنه (وأنزلنا إليك الذِّكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون .
النحل) .

وإن كان التصوف شيئاً غير الإسلام فكفى بالإسلام مرشداً وهادياً إلى سبيل السعادة .
(ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ٨٥ : آل عمران) .
يقول تبارك اسمه : (إن الدين عند الله الإسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ١٩ :
آل عمران) .

ويقول عز من قائل : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً ٣٠ المائدة) .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد .
وقال العلامة ابن خلدون في مقدمته : إن علم التصوف من العلوم الحادثة في الملة .
وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة
ضلالة » .

وإني ياسيدي أتحدأك ، وأتحدى كل صوفي في الجمهورية العربية المتحدة ، وفي كل
بلد إسلامي في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، أن تدلوني على آية قرآنية من كتاب الله
تعالى ، أو حديث نبوي صحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو عبارة لأحد
الخلفاء الراشدين ، أو أحد الصحابة الأطهار السابقين ، جاءت فيها كلمة التصوف أو الصوفية
أو المتصوفة أو غيرها من مشتقاتها !!!

وإني أنظركم جميعاً عاماً كاملاً يبدأ من يوم اطلاعكم على مقالى هذا لتبحثوا وتنقبوا
وتراجعوا ، وتسألوا ، وتستشيروا . فإن ظفرتكم بهذه الكلمة أو إحدى مشتقاتها في هذه
المراجع التي أومأت إليها ، اعترفت معكم بإسلاميتها وتقدمت إلى أنصار السنة أن يعترفوا
معي ، وأن يصلحوا إمساكيتهم على ضوء المعارف العالية التي ستوافونهم بها . وإن لم

تظفروا - وما أظنكم ظافرين - وجب عليكم أن تعترفوا مع أنصار السنة أنها دخيلة ، وليست إسلامية .

* * *

وليس أدل على أنها دخيلة وليست إسلامية من أنكم لاتعرفون أصلها ، ولا تدرون مم اشتقاقها : أهو من الصوف أم من الصفة أم من الصفاء أم من . . . الخ
وإني أدلك على أصلها لتكون على يقين من أنها دخيلة وليست إسلامية : جاء في قاموس القرن العشرين ما ترجمته :

« صوفي كلمة مشتقة من الكلمة الإغريقية (سوفوس) بمعنى الحكيم » فأصلها إغريقى أو يونانى قديم . وقد أفحمت في اللغة العربية أيام أن عنيت الدولة العباسية بترجمة الكتب اليونانية فدخلت هذه الكلمة الإغريقية في لغتنا بلفظها ومعناها ، وفرح بها الذين يفرحون بالغريب الدخيل وألصقوها بالإسلام إلصاقاً بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، والإسلام من لفظها ومعناها براء .

ثم أتدرى مامعناها في اللغة التي نقلت منها ؟

جاء في قاموس لاروس الفرنسى ما ترجمته : الصوفى الراهب الفارسمى ، واسم قديم لشاه العجم .

ولكن قاموس القرن العشرين أوضح معناها إيضاحاً تاماً حيث يقول ما ترجمته : (التصوف شكل من أشكال عقيدة وحدة الوجود أى العقيدة التى تقرر أن الروح والمادة شيء واحد ، وأنه ليس هناك إله منفصل عن طبيعة العالم ، وأن كل شيء فى هذا الوجود يعتبر جزءاً من الله أو مظهراً من مظاهر ذاته) .

ومصادق هذا ماورد على السنة كبار الصوفية من قول بعضهم : سبحانى ! وقول بعضهم : ما فى الجبة إلا الله .

وقول بعضهم :

الرب عبد ، والعبد رب ياليت شعرى : من المكلف

إن قلت : عبد فذاك رب أو قلت : رب . أنى يكلف ؟

* * *

لا اعتراض لنا على قوم يعبدون الله حق عبادته ، ويتقونه حق تقواه ، ويقفون عند حدود ما أنزل الله على رسوله . بل نسأل الله أن يوفقهم إلى اتباع شريعته ، وأن يجعلهم من أنصار دعوته . وكل مانى الأمر أننا نحب أن يتخذوا إسماً إسلامياً شرعياً صحيحاً بدل هذا الاسم الدخيل .

وإنما اعتراضنا على الذين يريدون أن يضيفوا إلى الدين ما ليس منه ، وأن يعبدوا الله بغير ما أنزل الله .

حدثني بربك : هل جاء في القرآن الكريم أو السنة المطهرة ذكر للفناء ، والبقاء ، والجمع والفرق ، وجمع الجمع ، والفرق الثنائى ، والوصل ووصل الوصل وغير ذلك من هذه العبارات التى إن دلت على شئ فإنما تدل على أن القوم لا يرون هداية القرآن كافية لهم ، ويلتمسون المزيد من غير القرآن ؟

إن الإسلام أغنانا عن كل ماسواه . فإن طلبتم الاستغراق فى العبادة ، والتسامى فى الخلق فهناك مقام الإحسان الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » ولا أظن المتصوفة - مهما يجتهدوا - واصلين إلى مقام أسمى من هذا المقام . فلم لا يسمون أنفسهم محسنين بدلا من صوفيين ؟؟
ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

* * *

نشرت مجلة الاعتصام هذا الرد وعلقت عليه بما يأتى :

إن كان الصوفية قد قصدوا من التصوف ما يساوى الإحسان الوارد فى الحديث الصحيح ، فالشقة قريبة بين الفريقين ، ويكون هذا مجرد اصطلاح ولا مشاحة فى الاصطلاح . نعم الأولى أن نستعمل ماورد ونتمسك به . وفقنا الله جميعاً لخدمة الدين .

نظرات في مجلة الصوفية

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الوكيل

— ٢ —

لسنا في حاجة أبداً - ونحن نعمل لتحديد معاني القيم ، والدعوة إلى تمييزها عما يشوبها - إلى أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، إلى أن نضع لروحانية الإسلام اسماً آخر ، ليست له في النفوس القداسة الإلهية التي تطيب الروح بالنبل والسمو ، وليس له المعنى النبيل الذي يشرق بالسلام ، السلام النفسي بالعقيدة الخالصة ، والإيمان المطمئن ، السلام الاجتماعي بالإيثار الكريم ، والإخاء الوفي ، السلام الإنساني العام بدعوة الإسلام الصادقة إلى التعاون المثمر مع الناس جميعاً ، ما لم يجدّفوا بالحق ، أو يفتروا البهتان عليه ، أو يثيروا الحرب ضده ، أما الصوفية فلا تثير في النفس إلا الغثيان ، وإلا ذكريات مازالت مناحاتها مفعولة الجراح ومآسيها يضل في تيهها فجر الأمل ، ذلك لأنها - أي الصوفية - السبب فيما عانى المسلمون وكابدوا من مهانة ومذلة على يد الطغاة الذين أججوا ضد الإسلام أحقاد المجوسية وثاراتها ، وكانت الصوفية مطية هؤلاء إلى بلوغ هذه الغاية الجامحة .

إن الصوفية أمشاج من كل الضلالات . وشوائب من كل الزندقات التي تَلَطَّى أوارها لتقبض على الإسلام . إنها اسم يُرادف الخمول والذلة والمسكنة ، يرادف الفرار الجبان من الحياة ، يرادف الخوف الرعديد من إشراق الحق ، يرادف الدجل والشعبذة والإلحادية الماحجة الغواية ، والتي تقرأ في شغوف من سحر الخيال ونسيج الأوهام تسمى : روحانية ، وإلا فأنوني بصوفي واحد منذ نشأت هذه الصوفية عاش مع الله في سلام ، أو جعل من كتاب الله الحجة والإمام !! .

قيل : إن الإسلام تعرض لموجات متتالية من الدخلاء والمتعصبين ، كما تسربت

إليه أكّداس من الإسرائيليات ، وعقائد الأمم القديمة حُجبت كثيراً من أضوائه ، وشوّهت كثيراً من صفاته النقية ، فالتبس الحق بالباطل ، واختلط الضوء بالظلام .

فمن هم الذين اجترحوا ضد الإسلام هذه الجرائر ، ثم آووا إلى كهوفهم ومغاورهم يضحجون على عويله الضحايا بطرقات حبات المسابح المراثية ؟ .

إن الصوفية على رأس هذه القائمة السوداء التي تطفح بأسماء عدو الإسلام .

من هم الذين دعوا المسلمين وهم في عنفوان مجدهم وأوج قوتهم إلى العزلة عن الحياة ، واللياذ بالكهوف الداكنة ، وقضاء الليل في هينات دونها أبواب السماء . إنهم الصوفية ؟ ليحيلوا قوة المسلمين ضعفاً ، وعزتهم ذلة ، ودأبهم المكافح الصبور في سبيل بناء الحياة خمولا يستنم للحشرجة المحتضرة .

من هم الذين كدّوا في سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله ، إلى كتب أخرى . نسجتنا عنكب الأساطير ، وحشاها أصحابها بما يفسد العقيدة ، والخلق والفكر ، وزورا فيها على النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم - أحاديث تدعو إلى صرف الجهد لافي سبيل البناء ، بل في سبيل الهدم ، ولا في سبيل الحرية ، بل في سبيل الاستسلام إلى كل غاصب ، ولا في سبيل الفضيلة ، بل في سبيل اقتراف الرذيلة ، بدعوى أن في هذا طاعة لائقضاء والقدر ؟ إنهم الصوفية .

من هم الذين قالوا للمسلمين لا تقولوا : يارب ، بل قولوا : يا صم ؟ إنهم الصوفية .

من هم الذين صرفوا المسلمين عن بناء الحياة إلى بناء القبور ؟ إنهم الصوفية !! .

من هم الذين نقلوا المسلمين من سادة إلى عبيد ، ومن أعزاء إلى أذلاء ، ومن أقوياء بالحق والعدل إلى ضعفاء ، لا يقوون إلا حين يعدوا بعضهم على بعض ؟ إنهم الصوفية !! .

من هم الذين صرفوا المسلمين عن عبادة الحق إلى عبادة الباطل ؟ إنهم الصوفية .

من هم الذين جعلوا من كرامات الأولياء اقتراف الفاحشة ، وهتك السوءات ؟ إنهم الصوفية .

أقرأوا ما خلف الصوفية من تراث الوثنية ، وسوف تهموني بالتفصيل لا بالغلو ،
وبالتفريط ، لا بالإفراط .

مَنْ دعاة الزهد المانويّ ؟ أى مَنْ دعاة العزلة والفرار والجبن والخول ؟ إنهم أقطاب
الصوفية ومنهم أبو طالب المكي ، والجنيد ، والغزالي .

مَنْ دعاة العبودية للكهان والأخبار ؟ اسمع للقشيري - وهو المعروف بالاعتدال
في صوفيته كما يزعمون - يقول وهو مؤمن بما يقول عن معروف الكرخي : « يستثنى
بقبره يقول البغداديون : قبر معروف تريق مجرب » وينقل قوله الآتي في إعجاب « إذا لك
حاجة إلى الله ، فأقسم عليه بي ^(١) » .

يقسم على الخلاق بمخلوق . قولوا لصوفي : اذكر الله . وسترونه يستأذن وسائط ميتة
كثيرة قبل أن يذكر الله ليأذنه !! .

إذ يوجب الصوفية على الذاكر قبل أن يذكر الله . . أن يستحضر شيخه ، وأن
يستمد منه عند الشروع فيه فيقول : مددك يا أستاذي ، وأن يرى أن استمداده منه عين
استمداده منه صلى الله عليه وسلم . فإنه الوساطة إليه ، وأن يستأذن شيخه بقلبه ، فيقول :
دستور يا أستاذي ، وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم ، وهم أهل السلسلة فيقول :
دستور يا أصحاب الطريق والقدم ^(٢) » . قبل أن يذكر الصوفي الله يجب عليه أن يستأذن
الأصنام !! .

أهذا دين بسمو بالإنسانية ؟ أهذا دين يدعو إلى كرامة ؟ أهذا دين يدعو إلى تقويم
النفس بالحق ، من دين الله ، حتى تكون لها الذاتية التي تشعر بواجبها وتعمل في سبيل

(١) ص ٩ الرسالة القشيرية مطبعة التقدم .

(٢) ص ٢٨ وما بعدها من رسالة للأستاذ الصوفي أحمد عبد المنعم الحلواني ، ص ٨٦
رسالة منحة الأصحاب للرطبي .

أدائه ؟ . « أم هذه صوفية تهفو بالإنسانية إلى حضيض الذلة والعبودية » . وإلى الإحماء
السكرى فى سبيل طاغوت أو وثن ؟ ! .

من الذى صرخ بهذه الحلوية الصليبية ؟

سبحان من أظهر ناسوته سِرِّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرًا فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ————— كلخطة الحاجب بالحاجب^(١)

إنه الحلاج الذى سمته مجلة الصوفية « شهيد التصوف الإسلامى^(٢) » . شهيد !! هذا هو
ميسم الصوفية العام . تضع للألفاظ غير معانيها ، ونسئ الأشياء بغير أسمائها ، وتضع للباطل
اسم الحق !!

شهيد وهو الذى يدعو إلى الحلوية الصليبية ، ويؤمن بها ، ويجهاد - وقد أفلح - فى
سبيل أن يحول كثيراً من المسلمين إليها .

شهيد وهو يزعم أن هوية الذات الإلهية حالة فى كل إنسان . هذا العريد فى حانات
الإثم والنغواية إله من آلهة الصوفية . أليس إنساناً فى باطنه إله ؟ ! هذا الفاتك الذى
تقول دماء الضحايا على مشافره وهو يلحقها . إنه رب من أرباب الصوفية أليس إلهاً فى صورة
إنسان هذا الظلام الذى يفتال حقوق الشعوب ؛ إنه إله من آلهة الصوفية .

أليس جسداً يحتوى على روح الإله ؟ ! .

من الذى صرخ بهذه الوحدة المادية ؟ .

« لا يشاهد الحق - أى الله سبحانه مجرداً عن المواد أبداً ، فشهود الحق فى النساء

(١) الطواسين للحلاج ص ١٣٠ .

(٢) ص ٦٤ العدد الأول من مجلة الإسلام والتصوف .

أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصلة النكاح ^(١) .

إنه ابن عربي الذي وصفته مجلة الصوفية « شيخ التصوف الأكبر » إله يتصل أزله بأبده ، وأوليته بآخريته ، وهو غير مجرد عن المادة ، حذارك لا تطأ هذا الحجر الأصم بمناسمك ، فإنه إله صوفي ! ! حذارك لا تبصق على هذه الجيفة المنتنة ، بل ارفعها فوق هامتك ثم سربها هائماً في موكب من المشاعل . . إنها تستحق كل ذلك لأنها جزء من الإله الصوفي ، وهذه المرأة ترود بجسدها حانات الليل تبحث عن العرايب هنالك ، وخبث الخمر يفوح من فمها التي عربدت عليه الشهوات ، هنالك هنالك اسجد لها خاشعاً ، فإنها حقيقة الإله الصوفي الأكبر ! ! . هذا دين شيخ التصوف الأكبر ، وهذا هدف شيخ التصوف الأكبر . . فاذا تريد من الصوفية أن يقولوه غير هذا ؟ أليسوا صوفية ! ؟ .

بلى ، وحسبك إلى المدد القادم بإذن الله .

عبد الرحمن الوكيل

(١) ص ٢١٧ فصوص الحكم .

الشركة الاقتصادية العامة

(هزل و الشافعي)

لتجارة الشاي والبن والبقالة وغيرها

بالجلفة - والقطاى

شارع الترجمان المتفرع من شارع القلعة (محمد علي سابقاً) ممر الشامي

تليفون ٤٥٧٢٢

خطبة منبرية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله القوى المتين ، ذى البطش الشديد ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وعد المؤمنين بالنصر على الكافرين ، وتنبئهم للجهاد المشركين وأمرهم بقتال المعتدين الظالمين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آووه ونصروه وجاهدوا معه لإعلاء كلمة الحق والدين .

أما بعد : أيها المسلمون - هاهم أعداؤكم قد كسروا عن أنياب الغدر ، فماذا أعددت لهم ؟ أفزعهم بقظة العروبة بعد طول سبات ، وألقهم هبة الشرق بعد طول غفلة ، وأحنقهم وثبة العرب لتحرر من أسر الاستعمار . لقد هالم أن يخرج الشرق من أيديهم ، وأن يتخلص من برائتهم ، وأن يكون خيره لأهله ، وأمره لأبنائه ، لم تكفهم تلك السنين الطويلة السوداء التي امتصوا فيها دماءنا ، ونهبوا خيراتنا ، وفرضوا أنفسهم أوصياء علينا ، وأذاقونا لباس الجوع والخوف ، والذل والمهانة .

أيها المسلمون : إننا لم نعتد عليهم ، ولم نسلبهم حقاً من حقوقهم ، ولم نذهب إلى بلادهم ، لا نريد إلا أن نعيش أحراراً في بلادنا ، ونستمتع بخيرات بلادنا .

لقد قيس الله لنا رجالاً أقوياء من أنفسنا ، أنقذونا من الاستعمار وأعوانه ، ومن الدخلاء والخنوة أذئاب الاستعمار ، فإذا يريدون ؟ يريدون أن يعودوا إلى بلادنا مرة أخرى ؟ لن يكون ذلك أبداً - إن شاء الله - مادام فينا عرق ينبض ، لقد ذقنا حلاوة

الحرية والاستقلال ، ولن يستطيع أحد بعد اليوم أن يستذلنا ، ويعيد القيد في أيدينا ،
والغل في أعناقنا . إن حرارة الإيمان والإسلام التي تفزعهم قد انقادت . ولن يستطيعوا أن
يطغثوها أبداً . إن الشعلة في أيد قوية مؤمنة بربها ، ومؤمنة بنفسها ، ومؤمنة بحقها ،
وحق أمتها في الحياة الكريمة العزيزة : فلن تستطيع قوة في الأرض مهما هددت وتوعدت
أن تحمدها بفضل الله وقدرته وعونه .

لقد ظهر منهم الشر والكيد والمكر السيئ والتآمر علينا ، وما نخفي صدورهم أكبر ،
فلنستعد لهم ، ولنعد لهم ما استطعنا من قوة ، ولنبيع أنفسنا لله ، ونشتري العزة بدمائنا
وأرواحنا ، ولنسكن وراء قادتنا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، ندافع عن أوطاننا ،
ونحمي ذمارنا ، ونحافظ على أعراضنا ، والله معنا ولن يترنا أعمالنا .

قال الله تعالى في كتابه الكريم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن
لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل
والقرآن ، وَمَنْ أَوْفَى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز
العظيم) ، ويقول سبحانه وتعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) .

فهؤلاء الغربيون أولياء الشيطان ، عبدة الطاغوت ، يقاتلون طغياناً في سبيل الشيطان
الذي يملؤهم غروراً ، وبصور لهم أنفسهم أنهم السادة ، وأن عنصرهم أنقى من عنصر غيرهم ،
وأنهم . . . وأنهم . . . وقد حكم الله عليهم وعلى شيطانهم بالضعف والخور .

فبيعوا أنفسكم لله الذي اشتراها منكم بأغلى الأثمان ، ووعدكم إحدى الحسينين النصر
والعزة أو الجنة والرضوان إن استشهدتم في سبيله .

ليكن مفهوماً لدينا جميعاً أن هؤلاء الأعداء إنما يودون كبت الإسلام وخنقه حتى
لا تقوم له قائمة ولا يعود له مجده ودولته ، فقتالهم هو الجهاد حق الجهاد في سبيل الله ،
وإعلاء كلمته ونصر دينه . وقد وعد الله بنصر من ينصره . فقال (إن تنصروا الله ينصركم

ويثبت أقدامكم) والنصر من عند الله ، لا بكثرة عدد ، ولا بوفرة غناد وَعَدَد . (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) .

إن خير ما يتسلح به المسلم أولا وقبل كل شيء . هو الإيمان الصادق بالله سبحانه وتعالى . لا يتخذله الأنداد ، ولا يتقرب إليه بالشفعاء والوسطاء ، ولا يتوسل إليه بالأموات من الصالحين والأولياء . إنما يجعل قلبه خالصا لله رب العالمين ، لا يعبد سواه ، ولا يسأل غيره ، ولا يستعين إلا به . فهو وحده سبحانه الذي بيده الأمر كله ، يعز ويذل ، ويرفع ويخفض ، وينصر ويخذل . وكل من سواه ضعيف ، لا ينفع ولا ينصر ، ولا يملك شيئا لنفسه ، ولا لغيره . ثم الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الإمام ، وأنه القدوة ، وأنه الأسوة ، وأنه المشرع ، وأنه لا ينبغي ولا يصح أن يقدم أمر أحد ولا قوله على أمره وقوله . ثم تقوى الله في السر والعلن ، والإقلاع عن كل ما يغضب الله ، ويفض رسوله : من البدع وعبادة الموتى ، والشرك الذي تفشى في الناس ، والفجور والعصيان والتبرج ، ومخالفة أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتعدى حدود الله ، والوقوع في محارمه . فكل ذلك من أسباب الفشل وأسباب الهزيمة .

ويقول الله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) . كما أن الطاعة وتنفيذ أوامر الله وأوامر رسوله إيمانا وحبًا ورغبة وصدقًا . في السر والعلن هو السبب إلى النصر والفوز إن شاء الله . وفي ذلك يقول الله (قل : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولوا فإنما عليه ماحل وعليكم ما حلتكم ، وإن تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، ولْيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، ولْيبدلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدُ خَوْفَهُمْ أَمْنًا ، يعبدوني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

أرأيت يا أخي كيف رتب الله النصر على الطاعة ، وعبادة الله وحده ، وجعل عاقبة مخالفة أمر الله وعصيان الهزيمة والمذاب الأليم . ألا فلنتسلح أولا بالإيمان والتقوى والطاعة والضمير الحى ، فينصرنا الله على الأعداء الكافرين ، وهو على كل شيء قدير .

أيها المسلمون : أرجعوا قليلا إلى الوراء لتنظروا وتعتبروا بما كان . أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم ليحرر الناس من ذل العبودية لغيره ، ومن استغلال الأقوياء للضعفاء ، ومن تحكم الأغنياء في الفقراء . فلما قام عليه الصلاة والسلام يصدع بأمر الله ، ويدعو إلى دين الله ، وقف أولئك الطغاة البغاة في وجهه ، وتصدوا له في كبر و صلف . فهاجر من وطنه مكة إلى المدينة ، ثم آزره الله بالأنصار والمهاجرين ، وأذن له في مجاهدة الطغاة الذين يقفون في وجه تحرير الضعفاء والفقراء ، وكتب الله له وللمؤمنين معه النصر . ثم وجه جهاده وحربه إلى من كان يستعمر العرب ويتحكم فيهم من الفرس والرومان ، ولم يكن هؤلاء أقل عدداً ولا قوة من خلفائهم المستعمرين اليوم ، فنصرهم الله عليهم . ثم كانت الدولة للعرب المسلمين الذين نشروا أولوية العدل والنور والحرية في الخائفتين ، فانكش المستعمرون وأخذوا ، حتى إذا دب بين المسلمين ديب التفرق والتقاطع والتدابير ظهر الصليبيون يحاولون إعادة سلطانهم على العرب ، فانهزم لهم صلاح الدين الأيوبي وأضرابه من الأبطال فردوا كيدهم في محورهم ، وردوهم عن بلاد المسلمين مخذولين . ثم توالى الأيام فأصاب المسلمين ما أصابهم من الضعف والوهن على يد الحكام الفاسقين من الأتراك والمماليك والشراسة ، فعاد الصليبيون فنفذوا إلى قلب الإسلام واستعمروا بلاده وأذلوا أهله . واليوم قام خلفاء صلاح الدين يطهرون بلاد العرب ووطن الإسلام من دنس المستعمرين ، ويخلصونها قطعة قطعة من مخالبتهم ، وبفضل الله سيتم لهم النصر كما تم النصر لأسلافهم من قبل . فتقوا في الله ، واسألوه التأييد والعون والنصر ، فهو القادر على أن يبعث على هؤلاء الأعداء عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم أو يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ، إنه سميع قدير مجيب .

أيها المسلمون : لقد جعل الله سبحانه وتعالى منازل المجاهدين في سبيله أعلا المنازل في الدنيا والآخرة ، وكان سيد المجاهدين ورأس المكافئين هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فله أعلا المنازل وأسمى المراتب ، وله الفردوس الأعلا والمقام الحمود ، ومن بعده خاصة أصحابه وخلفائه الذين جاهدوا معه بالقول والعمل ، واللسان والسنان ، رضى الله عنهم وأرضاهم .

وتفضل ربنا وتكرم علينا فوعدنا - ووعدده الحق - أن يعطى من بسلك سبيلهم ويتبع طريقهم في مجاهدة الكفار ، ورد كيدهم عن بلاد المسلمين من النصر والفوز ، والعزة والتكفين في الأرض . قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع الحسنيين) فالجاهدون في سبيل الله هم المحسنون ، المحسنون لأنفسهم ولأوطانهم ولدينهم ، لأنهم باعوا أنفسهم لله حتى لا يجعلوا للكافرين عليهم سطانا . فلهم الحسنى في الدنيا بالحياة الطيبة الآمنة المنيئة في ظل الحرية والاستقلال والعزة والكرامة ، ولهم الحسنى في الآخرة في جنات النعيم في أعلا المنازل ، وذلك هو سبيل الله الذي وعدهم ربهم أن يهديهم إليه في الدنيا والآخرة .

الجهاد فرض على كل مسلم ، ولم يتمكن المستعمرون منهم ، ويتحكموا في مقدراتهم إلا من يوم أن تركوا فريضة الجهاد وضيعوها . وقد قال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام « بوشك أن تتداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة على قصعتها . قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله . قال : أتم يومئذ كثير ، ولكن غناء كغناء السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت » . فمن كره الموت ، وتشبث بالدنيا يعيش فيها حياة ذليلة بغيضة مهينة ، لا يهيمه منها إلا أن يأكل ، وأن يلبس ، كما تعيش الانعام وتأكل ، فإنه يفقد كل مزايا الانسانية الكريمة التي تأبى الضيم ، وتأبى الدنية . ولا ترضى إلا بالحياة العزيزة الكريمة ، ولا ترضى أن يتحكم فيه إنسان مثله ، يسلبه إرادته ويسلبه كل عزيز مقدس عنده . ها هم أولاء أمم الغرب تدعو بعضها بعضا لافتراسنا وإعادة سلطاتهم علينا ، فقوموا أيها المسلمون قومة رجل واحد ، وتدريبوا على فنون الحرب والقتال الحديثة ، مؤمنين بنصر الله الذي بيده وحده النصر .

ربنا اغفر لنا وأرحمنا ، أنت مولانا ، وأنصرنا على القوم الكافرين . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ، وجعل الأيام بين الناس متداولاً
وأشهد أن لا إله إلا الله ، مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ،
ويمز من يشاء ، ويذل من يشاء ؛ بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وسيد المجاهدين . كل فيه جميع
مراتب الجهاد : جهاد النفس وأهوائها وجهاد الشيطان ونزغاته ووساوسه ، وجهاد الكافرين
وعنادهم وشركهم ، وجهاد المنافقين ودسهم وتلونهم . بلغ فى كل ذلك أقوم منهج وأكمل
غاية . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ رضى بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ،
وبمحمد رسولاً ، وجبت له الجنة . وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ، ما بين
كل درجتين كما بين السماء والأرض . قيل : وما هى يا رسول الله ، قال : الجهاد فى سبيل
الله » فدخل الجنة مرهون بالإيمان بالله ، والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن
يكون العبد مسلماً متبعاً لشرائع الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج ، وأن يتحلى بكل
صفة وخلق كريم ، ويتخلى عن كل صفة وخلق ذميم .

أما الجهاد فإنه المراقبة التى يرتقى عليها فى درجات الجنة حتى يكون مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة
سنامه الجهاد » فانظروا يا إخوانى كيف رفع رسول الله شأن الجهاد ، وجعله ذروة سنام الأمر
وإمته والله لكذلك فإنك إذا لم تجاهد الكفار وتتخلص من سلطانهم ، لا تستطيع أن تقيم
شعائر دينك كما تحب وكما يأمرك ربك . بل لابد أن يخذل دينك ، وتسلم عزتك وكرامتك
ولذلك كان شأن الجهاد عظيماً وحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه ليكاد يخرج
من لم يجاهد فى سبيل الله من حظيرة الإسلام فيقول « من مات ولم يفر ، أو يحدث نفسه
بفر ، فقد مات ميتة جاهلية » كما فسر أبو أيوب الأنصارى وغيره من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله عنهم . قوله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)

أنه ترك الجهاد . وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الجنة تحت ظلال
السيوف » وأنه قال « رباط ليلة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » وأنه قال « مثل
المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم » .

إن الإسلام لم يُعل قدر أى فئة من الناس ، كما أعل قدر المجاهدين في سبيل الله .
ذلك لأنهم قدموا أنفسهم فداء لأوطانهم ، وبذلوا لدينهم ، لم يرهبهم عدو ، ولم يخفهم
عدد ولا عدة . ذلك لأنهم لم يكونوا معتدين على غيرهم ، ولا ظالمين لسواهم بل قاموا
يردون الاعتداء والظلم والبغى ، واتقين من وعد الله ووعيده إذ يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن الله ليملى للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم اقرأ (وكذلك أخذ ربك إذا
أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) .

أيها المسلمون : أعدوا أنفسكم دائماً وفى كل وقت جنوداً لله ، إن العدو يترصد بكم
دائماً ، إنه مغيظ محقق من هذه الوثبة القوية ، وهذه الخطوات الجريئة التى تخطونها فى
سبيل مجد الإسلام والعروبة وعزتهما . إنها دول قد شاخت وعفت ، إنها تقوم على نظم
أشبه ما تكون بنسج العنكبوت فى ضعفها ووهنها ، وإن تراءت للناس أنها قوية
متماسكة فلا ترهبوهم ، ولا تقيموا لهم وزناً ، ولا تظنوا أنهم أقوى منكم أبداً . والله سبحانه
وتعالى يقول (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ،
وترجون من الله ما لا يرجون) نعم نرجو من الله النصر والتأييد فى الدنيا ، والفوز والنجاة
والرضوان وجنات النعيم فى الآخرة .

وقد أمرنا ربنا سبحانه وتعالى أن نجاهد فى سبيله تملأنا الثقة فيه ، وأن نطلب النصر
بطاعته وتنفيذ أوامره ، سرّاً وعلناً وظاهراً وباطناً . وأن نجتنب كل ما نهانا عنه من المعاصى
والمنكرات ، فذلك ذكر الله الذى أمرنا به فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة
فانبأوا ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) وذلك سبيل الفوز والفلاح والنصر .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاقل حمية ، ويقاقل
رياء : أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، فهو فى
سبيل » وأينا لا يحب من صميم قلبه أن تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الكافرين هى

السفلى ؟ كلنا ولا ريب يحب ذلك . فلنعمل لذلك ، فإنه لا يدرك بالتمنى ، ولكن يدرك ببذل الجهود ، والعمل الدائب المستمر من كل فرد فى الأمة .

وليس جهاد المستعمر قاصراً على قتاله فى الميدان فحسب ، بل يمتد إلى حربه فى جميع ميادين الحياة . فينبغى أن ننبد عاداته وأخلاقه وثقافته ونكرها ونمقتها أشد الكراهية والمقت ، ونعود إلى عاداتنا وأخلاقنا وثقافتنا الشرقية الإسلامية . يجب أن ترتدع نساؤنا وبناتنا عن أزيائهم وتبرجهم وتهتكهم واستهتارهم ، وترجع إلى النظام الشرقى الإسلامى . ينبغى أن نحارب تجارتهم واقتصادياتهم ، ونقبل على صناعة بلادنا ومتجات أوطاننا . يجب أن نتعصب لكل ما هو شرقى عربى إسلامى ، ونحارب كل ما هو دخيل أجنبى . ذلك هو السبيل السوى ، والخطوة الحكيمة الرشيدة إلى الفوز والنجاح والانتصار على العدو . وَإِلَّا فَخَبِّرُونِي بِرَبِّكُمْ كَيْفَ نَزَعْنَا نَحَارِبَهُ ، أو نتحرر من آصاره وقيوده ، ونحن مقيمون على خلقه وعاداته ، معتمدون على صناعته وتجارته .

أيها المسلمون : لقد مَنَّ اللهُ علينا بقيادة مخلصين ، باعوا أنفسهم للوطن ، يواصلون الليل بالنهار فى عمل دائب وجهد مستمر ، يعرضون أنفسهم للمخاطر ، ويتقدمون الصفوف فى شجاعة وبسالة أذهلت العدو ، وأدخلت فى قلبه الرعب ، وقذفت فى نفسه الخوف . وقف العدو يرقب انتصاراتهم المتوالية مبهوراً وجللاً حيران ، لا يدرك ما يفعل . إنهم يكيلون لهم الضربات فى كل ميدان ، فيتراجعون أمامهم مخذولين مدحورين مهزومين . فاسجدوا لله شكراً . وارفعوا أكف الضراعة لله رب العالمين أن يحفظهم ويرعاهم ويسدد خطاهم ، حتى تتحقق الآمال ، فلا يبقى أثر للمستعمر فى الشرق الإسلامى كله . اللهم حقق لنا ذلك ، إنك أنت السميع القريب الجيب ، وأيقظ المسلمين جميعاً حينما كانوا ليقفوا صفّاً واحداً ، وبدأ واحداً ، وكلمة واحدة ، من وراء قادتنا الأوفياء المخلصين ، حتى يسحق العدو ويخلص لنا الوطن الإسلامى .

نسألك اللهم ربنا أن تغفر لنا ذنوبنا ، وتكفر عنا سيئاتنا ، وتقوى عزائمنا ، وتنفع فينا روح الشجاعة والإقدام ، وتقذف فى قلوب أعدائنا الجبن والرعب والخور ، وأن تثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأن تهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

تراجم مختصرة لأئمة المذاهب

أبو حنيفة

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت .

ولد بالكوفة سنة ٨٠ ونشأ بها ، ومات ببغداد سنة ١٥٠ .

أدرك بعض التابعين من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وأخذ عن الشعبي والنخعي ،

والأعمش وأصحابهم .

ويسمى مذهبه (مذهب أهل الرأي) لأن الحديث كان قليلا بالعراق ، فاستكثروا

من القياس ، وبرعوا فيه . وبعد أن تم تدوين الحديث في العصر الذي بعدهم ، تبين أن

كثيراً من فقه الأحناف يعارض الصحيح الصريح من الأحاديث النبوية . ويلقى هذا

المذهب قبولا عظيما عند الأعاجم من الأتراك والشراكسة ، لأنه يعتمد على الرأي والقياس .

أكثر من اعتماده على النصوص . وما أشق النصوص ومداركتها وفهمها على الأعاجم .

وأكبر أصحاب أبي حنيفة الذين نشروا مذهبه : أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، وزفر

ابن الهذيل ، ومحمد بن الحسن .

وقد وليّ هارون الرشيد أبا يوسف القضاء بعد سنة ١٧٠ ، فكان تولية القضاء في

يده ، فلم يكن يولى إلا من كان من أصحابه وعلى مذهبه فاشترأت أعناق العلماء إلى

المذهب طمعا في تولية القضاء ، واضطرت العمامة إلى أحكامهم وفقارهم . ففشا المذهب

فشوا عظيما في جميع البلاد التي كانت تحت يد العباسيين ، وهي بلاد الإسلام كلها ، خلا

المغرب والأندلس التي بقيت في حكم بني أمية .

وينتشر المذهب الآن في أكثر البلاد الإسلامية ، إلا أنه المالب على الأتراك ،

والألبان وسكان البلقان وبلاد الأفغان وتركستان وبلاد القوقاز والهند ، وهو مذهب كثير

من المصريين وخصوصا العلماء ، وبالأخص رجال الفتوى والقضاء الشرعي .

مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي ولد بالمدينة المنورة سنة ٩٣ وتوفي بها سنة ١٧٩ أدرك جملة من التابعين منهم : نافع مولى عبد الله بن عمر وابن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم .

وله الموطأ وهو أول كتاب ألف في شرائع الإسلام . قال ولي الله الدهلوي في كتابه (المسوى) إن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه ، وعمدة مذهب الشافعي وأحد ورأسه ، ومصباح أبي حنيفة وصاحبيه وفهراسه . وهذه المذاهب كلها بالنسبة للموطأ كالشروح للفتون وهو منها بمنزلة الدوحة من النصوص .

وروى عنه الموطأ طائفة من الحفاظ والفقهاء : منهم الشافعي وعبد الله بن مسلمة الفعفي وعبد الله بن يوسف التنيسي ويحيى بن يحيى بن كثير الأندلسي ، ومن الخلفاء : المنصور والمهدي والرشيد .

ونقل البخاري ومسلم وأصحاب السنن ، كل ما وافق شروطهم من الموطأ . فكل ما يتعلق بالفقه في الكتب الستة تحوم حوله ، وتوصل مألوسه ، وترفع مأوقفه ، وتستدرك ماياته ، وتذكر المتألمات والشواهد ما أسنده .

وثلاثيات مالك من أصح الأحاديث ، إلا أن مالكاً لم يفرد الصحيح . بل أدخل في الموطأ المرسل والمنقطع والموقوف ، وفيه البلاغات التي يرويه بقوله (بلغني عن الثقة عندي) ومن بلاغاته أحاديث لا تعرف ، ولولا ذلك لعد كتابه في الصحاح . وقبل إن في الموطأ نيفاً وسبعمين حديثاً ترك مالك نفسه العمل بها .

ويسمى أصحابه (أهل الحديث) غير أنه اعتبر عمل أهل المدينة مصدراً من مصادر مذهبه . وقد انتشر مذهب مالك بالحجاز ومصر ، وزاد انتشاره في المغرب والأندلس ، وخصوصاً في زمن الحكم بن هشام . وكان يحيى بن يحيى بن كثير مكيناً عنده ، فصار لا يولى القضاء إلا من أشار به ، فانتشر به مذهب مالك كما انتشر الحنفي بأبي يوسف في المشرق .

وقال ابن حزم في ذلك « مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان : الحنفي بالشرق والمالكي بالأندلس » .

وقد نال الموطأ من عناية العلماء والفقهاء ما لم ينله كتاب غيره ، فألفوا مئات الكتب في شرحه . وتفسير غريبه والكلام على رجاله والتعليق عليه وتخريج أحاديثه المرسلة ، والموقوفة .

والمذهب المالكي ينتشر الآن في مصر معادلاً للمذهب الشافعي وخصوصاً في الصعيد وهو المذهب الغالب في مراكش والجزائر وتونس والسودان والصومال وإثريا وقطر والبحرين والكويت .

الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي .

ولد بغزة سنة ١٥٠ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ ، وكان آية في الفهم والحفظ ، وقد نشأ بمكة المكرمة ، وتعلم بها علومه الأولى . ثم رحل إلى المدينة وأخذ عن مالك ، ثم رحل إلى العراق بعد مالك ولقي بها أصحاب أبي حنيفة وأخذ عنهم ورد عليهم ما كانوا يأخذونه على مالك من المكوف على النصوص وعمل أهل المدينة ، وعدم الاعتماد على الرأي والقياس . وقيل : إنه عمل في ذلك مذهبه القديم وهو كالدفاع عن منهج مالك ، ثم رحل إلى مصر ولقي الليث بن سعد وغيره من علماء مصر ، فأخذ عنهم .

وفي مصر عمل مذهبه الجديد ، ومزج فيه بين طريقة أهل الحجاز ، وطريقة أهل العراق ، وما وجدته عند أهل مصر وأباح فيه القياس وأرأى إذا لم يوجد النص .

ويقال لأصحابه (أهل الحديث) كالمالكية ، بل تنصرف هذه الصفة إلى الشافعية فقط في بعض البلاد . ومن كبار أصحابه الربيع بن سليمان والمزني اللذين روي عنه كتبه . ووضع أبو عمرو محمد بن جعفر النيسابوري مسنداً أخذته من كتاب الأم وغيره ونسبه إلى الشافعي ، ولم يشتهر هذا المسند لأنه ليس من تأليف الشافعي .

والمذهب الشافعى ينتشر الآن فى بلاد كثيرة ، وهو الغالب على أهل مصر وخصوصاً فى الوجه البحرى وفلسطين وبلاد الأكراد وعلى السليبين من بلاد فارس وتركستان الصينية وجاوة ومسلمى سيلان والفلبين ، وسيام والمهند الصينية والحجاز وأهل عسير والسنين فى اليمن وعدن وحضرموت .

أحمد بن حنبل

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى .

ولد ببغداد سنة ١٦٤ - وقيل بمرو ، وحمل إلى بغداد رضيعاً - ومات بها سنة ٢٤١ . وكان مثالا للصالح والورع ، والتقوى ، ورأساً فى الدارين عن علم الحديث ونصره حتى استحق لقب إمام أهل السنة والجماعة .

وكان من خواص أصحاب الشافعى ولم يزل يصاحبه ويأخذ منه حتى ارتحل الشافعى إلى مصر . وله كتاب (المسند) وهو أكبر موسوعة فى الحديث ، اشتمل على أربعين ألف حديث ، المكرر منها عشرة آلاف ، وقد رواه عنه ابنه عبد الله وابنى أخيه صالح وحنبل ، وأبو بكر القطيعى . وفى المسند أحاديث ضعيفة كثيرة ، وبعض الأحاديث الموضوعية ولم تكن الموضوعات فى أصل المسند ، إنما هى من زيادات القطيعى .

وقد انصرف العلماء والفقهاء إلى ترتيب رجال المسند ، أو وضع فهرس له أو تقسيمه على أبواب الفقه ، ولكن لم يوفق أحد إلى تهذيبه ، أو شرحه كما ينبغي ، أو إشباع الكلام على متونه أو إظهار مراتب أحاديثه : صحة وحسناً ، أو ضعفاً ووهناً ، أو وضعاً وكذباً .

وعدة المذهب هو المسند ، وما دونه أصحاب أحمد فى كتبهم من أرائه المبنية على الأحاديث التى رواها فى المسند ، وكان يرى العمل بالحديث الضعيف أولى من القياس والرأى .

ولم يصادف مذهبه انتشاراً كبيراً بعده عن الاجتهاد ، وكان ظهوره أولاً بالعراق ثم انتشر فى بلاد الشام . ويغلب الآن على أهل نجد والإحساء ويوجد حنابلة بالشام وبلاد الأفغان .

(تعقيب)

ينبغي أن يكون معلوماً أن مدلول كلمة (مذهب) لم يكن عند السلف كما هو عندنا اليوم ، فإن الناس يفهمون اليوم أن معنى المذهب طريقة في الدين يجب على المسلم أن يقلدها ويسير في عباداته ومعاملاته على مقتضاها ولا يحيد عنها ، ولو كانت مخالفة للكتاب والسنة . أما مدلول الكلمة عند السلف : فإنه أراء الإمام ، أو الفقيه في المسائل الفرعية حسب فهمه الخاص في أمر من الأمور . ولم يكن أحد منهم يحمل الناس على اتباعه فيما يرى ويفهم ، بل نص كثير منهم على التحذير من تقليدهم من غير علم للأصل الذي أخذوا منه ، فمن ذلك قولهم :

- ١ - لا يحل لأحد أن يعمل بكلامنا ، إلا إذا عرف من أين أخذناه .
- ٢ - إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث ، فاضربوا بكلامي عرض الحائط .
- ٣ - إذا صح الحديث فهو مذهبي .
- ٤ - كل واحد يؤخذ من قوله ويرد ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٥ - لا يحل لأحد أن يقلد أحداً في دينه .

وغير ذلك مما هو مستفيض عنهم ، وقد أبرأوا ذمهم من تبعة من يقلدهم . وكانوا أعرف الناس بقدر أنفسهم ، وكانوا من الإيمان والتقوى والصلاح بمكان لا يرضون أن ينصبوا أنفسهم مشرعين لدين أكمله الله ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن التجنى عليهم أن نترك السنة الصحيحة لرأى ارتأوه ، لأن الحديث لم يكن قد بلغهم ، ولو بلغهم لما عدلوا عنه لرأيهم أبداً . فلم يكن متيسراً لأحد منهم أن يحيط بالأحاديث النبوية كلها لتفرق أصحاب رسول الله في البلاد . ثم دَوَّن الحديث من بعدهم ، فأصبح التمييز بين صحيحه وسفيحه متيسراً لو أن عصرهم تأخر عن عصر جمع الحديث وتدوينه وتمييزه ، لما كان لأى مذهب مكان ولا وجود .

وقد علمت مما ذكرنا آنفاً من تراجم الأئمة أنهم أخذوا عن بعضهم ، ولم يظهر التعصب لكل إمام إلا من بعدهم ، رغم تحذيرهم الشديد . كما علمت أن أسباب انتشار تلك المذاهب كانت أكنزها سياسية من الأمراء والقضاة ، وكانت المذاهب أشبه بالأحزاب في عصرنا ، (البقية على ص ٥٠)

تعليقات

(١)

(النذر للمشايخ حرام كالنذر للأصنام)
(القبور لا تضر ولا تنفع آكل مال النذور يا كل محتكاً)

بهذا العنوان نشرت جريدة الأهرام في ٢٨/٦/٩٥٨ فتوى لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ (علي رفاعي) مفتش عام الوعظ بالأزهر ، قدمها في مذكرة إلى لجنة الموالد بوزارة الشؤون الاجتماعية . وقال فضيلته : عندما يقول المرء نذرت للشيخ فلان أو لسيدي فلان - حياً كان أو ميتاً - ذبيحة أو مالا ، فقد ارتكب حراماً قبل الوفاء بالنذر وعند الوفاء به . ويعتبر عمله هذا من أعمال الجاهلية الذين كانوا يعبدون الأصنام . وإن النذور المعروفة في هذه الأيام للقبور والأموات ، لا كلام في تحريمها فإن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع أو يضر ، ويحلب الخير ويدفع الشر ويعافي المريض . وهذا هو الذي كان يفعله عباد الأوثان ، فيحرم كما يحرم النذر للأوثان . ويحرم قبض هذه النذور ، لأنها تقرير على الشرك ويجب النهي عنه ، وإعلان أنه من أعظم المحرمات ، وأنه من أخلاق عباد الأصنام ، وأن النذر للمخلوق حرام ، والذي يقبضه يأكل محتكاً .

وشكر الله لفضيلته صدقه بالحق ، في زمن قل فيه نصراء الحق ، والهداة إلى الدين الصحيح وإنه لأمل كبير أن يقوم رجال الدين بواجبهم في إنقاذ المسلمين من المهالك والضلال والجاهلية والوثنية والشرك الذي وقعوا فيه بعبادة الموتى من دون الله ، فيعيد الله لهم ما كان لسلفهم من الصولة والدولة ، والمساكنة العالية ، والكلمة المسموعة ، في شئون الأمة الإسلامية كلها .

(٢)

نشرت جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٥٨ / ٧ / ٣٠ للسيد محمود حسين نصر كلمة بعنوان (سيكلوجية التقليد) تكلم فيها عن تهافت سيدات مصر على مוזات وأزياء باريس ونيويورك . وأن ذلك طبيعي جداً . لأن التقليد (شعور بالدونية) ونحن دون الغرب الذي بلغ القمة في الحضارة الآن ، فلا عجب أن تؤثر حضارتها فينا ، كما أثرت حضارتنا فيهم زمن العباسيين - إلى أن قال - وأولى بنا أن نسأل : ما سبب تأخرنا وتقدم الغرب . . . ؟ وسنجد في النهاية أن الغرب قد تنحى عن الخلفات الثقافية القديمة ، واتجه إلى سيادة النظريات العلمية في تفسير مظاهر الحياة . . . فما أحوجنا إلى ثورة علمية مماثلة .

ويظهر أن هذه الجملة الأخيرة هي بيت القصيد من كلمته ، وإنها جملة مريبة ، فإذا يقصد بالخلفات الثقافية القديمة التي يدعوننا إلى الثورة عليها كما ثارت عليها الغرب ؟ .

هل يقصد الثقافة الإسلامية ، والتراث العلمى الإسلامى ؟ لاشك أنه يقصد ذلك . ولو أن الأستاذ تريت قليلا ، وحاول أن يفهم الثقافة الإسلامية الحققة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لما تورط هذه الورطة الشنيعة ، ولما سقط هذه السقطة القاتلة . ولقد حاول أن يستتر خلف الألفاظ ، فأبت الألفاظ إلا أن تبين عن دخيلة نفسه .

فليعلم السيد/محمود حسين وأمثاله ممن اشربوا في نفوسهم حب الغرب ، وتقديس ثقافته ، أن الثقافة الإسلامية أقامت يوم أن كانت نقية نظيفة من البدع والخرافات التي ألصقت بها ، دولة كاملة الأركان ، متينة البنيان ، على أساس من الطهر والعدل ، وتكافؤ الفرص ، والمعادلة الاجتماعية الحققة . ثم ضيعها ابتأوها بانحرافهم إلى ثقافة الفرس والرومان والأغريق والفراعنة ، فضاءوا بعدها .

أما الحضارة الغربية التي يتغننون بها ، فإنها تقوم على أسس من البنى والظلم ، والعدوان والفجور والاباحية . وكم ذقنا من بغيهم وظلمهم واضطهادهم وعدوانهم ولا تزال ، لأنها ثقافة مادية لا تقيم للقيم الإنسانية وزنا ، ولكن أين من يحس ويشعر ؟

إن الحضارة الحقة ، لا تقاس بالاختراعات ، وألوان الفنون والصناعات ، إنما تقاس بالجوانب الخلقية الروحية الإنسانية منها . فهل حققت الحضارة الغربية شيئاً من ذلك ؟ اللهم لا ، إلا في نظر عباد الغرب المدلّين في حبه ، المولّين في غرامه ، لأن همهم من الحياة المتع والشهوات والترف التي تحقّقها لهم الحضارة الغربية . أما الخلق ، أما الحياة الإنسانية النكريمة ، أما التفكير فيما بعد الدنيا من النعيم أو العذاب ، فإنهم عنها غافلون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ونقول كما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

(٣)

نشرت جريدة الأخبار يوم ١٩٥٨/٨/٧ كلمة للدكتور عمر مكاوي تحت (نحو النور) رداً على الأستاذ محمد زكي عبد القادر الذي قال في عدد سابق أن الشكوى طبيعة في الإنسان فقال في رده (الشكوى ليست طبيعة إنسانية ، بل هي مرض نفسي ، هي صورة ناطقة للفشل والشعور بالعجز واليأس ، وهي أشياء مصدرها واحد : هو الإيمان بالغيبيات والقضاء والقدر والحظ والصدفة . . الخ) .

يا اللهم ، يا لكفر الصريح ينشر في بلد ينص دستوره على أن دينه الإسلام .

الإيمان بالغيبيات والقضاء والقدر مرض نفسي . . !

الإيمان بالغيبيات والقضاء والقدر مصدر للفشل ، وسبب للشعور بالعجز واليأس . . !
الإيمان بالغيبيات : هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار ، وغيرها من الأمور المعروفة عند المسلمين بالضرورة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

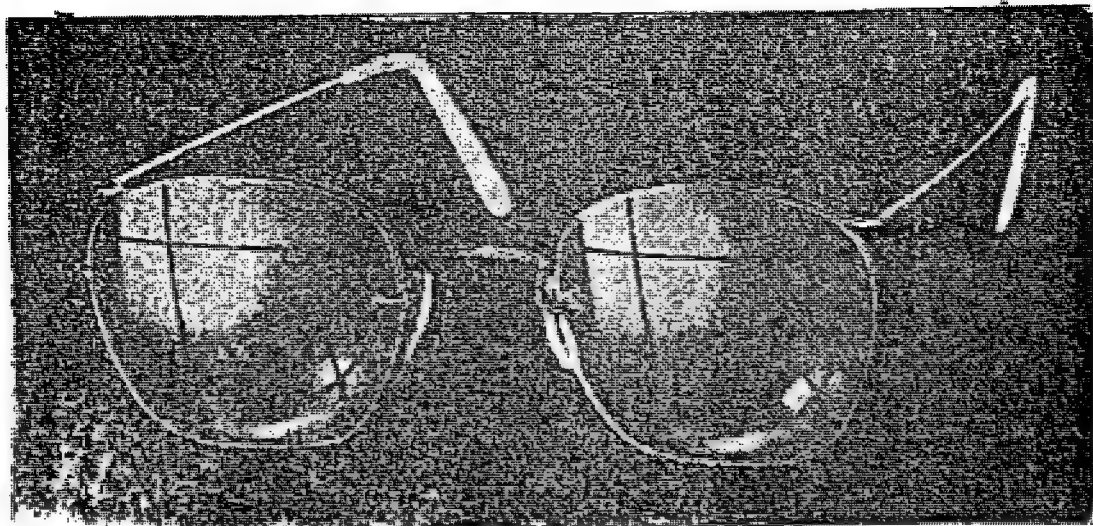
والإيمان بالقضاء والقدر : هو الإيمان بأنه لا يقع شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا في الأنفس ولا في الكائنات إلا بتقدير العزيز الحكيم وقضائه وعلمه وتديره . فترتاح النفوس لما يصادفها من المواد والآفات ، وترضى بها ، وتوقن بأنها خير لها . لأنها من تقدير وتدير الله الرؤوف الرحيم .

في أي مكان تجده يتألق ويژهو



إنه الكرسي النموزجي

في المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
مويليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل
مهن علي محمد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندی سجل تجاري ٤١١٠١



أحدث النظارات الرائعة نجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ بميدان القبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شنابر النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات الممتازة في الصناعة والمتانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عطاء صالح

٨ شارع قوله ببابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة: محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

المجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية


وبالحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باننا الكبير

٧٩.١٧ ٥



المذكرى النبوى

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعته أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة	
٣	تفسير القرآن الحكيم لفضيلة رئيس التحرير
٢٥	مقام إبراهيم للشيخ عبد الرحمن بن يحيى العلوى
٣٤	ماذا يفيدون من اشاعة الخرافات ؟ لفضيلة الشيخ أبى الوفاء درويش
٣٧	تعليقات .
٤١	عالم متوحش للأديب سعد صادق محمد
٤٥	آفة الجماعة الإسلامية (٤) للأديب عبد السلام رزق الطويل

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين لإرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترحو السادة المتفهمدين لإرسال مابعدتهم . ولهم جميعاً الشكر

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات الممتازة التى تحظى برضاء وإعجاب العملاء فى أنحاء مصر والسودان
لمتانتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتى

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل فى الدفع على أقساط شهرية
استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعى

المذنب النبوي

رئيس التحرير

محمد هاشم الفقي

الإدارة :

٨ شارع قوله

بعبدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة

محمد رمزي خليل

الاشتراك السنوي

٢٠ - في مصر والسودان

٣٠ - في الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير البري عدي محمد صلي الله عليه وسلم

العدد ٣

ربيع الأول سنة ١٣٧٨

المجلد ٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ٤ - ٨ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب : لتفْسِدُنَّ في الأرض مرتين وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد ، فجاؤوا خلال الديار . وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكثرة عليهم . وأمددناكم بأموال وبنين . وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها . فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم ، وَلَيَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلَيُتَبَّرُوا مِمَّا عَلَوْا تَتْبِيرًا . عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ . وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا . وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) .

« قضى » قال أحمد بن فارس ، في مقاييس اللغة : القاف والضاد والحرف المعتل :

أصل صحيح ، ويدل على إحكام أمر وإتقانه ، وإفناذه لجهته اهـ .

وقال ابن الأثير في النهاية : قضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه . وقال

الزهري « القضاء » في اللغة على وجوه ، مرجعها إلى انقطاع الشيء ونهايته . وكل ما أحكم عمله وأتم ، وختم ، أو أدى ، أو أوجب ، أو أعلم ، أو أنفذ ، أو أمضي : فقد قضى اهـ .

وقال الراغب في المفردات : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب » هذا قضاء

بالإعلام والفصل في الحكم ، أي أعلمناهم ، وأوحينا إليهم وحياً جزماً .

وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى : (٢ : ١١٨) وإذا قضى أمراً فإنما يقول له : كُنْ فيكون) إذا أحكم أمراً وحتمه .

وأصل كل قضاء أمر : الإحكام والفراغ منه . ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس : «القاضي» بينهم ، لفصله القضاء بين الخصوم ، وقطعه الحكم بينهم ، وفراغه منه به ، ومنه قيل للميت « قد قُضِيَ » يراد به : قد فرغ من الدنيا وفصل منها . ومنه قيل « ما ينقضى عجبى من فلان » يراد : ما ينقطع منه . ومنه قيل : « تَقَضَّى النهار » إذا انصرم . ومنه قول الله عز وجل (٣ : ٢٣) وقضى ربك : أن لا تعبدوا إلا إِيَّاهُ أى فصل فى الحكم فيه بين عباده ، بأمره إِيَّاهُ بذلك . وكذلك قوله (١٧ : ٤) وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب) أى أعلنناهم بذلك ، وأخبرناهم به . ففرغنا إليهم منه . ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى :

وعليهما مسردوتان ، قضاها داود ، أو صَنَعَ السوانج : تُبَّع

ويعنى بقوله « قضاها » أحكماها . ومنه قول الآخر - وهو جزء بن خِرَّاز - فى مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

قضيت أمورا . ثم غادرت بعدها بوائق فى أكمامها لم تفتق

انتهى كلام ابن جرير .

و « الكتاب » يعنى به سبحانه : الكتاب المكنون ، وهو الذكر ، وهو اللوح المحفوظ المكتوب فيه ، الكتب والرسالات المنزلة كلها على الأنبياء والمرسلين جميعاً - عليهم الصلاة والسلام - : بما فيها من علوم وعقائد وشرائع ، وأوامر ونواهي ونذُر وعبر ، بالإخبار عن الماضين وعن عواقب المهتدين إلى الصراط المستقيم ، وعواقب المغضوب عليهم والضالين ، فى الدنيا والآخرة . وهو الكتاب الذى كتب الله فيه كل شىء هو كائن إلى يوم القيامة . وهو كتاب القدر الذى جاء فيه الحديث الذى رواه البخارى - فى أول كتاب بدء الخلق - عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان الله ، ولم يكن شىء معه ، وكان عرشه على الماء . وكتب فى الذكر كل شىء . ثم

خالق السموات والأرض - الحديث « وروى أحمد والترمذى - وصححه - من حديث عبادة ابن الصامت رضى الله عنه - مرفوعاً - « أول ما خلق الله القلم . ثم قال له : اكتب . فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » .

وقد ذكر الله هذا « الكتاب » فى مواضع كثيرة من آى القرآن . منها قوله سبحانه (٦ : ٥٩) وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . ويعلم ما فى البر والبحر . وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ، إلا فى كتاب مبين) و (١٠ : ٦١) وما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) و (١١ : ٦) وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كُلُّ فى كتاب مبين) و (١٣ : ٣٨ ، ٣٩) وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله ، لكل أجل كتاب . يَمَحُجُّ اللهُ ما يشاء - يعنى من رسالة الرسول السابق ، مما انقضى الزمن الذى يناسبه - ويثبت ما يشاء - يعنى يثبت فى رسالة الرسول الحاضر من رسالة الرسول السابق ما يناسب الأمة المبعوث إليها - وعنده أم الكتاب) يعنى كل الرسالات ، كما نزلت - السابق واللاحق - عنده فى الذكر ، واللوح المحفوظ . وقال أيضاً (١٧ : ٥٨) وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ، أو معذبوها عذاباً شديداً . كان ذلك فى الكتاب مسطوراً) و (٢٠ : ٥١ ، ٥٢) قال - يعنى فرعون - فما بالُ القرون الأولى ؟ قال - يعنى موسى - علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضلُّ ربى ولا ينسى) و (٢٢ : ٧٠) ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض ؟ إن ذلك فى كتاب . إن ذلك على الله يسير) و (٢٧ : ٧٥) وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين) . و (٣٥ : ١١) وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه . وما يُمْرُّ من مُعَمَّر ، ولا يُنْقَضُ من عُمره ، إلا فى كتاب . إن ذلك على الله يسير) و (٤٣ : ٤) وإنه - يعنى هذا القرآن - فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) و (٥٦ : ٧٨) إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون . لا يؤمنه إلا المطهرون) يعنى الملائكة ، كما قال سبحانه فى تبيين « المطهرين » الذين يمسونه . (٨٠ : ١٣ - ١٦ فى صحف ، كثرمة . مرفوعة مطهرة . بأيدي سفرة . كرام بررة) وقال

عن « الكتاب » أيضاً (٥٧ : ٢٢) ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها . إن ذلك على الله يسير .

* * *

أو أن ربنا سبحانه يعني بالكتاب « التوراة » التي أنزلها على موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - وقد جعل الله فيها من الهدى في العقيدة والعبادة، والشرائع والأحكام والأعمال، والوصايا والنذُر، والوعد والوعيد، والعبر بعواقب الماضين - ممن اتبع سبيل الرشد ومن اتبع سبيل النقي - ما يعز الله به من استقام عليها - علماً صادقاً، وعقيدة صحيحة، وعملاً صالحاً وحكماً ورشداً وأدباً . ويهديهم إلى أقوم الطرق وأهداها إلى الفلاح، والنقوة والتمسكين في الأرض، وسعادة الأولى والأخرى، على ما أرسل به ربنا سبحانه جميع رسله وأنزل به كل كتبه . فإن جميع الرسائل والكتب من عند الله العليم الحكيم، لهداية الإنسان وخيره وسعاده، والإنسان بطبائعه وجبالته وزمانه ومكانه لا يتغير، إلا تغيراً طفيفاً في أسباب اكتسابه لمعيشته، وما لها اكتشف واستحدث - بماءله الله - من معادن وصناعات وغيرها . فلذلك اتفقت الرسائل والكتب في العقائد وأصول الأحكام والشرائع « ألا تعبدوا إلا الله، ولا تعبدوا الله إلا بما شرع وأحب وارضى لكم من الدين » فهي لذلك يصدق بعضها بعضاً . وتدعو جميعها الإنسان إلى الاحتفاظ بما أكرمه الله به من مزايا الإنسانية وخصائصها . وأهمها وأعلاها : أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته، وتجليات هذه الأسماء في الأنفس والآفاق، ويجدد هذه المعرفة وينميها دائماً بالتأمل في سنن الله وآياته الكونية، والتفقه في شرائعه ورسالاته .

ولا سبيل له إلى هذه المعرفة : إلا إذا عرف نفسه عبداً لله ربه، يريه بنعمه وآياته، وبره وإحسانه، وأن كل أفراد الإنسان - أحمره وأسوده وأبيضه . ذكره وأنثاه، في جميع أزمانه وأمكنته، وبكل أحواله وألوانه - كذلك مثله سواء عبيد لله ربهم، لا صلة بين واحد منهم وبين الله إلا صلة عبد برب، ورب بعيد : عبد مخلوق ضعيف، عاجز بطبعه، فقير فقراً ذاتياً، ورب خالق قوى عزيز، غني حميد . يَرْبُّ عبده فيغنيه، ويطعمه

وبسقيه . وإذا مرض فهو يشفيه ، وإذا جهل فهو يعلمه ، وإذا ضعف فهو يقويه . وإذا
أخطأ فهو يقومه . وإذا أذنب واستغفر فهو يغفر له ويرحمه . وهو الذى أحياء ثم يميتهم ثم
يحْيِيهِمْ ، ثم يحاسبه ويجزئ به الجزاء الأوفى . كل نفس بما كسبت رهينة .

فيؤمن به على علم وبصيرة ، ويخلص عبادته وذله وحبه وإجلاله وتقديسه ، وخوفه
ورجاءه لله وحده ، فيسمو بذلك على معارج السكراماة . ولا يطأطأ رأسه إلا لربه ، ولا يمشى
إلا هو ، وقد آمن أن الإنسان كله عبد لرب العالمين ، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً
ولا حياة ولا نشوراً . وتأبى عليه كرامته الإنسانية العالمة الرشيدة الحكيمة ، وعزة عبوديته
لله الذى بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير : أن يتخذ من دون ربه أولياء وآلهة
يقدمهم ويعتقد فيهم القوة والقهر ، وشديد البطش ، فيحبهم كحب الله ، ويرجوهم كرجائه
لله ، ويخشاهم ويخافهم كخشية الله ، والخوف منه ، ويدين بأن فيهم من الذاتية المقدسة
ما يجعل لهم من صفات الربوبية وخصائصها - التى يعبر عنها أولياء الشيطان بالسحر ، و«النور»
و«شيء الله» - فيعبدون بالدعاء والابحار والاستغاثة ، والحلف والنذر ، ويقرب باسمهم
تقرباً إليهم نصيباً مما رزقه الله رب العالمين ، واعتقاد قدرتهم على إعطاء البركات ، ويخاف
سلطانهم وبتشهم . ويرجوهم ويتخذهم وسطاء وشفعاء يقربونه إلى الله زلفى ، وقد آمن :
أن الله ربه ورب العالمين ، هو السميع العليم القريب المحيى ، البر الرءوف الرءوف الرحيم
الذى قال (١٨٦:٢) وإذا سألت عبادى عنى ؟ فإنى قريب . أجيب دعوة الداع إذا دعانى)
وقال (٤٠ : ٦٠ وقال ربكم : ادعونى أستجب لكم) .

* * *

قال الله تعالى فى وصف التوراة ، وبيان ما فيها من الهدى ، وأنها فرقان بين الحق
والباطل ، والشرك والتوحيد ، والمتقين والفجار (٣ : ٣ ، ٤ نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقاً لما بين يديه . وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس . وأنزل الفرقان . إن
الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد . والله عزيز ذو انتقام) وقال (٧ : ١٤٥) وكتبنا
له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء . فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا

بأحسنها) وقال (٢١ : ٤٨) ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين) وقال (٢٨ : ٤٣) ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ، بصائر للناس وهدى ورحمة ، لعلهم يتذكرون .

* * *

وقد أكد ربنا سبحانه الوصية في التوراة - كما أكدها في كل كتبه ، وعلى لسان كل رسول من رسله - بأنه ما أنزل كل هذه الكتب وأرسل جميع الرسل إلا لخير الإنسان، وضمان الحياة الآمنة الطيبة ، والعيش الهنيء الرضى ، لمن استقام - على علم وهدى وبصيرة - على مارسه له ربه في هذه الكتب والرسالات ، وأن من أعرض عنها - مستعصياً بالتقليد الأعمى للآباء والشيوخ ، على غير هدى ولا علم ولا بصيرة - وغفل عن تذكيرها وعن سنن الله في الأنفس والآفاق ، واتبع هواه ، فدان دين الجاهلية التقليدى : فقد كفر بالله وآياته وكتبه ورسله ، وانسأخ من آيات ربه وأتبعه الشيطان ، فكان لابد من الغاوين ، وكان كل أمره فرطاً . وحقت عليه كلمة الله ، وحل عليه غضبه . فيكون من الهادين في الدرك الأسفل من الشقاء والعيش الضنك والمذاب الأليم في الأولى والأخرى . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون . وما ظلمهم الله شيئاً . ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

قال الله تعالى (٢ : ٣٨ ، ٣٩) فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى : فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَفْ عَلَيْهِمْ وَلَا يَكْزِبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وقال (٢٠ : ١٢٣-١٢٧) فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ، فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى . وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَّهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ : رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ، وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ؟ قَالَ : كَذَلِك ، أَتَمَتَّ آيَاتِنَا فَنَسِيتَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْفَسَى . وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَن أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ . وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَشَدُّ وَأَبْقَى .

* * *

هذا ، وجائز أن يكون ربنا قد عني الكتابين جميعاً - الكتاب المكنون عنده فوق العرش ، والكتاب المنزل على موسى - فإن مافي التوراة من التفصيل لكل شيء ،

والهدى والرحمة ، والفرقان والتبيان ، والتفصيل لكل شيء ، والوعد والوعيد ، والوصايا والشرائع والأوامر ، والنذر والتخويف من الكفر والفسوق والعصيان عن أمر الله بذكر العواقب ، والتذكير والعبر - إنما نزل من الكتاب المكنون الذى سماه الله «أم الكتاب» أى الجامع لكل ما فى الكتب المنزلة ، وكتب الأعمال ، والذى كتب فيه كل شيء قبل خلق السموات والأرض ، كما أخبر ربنا بذلك فى قوله (١٣ : ٣٨ ، ٣٩ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، لكل أجل كتاب ، يَمْحُ الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب) .

* * *

وقوله « لتفسدن » أصل « الفساد » فى لغة القرآن - لغة العرب - نقيض « الصلاح » والشئ يصلح حين يستكمل الصفات والشروط والأسباب ، التى باستكمالها يؤدى المقصود منه ، ويباغى الغاية المرجوة . فالفساد : عدم حصول هذه الصفات والشروط والأسباب كاملة على الوجه المطلوب للشئ ، فلا يؤدى المقصود منه .

وهى فى كل شيء - الإنسان والحيوان والنبات والهواء والماء وغيرها - بحسبه ، وبحسب خلقه ، وما خلق له .

فالطمومات والمشروبات والملبوسات ، ونحوها مما خلقه الله لحاجة الإنسان ومعيشتة : صلاحها باستكمال المواد والعناصر التى جعلها الله فيها ، على صفاتها ومقاديرها الطبيعية - لتكون صالحة لأداء المقصود منها للإنسان ، وليباغى بها الغاية التى يحبها لنفعه وسعادة عيشه ، وبشرطها على الوجه الذى تقتضيه الحكمة والرشد فى الوقت والكمية والكيفية ، وحينئذ تكون نافعة للإنسان ، مؤدية له حاجته التى جعلها الله فيها بأصل الخلق والافترة .

وفسادها : بأن تبطل منها عناصرها ومواد التغذية والنفع فيها ، ووقاية الحر والبرد ، أو تنقص بعضها ، ويتبدل من حاله الطبيعى الفطرى إلى حال آخر ، كتبدل عناصر التغذية فى الفواكه ونحوها ، وبطلان حقيقتها الفطرية ، بتخميرها حتى تغلب مادة السكرول عليها .

فتكون خمرًا خبيثة ، ويطعماها الإنسان الجاهل الغبي الفاسق ، فتسكون له أذى وضررًا ، وهلاكًا وقتلا في أولاه وأخراه .

وصلاح الشجرة : بأن تستكمل كل الأسباب والصفات والشروط التي بها تنبت وتستوى على ساقها ، حتى تعطى غارسها الثمرة الطيبة التي من أجلها عانى غراسها ، وتحمل النصب والتعب من أجله . فلا بد له من العلم بطيب البذور والنوى وخبيثه ، وصالحه وفاسده . ولا بد له من العلم بطبائع الزرع والشجر ، وما يصلحه وما يفسده : من الزمن والأرض والماء ونحو ذلك ولذا فلا بد له من انتقاء النواة ، واختيار الأرض الصالحة بخصوبتها ومناخها ، وتهينتها بالحرث ، وتخليتها من النباتات الضارة لزراعته وغرسه ، وتجرى النصل المناسب ، ثم تعدها بالسقى في الأوقات المناسبة ، وتقليم الأغصان وتهذيبها ، وانتظار النضج التام للثمرة . ثم يأخذ منها بعد ذلك الثمرة الطيبة التي قصد إليها عند غرس النواة ، وفي أول لحظة فكر فيها وأرادها ، ويحصل على مطلوبه النافع .

وفقدان ذلك - كله أو بعضه - يجعل الشجرة فاسدة ، أو الثمرة مؤذية آكلها ضارة به . وهكذا صلاح كل شيء وفساده الحسى .

والإنسان اليقظ يحرص دائماً على تعهد الشجرة في نموها . فإن وجدها بطيئة النمو يبحث عن العلة : هل هي من أصل الأرض والتربة ، أو من مادة غريبة مانعة ، أو من نفس البذور والنوى ، أو من أى شيء آخر ؟ فإذا ما عرف العلة عالجها ، فإن أخذت الشجرة في نموها المعتاد ، وإلا قلعها ، واستبدلها بغيرها . وكذلك يتعمد ثمرتها كل موسم ، فإن وجد فيها تصور ؟ عما ينبغى : عالجها أو قلعها ، وهكذا الأعمال من صلاة وغيرها ، فإن لها ثمرات يؤتيها الله العامل . فإن صلحت على الوجه الذى أحبه الله ورضيه ، وجعل رسوله صلى الله عليه وسلم فيه القدوة : أنت الثمرة الطيبة النافعة ، وإلا كانت الثمرة خبيثة ضارة . ولكن أكثر الناس بالتقليد الأعمى عن ذلك غافلون . فالثمره الطيبة للصلاة : أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر . يعرف هذا المؤمن اليقظ ، الفقيه فى دينه ، الرشيد فى كل شأنه .

فأما صلاح الإنسان : فإنما يتحقق كذلك باستكمال الصفات والأسباب والشروط التي

جعلها الله المليم الحكيم - بالفطرة وبالعلم والمعرفة من سنن الله الكونية ، أو من وحيه ورسالاته المنزلة - فإن الله سبحانه جعلها مؤدية بالإنسان إلى الصلاح والانتاج النافع والإثمار ، الثمار الطيبة الصالحة لجمل حياته طيبة ، تتوفر له فيها أسباب الفلاح والفوز ، والمادة وطيب العيش . ورغده وتبعد عنه النكد والشقاء في أولاه وآخرته .

وفساد الإنسان : بفقدان ذلك أو بعضه . بفقدته وتضييعه يشمر لنفسه ولمن حوله ثمرات قاسدة خبيثة ، وينتج نتائج ضارة له ولمجتمعه ، منفصة لحياته وحياتهم . فيشقى بذلك في الأولى والأخرى .

وصلاح أعمال الإنسان وأخلاقه : باستكمال الأسباب والصفات والشروط التي تجعل أعماله وأخلاقه مثمرة له ولمجتمعه. الثمرات الطيبة النافعة التي توفر لهم رضوان الله وتوفيقه وتسديده . وتؤدي للإنسان ما يرجوه بفطرته التي فطره الله عليها ، وما يسعى إليه - جاهداً وكادحاً - من الفلاح والفوز ببلوغه كل ما يؤمله ويتمناه ، من الخير والمال والطمانينة ، ويكون الإنسان الكريم الذي رضى عن ربه ، ورضى ربه عنه .

وذلك إنما يتم له بالعالم الصحيح بنعم الله عليه ، ومزاياها وصفاتها وأوضاعها ، وكيفية استعمال كل نعمة على وجهها وفي وقتها ، وبمقدارها ، للانتفاع بها والاستفادة منها ، وتقديره لهذه النعم - بمد هذا العلم ، الذي يجب أن يكون عن قصد وتفكير ، للعمل به والحاجة الضرورية إليه ، لا على أنه صناعة وحرقة لجذب لقمة العيش ، أو الجاه والسمعة ، وأخذ الشهادة الفنية به - وإحسانه الانتفاع بها - بالتحري النام ، واليقظة الصادقة - في وضع كل نعمة موضعها الذي خلقها الله ، وجعلها به نافعة صالحة ورحمة للإنسان .

فلا بد له - لأجل ذلك - أن يكون حريصاً على إنسانيته الكريمة - المأثلة المفكرة الميزة السمعة البصيرة - التي كرمه الله بها ، ومبزه ، وحريصاً أشد الحرص على العلم النافع اليقيني المقوم للنفوس والحجي للقلوب ، من سنن الله ، ومن رسالات الله ، ليتم له الإحسان في وضع كل نعمة موضعها على وجهها فيثمر ذلك الثمرات الطيبة له ولمجتمعه في الأولى والآخرة .

فساد أعمال الإنسان وأخلاقه : بأن يفقد ذلك أو بعضه بالتقليد الأعى ، فيساخت من آيات ربه ، ويتبعه الشيطان بالأهواء الجاهلية . فينفذ فيه سلطان عدوه بالهوى والشهوات البهيمية الشرهة ، فيضل عن طريق فلاحه وسعادته ، ويشقى بنعم الله عليه . إذ تتبدل - بهما وغفلته وغروره - كفرًا وفسوقًا وعصيانًا ، وبحسب نفسه من المهتدين الذين يحسنون صنعًا . وهو من الأخسرين أعمالًا . الذين ضل سعيهم في كل سبيل وكل عمل وكل عقيدة .

وصلاح المجتمع : باستكمال العناصر الصالحة ، والصفات والشروط التي جعلها الله المليم الحكيم مؤدية بالمجتمع إلى الصلاح والأمن والطمأنينة والمافية ، والقوة والعزة والتمكين في الأرض ، ونفاذ السلطان . فيسعد المجتمع ، ويؤدي ما خلق له ، من الخير والنفع ، وصلاح الأرض التي استخلفه الله فيها ، فيزيده الله قوة وعزة ونفاذ سلطان ، ويمكن له دينه الذي ارتضاه له . كما وصف الله تعالى سلفنا الصالح رضى الله عنهم بقوله (٣ : ١١٠) كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم) .

وانظر بعين بصيرتك ، وتدبر بقلبك السليم في هذا الشاء الكريم من الله ربنا على سلفنا الصالح ، وفي ذم الله لأهل الكتاب وتقبيح فعالهم الفاسقة عن أمره ، الدالة على غلظ رقابهم ، وقسوة قلوبهم . فسلمنا كانوا خير أمة وأنفع أمة للناس ، وأرحم أمة بالناس . لأنهم يأمرن بما هو الخير والسعادة لهم : يأمرنهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر . واليهود يأمرنهم بالحب والطاغوت ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله ، بل وقتل الأنبياء وكل من يأمر الناس بالعدل والقسط والمعروف ، وينهاهم عن المنكر .

فبأى الفريقين نفتدى ؟ وبأيهما نهتدى ؟ وأى السبيلين أحق بنا سلوكه والسير فيه ؟

* * *

وإن من يتلو القرآن حق تلاوته ، ويتدبره حق تدبره ، بل ومن يقرأ تواريخ الأمم الغابرة ، ليجد حقاً أن سلفنا الصالح رضى الله عنهم - كانوا خير أمة أخرجت للناس في فتوحهم ، وتقويضهم صروح البغي والكفر والفساد ، وإقامتهم صروح العدل والرحمة وصالح

الأعمال والأقوال والعقائد والأخلاق . ولقد كان الناس - على اختلاف ملتهم وعقائدهم وألسنتهم وألوانهم - في ظل سلطانهم الإسلامي أسعد عيشاً ، وأوفر طمأنينة وأمناً ، مما كانوا عليه في ظل ساطان ذرى دياناتهم وملتهم ، بل أسعد مما كانوا عليه في ظل أهلهم وذوى قربانهم .

ويجد أن بنى إسرائيل كانوا أشد خلق الله كفرًا بأنهم الله ، وفسوقًا عن أمره ، وانتهاكًا لحرماته ، وأبعد خلق الله عن الرحمة والعدل والإحسان ؛ فقد قتلوا زكريا وبجى عليهم ما السلام ، وقتلوا غيرهما من أنبياء الله والذين يأمرون بالقسط من الناس . وكم آذوا موسى الذى جعل الله نجاتهم من ظلم فرعون وسوء عذابه على يديه وبرسالته ، حتى بلغ بهم البغى والبهتان أن اتهموه بمباراة الله منه ، وطلبوا إليه أن يجعل لهم إلهًا يعكفون عليه كصنيع أهل القرية التى مروا بها بعد عبورهم البحر . ثم عبادتهم عجل السامرى .

ولقد رموا عيسى رسول الله عليه السلام ، وأمه الصديقة رضى الله عنها بأفحش الفاحشة ، وأنكر المنكر ، واتهموها بالزنا مع يوسف النجار ، وأن عيسى ابن زنى ، وما أفكوا هذا الإفك العظيم إلا بعد بلوغ عيسى الأربعين من عمره ، وهو يعيش بينهم موقراً محترماً .

فلما أرسله الله إليهم ، ودعاهم إلى إقامة العمل بالتوراة ، وانتهاج نهجها القويم ، ليتخلصوا من الفساد والبغى ، وحياة البؤس والذلة : قام شيوخهم من الأحرار والرهبان بعدائه أشد العداء ، وافتروا عليه وعلى أمه الصديقة البتول هذه القرية التى لا تليق إلا بهم ، وبرقابهم الغليظة وقلوبهم التى هى أشد قسوة من الحجارة . ولم يعبأ عيسى عليه السلام ، ولا العقلاء الذين اتبعوه بإشاعتهم هذه الفاحشة ، بل تابروا على الدعوة إلى ربه ، وبذل الجهد فى تخليصهم فلما رأوا أن تلك القرية لم تكف عيسى عن تبليغ رسالة ربه : سعوا بكل ما استطاعوا عند الملك الرومانى الوثنى حتى حكم على عيسى ابن مريم عليه السلام بالقتل والصلب ، وركل إلى أحبارهم ورهبانهم تنفيذ هذا الحكم ، ليحملوا وزره .

ولولا أن الله طهر عبده ورسوله عيسى من أيديهم الأثيمة الرجسة ، ورفعهم إليه ، وألقى شبهه على واحد منهم ، لنفذوا فيه الحكم القاسى أشد القسوة . وهم إلى الآن يعتقدون :

أن الذي قتلوه وصلبوه : هو عيسى رسول الله عليه السلام، ثم أغروا النصارى باعتقاد ذلك ، وباعتقاد قداسة قتله وآلة قتله ، والخشبة التي عذب عليها . فلا شك أنهم يحملون إثم قتل عيسى بما يعتقدون ويدّعون به إلى اليوم وبعد اليوم ، كما يحمل قوم إبراهيم الذي نجاه الله من نارهم - بسبب خارج عن قدرتهم وما كانوا يريدونه ويحبونه لإبراهيم - إذ قال (٢١ : ٦٩ ، ٧٠) يا نار كوني برّداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً ، فجعلناهم الأخسرين) .

فما أقبحهم الله على كفرهم الشنيع ، وبغيهم الفظيع في قتل زكريا ويحيى ومن قبلهما ومن بعدهما من الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام بأن سلب عليهم الأشوريين والكلدانيين مرة هؤلاء ومرة أولئك « فجاسوا خلال الديار » أى لم يتركوا مدينة ولا قرية إلا دخلوا قصورها ودورها ومعابدها يقتلون وينتهكون الأعراض ، ويأسرون ويغنمون ، ولم يتركوا أرضاً زراعية ، ولا بستاناً ولا مصنعة إلا خربوه وسلبوا ما فيه من آلات ومنتوجات ، وقتلوا وأسروا من فيه .

« وكان وعداً مفعولاً » حقق الله به ما وعدهم على كفرهم وفسوقهم وعصيانهم وتمردهم واستكبارهم على الله ربهم ، وعلى هداه وشرائه ووصاياه ، فلم يغن عنهم أحبارهم ولا رهبانهم ولا أموالهم ، ولا غرورهم بما كانوا يزعمون من علومهم التي فرحوا بها ، والتي بها حقروا رسالات الله وأبغضوها ومقتوها . فقد فعل الله بهم هذا العذاب ، بتسخير الكلدانيين والآشوريين وغيرهم ، تحقيقاً لوعده الذي لا يتخلف .

ولم تنفعهم - ولن تنفعهم - ولا غيرهم من آلهم وأتباعهم في كفرهم وبغيهم ، وقولهم أكذب الفري والكذب على الله ، في دعواهم : أنهم أبناء الله وأحباؤه . لأنهم بنو إسرائيل ، الذي هو عندهم ، وفي عقيدتهم الصوفية الخبيثة : ابن الله البكر . لأنه النور الأول الذي فاض من الله ، وأنه لذلك أول خلق الله . وسبحان الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

ولا تزال - ولن تزال - الذلة والصغار مكتوبان عليهم ، ولا زمان لهم ، إلى يوم القيامة ، إلا بحبل من الله ، إن آمن منهم الإيمان العلمى الصادق ، وتاب وأناب وعمل عملاً صالحاً ، تنفيذاً لشرائع الله المرسلة ، المختمة برسالة من بشر به موسى وعيسى وغيرهما من أنبياء الله .

وأخذوا عليهم العهد بالإيمان به واتباعه وطاعته ، ونصره وتعزيده ، واتباع النور الذى أنزل معه : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بحبل من الناس . والناس أخيراً : هم نصارى أمريكا وإنجلترا وفرنسا الذين قد آن اليوم ، بصرخة بطل العروبة الرئيس جمال عبد الناصر - أعزه الله ونصره على كل أعدائه - أن تحق عليهم كلمة الله فى إهلاكمهم ، وإراحة الإنسانية منهم ومن شرورهم وشرور بنى إسرائيل ، التى أشقت الناس ونكدت عيشهم .

والله لاشك غاضب أشد الغضب على الصهيونيين الذين قتلوا المسيح عيسى ابن مريم ، بزعمهم واعتقادهم ، وصلبوه وأهانوه وعذبوه . وغاضب كذلك أشد الغضب على الناس الذين مدوا حبلهم للصهيونيين أعداء الإنسانية ، ليصنعوا لهم دولة فى عرين الأسود العربية المسلمة . والويل ثم الويل لهم قريباً . وإن ربك لبالمرصاد . وكان وعد الله مفعولاً . وكان حقاً على الله نصر المؤمنين الذين يحمون حى رسل الله وينصرونهم . ويعززونهم ، ويعملون جاهدين لتعيش الإنسانية فى سلام وأمن وعافية من مكائد الصهيونية الأثيمة التى يبغضها الله ويمقتها أشد المقت ، لما يعلم من عداؤها له ولرسله ولكل خير وطائفة يحبها للإنسان . لتبقى شمس رسالة الله مشرقة تهدى الإنسانية إلى الحياة الآمنة المطمئنة ، والعيشة الرضية فى الأولى والأخرى . والله عليم حكيم ، رحمن رحيم .

واقراً قول الله تعالى فى كفر بنى إسرائيل بأنعم الله عليهم ، وتمردهم على شرائعه ووصاياه ، ونقضهم العهد والميثاق ، وغرورهم باستخذائهم للأخبار والرهبان ، واتخاذهم وإياهم أرباباً من دون الله ، وعبادتهم الطاغوت ، وتحريفهم القول عن موضعهم ، ومحاولتهم إطفاء نور الله فى رسالاته بأفواههم ، وترويجهم الربى لإشاعة العدا والكره بين كل الطبقات . فلما امتلأت القلوب بالبغضاء والحقد : قام الصهيونى كارل ماركس بتنفيذ وحى الشيطان فى القضاء على كل مزايا الإنسانية . وأشاع دبنه المركسى البلوشنى الفاجر . وغير ذلك من جرائمهم التى يخطئها العد .

إذ قال ربك (٢ : ٤٠ - ٤٤) يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وإيتاى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به . ولا تشتروا بآياتى

ثُمَّ قَلِيلًا . وَإِيَّاي فَاتَّقُونَ . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ . وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ . أَنَا مُرُونَ النَّاسَ بِالْبَرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - ٥٩ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ . فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - : ٦٥ ، ٦٦ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ . فَجَعَلْنَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - : ٧٤ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ . فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ أَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ . وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ . وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ تَعْمَلُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - : ٧٩ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُونَ : هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا . فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - : ٨٥ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تُقَادُّوهُمْ ، وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ . أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ؟ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ . وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - : ٨٧ ، ٨٩ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ؟ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ . وَقَالُوا : قُلُوبُنَا غُلْفٌ . بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ . قَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - : فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ . فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ . بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ : أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، بَغْيًا ، أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ، وَلَا كَافِرِينَ عَذَابٍ مُهِينٍ - إِلَى قَوْلِهِ - : ٩٣ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ، خَذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا . قَالُوا : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا . وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ - إِلَى قَوْلِهِ - : ١٠٩ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ، حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ - إِلَى قَوْلِهِ - : ١٢٠ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ : ١٢٣ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا يُجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) .

وقال (٣ : ٢٠ - ٢٤) إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس . فبشرهم بمذاب اليم أولئك الذين حبّطت أعمالهم في الدنيا والآخرة . ومالم من ناصرين . ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ؟ يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا : لن نمسنا النار إلا أياماً معدودات ، وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون) .

وقال (٣ : ٩٨) قل : يا أهل الكتاب ، لم تكفرون بآيات الله ؟ والله شهيد على ما تعملون . قل : يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن ؟ تبغونها عوجاً وأنتم شهداء ؟ وما الله بغافل عما تعملون . يا أيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون ، وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم) وقال (٣ : ١١٠ - ١١٢) كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله . ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم . منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون . لن يضروكم إلا أذى . وإن يقاتلوكم يُؤثّوكم الأدبار ، ثم لا يُنصرون . ضُربت عليهم الدلة أينما تُقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباعدوا بغيض من الله . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وقال (٣ : ١١٨) يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبائلاً ، ودّوا ما عنتهم . قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر . قد بينّا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) وقال (٣ : ١٨١ ، ١٨٣) لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول : ذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) وقال (٤ : ٤٤ - ٥٤) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ؟ يشترون الضلالة ، ويريدون أن تضلوا السبيل . والله أعلم بأعدائكم . وكفى بالله ولياً . وكفى بالله نصيراً . من الذين هادوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، ويقولون : سمعنا وعصينا ، وأسمع غير مُسْمَعٍ ، وراعنا : لَيّاً بالسّتهم وظعنّاً في الدين . ولو أنهم قالوا : سمعنا

وأطعنا واستمع وانظرنا : لكان خيراً لهم وأقوم . وإلّا لكان لعنهم الله بكفرهم . فلا يؤمنون إلا قليلاً . يا أيها الذين آمنوا الكتاب ، آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنزّدها على أديبارها ، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولاً - إلى قوله - ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ؟ يؤمنون بالجلبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنهم الله . ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً . أم لهم نصيب من الملك ؟ فإذا لا يؤثنون الناس نقيراً . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ؟ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً . فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه . وكفى بجهنم سعيراً) وقال (٤ : ١٥٣ - ١٦١ يسألك أهل الكتاب : أن تُنزل عليهم كتاباً من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرينا الله جبهة . فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات . فغفونا عن ذلك . وآتينا موسى سلطاناً مبيناً . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وقلنا لهم : ادخلوا الباب مُجَدِّداً ، وقلنا لهم : لا تعذّبوا في السبت ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غُلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم . فلا يؤمنون إلا قليلاً . وبكفرهم وقولهم على مريم بُهتاناً عظيماً . وقولهم : إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبهه لهم - إلى قوله - فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحِلَّتْ لهم . وبصدّهم عن سبيل الله كثيراً . وأخذهم الربى وقد نهوا عنه . وأكلمهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للـكافرين منهم عذاباً أليماً) وقال (٥ : ١٢ ، ١٣ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً . وقال الله : إني معكم ، لئن أقعتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي ، وعزّرتهم ، وأقرضتم الله قرضاً حسناً ، لا تكفّر عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ، فبما نقضهم ميثاقهم لعنهم . وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به . ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم) .

وقال (٥ : ١٨) وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر من خلق . يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وقال (٥ : ٤١ ، ٤٢) من الذين هادوا سماءاً للكذب سماءاً لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه . يقولون : إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا . ومن يرد الله فتنته فلا تملك له من الله شيئاً . أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم . لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم . سماءون للكذب أكلون للسحت) وقال (٥ : ٤٩ - ٥١) وأن احكم بينهم بما أنزل الله . ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم . وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم فإِنَّه منهم . إن الله لا يهدي القوم الظالمين) . وقال (٥ : ٥٩ - ٦٦) يا أهل الكتاب ، هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ، وأن أكثركم فاسقون ؟ قل : هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ؟ من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت . أولئك شرٌّ مكاناً وأضل عن سواء السبيل . وإذا جاءوكم قالوا : آمنا ، وقد دخلوا بالكفر ، وهم قد خرجوا به . والله أعلم بما كانوا يكتمون . وترى كثيراً منهم يسارعون في الإنم والعدوان وأكلهم السحت . لبئسما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإنم وأكلهم السحت ؟ لبئسما كانوا يصنعون . وقالت اليهود : يدُ الله مغلولة غُلَّتْ أيديهم ، ولعنوا بما قالوا . بل يدها مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء . وليزیدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً . وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله . ويسعون في الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين . ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعملون) . وقال

(٥ : ٧٠ ، ٧١) لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم : فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون . وحسبوا أن لا تكون فتنة ، فعموا وصنّوا . ثم تاب الله عليهم ، ثم عموا وصنّوا كثير منهم . والله بصير بما يعملون) .

وقال (٥ : ٧٨ - ٨١) لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان دارد وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . نرى كثيراً منهم يتولّون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم . وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيراً منهم فاسقون) .

ولو أردنا سؤق كل ما جاء فيما أحل الله بيني إسرائيل عقاباً لهم ، وسفناه من القرآن ، لقننا لك : اقرأ القرآن كله ، تقريباً .

وبالجملة فالقرآن مليء بآيات توبيخهم وتقبيح فعلهم ، ومؤكد أن الله أعطاهم من النعم والإكرام كثيراً ، وآتاهم الملك والحكم ، وجعل لهم دولة عظيمة دخلت مصر وملكتهها وملكته بلاد الآشوريين وغيرها . وامتحنهم الله بذلك وغيره ليشكروهم ، وليحسنوا فيما آتاهم ، لكنهم كفروا أشد كفر وأطغاه وأشنعه . فسلط عليهم من جاسوا خلال ديارهم ، وتبرّوها تنبيرا ، فأهلكوا كل شيء ، وأخسروهم خساراً كبيراً . إذ قتلوا الرجال وسبوا الذرية والنساء ، وخربوا بيت المقدس ، وبعد فترة من الزمان ، امتحنهم الله ، فرد لهم السكرة عليهم ، وأمدّهم بأموال وبنين وجعلهم أكثر نفيراً . أى أعطاهم من الصحة وقوة الأجسام وكثرة العدد والثراء والغنى ما جعل عدد جيشهم الذين ينفرون للحرب كثيراً ، يظن أنهم يغلبون عدوهم . وذكرهم ما صنع بهم كفروهم وبغيهم وفسوقهم ومعاصيهم في الماضي ، وحذرهم العاقبة الوخيمة .

وقال لهم (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم . وإن أسأتم فلها) أى إن أحسنتم أخذ النعمة - فى الغنى والقوة وأسباب الملك ، وفى الشرائع والوصايا - بقوة وحزم ، وقصد جازم إلى الشكر والانتفاع ، والاستقامة على السبيل السوى الذى رسمه الله لكم ، وتبتّم عن فجوركم وبغيكم ، وذكرتم ربكم بالتفكير والتأمل فى آياته الكونية فى الأنفس والآفاق ، وبالتفقه

والتدبر لرسالاته وطاعتها ، وتحرى الاتباع لها : زكت نفوسكم ، وورقت قلوبكم ، وكنتم خير الناس لأنفسكم وللناس ، فمن كن الله لكم فى الأرض ، ومد فى نفوذ سلطانكم . وإلا فالله غنى عنكم وعن أعمالكم . فلن تضروه بكفركم وإفسادكم فى الأرض شيئاً ، وإن تنفعوه بطاعتكم وإيمانكم والله غنى عن العالمين .

(وإن أسأتم فلها) أى كما أسأتم وأفسدتم فى الأرض كما أفسدتم ، فسيسلط الله عليكم من هو أقوى وأشد بطشاً ، ويذيقكم من العذاب الدائم والذلة الملائمة : ما يسيء وجوهكم ، ويكسوها الحزى والذلة والمقت . وهو الذى سماء فى الآيات الأخرى « خزي الدنيا » « ويتبروا ما علوا تنبيراً » يعنى يخرّبوا بلادكم ويهلكوا دولتكم وسلطانكم أشد التخريب والإهلاك . فتخسرون كل شىء فى الأولى والأخرى .

فلم يحسنوا الانتفاع بنعم الله ، ولا فى أخذ شرائع الله ، بل بغوا وطفوا وفسقوا وعصوا ، وأسأوا أشد الإساءة . وأفسدوا فى الأرض أشد الإفساد . كما وصف الله ذلك فى كتابه ، واتبعوا أهواءهم ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، فازدادت قلوبهم قسوة ، ونفوسهم رجساً ، فأخذهم الله بذنوبهم ، وسلط عليهم مرة أخرى من صنع مثل صنيع الأولين وأشد .

* * *

ولا يزالون إلى اليوم وبعد اليوم فى التبار والذل والصغار . لأنهم لا يزالون أشد الناس إفساداً فى الأرض . فقد حاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلقاء حجر رعى عليه من عل - وكان سبب غزوة بتي النصير وإجلأهم - ثم سموه فى خير . ثم فى خلافة عمر رضى الله عنه - وقد انسمت الفتوح ، وأجلأهم عن جزيرة العرب - كونوا « الجمعية الباطنية » الإرهابية برياسة كعب الأحبار ، فاغتالت عمر رضى الله عنه . ثم ألبت على عثمان رضى الله عنه حتى قتلته ، ثم أغرت بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، حتى كانت وقعة صفين التى أريق فيها دماء أربعين ألفاً من المسلمين ، وشغلتهم عن الفتوح الإسلامية ثم قتلت علياً ، ثم ابنة الحسين ، ثم عملت مع أبى مسلم الخراسانى حتى قضت على الدولة الأموية العربية ، وأنت بالعباسيين ، لتسكون الدولة فى كفالة الفرس عبدة النيران ، وفى حضانة الفلسفة الفارسية ، واليونانية ، لتزيغ القلوب ، بعد أن تمحجب عنها شمس القرآن .

ثم ما زالت تعمل جاهدة حتى قضت على الخلافة العباسية بدسائس ابن العلقمى الذى كان وزير آخر خليفة عباسى وأحد أعضاء « الجمعية الباطنية » لملك التتار .

ومن قبل ذهب فرع منها إلى الغرب ، فكانت دولة بنى عُبيد ، الذين ادعوا أنهم قاطميون ، وكذبوا فها هم إلا يهود نسباً ، وعقيدة وعملاً وحالاً وعداء للإنسانية ، فضلاً عن الإسلام بل كانوا أكفر من اليهود والنصارى ، كما ذكر ذلك أبو بكر الباقلانى وغيره من محققى علماء المسلمين . وما زالت دولة العبيديين تقوى وتقوى فى غفلة الناس وجاهليتهم التقليدية وتزفهم المفسد ، حتى ملكت مصر وأقامت فيها دعوة الوثنية والإلحاد ، الواضحة فى « رسائل إخوان الصفا » وغيرها وفيما أقامت من قباب على القبور ، وموالد وأعياد لعبادة المقبورين ، وأقامت من دور ومنابر تلحن فيها وعليها وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهما : الصديق رفيقه وأنيسه فى الغار أبا بكر ، والباروق ، الذى أعز الله به الإسلام عمر . وتلحن الصديقة ابنة الصديق ، التى نزل جبريل بصورتها فى سرقة من حرير للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له « هذه زوجتك » رضى الله عنها وعن أبيها وعن كل الصحابة وما زالت كفر ياتهم باقية فى أغلب البلاد ، وفى بعضها لا تزال الألسنة والأقلام الكافرة الفاجرة الحاقدة على الإسلام تلحن الخليفتين ارشدين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وتعلن على المنابر أن عائشة رضى الله عنها الزانية ، وقد برأها الله أعظم براءة ، فى آيات تتلى فى المحارب . كفر بها أولئك الذين لا يلعنون إلا أنفسهم .

ثم وسعت « الجمعية الباطنية » دائرتها - بعد أن ظفرت بما ظفرت به فى البلاد الإسلامية - فتسمت باسم « الجمعية الماسونية » وأخذت تعمل جاهدة لإقامة الدولة الصهيونية يث أنواع الفساد ، وأسباب العداء ، بترويج الربى وأكل الأموال بالباطل ، والصد عن سبيل الله ، بين البشر شرقاً وغرباً ، حتى أتاحت لها الفرصة ، فأوقدت نار الحرب العالمية الأولى ، وأمدتها بالخطب والوقود من خزائنها التى ملأها من الربى وأكل أموال الناس بالباطل . وأخذت منها « وعد بلقور » الفاجر . ثم عملت جاهدة حتى أوقدت الحرب الثانية ، وأججت وغذتها حتى خرجت منها بتخريب وتقتيل آلاف الدور وملايين البشر ، ما شفى غيظها ، وأرضى قلبها القامى من الشعوب التى تمردت فلم تدن لإسرائيل بالعبودية . وخرجت من هذه الحرب الثانية بإسرائيل التى لن تبقى ، ولا بد أن تزول قريباً ،

وتطهر البلاد الإسلامية منها . وتكون القضية على الصهيونية المفسدة في الأرض ، كلها
ويستريح العالم من شرورها وإفسادها ، وإيقادها نار العداوة والبغضاء بين أفراد الأسرة
الإنسانية ، والله لا يحب المفسدين .

وقوله « عسى ربكم أن يرحمكم » أى إنما عاملكم هذه المعاملة بعلمه وحكمته ورحمته لعلكم
تعرضون - بالتوبة ، وتطهير القلوب من أسباب الشرور والفتن - لرحمته ، وتتقون غضبه
وسخطه وامنته . ولاكنهم عادوا وعادوا . ولا يزال شأنهم قسوة القلوب وغلظ الرقاب .
يعتقدون زوراً وبهتاناً أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أحق الناس بالملك والسلطان . وأن
من أشد الظلم لهم : أن لا تكون الأرض بمن فيها وما فيها ملكاً لهم . حتى عاقبهم الله
العقاب العادل الحكيم ، وحكم عليهم حكماً أبدياً لا نقض فيه ولا استثناء إلى يوم القيامة
(٧ : ١٦٧) وإذ تأذن ربك ليعمثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . إن
ربك لسريع العقاب . وإنه لغفور رحيم) .

* * *

وإنما حكم ربنا الغفور الرحيم ، العليم الحكيم ، هذا الحكم الأبدي على هذه الأمة الفضبية
أمة القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، الأمة الصهيونية ، رحمةً منه بالإنسانية ولطفاً بخلقه .
فإنه سبحانه يعلم أنهم لو تمسكوا وملكوا ، وكان لهم سلطان نافذ . فالويل كل الويل ،
ونسكد العيش الدائم والشقاء اللازم ، لمن يكون تحت سلطان قساة القلوب غلاظ الرقاب
الذين يسبون ربهم أقبح السب ، ويغلظون القول له في صلاتهم أيما إغلاظ ، ويعتقدون أن
الخلق والشعوب كلهم إنما خلقوا ليكونوا عبيداً لهم ، يقتلون من يريدون ، ويستحيون
من يريدون .

ولن يخلف الله وعده . ولو اجتمع الجن والإنس فان يقدرُوا على نقض حكمه الذى تأذن
به وأعلنه في أهل السماء والأرض . وإنهم لم يستطيعوا أن يضعوا أقدامهم الجرمية في أرض
فلسطين إلا نتيجة غفوة من العرب والمسلمين ، امتحاناً من الله وابتلاء . وهو العليم الحكيم .
وهم لا بد مستيقظون ، بل قد استيقظوا ، وأخذوا في أسباب القوة .

وقد بعث الله للعرب والمسلمين عبده « جمال عبد الناصر » أدام الله توفيقه وتأييده ونصره
وتسديده - فأيقظه بصوت هذه الصدمة المنيقة في فلسطين الجريحة ، ونفخ فيه روح العزة

الإسلامية والحمية العربية ، فصرخ صرخته بالقومية العربية - التي هي أساس الجامعة الإسلامية - التي هزت صروح الصهيونية ومن وصلوا بها حبالهم من الأئمة الفجرة ، وحوش البشرية ، لا بل حشرات السامة .

* * *

وها هي الأحداث هنا وهناك تؤكد أن حبلهم قد رَسَّ ، وأن يد عبد الله « جمال عبد الناصر » تشد وتشد ، وتمتد وتمتد ، ومن ورائها الأمة العربية الإسلامية - وقد ربطها الله برباط القومية العربية ، ووثقه بأواصر الجامعة الإسلامية القوية - وقد ملأ كلتا يديه بما صنع من الحديد الذي جعل الله فيه البأس الشديد والمنافع للناس . ومن أبرز وأهم منافعهم : تحطيم كل عناصر الصهيونية الخبيثة المجرمة ، الساعية في الأرض فساداً ، والموقدة نيران العداوة والبغضاء بين بني الإنسان في كل زمان ومكان ، والمؤججة لخرائق الحروب . وما أقرب ما ستتحقق منافع الحديد التي كان من أهم ما عني به الرئيس « جمال عبد الناصر » نصره الله وأعزه - أن أقام له مصانع : صنعت ، وتصنع ناسيقطع الله به حبل أمريكا وإنسكترا وفرنسا وشيعتهم ، ويقطع به دابر الصهيونية من الأرض . ليستطيع الإنسان أن يهنأ بالعيش الآمن في سلام ، ويطمئن في مِرْبِه ، وينام آمناً في أهله ، وتعود العرب خير أمة أخرجت للناس ، يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . والله غالب على أمره . وإن جند الله لهم الغالبون ، وإن حزب الله لهم المفلحون . وإن حزب الصهيونية - حزب الشيطان - لهم الخاسرون .

وما هي إلا أيام معدودات ، ورايات النصر ترفرف على ربوع العالم العربي كله ، وراية القرآن تظلل القلوب بهداها ، وتبعث من آياته وشرائعه في النفوس والقلوب ، حياة جديدة مثل ما كان في نفوس وقلوب الذين صبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله ، فكان ويكون الفلاح .

وصلى الله وسلم وبارك على إمام المهتدين ، وأصدق الصادقين عبد الله ورسوله الخاتم محمد وعلى آله أجمعين .
وكتبه فقير غفوا الله ورحمته

محمد عابد بنين

مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ

عليه وعلى نبيكنا الصلاة والسلام

هل يجوز تأخيره عن موضعه عند الحاجة لتوسيع المطاف ؟

بقلم

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني

أمين مكتبة الحرم المكي

(٢)

الفصل الثالث

أين وضع إبراهيم المقام أخيراً ؟

تقدم في الفصل السابق من حديث عثمان رضى الله عنه « فجعله لاصقاً بالبيت » .
ومن حديث ابن عباس « فكان يقوم عليه ويبنى » . ويحوله في نواحي البيت حتى
انتهى إلى وجه البيت » .

وقد ظهر أن منشأ مزبته وحصول الآية فيه - وهى أثر قدمى إبراهيم - هو قيامه عليه
لبناء البيت » .

فالظاهر : أن يكون إبراهيم أبقاه إلى جانب البيت في ذلك الموضع الظاهر - وهو عن
يَمَنَةِ الباب - لِنُشَاهِدِ الآية . ويُعرف تعلقه بالبيت .

وجاء عن بعض الصحابة - وهو نوفل بن معاوية الديلى رضى الله عنه - « أنه رآه في
عهد عبد المطلب ملصقاً بالبيت » وسنده ضعيف .

ويأتى « أنه كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ملصقاً بالبيت » .

ويأتى بيان أن ذلك في الموضع المسامت له الآن .

وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم له هناك ، يصلى هو وأصحابه خلفه بدون بيان أن له
موضعاً آخر : يدل على أن ذلك هو موضعه الأصيل .

ولم أجد ما يخالف هذا من السنة والآثار الثابتة عن الصحابة ، ولا ما هو صريح في خلافه من أقوال التابعين .

إلا أن الحب الطبرى قال فى القِرْمَى (ص ٣٠٩) قال مالك فى المدونة : كان المقام فى عهد إبراهيم - عليه السلام - فى مكانه اليوم . وكان أهل الجاهلية الصقوه إلى البيت خيفة السيل . فكان ذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعهد أبى بكر رضى الله عنه . فلما ولى عمر رضى الله عنه رده بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حتى أخروه وعمر هو الذى نصب معالم الحرم بعد أن بحث عن ذلك » .

هذا آخر كلامه فى المدونة فيما نقله صاحب التهذيب ، مختصر المدونة .

ولم أجد أصل ذلك الكلام فى مظنته من المدونة المطبوعة .

ثم قال الحب : « وقال الفقيه سند بن عنان المالكى فى كتابه المترجم بالطراز - وهو شرح للمدونة - وروى أشهب عن مالك قال : سمعت من يقول من أهل العلم : إن إبراهيم عليه السلام أقام هذا المقام ، وقد كان ملصقاً بالبيت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر رضى الله عنه وقبل ذلك . وإنما ألصق إليه لمكان السيل : مخافة أن يذهب به . فلما ولى عمر رضى الله عنه أخرج خيوطاً كانت فى خزانة الكعبة - وقد كانوا قاسوا بها ما بين موضعه وبين البيت فى الجاهلية ، إذ قدّموه مخافة السيل - فقاسه عمر ، وأخذه إلى موضعه إلى اليوم . قال مالك : والذى حمل عمر » .

إن ابن سند بن عنان وبين أشهب نحو ثلاثمائة سنة . فإن صح عن مالك فهذا الذى أخبره بالحكاية لم يذكر مستنده . ولا أحسبه استند إلا إلى حكاية مجملة وقعت له عن تحويل عمر رضى الله عنه للمقام وما جرى بعد ذلك ، فقال ما قال .

وسأأتى - إن شاء الله - تحقيق تلك القضية بما يتضح به أن ليس فيها دلالة على ما ذكر وعلى كل حال فهذه الحكاية المنقطعة لاتصلح لمقارمة ما تقدم من الأدلة . والله المستعان .

* * *

فالذى تعطيه الأدلة : أن إبراهيم عليه السلام وضع « المقام » عند جدار الكعبة فى الموضع المسامت له الآن .

الفصل الرابع

أين كان موضعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟

في هذا ثلاثة أقوال .

الأول : أنه كان في موضعه الذي هو به الآن . والأدلة الصحيحة الواضحة ترد هذا القول ، كما يأتي في القول الثالث .

والسكنى أذكر ما جاء في هذا ، مع النظر فيه ليعرف .

أخرج الأزرقى عن ابن أبى مليكة قال « موضع المقام : هذا الذى هو به اليوم هو موضعه في الجاهلية ، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر رضى الله عنه . فُجمل في وجه الكعبة حتى قدم عمر . فردّه بمحضر من الناس » .

سند الأزرقى رجاله ثقات ، وابن أبى مليكة من ثقات التابعين . لكن الأزرقى نفسه لم يوثقه أحد من أئمة الجرح والتعديل ، ولم يذكره البخارى ، ولا ابن أبى حاتم ، بل قال الفاسى في ترجمته من العقد الثمين « لم أر من ترجمه » . فهو - على قاعدة أئمة الحديث - مجهول الحال . وقد تفرد بهذه الحكاية . والله أعلم .

* * *

وقال الأزرقى أيضاً : حدثني جدى حدثنا داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة السهمى عن أبيه عن جده قال « كانت السيول تدخل المسجد الحرام ... ربما دفعت المقام من موضعه ، وربما نَحَّتْهُ إلى وجه الكعبة ، حتى جاء سيل في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقال له : سيل أم نهشل ... فاحتمل المقام من موضعه . فذهب به حتى وجد بأسفل مكة . فأُتى به فربط إلى أستان الكعبة في وجهها . وكتب في ذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فأقبل عمر - رضى الله عنه - فزعاً . فدخل بعمره في شهر رمضان ، وقد عُتِيَ موضعه وعَفَاء السيل . فدعا عمر بالناس ، فقال : أنشد الله عبداً عنده علم في هذا المقام . فقال المطلب بن أبى وداعة السهمى : أنا

يا أمير المؤمنين عندي ذلك . فقد كنت أخشى عليه هذا . فأخذت قدّره : من موضعه إلى الركن ، ومن موضعه إلى باب الحجر ، ومن موضعه إلى زمزم بمقاط ، وهو عندي في البيت . فقال له عمر : فاجلس عندي . وأرسل إليها ؛ فأتي بها ، فدها . فوجدتها مستوية إلى موضعه هذا . فسأل الناس وشاورهم ، فقالوا : نعم هذا موضعه . فلما استثبت ذلك عمر رضى الله عنه ، وحقّ عنده : أمر به ، فأعلم ببناء روضه تحت المقام ، ثم حوله . فهو في مكانه هذا إلى اليوم .

جد الأزرقى ، ودارد ، وابن جريج ، وكثير بن كثير : ثقات . لكن له عدة علل .
الأولى : حال الأزرقى كما مر .

الثانية : أن ابن جريج - على إمامته - مشهور بالتدليس ، ولم يصرح هنا بالسماع من كثير بن كثير .

الثالثة : أنه قد صح عن ابن جريج قوله « سمعت عطاء وغيره من أصحابنا . . . »
فذكر ما سيأتى في القول الثالث ، على وجه يشعر باعتماده له .

الرابعة : أن كثير بن المطلب : مجهول الحال . ولا يخرج من ذلك ذكر ابن حبان له في الثقات على قاعدته التي لا يوافق عليها الجمهور .

وقد روى ابن جريج عن كثير بن كثير عن أبيه عن جده حديثاً . فذكر ابن عينة : أنه سأل كثير بن كثير عنه ؟ فقال : ليس من أبي سمعته ، ولكن من بعض أهلى عن جدى .
وروى غير ابن عينة عن ابن جريج عن كثير بن كثير عن أبيه عن جده حديثاً قريباً من الأول ، ولعله هو . راجع المسند (ج ٦ ص ٣٩٩) فإن كان حديثاً واحداً فليس لكثير بن المطلب في الكتب الستة والمستدثى .

نعم أخرج ابن حبان في صحيحه الحديث الثانى من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن كثير بن كثير . وفيه ما يقتضى أنه حديث آخر ، لكن الوليد شامى ، ورواية أهل الشام عن زهير أنكرها الأئمة لأن زهيراً حدثهم من حفظه . فغلط وخطأ .

الخامسة : أنه لما جرى ذكر المطلب في القصة ذكر بما ظاهره أن الخبر غير « فقال له المطلب بن أبي وداعة السهمى ... فقال له عمر ... » .

وهذا يريب في قوله في السند « عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي عن أبيه عن جده » ويشعر بأن الحكاية منقطعة .

وقال الأزرقى : حدثني ابن أبي عمر قال : حدثنا ابن عيينة عن حبيب بن أبي الأشرس . قال « كان سيل أم نهشل قبل أن يعمل عمر رضى الله عنه الردم بأعلى مكة . فاحتل المقام من مكانه . فلم يُدَرَّ أين موضعه . فلما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل من يعلم موضعه . فقال المطلب بن أبي وداعة : أنا يا أمير المؤمنين ، قد كنت قدرته وذرعته بمقاط . وتخوفت عليه هذا : من الحجر إليه ، ومن الركن إليه ، ومن وجه الكعبة إليه . فقال : انت به . فجاء به ووضع في موضعه هذا . وعمل عمر الردم عند ذلك » .

قال سفيان : فذلك الذى حدثنا هشام بن عروة عن أبيه « أن المقام كان عند سقع البيت . فأما موضعه الذى هو موضعه : فموضعه الآن . وأما مايقوله الناس : إنه كان هنالك موضعه : فلا » .

قال سفيان : وقد ذكر عمرو بن دينار نحوه من حديث ابن الأشرس هذا . لا أُمَيِّز أحدهما عن صاحبه .

الأزرقى قد تقدم حاله .

لكن قال القاسى في شفاء الغرام (ج ١ ص ٢٠٦) : وروى الفاكهى عن عمرو بن دينار وسفيان بن عيينة مثل ما حكاها عنهما الأزرقى بالمعنى .

أقول : ليته ساق خبر الفاكهى . فإن الفاكهى - وإن كان كالأزرقى في أنه لم يوثقه أحد من المتقدمين ، ولا ذكره - فقد أثنى عليه القاسى في ترجمته من العقد الثمين . ونزّهه عن أن يكون مجروحاً . وفضل كتابه على كتاب الأزرقى تفضيلاً بالغاً ، ومع هذا فالأخبار التى يتفقان فى الجملة على روايتها نجد القاسى - ومن قبله الحب الطبرى - يُعَنِّيان غالباً بنقل رواية الأزرقى ، ويسكتان عن رواية الفاكهى ، أو يشيران إليها إشارة فقط .

وأحسب الحامل لهما على ذلك : حسن سياق الأزرقى . وقد قيل لشعبة رحمه الله : مالك لا تحدث عن عبد الملك بن أبي سليمان ، وقد كان حسن الحديث ؟ قال : من حُسِنها فررت :

ويربني من الأزرق حسن سياقه للحكايات وإشباعه القول فيها . ومثل ذلك قليل
فما يصح عن الصحابة والتابعين .

ويربني أيضاً منه تحمسه لهذا القول ، فقد روى (ج ٢ ص ٢٣) عن ابن أبي عمر
- بسند واهٍ إلى أبي سعيد الخدري - أنه سأل عبد الله بن سلام عن الأثر الذي في المقام .
فقال « كانت الحجارة - وذكر الخبر . وفيه - في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم : فصلى
إلى الميزاب وهو بالمدينة ، ثم قدم مكة . فكان يصلى إلى المقام ما كان بمكة » .
وقد روى الناكمي هذا الخبر كما ذكره القاسي في شفاء الغرام (ج ١ ص ٢٠٦)
ولم يسق القاسي سنده ولا متنه بتمامه ، إنما ذكر قطعة منه ، هي بلفظها في رواية الأزرق .
ثم قال : وفيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة من المدينة ، فكان يصلى
إلى المقام ، وهو ملصق بالبيت ، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
أسقط الأزرق في روايته قوله « وهو ملصق بالبيت ، حتى توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم » وجعل موضعها « ما كان بمكة » .

وقال في (ج ٢ ص ٢٧) حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا سليم بن مسلم عن ابن
جريج عن محمد بن عباد بن جعفر عن عبد الله بن صفوان . قال « أمر عمر بن الخطاب
رضي الله عنه عبد الله بن السائب العابدی - وعمر نازل بمكة في دار ابن سباع -
بتحويل المقام إلى موضعه الذي هو فيه اليوم . قال : فحوله . ثم صلى المغرب . وكان عمر قد
اشتكى رأسه ، قال [عبد الله بن السائب] : فلما صليت ركعة جاء عمر فصلى ورأى ، قال :
فلما قضى صلاته ، قال عمر : أحسنت . فكنت أول من صلى خلف المقام حين حوّل إلى
موضعه ، عبد الله بن السائب القائل » .

ولم ترق الأزرق كلمة « حول » فعقبه بقوله « حدثني جدی قال : حدثنا سليم بن مسلم
عن ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر عن عبد الله بن السائب - وكان يصلى بأهل
مكة - فقال « أنا أول من صلى خلف المقام حين رد في موضعه هذا . . . » .

هذا وأما بقية السند بعد الأزرق : فشيخه ابن أبي عمر : سيأتي ، وسفيان بن عيينة

إمام . وحبيب بن أبي الأشرس ضعيف ، راجع ترجمته في الميزان ولسانه . وعمر بن دينار ثقة جليل . لكن لا يُدرى ما قال . نعم يستفاد إجمالاً : أنه قد ذكر ما يتعلق بالتقدير .
فأما ما ذكر في هذه الرواية من رأى ابن عينة : فقد ثبت ما يناقضه برواية ابن أبي حاتم الرازي وهو إمام ، عن أبيه ، وهو من كبار الأئمة الموثقين ، عن ابن أبي عمر شيخ الأزرقى ، عن ابن عينة نفسه ، وسيأتي .

وأبو حاتم هو القائل في ابن أبي عمر هذا شيخه وشيخ للأزرقى « كان شيخاً صالحاً . وكان به غفلة . رأيت عنده حديثاً موضوعاً حدث به عن ابن عينة . وكان صدوقاً » .
أقول : ابن أبي عمر ثقة فيما يرويه عنه أبو حاتم ومسلم ونحوهما من الموثقين . لأنهم محتاطون وينظرون في أصوله . وإنما تخشى غفلته فيما يرويه عنه من دونهم ولا سيما أمثال الأزرقى .

القول الثاني

قال بعضهم : كان المقام لاصقاً بالكعبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى آخره هو صلى الله عليه وسلم إلى موضعه الآن .

ذكر ابن كثير : أن ابن مردويه روى بسنده إلى شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب « يا رسول الله ، لو صلينا خلف المقام : فأُنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فكان المقام عند البيت فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا » .

أشار ابن كثير إلى ضعفه .

وقال ابن حجر في الفتح (ج ٨ ص ٢٩) أخرج ابن مردويه بسند ضعيف - فذكره .
أقول : شريك من النبلاء إلا أنه بخطيء كثير ويدلس وإبراهيم بن مهاجر صدوق كثير الخطأ يحدث بما لا يحفظ فيحاط .

وقد صح عن مجاهد « أن عمر هو الذي حول المقام » كما سيأتي .

وفي شفاء الغرام (ج ١ ص ٢٠٦) ذكر موسى بن عقبة في مغازيه . . قال موسى

ابن عقبة . . . « وكان - زعموا - أن المقام لاصق في الكعبة . فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانه هذا » .

موسى بن عقبة ثقة ، أدرك بعض الصحابة . لكن ذكروا : أنه تتبع المغازي بعد كبر سنه ، فربما يسمع من هو دونه . وقد قال « زعموا » :

القول الثالث

قال آخرون : كان المقام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده لاصقاً بالكعبة حتى حوَّله عمر رضي الله عنه .

قال ابن كثير ، قل عبد الرزاق عن ابن جريج : حدثني عطاء وغيره من أصحابنا قالوا « أول من نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه » .

وقال عبد الرزاق أيضاً : عن معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال « أول من أخر المقام إلى موضعه عمر بن الخطاب » .

وقال ابن حجر في الفتح (ج ٨ ص ١٢٩) « كان المقام من عهد إبراهيم لَزَقَ البيت إلى أن أخذه عمر رضي الله عنه إلى المكان الذي هو فيه الآن » أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن عطاء وغيره . وعن مجاهد أيضاً .

ونقل الفاسي عن كتب الأوائل لأبي عروبة - أراه الحراني حافظ ثقة - عن سلمة - أراه ابن شبيب ثقة - عن عبد الرزاق - فذكر السندين اللذين ذكرهما ابن كثير . وقال في متن الأول « إن عمر رضي الله عنه أول من رفع المقام ، فوضعه في موضعه الآن ، وإنما كان في قُبْل الكعبة » .

وقال في الثاني عن مجاهد قال « كان المقام إلى جنب البيت ، وكانوا يخافون عليه من السيول . وكان الناس يصلون خلفه » .

قال الداسي : انتهى باختصار لقصة رد عمر للمقام إلى موضعه الآن . وما كان بينه وبين المطلب بن أبي وداعة السهمي في موضعه الذي حرره المطلب . فلا أدري : أخبر آخر

هذا عن مجاهد ، أم هو ذاك الخبر ؟ اختصره عبد الرزاق في مصنفه . وحدث به سلامة من حفظه ، أم ماذا ؟ .

وعلى كل حال : قالذي نقل ابن كثير وابن حجر عن مصنف عبد الرزاق ثابت . فيتمين حمل هذه الرواية على مالا يخالفه .

وفي الدر المنثور : أخرج ابن سعد عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب « من له علم بموضع المقام حيث كان ؟ قال أبو وداعة بن هبيرة السهمي : عندي يأمر المؤمنين ، قدرته إلى الباب ، وقدرته إلى ركن الحجر ، وقدرته إلى الركن الأسود ، وقدرته ، فقال عمر : هاته : فأخذه عمر فردّه إلى موضعه اليوم للمقدار الذي جاء به أبو وداعة » . لا أدري ما سنده .

و بقية ازوايات في هذا تذكر المطلب بن أبي وداعة لأبأ وداعة نفسه .

وقال ابن كثير : قال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي أخبرنا ابن أبي عمر العدني ، قال : قال سفيان - يعني ابن عيينة . وهو إمام المسكين في زمانه - « كان المقام من سقع البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحوله عمر إلى مكانه ، بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد نزول قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قال : ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا ، فردّه عمر إليه » .

وقال سفيان « لا أدري : كم بينه وبين السكبة قبل تحويله » .

قال سفيان « لا أدري : أكان لاصقاً بها أم لا ؟ » .

وقال ابن حجر في الفتح (ج ٨ ص ١٢٩) أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عيينة قال « كان المقام في سقع البيت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحوله عمر . فجاء سيل فذهب به ، فردّه عمر إليه » قال سفيان « لا أدري أكان لاصقاً بالبيت أم لا ؟ » .

هذا بفاية من الصحة عن سفيان بن عيينة ، كما تقدم أواخر الكلام على القول الأول .

(يتبع)

ماذا يفيدون من اشاعة الخرافات ؟

لفضيلة الأستاذ أبي الوفاء محمد درويش

إن للحق جلالاً وروعة ، وإن له اسطآنًا قاهرًا ، وحجة بالغة ، وإن له لنفاذاً إلى القلوب ، وتوجّلاً في النفوس ، وطريقاً إلى العقول . وإن كلمته لتعلوا حتى لا تعلوها كلمة ، وإن صوته ليقوى حتى ليتضاءل دونه الأصوات .

وإن الباطل لدموغ زاهق يتبدد أمام صولة الحق كما يتبدد الضباب إذا سطعت عليه أشعة الشمس (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زاهق) .
والخرافات كلها من الباطل الزاهق الذي لا بقاء له إلا في النفوس المريضة ، والعقول المعطلة المشلولة .

والخرافة كل أمر لا يقره الشرع ، ولا يؤيده العلم ، ولا يقبله العقل . وفي البلاد الإسلامية فريق من الناس يحاولون أن يخدروا العقول بإشاعة الخرافات حتى تقبل كل يأتونها به سواء أوافق الدين أم خالفه ، أطابق العلم أم ناقضه . أرضى العقل أم أسخطه .
وهم حين يحاولون إشاعة الخرافات يحرصون على أن يضيفوها إلى مقام سام يتهيب الناس أن يردوا ما يعزى إليه ، أو يجادلوا فيما يقال : إنه يتصل به .

نشرت مجلة الإسلام والتصوف في عددها الأول تحت عنوان (الطريقة الرفاعية) مقالا جاء فيه ما يلي بالحرف الواحد :

(روى الإمام أبو الفرج الواسطي قال : حج السيد أحمد الرفاعي عام ٥٥٥ هـ فلما وصل إلى المدينة وتشرف بزيارة جده صلى الله عليه وسلم ، وقف تجاه الحجرة الشريفة ، ووقفنا خلف ظهره فقال : السلام عليك يا جدى ! فقال له : وعليك السلام يا ولدى ! فتواجد لهذه النفخة وقال منشداً :

في حالة البعد روحى . كنت أرسلها . تقبل الأرض عنى وهى نائبتى

وهذه دولة الأشباح قد حضرت قامدد يمينك كي تحظى بها شفتى
قد له رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة من قبره الكريم قبلها في ملا
يقرب من ٩٠ ألف رجل .

ثم قال الكاتب : تلك رواية شاهد ثقة ، ومعجزاته صلى الله عليه وسلم لاتنقطع حيا
ومتقلًا هـ

وأقول : هذه خرافة بغير شك ؛ فالشرع لا يقرها ، والعلم لا يؤيدها ، والعقل يرفضها .
فالشرع يقول : سنة الله ولن نجد لسنة الله تبديلا . وقد مضت سنة الله أن ابن آدم إذا
فارق السر الإلهي انقطع عمله ، وبطلت حركته . فلا يمكن أن يمد يده ، أو يحرك قدمه .
والقول بغير هذا تكذيب لهذا النص الصريح من القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه . وتكذيب لسنة الرسول الذى يقول ! إذا مات ابن آدم انقطع
عمله إلا من ثلاث .

والعلم يقرر أن الحياة إذا فارقت البدن انقطعت حركته ، وسكنت نأمته ، وزايلته كل
مظاهر الروح وآثار الحياة .

والعقل الذى انضجته التجارب ، ولم يعطله أصحابه ، ولم تشله الخرافات لا يقر هذه
الأباطيل ، ولا يرضى هذه الترهات .

وتسمية هذه الخرافة معجزة غفلة عن حقيقة المعجزة ، فإن المعجزة إنما يجريها الله تعالى
على يد النبي تحدياً للكافرين ، وإقامة للدليل على صدق الرسول ، لأنها تقوم مقام قول الله
تعالى : صدق عبدى فيما يباغ عنى . والتسمون ألقا الذين قيل : إنهم كانوا بمسجده الشريف
مؤمنون آمنوا بالله وصدقوا برسالة الرسول فما حاجتهم إلى المعجزة ؟ وما موضع
التحدى فيها ؟

والقول بأن معجزاته صلى الله عليه وسلم لاتنقطع حياً ومتقلًا يحتاج إلى دليل يؤيده .
فمعجزة الرسول الخالدة هى القرآن الكريم ، وأما غيرها إذا وقع بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى
فيحتاج إلى ما يثبت به ويعوز القائلين به إقامة الدليل على صدقه .

الحقيقة أن ما قاله أبو الفرج الواسطي خرافة ، وأن شيئاً من هذا لم يحصل ، وأن اليد الشريفة لم تبرز من ضريحها ، ولم تغادر موضعها الذي استقرت فيه يوم ووري جسده الشريف في جدته الطاهر ، وأن هذا كذب بغيض روجه جهلة المريدين ، يزعمون أن ذلك يعطى من قدر شيخهم ، ويرفع من شأنه فيرتفعون بارتفاعه ويعتزون باتمائهم إليه .
هذا كذب متعمد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول : إن كذباً على ليس ككذب على أحد . من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

ومن أصدق أدلة الكذب في هذه الخرافة أن المسجد الشريف لذلك الحين لم يكن يتسع لتسعين ألفاً ، ولا لتسعة آلاف .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام ينهى عن تقبيل اليد في حياته الشريفة فكيف يقبل أن تقبل يده بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها ، فكيف لم يرد على التحية بأحسن منها ؟ .

ومن نبه التسعين ألفاً إلى أن حدثنا كهذا الحدث سيحصل لى بوجها جميعاً التفاتهم إليه ؟

وكيف يتسنى لتسعين ألفاً أن يشهدوا حادثاً وقع في بقعة صغيرة وهي جانب من الحجرة الشريفة ؟

هذه الخرافة يكذب بعضها بعضاً ، ويهدم آخرها أولها إن الخرافات التي كانت تقبلها عقول الناس في القرن السادس لا يمكن أن تقبلها عقول الناس في آخريات القرن الرابع عشر بعد أن ارتقى الوعي الديني بفضل جهود العلماء المخلصين الذي وقفوا حياتهم وجهدهم على تخليص العقول من أسر الأوهام وورقة الترهان .

ولا أدري ماذا يعتبرون من إذاعة هذه الخرافات ، وإشاعة هذه الأباطيل والترهات .
والحق أحق أن يتبع ، وليس بعد الحق إلا الضلال والسلام على من اتبع الهدى .

تعليقات

(١)

نشرت جريدة الأخبار بمدها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/٨/٢١ للأستاذ محمد زكى عبد القادر فى صفحة اليوميات ، كلمة حول موضوع (شباب اليوم) . وكان الأستاذ قد عقد فى عدد سابق من الأخبار مقارنة بين شباب اليوم وشباب الأمس ، انتهى منها إلى تفضيل شباب اليوم ، وأنه أحسن حالاً وأكثر رقياً . وعزا ذلك إلى الحرية التى يتمتع بها شباب اليوم ، وإلى الفرص التى أتاحت له بالاختلاط بالجنس الآخر ، وإلى قيام العلاقة بينه وبين أبويه على التفاهم والاعتناء لا على الطاعة والخوف كما كانت بالأمس ، ومن المعلوم أنه يقصد الشبان والبنات بكلمة الشباب .

فرد عليه بعض المنقذين ذوا التجارب والدراية بمشا كل الشباب ، منهم مراقب سابق بوزارة التربية والتعليم ومحامون وغيرهم ، ومنهم المسلم والمسيحى . وقد دللوا على فساد رأى الأستاذ زكى عبد القادر فى تفضيل شباب اليوم ، وذكروا ما أصابه من الفساد والتحلل والتقصى عن كل خلق كريم . وذكر أحدهم فى رده « أن فى كتاب الله آيات يثبت لم ترسل لجيل دون جيل ولكن لكل زمان ومكان » وأشار إلى الآيات التى توجب على الأبناء طاعة الوالدين ، والتى توجب على النساء عدم التبرج ، وذكر قوله تعالى (وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

أفتدرى ماذا كان رد الأستاذ زكى عبد القادر عليه ؟ قال (ما أحسب أن الآية الكريمة وردت لحكم دائم لا يتغير ، ولكنها وردت بالمقارنة بين حياة الإسلام والجاهلية ، بدليل أنها قرنت الاستقرار فى البيت بعدم التبرج . فلو تبرجت المرأة وهى بيئتها فقد عدت أحكام الدين ، ولو خرجت دون تبرج لسارت طبقاً لأوامر الدين) .

أما أن الآية الكريمة وردت - شأنها فى ذلك كشأن جميع آيات القرآن - لحكم دائم لا يتغير ، فهذا مما أجمع عليه المسلمون سلفهم وخلفهم ، بل أقر بذلك كثير من غير المسلمين

عن درسوا القرآن . حتى الأستاذ زكى عبد القادر نفسه يقر بذلك ، بدليل أنه تكلم عن حكم المرأة التي تتبرج إذا خرجت من بيتها والتي لا تتبرج إذا خرجت من بيتها ، فأجرى عليها أحكام الآية حسب فهمه لها .

أما قوله بأن الآية وردت بالمقارنة بين حياة الإسلام وحياة الجاهلية فهذا وحده يكفي للنفور من التبرج ، فإن الله سبحانه وتعالى إذا ذم خلقاً من أخلاق الجاهلية في كتابه الكريم ، فحرم بالمسلم أن يتجنبه ، ويفر منه ابتغاء مرضاة الله ، فهو سبحانه لا يرضى ولا يحب لعباده أن يتخلقوا بخلق كرهه وذمه في كتابه .

ثم قال أن الآية قرنت الاستقرار في البيت ، بعدم التبرج وقد أخطأ الأستاذ فإنها لم تقرن بينهما ، بل قابلت إحداها بالأخرى . لأن (وقرن) أمر ، (ولا تبرجن) نهى ، فهما متقابلين لا مقترنين والله سبحانه وتعالى يأمر النساء أن يكون حالهن الغالب عليهن الاستقرار في البيوت وعدم الخروج إلا لحاجة ملحة وبقدر تلك الحاجة . فليس التبرج إظهار الزينة والحاسن للرجال فحسب . بل مجرد خروج المرأة من بيتها إلى الشوارع والطرق : تبرج . ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهن بالإلتصاق بالجدر ، وعدم توسط الطريق ، حتى لا تبرزن ولا تتبرجن . لأن التبرج مشتق من البرج وهو دائماً يكون بارزاً وظاهراً فوق البيوت فإذا برزت المرأة وظهرت في الطرقات فقد تبرجت . ولذلك يقابل الله سبحانه الاستقرار بالتبرج في الآية .

(٢)

نشرت مجلة آخر ساعة بعددها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/٨/٢٠ فضيحة مزرية لعباد القبور والصوفية ، واسكن لا حياة لمن تنادى ، وما أنت بمسمع من في القبور . إن عباد القبور قد انسأخوا من آيات الله في أنفسهم : بالسمع والبصر والفؤاد ، وانسلخوا منها في السماء والأرض ، فاتبعهم الشيطان وركبهم فلم يعد ينفع فيهم إرشاد ولا وعظ ، ولا حتى صك في وجوههم بالحفائق المحسوسة الملموسة .

أرادت مجلة آخر ساعة أن تفضح عملياً خرافة الأولياء ، وكرامات الأولياء . فتقص

أحد موظفيها وإحدى موظفاتها شخصية أحفاد ولي من أولياء الله إسمه الشيخ (الدياصى) وأنه كان مدفوناً بالقيوم وأراد الانتقال إلى قرية كرداسة بمركز إمبابة مديرية الجيزة . فذهب الحفيدان المزعومان إلى بلدة كرداسة وعينا المكان الذى قرر جدهما أن يكون ضريحه فيه بجوار ولي من أولياء كرداسة اسمه (الجندى) وفعلأ قاما على نفقة المجلة ببناء الضريح وعمل السكوة والدعوة إلى مولد جدم والاحتفال بقدمه إلى كرداسة . وفعلأ تم لهما ما أراد . وسرعان ما تناقل الناس كراتات الولي الجديد ومجراته ، وسرعان ما انطوى المشعوذون من أهل القرية ، لرواية السكرات والرويا التي رأوها من حالته وأفعاله . ثم عقت المجلة على ذلك بقولها : -

« إن جميع أبناء كرداسة يؤمنون حتى الآن بالشيخ الدياصى ، وبكراماته التي ظهرت ولا يزالون يقدون إلى الضريح من كل مكان المرضى للشفاء ، والنساء المائرات ليرزقن بالأطفال ، واللاتى قاتهن من الزواج ليعثرن على ابن الحلال » ثم قالت « إن الأسطورة العجيبة التي تعيش في عقول الناس عن المشايخ والأولياء يجب أن تنتهى . والخرافات التي لا حد لها وعمليات النصب التي تتم في أرجاء الريف تحت قناع الدين ، يجب أن يوضع لها حل حاسم سريع التطهير . - ٢٥٠٠ ضريح لأولياء الله في مصر ، واللصوص وقطاع الطرق الذين يضحكون على عقول الفلاحين بالعمائم الخضراء والحراء ، والأضرحة المبروكة ، والأحجبة والنماويز ، يجب أن يخرجوا من حياتنا ، ويعرفهم المحدثون على حقيقةهم . إن آخر ساعة تقدم الدليل الواضح الذى لا يحوطه أى غموض ، وتزيح النار عن أسطورة الشيخ الدياصى ، ولي الله ، صاحب المقام الذى يشفى العلات ، ويقضى الحاجات ، في قرية اسمها كرداسة . فقد قامت « آخر ساعة » بهذه التجربة العملية لكي تثبت حقيقة الخرافة الكبرى التي ، ازال يؤمن بها أهالى هذه القرية حتى هذه اللحظة . إنهم لا يعرفون أن « آخر ساعة » هي التي بنت الضريح ، وغطته بالقماش الأخضر ، وإن محررى آخر ساعة هم الذين تعمصوا الشخصيات الخيالية لأحفاد الشيخ الدياصى صاحب المقام . وإن آخر ساعة هي التي وضعت برنامج المولد والزيارات . وقضاء الحاجات من صاحب الضريح وخليفته

المبروك . إن التجربة عمرها ثلاثة شهور ، بدأت في مايو و انتهت في أغسطس وسجلت
بالصور من أول دقيقة لآخر دقيقة . ولكن هناك ٢٥٠٠ تجربة غيرها تعيش على الطبيعة
في أرجاء مصر ، وتحتفي وراءها آلاف من النصابين واللصوص والمشعوذين الذين يسبون
إلى الدين « وقالت المجلة أيضاً « خرجت آخر ساعة من هذه التجربة بنتائج خطيرة لم
تتوقعها على الإطلاق . لقد ظهر بوضوح مدى تعلق الناس بالدين ، واعتقادهم في كرامات
المشايخ على أنها من تعاليم الإسلام ، ولا يزال الريفيون حتى كتابة هذه السطور واقعين
تحت سيطرة رجال الطرق الصوفية الذين يزبنون لهم كثيراً من هذه الخرافات . كما تبين لنا
أن شيخ الطريقة ، أو ولي عهد الشيخ ، له مكانة كبيرة في نفوس الناس ، بل إن احترامه
قد يصل أحياناً عند الأنصار والمريدين إلى درجة التقديس والعبادة « إلى غير ذلك من
التعليقات والصور التي نشرتها المجلة لإيضاح هذه الحزبة الماحقة للصوفية لو كانوا يشعرون
ويحسون . ولكن هيهات ، فالجرح يميت إيلام .

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمجلات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والجبال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحمزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

عالم متوحش

بقلم الأديب سعد صادق محمد

رجل يقضى على حياة آخر لنزاع بسيط ولأقل سبب ، وآخر يقتل زوجته أمام أولاده ويقطعها إلى ثلاث أجزاء بسبب ٢٠ ملياً . وثالث يقتل أباه وزوجته وابنهما . ورابع يقتل أمه بسبب قرش . وخامس يباشر أخته معاشرة الأزواج .

وهذه تلك بعض من آلاف الفضائح المنكرة والجرائم البشعة التي نسمعها ونحمل لنا الصحف والمجلات أنباءها كل يوم تلك الجرائم التي تقشع من هولها الأبدان ، وتهتز منها النفوس ألماً وتبغخ الإنسانية أسفاً .

لم ينف أمر هذه الجرائم التي تحمل طابع الفظاعة والغلظة وتدل على القسوة والوحشية عند أحد من هم دون الأتارب والعشيرة . بل امتد إلى أولى الأرحام من الوالدين والأخوة وأبناء العمومة والحولة .

لقد انزعجت الرحمة من القلوب وضاعت الإنسانية من نفوس هؤلاء الأدميين ، فانقلبوا إلى وحوش ضارية كاسرة ، وانقلبوا يعملون أنيابهم في القريب ، والبعيد ، دون النظر إلى رابطة الإنسانية الكريمة التي تربط الناس ببعضهم بل تجردوا من عاطفة الأبوة ، والأخوة وقطعوا وشانح الرحم وراحوا يقتلون ويذبحون ويفعلون الفاحشة ويأتون المنكرات فيمن تربطهم بهم أوثق الصلات .

إننا إذا نظرنا إلى هذه الجرائم التي تقع كل يوم بشكل مفرع مؤلم نجد أن هنالك سؤالا يتروّد على لسان كل إنسان مشفق ماذا سيكون مصير هذه البشرية التي تأكل بعضها بعضاً كالأسماك ؟

الواقع أن الجواب يشير في النفس الألم والعجب ويبعث على الحسرة والدهشة في وقت واحد .

إن أغلب هذه الحوادث إنما تقع لأسباب تافهة جداً . . أسباب صغيرة حقيرة لا تدعو

إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح وانتهاك ما حرم الله ونهى عنه وما يقترب على ذلك من خراب البيوت وتيتم الأولاد وترمل النساء إجماد حالات من العجز والضعف والموت ثم تعرضهم لغضب الله وعذابه في الدنيا وفي الآخرة .

إذا نظر هؤلاء الحمقى الطائشون مرتكبو هذه الجرائم إلى الأسباب التي تدعوم إلى أفعالهم الشنيعة قبل ارتكابها ، من زاوية العقل والصواب والحكمة ، بل إنهم لو كانوا يأخذون العبرة مما يقرأون ، والحذر مما يسمعون بقلوب واعية متدبرة وروس مفكرة فاهمة ، عن آلاف الحوادث التي تأتي أنبأؤها في الصحف وغيرها ، وعن عواقب مرتكبيها السيئة لو كانوا فعلوا كذلك ، لتبدل الموقف وتغير الجو ولا يمكن الحيلولة دون هذه الحوادث التي كدم دمرت من نفوس وحطمت من قلوب . وأحالت كثير من الناس إلى عذاب وآلام وجلبت لهم الشقاء والحerman .

ما هذه النفوس الشريرة التي يقتل صاحبها نفساً لنزاع على قرش أو بسبب سبابة .
أول أجل كوب من الشاي ؟ ...

ما هذا الرجل الوحش الذي يزهد روح زوجته أمام أولاده ويقطعها أجزاء بسبب
٢٠ ملياً ؟ ..

ما هذا الشاب الطائش الذي يستحل لنفسه قتل الناس بالجملة فيسفك دماء أبيه وزوجته
وطفلها ؟ !

ما هذا الأب الذي ينقض كالوحش على ابنته أو طفله لينالها ويقضي على شرفها وهو
أعز شيء عندها ؟ !

ما هذا الابن الذي يخنل بتعقيته لياً كل فاكهة محرمة عليه ؟ !

ما هؤلاء الذين تجردوا من إنسانيتهم وفقدوا عقولهم وراحوا يتخبطون في الدنيا ذبحاً
وقتلاً ويعيشون في الأرض فساداً وخراباً ؟ !

لقد انسلخ الإنسان من كل القيم الإنسانية الفاضلة وصار لا يدعو إلا إلى الشر ،

ولا يسعى إلا إلى السوء ولا يعمل إلا للقطيعة والدمار ، وأمسى لا يحمل في قلبه إلا الحقد والكراهية والعدوان لأخيه الإنسان .

أصبح الناس لا يعملون حساباً لأدمية غيرهم ، ولا يحترمون حقوق إنسانيتهم ، ولا رابطة القرابة والرحم . فصار الرجل في نظر أخيه في الإنسانية كالفرخة قتله هين وذبحه سهل . وصار الأب والأم في نظر أولادها غرباء فجعلوا ما هي الأم وما هو الأب بالنسبة لهم ، بل وكأن الله الرحيم لم يوصى في كتابه الكريم بمعاملتها بالحسنى والرحمة ، ولم يأمر لهما بالمنزلة الكريمة في قلوب أبنائهما ، فكان إيدائهما وقتلهما أمر سهلاً وغير مستحيل .

وصار الرجل في نظر أخيه لا يساوى شيئاً فيقضى عليه طمعاً وحسداً وكراهية . وصار الأولاد وهم (فلذات الأكباد) عند الأب أو الأم حشرات يمكن أن يداس عليها بالأقدام ، فلا حنان أمومة ترعاهم ولا عطف أبوة يحول بينهما وبين قتل أبنائهما . ولم يعد للأخت عند شقيقها سياج من ضمير يحفظها ، ولا مانع من سجن يصونها فتتعدى حدود الله واستباح لنفسه جسدها واستحل ما حرم عليه .

نزل الناس من سماء الإنسانية العاقلة الكريمة ، إلى عالم متوحش خسيس ، وهورا إلى حضيض البهيمية السافلة ، بل إنهم والله لم يصبحوا في عداد البهائم والحيوانات ، لقد غدوا في مرتبة أقل من ذلك بكثير . فالحيوان حين يرى إنساناً أو حيواناً أجنبياً اقترب من عشه ، كشر عن أنيابه ووقف متنفضاً ليدفع الأذى عن صغاره ، وليبعد السوء عنها بدافع الحب والحنان الذي أودعه الله فيه .

لكن الإنسان الذي كرمه الله وفضله على سائر خلقه ، ومنحه العقل والتفكير ، تجرد من كل هذا ، وكفر بنعم الله ، وبأولاده وبأهله ، فأضاع حقوقهم ، وفقد الحب والبر والعطف نحوهم ، وانقلب إلى مفسد وسفالك للدماء ، وداع للخراب في الأرض . فانظر إلى أى حد وصلت البشرية من الانحطاط والتهور والكفر !!! ماذا أصاب العالم ١٩٠٠ . . . لقد امتد العدوان وتطايير الشرر إلى كل أرجاء الدنيا . .

ففي كل قطعة من بقاع الأرض نجد ناراً تتأجج في النفوس ، وأحياناً تاكل القلوب ،

ولعنات يصبها كل واحد على الآخر ، كل فرد تدفعه أغراضه إلى الطمع والفتك والتحكم في غيره . وكل دولة تريد أن تبتلع الأخرى بنية السيطرة والسيادة .

ما هذا الصراع الخفيف الناشب في العالم ؟! .. ماهذه الولايات التي عمت الأرض وشملت الدنيا ؟! ..

ماهذه الأساليب الوحشية ، التي أصبحت لغة التفاهم بين الناس ، فلا يلوحون ولا يتكلمون إلا بها ؟! ..

ما هذا التيار الملعون من الفن والحزازات والاضطرابات التي لم تترك صغيراً ولا كبيراً إلا جرفته ، ولا أفراداً ولا جماعات إلا أصابتها . ولا شعوباً ولا دولاً إلا شملتها ؟! ..

ما سر هذا العذاب الذي يحيط بالبشرية . وهذا البلاء الذي نزل وبسط جناحيه على كل الناس ؟! .. إنه غضب الله وعذابه . . ونذره وتحذيراته . .

ولكن هل من مستيقظ وفاهم ؟! ..

هل من صاحب عقل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويخشى الله ؟! ..

هل من صاحب قلب واع يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه ؟! ..

نرجو ذلك . .

الشركة الاقتصادية العامة

(هزل و الشافعي)

لتجارة الشاي والبن والبقالة وغيرها

بالجملة - والقطاعي

شارع الترجمان المتفرع من شارع القلعة (محمد علي سابقاً) ممر الشامي

تليفون ٤٥٧٢٢

الفرق والاختلاف — ٤ —

آفة الجماعة الإسلامية

للأديب عبد السلام رزق الطويل

حين تنهار دعائم الوحدة تسرى موم الخلاف إلى المجتمع فتقطع
أوصاله وتمزقه بددا ، وتقطعه أمما ، كل أمة تلعن أختها وكل حزب
بما لديهم فرحون .

أسباب الاختلاف وبواعثه :

ما كنت لأريد الخوض مع القراء في الحديث عن الخلاف بين علي ومعاوية ، ولكن
دفعني إلى ذلك ، أن هذا الخلاف كان هو الشرارة الأولى التي أوقدت نار الفرقة ، وأن
هذا الخلاف السياسي تبعه خلاف في التفكير الديني ترتب عليه ظهور الفرق والأحزاب ،
ولكن برغم هذا سيكون حديثنا عنه خاطفاً عابراً لانعروض فيه بالتمحيص موقف كل الطرفين
وأيهما الخطيء والمصيب ، فما إلى هذا قصدت ، وإنما سيكون حديثي فيه بقدر ما يلقى على
الموضوع الذي أنا بصدد من أضواء .

عرفنا أن الوحدة الإسلامية قامت على أسس وطيدة ، ونهضت على دعائم متينة ،
وأنها بقيت قوية متماسكة مابقيت تلك الدعائم والأسس أي عنصر كان يتولى الزمام رسول
الإسلام وصاحبه من بعده ، ويوم كان شعار المجتمع الإسلامي إذ ذاك زهد في الحياة الدنيا
وجهاد في سبيل الله .

ولكن ماذا حدث ؟ تهاوت هذه الأسس أساساً بعد أساس ، وانهارت هذه الدعائم
دعامة بعد دعامة خفت موازين العقيدة ، وهذأت سورتها ، وسكنت حديثها ، ولم يعد لها
دافعها القوي ، ووازعها الفتي إذ تهالك البعض في حب الدنيا ، وأشربت بعض القلوب
حب الرياسة ، وتحول الجهاد في سبيل الله إلى جهاد في سبيل الملك والسلطان ، وظهر في

المجتمع الإسلامي خلق السياسة ، وإذا ولجت السياسة باباً دخل معها الغدر والكذب ،
والخداع ، وتلاشت أركادت الصراحة والصدق والوفاء .

والتوجيه الخلقى والاجتماعى لم يعد لهما أثرهما الأول ، وعبادات الإسلام لم تجد القلوب
التي تقدرها ، وتفهم منها معاني الوحدة والالتئام ، والعصبة الإسلامية لم يعد لها فحولها وقوتها
لقد أمست رسماً ضئيلاً وظلاً خافتاً ، واضوء شاحباً بل استحالت فى عهد الأمويين إلى عصبية
جنسية محضة ، مضرية ، أوربية ، عربية أو عجمية .

ولانفسى مالموالى من أثر فى إشعال هذه النار ، وبث لهيبها فى كل مكان .
وبجانب هذا كانت توجد بقية من الصحابة فى قلوبهم إيمان ، وفى أعمالهم ورع
وتقوى ، فابتعدوا عن هذا المحيط ، ونحاشوا ذلك الميدان ، وربأوا بأنفسهم عن الخوض
فيه ، وتركوا الرياضة لطلابها يجرون وراءها ، ويشقون فى البحث عنها ، فترى سعد بن
أبى وقاص يزجر عمر ابنه وقد جلد ليحرض على خوض ميدان الفتنة وأن يأخذ منها بنصيب
فيصرف سعد عنها وقد ردعه قائلاً : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« إن الله يحب العبد الغنى الخفى التقي »^(١)

تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الفتن

ولم يكن هذا البعض من الصحابة فى ابتعاده وتورعه عن أتون الفتنة سلبياً فى مجتمعه ،
يتخلى عنه وقت شدته ، ويتركه يتلظى فى محنته كالأولئك من عرفوا من الرسول عليه الصلاة
والسلام أن ما يحل بمجتمعاتهم كارثة ماحقة ، وفتنة ضاربة والمؤمن من يبتعد عنها ، ويفر من
تبعاتها فيقول عليه الصلاة والسلام : «^(٢) يوشك أن يكون خير مالهم غنم يتبع بها شعف
الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن »

والتهبير بقوله : « يفيد قرب حدوث الفتن من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كما
تعلموا منه وعرفوا من أخباره الصادقة قوله « إنكم ستحرضون على الأماره وإنها ستكون
ندامة ، فنعمت المرضة ، وبثت الفاطمة .

(٢) الدين والتكاليف

(١) رواه الشيخان

فهل بعد هذا يأتون ، انهوا عنه ، ويقتحمون ما حذروا منه ، إن إيمانهم أعلى من ذلك وأجل .

ولعل القارىء يعجب إذ صورت حال المسلمين على هذا النحو السالف وهم حديثو عهد برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكذب بضمي على وفاته خمسة وعشرون عاماً !! ولكني سأورد في هذا الصدد حديثين لأبي حذيفة بن اليمان يؤيدان ما قررت ، ويؤكدان ما وضحت يتحدث في كليهما عن كيفية ومدى تفاهل ظل الوحدة الإسلامية عن ذلك المجتمع الأول .

وهالك نص الحديث الأول : عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : حدثنا رسول الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر : حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال^(١) ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلّموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة^(٢) فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت^(٣) ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجر دحرجته على رجل فنقَطَ فتراه مُنتَبِهاً وليس فيه شيء^(٤) ثم أخذ صلى الله عليه وسلم حصي فدحرجه على رجله^(٥) فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد منهم يؤدي الأمانة حتى يقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً^(٦) حتى يقال للرجل : ما أجلده ، ما أظرفه ، ما أعقله ، وليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان !!^(٧) ، ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت ، لئن كان مسلماً ليردنه على دينه ، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه^(٨) وأما اليوم فلا أبايع إلا فلاناً وفلاناً^(٩) .

(١) يراد بهذا الإيمان الفطري بالخالق والاعتراف بربوبيته . (٢) النومة : الغفلة والإعراض . (٣) الوكت : الأثر اليسير في الشيء المخالف للونه (٤) المجل والنقط : ما يصيب اليد من فقايع يضاء من جراء العمل بشيء صلب كالقأس ، والانتبار : التورم . (٥) يريد صلى الله عليه وسلم أن يضرب لهم مثلاً عملياً . (٦) وهذا تصوير أول لتقلص ظل الأمانة حتى يسئ الأمانة أشخاصاً معروفين بصفته وأما كنهم وهذا دليل ندرتهم .

(٧) وهذا دليل على ضياع مقاييس السكرامة والفضل واختلالها في المجتمع (٨) تصوير لما كانت عليه الأمانة في أيام الإسلام الأولى من انتشار ظل الأمانة في الناس حتى أن أبا حذيفة كان لا يتخير من يعامله لثقته في الجميع . (٩) تصوير آخر لقلّة الأمانة وندرتهم حتى يمكن عدم

وقد يدور بخلة الفارىء أن هذا التصوير للمجتمع الإسلامى يلىق بعصرنا بل بعصر أكثر من عصرنا فساداً ، ولكنه تصوير لحالة ذلك المجتمع فى عصر شهد طرقاته الصحابى الجليل أبو حذيفة بن اليمان .

والحديث الثانى مروي^(١) عن أبى حذيفة أيضاً ، إذ يقول : كنا عند عمر فقال : أيسم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه ، فقال : لعلمكم تمنون فتنة الرجل فى أهله وماله ؟ قالوا : أجل ، قال : فإن تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيسم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التى تموج كموج البحر؟^(٢) قال حذيفة : فأمسكت القوم ، فقلت أنا : فقال أنت ؟ لله أبوك ! قال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً »^(٣) ، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفاة^(٤) فلا تضره فتنة ما بقيت السموات والأرض ، والآخر أسود مراداً كالسكوز ، مُحْجِجاً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » قال حذيفة : وحدثته^(٥) أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر^(٦) قال : يكسر لا أبالك ، فلو أنه فتح لعلمه كان يعاد ؟ قلت : لا ، بل يكسر ، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت^(٧) حديثاً ليس بالأغاليط^(٨) ، قال أبو خالد - وهو راوى الحديث عن سعد أبى مالك - مستفسراً ، فقلت لسعد : يا أبا مالك^(٩)

(١) رواه مسلم (٢) أى الفتن الشاملة التى تدهم الجميع (٣) إشارة إلى تسابع الفتن وتلاحقها (٤) الصفاة : الصخرة الملساء ، والتعبير بالنكتة السوداء تصوير لأثر الفتنة فى القلب ، وأنه يكون يسيراً ثم يعظم . (٥) الضمير يعود على عمر . (٦) هذا الباب هو مقتل عمر ، كما يشير لذلك باقى الحديث (٧) هو يؤكد ماقلناه (٨) الأغاليط : جمع أغلوطة ، وهى ما يغالط بها ، والمراد حدثته حديثاً صادقاً ليس بالأساطير التى يشغل القصاص بها الناس (٩) أبو مالك : سعد بن طارق الراوى عن ربهى عن حذيفة .

ما أسود مر باداً ؟ قال : شدة البياض في سواد ، قال : قلت : فما الكوز مُحَجِّجاً ، قال : منكوساً .

وفي هذا الحديث أنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو الذي لا ينطق عن الهوى عن الفتن التي ستصيب المجتمع المسلم والتي تهمج كموج البحر .

وللرسول صلى الله عليه وسلم من الأخبار في هذا المضمار كثير ، وللصحابي الجليل أبي حذيفة اليد الطولى في رواية هذه الأخبار ، ولم يسمع غيره من الصحابة - إلا القليل - منها مثلما سمع ، ولا روى من أخبارها مثلما روى .

أجل : إنها السياسة العليا للدولة ، لا يتلقاها إلا ذوو السابقة في الإسلام ، وذوو البلاء فيه ، والفقهاء في شئونه كعمر وأبي حذيفة ، أما العامة فما كان لهم أن يعرفوا شيئاً منها حتى لا يهن منهم العزم ، ولا تضعف منهم القوة لو سمعوها ، ولذا نرى عمر رضي الله عنه حين أجابه الجميع بأنهم يعرفون خبر الفتن راجعهم في ذلك مبيناً لهم ما يريد .

* * *

العرض السياسي للخلاف :

أما وقد أشرنا إلى إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الفتن ، فلنـتعرضها في إيجاز كما أشرنا إلى ذلك فيما مضى .

تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة بعد مقتل عمر إذا انتخبة الستة أصحاب الشورى الذين قوض إليهم عمر قبل موته هذا الأمر ، ورأى عثمان أن يستعين في تدبير شئون خلافته بمن يعهد فيهم الكفاية من أقاربه ، نعم عليه بعض المسلمين في مختلف الأمصار هذا الانجاء ، وأخذوا عليه بعض هيئات كلها محالة على بني أمية ؛ أخذوا عليه نفية أبا ذر إلى الربرة . وردده الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده الرسول صلى الله عليه وسلم منها ، وكان يسمى طريد رسول الله ، ثم تزويجه مروان بن الحكم ابنته ، وإعطائه خمس غنائم

إفريقية ، وإيواءه عبد الله بن سعد بن أبي مروح بعد أن أهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمه إلى آخر ما تقدم عليه^(١) .

وسواء أحمت هذه الاتهامات أو بطلت^(٢) فإنها انتهت بمقتل عثمان رضى الله عنه ، وإشعال نار الفتنة التي لم تسكن بعد . وفي غمار هذه الفتنة بويغ على بالخلافة ، وعزل ولاية عثمان الذين كانوا سبباً في قتله ، ومن بين ولاته معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه الذي امتنع عن البيعة لولي وتبعه أهل الشام ، وقد اتهم علياً رضى الله عنه بأنه حرض على قتل عثمان ، أو على الأقل آوى القتلة في جنده .

وظهرت بين بنى أمية ومن والاهم فكرة الأخذ بثأر عثمان ، ونشبت لأجل هذا الغرض معركة بين كلاهما ضد علي رضى الله عنه ، المعركة الأولى : قادها طلحة والزبير وعائشة ، وكانت في الكوفة ، وانتهت بانتصار علي ومقتل طلحة والزبير^(٣) ، والمعركة الثانية : كانت بين علي ومعاوية ، وكادت تنتهى بانتصار علي لولا خدعه التحكيم التي تدل أبلغ الدلالة على تحول الخلق الإسلامى لبعض المسلمين إلى خلق السياسى يستعين بالدبلوماسية فى تحقيق المآرب دون النفقات للمثل الأخلاقية والدينية^(٤) ؛ ثم قتل علي رضى الله عنه على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم ؛ ثم تنازل الحسن ابنه عن الخلافة لمعاوية حقناً لدماء المسلمين .

وانتهت بذلك أزمة الأمر لمعاوية عام ٤١ هـ الذى سمي عام الجماعة ، وتربع على عرش الخلافة بنو أمية ، وأما تطور الخلاف وتحوله إلى خلاف دينى فذلك موضوعنا القادم إن شاء الله .

(١) الملل والجل للشهرستانى ج ١ ص ٢٧ . (٢) للعلامة الأندلسى أبو بكر ابن العربى كتاب « العواصم من القواصم فى مواقف الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم » يرى فيه أن بعض هذه الاتهامات باطل ، وبعضها مبالغ فيه ، وهو يسير على هذا المنهج فى تبرير مواقف الصحابة الذين خاضوا الفتنة ، وهو جهد مشكور أزال الريب والشكوك التى قد تخوم حول أعلام الإسلام وحملته تراثه .

(٣) موقعة الجمل سنة ٣٦ هـ (٤) موقعة صفين سنة ٣٧ هـ .

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات الممتازة في الصناعة والمثانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عطية صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة: محمد الفريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المثانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

التمن ٢٠ ملنا

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

٧٩.١٧ ٥

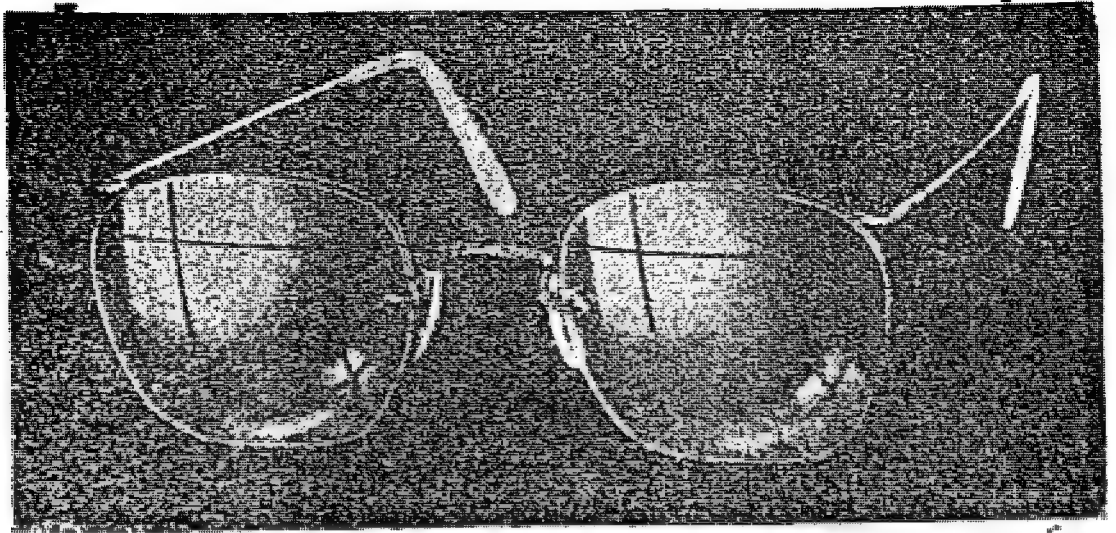
في أي مكان تجده يتألق ويبره



آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكرسي النموذجي
انتاج، حسن علف حقاد

إنه الكرسي النموذجي

في المائة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
موبيلات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل
مس على صمد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندي سجل تجاري ٤١١٠١



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي


أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ بميدان القبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شواير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمسية . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع



المهدي النجوي

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣	تفسير القرآن الحكيم	لفضيلة رئيس التحرير
١٩	مقام إبراهيم	للشيخ عبد الرحمن بن يحيى العلوى
٢٦	ندوة الإسلام والتصوف	لفضيلة الشيخ أبى الوفاء محمد درويش
٣١	باب الكتب	» » » » »
٣٣	طرائف	

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين لإرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترجو السادة المتعهدين لإرسال ما بهمتهم . ولم جميعاً الشكر

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات الممتازة التي تحظى برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان
لمتانتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتى

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل فى الدفع على أقساط شهرية
استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالمجلة والقطاعى

المهدي النبوي

مدير الإدارة
محمد رشدي غليل
الاشتراك السنوي

٢٠ - في مصر والسودان
٣٠ - في الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدي محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
محمد هاشم الفقي
الإدارة :
٨ شارع قوله
بعبدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

العدد ٤

ربيع الثاني سنة ١٣٧٨

المجلد ٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ٩ ، ١٠) إن هذا القرآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، ويُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ : أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ : أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)
اسم « القرآن » من قولهم : قرأت الشيء : جمعته وضممت به ، إلى بعض ، ومنه قولهم « ما قرأت هذه الناقة سَلَى ^(١) قط » ، و « ما قرأت جنينا قط » أي لم تضم رحمتها على ولد .
قال عمرو بن كلثوم :

ذراعِي عَيْطَلٌ ، أَدْمَاءُ بَكْرٌ هِجَانُ اللَّوْنِ ، لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

يقول : لم تضم رحمتها جنينا ، يعني لم تحمل .

قال في شرح القاموس : ومعنى « قرأت القرآن » لفظت به مجوعا ، أي ألقيته . وهو أحد قولَي قطرب . وقال أبو إسحاق الزجاج في تفسيره : يسمى كلام الله الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : كتابا ، وقرآنا ، وفرقانا . ومعنى « القرآن » الجمع . وسمى « قرآنا » لأنه يجمع السور ، فيضمها . وقوله تعالى (٧٥ : ١٧) إن علينا جمعه وقرآنه) أي جمعه وقرآته (٧٥ : ١٨) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي قرآته . وقال ابن عباس رضي الله

(١) « السلى » الغشاء الذي يكون الجنين فيه .

عنهما : فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بيناه لك . وروى عن الشافعي رحمه الله : أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين . وكان يقول « القرآن » اسم ، وليس بمهموز . ولم يؤخذ من « قرأت » ولكنه اسم لكتاب الله ، مثل « التوراة » و « الإنجيل » ويهمز « قرأت » ولا يهمز « القرآن » وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ : كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز « القرآن » وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير . وقال ابن الأثير في النهاية : تكرر في الحديث ذكر « القراءة » و « الاقتراء » و « القارئ » و « القرآن » والأصل في هذه اللفظة : الجمع . وكل شيء قرأته فقد جمعته . وسمى « القرآن » لأنه جمع القصص ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والآيات والصور بعضها إلى بعض . وهو مصدر كالفرقان . قال : وقد يطلق على الصلاة ، لأن فيها قراءة ، من تسمية الشيء باسم بعضه . وعلى القراءة نفسها . يقال : قرأ يقرأ قرآنا . وقد تحذف الهمزة تخفيفاً ، فيقال : قران ، وقريت ، وقار ، ونحو ذلك من التصريف . انتهى .

فنفهم من هذا : أن كتاب الله المنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، سمي « قرآنا » لأنه قد جمع الله فيه له ولأمته خلاصة الرسالات السابقة ، وزاده كل ما تحتاجه الإنسانية - لخيرها وصلاحها وأمنها وعافيتها - في كل شئونها في حياتها الباقية على الأرض وما سيحدث فيها من فنون وصنائع واختراعات ، وما يكشف الله لها من مكنوزات ومخبوءات تحت الأرض وفي أطباق الفضاء ، وما يكون من ذلك - بسنن الله في طبائع الناس واختلاف ألسنتهم وألوانهم ، التي يجعل الله بها لكل فرد شخصيته المستقلة التي تأبى بالفطرة السليمة التقليد الأعمى ، وتحرص على كرامتها الإنسانية ، مقدرة لربها - نعمته ، منفعته بها - من تفاعلات في النفوس وما ينتج عنه من اضطرابات ، واختلافات وعمل في المجتمعات ، وتبدل في التفكير والنظر إلى الحياة ، وما تقوم عليه من أفراد وأعمال وشئون ، إلى أن تقوم الساعة ليتقى الناس - بما يعملون من هذا القرآن ، وما يهديهم الله - ما يشق بهم وينفص حياتهم ، ويجلب عليهم الهم والحزن . ويسعون إلى ما يوفر لهم أسباب رحمة الله ورضوانه فيفوزوا بالفلاح والسعادة في الأولى والأخرى - بالتعارف والائتلاف والتعاون على تحقيق الخير

للجماعة . لأن خير الفرد لا يحصل على وجهه المحقق لسعادته إلا بأن يكون خيراً محققاً للجماعة فإن الفرد عضو في جسم الجماعة الكل . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « مثل المسلمين - في توادهم وتعاطفهم - كمثل الجسم ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » وقد أنزل الله تعالى العلاج المحقق لدرء شرور الخلاف ، وجعله في الدائرة النافعة الصالحة فقال (٤ : ٥٩) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلاً .

ولأنه قد جمع الله فيه كل علاج وشفاء للفرد والأمرة والمجتمع ، والدولة ، في كل بقعة على وجه الأرض ، وبكل لون . من كل ما يحدث للناس بظلمهم لأنفسهم وجاهليتهم ، وتقاليدهم الغافلة الضالة ، من أى علة ومرض نفسى وخلقى ، يتخذها الشيطان وحزبه سبيلاً إلى إشقائه الإنسان وتنكيد عيشه ، وتنقيص حياته الأولى والأخرى .

ولأن الله - رب الإنسان ، ورب العالمين ، الذى خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد - قد جمع فيه كل ما يغذى الإنسانية الكريمة ، ويربها ، ويرفعها ويسمو بها إلى أعلى معارج السكال الإنسانى ، الذى لا يكون إلا بسمو النفس وعلوها عن سفاسف الأمور ، ورذائل الأهواء والشهوات . ويباعدها عن أسباب الانحطاط إلى الدرك الأسفل فى ظلمات الجهل والظلم ، وتغاييب الظنون والسهو ، والأهواء وشهوات النفس الأمارة على الرشـد والحكمة والعقل ، الذى تكون ذاقته التحاسد والتباغض ، ثم التقاطع والعداء ، ثم الحرب والشقاء ، فيكون الخسران الأكبر والخسارة الدائمة ، والندامة الملزمة .

قال الله تعالى : (١٢ : ١١١) ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شئ . وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال (١٤ : ١) كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) وقال (١٦ : ٤٤) وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم ينفكرون) وقال (١٦ : ٦٤) وما أنزلنا عليك

الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال (١٦ : ٨٩)
ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

قد جمع العليم الحكيم الرحمن الرحيم فيه كل ما يحتاجه الإنسان - فى نفسه وفى الأسرة
وفى المجتمع - من أسباب كرامته وقوته ، وفلاحه وحياته الطيبة الآمنة ، وبينه له ربه أوضح
بيان ، وفصله أتم تفصيل وأكمله ، بحيث لا يحتاج أى إنسان فى أى بلد وأى زمن - إلى
يوم القيامة - وبأى لون من الألوان ، ليفوز بهذه الحياة الآمنة لا يخاف ولا يحزن ، ولا يضل
ولا يشقى ، إلا إلى الإيمان بهذا الكتاب : أنه النور والهدى له من عند ربه ، وأن يفهمه
الفهم العربى الصحيح الذى يعرف به مقاصده ، مستعيناً ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم
المنزل عليه ليبينه للناس ، ويمكن لهم هذا البيان من التفكير فيه وفى الآيات الكونية - فى
الأنفس والآفاق - فتستدير البصيرة ويصقل الفكر ، ويستقيم ميزان العقل ، ويؤتى الحكمة .
فيكون الإسلام له ، والإذعان والانقياد التام لهدايته وتوجيهه . ثم يكون الإحسان فى أخذ
نعم الله بقوة وحزم على بصيرة نيرة ، ثم الإحسان بالصبر والوقوف مع حقائق النعم بالثبوت
اليقظ ، الذى يحيط بجميع زواياها ونواحيها وخصائصها . ثم الإحسان فى وضعها على وجهها
فى موضعها ، الذى أحبه الله ، فأنعم عليه بها لأجله . فيقيه الله فيها وبها ما يكره ، ويحبه
ما يخاف ، ويباعده عن الهم والحزن ، ويوفر له الطمأنينة وراحة البال ، والرضى والسلام
والعافية ، فى نفسه ودينه وماله وعرضه ومجتمعه . ويبلغ بذلك كل ما يرجو ويؤمل رشيداً
يقظاً ، متحرراً بكل أسباب الفلاح ، على هدى ونور هذا الكتاب الكريم ، الذى فصل
الله فيه كل شيء ، وبينه تبياناً أى تبيان ، فجعله آيات بينات ، وبيان رسوله الكريم
- صلى الله عليه وسلم - الذى مارفقه الله إلى الرفيق الأعلى حتى أدى الأمانة حق الأداء ،
وبلغ الرسالة أوضح وأقوى بلاغ ، وترك الناس على الحججة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ
عنها إلا هالك .

وهذه هى الطريق « التى هى أقوم » أى أكمل استقامة ، وأحق بأن يتحرى العاقل
الناصح لنفسه معرفتها بنفسه وبفقهه ومعرفته معرفة صحيحة جيدة ، بمعالمها وآياتها وصواها ،

ويحرص على أن تكون كل خطوة في سبيل الحياة عليها ، وأن تكون كل حواسه ومشاعره الإنسانية يقظة أشد اليقظة في الثبوت من ذلك ، وتجنب الزلل والميل عن الجادة القاصدة . حتى إذا ما غفل بعض الغفلة ، وأنساه الشيطان ذكر ربه ، فاشتبهت عليه بعض المعالم والصوى : استيقظ عاجلاً من غفلته ، وتنبه إلى أن الخطوة قد حادت عن الجادة ، مما وجد من الأثر والثمرات التي عرف بهدى الفطرة : أنها ليست هي المطلوبة من هذه الخطوة ، ومما سمع من واعظ الله وداعيه في قلبه السليم ، وفي هذا القرآن الذي يهدي دائماً ، وفي كل خطوة ، إلى التي هي أقوم .

هذه هي الطريق « التي هي أقوم » وأقصد وأعدل وأحكم وأرشد ، كلما سعى فيها المؤمن الصادق الإيمان ، ووجد من المناء وسعادة العيش ما يملأ نفسه سروراً وفرحاً ، ويبدد من نفسه غياهب الخوف والحزن ، يحنى ذلك من ثمرات عمله الصالح الذي قام به وأداه - في البيت والأسرة ، والمتجر والغيظ ، وعلى مكتب العمل الحكومي أو غيره ، وفي المصنع ، ومع الأصدقاء ، وفي المسجد - بفقته وتدبر صحيح ، على يقين صادق ، وعلم صحيح ، اطمأننت إليه نفسه اليقظة النيرة بنور الفطرة وهداها ، والقائمة في عملها - في كل شأن وفي كل مكان ، قائماً وقاعداً ومضطجعاً - مقام العبودية لربها الرحمن الرحيم ، ترجو رحمته وتخاف غضبه . فحذر وحرص على أن اصطفى أصل عمله ونواته من بستان سنة صفوة الخلق ، وإمام المؤمنين المهتدين - محمد صلى الله عليه وسلم - وسقاه من هدى الله ربه في الفطرة ، وهدى العلم من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتوفيق والثبوت ، والحرص التام - في أشد محبة وآكد خشوع - على شرف عبوديته لربه الرحمن الرحيم ، وشرف طاعته واتباعه لصفوة الخلق أجمعين . محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد رضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا أميناً ، وإماماً هادياً أنجح وأفلح هدى ، وقدوة أحسن وأكرم قدوة .

فيحقق الله بفضل - وإحسانه وشكره - له وعده الحق . ويجعل له من هذا العمل الصالح النافع - الذي أداه بعزم صادق ، وقوة في نفسه وقلبه ، وعروج من روحه ويقين من

علمه ، وعبودية صادقة من كل نفسه ، يشعر أنه طريق فلاحه وفوزه لكل ما يحب ويرجو ،
قد آتاه الله من فضله ثمراته الطيبة - : فلاحاً وعزة وسمواً على درجات الكرامة الإنسانية -
غذاء طيباً جديداً نافعاً أحسن النفع لقلبه ولُبُّه الإنسانى الكريم ، الفـكر الواسع .
التدبر المتأمل فى خلق نفسه وخلق السموات والأرض ، فيـكبر قلبه ، ويتسع ويصفو
فـكره ، وتزداد فطرته وبصيرته نوراً على نور ، ويزداد عقله رشداً وميزانه حكمة ، وتدنوله
نمار القرآن الكريم ، فيجنى منها ما يزيده فقهاً وعلماً صحيحاً ، وإيماناً وهدى ونوراً .

وحينئذ يتجلى له معنى كلمة « قرآن » فيعرف أن الله العزيز الحميد قد جمع له فى هذا
الكتاب (الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) كل ما يهديه إلى ما بعده ،
ويصل به فى كل خطوة إلى قصد السبيل ، التى لا يضل سالكها ، ولا يشقى من يسعى فيها
إلى غاياته وعاقبته المرجوة ، ويعطيه الله فى كل خطوة منه الفـلاح والأمن والعافية .
(١٧ : ٨٢) ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا
خساراً) (٤١ : ٤٤ قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم
وقرّ وهو عليهم عى ، أولئك ينادون من مكان بعيد) .

فيتجلى له معنى آخر ، مع الأول : أنه الكتاب الذى ينبغى له أن يجعل تلاوته وتدبره
وفهمه هـجـيراً ، فإنه كلما تلا آية دعتـه - يمدوبة لفظها ، وبلغ معناها ، ورشيد هداها ،
وطيب غذاها ، ونافع شفاها - إلى أختها التى تليها ، ثم تدعوه السورة كذلك إلى أخواتها ،
ثم يجد نفسه - المؤمنة الرشيدة اليقظة - راغبة أشد الرغبة فى الاستزادة من طيبانه ، والعود
إليه مرة أخرى . لأنها أفادت من الثانية علماً جديداً وإيماناً جديداً ، وأدباً جديداً ، وهدى
جديداً ، ونعماً جديداً . فيعود وقد وجد أنه يدنو من الفواكه الطيبة فى كل مرة ، وأنها
تتدلى له ، وأنه يجد منها جديداً طيباً نافعاً غذاء وشفاء ، وقوة وعافية ، فتبقى إنسانيته
الفـكرة الممبزة الرشيدة فى نمو وكمال دائم ، ولُبُّه وقلبه السليم أبداً متنقلا فى رياض جنات
القرآن ونعيمها المقيم لا يشبع منه ، ولا يفارقه ولا يرضى عنه بديلاً ، حتى يلقى ربه ، فيقول
له « أفرا وأزق ، أفرا وأرق » .

فهو « قرآن » جامع لكل الخيرات والطيبات ، و « قرآن » داغ بنفسه لاستدامة
تلاوته وفهمه وتدبره ، تغذية للرب والروح ولدواتهما به أبداً ، وفي كل شأن ، وفي كل
حركة ، فيكون مع الله منزله هدى ورحمة وبشرى للمسلمين (٣٩ : ٢٣) الله نزل أحسن
الحديث ، كتاباً متشابهاً مثاني ، تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم . ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله . ذلك هدى الله يهدي به من يشاء . ومن يضلل الله فما له من هاد (٨ : ٢)
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . وإذا تليت عليهم آياته زادتهم
إيماناً . وعلى ربهم يتوكلون (٥ : ١٥ ، ١٦) قد جاءكم من الله نور ، وكتاب مبين .
يهدى به الله من اتبع رضوانه - بيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ،
ويهديهم إلى صراط مستقيم) (٣٨ : ٢٩) كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر
أولوا الألباب .

* * *

وقوله « وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً » .

قد يفهم أكثر الناس : أن « الآخرة » هي الحياة التي تكون بعد البعث . وفي طبيعة
الإنسان حب الحياة ، والحرص على طولها ، وأكثر الناس أخذوا - بالتقليد الجاهلي الأعمى -
إلى أرض السيمية بأهوائها الضالة ، وشهواتها الجامحة ، وغفلتها الغافلة ، وظنونها الآئمة ،
وأمانها الكاذبة فاهتموا بحياة الحيوان السافلة ، وغفلوا عن حياة الإنسان الكريمة
السامية ، وتماذى هذا بهم حتى ركزوا كل اهتمامهم وتفكيرهم وسعيهم وكدهم لحياة
الحيوان ، في إشباع البطون والفروج ، ثم تحسكت فيهم ، وغلب سلطانها عليهم ، حتى
شغلت عقولهم وكل تفكيرهم ، فتعلموا بها ولها ومن أجلها ، حتى علوم دينهم ، وعملوا بها
ولها ومن أجلها ، حتى عبادتهم وأعمالهم التي يعملونها باسم الدين . فهزات إنسانيتهم ، ثم
اعتلت ومرضت ، ثم ماتت ونحجرت فكانوا من الهالكين .

وكان من ثمرات ذلك - ولا بد - أن تطول آلامهم في هذه الحياة ، وأن تبعد في نظرم
البيهي المادى القاصر الحياة التي بعد البعث ، ويوسع الأمل الطويل - في الحياة الدنيا
ومتعها وزينتها الزائفة ، وشهواتها الطائشة ، ومطامعها الشرهة - المسافة بينهم وبين الحياة

الآخرة التي بعد البعث ، بل وسع طول الأمل الكاذب للمسافة بينهم وبين الموت وحساب القبر وما فيه من الحياة البرزخية ونعيمها وعذابها .

فدخلت شياطين الإنس والجن إلى قلوبهم الميئة القاسية في هذه المسافة البعيدة الانساع . وعملت بالخرافات والتقاليد الجاهلية ، والأمانى الكاذبة ، والغرور والأوهام - التي هي أثر حتمى من آثار الدين التقليدى الجاهلى - حتى قطعت الصلة تماماً بينهم وبين الحياة الآخرة . التي بعد البعث من القبور - الحياة الحقيقية التي وصفها الله ووصف ما سيكون فيها من سؤال وحساب وجزاء عادل العدل المطلق بقوله الحق (٤٧ : ٢١) ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . فلا نظلم نفس شيئاً . وإن كان مثقال حبة من خردل : أتينا بها . وكفى بنا حاسبين) . وبقوله (٣٠ : ٣) يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضراً . وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً . ويحذركم الله نفسه . والله رءوف بالعباد) وبقوله (١٢٣ : ٢) واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً . ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة . ولا هم ينصرون) . وبقوله (٧٠ : ١٠-١٥) ولا يسأل حميم حميماً . يُبَصِّرُونَهُمْ . يود الجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بنيه . وصاحبه وأخيه . وفصيلته التي تؤويه . ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيهِ . كلا) وقوله (٥٣ : ٣٨-٤١) أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وأن ليس للانسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يُرى . ثم يُجزأه الجزاء الأولي) وقوله (٨٠ : ٣٣-٣٧) يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه) وبقوله (٨٢ : ١٧-١٩) وما أدراك ما يوم الدين ؟ ثم ما أدراك ما يوم الدين ؟ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . والأمر يومئذ لله) (٢ : ١٦٥-١٦٧) ولو يرى الذين ظلموا إذا يرون العذاب - أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب . إذ تبرا الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا ، وأولوا العذاب . وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتَّبَعُوا : لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا ؟ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وما هم بمخارجين من النار) (٦ : ٢٢-٢٤) ويوم نحشرهم جميعاً ، ثم نقول للذين أشركوا : أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ؟ ثم لم تسكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا على أنفسهم . وضل عنهم ما كانوا يفترون) (٩٣ : ٦ ، ٩٤) ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة

جاسطوا أيديهم : أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء . لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) .

والقرآن كله - بل جميع الرسل وكل الكتب والرسالات المنزلة - إنما جاءت من عند الله ليعرف الناس هذه الحياة الآخرة في يوم الدين والجزاء ، وتبصيرهم وهدايتهم السبيل القاصد الذي يصل بهم إلى جناتها ونعيمها الدائم ، ويحنبهم طريق المغضوب عليهم والضالين الذي يصل بالسكينة - ولا بد - إلى عقابها الشديد وعذابها الأليم ، ونارها التي وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وأنه ليس إلى هذه الحياة الآخرة - بجناتها ونارها ونعيمها وعذابها - سبيل إلا هذه الحياة الدنيا ، التي يتجر فيها وبها الناس ، ويكسبون ما يحملهم من المفلحين الفائزين بجناتها - ونعيمها - وسرورها وحبورها ، الذي تبيض له وبه وجوههم ، أو يكسبون ما يحملهم من الخائبين الخاسرين ، الدائمى الحسرة والندامة ، الذين لا محل لهم فيها ، ولا جزاء إلا العذاب الأليم الدائم ، والخزى الذى تسود به وجوههم .

* * *

وكان أول وأنفع وأشنع ما كاد به شياطين الإنس والجن الناس ، حتى جهلوا حقيقة يوم الدين والجزاء : هو صرفهم بالدين التقليدى الجاهلى الأعمى عن الاستضاءة بنور الرسالات والاهتداء بهداها ، الذين لا يمكن أن يتحقق على وجهه الصحيح إلا بفهم نصوص الرسالة والرجوع إلى مصادرها المنزلة من عند الله رب الناس ، وإلى بيان الرسول الذى أنزلت عليه . وأمره الله ببيانها للناس ، وهو أعرف بها ، وأحرص على العمل بها واتباعها . وهذه المصادر هى التى يشع منها نور العلم الصحيح ، ليعرف المهتدى بهداها الحق فى كل شيء - فى نفسه وفى الآفاق - وكلما قوى الإيمان بأنها الهدى الحق من عند الله ، واشتدت ونوثقت أواصر الاتصال بها ، وقوى فى النفس الحرص على الأخذ لنصوصها والجد فى أخذها ، والحرص على الفهم والفقه لها ، ومعرفة مراد الله منها : كلما قوى نور هدى

الفطرة، وازداد نور العلم والفقہ إشعاعاً واتساعاً، وكلما كان التأهل لإرادة الله الخير للعبد، ففقهه في دينه، وزاده بصيرة وهدى ورشداً وحكمة في كل أمره، وثباتاً وسداداً، واستقامة بالحق. وعلى الحق في كل شيء، وفي كل عمل، وعلى كل حال. فيصبغ الله نفسه وروحه وقلبه وأدبه وخلقه وكل تصرفاته بصبغته التي لا تحول (٢: ١٣٨ صبغة الله. ومن أحسن من الله صبغة؟)

وحينئذ يكون « البر » الثمرة المباركة الطيبة، الذي لن يكون أبداً ثمرة للدين الجاهلي. التقليدي الأتيم، الذي لا يقوم إلا على التقليد الأعمى للآباء والشيوخ، وعلى الخرافات والمقائد الوثنية والتقاليد والبدع والظنون الجاهلية، والأوهام والأمانى الكاذبة (٢: ١٨٧). ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب. ولكن البر: من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين. وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب. وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأس والضراء وحين البأس. أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (اللهم اجعلنا من هؤلاء الصادقين المتقين بفضلك ورحمتك وإحسانك يا أرحم الراحمين).

* * *

ولقد نجح أعداء الرسل - أعداء الإنسانية - من شياطين الإنس والجن في كل أمة، في مجاربة رسالات الله لهدى الإنسانية، وفلاحها وراحتها وأمنها في حياتها الأولى، وسمادتها وفوزها برضوان الله ونعيم الجنات في الحياة الآخرة في القبر وبعد البعث والنشور، بما أوحوا من زخرف القول وغروره، فأصغى إليهم أكثر الناس، حينما انسلخوا - بالتقليد الأعمى - من آيات ربهم، وأخلدوا إلى أرض البهيمية وظلمها وظلماتها، إذ ذهبوا - في ظلمات هذا التقليد - ينصاعون في غباوة إلى ما يوسوس به ويؤزره. أولئك الشياطين، فيتخذون من دون الله قُرْبَاناً آلِهة من أوليائهم، يحبونهم كحب الله، ويخافونهم كخوفه، ويعطونهم من القداسة الذاتية ما جعلهم يقدمون طاعتهم على طاعة الله، ويقدمون أقوالهم التي لا يقبلها إلا عقولهم البهيمية. ويسلكون طرقاً لا يرضى سلكها إلا المقلدون الذين ضرب الله لهم المثل - الذي يعقله العالمون ويتقون أشد التقوى أن ينطبق عليهم - (٢: ١٧١) كمثل

الذى ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء . صم بكم عى . فهم لا يعقلون) فأتخذوا الموتى من دون الله أنداداً ، وزعم لهم أولياؤهم - من شياطين الإنس والجن - أنهم يستجيبون للدعوى إذا دعاهم ، ويقضون كل حاجة يطلبها القريب والبعيد منهم ، وأنهم بعد الموت أقدر منهم على ذلك وهم أحياء ، وأنهم شركاء الله فى تدبير أمر الدنيا والآخرة ، وأن ربهم يعطى وليهم من الحياة الدائمة كحياة الله ، والقدرة الثامة كقدرة الله ، والبطش الشديد كبطش الله ، وعلى الجلة يعتقدون أن كل ما للرب من صفات ، فإنها لوليهم الذى مات وغلوه وكفنوه ودفنوه ، وأهلوا عليه التراب ، وأحكموا سد قبره ، لئلا يؤذيه ريح ريمته ، ومن ثم عبدوهم كما يعبد الله ، فاتخذوهم وسائط وشفعاء فى الدنيا والآخرة . وقد تفاقمت هذه العقائد الوثنية فى نفوس المقلدين من كل أمة ، وفى كل زمان ، بما يروج لها شياطين الإنس والجن فى كل أمة - من يوم نوح إلى اليوم - من بناء المساجد لقبورهم وبناء القباب وتشيد المقاصير عليها ، واتخاذها أعياداً وإقامة الأعياد والمولد الشريكة ، يأفكون فيها ولها من الزور ، والإفك العظيم ما يزعمونه للدهاء كرامات ، وينسكون فيها ولها مثل ما ينسك المؤمنون فى حج بيت الله ويهتمون لها وبها أكثر مما يهتمون لبيت الله (١٦ : ٥٦) ويجمعون لما لا يعلمون نصيباً رزقناهم ، تالله لتسأن عما كنتم تفترون) (٢٢ : ٣٠ ، ٣١) ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، وأحلَّت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم . فاجتنبوا الرجس من الأوثان . واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به . ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) (٤٢ : ٦٧ - ٧٤) لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه . فلا ينار عُنْكَ فى الأمر . وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك ، فقل : الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون - إلى قوله - ويعبدون من دون الله مالم يُنزل به سلطاناً ، وما ليس لهم به علم . وما للظالمين من نصير - إلى قوله - ما قدر الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز) (١٠ : ١٧ ، ١٩) فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو كذب بآياته ؟ إنه لا يفلح الجرمون ، ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل : أنبئوا الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون . وما كان الناس

إلا أمة واحدة) (٣٩ : ٣) والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى
 إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون . إن الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفار) .
 وكم تسمع منهم ، وتقرأ لهم في مناسبات أوليائهم وكراماتهم : هذا القطب الذى جاء
 بالأسرى من بلاد الكفر بحديثهم . وهامهم يسرون فى موكب المولد فى ركب الخليفة .
 هذا الذى ضمن له النبى أن يموت كل من حضر مولده - مهما أنى من فاحشة ومنكر - على
 توبة نصوح . هذا الذى حمل أمه وهو رضيع على صدرها ، فطاف بها السموات والأرض ،
 وأطلعها على الجنة والنار ، وقال : إني قادر أن أطفى النار هذا الذى لجأت إلى
 قبره امرأة خطف التماسح رضيعها ، وذهب به فى أعماق النيل البعيدة ، فأخرج لها ولدها
 من بطن التماسح حياً ، وجاءها به وما كادت تفرغ من شكواها حتى وجدت بين يديها
 بجوار النصب « المقصورة » . هذه الولاية التى تزوس ديوان الأولياء ، الذين يدبرون أمر
 الناس والخلق ، وصاحبة الشورى التى لا يبرم أمر فى السماء والأرض إلا بمشورتها ، هذا
 الولي الذى قال :

إذا كنت فى هم وغم فنادنى . أيا فلان ، أنجيك من كل شدة
 هذا الولي الذى قال : كل من كانت له حاجة - أى حاجة - فليأت قبرى ،
 ويسألنى إياها ، أقضيها له . فإن الرجل كل الرجل هو الذى لا يحول بينه وبين قاصديه .
 ذراع من التراب . هذا الولي الذى يجلس يوم القيامة على العرش مع ربهم ، ويأمر بمريده
 إلى الجنة ، بلا سؤال ولا حساب . هذا أحد الأقطاب الذين يتصرفون فى الكون ويدبرونه
 فأما الكرامات الفردية - من قضاء الحاجات ، وتفريج الكرب ، وشفاء المرضى ،
 وإحبال العقيم ، وإهلاك حرث ونسل من لم يَفْ بالندى ، ونفخ بطن ، وقصم ظهر من
 اعترض ، أو من حلف بالله صادقاً ، وحاف بالولي كاذباً - فذلك لا يحصيه العد ، وكل
 كتبهم ، وبالأخص كتب عبد الوهاب الشعرانى بحار تنموج بهذا الإفك والرجس الأثيم .
 ففى كتاب « لوائح الأنوار القدسية ، فى العمود المحمدية » الذى يقول فى مقدمته :
 ضمنته جميع العمود التى باقنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل المأمورات وترك
 المنهيات ... فأخذتنى الغيرة الإيمانية عليهم - على الذين شغلوا بالتفتيش على ما نقص من

دنيام عن التفتيش على مانتص من أمور دينهم - وعلى دينهم . فوضعت لهم هذا الكتاب المنبه لكل إنسان على مانتص من أمور دينه .

قال - تحت عنوان (أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد لوقوف عرفة الح) بعد أن ذكر حكاية الخواص : أن أحد علماء مصر أخبر سيده علي الخواص : أنه يريد الحج فنهاء وقال له : ستمقت . فلما وصل مكة ، وكان في صلاة الجمعة : رأى أن العدد غير محقق لشرط صحة الجمعة عند الشافعية - وهو الأربعون رجلاً مقياً - فنادى في الناس : إن الجمعة باطلة . فلما عاد من الحج أخبره الخواص : أنه قد ممت ، ورأى على وجهه المقت الذي عرفه سيده علي الخواص من الأقطاب والأولياء من رجال النيب الذين كانوا حاضرين لأن الله رجلاً يسمعون كلام من بينهم وبينه مسيرة ثلاثين ألف سنة . وذكر الشعراني : أنه كان يسمع كلام من في أقطار الأرض من الهند والصين وغيرها . قال : حتى كنت أسمع كلام السمك في البحار المحيطة . ثم ذكر حكاية عن سيده يوسف الحريشي ملخصها : أن مجلس الأقطاب عقد خلف مقام إبراهيم بالحرم . ثم ولّى مكان من مات من الأوتاد واحداً آخر اسمه حسن الخلبوص - والخلبوص الذي يتخذ الناس سخرية ويضحكون منه - وأن سيده يوسف لما رجع من الحج ذهب يبحث عن هذا الولي العظيم فوجده في محل المومسات ، وقد ركبت عاهرة وأخذت تضربه على قفاه . ثم حكاية عن سيده علي الخواص : أن أصحاب الحاجات - وما أكثرهم - كانوا حين يطلبون إليه قضاء حاجاتهم ، يأمرهم أن يذهبوا يوم الأربعاء إلى مسجد الملك الظاهر في صلاة العصر ، وأن يسقوا شجرة النبق التي فيه ، ويقولوا : يا أولياء الله اقضوا حاجتي ، تقضى حاجتكم ، وأن أحد العلماء أنكر ذلك ، وقال : إيش خلى هذا لعباد الأوثان ؟ فخل به المقت لإنكاره عبادة الأوثان . ثم ذكر عن شيخه الخواص : إن الله رجلاً إذا سلموا على العصاة أمن الله العصاة من غضبه وعذابه ، ورجلاً يسقون الناس الماء على الطرقات . فكل من مر بهم وشرب منهم مألوه مدداً . والله رجلاً يحملون عن الناس ما يقدره الله عليهم من الحن والبلايا قبل أن تنزل . وكان الشعراني منهم . ثم ذكر أن أولياءهم إنما يكونون من ذرى المنزلة الحظيرة الساقلة في المجتمع ، كصبيان الحواة والقرديات والحشاشين ،

ومن إليهم . وذكر دليلاً على ذلك : أن سيده محمد بن هرون - الذى كان يعلم مائى أصلاب الرجال . لأنه أخبر بسيده إبراهيم الدسوقي وهو فى ظاهر آية - أنه اعترض على طفل كان يفلى ثوبه ماداً رجله فى طريق الشيخ . لأنه لم يلتفت إلى الشيخ ولم يقبض رجله ، والناس جميعاً يقومون له ويقبلون يديه . فسلبه هذا الصبي إيمانه وعلمه . فرجع يستغفر الصبي فلم يجده . ثم ذهب يبحث عنه مطوفاً فى البلاد البعيدة - من الاسكندرية إلى القاهرة - حتى وجده فى الرملة - ميدان قرّة ميدان بالمنشية - مع أستاذه الفردائى . فما زال يرجوه حتى قال له : اذهب إلى الموضع الذى كنت أفلى ثوبى فيه . وناد : يا فلانة ، تخرج لك سحلية من الشق ، فتقول لها : بأمانة ماوضع لك قريمزار لباب الخبز على باب الشق ردى لى حالى ففعل . فنفخت فى الشيخ وردت إليه إيمانه وعلمه . ثم حكى : أن الشيخ سراج الدين البلقينى - الإمام الجليل - اعترض على حشاش كان يبيع الحشيش فى باب اللوق ، فسلبه إيمانه وعلمه . حتى القاتحة وبقى ثلاثة أيام لا يعرف شيئاً ، حتى جاءه فقير وقال له : اذهب استغفر الحشاش ، فاشترط عليه الحشاش : أن يذبح أربعة خرفان سمينة وبشويها ويأتى بأربعائة رغيف ، ويجلس بجوار بائع الحشيش وكلما باع قطعة حشيش أعطى المشتري رطلا ورغيفاً . فلما فرغ من توزيع اللحم والخبز قال له الحشاش : اذهب إلى سطح مدرستك تجد ديكا اذبحه وخذ قلبه . فقد وضعنا علمك فيه . ففعل الشيخ . فعاد إليه إيمانه وعلمه . وتاب من الاعتراض على الحشاشين . وحكى حكايات أخرى من هذا اللون البديع ، ثم قال - وما أشنع وأرجس وأفظع ما قال - إن الله أعطى أرباب الأحوال فى هذه الدار : التقديم والتأخير ، والولاية والعزل ، والقهر والتحكيم على الله ، الذى هو الإدلال عليه ، وتفوذ الأمر فى كل ما أردوه فأياكم والإنسكار على أحد منهم . انتهى (ج ١ ص ٩٣ - ٩٧) .

هذا . وأنت تعرف يا أخى منزلة عبد الوهاب الشعرانى ، ومنزلة كتبه ، ومنزلة سلفه وخلفه ، فى قلوب أكثر الناس ، وأنهم يدينون بكل ما يقولون ويوحون من هذا الإفك الذى قتل الإنسانية ومقوماتها - من العقل والفكر والتمييز - فأصبحوا كما قال الله ، ومن أصدق من الله قبلاً ؟ (٧ : ١٧٩) لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم الغافلون (وقال (٢٥ : ٤٤

أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ، أو يعقلون ؟ إن هم إلا كالأنعام . بل هم أضل سبيلاً)
فهم مهما قرأوا القرآن أو سمعوه ، لا يزيدهم إلا ضلالاً وخساراً ، لأنهم إنما يقرءون
ويسمعون ، وعلى قلوبهم أكنة وحجب من هذا الزور والإفك الذى ملك قلوبهم . وهو
أبداً يناجيها ، ويحول بينها وبين هدى القرآن ومقاصده . فهم كما قال الله (١٧ : ٤٥ - ٤٧)
وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً . وجعلنا
على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً ، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده :
وَلَوْ أَنَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نفوراً . نحن أعلم بما يستمعون به . إذ يستمعون إليك ، وإذ هم نجوى)
أى تناجيهم تلك العقائد والمعلومات الشركية الخرافية من قلوبهم التى ملكتها ونفذ سلطانها
فيها ، فتقول لهم : هذا كلام عن المشركين والكافرين الماضين ، إذ كانوا يعبدون
حجارة . أما نحن فإن نتخذ أولياءنا من عباد الله الصالحين ، شفعاء ووسائط عند الله ، حباً
لهم وتعظيماً وإكراماً . وعلماً يقينياً بأن الله يحبهم ويقبل وساطتهم ، كشأن كل ذى سلطان
مع حبه ووليه . يضربون الله الأمثال بخلقه لأنهم يعتقدون أنهم النور الفاضل من الله .
فهم بذلك الفيض : وَلَدَّ اللَّهُ كما قال عنهم (١٨ : ٤) وَيُنذِرُ الَّذِينَ قالوا : انخذ الله ولداً ،
ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذباً)
(١٦ : ٧٣ ، ٧٤) ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً
ولا يستطيعون . فلا تضربوا الله الأمثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) وسبحان الله ربنا
وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا الذى قتل عقول أكثر الناس ، وقضى على ميزة الإنسانية فيهم ، من التفكر
والتأمل والفهم للأموار بأنفسهم ، وجعلهم أضل من الأنعام سبيلاً ، بل جعلهم موتى
في صور الأحياء ، كما قال الله تعالى (٥٧ : ٨٠ ، ٨١ و ٣٠ : ٥٢ ، ٥٣) إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى
وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ ، إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، وما أنت بهادى العمي عن ضلالتهم ، إن تسمع
إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) والآيات هنا هى الآيات السكونية فى الأنفس والآفاق ،
وأهمها الميزة التى كرم الله بها الإنسانية - من الفهم والعقل والتفكر والتمييز التى بها يقدر

الإنسان العواقب والآخرة - والتقليد الجاهل تكذيب بهذه الآيات وكفر بها ، وخسران لها ، والتقليد الأعمى - هذا القتل للإنسانية الميزة المنكرة العاقلة : هو الذى خدعهم الشيطان به ، وصور لهم فى ظلماته للحياة الآخرة بعد البعث - كما عكس كل الحقائق فى تصوراتهم فأصبحت كلها وهما وباطلا - صورة وهمية خرافية لا حقيقة لها بمقتضى الواقع ، ولا بمقتضى سنن الله التى لا تتبدل فى أنفسهم ، وفى الآفاق ، ولا بمقتضى أسماء الله وصفاته ، ولا بمقتضى شرائعه ورسالاته . ثم هون عليهم الشيطان : أن ينطلقوا وراء البهيمية الغافلة - فى عمايات هذه الأوهام والباطيل وغمراتها - يخوضوا بحور الشرك والفسوق والعصيان والآثام المنكرة والفواحش الفاجرة . فَيَشْقَوْنَ بذلك أشد الشقاء فى الأولى والآخرة .

ولأنهم عرفوا أن « الآخرة » هى الحالة التالية التى هم فيها ، والتى هى « الدنيا » أى القريبة ، أو الدنية - بمعنى الحقيرة : - فكانوا يتبصرون ويبحثون كل حالة فى كل حركة وسكنة ، ويعرفون ماذا أعطاهم الله منها ثواباً عاد عليهم ، فيعرفون : هل هو من الحسنى أو من السوإى ؟ فيتداركون تفریطهم فى أمرهم أولاً فأول ، ويتحرون الصواب والحق فى كل خطوة ، فكانوا من المنيبين النوايين المتطهرين . حتى إذا ما انتهت به هذه الخطوات إلى القبر ، ثم إلى ما بعد البعث والنشور : وجدوا ما عملوا من خير كثير عظيم صالح محضاً ، فكانوا من المحسنين القائزين المصلحين سعداء الأولى والأخرى .

أسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يوفقنا للعلم النافع الذى يصلح به قلوبنا وأعمالنا وأخلاقنا وأن يتم لنا نورنا الذى قبضناه من هدى نبينا محمد . صلى الله عليه وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان ، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وبقية الخلفاء الراشدين ، والعشرة المبشرين المكرمين ، والأئمة المهتدين إلى يوم الدين - وسلم تسليماً كثيراً .

وكتبه أسير ذنوبه وأخطائه ، وفقير عفو الله ورحمته

محمد حامد عيسى

مَقَامُ ابْنِ أَهْبَمَ

عليه وعلى نبيينا الصلاة والسلام

هل يجوز تأخيره عن موضعه عند الحاجة لتوسيع المطاف؟

بقلم

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني

أمين مكتبة الحرم المكي

(٣)

تخصيص هذه الأقوال

قد يُنتصر للأول بأن عمر رضي الله عنه ، لم يكن ليخالف النبي صلى الله عليه وسلم .

وما معنى تقدير المطلب وتحرى عمر؟

فالظاهر : أن المقام لم يزل بموضعه اليوم . فقد رده المطلب منه . فذهب به السبل .

وطمس موضعه . فجعل بجانب الكعبة حتى يقدم عمر . فقدم وتحرى وردّه حيث كان .

وكان هذه القضية بلغت بعض الناس مجلّة - أنه كان بجانب الكعبة ، وأن عمر نقله

إلى موضعه اليوم - فتوهموا أنه كان بجانب الكعبة منذ قديم . فراحوا يخبرون بذلك .

وينتصر للثاني بأن أوائل الأئمة لم يكونوا ليتوهموا بدون أصل ، فلعل النبي صلى الله

عليه وسلم حوّل المقام أخيراً ، ولم يبلغهم ذلك . وثبت عندهم أنه قد كان في عهد النبي

صلى الله عليه وسلم بجانب الكعبة فاستصحبوا ذلك والباقي كما مر .

وينتصر للثالث بأنه قد يقع من عمر رضي الله عنه ما هو في الصورة مخالفة ، وهو في

الحقيقة موافقة بالنظر إلى مقاصد الشرع ، واختلاف الأحوال . وقد يخفى علينا وجه ذلك .
ولكننا نعلم أن الصحابة رضی الله عنهم لا يجمعون إلا على حق .
وتقدير المطالب ، ونحزرى عمر - إن صح - فقد يخفى علينا سببه .
وإذا كان ذلك محتملاً ، فليس لنا أن نجعل جهلنا به حجة على توهم الأئمة .
وهم هم . ومنهم : عطاء وقدمه ، وفضل علمه بالإناسك ، ومجاهد وقدمه ، وفضل علمه
بالفسير ، ومالك ، وابن عيينة . وهما هما .
ولم تكن قضية المطلب لتخفى على أئمة مكة - عطاء ، ومجاهد ، وابن عيينة - بل قد
ذكرها الأخيران فيما روى عنهما ، والخالف لهؤلاء ليس مثلهم ، ولا قريباً منهم . فهو
أحق بالوهم .

* * *

أقول : قد أغنانا الله - وله الحمد - عن هذا الضرب من الاحتجاج بثبوت النقل عن
لا يمكن أن يظن به التوهم .
أخرج البيهقي من طريق أبي ثابت - وهو محمد بن عبيد الله المدني ، ثقة من شيوخ
البخارى في صحيحه - عن الدراوردي عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن
المقام كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزمان أبي بكر رضي الله عنه ، فملتصقاً
بالبیت ، ثم آخره عمر رضي الله عنه »
ذكره ابن كثير في تفسيره بسند البيهقي . ورجاله ثقات .
وقال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح .
وذكره ابن حجر في الفتح . وقال : بسند قوى .
وذكر القاسمى في شفاء الغرام : أن الفاكهى روى عن يعقوب بن حميد بن كاسب .
قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه قال عبد العزيز : أراه عن
عائشة « أن المقام كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى سقع البيت » .
يعقوب بن حميد متكلم فيه . ووثقه بعضهم . والاعتماد على حديث أبي ثابت .

وقال البخارى فى صحيحه فى أبواب القبلة « باب قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ثم ذكر حديث ابن عمر رضى الله عنهما لما سئل عن رجل طاف بالبيت للعمرة ولم يطف بين الصفا والمروة ، أيا نى امرأته ؟ فقال « قدم النبي صلى الله عليه وسلم . فطاف بالبيت سبعا . وصلى خلف المقام ركعتين . وطاف بين الصفا والمروة - الحديث » .
ثم حديث ابن عمر وحديث ابن عباس رضى الله عنهما فى دخول النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة .

وفى الأول « ثم خرج فصلى فى وجه الكعبة ركعتين » .
وفى الثانى « فلما خرج ركب ركعتين فى قُبَل الكعبة . وقال : هذه القبلة » .
والقدم الذى ذكره ابن عمر فى حديثه الأول : كان فى عمرة . لأن ابن عمر أجاب به السائل عن العمرة ، وأراها عمرة القضية .

وفى المسند (ج ٤ ص ٣٥٥) من حديث ابن أبى أوفى « اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وطفنا معه . وصلى حلف المقام وصلينا معه . . . »
وسنده بفاية الصحة .

وقد أخرجه البخارى مختصراً فى « باب عمرة القضية » من المغازى .
وذكر ابن حجر هناك مَنْ صرح فيه بقوله « فى عمرة القضية » وسياقه واضح فى ذلك .
ولفظ « وجه الكعبة » ورد فى عدة أخبار تقدمت^(١) .

وفى القَرَى (ص ٣١٥) عن ابن عمر « البيت كله قبلة . قبلته وجهه » نسبه إلى سعيد ابن منصور .

والمراد به فى تلك الأخبار - كما يقضى به سياقها - تارة جدارها المقابل لموضع المقام الآن . وتارة ما بجانب هذا الجدار من المطاف .

والأخبار التى أطلقت على هذا تبين أنه ليس منه موضع « المقام » الآن . بل هو الموضع الذى كان فيه « المقام » قبل أن يحوله عمر رضى الله عنه إلى موضعه الآن .

(١) راجع فى هذه الرسالة ص ١٧ سطر ١٥ وص ٢٢ سطر ١٠ وص ٢٥ سطر ١٥ .

ولفظ « قُبِلَ الكعبة » في حديث ابن عباس رضى الله عنهما هو أيضاً ذلك الموضع .
وابن عباس إنما سمع هذا الحديث من أسامة رضى الله عنه ، كما بينه ابن حجر في
الفتح . ورواه عن ابن عباس عطاء ، يرويه عطاء تارة عن ابن عباس عن أسامة . وتارة
عن أسامة نفسه .

وقد تقدم^(١) قول عطاء « إن عمر رضى الله عنه أول من رفع المقام فوضعه في موضعه
الآن . وإنما كان في قُبِلَ الكعبة » .

بل ثبت في حديث عطاء عن أسامة - عند النسائي بسند رجاله ثقات - « ... ثم خرج
فصلى خلف المقام ركعتين ، وقال : هذه القبلة » .

ويؤيد ذلك ما في السيرة عن ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله
ابن عبد الله بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة
واطمان الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف على راحلته ، يستلم الركن فيحجج في يده .
فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة . فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها . . . » .
محمد بن جعفر وعبيد الله : من رجال الصحيح . وابن إسحاق : حسن الحديث .

فهذا الخبر يدل على أن صلاته صلى الله عليه وسلم ، بعد خروجه كانت ركعتي الطواف .
ومن سنته صلى الله عليه وسلم : أن يصلّيها خلف المقام .
فأما صلاته في الكعبة - على القول بها - فهي تحيتها .

* * *

ثبت بما تقدم أن صلاته صلى الله عليه وسلم عقب خروجه من الكعبة خلف المقام ،
وأن المقام حينئذ كان عند جدار الكعبة .

* * *

لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة كان ابن عمر غائباً . فبلغه ذلك ، فأقبل
« يركب أعناق الرجال » المسند (ج ٦ ص ١٣) فجاء وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) ص ٣١ ، السطر الرابع .

وبلال في الكعبة لما يخرج . فكان هم ابن عمر أن يزاحم ليسأل بلالا : ماذا صنع النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة ؟

وفي تلك الأثناء صلى النبي - صلوات الله وسلامه عليه - خارج الكعبة .
فكان ابن عمر اشتغل بالمزاحمة والمساءلة . فلم يحقق : إلى المقام صلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أم عن يساره ، أم عن يمينه ؟ فقتصر على قوله « في وجه الكعبة » .
فأما ما في أكثر روايات حديث أسامة رضي الله عنه « في قبل الكعبة » فيظهر أن ذلك مراعاة لقوله عقب ذلك : وقال « هذه القبلة » .

خشى أن يتوهم أن الإشارة إلى المقام ، مع قول الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فعدل إلى قوله « في قبل الكعبة » ليعلم أن الإشارة إليها ، أو إلى ذلك الموضع منها ، كما يأتي .

* * *

في صحيح مسلم عن جابر - في حجة الوداع ، بعد ذكر الطواف - « ثم نفذ إلى مقام إبراهيم . . . فجعل المقام بينه وبين القبلة » .

هكذا في عدة نسخ من الصحيح وكتب أخرى . وذكره الطبري في القري (ص ٣١٠) بلفظ « ثم تقدم » وكذا نقله الفاسي عنه .

وزعم الطبري : أنه يشعر بأن المقام لم يكن حينئذ ملصقاً بالكعبة . ولم يصنع شيئاً .

* * *

أما كلمة « تقدم » - إن صحت - فدلالتهما على الملاصقة أقرب . لأنه كان في الطواف ، فأنهائه عند الركن . فإذا واصل مشيه بعد ذلك إلى يمينه الباب ، فهذا تقدم ، ولو كان المقام حينئذ في موضعه الآن لكان المشي إليه مشياً عن الكعبة . فكان حقه أن يقال « تأخر » .

* * *

وأما قوله « فجعل المقام بينه وبين الكعبة » فلا يخفى أن المصلى إلى المقام إذ كان باحق الكعبة : إما أن يكون عن يمينه ، أو يساره ، أو خلفه . فإذا كان خلفه فقد جعله بينه وبين الكعبة .

فقد ثبت بما تقدم - لاسيما حديث عائشة رضى الله عنها - صحة القول الثالث الذى عليه أئمة مكة - عطاء ، ومجاهد ، وابن عيينة - مع أن الإنصاف يقضى بأن قولهم بمجتهدين يكفى وحده للحجة فى مثل هذا المطالب . والله أعلم .

الفصل الخامس

لماذا حول عمر رضى الله عنه « للمقام » ؟

قد تقدم أول الرسالة ما تقدم .

علم عمر رضى الله عنه : أئمة المسلمين مأمورون بتهيئة ماحول البيت للطائفتين والعاكفين والمصلين ، ليتمكنوا من أداء عبادتهم على الوجه المطلوب بدون خلل ولا حرج . وعلم أن هذه التهيئة تختلف باختلاف عدد هؤلاء .

وعلم أنهم قد كثروا فى عهده ، وينتظر أن يزدادوا كثرة . فلم تبق التهيئة التى كانت كافية قبل ذلك كافية فى عهده :

ورأى أن عليه أن يجعلها كافية . فإن كان ذلك لا يتم إلا بتغيير يتم به المقصود الشرعى ، ولا يفوت به مقصود شرعى آخر ، فقد علم أن الشريعة تقتضى مثل هذا التغيير . فليس ذلك بمخالفة للنبي صلى الله عليه وسلم بل هو عين الموافقة . وشواهد هذا كثيرة . وأمثالته من عمل عمر رضى الله عنه وغيره من أئمة الصحابة رضى الله عنهم معروفة .

فهذه حجة يدعى لعمر رضى الله عنه .

هذه الحجة لا تبيح له من التغيير إلا ما لا بد منه .

ولامقام حقوق .

الأول : القرب من الكعبة .

الثانى : البقاء فى المسجد الذى حولها^(١)

الثالث : البقاء على سمت الموضع الذى هو عليه .

(١) ما زيد على المسجد القديم فله حكمه ، كما يصح فيه الطواف وغير ذلك .

فقد تقدم في حديث ابن عباس وأسامه رضى الله عنهم قول النبي صلى الله عليه وسلم
- بعد صلاته إلى المقام - « هذه القبلة » .

قال ابن حجر في الفتح « الإشارة إلى السكبة .

أو الإشارة إلى وجه السكبة ، أى هذا موقف الإمام . » .

وفي المسند (ج ٥ ص ٢٠٩) في حديث أسامة « ثم خرج فأقبل على القبلة ، وهو

على الباب ، فقال : هذه القبلة ، هذه القبلة - مرتين أو ثلاثاً » .

فقد يجمع بين الروایتين بأنه قال هذه الكلمة « هذه القبلة » عند خروجه ، ثم قالها

عقب صلاته .

فتكون الأولى : إشارة إلى السكبة . والثانية : إشارة إلى موقف الإمام .

وهذا الثانى محمول على الندب - كما في الفتح . وهو ظاهر .

وجرى العمل على اختيار وقوف الإمام على ذلك « ت : إما خلف المقام ، وإما أمامه .

وبعد كثرة الناس وتضايق ما خلف « المقام » بقى العمل على اختيار وقوف الإمام

قدام المقام .

وفي المسند (ج ٧ ص ١٤) في ذكر موضع صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في السكبة

« وجعل المقام خلف ظهره » .

وذكر الحب الطبرى في القرى (ص ٣١٢) وما بعدها والفاسى في شفاء الغرام

(ج ١ ص ٢١٩) أخباراً وآثاراً تتعلق بذلك الموضع .

منها : من سنن سعيد بن منصور عن ابن عباس أنه قال - وهو قاعد قبالة البيت

والمقام - « البيت كله قبلة . وهذه قبلته » .

وقد تقدم في الفصلين - الثانى والثالث - ما يدل على أن إبراهيم عليه السلام انتهى

إلى ذلك الموضع في قيامه على « المقام » لبناء البيت . وقام عليه وهو فيه للأذان بالحج .

فالبيت الذى بناه إبراهيم عليه السلام قبلة ، والجانب الذى كان القيام فيه - وهو ما بين

الحجر والحجر - خاص في ذلك .

ندوة الإسلام والتصوف

أخطاء يجب إصلاحها

بقلم فضيلة الأستاذ أبي الوفاء محمد درويش



فتحت مجلة الإسلام والتصوف بين أبوابها باباً سمته « ندوة الإسلام والتصوف » وقد اطّلت على ما جاء في هذا الباب في العدد الثاني من هذه المجلة ؛ فلاحظت لى أخطاء أهاب بى صوت الواجب أن أدعو إلى إصلاحها . وهأنذا أقوم بهذا الواجب مستعيناً بالله وحده .

— ١ —

خطأ فى الاستدلال

قال رأس هذه الندوة فى الاستدلال على أن التقوى من الطرق المؤدية إلى الفيوضات الربانية والعلوم الباطنية « والله سبحانه وتعالى يقول : واتقوا الله ويعلمكم الله . ويقول : عبدا من عبادنا آتيناها من لدنا علما » .

وأقول : إن الآية الأولى (واتقوا الله ويعلمكم الله) لا تدل على ما ذهب إليه القائل لا بلفظها ولا بفحواها ، لا بعبارتها ولا بإشارتها لأن الله تعالى لم يقل : واتقوا الله يعلمكم الله بحزم الفعل يعلم « لىكون فعل التعليم واقعاً فى جواب الأمر كأنه جواب لشرط محذوف أى إن تتقوا الله يعلمكم الله ؛ فىكون التعليم مترتباً على التقوى ، ولكن الله تعالى يقول : واتقوا الله ويعلمكم الله ، وهاتان جملتان أولاهما طلبية والثانية خبرية ليست واقعة جواباً لها ولكنها متصلة بها بالمواد التى ليست المعنية لأن الفعل بعدها مرفوع . وإنما هى للاستئناف أو للحال على رأى وقد نقل المرحوم السيد رشيد رضا عن الأستاذ الإمام عليه الرحمة ما يأتى :

(اشهر على السنة المدعين للتصوف في معنى هاتين الجملتين (واتقوا الله ويعلمكم الله)
 أن التقوى تكون سبباً للعلم ، وبنوا على ذلك أن سلوك طريقهم وما يأتونه فيها من
 الرياضة ، وتلاوة الأوراد ، والأحزاب ، تشر لهم العلوم الإلهية وعلم النفس وغير ذلك من
 العلوم بغير تعلم . وهذا الزعم فتح للجاهلين الذين يلبسون لباس الصلاح دعوى العلم بالله وفهم
 القرآن والحديث ومعرفة أسرار الشريعة من غير أن يكونوا قد تعلموا من ذلك شيئاً .
 والعامة تسلم لهم بهذه الدعوى وتصدق قولهم : إن الله هو الذى تولى تعليمهم ، ويسمون
 علمهم هذا بالعلم اللدنى ويردّ استدلالهم بالآية على ذلك من وجهين : أحدهما أنه لا يرضى
 به سيبويه ، وله الحق في ذلك ؛ لأنه عطف (يعلمكم) على (اتقوا الله) ينافى أن يكون
 جزاء له ومرتباً عليه ، لأن العطف يقتضى المغايرة ولو قال يعلمكم بالجزم لكان مفيداً لما
 قالوه . وكذلك لو كان العطف بالفاء واتصل الفعل بلام التعليل . والثانى أن قولهم هذا
 عبارة عن جعل المسبب سبباً ، والفرع أصلاً ، والنتيجة مقدمة ، فإن المعروف المعقول
 أن العلم هو الذى يشمر التقوى ، فلا تقوى بلا علم ؛ فالعلم هو الأصل الأول وعليه
 المعمول . ١٥) انظر تفسير المنار .

لست أنكر أن الجهاد في الله وسيلة إلى الهداية لسبل الله ، وأن الاهتداء وسيلة إلى
 زيادة الهدى يقول الله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله تعالى : (والذين
 اعتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواً) .

والكنى أنكر دلالة هذه الآية التى استدلل بها المتكلم في الندوة على المعنى الذى أرادته
 لأن قواعد اللغة لا تؤيده ولا تساعد عليه والمعنى لا يستقيم معه .

— ٢ —

خطأ في لفظ الآية

أما قول المتكلم : (عبداً من عبادنا آتيناه من لدنا علماً) وإسناد هذا القول إلى رب
 العزة فهو خطأ ، إذ ليس في القرآن الكريم آية بهذا اللفظ بل اللفظ الوارد في سورة

الكهف هو : (فوجدوا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علماً : ٦٥) .
وكان لزاماً على أعضاء الندوة ماداموا غير حافظين للقرآن أن يراجعوا الآيات في
المصحف قبل كتابتها في المجلة حتى لا يوقعوا المسلمين في الخطأ

— ٣ —

١ خرافة العلم الباطنى

ثم قال المتكلم : (وقصة موسى والخضر توضح لنا بأبلغ لسان ، العلمين الظاهر والباطن
فموسى الرسول يقوم على العلم الظاهرى ، والخضر يمثل العلم الباطنى) .
وهذا خطأ ظاهر إذ لا فرق بين علم موسى ، وعلم الخضر ، فكلاهما من عند الله لأن
موسى رسول مرسل بشريعة يعمل بها ويعلمها ، والخضر نبي أوتى شريعة يعمل بها في
خاصة نفسه . ولكنها على كل حال وحى من الله تعالى .

واعترض موسى على الخضر سببه أنه رآه يأتى ما يخالف شريعة موسى ، ولو كان موسى
يعلم أن الخضر يتصرف طوعاً للشريعة التى أوحى الله بها إليه ما اعترض عليه . ومن أجل
ذلك أوضح له الخضر بعد ذلك سبب تصرفه ثم قال له : (وما فعلته عن أمرى) أى أن
ذلك الفعل الذى رأيته مخالفاً لشريعته كان بأمر الله وتنفيذاً لأمر الوحي الخاص الذى
أوحاه الله إليّ .

وما دام العلمان : علم موسى وعلم الخضر - صادرين من ينبوع واحد ، فلا داعى إلى
التفرقة بينهما وتسمية أحدهما العلم الظاهرى والآخر العلم الباطنى .

— ٤ —

الفزالى وتعليم الملائكة

وحكى المتكلم عن الفزالى أنه قال (وبيان هذا يوجد فى قصة آدم عليه السلام والملائكة ،
فإنهم تعلموا طوال عمرهم ، وحصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات ،

وأعرف الموجودات . . .) وأقول : إن هذا كلام ينقضه التحقيق العلمى ، فإن الملائكة فاطم فاطر السموات والأرض على ما هم عليه ، فلم يحاولوا أن يتعلموا غير ما علمهم الله ولم يحصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم .

والملائكة من عالم الغيب ولا نعلم عنهم إلا ما علمنا الله تعالى فى كتابه أو أخبرنا به ارسل الأمين فى سنته . وليس فى القرآن ولا فى السنة ما يفيد أن الملائكة تعلموا طوال عمرهم أو حصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم ، ومن ادعى غير ذلك فعليه البرهان . « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . والملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله تعالى . قال سبحانه (قالوا : سبحانك ! لا علم لنا إلا ما علمتنا . إنك أنت العليم الحكيم : ٣٢ . البقرة) .

— ٥ —

غلو فى الدين

وجاء فى كلام لبعض أعضاء الندوة بعد أن ذكر أن العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه قال :

(الصوفية رجال تطوعوا لله مقاماً فوق هذا . تطوعوا فوق الفرائض والنوافل ، وترقوا فى هذا التطوع حتى تسكون لديهم حساسية إيمانية أو طاقة تعبدية ، تكاد تدخل فى نطاق المعجزة . . .)

وأقول : وماذا فوق الفرائض والنوافل ؟

ليس فوق الفرائض والنوافل إلا الغلو فى الدين وقد نهى عنه رب العالمين : قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً . وضلوا عن سواء السبيل ٧٧ - المائدة) .

ليس فوق الفرائض والنوافل إلا التنطع الذى قال فى شأنه صلى الله عليه وسلم : « هلك المتنطعون » يكررها ثلاثاً .

والمتنطمعون هم المتشددون في الدين في غير موضع للتشدد .

والدين يسر ، وإن يشاد الدين أحد إلا غلبه .

ولا ينبغي أن ننسى نصيحة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم لصحابته الذين بلغه أن بعضهم اعتزم أن يصوم ولا يفطر ، وبعضهم قرر أن يقوم ولا ينام ، وبعضهم صم على ألا يتزوج ، فقال لهم : إنه يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويتزوج النساء ، وإن ذلك من سنته ، ومن يرغب عن سنته فليس منه .

* * *

هذه ملاحظات عجمي على بعض مافي هذه الندوة من أخطاء وقد أعود إلى مناقشتها في شيء من التفصيل إن لم يكن هذا الإجمال مغنيا .
وخير ما أختتم به هذه العجالة قول الله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ١٥٣ : سورة الأنعام)
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمجلات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والحبال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحمزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

كتاب العلاقات الزوجية

للأستاذ عبد السميع المصرى

ألف هذا الكتاب الأستاذ عبد السميع المصرى ، وهو أديب شاب واسع الاطلاع ، له جولات موفقة في الأبحاث الدينية والاجتماعية والأدبية . وهو حريص على أن يعرف بالإسلام من يحمله ، وعلى أن يرد مطاعن الطاعنين واعتراض المعارضين . وضع باللغة الإنجليزية كتاباً عن الإسلام ، وآخر عن نبي الإسلام . ورسائل في قواعد الإسلام نشرت في بلاد الملايو إجابة لرغبة زعمائهم الدينيين ، فتقبلوها بقبول حسن ، وأنزلوها المنزلة الجديرة بها .

وكتاب « العلاقات الزوجية » الذى أقدمه اليوم إلى القراء ، بحث قيم من هذه الأبحاث التى عرف بها المؤلف ، والتى دفع بها مطاعن الذين يأخذون على الإسلام إباحته للطلاق وتعدد الزوجات . وقد استطاع أن يرد عليهم بأدلة مقنعة ، وحجج دامغة ، تلقمهم الأحجار ، مستشهداً بأقوال كتابهم وبأحاديثهم ، مشيراً إلى المراجع التى استند إليها من كتبهم .

وهذا الكتاب القيم ثمرة تجارب شخصية وأبحاث علمية ، واطلاع واسع على نصوص الشريعة الإسلامية ، وعلى آراء كتاب الغرب الذين تحترم شعوبهم آراءهم ، وبرجعون إلى أقوالهم .

شرح المؤلف فى كتابه دفاع الإسلام عن حقوق المرأة ، وكيف رفع الإسلام شأنها ، ومنحها حرية التصرف فى مالها ، فى حين أن شرائع الغرب لا تزال ترى أن مال المرأة ملك خالص لزوجها ، وقد ضرب المؤلف لذلك شتى الأمثال . وشرح الغاية الصحيحة من الزواج ، وأوضح عواقب الانحراف ، وسوء مصير المنحرفين .

كما تكلم في عقد الزواج ، وما رخص الاسلام فيه من رؤية الرجل خطيبته ، لكي تتم الألفة الروحية بين الزوجين . كما شرح حق المرأة في رفض من يُختار لها إن لم يقع من نفسها الموقع الذي يرضيها ، والذي تحس معه بالسكون إلى زوجها ، والسعادة في ظل الحياة معه .

ونحدث عن البغاء ، وسوء أثره من النواحي الاجتماعية والصحية والدينية .

وعالج موضوع إغراض الشباب عن الزواج ، وموضوع تبرج النساء وموضوع الطلاق وتعدد الزوجات مؤيداً كلامه بالأدلة القاطعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأحداث التاريخ الإسلامي وآراء الباحثين من علماء الإسلام ، وأحرار كتاب الغرب الذين لم يعم التعصب أبصارهم ، ولم تطيع عداوة الإسلام على قلوبهم .

وكل ذلك بأسلوب طلي شائق جذاب يستهوى القارئ ، ويسترعى انتباهه ، ويملك عليه مشاعره ، ويجعله يشعر أنه كسب كسباً موفوراً ، من الساعات التي أنفقها في مطالعة هذا الكتاب القيم .

ولا يعني قبل أن أختم هذه الكلمة إلا أن أهنيء المؤلف بتوفيقه في إخراج هذا الكتاب .

أبو الوفاء محمد درويش

إصطناع المعروف :

قالوا : للمعروف خصال ثلاث : تعجيله وتيسيره وتسييره ، فمن أحل بواحدة منها فقد نجح المعروف حقه ، وسقط عنه الشكر .

وقيل لمعاوية : أي الناس أحب إليك ؟ قال : من كانت له عندي يد صالحة . قيل : فإن لم تكن له ؟ قال : فمن كانت لي عنده يد صالحة .

وقال : لقد بَغَضَ إلى هؤلاء القوم هذا المسجد ، حتى لمْهُو أَبْغَضَ إلى من كناسة دارى ،
قالوا : من هم يا أبا عمرو ؟ قال : هؤلاء الآرائيون : أرايت ، أرايت .

(٣)

لما ولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة دعا : سالم بن عبد الله بن عمر ، ومحمد بن كعب
القرظى ، ورجاء بن حيوة ، وقال لهم : إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي .
فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فصم عن الدنيا ،
وليكن إفطارك فيها على الموت .

وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين
لك أباً وأوسطهم لك أخاً ، وصغيرهم لك ولداً . فبر أباك ، وأرحم أخاك ، وتحنن على ولدك .
وقال رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فأحب للمسلمين ما تحب
لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك . ثم متى شئت مت .

الشركة الاقتصادية العامة

(همدان و الشافعى)

لتجارة الشاي والبن والبقالة وغيرها

بالجملة - والقطاعى

شارع الترحمان المتفرع من شارع القلعة (محمد على سابقاً) حمر الشامى

تليفون ٤٥٧٢٢

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات الممتازة في الصناعة والمثانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عطاء صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المثانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

الثن ٢٠ ملجا

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باننا الكبير

٧٩.١٧ ٥

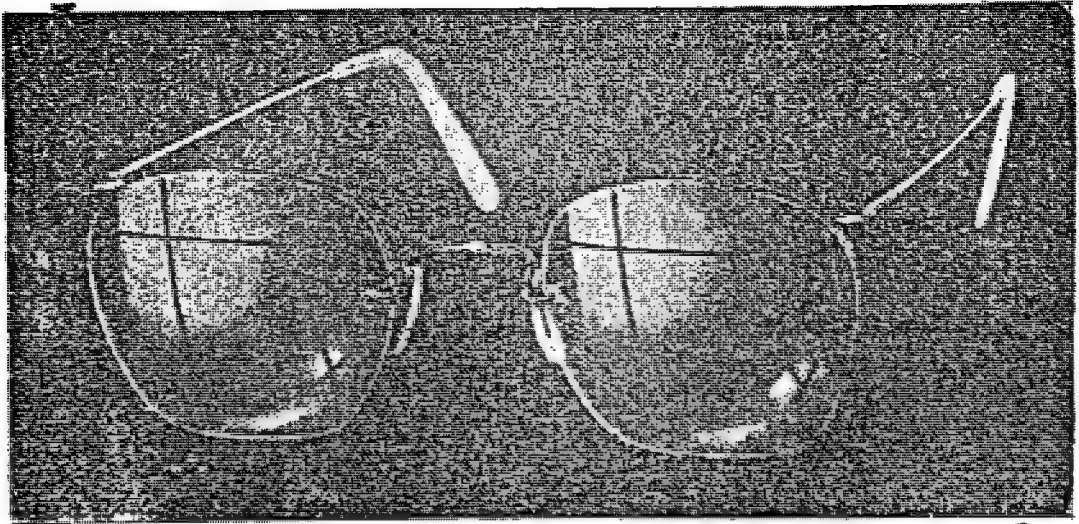
في أي مكان تجده يتألق ويزهو



آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكرسي النموذجي
انشاج، حسن علي حقاد

إنه الكرسي النموذجي

في المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
مويليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل
مس علي صحماد للمصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندی سجل تجاري ٤١١٠١



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

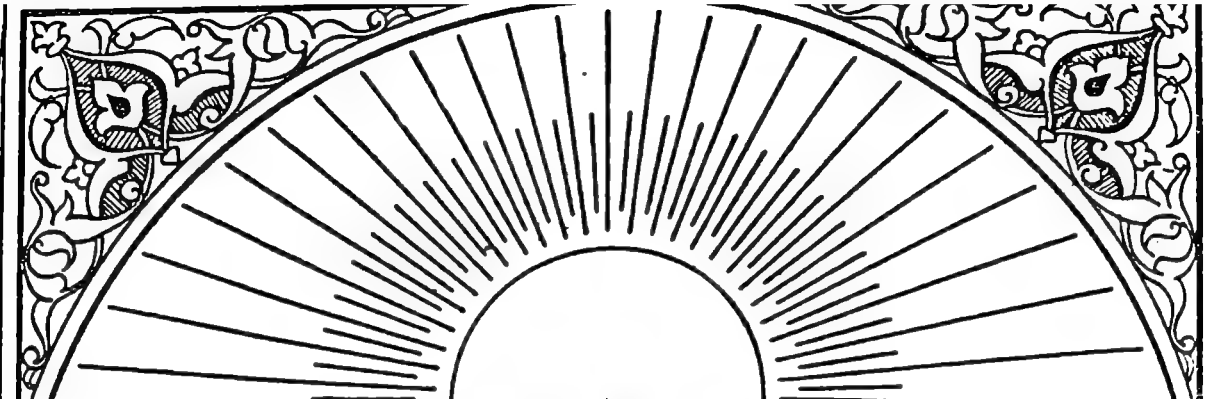
أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ بميدان القبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شتائر النظارات

هندسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع



المذكرى النبوية

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعته أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

- ٣ تفسير القرآن الحكيم لفضيلة رئيس التحرير
٢٣ أخطاؤنا ومحاسبة النفس للأديب سعد صادق محمد
٢٨ آفة الجماعة الإسلامية للأديب عبد السلام رزق الطويل
٣٥ حول ندوة الإسلام والتصوف لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٤٢ ما أشد حاجة الإنسان إلى التفكير لفضيلة رئيس التحرير
٤٧ دراسات في التصوف الإشرافي للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

ننشر قراءنا أنه في العدد الآتي إن شاء الله . سيقروا مقالات القيمة لاسيدة الجليلة
الأخت نعمت حرم أخينا الدكتور محمد رضا . رحمة الله عليه

«ساعات حبيب» السويسرية

الساعات الممتازة التي تحظى برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان
لمتانتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

محلات محمد حبيب الساعاتي

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل في الدفع على أقساط شهرية
استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعي

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين إرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد
مدير المجلة كما ترجو السادة المتعمدين إرسال مابعدهم . ولهم جميعاً الشكر .

الهدي النبوي

مدير الإدارة
محمد رضى غلب

الاشتراك السنوي

٢٠ - في مصر والسودان
٣٠ - في الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الله محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
محمد هاشم الفقى

الإدارة :
٨ شارع قوله

بجانبين بمصر
٧٦٥٧٦ ت

العدد ٥ و ٦

جمادى الأولى وجمادى الثانية سنة ١٣٧٨

المجلد ٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ١١) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالْأَشْرِ دَعَاَهُ بِالْخَيْرِ . وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ . فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ . وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ، لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ . وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا مِنْ تَفْصِيلًا) .

« الدعاء » كما يكون بالقول « يارب » يكون بالعمل الصادر عن القلب المحتاج ، فيتوجه العبد بالعمل والسمى ، يريد قاصداً إلى تحصيل ما يحتاجه .

قال ابن فارس فى المقاييس : الدال والمعين والحرف المعتل : أصل واحد . وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك .

وفى لسان العرب : دعانى إلى الإحسان إليك إحسانك إلى . وداعية اللبن : ما يتركه الحالب فى الضرع ليدعوه به ما بعده من الحلبة الأخرى . وتقول : ما الذى دعاك إلى هذا الأمر ؟ أى ما الذى جرّك إليه واضطرك .

ويقول ناشد ضالته : من دعا إلى الجمل الأحمر : أى من وجده ؟ وفلان يدعى بكرم فماله : أى يخبر عن نفسه بذلك .

وفلان فى خير ما ادعى : أى ما تمنى .

ودراعى الدهر : صروفه .

وقوله تعالى في صفة النار (٧٠ : ١٦ تدعو من أذبر وتولى) أى تفعل بهم الأفاعيل للكرهية .

وقوله تعالى (١٩ : ٩١ أن دعوا للرحمن ولداً) أى جعلوا .

وتداعى البناء - والحائط - للخراب : آذن بالانهدام .

وداعيناهم عليهم من جوانبها : هدمناها عليهم .

وتداعى عليهم العدو من كل جانب : تألب وأجلب عليهم بخيله ورجله .

ومنه الحديث « مثل المسلمين في توادم وتراحهم : كمثل الجسم ، إذا اشتكى منه عضو

تداعى له بقية الأعضاء بالحمى والسهر » .

وتداعت السحابة : إذا أبرقت وأرعدت مؤذنة بالمطر .

وقال أبو عدنان : كل شيء في الأرض إذا احتاج إلى شيء ، فقد دعا به .

ويقال للرجل - إذا أخلق ثيابه - قد دعت ثيابه ، أى احتجت أن تجددوها بغيرها

من الثياب اهـ .

ويقول الله تعالى (٢ : ٢٢١ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن . ولأمة مؤمنة خير

من مشركة ولو أعجبتكم . ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك

ولو أعجبكم . أولئك يدعون إلى النار . والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه) .

يقول - سبحانه - إن المشركين والمشركات يدعون أزواجهن وأزواجهم - بدينهم

الباطل بشركتهم ووثنياتهم ، وانخادهم الأنثاد من دون الله ، والحرص على ذلك ، وعلى

مشاركتهم في أعيادهم الجاهلية ومناسكهم الوثنية ، ومراسم صوفيتهم وكفرهم - إلى مشاركتهم

في كفرهم وباطلهم المؤدى - ولابد - إلى النار وعذابها . فإنهم وإن فرض أنهم لا يدعونهم

باللسان ، لكن معاشرتهم الزوجية ، التي تخلط الزوجين - جسمياً ومعنوياً - خلطاً

تاماً في الأخلاق والأعمال والأحوال حتى يَكُونُوا الأمرة ، لابد أنها تحمل على السير

معهم إلى غضب الله وسخطه المستوجب لنكد الحياة ، والشقاء وعذاب النار ، بل ذلك أشد

في الدعوة من القول باللسان . والله سبحانه يدعو - بهدى الفطرة ، وهدى رسله وكتبه ،

بما أنزل من العلم والنور ، وبتوفيقه المؤمنين الصادقين - إلى صراطه المستقيم ، المضمون لمن

سلكه - على هدى وبصيرة - أن يسعد برضوان الله وبجنتات النعيم في الأولى والأخرى .

وكذلك يقول ربنا سبحانه (١٠ : ٢٥) والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فدعوته سبحانه إلى دار السلام : هي دعوته إلى الجنة والمغفرة .

وقوله تعالى (٨ : ٣٥) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ، إن كنتم مؤمنين) يبين أن دعاء المؤمنين المجاهدين في سبيل الله ، لتطهير الأرض من الجاهلية والوثنية القاتلة للإنسانية ، وإخراج الناس من ظلمات الدين التقليدي الوراثي الإيلسي المفسد للأرض ومن فيها ، الذي يدافع عنه ويحارب لنصره أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء الإنسانية ، إلى نور الدين الحق الذي أنعم الله به النعمة على الإنسانية ، ورضيه لها ديناً ، تسعد به في حياته الأولى والأخرى - دعاء المجاهدين هذا إلى السلم : إنما هو بالوَهْن والجبن والتخاذل ، وعدم إعداد العدة ، وعدم اتخاذ الأسباب المؤدية إلى نصر الهدى ودين الحق ، والتَّهَيُّؤُ لإعلاء كلمة الله التي رضيها الله لإسماعاد الإنسانية ، وضمان عيشتها الراضية ، وحياتها الآمنة في الأولى والأخرى . وهذا الوهن والتخاذل ، والقفود عن الجهاد في سبيل الله : دلائل عدم الإيمان بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر .

وقوله تعالى (٣٦ : ٥٧) لَمْ يَكُنْ فِيهَا قَاكُهُ . وَلَمْ يَأْتِ دَعْوَانِ) يريد : أن أصحاب الجنة يجدون فيها كل ما كانوا يعملون من وحي الله ووعد الحق . ويؤمنون به ويعملون له ، مؤمنين بالله ، وكتابه الحق ، ورسوله الحق . واليوم الآخر .

ومثل هذا قوله لأوليائه (الذين قالوا : ربنا الله . ثم استقاموا) (٤١ : ٣١) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم . ولكم فيها ما تدعون ، نُزُلًا من غفور رحيم) .

ومن هذا يتبين - لمن يتلو كتاب الله حق تلاوته - أن دعاء الإنسان - الجاهل العاجز النافل ، المعرض عن هدى الفطرة وهدى القرآن - هذا بالشر دعاءه بالخير : هو رغبته وحرصه على سعيه إلى تحصيل ما يحتاجه ويعتقده خيراً ونافعاً له ، وموفرأ له أسباب الحياة الهنيئة ، والعيشة الراضية ، وفراره وهروبه مما يعتقده سوءاً وشرأ وضاراً به ، ومؤذياً له ، ومنفصاً لحياته ، ومنكداً لعيشته . فإنه يرغب ويحرص على السعي إلى الشر حرص المؤمن

العالم العلم النافع المتهدى بهدى الفطرة وهدى القرآن ، الذى يتحرى الطريق التى هى أقوم ، فهو يمشى على بصيرة ونور من ربه ، بخلاف المقلد تقليدا الأعمى الجاهل السفیه الذى يتبع هواه ، ويجرى وراء أمانيه الكاذبة الخادعة . فإنه فى الواقع بما يرغب ويحرص ويسعى جادا فى الشر الذى يؤذيه ويهلكه . لأنه على غير هدى من الفطرة ولا من القرآن ، بسبب عدم إيمانه بالآخرة ، وعدم تقديره للعواقب والنتائج . إذ فقد القدرة على ذلك بتقليده الأعمى الذى قتل إنسانيته العاقلة المفكرة المميزة ، وذهب يسعى فى ظلمات بعضها فوق بعض ، مكبا على وجهه مستسلما لهواه وشهوته ، فهو لا يزال بهواه يهوى إلى أسفل سافلين ، ويظن نفسه راقيا صاعدا ، وهو بشهوته يحترق ، وكما أحس بألم الحريق ذهب بنفسه عجولاً فى بحر الشهوات ، ظاناً - فى ظلمات جاهليته - أنها تزيل آلامه . وهكذا يعيش حياته عجولاً وراء الهوى والشهوات ، زين له الشيطان سوء عمله ، وصدده عن السبيل فهو لا يهتدى .

و « الإنسان » واحد الأناسي . قال ابن فارس : الهمزة والنون والسين : أصل واحد . وهو ظهور الشيء . وكل شيء خالف طريقة التوحش .

وقال الراغب : الأنس : خلاف النفور . ويقال لكل من كثر أنسه . ولكل مايؤنس به . ولهذا قيل : إنسي الدابة ، للجانب الذى يلي الراكب ، وإنسي القوس : للجانب الذى يقبل على الرامي . والإنسي من كل شيء : مايلي الإنسان ، والوحشي : مايلي الجانب الآخر . وسمى « الإنسان » بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بأن يأنس بعضهم ببعض ، ولا يمكنه أن يقوم وحده بجميع أسبابه .

وقيل : هو إنعلان ، وأصله إنسيان ، سمي بذلك لأنه عهد إليه قنسى . اه .
أقول : فهو إيمان الأنس ، لأن الله فطره أنساً لغيره ، ومحتاجاً إلى الأنس بيني وجنسه ، ليكون ذلك أدعى إلى تعارفهم وتآلفهم وتعاونهم . ومن ثم كان أنسه بزوجه مستوجبا لنفسه تمام الراحة والسكون ، وقلبه سعادة الأمن والاطمئنان ، وأنه لا يزال قلق النفس ، مقلقل القلب ، حتى يتزوج ، فيجد السكون والمودة والرحمة ، سواء فى ذلك الذكر والأنثى ، لأن كل واحد منهما من نفس الآخر فى الخلق والفطرة ، وسبيل الحياة الحسية

الحيوانية والمنوية الإنسانية . وتلك سنة الله التي لا يمكن أن تتبدل ، مهما حاول التعمى عن ذلك الجاهليون الذين لا يعلمون ، ولا يعقلون ولا يتفكرون ، فلا يؤمنون ولا يأمنون ، وهم في الشقاء والنكد دائماً بتقلبون ..

وإما من النسيان : لأنه لا بد له من ترك أشياء تقع عليه ومنه في خطوات حياته ، وابتلاءاته فيها ونسيانها لها - أو على الأصح نسيان آثارها - من الألم والحزن . ولو دام ذاكراً لها لجمعت حياته كلها لها وحزناً ، أو بغضاً وغيظاً وحقدًا ونكدًا . فمن رحمة الله به أن جعل له هذا النسيان ليناً بالعيش ، وينعم بالأهل والولد ، والإخوان والأعوان . فيطمئن قلبه وبصفو جوه ، وتهدأ أعصابه ، ويتوفر بذلك على السعى في حياته وأعماله بنفس هادئة ، وروح نشيطة ، وفكر رائق ، يعرف مواضع خطوه في تأن وتثبت ، فينجح ويصل إلى غايته التي يسعى إليها . لا يضل سعيه ، ولا يخيب ولا يخسر .

والمراد من « الإنسان » هنا : الذين لا يؤمنون بالآخرة ، لأنهم أعرضوا عن هداية القرآن التي هي أقوم ، فاتخذوه مهجوراً ، واتخذوا آياته سخرية وهزواً - باتخاذهم أغاني ، أو حجباً ونماذج ، أو جعله للموتى والمقابر - فثأبهم (كمثل الحمار يحمل أسفارا بثس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله . والله لا يهدي القوم الظالمين) فإن هؤلاء حين خسروا أنفسهم بالتقليد الأعمى ، حرموا من الانتفاع بقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم الإنسانية ، وغفلوا عن نعمة الله في إنسانيتهم ، فكفروا بها وظلموا أنفسهم ، كما قال الله في شأنهم (٧ : ١٧٩) لهم قلوب لا يفقهون بها . ولم أعين لا يبصرون بها . ولم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) فإنهم لا يزالون محسوبيين من « الإنسان » وإنهم لا يزالون مسئولين عن قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ، وكل حواسهم : لأنهم لا يزالون قادرين على الانتفاع بقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، إذا هم استجابوا الدعوة التي ربه في هدى النطرة ، وفي هدى القرآن .

و « الشر ، والخير » فالتخير : ما يختاره الإنسان ، ويحبه ويرغب فيه ويختاره لاعتقاده أنه

النافع المفيد ، الذى يوفر له أسباب رخاء البال ، وهناء العيش ، والراحة والإطمئنان ، والسعادة والفوز بالفلاح ، والسرور والحبور .

والشر : ضد ذلك . فهو ما يكرهه الإنسان ، وينفر منه ، ويتجنبه ، لاعتقاده : أنه السوء والفحشاء والمنكر ، والفساد والظلم ، والمكروه ، والضار المؤذى ، الذى يجمع أسباب التلق ، والمتاعب ، والحسرة والشقاء ، والحسرة والندامة ، والتنقيص ، ونكد العيشة .

قال ابن فارس : الخاء والياء والراء : أصله العطف والميل ، ثم يحمل عليه . فالخير خلاف الشر . لأن كل أحد يميل إليه ، ويعطف على صاحبه .

وقال - فى الشر - : للشين والراء : أصل يدل على الانتشار والتطاير من ذلك ، والشر . خلاف الخير .

والشر : بـطك الشيء فى الشمس . والشرارة - والجمع الشرار والشرر - ماتطاير من النار ، الواحدة شررة وشرارة اهـ .

وقال الراغب : « الخير » ما يرغب فيه الكل ، كالعدل - مثلاً - والعدل والفضل ، والشيء النافع . وضده « الشر » اهـ .

ونظر الناس إلى الخير والشر يختلف باختلاف كثيراً بحسب العلم النافع ، والعقل الراجح والرشد والحكمة ، واليقظة ونور البصيرة ، وحياة الإنسانية المبهزة المفكرة ، وبحسب عدم ذلك بعضه ، أو كله . فكم من الناس من يرى السوء والفحشاء والمنكر خيراً ، ويدعو به ، ويسعى إليه متمجلاً . فهل يكون هذا إنساناً رشيداً ؟ .

وقد جاء « الخير » فى القرآن أسماً لما يجمع الفضل والرحمة : من العلم والإيمان ، والفلاح والعزة ، والنصر والتمكين للدين الحق فى الأرض باستخلاف أهله وقوتهم ونفاذ سلطانهم بالعدل والرحمة . قال الله تعالى (٢ : ١٠٥) ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ، ولا المشركين : أن يُنزل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء . والله ذو الفضل العظيم) .

وجاء أسماً لما هو ضد الفتنة . قال تعالى (٢٢ : ١١) ومن الناس من يعبد الله على

حرف . فإن أصابه خيرٌ اطمأن به . وإن أصابه فتنة انقلب على وجهه . خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين) .

وجاء أسماً لما في بهيمة الأنعام ونحوها من النافع . قال تعالى (٢٢ : ٣٦) والبُذْن جملناها لكم من شعائر الله ، اسكن فيها خير) .

وجاء أسماً لكل عمل صالح نافع . قال تعالى (٢ : ١١٠) وما تقدموا لأنفسكم من خير نجده عند الله) وقال (٧٣ : ٢٠) وما تقدموا لأنفسكم من خير نجده عند الله ، هو خيراً وأعظم أجراً) وقال (٢ : ١٩٧) وما تفعلوا من خير يعلمه الله) وقال (٣ : ١١٤ ، ١١٥) يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات . وأولئك هم الفلاحون . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه . والله عليم بالمتقين) وقال (٤ : ١٣٠) لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) وقال (٢ : ١٥٨) ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم) .

وجاء أسماً لإطعام أكثر من مسكين لمن يفطر في رمضان وهو مطبق للصيام . قال تعالى (٢ : ١٨٤) وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . فمن تطوع خيراً فهو خيراً له) وقال (٦ : ١٥٨) يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) .

وجاء أسماً للحكمة ، التي هي إصابة الحق والعمل به (٢ : ٢٦٩) يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) .

وجاء أسماً لما يقابل الضر والسوء . قال تعالى (٦ : ١٧) وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو . وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير) وقال (١٠ : ١٠٧) وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو . وإن يردك بخير فلا راد لفضله) وقال (٧ : ١٧٨) ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . وما مسني السوء) .

وجاء أسماً للمال . قال تعالى (٢ : ٢٠٥) ما أنفقتم من خير فلولو الدين والأقربين واليتامى والمساكين . وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) وقال (٢ : ٢٧٢) وما تنفقوا من خير

فلأنفسكم . وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله . وما تنفقوا من خير يُوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون) .

وجاء أسماً لما يخلف الميت من نقد ودور وعقار وغيرها . قال تعالى (٢ : ١٨٠) كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ، إن ترك خيراً : الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) .
وجاء أسماً لما يشمل الصحة والقوة والثراء والغنى ، قال تعالى (١١ : ٨٤) وإلى مدين أخاهم شعيباً ، قال : يا قوم ، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، ولا تنقُصُوا المكّيال والميزان إنى أراكم بخير . وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) .

وجاء أسماً للفلاح ونجاح السعى ، وحصول المأمول بالاستقامة على العدل والسبيل القاصد قال تعالى (١٦ : ٧٦) وضرب الله مثلاً : رجلين ، أحدهما أبكم لا يقدر على شيء . وهو كليل على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير) .

وجاء أسماً لما يحتاجه الإنسان الغريب من المأوى والمؤنس ، والاطمئنان على النفس . قال الله تعالى في قصص موسى وعلى نبينا عليه الصلاة والسلام ، وقد فر من مصر طلباً للنجاة ، ووصل إلى مدين (٢٨ : ٢٤) فأتى لها . ثم تولى إلى الظل ، فقال : رب ، إنى لما أنزلت إليّ من خير فقير) .

وجاء أسماً لما يشمل الاستقامة والقوة على الكسب . قال تعالى (٢٤ : ٣٣) والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم : فكاتبوهم ، إن علمتم فيهم خيراً) .

وجاء أسماً لما قد يرى الزوج من زوجه من بعض ما يسكره في معاشرتها . قال تعالى (٤ : ١٨) فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

وجاء أسماً للبذل مما آتى الله من فضله ضد البخل . قال تعالى (٣ : ١٨٠) لا يحببن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم . بل هو شر لهم سيطّوْقُون ما بخلوا به يوم القيامة) .

وجاء أسماً للثبوت والتزوي في نقل شائعات السوء ، والثقة ببراءة من عُرف بالتقوى . وخصوصاً إذا كان من أسرة عظيم في الدين ، كزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال

الله (٢٤ : ١٢) لولا إذ سمعتموه - بمعنى حديث الإفك - ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً . وقالوا : هذا إفك مبين (١) .

وجاء أسماً لامتحان الله وابتلائه ، ليكون النجاح النافع المحتاج إليه الإنسان المتحنّ في مستقبل حياته ، والكشف عن حال من يجب أن يتقى شره . قال تعالى (٢٤ : ١٠) إن الذين جاهدوا بالإفك عصبة منكم ، لا تحبوه شرّاً لكم ، بل هو خير لكم) .

وجاء أسماً للاحتفاظ بهدى الفطرة ، وشكر نعمة الله فيه بحسن الانتفاع به في التفكير في آيات الله الكونية ، والاستماع والتدبر لآياته القرآنية . قال الله (٨ : ٢٣) إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم . ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) .

وجاء أسماً لما يكون في القلوب من نعمة الإيمان الصادق الذي يدفع إلى الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله . قال الله (٨ : ٧٠) يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى : إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) .

وجاء ضدّاً للشر . قال تعالى (١٠ : ١١) ولو يعجل الله للناس الشر استعجلهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) وقال (٢١ : ٣٥) ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) وقال تعالى (٤١ : ٤٩) لا يسأم الإنسان من دعاء الخير . وإن مَسَّهُ الشر فيئوس قنوط) .

وجاء أسماً لتدبير الله خلقه ، وفعله لهم وبهم في الرفع والخفض والعزل والتولية ، والإعطاء والمنع ، وقبض الرزق وبسطه . قال تعالى (٣ : ٢٦) قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير . إنك على كل شيء قدير) .

وجاء أسماً للعالم النافع والعمل الصالح ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تعالى (٣ : ١٠٤) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وجاء أسماً لما يستفاد من الغنيمة . قال تعالى في شأن المنافقين المَعْوِقِينَ عن الجهاد والحذلين

للمؤمنين عن القتال . قال الله (٣٣ : ١٩) فإذا ذهب الخوف سَلَاقَكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ . أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ . أولئك لم يؤمنوا) .

وجاء أسماً للخيل المعدة للمجاهدين في سبيل الله . قال تعالى على لسان رسوله سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (٣٨ : ٣١ ، ٣٢) إذ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافَاتُ الْجِيَادُ فقال : إني أحببت حُبَّ الخَيْرِ عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (١) .

وجاء أسماً عاماً شاملاً لكل نافع وصالح وطيب ، لصاحبه وللناس . قال تعالى (٥٠ : ٢٤) ٢٥ الْقِيَامِ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ . مَنَعَ لِّلْخَيْرِ مَعْتَدٍ مَّريبٍ) وقال (٦٨ : ١٠ - ٢٢) وَلَا تُطِيعُ كُلَّ خَلَافٍ مَّهِينٍ . هَمَّازٌ مَّشَاءٌ بَنَسِيمٍ . مَنَعَ لِّلْخَيْرِ مَعْتَدٍ أَنِيمٍ) وقال (١٠٠ : ٧ ، ٨) إِنْ الْإِنْسَانُ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، وإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) . وقال (٢٢ : ٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

* * *

و « عجولاً » صيغة مبالغة من العَجَلَة . وهي شدة التسرع في المضي إلى الأمر بدون ترو ، ولا تفكير ولا تثبت ، نتيجة الضجر والجهل وعدم الصبر . والعرب تقول : أَعْجَلْتُ

(١) يعنى سليمان عليه السلام : أن أحب هذه الخيل ، التي هي خير ، إذ عرضها عليه بعد شرائها ، أو بعد عودها من مرعاها ، أو من ميدان الجهاد الذي انتصروا فيه على الأعداء . فإنه ما اقتناها رياء ولا خيلاء ، وإنما أعدها للجهاد في سبيل الله . فكان حبه لها حباً ناشئاً ومتولداً عن ذكره لربه الذي أنعم عليه بالملك والسلطان والخيل المسومة ، ليشكر ربه استعمال كل ذلك في إعلاء كلمة الله وتبليغ رسالاته . ولذلك قال - بعد أن فرغوا من عرضها ، وذهبوا بها إلى اصطبلاتها حتى توارت عن نظره ، واختفت وراء الجدران - (ردوها على ، فطلق مسحاً بالسوق والأعناق) سروراً بها ، وتقديراً لنعمة الله ، فأخذ يستمتع بها ويمسح بيده على سوقها وأعناقها ، التي جعل الله قوة الخيل وجمالها فيها ، إذ تحمل الجندي ، وتوصل به وتجول في ميدان الجهاد . والقول بأن تاء « توارت » للشمس التي غربت ، وأنه عرقب الخيل وذبحها بالسيف : بعيد عن أسلوب الآية . فإنه لم يجر ذكر للشمس فيها ، فضلاً عن أنه بعيد جداً عن إيمان المرسلين وتقديرهم وشكرهم لنعم ربهم عليهم .

الناقة ، فهي مُعْجِلٌ وَمُعْجَلٌ : إذا أَلْقَتْ ولدها لغير تمام . والمُعْجَالَةُ : ما يتمعجل به للضيف العَجُول قبل نُضْجِ الطعام .

قال الراغب : العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه . وهي من مقتضى الشهوة . فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن . و (خلق الإنسان من عَجَل) يعني أن ذلك أحد الأخلاق التي رُكِّبَ عليها ، لا يتعمى عنها هـ .

وقال النيسابورى : « عَجُولاً » يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ، ولا يخطر بباله ، معتقداً أن خيره فيه . وإن كان ذلك - عند التأمل - مضرّاً به هـ .

والمعنى : أن الإنسان قد جعل الله له من القدرة على السرعة : ما يستطيع به أن يحصل من الخير النافع ما يوفر له أسباب عيشته الراضية ، بحيث لا يفوته شيء منها في أوانه ، إذا عقل تلك السرعة بعقل العلم - من تفكيره في سنن الله ، ومن تجاربه فيما يقع له من حوادث وما يستفيدة من علم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن علم الكتاب المنزل عليه - فإذا هو لم يعقل طبيعة السرعة فيه بعقل العلم والتفكير : ذهب مندفعاً في سرعة شديدة - في غير تروٍّ ولا تثبت - وراء هواه وشهواته البهيمية ، وأمانيه الكاذبة الخادعة ، جاهلاً وصايا الله تعالى في كتابه ، ونصائح رسوله صلى الله عليه وسلم ، غافلاً عن سنن الله في نفسه وفي الآفاق ، مغروراً بجهله وسفهه ، معتقداً عقيدة ضالة : أنه قد عرف الخير - وهل يعرفه وهو جاهل مغرور ، يجري وراء هواه وشهواته لا يقيم وزناً للعقل ، ولا يفكر في الرجوع إلى سنن الله وإلى تجارب الحياة في حوادثها ، التي طالما آتته الخيبة والخسران في كل سعى ساء - فيذهب بهذا كله يريد الخير ، ويطلبه ويسعى إليه سعياً حثيثاً ، ويدعوه ويقرّبه منه بكل قواه . فإنه لا بد أن يضل سعيه ، ويسلك غير السبيل القاصد ، سبيل الفنى الذى يدفعه إليه هواه وشهواته التي لا تدفع إلا إلى الشرور والآثام ، فيصل إلى أسوأ العاقبة . ويجد يديه قد ملتئمتا بالخيبة والخسران ، وموجبات الحسرة والندامة . فيعود يسعى مرة أخرى ومرات ، جاهلاً مغروراً كذلك سفيهاً باغياً في تصميم وعناد وإصرار ، وإخوانه من شياطين الإنس والجن يمدونه في الفنى ولا يقصرون ، فيجد النتيجة البغيضة هي النتيجة ، والعاقبة السوأى هي العاقبة .

و « جملنا » الجمل : هو تدبير أمور وترتيب أسباب تنتهي بقول الله تعالى للشيء « كن » فيكون المجهول الشيء ، من الليل والنهار وغيرها من السنن الكونية في الخلق كله : أرضه وسماواته ، بما فيهما من كل المخلوقات ، وما رسم الله لها من طريق جعله الله - كذلك - سبيلاً إلى نهايتها الحتمية ، وعاقبتها التي لا محيص لها عنها ولا تحال . لأن الله القاهر فوق عباده هو الذي سن السنن ، وسبب الأسباب ، وأرادها أن تصير إلى تلك العواقب والنهايات لا يقدر الجن والإنس مجتمعين أن يبدلوا شيئاً من سنن الله أو يحولوها . والله سبحانه وتعالى قد دبر - من خلق الشمس والقمر والأرض ، ومن دورانها حول نفسها وفي مداراتها ، ومن ارتباطها مع غيرها من الكواكب في مجموعة واحدة ، سماها الفلكيون « المجموعة الشمسية » - قد دبر ربنا سبحانه من كل ذلك النظام القوى الحكيم ، وما وضع له من سنن في سيره السريع ودورانه وتنقله من حال إلى حال ، وتنقل الإنسان وما سخر له ربه على الأرض من حيوان ونبات حال الليل وما جعل من الظلمة فيه ليناً للإنسان بالنوم الذي جعله له ربه سباتاً ، تهدأ أعصابه وأعضاؤه وتستريح ، وليستريح وينعم بالسكون مع زوجته وأولاده . فيصبح في يومه الثاني الذي يساخره الله منه ، ويكرر نهاره على الليل ، بحياة جديدة ، وقوى جديدة ، وروح فرحة نشيطة ، بما أنعم الله عليها في ليل ، يذهب بتلك الحياة الجديدة والقوى والروح في ضوء النهار ونحت أشعة الشمس التي يزيد الله بها نشاطاً وقوة حركة ، ويزيده بها سروراً بما يرى من آثارها في نضج زروعه ونماره . فيزداد يقظة وعلماً بسنن الله وآياته ، ويقينا في إيمانه وعقيدته ، وإخلاصاً في عمله وطاعته وعبادة ، وكل عمله وكدحه وسعيه عبادة ، وذلل وخضوع ، وإجلال لربه وتسبيح بحمده ، فكله تقدير . وشكر لربه - العلى الكبير ، الغفور الودود - على جزيل نعمته ، وعظيم فضله ، وكريم إحسانه وبره .

و « الآية » هي العلامة الواضحة الظاهرة لكل من يرى ويتمع ويحس من بنى الإنسان .

قال في اللسان : الآية العلامة . وزنها فعلة ، في قول الخليل . وذهب غيره إلى أن أصلها أَيْة فَعَلَة . فقلبت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها . وهذا قلب شاذ . وأصل « آية » أَوِيَة بفتح

الواو - وموضع العين واو . والنسبة إليه أَوْرِيَّ وقيل : أصلها آيِيَّة فاعلة . فذهبت اللام منها أو العين تخفيفاً . وتأْيِيَّ الشيء : تعمد آيته . وهى شخصه . أى قصد إليه اه .

وقال ابن فارس فى مقياس اللغة : الهمزة والياء والياء أصل واحد . وهو النظر . يقال : تأْيِيَّ يتأْيِيَّ تأْيِيًّا ، أى تمكث . قال :

قف بالديار وقوف زائرٍ وتأْيٍ ، إنك غير صاغر

وقال ابن الأعرابى : تأْيَيْتُ الأمر ، انتظرت إمكانه ، ويقال : ليست هذه بدار تثيَّة ، أى مقام .

وأصل آخر : وهو التعمد . يقال : تأْيَيْت - على تفاعلت - وأصله : تعمدت آيته وشخصه .

وقالوا : الآية العلامة . وهذه مأْيَاة . كقولك : علامة مَعْلَمَة ، وقد أَيْئْتُ .

قالوا : وأصل آية أَيْيَة ، بوزن أَعْيَة ، مهموز همزتين . خفت الأخيرة فامتدت .

قال الأصمى : آية الرجل شخصه . ا ل الخليل : خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم . ومنه آيات القرآن ، لأنها جماعة حروف . والجمع آيٌّ .

وأَيَاة الشمس ضوءها . وهو من ذاك . لأنه كالعلامة لها اه .

وقال الراغب : والآية : العلامة الظاهرة وحقيقته لكل شئ . ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره . ففى أدرك مدرك الظاهر منهما : علم أنه أدرك الآخر الذى لم يدركه بذاته ، إذ كان حكمهما سواء . وذلك ظاهر فى المحسوسات والمعقولات . فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج ، ثم وجد العلم : علم أنه وجد الطريق . وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً : علم أنه لا بد له من صانع

واشتقاق « الآية » إما من « أى » فإنها هى التى تبين أَيْباً من أى . والصحيح : أنها مشتقة من التأْيِيَّ ، الذى هو التثبيت والإقامة على الشئ .

ويقال لكل جملة من القرآن دلت على حكم : آية ، سورة كانت ، أو فصولا ، أو

فصلا من سورة ، ويقال لكل فصل كلام منه منفصل بفصل لفظي : آية ٥١ .

وقوله تعالى « فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » أى جعلنا الليل محو الضوء مطموساً لشدة ظلمته وسوادها ، لا يستبان فيه شيء ، كما لا يستبان مافى اللوح المحو ، وجعلنا آية النهار مضيئة بإضاءة شديدة ، حتى كأنها هي التي نبصر الأشياء وتدعو إليها الإنسان وتهديه وتدله عليها .

كما وصف ربنا تعالى « الآية » نفسها و « النهار » بذلك في قوله (١٧ : ٥٩) وآتينا نمرود الناقة مبصرة) وفي قوله (٢٧ : ١٣) فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) وفي قوله (١٠ : ٦٧) وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ، إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) . وفي قوله (٢٧ : ٨٦) ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً ؟ إن فى ذلك لآيات اقوم يؤمنون) وفي قوله (٤٠ : ٦١) الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ؟ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) .

وقال أبو حيان : الظاهر أن « الليل والنهار » مفعول أول لـ « نجعل » بمعنى : صيّر . و « آيتين » مفعولها الثانى ، ويكونان - الليل والنهار - فى أنفسهما آيتين ، لأنهما علامتان للنظر والعبرة . وتكون الإضافة فى « آية الليل » و « آية النهار » للبيان . كإضافة العدد إلى المعدود ، أى فمحونا الآية التى هى الليل ، وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة - إلى أن قال - فمحوا آية الليل : عبارة عن السواد الذى فيه ، بل خلق أسود من أول حاله . ولا تقضى الفاء تعقيباً . وهذا كما تقول : بذيت دارى فبدأت بالأساس - إلى أن قال - وقال ابن عيسى : جعلناها لا تبصر المرثيات فيها ، كما لا يبصر ما محى من الكتاب . قال وهذا من البلاغة الحسنة جداً . وقال الزمخشري « فمحونا آية الليل » أى جعلنا الليل ممحواً الضوء مطموسه مظلماً ، لا يستبان فيه شيء ، كما لا يستبان مافى اللوح المحو « وجعلنا النهار مبصراً » أى تبصر فيه الأشياء وتستبان . وقيل « مبصرة » أى مضيئة . وقيل : هو من باب أفعل التفضيل . والمراد به غير من أسند أفعل إليه ، كقولهم : أجبن الرجل ، إذا كان أهله جبناء ، وأضعف : إذا كانت دوابه ضعافاً ، فأبصرت الآية إذا كان أصحابها بُصراء . وكذلك ذكر ابن جرير قولاً نحو هذا عن طائفة فى « مبصرة » .

ولعل الأظهر في هذا - والله أعلم - أن « الآية » لشدة وضوحها هي نفسها تهدي الناس وتدلهم ، كالدليل البصير المادي إلى الطريق يُبَصِّرُ السالكين بمعالها وضواها . ويدلهم عليها .

وقوله تعالى « لتبتغوا فضلاً من ربكم » أي لتسعوا طالبين رزقكم ، لامن عند الناس وفضلهم ، بل من فضل الله « ربكم » الذي يريكم ويربي جميع العالمين بنعمه وفضله . فهو الذي يريكم بما تكفل لكم من رزق لأجسامكم ، وهو الذي يريكم بما أعطاكم من الإنسانية الكريمة العاقلة المميزة ، وبما جعل فيكم من الاستعداد الفطري للتفكير في آياته الكونية ، وفي تدبيره لكم في جميع الشئون والأحوال ، ويرىكم بما أنزل لكم على من يصطفى منكم من الرسل كتباً فيها الهدى والرحمة والعلم والحكمة - لتزكية نفوسكم - وتغذية ألبابكم ، لتربو فيكم هذه الدم ، ولتربوا أنتم بها . وترتفعوا وتسموا على درجات الكرامة ، حتى تبلغوا منازل الأبرار في عِلِّين .

و « لتعلموا عدد السنين والحساب » الذي أنتم بأشد الحاجة إلى علمه في عبادتكم وزرعكم ، وجميع أعمالكم وأعماركم . ، وذلك العلم إنما تثمره لكم معرفة دورة الأرض حول نفسها ، فيكون الليل والنهار . ودورتها حول الشمس . فتكون الفصول الأربعة : الشتاء والصيف والربيع والخريف ، ودورة القمر ونزوله في منازل ، فتكون الشهور الهلالية . وهي أضبط وأدق الشهور .

قال تعالى (٦ : ٩٦ فاتقوا الإصباح . وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حساباً . ذلك تقدير العزيز العليم) وقال (٧ : ٥٣ يُغِثِي اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره . ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وقال (١٠ : ٥ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك إلا بالحق . يفصل الآيات لقوم يعلمون) وقال (١٣ : ٢ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى . يدبر الأمر . يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) وقال : (١٤ : ٣٣ ، ٣٤ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الإنسان لظالم كفار) وقال (٣٣ : ٢١

وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر . كُلُّ فِى فَلَكَ بِسَبْحُونَ) وقال (٣١ : ٢٩)
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي إِلَى
 أَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ؟) وقال (٣٥ : ١٣) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
 فِي اللَّيْلِ . وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى : ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ . وَالَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) وقال (٣٦ : ٣٧ - ٤٠) آيَةٌ لِّهِمَّ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ
 النَّهَارَ . فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا . ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ
 قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ ، حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ
 سَابِقُ النَّهَارِ . وَكُلٌّ فِي فَلَكَ بِسَبْحُونَ) يَعْنِي كَلَّا مِنْ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . فَإِنَّ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ إِنَّمَا يَتَكَوَّنَانِ مِنْ دَوْرَةِ الْأَرْضِ حَوْلَ نَفْسِهَا . فَخِنْ يُوَاجِهْ نِصْفُهَا الشَّرْقِيَّ الشَّمْسُ يَكُونُ
 النَّهَارَ . وَاللَّيْلُ فِي النِّصْفِ الْآخَرِ الْمَقَابِلِ الْغَرْبِيِّ . وَقَالَ (٢٩ : ٥) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِالْحَقِّ . يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ . وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
 لِأَجَلٍ مُّسَمًّى . أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) وقال (٥٥ : ٤) وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) .

وقوله تعالى « وكل شئ فصلناه تفصيلا » يقول ربنا سبحانه : إنه قد أجمل الأشياء
 كلها ، وجمعها جمعا يتيسر للانسان معه أن يلم بها علما ، ثم يتيسر له أن يذتفع بها كلها
 مجموعة لأن الله ربه سبحانه له كل مافى السموات والأرض . ثم أخبر أنه سبحانه فصلها ،
 وميز كل شئ بخصائصه وصفاته ، وفرق بينه وبين غيره بفوارق ، سهل على الإنسان -
 الكريم المحتفظ بهدى الفطرة والمؤمن المستضيء المستمسك بهدى الوحي المنزل على رسوله -
 أن يعرف كل شئ بحقه ومميزته وخصائصه فيعطيه حقه ، فيحسن تناوله واستعماله والانتفاع
 به ، أو اجتنابه والبعد عنه واتقاه . بحيث إن جميع الأشياء : مما يحتاجه الإنسان ، ويفتقرون
 إليه فى أى شأن من شئونه الدينية والدينية ، مما أنعم عليكم به ربكم العليم الحكيم ،
 الرؤوف الرحيم ، قد فصلناه وبيناه تفصيلا بينا واضحا ، وبيانا شافيا كافيا ، بما جعل ربنا
 سبحانه . فلأسمائه سبحانه وصفاته ، وأفعاله وتدييره وخلقه ، وسدنه فى الأرض والسموات
 خصائص ، وجعل ربنا لنفسه العلية سبحانه ، بمقتضى هذه الأسماء والصفات التى هو بها

(٤٢ : ١١) ليس كئله شيء وهو السميع البصير) حقوقاً : هي أن يخلص الإنسان له سبحانه الإلهية والعبادة بكل أنواعها وأن لا يعبد إلا بما أحب وشرع . وجعل للانسان حقوقاً مفصلة لذكره وأثناءه ، ولكل واحد منهم على الآخر ، كل بحسب وضعه في مجتمعه ، وعمله الذي يؤديه بما أعطاه ربه من حقائق في خلقه ، وبما خصه من خصائص وميزه من مزايا ، كما أنه فصل وفرق وميز بين الجماد والحيوان ، والنبات والهواء والماء ، والبحار والجبال ، وجعل خصائص ومزايا لكل عقيدة صحيحة ، ولكل عقيدة باطلة ، ولكل حكم وشريعة ، ولكل باطل ، ولكل حق ، ولكل ضلال ، ولكل هدى ، ولكفر والإيمان ، وللطاعة وللعصيان ، ولما يحب ربنا ويرضى ، ولما يكره ويسخط ، وللأنبياء ، وأتباعهم على هدام ، وللأحبار والرهبان والطواغيت القائلين على الله وفي الله بغير علم - ولحزب الله المفلحين ، ولحزب الشيطان الخاسرين ، وللذكر والأنثى ، وللإنسان وللحيوان ، ولكل مطعوم ولكل مشروب ، ولكل ملبوس وأكل شيء مما يضطرب فيه الإنسان ويعتمله في شئون معاشه لدنياه وآخرته - قد جعل ربنا سبحانه ومحمد له لكل شيء وفي كل شيء من الصفات والأحوال ما يتيسر لكل إنسان - عاقل رشيد ، مؤمن بالله وآياته شاكر لفضله وأنعمه فيما آتاه في نفسه وفي الآفاق ، وفيما أنزل له من الهدى والفرقان - أن يفرق بينه وبين غيره . قد بين ربنا ذلك وأوضحه جيداً بمقتضى السنن الكونية ، وبهدى الفطرة ، وبما جعل لها وفيها من حواس ظاهرة وباطنة ، وبما أنزل ربنا من كتب ، وبما أرسل من الرسل مبشرين ومنذرين ، يهدون الناس إلى التي هي أقوم ، ويخرجونهم بإذن ربهم من الظلمات إلى النور . لئلا يكون للناس على الله حجة . وكان الله عزيزاً حكيماً .

وبعد ، فإن من يتبع أحوال الناس في أوروبا وأمريكا ومعهديهما والذين في فلكهما الباغي المفسد - وبالأخص من يزعمون شرف الانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - يرى ويسمع ويعلم : أنهم تتابعوا في النعجل إلى الشرور والآثام ، حتى أصبحوا وحوشاً ، بل شراً من وحوش الغاب ، فإن وحش السباع يفترس ليشبع ويسد جوعه . فإذا ما شبع ذهب إلى جحره ينام ويستريح حتى يهضم ما افترس ، فتذهبت الحيوانات الصغيرة سارحة آمنة من بطشه . لأنه قد قضى حاجته . أما هؤلاء ، فإنهم قد غلبهم سلطان الهوى

والفرور ، والننى والشرور ، وتحكم فيهم السفه والطيش والرعونة الخرقاء فأسرعوا عذّوا بها يكدهون الليل والنهار فى شخذ مغالبهم وأنيابهم ، وتزويدها بالقنابل الذرية التى تفتك بمئات الآلاف ؛ فهل ذلك عن جوع كجوع وحش السباع ؟ فيالهل هذا الجوع !

وهم لذلك قد ضربهم الله بسوط هذا الجوع ، الذى هو شر من جوع وحوش السباع . آلاف المرات ، وضربهم بسببه بسوط الخوف الشامل الذى نكد الله به عيشهم . ونقص عليهم كل لحظة من حياتهم . فذهبوا يحاولون تسلية أنفسهم ليتناسوا ، أو ليتغافلوا عن هذا الخوف ، فزينت لهم شياطين الشهوة الجائنة - جوعاً لا تشبع منه أبداً - اللهو والفاسق الفاجر واللعب الداعر ، وزين لهم شيطان الهوى والفرور أن هذه فنون راقية ، من ثمرات الحضارة والمدنية الحديثة ، التى ترقى بالإنسان وتبوؤ مكانه السعادة والفلاح ، والننى ولدتها عقولهم الجبارة ، فسبقت وبزت بها الأمم الغابرة التى كانت فى حياتها متأخرة .

ولا شك أنهم يعتقدون أن كل هذا هو « الخير » فيدعون به ، ويطلبونه ويستعجلونه استعجالهم للخير الحق ، ويسعون إليه بكدهم الدائب فى التكثير من أسبابه وآلاته المدمرة الفاجرة المفجرة ، التى يزعمون بها أن يعاجزون ، وهم إنما يستعجلون شديد عذابه وهم لذلك يزعمون أنهم قد عرفوا حقوق الإنسان ، وكونوا لها جماعة تحفظها ، وتدعو - زعمت - إلى حفظها والحفاظة عليها فى ظل هذه المدمرات ، وبين مغالب وبرائن وأنياب أولئك الأغوال الباغين المجرمين ثم ليؤكدوا هذا التخاون لأنفسهم الفارقة فى بحار الضلال والننى والعمه والمفرورين بهم العمى الذين لا يبصرون ، جمعوا جماعات سموها « مجلس الأمن » و « الأمم المتحدة » على غرار أختها - أو على الأصح أمها - التى ذهبت إلى الجحيم « عصبة الأمم » أو على الأصح عصبة الوحوش الخائنين الغادرين الفاجرين .

أقول - ومن الله أستمد المعونة ، وأسأله العافية للعرب والمسلمين من هذه الشرور التى يسميها الأغوال الفاجرة سلماً وأمناً ، وحفظاً لحقوق الإنسان ، وخيراً للإنسان - إن من يتتبع أحوال الناس ، ثم يتلو قول الله تعالى (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير . وكان الإنسان عجولاً) ويجمع إليها ماورد فى القرآن الكريم من أخواتها وأشباهها ، وبالأخص قول الله تعالى (١٠ : ١١) ولويلعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم - إلى - يومهون) . يتضح له ويعلم أيقن العلم وأكدده : أن هؤلاء الفواة الفجرة - أراح الله الإنسانية منهم

ومن شرورهم - إنما زين لهم الشيطان سوء أعمالهم الشريرة والفاجرة ، وزعموها خيراً لهم وللناس - إن صدقاً ، وإن كذباً - في غمار كفرهم بالله وآياته وكتبه ورسله ، وفي ظلمات تقاليدهم الجاهلية الغافلة العمياء أشد العمى عن سنن الله الكونية في الأنفس والآفاق وفي شدة بلادتهم العميقة التي نزلوا بها أحط من دركات الخير ، وظنوا بكل ذلك أنهم وحدهم هم الذين يعرفون الخير ، ويفرضونه على غيرهم ، وأنهم وحدهم هم الذين يعرفون السلم ويقدرونه قدره ويفرضون سلمهم هذا على غيرهم ، وأنهم وحدهم هم الذين يعرفون الإنسان حقوقه ، ويقدرونها قدرها ، ويفرضونها على غيرهم !! فما أغياهم ، وما أضلهم وأشد عماهم ، وما أغفلهم وأشد بلادتهم !!

إنهم لو كانوا يعقلون لرجعوا عن غيهم ، وثابوا إلى رشدهم ، وعادوا إلى أنفسهم وأهليهم يبحثون لهم - من سنن الله وآياته وكتبه الحقة ، ورسالاته الصادقة - عما يکبح جراح أهوائهم الباغية ، ويطفى نيران شهواتهم المشتعلة ، ليأمنوا من شرور أنفسهم ، ويسلموا من سبائتهم وسوء أعمالهم وفجورهم ، الذي قضى على كل مزايا الإنسانية فيهم ، وردهم شراً من وحوش السباع وأجراً على الفواحش والمنكرات منها .

إنهم لو كانوا يعلمون ويفقهون لرجعوا عن غيهم ورعونتهم وطيشهم ، وعرفوا بما صنع الله في الشرق الإسلامي العربي من يقظة وحيوية جارية ، قد استيقظت ، ونفضت غبار الغفلة الطويلة المدى عنها ، وحطمت عملاءهم ، ووطقتهم تحت النعال . ثم وقفت وقفة الرجل الكريم الذي غمرته الحمية الإسلامية ، والشهامة العربية ، تستعد وتأخذ كل الأهبة ، وتتهيأ جميع الأسباب - مستعينة بالله ربها الذي أعطاه الحياة العزيزة الكريمة ، والذي - بفضل وعزته وحكمته - أيقظها ، والذي بعزته وقوته وحكمته وتأيبده ونصره يؤيدها ويمدها . وهي ساعية سعيها - بتوفيق الله وتأيبده وتسديده - إلى البطش بأولئك المغرورين الأشرار ، الذين يسمون في الأرض فساداً (وإذا قيل لهم : لا تفسدوا في الأرض قالوا : إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون) (والله لا يحب المفسدين) فلا يمكن أن يبقى على إفسادهم . وقريباً جداً سيبطله الله (١٠ : ٨١ إن الله لا يصلح عمل المفسدين) وسيرد كيدهم الخائن في نحورهم (١٢ : ٥٢ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) فهم أبغض الخلق عند الله ، وأمقتهم

لديه ، لأنهم أخون الناس ، وأحرصهم على الخيانة ، وأسرعهم جرياً إليها (٨ : ٥٩
إن الله لا يحب الخائنين) .

وأنها قد عقلت فانكشفت لها حقيقةتهم ، وأنهم أكث أعدائها وأجر خصومها .
وأنهم لا يألوننا خبالاً ، ويودون أشد الود ضرنا وضر الإنسانية كلها ليشبعوا جوعتهم
الوحشية . واقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدرهم . والله بما يعملون محيط .

* * *

نعمنى الله وإياكم بما فى القرآن من الآيات والذكر الحكيم ، وجعلنا من الذين يتلون
حق تلاوته ويفهمونه حق فهمه ، ويعرفون مقاصد منزله سبحانه منه ، وعرفنا ما أراد لنا من
إجمال كل شيء ، ثم تفصيله . وآنانا من فرقان القرآن مانفرق ونميز به بين الخير والشر ،
والطيب والخبيث ، والنافع والضار ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، والنور والظلمات ،
والحكمة والسفه ، والرشد والغى ، والتوحيد والشرك ، والإيمان والكفر ، والتقوى
والفجور ، والطاعة والعصيان ، وأسباب القوة والعزة ، والرقى والسمو ، على معارج
الكرامة ، وأسباب الضعف والتدهور ، والتسفل فى دركات اللهو والفسوق والانحلال
الخالقى ومحاربة سن الله العليم الحكيم .

وأسال الله سبحانه - وهو القادر على أن يعجل بالإجابة - أن يعجل الدمار على
أعداء الإنسانية الطغاة القواة فى كل مكان ، وأن يجمع كلمة العرب المسلمين شعوباً ورؤساء
على ما يحب ويرضى لهم من الخير والرشد ، والسداد والنصر العاجل على جميع الأعداء ،
وأن يجعل الخير والحق والرشد والحكمة على قلب ولسان عبده الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن
يشد سلطانة ، وبؤتيه الحكمة وفصل الخطاب . وأن يرفع على يده الموقفة راية الإسلام ،
ويعلى بقوة ساعده رهوس العرب والمسلمين ، وأن يجعلنا من جنده المجاهدين فى سبيله وابتغاء
مرضاته لإعلاء كلمته ، ويعيدنا من الفتن مظهر منها وما بطن ، ويتوفانا على صادق الإيمان
وصالح الأعمال .

وصلى الله وسلم وبارك على خيرته من خلقه ، وصفوته من عباده ، عبده ورسوله الخاتم
محمد ، وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين ، وأن يجعلنا من آل هذا الرسول
وحزبه المفلحين فى الدنيا والآخرة .
وكتبه فقير عفو الله ورحمته

ص مامه انيتي

أخطاؤنا . . . ومحاسبة النفس

الأديب سعد صاوي محمد

كم من أيام انقضت والإنسان في هذه الدنيا من يوم أن خلقه الله وأهبطه على الأرض بضرب ويسمى من أول النهار إلى آخر الليل ، ويصارع الحياة في سبيل الرزق ومطالب العيش ، ويتقاتل مع غيره من الناس قتالاً مربراً من أجل المال ، وفي سبيل معركة الأمان والطموح والمستقبل ، وبزاحم هذا وذلك ليحصل على ما يريد من المتاع والقوة والمكانة في المجتمع .

إن أعمالنا كلها مليئة بالأخطاء ، وأحوالنا لا تخلو من العيوب ، وحياتنا زاهرة بالثغرات ، فهل فكر كل منا في أن يحاسب نفسه ويراجعها ؟ . . .

هل فكر كل منا في أن يخلو في نهاية يومه إلى نفسه ليستعرض مافعله ولينظر ما قدمت يده . ثم يزن أفعاله بميزان دقيق ليرى هل كانت خيراً فيحمد الله عن نعمه وفضله وإحسانه ويشكره على أن رزقه التوفيق والقوة والسداد ، ويطلب منه المزيد من الرشاد والهداية والصواب . . . أو ليرى هل كانت شراً وسوءاً فيستغفر الله لذنبه ويتوب إلى رشده ويرجع عن طريق الغواية ، ويرجوه أسباب اليقظة والحذر والتبصر ويدعوه أن يحنبه طريق الزلل والخطأ وأن يهديه صراطه المستقيم .

ولا يستطيع أحد أن يقول : إن الإنسان بعيد عن مواطن الخطأ ، أو هو معصوم من الزلل ، بل هو سريع النسيان كثير الغفلة ، يرتكب الخطأ بطبعه ويذنب بفطرته (لأنه بشر) وهذا ما يقرره رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » .

فالإنسان لابد أن يخطئ ، ولابد أن يكون الخطأ وتوجد العثرات وتكون الزلات حتى يأخذ المرء منها الدروس والعبر لحياته ، ويحفظ نفسه في المستقبل من عواقب أخطائه ونتائج تصرفاته ، فلولا الخطأ ما كانت معرفة الطريق إلى الصواب ، ولولا الشر ما عرف

الخير ولا استطاع المرء أن يميز بينهما ، ولا كان الدافع على تجنب سبيل الشر والسير في طريق الخير ، وهذه حكمة إجماع (الضدين) .

لكن ليس معنى ذلك أننا نسمح لأنفسنا بأن نمشي بتخبط في شئوننا ، وأن نطلق العنان لأعمالنا وتصرفاتنا لنعمل في حقل الغفلة والجهل ، وأن نتغفل عن فلتات الألسنة ، وزلات الأقدام اعتماداً على أن الإنسان مجبول على الخطأ ، مفطور على النسيان دون أن نقاوم التوازع التي توقعنا في السوء ومجاهدة الدوافع التي تجلب لنا الشر ، ولنقرأ قول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه في خطبة له عند ما يقرر أنه غير بعيد عن الخطأ ، وأنه غير معصوم من هفوات البشرية ، ثم يعود سائلاً الله أن يلهمه العمل بما يرضيه ، وأن يرزقه البر والتقوى ، وأن تكون تصرفاته عن خشوع و يقين ، يقول عمر : « اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألهمني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت في كل حين ، اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك ، فأرزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وأرزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ^(١) ، والحذر من الشبهات ^(٢) ، اللهم أرزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك مابقيت ، إنك على كل شيء قدير » .

عمر رضى الله عنه ، على قدر ما تفضل الله عليه من نعمة الحكمة والتقوى . يتضرع إلى الله أن يرزقه « الحياء منه » لأنه المانع من المضى في كل عمل لا يهدف إلى الخير والنفع والحائل بين المرء وتصرفاته الدينية .

وأن يثبتته « بالتقوى » لأنها الأساس الذى يجب أن يرتكز عليه كل عمل صالح .
(٨ : ٢٩ يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم) .

(١) إصلاح أوقاتي واستعمالها في النافع المفيد .

(٢) الاحتراس من الشكوك .

« وأن يلهمه ذكره على كل حال » لأن ذكر الله دائماً ، إنه سميع بصير ، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يبعث على الخشية والحذر والوقار ويوجه الإنسان إلى كل ما برضى الله .

« وذكر الموت في كل حين » فهو أعظم مذكر للمرء بيوم الحساب ، وعرض أعماله ونحوه على عدم التكالب على حطام الدنيا الفاني ، والعمل لما يجعله الله أهلاً لنعيم الآخرة . ولهذا أباح الرسول الكريم زيارة القبور لما فيها من العبرة وما تجنيها من التذكرة ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » . والآخرة هي التي تشير إليها الآية الكريمة الآتية تبينها للإنسان بأهوالها ، ومدى عظمها ومسئوليتها الجسيمة ، وتحذيراً له من أن يجرفه تيار الفتن ويأخذه غرور الدنيا فينسى الآخرة « يوم الحساب » يوم وزن الأعمال يوم العدل ، (٣ : ٣٠ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء ، تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) .

وأن برزقه « المحاسبة لنفسه » حتى يعرف خطأه ويتضح له ما قصر فيه وما أداه من الواجبات الملقاة على عاتقه . لقد كان عمر رضى الله عنه يرى أن حكم البلاد أكبر من أن يترك بلا حساب ، وأن دقة هذا الحكم أعظم من أن تدار كيفما توجهها الأهواء ، كأن يعتبر نفسه مسؤولاً لا حاكماً ، وهذا يستلزم الحساب دائماً ، فهو « راع » ، وكل راع مسئول عن رعيته « وهذا مادعى أحد المسلمين في ذلك الوقت أن يرد على عمر بقوله : « والله لو علمنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا » وذلك حين خطبهم قائلاً : « هل رأيتم في اعوجاجاً » .

ولعل هذه الناحية المهمة الحساسة تبرز لنا لوضوح شعور السلف الصالح رضى الله عنهم بمسئولية (الحاكم) الكبرى أمام الله وأمام الناس عن أى خطأ يجعله موضع انحراف ومؤاخذه .

وأية ذلك قول عمر « لو زلقت بغلة بالعراق لعلمت أنى محاسب عليها » فهو ليس مسؤولاً

ومحاسباً عن في المدينة ومقر الخلافة . وما يجاورها من القرى فحسب ، بل هو مسئول عن في العراق التي تبعد عن المدينة بآلاف الأميال أيضاً .

وأن يعينه على « التفكر والتدبر لما يتلوه لسانه من كتاب الله والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر في عجائبه والعمل بذلك » وكيف لا والقرآن هو الدستور الذي ضمن الله لمن تمسك به واتبعه سعادة الدنيا وفلاح الآخرة (٩ : ١٧) إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله » .

وعمر وغيره من الصحابة رضی الله عنهم ، هم الرعيل الأول من المسلمين الذين يجدر بنا أن نتخلق بأخلاقهم وتتأدب بأدبهم ، ونتخذ حياتهم سراجاً لنا ، امتثالاً لقول الرسول الكريم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » ولكننا لا نحاول أن نقرأ سيرة سلفنا الصالح ولا أخبارهم لنترسم خطاهم ، بل تركنا سنتهم ونبتذناها ، واتبعنا سنة مصدرها الأهواء وسبيلاً منبعا الأغراض واحتكنا إلى الطواغيت .

لقد كان الواحد منهم إذا ما أخطأ أو ارتكب ذنباً أسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه معترفاً بخطيئته معلناً أنه أتى سيئة ويطلب إقامة الحد عليه وإنزال العقاب الذي يستحقه به .

كانت العبر تحذرهم وأخطاء الماضي تنفعهم والخشية من غضب الله تنبهم . لكننا اليوم لا نعترف بالذنوب إذا اكتسبناها وإذا ثبتت الجريمة وأمسكت بتلابيبنا نحاول أن نخفي معالمها وتبذل الجهود لطمس الحقائق والتعمية والتضليل . وعلى قدر مانجنيبه من ثمار الغفلة والفساد لا نتمتع بالنكبات ولا نعتبر بالفضائح والجرائم التي تملأ كل جوانب حياتنا ولا ندري ماذا كان من أخطاء الماضي وسيئاته ولا نحاول أن نجني فائدة من أخطاء الغير وما ترتب عليها من مآسى مؤلمة ونهايات محزنة .

يظلم الإنسان نفسه بما يرتكبه من المنكرات ويقترفه من السيئات وينسى أن الله مسجل عليه كل أعماله ومحاسبه عليها (وما تكون في شأن وما تتلوه منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال

ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (١٠ - ٦١) وقد ذكر الله كلمة (عمل) منكراً لتشمل كل عمل في الحياة سواء أكان هذا العمل يتصل بالدين أم يتصل بالدنيا .

وقد يرجع الإنسان عن طريق الغواية ويعلم التوبة عندما يحس بالألم ويرى نتائج أعماله الوخيمة ولكنه سرعان ما يغتر به الشيطان وينفث فيه روح الشر والرديلة ، وينسى كل ما حدث بالأمر فيسرع الخطي نحو دنيا النقي ويرجع إلى حياة الجهل والهوى والهلاك .

وهكذا يعود سيرته الأولى دون أن تكون لنتائج جهله ومجونه أثراً ولا أن يحني من فيئته نفماً (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فاربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ٢ - ١٦) . والإنسان يستطيع أن يضل الإنسان وأن يخدع القانون ويستطيع أن يهرب من وجه البوليس وأن يفر من ساحة العدالة . . ولكنه لا يستطيع أن يهرب من نفسه . . لا يستطيع أن يفر من سلطان النفس المؤنبه اللوامة .

كما أنه لن يستطيع أن يخادع ضميره ، فلا بد للضمير أن يصحو وينتصر والشخص الخير بفطرته إذا انحرف وإعوج وحاد عن الطريق السوي كان له من ضميره خير ضابط ومن ذكر الله وخشيته له خير محاسب وأعظم ملاذ فيعود إلى طبيعته الخيرة من جديد (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ٧ - ٢٠١) .

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ٣ - ١٣٥)

أما الشرير فإن انتصار الضمير عليه من لون آخر فهو يحطمه ويقتله ويحيله إلى كتلة من الأعصاب الواهية المتداعية فيضر نفسه قبل أن يضر غيره . ولأجل أن نتجنب هذه الشرور ونقي أنفسنا آلام هذه المناعب التي تحيط بنا جميعاً . فليحاسب كل منا نفسه إذا ما انتهى من يومه لكي نعرف ما لنا وما علينا وتبين أخطاءنا وزلاتنا ونعود الحساب أولاً بأول ونأخذ من هذا الحساب نتعلم من هذه اليقظات ، والمراجعة الدائمة وقاية مما نكره ومناعة مما نبغض فلا نعود الأخطاء ولا تتكرر المشاكل والمآمى وتكثر الجرائم وبذلك يمكننا القيام بكل عمل لا خطأ فيه . . . عمل منتج مشر يعود علينا جميعاً بالخير والطمأنينة والسلام .

التفرق والاختلاف — ه —

آفة الجماعة الإسلامية

للأديب عبد السلام رزق الطربيل

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » أقول هذا دفماً لك قد بطراً حول تعبير قلته في العدد الماضي ، فهم منه بعض الاخوان معنى لا أقصده ، ولا أريده ، وأنا لسلم أن يفضل عصراً أياً كان على عصر الصحابة ؟

كيف تطور الخلاف السابق إلى خلاف في الرأي والعقيدة ؟ .

كان لما حل بالمجتمع الإسلامي الأول من قتن متلاحقة ، وحروب دامية استمرضناها في مقالنا السابق أثر بالغ الخطورة في دينه وعقيدته ، إذ هزت هذه الأحداث المجتمع الإسلامي هزة عنيفة ، فاختلقت أنظار المسلمين نحو طرفي النزاع منهم واختلقت أنظار المختلفين أنفسهم بعضهم إلى بعض ، وكسب المجتمع الإسلامي - إن صح هذا التعبير - ظهور طائفة من الفرق والأحزاب حملت ألوية هذا الخلاف إلى الآن ، وازداد اختلافهم استعماراً بمرور الزمن .

نظرة المجتمع إلى المختلفين : أخذ المسلمون يكيفون هذه الأحداث الجبلى التي كانت بدايتها مقتل عثمان رضي الله عنه فكان يحز في نفوسهم ، ويجرح عواطفهم أن يقتل عثمان وهو صحابي جليل ، له ماض مجيد في الإسلام ، مملوء بالتضحية والفداء ، ثم هو خليفة انعقدت له البيعة من جميع المسلمين ، وقتلوه قوم شذوا عن الجماعة الإسلامية .

كما كانوا ينظرون إلى الحرب بين على ومعاوية نظرة إشفاق وألم من تلك الحروب المرة التي أراقت دماء المسلمين بسيفهم ، وجعلت بأسمهم بينهم بعد أن كان على عدوهم .

ظهور الخوارج : لكن قلة من المسلمين كانت لهم إذ ذاك نظرة قاسية للمختلفين ، ولعثمان وقتلته أيضاً فعثمان في رأيهم كافر لأنه فعل كذا وكذا من الأفعال التي أشرنا إليها ، وبيننا حقيقة في مقال سابق ، وزعموا أنه حكم بغير ما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ؛ وأما قتلته فهم أبرار لأنهم سعوا لتخليص المجتمع الإسلامي منه ، وساروا على هذا النحو في تكليف بقية الحوادث ، فعلى أيضاً في نظرهم ارتكب من الكبائر ما يبرر كفره ، ومعاوية وعمر بن العاص كذلك ارتكبا من الكبائر ما يبرر كفرهما ، ولهذا حاولوا اغتيال الثلاثة الذين كانوا سبباً في تفريق صفوف المسلمين ، ونجحوا في قتل علي^(١) وأخفقوا في قتل معاوية وعمر بن العاص .

هؤلاء كانوا يمثلون فرقة الخوارج ، وهي أول حزب ظهر في الإسلام برأى خاص يخالف الجمهور ، ولم يعرفوا بهذا اللقب إلا بعد فشل التحكيم حيث خرجوا عن طاعة علي لقبوله التحكيم ، مع أنهم هم الذين حملوه قبل ذلك على قبوله .

« وليس بلازم أن توجد التسمية لمسمى منذ اللحظة التي وجد هو فيها ، بل كثيراً ما تكون التسمية - وبالأخص إذا كانت رمزاً لمعنى خاص يعد تمييزاً للمسمى - متأخرة عن وجود المسمى نفسه^(٢) » .

الشيعة : وإذا كان الخوارج يرمون علياً بالكفر ، ويرون أن الإمامة حق لكل مسلم متى كان كفواً ، وبخنتاره أهل الحل والعقد من المسلمين ، فقد قامت طائفة من المسلمين ونصبوا أنفسهم للدفاع عن علي وتبرير موقفه ، ونحطى الطرف الآخر ، ثم بينوا رأيهم في الخلافة وأنها بالنص لا بالانتخاب ، لأن الخلافة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، بل هي أصل من أصول الدين يجب التنصيب عليه من الخليفة . وهؤلاء كانوا يمثلون حزب الشيعة الذين كانوا بشابعون علياً رضى الله عنه ، ويدافعون عنه^(٣) وقد تضخم هذا الحزب

(١) وكان قتله على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ .

(٢) الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي (ج ١) ص ٤٦ .

(٣) كان من كرام الصحابة من يتشيعون لعلي رضى الله عنه بمعنى تأييده في طلبه الخلافة وأحقته لها ، ولكن لم يسيروا على طول الخط مع الشيعة الذين تحدثنا عنهم .

وتعددت فرقه وطوائفه ، واختلفت آراؤهم وتباينت مذاهبهم ، حتى شذ كثير منهم عن الصواب بما لهم من تعاليم لا تتماشى مع الإسلام الصحيح .

أول مشكلة عاجلها المجتمع : أمام هذا التنازع القوى بين الشيعة والخوارج ، وظهور كلمة الكفر بينهم في هذا المجتمع ، وتراعى بعض المسلمين من الشيعة والخوارج بها ، كان يحز في نفوس بعضهم شيوع هذه الكلمة بينهم ، وهم الذين كانوا لا ينطقون بلفظ الكفر أو الإثم أو المعصية بله يفعلونها أو يرمون أحداً منهم بها ، ومن هنا وجدوا أنفسهم مضطرين لمعالجة هذه المشكلة التي شغلت أذهانهم ، وهي أول مشكلة أثير حولها جدل كلامي في المجتمع الإسلامي . وهي : حكم من ارتكب الكبيرة ، وعلى ضوء هذا الحكم تتحدد نظرتهم إلى المختلفين أنفسهم ، وقد عرفنا فيما مضى رأى جمهرة المسلمين في قتل عثمان ، وفي الخلاف الذي نشب بين علي ومعاوية كما عرفنا رأى الخوارج في هذا الموضوع .

مرجئة الخوارج : لكن الذي أريد أن أقوله : هو أن بعض المسلمين رأى شقة بعيدة وبونا شاسعاً بين رأى الشيعة والخوارج ، فأرادوا أن يتوسطوا ويلطفوا الجو الخلافى بينهما ، ويقللوا من أثر تلك الهوة الشاسعة . فقالوا : مرتكب الكبيرة لا نحكم عليه بكفر ولا إيمان ، ولكننا نرجى الفصل في أمرها إلى الله تعالى ، وكان رأيهم في الإمامة يتمشى مع رأى الخوارج ، ويخالف ما كان يراه الشيعة ، ولهذا سموا مرجئة الخوارج لأنهم يرجئون أمر هؤلاء المختلفين إلى الله ، فلا يصدرون عليهم حكماً في الدنيا وأضيفوا للخوارج لأن رأيهم في الخلافة وكونها حقاً للجميع هو رأى الخوارج .

وكانت أهداف هذا الحزب محاولة القضاء على لفظة الكفر والتراعى بها في هذا المجتمع حتى يسع المخالف في رأى من خالفه في رأيه ولا يرميه بالجمود والكفران ، فهم حاولوا أن يكونوا همزة وصل بين الطرفين تقريباً لوجهتي النظر .

أبو الحسن البصري : ثم جاء أبو الحسن البصري رضى الله عنه ، وأخذ يعالج هذه المشكلة علاجاً عاماً بصرف النظر عن شخصية المختلفين وأيهم المخطئ والمصيب ، فناقش

حكم من ارتكب الكبيرة وقال : إن مرتكب الكبيرة أيا كان منافق^(١) ، ثم تخلص من هذا إلى الحديث عن تحديد عن معاني الإسلام والإيمان والكفر ، وزيادة الإيمان ونقصه ، ونحو هذا من المشاكل الأولى التي حدثت في المجتمع الإسلامي ولم تكن لتخطر على بال الرعيل الأول من المسلمين لأن إيمانهم القوي بالله ، وشغافهم الشاغل بالجهاد في سبيله صرفهم عن الخوض في أمثال هذه الأمور .

وفي مجلس من مجالس الحسن البصري ظهر تلميذه واصل بن عطاء ، ومعه عمرو بن عبيد برأى جديد في مرتكب الكبيرة ، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين . وهو لا يختلف كثير عما ذهب إليه الحسن البصري وإن عدّا معتزلين لجلسه ، ومنهما كانت النواة الأولى لجماعة المعتزلة .

إذن لم يكد ينتهى القرن الأول من الهجرة إلا وقد ظهر في المجتمع الإسلامي فرق أربع : الشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، ونواة المعتزلة بن الواصلة والتمرية .

وكان محور الخلاف بين هذه الفرق هو مرتكب الكبيرة ومصيره ، وما يتصل بهذه المشكلة من تحديد معنى الإيمان والإسلام والكفر والنفاق ، وكان منهج هذه الفرق هو الاستظهار بآيات القرآن ، واتخاذها دعامة لتأييد مذهبهم ولوركبوا مركب التأويل ، وامتنطوا من التعسف ، المهم أنهم كانوا يحاولون أن يربطوا مبادئهم بالدين ، ويؤيدوها بنصوصه وإلا قضت هذه الفرق بأيديها على نفسها .

وكانت هذه المشكلة وما اتصل بها هي نواة علم الكلام الذي نما وترعرع فيما بعد حين . اتصل التفكير الإسلامي بفلسفة الإغريق .

ومن هنا نرى كيف تحول التسليم والإذعان لنصوص القرآن اللذين كانا سمة السابقين إلى جدل عقلي ، ونقاش منطقي ، وتدخل الناس بأفكارهم في نصوص القرآن لتوجيهها وجهة تؤيد مذهبهم ، وتنصر وجهتهم .

(١) مستدلاً بقول الرسول عليه الصلاة والسلام « آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا أتمن خان ، وإذا وعد أخلف » .

عصر الاختلاط والترجمة : وإذا أشرق على العالم أحداث القرن الثاني ، وفي مستهلها قيام دولة بني العباس سنة ١٣٢ هـ . وقد قامت على أكتاف الفرس ، وشبت تحت رعايتهم ، وصنعت على أعينهم ، ومن أجل ذلك تقلدوا أكبر المناصب في الدولة وفيهم حنين إلى إعادة ثقافتهم الدارسة ، ومجدهم الغابر ، ولم يكن الخلفاء العباسيون كسابقهم في النظرة إلى التراث العربي والإسلامي ، فلم يجدوا مانعاً من ترجمة منطق اليونان وفلسفتهم ، وفلسفة الفرس ، وحكمة الهنود وآدابهم بل كانوا يقدمون الجوائز السنية والمهبات الجمة للترجمين حتى زاد إقبالهم على الترجمة والنقل طمعاً في عطايا الخلفاء ، وأقبل كثير من علماء المسلمين على دراسة هذه الكتب ، ولا سيما كتب الفلاسفة والمنطق . وخذعوا بها ، فكانوا بين شارح لها وموفق بينها وبين عقيدة الإسلام ، يجذب مرة نصوص الإسلام ويحملها حملاً على التمشي مع الفلسفة ، ومرة يجذب نصوص الفلسفة ويحملها على التمشي مع الدين ، وفي كلا الحالين يسلكون سبيل التأويل ، ويمتطون متن الشطط .

وكان في مقدمة هؤلاء ، الكندي والفارابي ، وابن سينا وابن رشد وغيرهم من فلاسفة الإسلام المشائين^(١) الذين أضاعوا صراحة الدين ، ووضوحه وهدايته في متاهات الفلسفة والتواءاتها .

بقول الدكتور محمد البهي مشيراً إلى هذا المعنى : « ولو درى فلاسفة الإسلام المشائين قيمة الفكر الإغريقي ، وأنه لم يخلص تماماً من الشر والخيال لآثروا أن يكون لهم منطق خاص بهم ! ! »

ولو علموا نتائج قبولهم آراء أفلاطون وأرسطو في شرح العقيدة على العقيدة من حيث هي عقيدة تركوا القرآن الكريم وحده - كما هو - الطريق إلى قلوب المصدقين ، وعقول الخاصة من الناس »^(٢) .

ثم نرى الغزالي ينهري للرد على الفلسفة الأغريقية ، وعلى الفلاسفة الموقفين بين الدين

(١) أتباع أرسطو .

(٢) الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي (ج ٢) آخر صفحة .

والفلسفة في كتابه « تهافت الفلاسفة » ويكفرهم في مسائل ثلاث ، وإن كان متأثراً بهم في كثير . بينما يقوم ابن رشد في الاندلس ليرد على الغزالي في كتاب « تهافت التهافت » منتصراً للفلسفة .

وهكذا غزا تيار الجدل الفلسفي المجتمع الإسلامي ، ووجدت آراء اليونان في الطبيعة والإله من يبتصر لها ، ويدافع عنها ، بل ويتمصب لها حتى نرى من المسلمين من يكاد يزعم نبوة أرسطو^(١) .

تأثر الفرق الإسلامية بالفلسفة : والفرق الإسلامية التي جددت في القرن الأول ، ومحدثنا عنها آنفاً أقبلت هي الأخرى على دراسة الفلسفة والمنطق ، والاستعانة بهما على صوغ أدلة عقلية يؤيدون بها فرقهم ، ويناهضون بها الفرق المخالفة لهم ، وإذا اتسع نصيب العقل في الاستدلال - والعقول مختلفة في الإدراك والتقدير - ترى الفرق الواحدة تنقسم على نفسها فرقاً متعددة ، ولهذا نرى في المعتزلة ، عمرية وواصلية - وجاحظية ، وهذلية ونظامية ، ونرى في الشيعة : سبائية^(٢) . وإمامية ، وبائية ، وإسماعيلية ، واثنا عشرية وهكذا .

والذي يجب أن نلاحظه ، ونشير إليه أن الشيعة منذ أن حمل لواءها عبد الله بن سبأ الذي أسلم بعد تهود نراها لا تسكاد تتلقى مع الإسلام إلا في القليل ، ومع ذلك تخالفه في الكثير ، بل إن من فرقها من هم مخالفون لبديهيات الإسلام بعيدون عما علم منه بالضرورة كالباطنية والإسماعيلية .

والفرقة التي كانت سائدة بمبادئها في العصر العباسي هي المعتزلة بفروعها ، والسبب مناصرة الخلفاء لها ، وحمل الناس اعتقاد مبادئها ، وكان منهجها الاستعانة بالفلسفة في تأييد

(١) يروى في سبب ترجمة كتب الفلسفة أن الخليفة المأمون رأى أرسطو في المنام فأرشده إلى أسباب الخير وفي مقدمتها كتبه .

(٢) نسبة إلى عبد الله بن سبأ وهو يهودي أسلم ، وله اليد الطولى في انحراف كثير من فرق الشيعة عن منهج الإسلام الصحيح .

قضايا الدين وظلت لها السيادة حتى عهد الخليفة المتوكل في منتصف القرن الثالث للهجرة تقريباً .

أهل السنة : وفي مقابل المعتزلة نرى فرقة كبيرة عرفت في العالم الإسلامي باسم أهل السنة وهؤلاء ظلوا مضطهدين طيلة عصر سيادة المعتزلة حتى ناصبرهم الخليفة المتوكل ومن أتوا بعده .

وهؤلاء وإن خالفوا المعتزلة في كثير ، وتمشوا مع النصوص إلى حد ما إلا أنهم كانوا مثلهم في خلط أفكار الفلاسفة وشطحاتهم بنصوص الدين الناصبة الواضحة ، ولم يكونوا فرقة واحدة بل كانوا منقسمين إلى أشعرية وما تريدية .

ومن هنا ، ومن أجل هذا الاختلاف الشاسع بين الفرقة ، وذلك الجدل العقيم الذي شق به المجتمع الإسلامي شقاء مرافياً مضى ، ولا يزال يشق به للآن نرى اختلافاً في صفات الله بين مشبهة ومعطلة ، وفي القضاء والقدر بين جبرية وقدرية ، وفي رؤية الله تعالى بين مثبتة وممانعة وكذا في الصلاح والأصلح ، والتوفيق والخذلان ، والكسب والاختيار . بل تحدثوا في السمعيات ، وأطالوا فيها ، واختلفوا أيضاً ، وما كان لهم أن يختلفوا في شيء من عالم الغيب .

علم الكلام : وتمخض هذا كله عن علم الكلام الإسلامي الذي يعطيك صورة واضحة عن هذا الجدل ولا يمكن أبداً لو قرأته أن تخرج منه بالفقيدة الإسلامية الصحيحة التي فهمها الصدر الأول من آيات القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأقرأ إن شئت في هذا الصدد جوهر التوحيد والمواقف للذسفي ، والسنوسية ، وغيرها من الكتب التي تصور الجدل في هذا العصر ، ومن الغريب أن بعض هذه الكتب يدرس في الأزهر لصفار الطلاب على أنها التوحيد الإسلامي وهي مع ذلك لا تصور قدرة الله ، ولا تكشف عن عجب صنعه ، وأملنا كبير في أن يتخلص الأزهر من مناهج علم الكلام الذي نشأ ريب الجدل والمراء ، وبمدل عنها إلى مناهج أخرى لعلم التوحيد مستقاة من القرآن ، ومن القرآن وحده ، ومن صحيح سنة الرسول عليه الصلاة والسلام . « يتبع »

حول ندوة الإسلام والتصوف

لفضيلة الأستاذ أبي الوفاء محمد درويش

« لا يحقرن أحدكم أن يرى أمراً لله فيه مقال ، فلا يقول فيه ،
فيقال له يوم القيامة : ما منكم أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول :
غافة الناس ! فيقول الله : إياي أحق أن تغاف . »
حديث شريف

- ١ -

أصل البلاء

ليس من شك في أن الذي أفسد الديانات منذ أشرقت أنوارها على الأرض ، إنما هو البدع ومحدثات الأمور .

يأتي الرسول أمته بدينه نقياً خالصاً لا تشوبه شائبة ، ويبلغها رسالة ربه في سماحتها وصفاتها فتتبع شريعته حيناً من الدهر ، ثم يوسوس الشيطان لمفتون من الأئمة بعد أن يلحق الرسول بالرفيق الأعلى . فيأتيها بجديد يوهما أنه يزيد ما قربا من الله ، فيفتن به طغام الأحلام ، وضعاف العقول ، فيعملون به ، ثم يأتي مفتون آخر بجديد آخر فيمتنع ، وهكذا حتى يسرى الفساد في الدين ، وتضيع رسالات الأنبياء بما أدخل عليها من البدع ومحدثات الأمور .

روي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجُرُّ قُصْبَهُ في النار ! كان أول من سبب السوائب » . لا جرم أن عمرو بن عامر لم يكن (متحجج الفكر ، ولم يكن يريد الحجز على الحياة الدينية ، ولم يكن يريد حبسها داخل قالب ضيق لا تمتد أقطاره ، ولا يتسع أفقه ^(١)) . بل كان يريد أن يطور الدين تبعاً لتطور الحياة ، وقد رأى أن شريعة إبراهيم وإسماعيل تنقصها شعائر العمل الحر يزيد العاملين بها تقرباً إلى الله فأحدث هذه البدعة ، ولكن

(١) من عبارات الندوة .

الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم أخبرنا « أنه رأى يجر أمعاءه في النار » جزاء بما أحدث في دين الله ، بتسيب السواب ، وإفساد شريعة إبراهيم وإسماعيل .

— ٢ —

بدعة الدين وبدعة الدنيا

إن الفريق من الناس الذين تصفهم الندوة (بالفهم الضيق الخاطيء ، وباستغلال كلمتي السنة والبدعة استغلالاً سيئاً يترك أثراً ضاراً بالمجتمع الإسلامي ، وبتطور الحياة الإسلامية) أقول : إن هذا الفريق من الناس يفرق بين البدعة في الدين ، والبدعة في الدنيا ويحكم على كل منهما بما أنزل الله أي بالحكم الذي تقتضيه نصوص الشريعة المطهرة .

— ٣ —

بدعة الدنيا

أما بدعة الدنيا : فيقولون فيها كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « أتم أعلم بأمور دنياكم » وما دام الأمر لا يتصل بعقائد الناس ولا بعبادتهم ، فاهم أن يبتدعوا في دنياهم ماشاءوا ، ويسابروا التطور وتقدم العمران .

إنهم يقولون : تطوروا في دنياكم ما شئتم : استضيئوا بالكهرباء ، واستخدموها في جميع ما تستخدم فيه من شئونكم وأغراضكم ، استعملوا المذياع والرادار ، وأعدوا لأعدائكم القنابل الذرية والهيدروجينية . امتطوا القطار والباخرة ، والسيارة والطيارة والمنطاد والدراجة البخارية وغير البخارية ، سابروا التطور العلمي والفني ، وانتفعوا بكل المخترعات والمستحدثات ، وسابقوا الأمم في جميع ميادين التقدم ، ولا تألوا جهداً في الانتفاع بجميع ثمار العلم ، ونتاج العقل ، ولا تدخروا وسعاً في استعمال ما ابتكره الأفكار الواسعة ، وتهتدي إليه القرائح النبيرة ، مادمتم واقفين عند حدود ما أنزل الله على رسوله ، متقين للشبهات .

— ٤ —

موازنة !!

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في لحوقه كلامه « كل محدثة بدعة » ويسور هذا الحكم بالسور السكلى كما يقول أصحاب المنطق ، ولا يستثنى من البدع شيئاً « والمحدثه » هي

الجديد من الأمر الذى لم يكن عليه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا أمر صحابته ، ولا أمر خلفائه الراشدين المهديين من بعده ، والرسول صلى الله عليه وسلم إذا تحدث عن « محدثات الأمور » وعن « البدع » فإنما يعنى - بلا مرأه - المحدثات فى الدين ، والبدع فى الدين ، لأن الدنيا قد بت الحكم فى محدثاتها بقوله الحكيم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وبذلك تكون كل محدثة فى الدين بدعة ، وكل بدعة فى الدين ضلالة .

- ٥ -

تذّر

والمعنى الذى يفهمه كل من أوتى ذرؤاً من عقل : أن كل عبادة من العبادات لم تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعملها أحد من الصحابة رضوان الله عليهم ، فهى مردودة على فاعلها لا يقبلها الله ، ولا يثيب عليها ، بل يعاقب عليها ، كما عاقب عمرًا الخزازى الذى كان أول من سبب السوائب ، لأنها من محدثات الأمور التى أخبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنها بدع وضلالات ، وأنها تضر الأمور ، ونهى عنها . وشدد النكير على فاعليها .

- ٦ -

ما البدعة ، وما السنة ؟ ؟

البدعة - كما قال المحقق الجليل الإمام الشاطبى - فى كتابه القيم (الاعتصام) هى طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها زيادة التقرب لله تعالى . هذه هى حقيقة البدعة . وهذا هو تعريفها ؛ فهى طريقة مخترعة فى الدين . وليست فى الدنيا ، هى طريقة مخترعة فى العبادة ، وليست فى العادة ، فإن الدين قد اكمله الله ، فلا داعى لاختراع المزيد فيه ، فقد كفى العباد مثونة ذلك . أما السنة : فهى الطريقة التى سلكها فى الدين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وخلفاؤه الراشدون المهديون من بعده رضى الله عنهم . فالأمر الذى لم يكن عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا أمر صحابته ولا أمر خلفائه من بعده من أمور الدين والعبادة : فليس بسنة . وإنما هو البدعة التى نهى عنها الرسول الأمين عنها ، وحذر المؤمنين فعلها .

جاء في الصحيح من حديث العرياض بن سارية « إنه من يعيش منكم فسبى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

— ٧ —

من سن سنة حسنة

أما حديث « من سن سنة حسنة فله أجرها . . . الخ) فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل من ابتدع بدعة حسنة ، وإنما قال « من سن سنة حسنة » والسنة الحسنة هي الطريقة الشرعية المعروفة التي سار عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وسار عليها أصحابه .

فقد جاء في صحيح البخارى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه قوم حفاة عراة مجتأى التمار أو العباء ، متقلدى السيوف . عامتهم - بل كلهم - من مضر ، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآهم عليه من الناقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا ، فأذن وأقام فصلى ، ثم خطب فقال : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة - الآية) والآية التى فى سورة الحشر : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) تصدق رجل من ديناره ، من درهما ، من ثوبه من صاع بره ، من صاع تمره حتى ، قال : ولو بشق تمره . فجاء رجل من الأنصار بعصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت . قال : ثم تتابع الناس : حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهب فقال رسول الله : من سن فى الإسلام سنة حسنة - الحديث » .

فالسنة الحسنة التى يريد بها الرسول : هى ما فعله ذلكم الأنصارى السخى الكريم ، الذى جاء بالصرة التى عجزت كفه عنها ، وبذلك فتح باب الصدقة لإخوانه ، فسلوكه معه ، وأصدقوا بما سخط به أنفسهم . والصدقة مشروعة باتفاق . وبذلك يتضح لكل ذى مسكة من عقل : أنه ليس معناه من اخترع سنة لم تكن ثابتة ، بل أتى أمراً معلوماً من سنة الرسول تركه الناس ، فجده ودعاهم إليه ، كافي هذه الحادثة .

- ٨ -

الدين أكمله العليم الحكيم

والدين قد أكمله رب العزة الحكيم العليم في حياة رسوله الأمين . ولم يحوج الناس إلى أن يبحثوا عن مزيد فيه ، أو يطوروه مع تطور الزمن ، أو يفتحوا فيه (أرحب الآفاق اللازمة للحركة والتطور) .

قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) . وروى الطبراني بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما تركت شيئاً يقر بكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه » . وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها . وكل بدعة ضلالة » . رواه مسلم .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم » . وعن ابن الماجشون - من أصحاب مالك رضى الله عنه - قال : سمعت مالكا يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة . لأن الله تعالى يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً .

- ٩ -

الاحتفال بالموالد

ولماذا لا يحتفلون بالموالد ؟ .

إن كانوا يريدون بذلك زيادة التقرب إلى الله والمبالغة في التعبد فتلك هي البدعة ولا حياء في الحق ولا مجاملة ولا محاباة .

وإن كانت مظهراً من مظاهر الدنيا ، وزينة من زينة الحياة ، فمن ذا الذي يحرم زينة الله التي أخرج لعباده ؟ .

- ١٠ -

حكمة الحج

يقول النادون : للراد بالحج تعظيم الإسلام في نظر خصومه ، وهذا كلام لا يمت إلى الحقيقة بسبب قريب ولا بعيد . فإن خصوم الإسلام لا يرون المسلمين وهم مجتمعون في عرقات ، ولا هم يسمون بين الصفا والمروة ، ولا هم يطوفون بالبيت ، ولا وهم يرمون الجمار ، وجميع شعائر الحج تقع في أما كن يحرم على المسلمين أن يمدوا من دخولها أعداء الإسلام ، فكيف تكون حكمة الحج تعظيم الإسلام في نظر خصومه ؟ .

وليس في الموالد تعظيم الإسلام في نظر خصومه ، بل على النقيض من ذلك ، فيها إظهار الإسلام بمظهر الدين الخرافي ، الذي هو إلى الله واللعب أقرب منه إلى العبادة والتقوى فهل المخازي والمساخر التي تقترف في الموالد منذ كانت الموالد ، مما يعظم الإسلام في نظر خصومه ؟ ولكن الذي لا يعتد أن كلامه من عمله ، يقول ما يبلى عليه هواه .

- ١١ -

يعملون بالكتاب والسنة

إنهم يعملون بالكتاب والسنة ، والكتاب يقول وهو يخاطب أشرف الخلق (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ويقول الله تعالى مخاطباً موسى وهرون حين يأمرهما بدعوة فرعون إلى الهدى ودين الحق (فقول له قولا ليناً له ليتذكر أو يخشى) .

والسنة تقول ماقرة الصادق الأمين « ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ، ولا بذىء » .

فكيف لا يحول العمل بالكتاب والسنة دون هذه الكلمات التي رعت بها أفلام السادة المنتدين ، أو نطقت بها ألسنتهم ، وهم صفوة المتصوفة وكبارها ؟ ! .

جاهل ، دعى ، لا يوجد في بلد آخر من الأدعياء ، كما يوجد في بلادنا ، الذين لا يرجون الله وقاراً ، يجب أن يحارب بقوة وقسوة الخ .

ما أشد حاجة الإنسان إلى التفكير قبل الإقدام

فإنه بالتفكير والتروى والتثبت يعرف ما يضره ويؤذيه ويشقيه ، فيتقيه ويتجنبه ويهرب منه . ويعرف ما ينفعه ويريمه ويسعده ، فيقدم عليه ، ويسعى في تحصيله بكل جد ونشاط ، ثم يكون حذراً في طريق سعيه إلى ما ينفعه ، ودفع ما يضره ، حريصاً على العلم والمعرفة بالطريق الموصل إلى كل مما يخاف ويرجو . لأنه إن غفل ضل الطريق . فذهب بعيداً عما يقصد . فإن نمدى في الغفلة وصل إلى أشد ما يكره ويخاف . ولا ينجيه من ذلك إلا بقلعة التفكير واستدامته ، وشدة حرصه على الاستضاءة دائماً - وفي كل لحظة وخطوة وحركة - بنور العلم الصحيح من سنن الله تعالى ، وهدى كتابه الحكيم ، ببيان رسوله صلى الله عليه وسلم . فمساعد من سعد إلا بالعلم الصحيح ، والتفكير فيه - وبه - تفكيراً يدفعه إلى العمل الصالح بقوة عزيمة ، وصادق إرادة ونية . وما شقى من شقى إلا بالجهل والكسل والاستهانة بالأمور واستصغارها ، وعدم التفكير في العواقب والمصائر .

قال الحسن البصري : إن أهل العلم لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر ، وبالفكر على الذكر ، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة .

- وذلك : لأن التفكير يقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد من التفكير . فإن التفكير يوجب له من انكشاف حقائق الأمور ، وظهورها له ، وتمييز مراتبها في الخير والشر ، ومعرفة مفضولها من فاضلها ، وأقبحها من قبيحها ، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها ، وما يقارم تلك الأسباب ويدفع موجبها ، والتمييز بين ما ينبغي السعى في تحصيله ، والأخذ في أسبابه ، وبين ما ينبغي السعى في الهروب منه ، ودفع أسبابه .

والتفكير والتروى والتثبت ييقظة ، مع الاستضاءة بنور العلم الصحيح : هو الذي يكشف الفرق بين الوهم والخيال ، وبين الواقع من الحقائق الثابتة ، في المقدمات والنتائج . فإن أكثر الناس ضلالاً في سعيهم : هم الذين ركبوا مطية الوهم والخيال ، والأمانى السكاذبة ، نتيجة تحكيم أهوائهم وشهواتهم ، وتغليب سلطانها في ظلمات الجهل ، وفي ظل الكسل والخمول ظناً - بجهلهم - أن فيها راحة للنفوس من عناء البحث والعلم والتفكير ، وتعجلاً إلى المنفعة التي ظنوا - بجهلهم - أن التروى والتفكير والتثبت يضيئها ، أو يؤخرها . فلم يستطيعوا أن يفرقوا بين الوهم والخيال ، وبين السبب الحقيقي المانع لما يخافون ويتقنون . أو المؤدى لما

يودون ويطلبون . فاشتغلوا بالوهم والخيال ، وانصرفوا عن الأسباب الحقيقية الواقعية . فحط
قطع العبد عن كاله وفلاحه وسعادته العاجلة والآجلة ، قاطع أشد ولا أظفح ، من الوهم
الغالب على النفوس البهيمية الجزعة الملهمة ، والخيال الذي هو مركبها ، بل بجرها الذي
لا تنفك ساجدة فيه .

وإنما يقضى على هذه الأوهام والخيالات - الناتجة من الجهل والنسي والاستعجال - بالعلم
الصحيح ، والفكر الصادق اليقظ ، والعزم القوي ، والإرادة الحازمة الرشيدة . فإن بالعلم
الصحيح والفكر اليقظ ، والإرادة الحازمة الراشدة ، والعزم الثابت : يميز الإنسان العاقل
الحكيم ، بين الوهم والخيال والأمانى الكاذبة ، وبين الحقيقة الثابتة في نعم الله عليه ،
بمزاياها وأوضاعها ، والأمل الصادق في الانتفاع بها على ما يحب ربنا ويرضى له . فيسعى سعيه
إلى أملة على بصيرة وهو مؤمن ، فيناله ويحصل عليه ، وقد فاز وأفلح في سعيه ، واتفق كل
ما يكره ، واقتحم بصبره وثباته كل عقبة . فظفر بالمأمول الصالح . واكتسب قوة جديدة في
تفكيره . وهكذا المؤمن العاقل الصابر الشاكر ، إذا فكر في عواقب الأمور ، وتجاوز -
بتفكيره - مبادئها ومقدماتها ، إلى نتائجها وعواقبها : وضعها مواضعها ، وعلم مراتبها في النفع
والضرر ، والخير والشر ، والإسعاد والإشقاء . فاتفق الشر ، وسارع إلى الخيرات .

فإذا ورد عليه وارد الذنب ، وما فيه من متعة ولذة عاجلة مزعومة ، تجاوز لذته ومتعته
الوهمية ، وفرح نفسه البهيمية به ، إلى سوء عاقبته ، وما يترتب عليه من التسلل والصغار ،
والسقوط من عين الله ربه ، والوقوع في برائن عدوه وشبكته ، وما يتولد عن ذلك في القلب
من ظلمة وقسوة ، وما يجلب له من خيبة وحسرة ، وتأخر عن ركب أولياء الرحمن الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فإنهم تخلصوا من معوقات البهيمية ، وأعانهم الله بهدى
الفطرة ، وهدى الكتاب العزيز ، والسنة النبوية على اتخاذها مطية هينة طيبة . والذنب إنما
يقدم عليه من لم يحسن الانتفاع بهدى الفطرة ، وهدى الكتاب والسنة ، فيغلب بهيميته
الطينية على إنسانيته الكريمة التي نفخ الله فيه روحها منه . ومن ثم سمي « ذنباً » لأن
الذنب هو أبرز خصائص البهائم ، وأظهر صفاتها . وكلما كثرت الخطوات الضالة وتناهت ،
كلما كان منها « الخطايا » التي تدهس بالذنب الخطأ في غمار البهيمية ، وتمكن السلطان
المدو المضل المبين ، وجنده من الهوى والشهوة والنفس الأمارة .

وكذلك إذا ورد عليه وارد التهاون في طلب العلم النافع : من كتاب الله وتدبر آياته ، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما حاول عدوه أن يهون عليه ذلك ، بإيهامه أن في ذلك مشقة وتعباً ، وتعرضاً للمخاطر ، وشغلاً عن السعى إلى المعاش وحفظ النفس ، وأنه ليس بسبيل ذلك ، ولو حاول ، فالطريق طويل طويل ، والشقة بعيدة بعيدة .

وكذلك إذا ورد عليه وارد التنكاسل عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقيام بحقوق العباد والعبودية ، بما حاول عدوه من شياطين الإنس والجن تهوين ذلك وتزيين التنكاسل عنه ، وعن فعل الخيرات : بقلة المشاركين ، وأنهم - مع قلة - من الطبقات الدون ، وأنهم يتكفون من المشاق والمتاعب في أجسامهم مما يصيبهم من نظر الطبقات المتمدنة إليهم نظرة الازراء والتقص ، ومما يسمعون منهم من الهزاء والسخرية ، مما يكون له أثر ، أو آثار ، على أسبابهم المعيشية .

وإذا ورد عليه وارد وسوسة من شياطين الإنس والجن ، من احتقاره نفسه وتصغيرها ، وأصغت إليها نفسه الأمانة : أن في الدعوة إلى إخلاص الدين والعبادة - بجميع أنواعها - لله وحده ، والكفر بكل معبود سواه والبراءة منه ، والطاعة لله ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم - في تلك الدعوة من مخالقات الناس ، والخروج على المألوف الموروث عن الآباء والأجداد من أزمان غابرة طويلة ، وأن في ذلك من التعرض لمقتهم وكيدهم ما لعله يصل إلى القتل دفاعاً عن دينهم وعقائدهم وألهم التي يحبونها كحب الله ، ويبدلون في نصرها النفس والنفيس ، وقد صنعوا إبراهيم وإخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ما سجله الله في كتابه العزيز . وأين أنت من أولئك المصطفين الأخيار ، الذين كان الله معهم يؤيدهم وينصرهم ، ويدفع عنهم كيد عدوهم ، حتى يبلغوا رسالاته ؟ فمالك ولهذا البلاء الشديد ؟ عليك بخويصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة ، فلو شاء الله لهداهم .

وهذه الواردات - وغيرها كثير - لا بد أن يغزو بها العدو المضل المبين وحزبه النفوس الأمانة ، ويدخل بها إليها من طريق الهوى والشهوة ، ما دامت الحياة بفتنتها وامتحناتها . ولا عاصم منها ، ومن تزيين الشياطين بها ، إلا بالاعتصام بحبل الله المتين ، والاستمسك بعروته الوثقى ، في كل وقت وحين ، وفي كل نفس وحركة وفي كل سكون ، لتستيقظ وتقوى نفسه اللوامة ، ويحيى ويسلم قلبه ولبه ويقوى ، فيتحكم سلطانه العادل على النفوس

والجوارح كلها ، فيأخذها بالعدل والقسط ، ويؤدي كل منها عمله نافعاً له ولإخوانه ، معيناً للجميع على الصبر والشكر . ويكون العبد بذلك وسطاً ، كما أحب الله تعالى له .
فإن المؤمن الصادق الإيمان ، الناصح لنفسه ، الصبار الشكار ، لا يخطو خطوة إلا بعد التفكير اليقظ . ، وتطبيق علمه الصحيح - من هدى الله في آياته الكونية ، وآياته القرآنية ، ومن هدى رسوله وسيرته - ويربط خطواته الحاضرة بخطواته الماضية ، وبخطوته الآخرة ، وبالتثبت - على نور العلم والهدى - فيما ستكون عليه هذه الخطوة ، وماستأخذ من الأولى ، وما ستعطى الآخرة ، حتى تنتهي به إلى الآخرة الأخيرة ، إلى السؤال الشديد ، والحساب العسير ، والجزاء الأوفى . يوم تُوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . فيكون من الآمنين و « الفكر » هو إحضار علمين في القلب يشيران له علماً ثالثاً .

مثال ذلك : إذا أحضر في قلبه العاجلة ومتاعها المنقطع ، ولذتها الناقصة ، وزوالها العاجل (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) ثم أحضر الآخرة ونعيمها الذي هو أبقي وأدوم (وما عند الله خير وأبقى ، أفلا تعقلون ؟) وجزم بهذين العلمين ، وأيقن بهما يقيناً لا يخالجه شك ، ولا يحوم حوله ريب : أثمر له ذلك علماً ثالثاً ، هو أن الآخرة : خير وأبقى . وأن الأولى له ، والأخرى به : أن يركز همه كله وسعيه كله إلى الآخرة ، ويجعل أولاه ودينه قنطرة يعبر عليها إلى هذه الآخرة . وهذا هو شأن العاقل الرشيد الناصح لنفسه . ثم له في الآخرة حالتان . إحداهما : أن تأتيه هذه المعرفة عن طريق التقليد والسماع من غيره . فلا يباشر قلبه برد اليقين بها ، ولا يفيض قلبه إلى مكافئة حقيقة الآخرة والاطمئنان إلى أنها وعد حق لا محالة واقع ، بل هو مقلد لغيره ، يقول مثل ما يقولون ، بلا فهم ولا تعقل فتدأخله الشكوك ، وتغلب عليه الأماني الكاذبة (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) وهذا حال أثير الناس . وفي غمرة دخلت العقائد الزائفة والأوهام والخرافات والخيالات التي لن يكون لها حقائق ولا وجود ، واتخذوا الشفعاء والأنداد من دون الله ، ولعب الدجاجة لعبتهم التي أغرقت القلوب في خضم الأوهام والخيالات والخرافات ، ودفعتهم بقوة جارفة إلى القول على الله بلا علم ، وإلى سوء الظن بالله فحملوا له من الصفات ما يكرهونه لأنفسهم ومن أحكامهم ، وسبحان وتعالى عن ظنهم . وعندئذ يتجاذب القلب ادعائين : أحدهما : داعي الدنيا العاجلة وإيثارها . وهو أقوى الداعيين عنده . لأنه مشاهد له محسوس بكل حواسه البهيمية النهمة .

والثاني : داعي الأخرى الآجلة . وهو أضعف الداعيين عنده ، لأنه عن تقليد وسماع ، لم يباشر علمه ومعرفة قلبه ، فلم يباشر قلبه برد اليقين به ، ولا كلفه حقيقة العملية الواقعية ، فلم يذوق حلاوة الإيمان به ، ولم يطمئن قلبه إليه ، وإلى ما وعد الله تعالى فيه ، وعندئذ يغفل عن الآخرة ، ويتماهاون بها ، ويسكِّلها إلى ما خدعه به الخادعون من أولياء الشيطان ، مما قعد بأكثر الناس عن السعي للآخرة في الطريق الذي رسمه الله تعالى في كتابه ، وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم ، ودعا إليه على بصيرة ، وحذر أشد التحذير من الزيف عنه . فقد أخرج الإمام أحمد ، والنسائي ، والحاكم - وصححه - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « خَطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده . ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً . ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله . ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ (وأن هذا صراط مستقيماً فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) » فإذا ما حاد عن هذه الجادة . وسلك غير هذا السبيل القاصد : أو همه شيطانه وحزبه ، بل وأهمته نفسه : أنه ترك معلوماً لمظنون ، أو متحققاً لموهوم ، وأنه بذلك قد اختار لنفسه ما هو أنفع لها ، وأجدى عليها .

وهذه الآفة : هي التي قعدت بأكثر الناس عن العلم النافع والعمل الصالح ، وضدتهم عن السعي إلى الآخرة على السبيل القاصد والصراط المستقيم . فكانوا من الأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

الحالة الثانية : أن يعلم علماً صحيحاً ، بحواسه هو وفهمه وبما يتفكر في سنن الله وآياته ، وبما يتدبر ويتفقه في كتابه ببيان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويباشر قلبه هذا العلم الصحيح النافع لحياة قلبه وغذائه ودوائه وعافيته وقوته ، فيباشر قلبه برد اليقين ، ويذوق حلاوة الإيمان بوعده الله الحق : أنه إنما خلق في هذه الدار ليعبر منها إلى الدار الأخرى ، وأنه إنما يصل سالماً مماني ، سعيداً : إذا خطى خطواته فيها على هدى وعلى بصيرة ، وربط كل خطوة بالأخرى ، موقناً بأنه بخطو كل خطوة إلى الدار الآخرة ، وأن كل حركة وسكنة ، ولحظة ونفس محسوبة مسجلة عليه ، سيجزى بها وعليها الجزاء الأوفى . فيثمر له هذا العلم إثارة الأخرى على الأولى ، فيستمد لها استعدادها ، ويسعى لها سعيها . فيكون من السعداء المفلحين .

جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكرمه ، وتوفيقه وتسديده وهدايه . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

صمدانيق

دراسات في التصوف الإشراقي

البوادر الغيبية في النوادر العينية

للشيخ عبد الكريم الجيلي^(١)

يقول الشيخ الجيلي في كتابه «الإنسان الكامل» «مثل العالم مثل الثلج، والحق - سبحانه وتعالى - الماء الذي هو أصل الثلج، فاسم تلك الثلجة على ذلك المنعقد معار، واسم المائية عليه حقيقة. وقد نهت على ذلك في القصيدة المسماة: بالبوادر الغيبية في النوادر العينية. وهي قصيدة عظيمة لم يذسج الزمان على كم الحقائق مثل طرازها، ولم يسمع الدهر بفهما؛ لا عتازها^(٢)».

وقد بحثنا طويلاً عن هذه القصيدة التي يقول عنها صاحبها «لم يذسج الزمان على كم الحقائق مثل طرازها» حتى أذن الله سبحانه، فعثرنا عليها^(٣). وأخذنا ندرسها بعناية

(١) ولد سنة ٥٧٠٧ هـ. وهو من «جبلان» الواقعة جنوبي بحر قزوين، ومن أحفاد الشيخ عبد القادر الجيلاني الصوفي الذي مزج بين الرسوم والإشراق في تصوفه. وقد عاش عبد الكريم في اليمن وتلمذ على أستاذه إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي. ورحل إلى كثير من البلدان، فعب من ثقافات شتى. ثم توفي سنة ٨٢٦ بعد أن خلف وراءه تراثاً ضخماً من كتب التصوف، وتعتبر إشراقية الجيلي امتداداً لإشراقية ابن عربي وابن الفارض.

(٢) ص ٣٠٣ ج ١ ط ١٩٢٣ هـ، ويريد الجيلي بهذا: أن يجعل النسبة بين الحق سبحانه والخلق، كالنسبة بين الماء والثلج، فالثلج عين الماء في حقيقته وماهيته، مغاير له في اسمه ومظهريته، فالغيرية بين الماء والثلج صورية لا حقيقية. وكذلك الحق والخلق: فالخلق عين الحق في هويته وذاتيته، ولكنه غيره في اسمه فحسب. الثلج هو هو الماء، وما أطلق على ذلك اسم الثلج إلا مجازاً. والخلق هو هو الحق، وما أطلق عليه اسم الخلق إلا مجازاً، فالخلق والحق مظهران، أو اسمان، أو صفتان سميت بهما حقيقة واحدة هي الذات الإلهية.

(٣) سمع الأخ الكريم عبد الحكيم حسين هندی يبحثنا عن هذه القصيدة، ففضل - مشكوراً - بإهداء هذه القصيدة إلينا مكتوبة بخطه الواضح الجميل، وقد فرغ من نسخها لنفسه سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م. فأثبت بهذا حرصه الكريم على المشاركة في الدياد الحق عن السنة المطهرة. ويسعدني أن أثبت له هنا عظيم تقديري، وطيب ثناني وجميل شكرى.

دراسة واعية ، تستهدف من ورائها شيئاً واحداً ، هو الوصول إلى الحقيقة ، حقيقة مائة صده الجبلى القطب الصوفى الكبير .

فنحن الآن فى عصر يبحث عن القيم النبيلة ، وينشد أرفع المثل ، عصر يبنى الحياة من جديد ، والحياة الطيبة لإشراق من الدين الطيب ، والمثل التى تتسم بالنبل والقداة والرفعة إنما هى سلسلة حاف من نبع الدين الحق .

فنحن - إذن - لانبث بحث بحثاً نظرياً لا هدف له . وإنما نبث ، لنضع على الطريق معالم الهداية للسالكين ، ولنتأكد للذين ينشدون الحقيقة : أن القرآن والسنة الصحيحة - وحدهما - هما النبع المقدس ، والمنازل الدالة للهداية الإلهية ، فلسنا فى حاجة إلى هدى أو حقيقة إلا من هذا الذكر الحكيم ببيان من نزل على به الروح الأمين قلبه صلى الله عليه وسلم .

فهل مأسطره الجبلى فى قصيدته يتصل بأسباب الهداية القرآنية ؟
وهل مادعا إليه الجبلى يصلح أن يكون سبيلاً يسلكه الإنسان ؛ ليصل منه إلى الحقيقة ؟
وهل أتى الجبلى فى هذه القصيدة بشىء جديد ؟ أو هو يسير فى نفس الطريق الذى سلكه شيوخه من قبل ؟

وهل هذا الطريق يصل بسالكه فى نهايته إلى رضوان الله سبحانه ، وسعادة الأولى والأخرى ؟

هذه أسئلة أقدم بها لهذا البحث . وأرجو أن يجد القارئ فيما نكتب أجوبة صادقة صحيحة ، مدعمة بالأدلة القاطعة عن هذه الأسئلة .

ونحب أن نؤكد لمن يتعصبون للجبلى أو لغيره ، أننا لن نَحْمِلَ ألفاظه غير ما أراد لها الجبلى نفسه من معنى ، وأننا سنقارن^(١) بين مادان به الجبلى ، ودعا الناس إلى أن يدينوا به ، وبين دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونحب أن نؤكد كذلك لهم : أننا لا نعتصب أبداً لغير الحق المشرق من هداية القرآن العظيم ؛ وبيان السنة الصحيحة الصريحة .

(١) سيري القراء أن الأمر فى غير حاجة إلى المقارنة ، إذ يكفي مجرد تصور دين الجبلى فى ثبوت بطلانه وزيفه ، بيد أننا نريد أن نذهب إلى أبعد مدى فى البر بالحقيقة .

قصيدة الجلي في صورتها الأدبية

جيدة السبك في بعض آياتها ، مفككة في بعضها الآخر . وقد استغل فيها الحسنات اللفظية استفلافاً حاشكاً « كالجناس ، والمقابلة ، والتورية » مما جعلها أشبه ما تكون بالزنجية للثقل بالأصباغ والحلى . هذا إلى ما امتلأت به من أخطاء نحوية كثيرة . وأجود ما في القصيدة من آيات : هي تلك التي يتغزل فيها الشاعر ، ويكشف فيها عن لوعة الحرمان وظلمة العشق . وولاه الصباية ، وإن كان يزعم أنه إنما يتغزل في الذات الإلهية . ولكننا سنعرض عليك غزله . وثمت نحكم بأنه إنما يتغزل في امرأة شغفته حباً ، ثم تركته لسد الحب وليألى حرمانه ، وأسعار أرقه وشجوه ودموعه . وهكذا كان شيوخه من قبل .

فابن عربي الحاتمي استعصت عليه ابنة الشيخ مكين الدين ، فغازلها وقدم إليها قبر بانه الأدبي « ترجمان الأشواق » ولكنها آيت أن تستجيب لاهفته ، أو أن تؤمن - كما صورها - بأنها هي الذات الإلهية في صورة امرأة جميلة .

ثم إن الجلي بسطوا على معاني غيره ممن سلكوا نفس طريقه من قبل ، وبصوغها صياغة جديدة . ليس فيها الجمال الأدبي الموجود في الأدبيات التي صيغت بها من قبل . والذين سرق منهم : هم ابن عربي ، وابن الفارض ، وما نسب لرابعة العدوية . فاسمع إليه يقول متغزلاً :

وبى من مريض الجفن سُمَّ مُبَرَّحٌ ولى فى عَصَى القلب دمع مطاوع
إن « مريض الجفن » و « عصى القلب » يكشفان لك - فى غير ما خفاء - أن الجلي إنما يخاطب امرأة تنام أجفائها على الإغراء والفتنة ، ويأبى قلبها القامى أن يحنو على وجبة الجلي العاشق .

أما سرقته من ابن الفارض : فتتجلى لك واضحة فى قوله :
فكنتُ أنا هى ، وهى كانت أنا وما لها فى وجود مفرد من ينافع
وابن الفارض يقول :

وما زلت لإياها ، وإياى لم تزل ولا فسرقت . بل ذاتى لذاتى أحببت

وأما سرقة من ابن عربي ، ففى قوله :

ولِيَاكَ وَالتَّنْزِيهِ ، فهو مُقَيَّدٌ وَلِيَاكَ وَالتَّنْزِيهِ . فهو مُخَادِعٌ
أخذ عن ابن عربي قوله :

فَإِنْ قُلْتَ بِالتَّنْزِيهِ : كُنْتَ مُحَدِّداً وَإِنْ قُلْتَ بِالتَّنْزِيهِ : كُنْتَ مُقَيِّداً
وأما سرقة من رابعة ، ففى قوله :

أحبك ، لالى ، بل لأنك أهله ومالى فى شيء سواك مطامع
أخذه عن قول المفتونة رابعة « ما عبدتك طمعاً فى جنتك ، ولا خوفاً من نارك ،
وإنما عبدتك لذاتك » وأما أخطاؤه النحوية ، فما أكثرها . مثل :

فكل بهاء فى ملاحه صدره على كل قد شابه الفصحى يانعٌ
ومثل قوله :

فعينك شاهداً بمحتد أصلها فَإِنْ عَلَيْهَا لِلْجَمَالِ لَوَامِعٌ^(١)
وأما استغلاله للمحسنات اللفظية ، ففى مثل قوله :

ويرفع مقدار الوضيع جلاله إذا لاح فيه فهو للوضع رافع
قابل بين ضدين فى هذا البيت ، وفى قوله :

فليس لنفسى غير حالة وقتها وقد فات ماضيها وغاب مضارع
وربى فى كلمتى « ماض » و « مضارع » وضمن البيت مصطلحات محوية « حال - وقت -
ماض - مضارع » . فليس فى شعره الصوفى من جمال ، اللهم إلا إذا هنك القنصاع عن
الشعور المحترق من لهفته على جسد ملأ دنيا صباياته وهيمانه .
يتبع

عبد الرحمن الوكيل

(١) رفع كلمة « يانع » فى البيت الأول ، وحققا أن تكون مجرورة . إذ هى صفة لكلمة
« قد » ورفع كلمة « لوامع » فى البيت الثانى . وحققا أن تكون منصوبة . لأنها اسم
مؤخر لأن .

قد تم بحمد الله طبع الجزء الثاني عشر من كتاب

الأصْفَاءُ

في معرفة الرائج من الخلاف على مذهب الإمام المجتهد أحمد بن حنبل

تأليف شيخ الإسلام العلامة الفقيه الحق

علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المدرسي

الحنبلي تغمده الله برحمته

وبه تم الكتاب ، والحمد لله أولاً وآخراً

ونحن كل جزء ١٠٠ مائة قرش مصري

وقريباً بمشيئة الله تعالى يتم طبع الجزء الرابع من كتاب

التحفة اللطيفة

في تاريخ المدينة الشريفة

للحافظ السخاوي

طبع على نفقة معالي وزير الدولة

السيد حسن الشربتلي

متمرباً به إلى الله سبحانه ، وحباً في جده منور المدينة ومشرفها : خاتم رسل الله
ومصطفاه ، محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، دائماً أبداً على الدوام
أدام الله توفيق السيد حسن لفعل الخيرات ، وعمل الصالحات

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات الممتازة في الصناعة والمثانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عطية صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المثانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

الثنى ٢٠ ملجا

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

٧٩.١٧ ٥

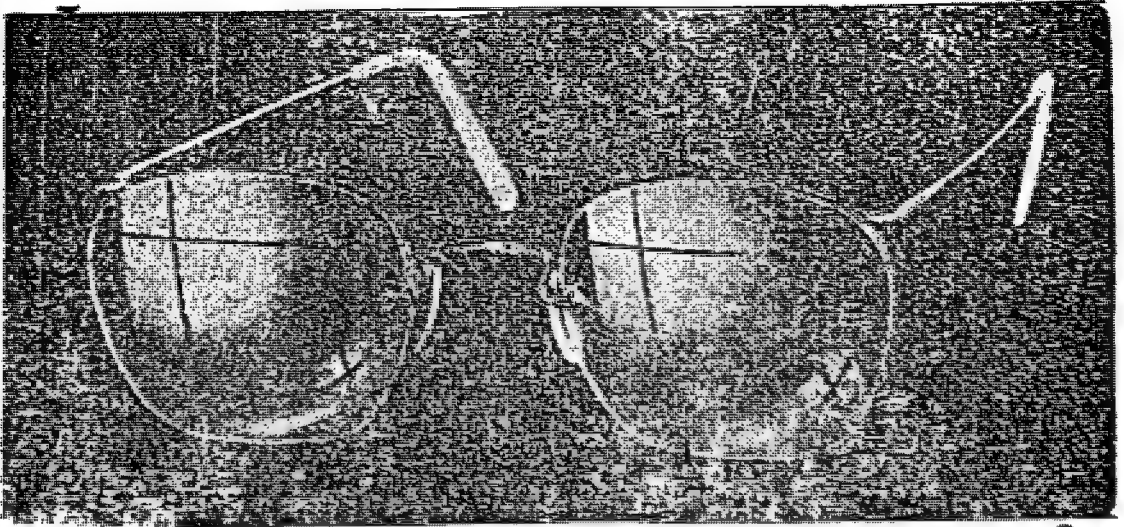
في أي مكان تجده يتألف ويژهو



آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكريسي النموذجي
انتاج، حسن على حقا

إنه الكريسي النموذجي

في المائة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
مويلينات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة القلبي شيزع الخديوي إسماعيل
من على صماء المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندي سجل تجاري ٤١١٠١



أحدث النظارات الرائعة نجدها عند الأخصائي


أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ ب ميدان القبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شباير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع



المذكر النبوي

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

- ٣ اللهم لن يموت عهدنا معك . بقلم الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل . .
- ١٤ إلى زعيم العروبة العظيم الرئيس جمال عبد الناصر
- ١٥ إلى جلالة الملك الأعظم سعود بن عبد العزيز
- ١٦ عزاء ونصيحة إلى أنصار السنة المحمدية } لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم
رئيس هيئات الأمر بالمعروف بالحجاز . .
- ١٧ إنا لله وإنا إليه راجعون . . . لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش . .
- ٢٠ فقيد العالم الإسلامي جماعة أنصار السنة المحمدية بالزقازيق . . .
- ٢١ إنا لله وإنا إليه راجعون . . . للأستاذ رشاد سليمان
- ٢٤ مقتطفات من أقوال الصحف ورسائل الإخوان
- ٣١ برقيات التعازي
- ٣٥ عزاء بأنصار السنة . . . لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن راشد
- ٣٧ إمام السلفين . . . الأستاذ محمد طي حسين . . .
- ٣٩ أستاذنا الراحل للأستاذ عبد الحلیم حموده . . .
- ٤٠ شكرآ يا فضيلة الأستاذ الكبير
- ٤١ شهيد الإسلام البار . . . للأستاذ عمر أغا سكرتير الجماعة بالسودان
- ٤٣ سلام عليك في مثواك للأخ محبوب مختار بالسودان
- ٤٤ أربحية عظيمة من الرجل العظيم معالي الوزير الكبير الشيخ محمد سرور الصبان
- ٤٥ مع سعادة السفير السعودي
- ٤٦ هوى ركن عظيم للأستاذ محمد خليل السبكي
- ٤٨ نداء إلى المسلمين كافة . . .
- ٥٠ نداء إلى أصدقاء الشيخ . . .
- ٥١ دعاء من أهالي دار السلام بدراو . . .
- ٥٢ أسرة الفقيد العظيم
- ٥٣ رائدى الذى رحل . . . للأستاذ مصطفى بهجت بدوى . . .
- ٥٦ مقتطفات من كتاب « تنبيه الأذهان » . . .
- ٦٠ ذكريات . . . للأستاذ رشاد الشافعى . . .
- ٦٢ من شرفات التاريخ للأستاذ عبد الرحمن الوكيل
- ٦٩ تاريخ فقيد الإسلام لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد شية الحمد الفقى

خير الهى قدى محمد صلى الله عليه وسلم

المجلد ۲۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« اللهم ان يموت عهدنا معك »

قال جل ذكره : (٣ : ١٤٤ - ١٤٨ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت^(١) من قبله الرسل . أَفَإِنْ مَاتَ ، أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم^(٢) ؟ ! ومن ينقلب على عقبيه ، فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين^(٣)) وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله

(١) يقال : خلا الزمان أى ذهب ومضى ، والمعنى : لقد ذهب الرسل الذين كانوا من قبل محمد ، قتلوا أو ماتوا وسيذهب محمد مثلهم لأن بشريته من بشريتهم . فيقتل ، أو يموت .

(٢) أى ارتدتم عن دينكم الحق ، فبدلاً من أن تسيروا قدماً لتحقيق أنبل الغايات تعودون إلى الوراء ، إلى جمود الرجعية المشركة ، وظلام الجاهلية الكافرة .

(٣) الشكر ثلاثة أضرب شكر القلب . وهو تصور النعمة وتطامن القلب لرب النعمة ، وشكر اللسان : وهو الثناء على النعم . وشكر سائر الجوارح : وهو مكافأة النعمة بما يمكن كل جارحة أن تكافئ به النعم ، وسيجزي الله الشاكرين الذين يشكرونه بكل نوع من أنواع الشكر . ولا يفي شكر عن شكر . بل لابد من أن تشكر الله بالقلب واللسان والجوارح كلها . وقد ترك الله الجزاء مطلقاً غير مقيد تنقيحاً لشأن الجزاء ، وليعم كل ما أعدد الله من جزاء لمن يحسنهم ويحبونه .

كتاباً مؤجلاً^(١) ، ومن يُرِدْ ثواب^(٢) الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، ومن يُرِدْ ثوابَ الآخرةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وسنجزِي الشَّاكِرِينَ . وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيؤُنَ^(٣) كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا^(٤) لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا ، وَمَا اسْتَكَانُوا^(٥) ، وَاللَّهُ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ^(٦) . وَمَا

(١) أى كتب للوت كتاباً مؤقناً له أجل معلوم ، لا يتقدم ولا يتأخر والأجل هو المدة المضروبة للشيء ، وقد أجلت الشيء جعلت له أجلاً .

(٢) الثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء . ويقال في الخير وفي الشر . وإن كان المتعارف استعماله في الخير أكثر .

(٣) كأبن اسم مركب من كاف التشبيه وأى للنونة ، وهى تفيد التكثير غالباً كما فى هذه الآية والريون جمع ربى نسبة إما إلى الرب الذى هو المصدر . ويكون معناه الذى يرب العلم ، أو يرب نفسه به . وإما إلى الرب سبحانه ، فيكون معناه الذى ينتسب إلى ربه بالإيمان الحق والتوحيد الصحيح والعمل الصالح . وقال فى اللسان الربى والربانى الخبر « العالم الكبير » ورب العلم . وقيل الربانى الذى يعبد الرب زيدت الألف والنون للبالغة فى النسب . وقال سيوبه : زادوا ألفاً ونوناً فى الربانى إذا أرادوا تخصيصاً بعلم الرب دون غيره كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم . وقيل الربانى العالم العامل المعلم أو هو العالى الدرجة فى العلم . وأقول : كلها متقاربة ، غير أن بعضهم جاء بجزء من المعنى ، فالكلمة تجمع كل هذا الذى ذكره .

(٤) الوهن بسكون الهاء : الضعف فى العمل والأمر وكذلك فى المعظم ونحوه « اللسان » وقال الراغب : الضعف من حيث الخلق « بسكون اللام » والخلق « بضم اللام » أما الضعف فقد يكون فى النفس وفى البدن وفى الحال . فيكون معنى « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا » أى ملأنت لهم عزائم ، ولا جنت نفوس ؛ ولا مستهم شكوك ، ولا تخلفوا عن عمل ينصرون به دين الله ، ولا تغير حالهم .

(٥) الاستكانة الخضوع والتخضع عن ذلة . فما استكانوا أى فما خضعوا ولا ذلوا لغير الله ، وما سكتوا عن دعوة ، ولا جبنوا عن قتال ، ولا مست قلوبهم خشية إلا من الله .

(٦) الصبر الإمساك فى ضيق قال الراغب : الصبر لمظ عام ، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقفه . فإن كان حبس النفس لمصيبة سمى صبراً لا غير ، ويضاده الجزع . وإن كان فى محاربة مسمى شجاعة ويضاده الجبن ، وإن كان فى نائبة مضجرة مسمى رحب الصدر ويضاده =

كان قولهم إلا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا^(١) في أمرنا ، وثبتت أقدمتنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين^(٢) .

== الضجر وإن كان في إساءة الكلام سمي كتماناً ويضاده المذل والإفشاء . انتهى كلام الراغب والله يحب الصابرين الذين يجمعون بين أجل أنواع الصبر ، فلا يجزعون عند المصيبة ، ولا يضجرون عند النجاسة ، ولا يفرون من معركة ، ولا يفشون ما اتهموا على كتمانهم من المؤمنين ، ولا ينطلقون مع أهواء النفس ، بل يحبسونها على طاعة الله .

(١) السرف هو مجاوزة الحد في كل فعل يفعله الإنسان . وقال في اللسان : أسرف في ماله مجل من غير قصد ، والسرف الذي نهى الله عنه هو ما أنفق في غير طاعة قليلا كان أو كثيراً « لأنه تجاوز به الغاية منه » والسرف بالشيء الجهل به . وقال الراغب عن السرف : إنه يقال تارة اعتباراً بالقدر « أي قدر ما ينفق » وتارة بالكيفية « أي كيف ينفق » ولهذا قال سفيان : ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلا . انتهى . والأمر : الشأن . وقد جأر هؤلاء الريون إلى الله يدعونه : أن يثبت أقدامهم . فلا يسهم جبن عن قتال ، ولا تهلكهم ردة عن الدين ، وأن ينصرهم على الكفار . وقد مهد هؤلاء لما سألوا أجل تمهيد فيه زكية للنفس وتطهير لها ، وإظهار لما انطوت عليه من خوف ومذلة وخضوع وخشية ، وفيه طرق بالضراعة والاعتراف لأبواب الاستجابة فقد أقرروا عن خشية بذنوبهم وسألوا الله مغفرتها ، فعلوا ذلك قبل أن يطلبوا النصر ، وأقرروا بإسرافهم في شئونهم . وسألوا ربهم غفرانه . فعلوا ذلك أيضاً قبل أن يطلبوا تثبيت الأقدام والنصر ليمهدوا لدعوتهم الرقي إلى معارج القبول والاستجابة . ونلاحظ أن اعترافهم بالإسراف جاء مطلقاً غير مقيد إلا بأنه في أمرهم ، ليعلم كل إسراف فعلوه وهم يعلمون أنه إسراف ، أو فعلوه وهم يحملون أنه كذلك ؛ وليعلم كل إسراف مادي أو أدبي ، حتى أو معنوي .

(٢) الإحسان ضد الإساءة ويقال على وجهين - كما يقول الراغب - أحدهما : الإنعام على الغير ، والثاني الإحسان إحسان في فعله . وذلك إذا علم علماً حسناً ، أو عمل عملاً حسناً . والإحسان فوق العدل ، لأن العدل هو أن تعطى ما عليك ، وأن تأخذ ما هو لك ، أما الإحسان فهو أن تعطى أكثر مما عليك ، وأن تأخذ أقل مما هو لك ، فتحري العدل واجب ، ونحري الإحسان نذب وتطوع . وقال صاحب اللسان : والفرق بين الإحسان والإنعام أن الإحسان يكون لنفسه ==

== الإنسان ولغيره، والإنعام لا يكون إلا لغيره . وأقول : لقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم الإحسان بقوله : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» . وهذا هو الإحسان في عبادة الله ، وهو من شريعة الإسلام لامن طموس الصوفية كما يمولون على الناس . وقد وعد الله المحسنين بحبه . وفي التعبير بالحلب هنا وفي كل موارد إيجاز إلهي في الإنعام ، وإشارة يعجز البيان البشرى عن الإحاطة بمعناها الأسمى ، ولسكتنا مؤمن بأن الله يحب ، يد أن حبه ليس كمثل حبه . ثم إن الله واصل هؤلاء الذين يحبهم بأنهم محسنون . أى للتصفون بكل ما يقال عنه في الشرع واللغة إنه إحسان . فالوصف به مطلق غير مقيد ، ليفيد أنهم محسنون في كل شيء وبكل شيء يمكن أن يحسنوا به وفيه .

قالوا معطلين لنزول تلك الآيات : روى عبد الله بن قنينة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد بما كسر به ربايته وشج وجهه ، ثم مضى - أى ابن قنينة - صائحا : قتل محمدًا وتجاوزت بصيخته الكاذبة أهواء المشركين ، فشاع في الناس ما اقترأه ابن قنينة ، ووجدت هذه الشائمة سبيلها إلى قلوب المسلمين . فإذا الحزن الساجي ، والوهن للسيطر والإحجام القلق عن القتال . وقالوا أيضا : إن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه . فقال : يا فلان ، أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل ، فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم .

ثم يروون رواية صدق وحق موقف أبي بكر وتذكيره بهذه الآيات يوم وفاة الرسول : أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح « بضم السين وسكون النون إحدى محال المدينة وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعمالي المدينة . وكان بها منزل أبي بكر » حتى نزل ، فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس ، حتى دخل على عائشة ، فقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغطى بثوب حبرة « على وزن عنبه وهو ثوب يمانى » فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه ، وقبله ، وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي . والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك ، فقدمنها ، ثم خرج . وعمر يكلم الناس ، فقال أبو بكر : اجلس يا عمر ، ثم قال أبو بكر : أما بعد : فمن كان يعبد محمدا ، فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت ، قال الله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل - إلى قوله سبحانه - وسيجزى الله الشاكرين) قال ابن عباس فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ف تلاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس إلا تلاوها ، وقال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فمرت ، حتى ماتتني رجلاي ، وحتى هويت إلى الأرض . ذلك ما قبل - مختصرا - عن سبب نزول الآيات ، وهذا ما حدث يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وسجل التاريخ أن أبا بكر كان أثبت الصحابة جنانا ، وأن هول المصاب لم ينسه أبدا هدى الله ، وأنه بنور هذه الآيات بدد عن النفوس الحور واليأس .

آيات تشرق منها الحكمة الهادية التي تفيض على النفس سكونية الإيمان ، وعلى القلب طمأنينة اليقين . آيات تغمرنا بالتأسية الفياضة بالرحمة ، وتوجب على كل مؤمن أن يكون إيمانه بالله إيماناً لا ينتسب إلا إلى الحق ، ولا يرتبط إلا به ، ولا يدور في فلكه السامى إلا معه ، فما يزل قوة إيمانه ، أو ينكص به أن يموت من دعاه إلى الحق ، أو كان سبباً إنسانياً سخره الله لهدايته إليه .

إن الإيمان حياة وبصيرة وهدى وعزة وقوة وجهاد .

وإن الكفر موت وعى وضلالة وذلة وضعف وجبانة ترعشها نائمة خبى .

الإيمان حياة تشرق على القلب من هداية الحى القيوم وحده ، وتعمل له وحده ، وتستمد أسباب سموها منه وحده ، وتتوجه إليه وحده بكل ما يعتمل فيها من مشاعر وأحاسيس وعواطف ، لأنها تجد السعادة التي تنشدها في أن تبلغ رضاء .

فلا يرعش إيمان المؤمن مصاب فادح ينفته على غيرة ، أو خطب مدليهم يأخذ ظلامه بكل ماحوله ، لأن المؤمن لا يؤمن بالموتى آلهة ، ولكنه يؤمن بالله الذى خلق الموت والحياة ، وله ملك الأولى والآخرة .

نعم تهيم في عينيه الدموع الخواشع ، وترمض قلبه الأحزان المستغيرة ، بيد أنك تجد دموعه تعبيرا رقيقا عن الإيمان الرضى ، وتجد أحزانه يانارحيا عن الإخبات التقى . تجد في شفق الأحزان على محبيه ، وفي حيرة الدموع بين عينيه دليلاً قوياً على الإيمان الذى يثبت دائماً - إذا ألم بالقلب ما يريب أو يحزن - أنه هو القوة الإلهية التى تثب به إلى القمة ، والروح الربانى الذى يستعلى بالإنسان عن أن يهين ، أو يرتاب أو ينكص على عقبيه ، وأنه هو النور الذى يبدد عن آفاق النفس ظلام اليأس ، ويهذى سبحاتها إلى حيث تطمئن إلى الرجاء ، ويشيع في دنياها مباحج الأمل في رحمة الله ونصره .

ونحن أنصار السنة - وقد دهمنا خطب قاصم ، وعصفت في حياتنا نكبة رعناء بوفاة إمام التوحيد في العالم الإسلامى المعاصر المغفور له بإذن الله والدنا الشيخ محمد حامد الفتى - نجعل من تلك الآيات الهادية نبراسا يضىء لنا فيما ادلهم من خطب ، ومناراً

يهدينا فيما تَدَجَّى من مصاب ، فلا يستبد بنا جزع ، فيميل بنا إلى اليأس ، ولا يهولنا خطب ، فيعطف أعتنا إلى الوراء ، ولا يغلبنا الحزن على أمرنا ، فنتهافت على الطريق قبل أن نصل إلى الغاية ، ولكننا - بإذن الله - باستمداد القوة منه والرعاية - نخوض التَّهَوَّل ، ونقتحم العقبات ، ونجاهد في حمية الحق في غير هواة ولا تواكل ، ومن أعماق القلوب نهتف . وتهتف دموعنا الخاشعة ، وأحزاننا المستعبرة : « إنا لله ، وإنا إليه راجعون » وفي محاريبنا نجدد العهد بين يدي الله ضارعين « اللهم قونا حتى لا يموت عهدنا معك . قوِّنا حتى نحتمل الصبر كُلَّهُ ، وندعو إليك على بصيرة » .

لقد ظل - رحمه الله - أكثر من أربعين عاماً يجاهد في سبيل الله ، ظل يجالذ قوى الشر الباغية في صبر مارس القلب على الخطوب وعزم اعتاد النصر على الأحداث وإرادة تنزل الدنيا حولها ، وترجف الأرض من تحتها ، فلا تميل عن قصد ، ولا تبجن عن غاية ، ولا تنحرف عن سواء السبيل . ظل يفعل هذا عن بصيرة مشرقة بنور الإيمان ، ووعى نفذ إلى روح الحقائق ، وإدراك لا يزيغه أبداً شبهة ساحرة ، أوربية ماكرة .

هذا لأنه فهم حقيقة الإيمان ، وجعلها في الحياة مقياسه الذي يقيس به الأشياء ، والقيمة الحقة التي يقوم بها حقائق ماحوله ، والروح التي بها يعمل ويفكر ويتدبر .

لقد آمن بأن كتاب الله هو الحق ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، فكشف الله له بهذا الإيمان كل راي عن بصيرته ، وكل دَخل عن سيرته ، ففقه القرآن فقهاً صحيحاً لا ينزع به عن الحق الجليّ هوى عاصف ، أو هَوَل راجف ، أو رِيَبٌ تتخذ سطوتها من التقليد الموروث ، أو ممن يزفونها اليوم في صور جديدة فائنة الألوان ، واتخذ الشيخ - غفر الله له ورحمه - سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله ، الدعوة إلى تصفية القلوب من أدران الشرك ، ونوازع الوثنية ، حتى تخلص للحق وحده ، فتعمل عن إيمان صادق ، وتحب الله ، وتبغض الله . لقد عرف - رحمه الله - الداء ، وهداه الله إلى الدواء فهب في حماس متقد ، لم يَخْبُ أبداً أوارُهُ حتى وهو على فراش مرضه الأخير . هب يدعو الناس جميعاً إلى التوحيد الخالص وإلى اتخاذ القرآن إماماً ، وسنة الرسول سبيلاً .

كان يابن حين يرى اللين مجدياً ، ويفلظ حين يرى ألا بد من هذا ، مقتدياً بقول ربه (٦٦: ٩) يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم) . كان يسمى كل شيء باسمه الذي هو له ، فلا يُدعى في القول ، ولا يداجى ، ولا يمالىء ، ولا يعرف المجاملة أبداً في الحق أو الجهر به ، إذ كان يسمى المجاملة نفاقاً مدهاناً . ويسمى السكوت عن قول الحق ذلاً جباناً . وقال رؤاد النفاق ، وأدعياء الدعوة ، وموالى الناس ، وخدم شهواتهم ، وعبد الطاغوت : غلظة خشنة جافية ! ودوى صوت الحق يصك أسماعهم : شجاعة موفورة ، وصراحة مشكورة مبرورة .

لم يكن - رحمه الله - في دعوته هذه يعرف الخوف من الناس ، أو يلوذ به ؛ إذ كان الخوف من الله وحده آخذاً بمجامع قلبه ، مسيطراً على دنياه ، قهاراً لسره وعلايته . كان في دعوته هذه لا يتعصب لمذهب ما ، بل كانت عصبية وحمية للحق وحده ، وكان عدو المذهبية ويراه - عن ينة وإيمان - أنها الخطر الداهم على الجماعة الإسلامية ، ويردد قول الله تعالى : (٦ : ١٥٩) إن الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) .

وما زال بهم يجادلهم حتى انتصر . لقد عرف - رحمه الله - لذة النصر حينما انتصر على هواه ، فكيف لا يعرف النصر على أهواء سواه ؟ ! .

عاش رحمه الله للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر . كان يؤمن بالحياة ، ويؤمن بالموت ، وأنه مبرر إلى الحياة الأبدية الخالدة ، فعاش يشيد الحياة حتى يحياه الله عنده . عاش بالإيمان الحق يسخر دنياه لدينه ، ويحكم دينه في دنياه ، فلم يخله الدين ، ولم تطفه الدنيا .

عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته ، كانت آلام المرض القاسي تشد إحساسه بها ، فينساها وهو بيننا يذكرنا بآيات الله . كان عذاب السقم يستحوذ على جسمه ، فيأبى إلا أن يسى إلى دار الجماعة ، والليل قر عاصف يلفح الوجوه بالثلوج ، ثم يتخذ مجلسه المعتاد وعلى وجهه السمع إشراق الرضا ، وعلى شفثيه تلك الابتسامة العذبة الحنون التي تعبر عن صفاء قلبه ، ثم يستغرق في التذكير بآيات الله بصوت فيه قصف الرعد ، وعذوبة الرحمة ،

ورقة الخشية وتُنبئ الإخلاص فلا يشعر الحشد الهائل من تلاميذه بما يعاني الشيخ من داء ويل ، ولا يصدقون - وهذا صوته القوي الراعد المنذر الخوف من غضب الله - أنه مريض حتى لقد ظن الكثيرون أن مرضه الأخير دهمه فجأة ، بيد أنه كان يعانيه من زمن دون أن يشعر به سوى نفر قليل من الأذنين من ذوى رحمه . كان بعض المشفقين من أهله يناشدونه أن يشفق على صحته من الجهد العنيف الذى يبذله فى سَمُوم الصيف ، وزمهرير الشتاء ، وليله المدوئى بالأعاصير ، ولكنه كان يقول لهم دائماً : لا يا أحبة ، فإن الله سائلى يوم القيامة عن هذه الدعوة .

كان فى دعوته - رحمه الله - يمثل التطابق التام بين الداعى ودعوته ، فهو فى سره وعلايته وهو فى بيته وفى المجتمع ، وهو بين الناس ، وبين تلاميذه ، وهو فيما يأمر به من معروف ، وينهى عنه من منكر ، كان فى كل أحواله هذه المؤمن الذى يلتزم بما يدعو إليه ويطبقه تطبيقاً صحيحاً فى كل معاملاته .

وكان رحمه الله مُحباً للقراءة ، فيعكف الساعات الطوال على الكتب ينقب ويبحث ويقارن .

يقرأ كل شيء باسم الله ؛ ليستخلص العبرة ، وليدل على الحق ويدعو إلى تأييده ، وليبين الباطل فيما قرأ ، ويحذر منه . كان لقراءته غاية واحدة هى خدمة دعوة الحق . وكان رحمه الله خطيباً لساناً مصقفاً ، يمتاز بصدق التعبير وجزالة الأسلوب ، وقوته وفصاحة المنطق ، فتخالط دعوته شغاف القلوب ، وتلمع فكرته أمام العقل غير مشوبة بآيهاً ولا شبهة .

وكان رحمه الله محباً للتراث الإسلامى ، ينقب عنه ، ويسعى جاهداً فى سبيل نشره . وكان كريماً سمحاً جواداً مضيافاً ، تشعر وأنت فى بيته كأنه ضيفك ، وأنت مضيفه . وكان لطيف المعشر ، موثقاً الأكناف ، باراً كل البر بأصدقائه وإخوانه . وكان فى بيته مثلاً أعلى فى الرعاية والتطبيق الصحيح لحسن المعاملة ، تراه مثلاً مكباً على مكتبه منقباً باحثاً ، فيأتى الصغار من أحفاده يعتلون ظهره وكتفيه ، ويعبثون بما أمامه ،

فلا ينفرهم منه حتى سمة زائفة من غضب ، أو بادرة متوهمة من تأفف ، وتنظر إلى عينيه وإلى محياه ، فإذا السرور لامع الإشراف ، وإذا البشر فياض العبير ، وإذا الخنو الدافق جياش النبع ، خرجت مرة معه من المسجد فلقى حفيده الصغير « محمد سرور » فحمله على كتفيه وحذاء الصغير ملوث ببعض الأوحال ، فقلت للشيخ باسمًا : جلبابك الأبيض يا أستاذ ، فقال في دعابته الأبوية : « وانت مالك يا أخى هيه هدمك ؟ » .

وكان صبوراً جَلَدًا على الأحداث ، نكب في ابنين عزيزين فما رأى الناس منه إلا ما يرون من مؤمن قوى أسلم الله قلبه كله .

وكان صفوحاً ، فلم يتسرب مرة إلى قلبه حقد أو غل أو كراهية ، كان يسبق بالعفو إساءة المسيء ، وبالعفو ذنبه ، وبالحلم بوادر الطيش الغاضب منه ، ويلقاه بعد هذا ، وقد نسي كل شيء . أذكر مرة أن جماعة ثوروا عليه بهتاناً يحاولون به النيل من مقامه ، وافترؤا لهذا مفتريات دنسة النسب ، بينة الكذب ، فعلوا هذا لا غيرة على حق أو فضيلة - كما تراءوا لذوى الضحالة في الفهم - وإنما هو الحسد المحموم لنجاح الشيخ في دعوته ، وعلو مكانته .

وأذكر أنى دخلت عليه بعد نقاش عاصف منهم ، وهادىء وقور سمح منه ، فإذا سمعت ؟ وماذا رأيت ؟ سمعته يبتهل إلى الله أن يشفيهم من أحقادهم ، وأن يعفو عنهم ، ورأيت على مخايل وجهه بشائر الصفح والمغفرة ، وكان يعلم تلاميذه الجرأة في قول الحق ، ويدعوم في حرارة الصدق وتلمب الحماس إلى مناقشته الحساب العسير إن أخطأ .

وأذكر مرة أنه نقد رأياً للإمام الجليل ابن تيمية وتلميذه العظيم ابن القيم ، ثم رأيت بعد هذا حزينا ، وسألته ، فأجاب : لقد رأيت عدم الرضا في وجوه بعض أبنائى ، وسمعت من بعض الشيوخ الذين نفتز بأخوتهم أنهم ينقمون منى هذا النقد ، وهذه إثارة يا بنى تدل على أن هؤلاء لم يتطهروا بعد من كل شوائب التعصب لغير الحق . والتعصب يا بنى للأشخاص - سرَّب خفى من مسارب الوثنية ، ونحن أنصار السنة يا بنى لا نتعصب إلا للحق وحده ، نعرف الرجال بالحق ، ولا نعرف الحق بالرجال .

عاش رحمه الله للإسلام ، فأحب كل مسلم ، لهذا كان له في كل بلد إسلامي تلاميذ وأصدقاء ، وكان لهذه التلمذة والصدقة أثر عظيم في انتشار الدعوة ، وإنشاء فروع لها حتى وصلت إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي .

لقد كان الشيخ رحمه الله ، يذكر دائماً أن العالم الإسلامي وحدة ، ويعمل دائماً لهذه الوحدة في جميع ما يكتب أو يخطب .

هكذا كان الشيخ - رحمه الله ، وغفر له - وكان فوق ما ذكرت ، فما هي إلا لحات من جهاده ، أما تاريخ حياته المفصل ، فيكتبه هنا فضيلة الشيخ شعبة الحمد الفقي شقيق الشيخ رحمه الله ، فاللهم إن حامداً توسل إليك بالإيمان الحق بك ، والجهاد في سبيل إعلاء كلمتك ، فاللهم اغفر له ، وهب له جود رضوانك ، وأنزله منازل الأبرار والصادقين والشهداء ، وألهمنا الصبر الجميل بعده .

أما نحن أنصار السنة : فبعون من الله سنواصل الكفاح بعده في عزم مصمم ، وتضامن قوى ، ووحدة شاملة تضمنا جميعاً على الحب والصدق والإخلاص والإيثار ، لن نهادن البدعة ، ولن نعطف على الخرافة ، ولن نجامل في الحق .

نحن نؤمن بالله ، ونوقن أنه مع المؤمنين ، ونوقن بصدق وعده في الدفاع عن المؤمنين به . ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره .

نحن نعلم أن الفرحة الساجية تغمر قلوب الحاقدين ، وتهتف بها ألسنتهم ، وتلتعج بها كوهج النار في عيونهم ، ولكنها فرحة الشريد بالسراب ، وفرحة اليأس بكذب الأحلام على القم الشوامخ . وفوق الذرى التي تلامس قبة النجوم ، مكانة الدعوة أيها الحالمون بتعاسة المصير . تعالوا اليوم وانظروا إلى الجنود المجندة من أنصار السنة ، لقد احتشدوا بإيمانهم القوى ، وعزائمهم التي لا تعرف التخاذل أو التواكل . ليفتدوا بأرواحهم دعوة الحق ، وليجعلوا السلطان الأكبر لدعوة الحق ، فلقد نبههم موت الشيخ المفاجيء إلى واجبهم لحظة وفاته ، فهبوا سراعاً يذرفون الدموع ويصقلون العزائم المواضي ويتخذون العبرة من الموت ؛ ليجتهدوا في الحفاظ على الحياة ، حياة الدعوة التي لن تموت

يأذن الله . مات بظلمهم الأول ، فأحيا موته في قلوبهم الحماس والحمة الثائرة التي لا تتخذ لها ثورة على أعداء الدعوة . إن في مصر في سورية ، في السعودية ، في السودان ، في العراق ، في لبنان ، في شرق الأردن ، في ليبيا ، في مراکش ، في الجزائر ، في تونس ، في الصومال ، في أرتيريا ، في كل بلد عربي أو إسلامي لدعوة الحق جنودا بررة ، تتجمع اليوم قواهم كالطوفان القوى ، ولكنه الطوفان الذي يجرف أمامه كل ما خلفت القرون المظلمة من أساطير ، ليعود هذا الدين الحق ، كما كان في عهده الأول مسيطراً على القلوب ، مهيمناً على الضمائر موجهاً للحياة . فإذا الدنيا سلام ورحمة ، وإذا المجتمع محبة وتعاون وإيثار .

إن المسجد اليوم لا يتسع للمصلين ، ودار الجماعة على سعتها تموج بجنود الدعوة ، لقد شعر كل منهم أن الشيخ وحده كان أمة ، كان سداً منيعاً ، كان قوة مكنها الله من قهر أعداء الدعوة والظفر بهم ، فما أن حُمَّ قضاء الله فيه حتى آمن كل جندي من أنصار السنة بأنه يجب عليه أن يُمدَّ نفسه للفداء ، وأن يذر كل شيء ليفرغ لأعداء الدعوة . وأن يجند نفسه وماله وولده وكل جهده للدعوة وحدها .

لقد أنساني هول المصاب ما في قلوب أنصار السنة من حماس جيش متدفق ، نفخيت ولكن ما إن رأيتهم ، وقد ملأوا دار الجماعة ، بل تكدسوا فيها حتى امتلأت نفسي ثقة وبقينا وطمانينة ، وقلت لإخواني : كان الشيخ وحده بما وهب الله له من قوة وعزم وعلم ومهابة وحكمة . كان وحده يصد الطوفان ، طوفان الشرك والزندقة والإلحاد ، فما لم نحتشد جميعاً ، لنقف حيث كان يقف ، فسيهز منا الطوفان ونمضى مع التيار المجنون . . وإذا بي ألس أنهم جميعاً يشعرون بما هو أعمق من شعوري ، وإذا بهم يثبتون في خطر المحنة ، أن هذه المحنة ستزيدهم ثباتاً على الجهاد ، وقوة في الجلال ، وتصميماً على النصر بإذن الله . يا أنصار السنة في كل مكان ، إئتينا نجاهد في سبيل الله ، ونعمل على إعلاء كلمته ، فاطمئنوا إلى عون الله ونصره .

يا أنصار السنة : لن تغيب شمس دعوة تستمد نورها من القرآن .
يا أنصار السنة : لن تهزم دعوة تقتدى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(البقية على ص ١٥)

إلى زعيم العروبة العظيم

الرئيس جمال عبد الناصر

تفضلتم بما فطركم الله عليه من بل كريم ، وإيمان قوى بالله ، فواسيتمونا في قيود الإسلام العظيم رئيس الجماعة . ولما - أنصار السنة في العالم الإسلامي كله - نرفع أخلص الشكر وأصدق الثناء على هذا العطف الكريم السابغ ، ونضرع إلى الله سبحانه بقلوب وفيّة مخلصّة أن يهب لكم العمر المديد المبارك فيه ، وأن يحقّق على يديكم وحدة العالم العربي والإسلامي ، وتؤكد عهدنا مع الله أن نكون ما حيننا جنود الحق ، وأن نعمل ما أمكننا العمل في سبيل بعث الأجداد الإسلامية الخالدة ، وفي سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا .

سنعمل معك يا زعيم العروبة في سبيل البناء والهدم . بناء صروحنا شاحخة الذرى . وهدم ما خلف الاستعمار من تراث ، ليخلص العالم العربي والإسلامي لأهله يحكمونه بما أمر الله سبحانه .

هذا عهدنا مع الله يا زعيم العروبة . وأنت القائد للملهم الموفق . وكلنا ضراعة إلى الله ، أن يحقّق على يديك القويتين وفي عهدك الكريم ، أمل العروبة ورجاء الإسلام ، وفقكم الله ، وأيدكم في جهادكم ، وسلك بكم السبيل السوى الهادى إلى غايتكم الكبرى . الوحدة الشاملة للعرب والمسلمين .

تلك كانت دعوة رائد الدعوة الأول وبطلها على منبره لكم ، وبينه وبين الله . وما نرتاب في أن الله قد استجاب ، لأنها دعوة مؤمن صادق الإيمان . ألهكم الله السداد والتوفيق .

بسماعز أنصار السنة المحمدية

الى جلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز

جماعة أنصار السنة المحمدية - وقد شفى من حزنها الأليم التعزية الكريمة السامية ،
- ترفع إلى جلالكم أخلص ماتنطوى عليه قلوبهم من شكر ، وأصدق ماتلهج به ألسنتهم
من ثناء ، إذ تفضلتم يا صاحب الجلالة بتعزيتنا في فقيد الإسلام العظيم الإمام الجليل المغفور
له الشيخ محمد حامد الفقى .

وإننا فيما بيننا وبين الله نجار إليه سبحانه أن يهب لجلالتكم طول العمر المبارك فيه .
ولن ننسى يا صاحب الجلالة أنكم أمددتم الراحل الكريم بالعون العظيم ، الذى
استطاع به أن يطبع وينشر تراث سلفنا الصالح .
أمدكم الله يا صاحب الجلالة بخير ما يمد به الصالحين الطيبين البررة من عباده ، وأيدكم
بتأييدكم لدعوة الحق ، وشرعة الإسلام .

اللهم لن يموت عهدنا معك

(بقية المنشور على ص ١٣)

يا أنصار السنة : إن أعداء الدعوة أكثر منكم عدداً ومالا . ولكنكم أشد منهم قوة ،
وأعظم غنى ، لأنكم تؤمنون بالقوى الذى بيده خزائن السموات والأرض .
يا أنصار السنة : سيحاولون أن يشغلوكم عن دعوتكم بما ليس لهم أن يتحدثوا فيه ،
وبما لا ينتسب إلى أصل من أصول الدين ، فافتحوا عيونكم جيداً ، وكونوا على حذر ،
فألد أعداء الدعوة المنافقون ، وألد أعداء الدعوة الطامعون ، وألد أعداء الدعوة الانتهازيون ،
ولهنؤلاء قبل غيرهم نحن متيقظون .

والله أسأل ، وإليه أجار أن يغفر الشيخ العظيم بشايب رحمته ورضوانه ، وأن يعرضنا
عنه خيراً ، وأن يثبت قلوبنا على الصبر واليقين .

عبد الرحمن الوكيل

عزاء ونصيحة الى أنصار السنة

من فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رئيس هيئات الأمر بالمعروف
بالحجاز :

حضرة الأخ المكرم فضيلة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، وكافة إخواننا أنصار السنة
الحمدية بمصر وفقهم الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فقد بلغنا بمزيد الأسى وفاة نصير السنة الشيخ محمد حامد الفقى تغمده الله برحمته
والحقيقة أنها خسارة كبيرة يشعر بها كل محب للسنة منابذ للبدعة ، فعزأونا لكم جميعاً ،
ونسأل الله تعالى أن يجمعنا وإياكم بجميل الصبر ، وأن يفسح للفقيد في جناته ، وأن يتغمده
بغفرانه ، ونوصيكم وأنفسنا بالصبر والثبات على الحق ومواصلة نصر الكتاب والسنة ،
ومحاربة الخرافة والبدعة ، لأن الثبات على الحق ، والجهاد في نشر كلمة الدين الصحيح هو
الكسب الذى لا يوازيه كسب ، فأتى يا أنصار السنة قد نور الله بكم بصائر مظلمة ، وحرر
عقولا كانت بالخرافة والجهل مكبلية ، فسيروا على بركة الله ، والله مؤيدكم ونصيركم .
ورحم الله الفقيد وألزم ذويه الصبر .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف بالحجاز

عبد الملك بن إبراهيم

ونحن نشكر فضيلة الأستاذ الكبير على جميل تعزيتة وكريم نصيحته ، ونؤكد له أننا
ياذن الله سائرون على السبيل ، أننا جاعلون الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله غايتنا ، ونشر
دينه الحق مبتغانا ، وسنتعاون مع إخواننا المسلمين الموحدين فى كل ميدان ، حتى يتحقق
الهدف الأكبر ، أن يكون الإسلام وحده مهيمناً ومسيطرأً على القلوب ، وموجهأً
للأخلاق ، وحاكماً على الضمائر ، وأن يكون للمسلمين العزة والسلطان .

جماعة أنصار السنة الحمدية

إنا لله وإنا إليه راجعون

نفسه الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا ، فإن النكبة فادحة ، والرزء جسيم .
 ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشداً . حتى لا نقول ولا نكتب إلا ما يرضيك ، ويؤدى بعض حق الراحل الكريم .
 لا أذكر أن القلم استعصى على كما يستعصى اليوم .
 أريد أن قول كلمتي في فقيدنا العزيز فلا أدرى كيف أبدئ ، ولا كيف أعيد . كأن القلم أحس مرارة الكارثة ؛ فهو يكيو ويتعثر .
 لقد وقع نعي الفقيد الكريم على قلوب أحبائه وقوع الصاعقة ؛ فلقد عهدوه مكتمل الصحة ، موفور العافية ، جم النشاط دائب العمل ، فكان نعيه مفاجأة أليمة وجفت لها القلوب ، وتصدعت الأكباد ، وتصعدت الزفرات ، وتحدرت العبرات .
 لقد وقعت الواقعة وحلت القارعة ، وفنذ السهم ، وصدر حكم القدر ، وواتى الأجل المحتوم ، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها .
 يقول الناس إذا فقدوا عزيزاً عليهم ، أو عظيماً من عظمائهم : إنه سراج انطفأ أو صرح تقوض ، أو نجم أفل ، أو شمس غربت ، ولكن هذه الجمل البراقة ، والعبارات الخلابة لا يمكن أن تصور مصابنا الأليم على حقيقته ، فالسراج إذا انطفأ فمن الممكن أن يوقد مرة أخرى ، والصرح إذا تقوض فمن اليسير أن يعاد بناؤه ، والنجم إذا أفل ، فإنه عائد إلى طلوع ، والشمس إذا غربت فسيمقب غروبها شروق ولكن فقيدنا الراحل الكريم تأبى سنة الله أن تعيد إلى سراجهِ الوميض ، أو تجدد بناء صرحهِ الشامخ الذي تقوض ، أو ترد نجمهِ الأفل إلى الظهور ، أو شمسهِ الغاربة إلى الشروق . فأية عبارة يمكن أن تصور فداحة الرزء الذي رزئنا به ، ومرارة المصيبة التي أصابتنا ؟

إن الفراغ الذى تركه قعيدنا الراحل الكريم لن يملأ أبداً....

فإن وجدنا العالم ، فلن نجد الشجاع وإن وجدنا العالم الشجاع فلن نظفر بالغيور على الدعوة ، المتفانى فى خدمتها ، المضحى من أجلها بالوقت والجهد والمال .

وإن عثرنا على كل أولئك لم نعثر على الكاتب المبدع القدير ، والخطيب المصقع ، الذى ملأ صوته سمع الزمان ، والمجاهد الصادق الذى أعيا جهاده جهد التاريخ فقد اجتمع فى شخصه الكرم العالم والشجاع والمضحى والمتفانى ، والكاتب والخطيب ، والمجاهد ، فحين فقدناه فقدنا كل أولئك جميعا .

لقد فقدنا الصوت الذى كان يحلج قلوبه القلوب .

لقد فقدنا الحكمة البالغة التى تأخذ بالنفوس إلى مرادها .

فقدنا المنطق المقنع الذى كان يملأ الأفئدة إيمانا ويقينا .

أين الكلمات الرنانة التى كانت تخرج من فمه يبعثها محض الإخلاص لدعوة الحق فتزول على القلوب برداً وسلاماً ؟

أين الجمل القوية تزجها الغيرة على دين الله ، وسنة رسوله فتصدر قوية جياشة مدوية تسرى فى النفوس سرى الكهرباء فتمس مكان الإيمان ، وتلمس موضع اليقين ؟
أين الخطب الرائعة التى كانت تتردد فى جنبات المسجد ، تتجاوب أصدائها فى حبات القلوب ؟

لقد ودعنا يوم ودعناه العلم الغزير ، والاطلاع الواسع ، والمتفانى فى خدمة الحق ، والتضحية فى سبيل العقيدة .

ودعنا الشخصية القوية الموحية بالمهمة التى ترغم على الإكبار والإجلال .

لقد كان مجلسه حافلاً بالإرشادات الدينية والفوائد العلمية ، والطرف الأدبية ، والملاح الطريفة التى تجعلك تأبى أن تفارقه ، وإن غادرت غادرته وأنت فى شوق ملح لجوج إلى أن تعود إليه .

لقد كانت نظراته توحى وتلهم ، وترشد وتعلم .

كان يفسر آيات الكتاب العزيز فيتغلغل في أعماقها ، ويستخرج منها درر المعاني ويشبعها بحثاً وفهماً واستنباطاً ، ويوضح ما فيها من الأسرار العميقة والإشارات الدقيقة ، والحكمة البالغة ، والموعظة الحسنة ، ولا يدع الآية حتى يستوعب جميع ماحوت من المعاني والحكم والأسرار ، ولا يترك كلمة لقائل بعده ، بعد أن يحيط القارئ أو السامع علماً بالفقه اللغوي للكلمات وأصولها وتاريخ استعمالها فيكون الفهم أتم ، والعلم أكمل وأشمل .

كان يقول كلمة الحق في صراحة ووضوح ولا يخشى لومة لائم ، لأنه يقولها لله ، وفي سبيل الله ، وهو على يقين من نصر الله .

فقدنا كل هذه المفاهيم ، وأبت الأقدار أن تطيل استمتاعنا بها ، بل سلبتنا إياها أحوج ما كنا إليها .

لقد كان صاحب الفضيلة والفضل المرحوم الشيخ محمد حامد الفقي - طيب الله ثراه - قطباً تدور في فلكه جماعات أنصار السنة فيفيض عليها من علمه علماً ، ومن شجاعته شجاعة ومن غيرته غيرة ، ومن إخلاصه إخلاصاً ، ومن عزة نفسه وكرامتها عزة وكرامة .

عهدنا بالعلماء يقدسون مادون في الكتب ويمجدون آراء الرجال . أما فقيدنا - أسبغ الله عليه سحاب الرحمة - فلم يكن يقدس إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن يمجّد إلا ما أثبتته البحث العلمي الصحيح ، وأقره العقل الناضج المستنير ، ووافق كتاب الله وسنة رسوله ، ولو خالف الكتب جميعاً ، ولو ناقض آراء الرجال قاطبة .

وإن المكتبة العربية لتعزّز بما زودها به من كتب قيمة مما ألف وما نشر وما صحح وما راجع وما علق وشرح .

وكان يمر باللغو مرأً كريماً ، بل عفواً رحيماً .

تعمده الله بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جنّته وألهمنا جميل الصبر على فراقه الأليم ، ورزقنا مرافقته في جنات النعيم . ووفق أنصار السنة للسير على منهاجه والاستمسك بمبادئه .

وهياً للأمة الإسلامية عالماً شجاعاً مخلصاً غيوراً يحمل راية الجهاد من بعده . إنه بالمؤمنين رؤوف رحيم .

فقيد العالم الإسلامي

الحمد لله الحى الباقي الذى لا يموت ، والصلاة والسلام على خير من بُعث ، وأشرف من مات ولم تمُت رسالته المباركة إلى أبد الآبدين .

أما بعد ، فبقلوب مكلومة ، وأكباد مفتتة ، نواسيكم فى فقيدنا الراحل ، فقيد العلم والدين والأدب ، بل فقيد العالم الإسلامى كله ، وإنا إذ نحزن لموته فإنما من أجل ذلك الفراغ الواسع الذى كان يشغله ، عليه الرحمة والرضوان بما لا ينتظر أو يملأه عديد من العلماء . وأكثر الألم لما فقدنا بفقده من مزيد من الذخيرة القيمة التى لا يعرف قدرها إلا من تذوقها واستزاد منها .

نسأل الله له رحمة واسعة ، ومنزلاً مباركاً ، جزاءً وفاقاً بما قدمت يداه . وما لقي فى سبيل الله من عنت ، وما صادف من صعاب ، محتسباً أجره عند الله وحده لا شريك له . غفر الله له ما فرط منه ، وألهمكم فى فقده صبراً ، وعوضاً فيه خيراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته جماعة أنصار السنة الحمديدية بالزقازيق

لا بد من الموت

لا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْمَةٍ	لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعُ عَنْ جَنْبِهِ ^(١)
يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ	وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ ، فَمَا بَالُنَا	نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ ^(٢)
يَمُوتُ رَاعِي الصَّأْنِ فِي جَهْلِهِ	مِيتَةُ جَالِينُوسٍ فِي طَبِّهِ ^(٣)
وَرَبَّمَا زَادَ عَلَى عَمَرِهِ	وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سَرْبِهِ ^(٤)
وِغَايَةِ الْمَفْرِطِ فِي سَلَمِهِ	كَفَايَةِ الْمَفْرِطِ فِي حَرْبِهِ

المتنبى

(١) ضجعة : رقدة : المضجع : الرقاد (٢) ما بالنا : ماشأنا . نعااف : نكروه .

(٣) جالينوس : يونانى قديم اشتهر بالطب والفلسفة (٤) سربه : نفسه .

إنا لله وإنا إليه راجعون

في الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم الجمعة ٧ رجب سنة ١٣٧٨ الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٥٩ ، طوى الموت علماً من أعلام الدين ، وشيخاً من شيوخ المسلمين ، وإماماً من أئمة سنة خاتم النبيين .

ففي يوم الأحد ٢٤ جمادى الآخرة دخل فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله ، مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية بالعجوزة ، وأجريت له عملية جراحية في اليوم التالي ، فنجحت العملية ، حتى سمح له الطبيب المعالج بالنزول من السرير . وفرح تلامذته وإخوانه بذلك ، ثم أصيب بعد ذلك بنزيف في موضع الجرح ، فأسرع الأطباء بالإسعاف والعلاج ، ولكن ماذا يجدى الإسعاف أو العلاج إذا حان الأجل ، وجاءت الساعة المحتومة . (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

وقبل فجر ذلك اليوم طلب ماء ليتوضأ لصلاة الصبح ، فقال له من كان حوله من الأبناء والإخوة : يكفينك التيمم وأنت على هذه الحال . فغضب وقال : أتريدون أن أتشرف بالمثل بين يدي ربي من غير وضوء ؟ إئتوني بالماء . فأحضروا الماء فتوضأ ثم صلى فريضة الصبح وقرأ في الركعتين سورة الرعد ، وبعد أن فرغ من صلاته ، وقبل أن تصعد روحه بدقائق طلب نقله إلى دار الجماعة لقد تذكرها في تلك الحال ، ولم يتذكر داره ولا ماله ولا أهله ولا ولده ، تذكر الدعوة التي أوقف لها جسمه وروحه وصحته ووقته وماله وولده وكل ما يملك ، تذكر الدعوة التي أفنى فيها شبابه وشيخوخته قرابة نصف قرن ، تذكرها فتذكرها . ولم يذكر غيرها . وعملاً بهذه الرغبة نقل جثمانه إلى دار الجماعة ، ثم ترمى النبا المفجع إلى أنصار السنة في القاهرة وضواحيها ، فنزل عليهم نزول الصاعقة وعقدت الدهشة ألسنتهم ، وجدّ الحول الدموع في مآقيهم ، وكادت الصدمة أن تطيش بعقولهم . ثم صاح بهم صائح الإيمان من قلوبهم : إن الله لم يجعل لأحد من البشر الخلد ، وإن كل نفس ذائقة الموت ، وأن الموت حق ، وأن لكل أجل كتاباً . ، فأخذوا يفيقون ويشعرون ويقدرّون الموقف

وفداحة الخطب ، إنهم قدبوا المرشد الناصح ، والأب الرحيم ، ورائد دعوة التوحيد فذرفت الدموع ، وحشرجت القلوب بالنحيب ، وهرعوا إلى دار الجماعة من كل صوب وحلب ، حتى امتلأت بهم الدار والشوارع حولها .

وفي الدار والشارع كنت ترى مناظر تفتت الأكباد ، ترى هذا يتصبر ويدعو لإخوانه إلى الصبر والثبات ، ولا يلبث هو أن ينفجر باكياً منتحباً وهكذا حتى حان وقت صلاة الجمعة ، فذهبوا إلى المسجد وأدوا الفريضة . ثم عادوا إلى الدار في انتظار تشييع الجنازة والحزن يملأ قلوبهم . ثم غَسَلَ الفقيد رضوان الله عليه تلامذته وإخوانه وكفنوه ، ثم حملوه على الأعناق حتى مسجد الهدارة : حيث كان رحمه الله يعظهم ويرشدهم ويعلمهم . فصلوا عليه بعد صلاة العصر . ولقد شهد الكثير أنهم على كثرة ما رأوا من الجنائز لم يشهدوا أكبر من هذه الجنازة ولا عدداً أكثر من الذين صلوا عليها ولا حتى نصفها . وقد كان جل المصلين من أنصار السنة المحمدية ، وقد امتلأت بهم رحاب المسجد في صفوف متلاصقة وصلّى مثلهم أو أكثر منهم خارج المسجد يبلغهم التكبيرات بعض الإخوان بالصوت المرتفع .

ومن اشترك في تشييع الجنازة من أولها السيد الحاج عبد الناصر حسين والد السيد الرئيس جمال عبد الناصر - حفظه الله ورعاه - وأصحاب الفضيلة وزير الأوقاف والشيخ عبد الرحمن تاج والشيخ محمد نور الحسن والشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد والشيخ أحمد حسين والأستاذ محمود عبد اللطيف وجميع مشايخ كليات الأزهر وأساتذتها وعلمائها وسفير المملكة العربية السعودية وكبار موظفي وزارة الأوقاف وقضاة المحاكم وكثير ممن لا يمكن احصاؤهم ، فقد كانت الجنازة شعبية عامة .

وكان من فضل الله أن أدرك الجنازة كثير من أنصار السنة بالاقليم الذين حضروا سراعاً بمجرد أن بلغهم النبأ . فحضر أعضاء من فروع الجيزة ونكلا وماحولها وفروع المنوفية وفرع طنطا وفرع الحلة الكبرى وفرع شربين وماحولها وفرع دمياط وغير هؤلاء كثير .

وبعد صلاة الجنازة أبى أنصار السنة إلا حمل النعش على الأعناق حتى المدفن حيث

وورى التراب بين البكاء والدعاء له بالمغفرة والرحمة والتثبيت . ولقد تبع الجنازة آلاف المشيعين من أنصار السنة . وكلهم كان يرجو أن يقضى هذا الجمل على الأعناق بنفسه وأبيه وأمه وولده . ولكن عز الفداء ، وعظم الخطب ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم عاد الناس مع المغرب إلى دار الجماعة وكل منهم واجم حزين تسيل من عيونهم العبرات ، وتتحرك شفاههم بالدعوات ، ولا تزال الدار حتى اليوم تغص بالوافدين عليها للتعزية والمواساة ، ولا تزال البرقيات ترد من جميع أنحاء العالم معبرة عن شعور العالم الإسلامى بأسره بفداحة الخسارة سائلة الله سبحانه خير الخلف .

ومن تلك البرقيات المواسية المعزية : برقية السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وبرقية جلالة الملك سعود بن عبد العزيز ، اللذين كان في عطفهما أكبر العزاء لأسرة الفقيد ولأنصار السنة المحمدية ، مما ألهج ألسنتهم بالدعاء لهما بطول العمر وأن يعز الله بهما الإسلام والعروبة القلب يحزن والعين تدمع ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . اللهم أجرننا في مصيبتنا ، اللهم أنت نعم الخلف . اللهم لا تفتنا من بعده ، ولا تحرمنا من أجره ، واغفر لنا وله . (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم) .

اللهم هذا عبدك (محمد حامد الفقى) قد أفضى إليك بما قدم ، اللهم تغمد به رحمتك ، واجعل قبره روضة من رياض الجنة ، اللهم آنسه في مرقد ، ووسع له في منزله . اللهم ارزقه أهلاً خيراً من أهله ، وداراً خيراً من داره . اللهم احشره في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنه جاهد في سبيل دينك وإعلاء كلمتك ، ورفع منار توحيدك ، وما زال في جهاد متواصل بقلبه ولسانه وقلمه ويده حتى أتاه اليقين . اللهم اجزه خير ما تجزى المجاهدين الأبرار وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

رشد سلمه

خلق الناس للبقاء ، فضلت أمة يحبونهم للنفاذ

إنما ينقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أو رشاد

المعري

أقوال الصحف ورسائل الإخوان

كتب الأستاذ الكبير محمد صبيح في جريدة القاهرة في عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٩/١/٢٠ تحت عنوان « المحارب الذي ألقى سلاحه واستراح » (الشيخ حامد الفقى) :
« ورجل آخر يقدر لى اليوم أن أودعه فى هذه اليوميات . اختار جوار ربه ، وهو أكرم جوار . هذا الراحل العزيز هو الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة لمحمدية .
هو المسلم المناضل عن عقيدة آمن بها وتملكته ، وسعى إلى خدمتها ماوسعه الجهد ، ووجد من حوله أنصاراً كثيرين . إنه الرجل الذى توفر على خدمة عشرات من المؤلفات الإسلامية لمدرسة ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب ، وقدم منها لقراء الفكر الإسلامى مكتبة كاملة .

إنه كان أيضاً سفير القاهرة إلى المذهب الوهابى فى البلاد السعودية^(١) ، لم تكف رحلاته إليها ولم يفته موسم حج إلا لعذر قاهر ، ومانع لا قبل له به .
إن هذا الرجل عاش فى معركة لاتهدأ فى سبيل ما اعتقد أنه الصواب . اتصلت بينى وبينه معرفة طيبة وصداقة كريمة منذ عشرين سنة أو تزيد .

حبيته إلى نفسى وطنية دفينه فى قواده وكره للاستعمار لم يكن يعرفه إلا الذين خالطوه

(١) كان فضيلة الشيخ الكبير رحمه الله سفير القاهرة إلى كل بلد إسلامى ، وبخاصة إلى أولئك الذين يدينون بدين الحق كما بينه الكتاب والسنة . أما كلمة الوهابية ، فلم ترد فى التاريخ إلا على ألسنة أولئك الذين عاصروا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وأطلقوا كلمة « الوهابية » على ما يدعو إليه . على حين أن الشيخ وأتباعه أبرياء إلى الله من هذه الكلمة ، فما دعا الإمام الناس إلى دين جديد أو مذهب محدث ابتدعه ، وإنما دعاهم إلى الإسلام الصحيح ونبذ ما ورثوا من مذاهب لا صلة لها بالإسلام الصحيح . وعقائدهى أمشاج من أديان وضعية شتى ، فكيف - وهذه دعوته - برضى أن تسمى دعوته بالوهابية . أو أن ينعت من هدام الله على يديه بأنهم وهايون ؟ الأولى والأجدر والأحق وهو ما سعى إليه الإمام الجليل أن يسموا المسلمين .

« الهدى النبوى »

عن كذب . إنه الرجل الذى كان يصحبني في جوف الليل - مطلع أيام الحرب العالمية الثانية - إلى مطبعته ، لكي تقوم معا بطبع المنشورات ضد الإنجليز والاحتلال البريطاني . وغند ما كان النور الكهربي أنى ينقطع عن المطبعة في حى عابدين كان يذهب إلى يته عبر ميدان عابدين ، ويحمل مصباحاً بالكبروسين يحقيه تحت عباءة ، ويعود لتتابع هذا العمل الخطر المضى الذى لو وقف عليه البوليس السيلسى ، أو عملاء الخبايا لزوجوه في السجن وصادروا مطبعته وهى مصدر رزقه . لقد اعتقلنى الإنجليز بعد ذلك ولم أجد رجلاً أودع لديه مكتبتي ومجموعات كتب الشهر إلا الشيخ حامد الفقى ، الذى ضاق بيته الصغير بهذه الوديعة ، حتى انتهت الحرب ، وانتهت أيام الاعتقال . إني أذكره الآن . أذكر أنه الرجل الذى حضر عقد قرانى وشهد على العقد وتلا دعاء الزواج وخطبته .

إنه الرجل الذى قد أخالفه في بعض آرائه ، ولكنى احترمتة دائماً ، وقدّرتة دائماً ، وزدت عن حرّيته في إبداء رأيه ، وفي بث نشاطه . إنه رجل محارب لم يكف عن النضال لحظة حتى جاءه بدوره الزائر الذى لا يملك كل حى إزاءه إلا الصمت والسكون الطويل . إنه الموت .

إني لا أشك في أن تلاميذ الشيخ حامد الفقى وأنصاره في كل مكان سوف يتابعون سنته . سنة الرجل الذى يجعل من الكتاب المؤلف السلاح الأول للدفاع عن الرأى . ويواصلون إمداد المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات التى كان الفقيد يعنى بإصدارها . رحم الله الشيخ حامداً . فهو أيضاً صديق يسبقنا إلى رحاب العلى الأعلى .

الهدى النبوى : نشكر للكاتب الكبير هذه الكلمة التى شيع بها بطلا من أبطال الحق ، ومجاهداً عظيماً عمل على أن يعيد الثقة إلى القلوب بهدى الله . نشكر له جميل وفائه . وصدق شعوره . وكريم نبه في الإخلاص لرجل عظيم أحب الإسلام وعمل على وحدة المسلمين . وجمع كلمتهم على القرآن والسنة ، ونعده بإذن الله أن نكون عند حسن ظنه الحق بالجماعة .

وقالت صحيفة الشعب الغراء على لسان الكاتب الأخ الأستاذ أحمد على بتاريخ ١٧ / ١ / ١٩٥٩ تحت عنوان « فقيد العروبة والإسلام الشيخ محمد حامد الفقى » :
 « لقد اختارك الله إلى جواره فى وقت نحن أحوج ما نكون إليك فيه ، فكيف أرتيك ، وأنت لا تحب الرئاء ؟ وكيف أبكيك ، وكنت أيضاً تنهاننا عن البكاء ؟ لقد علمتنا كيف تقابل الكوارث بالصبر ، ولكن الكارثة فى مصابك أكبر من أن تتحملها النفس فقد كنت فىنا الأب والأخ والصديق .

لقد شئت إرادة الله أن تنتقل إلى جواره بعد أن أدت الأمانة خير الأداء ، فكنت مثلاً طيباً للصديقين والشهداء ، وأصبحت أكبر من الدموع ، وأقوى من الأحزان .
 وفى نفس العدد كتب الأستاذ عبد الوهاب دنيا المحرر بالصحيفة : « عبد الوهاب دنيا ينمى إلى العالم الإسلامى الأستاذ العالم الحجة الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ، ويتهلل إلى الله أن ينزله منازل الصديقين البرة جزاء ما قدم للعلم والإسلام وأن يلهم مريديه وتلامذته وأسرته الصبر وأن يعوضهم عنه خيراً » .

هذا وقد امتلأت أعمدة الصحف بنمى الراحل العظيم من إخواننا ومعارفنا ممن ينسبون إلى الجماعة ، ومن لا ينتسبون إليها .

نعم فى الصحف « اتحاد خريجي الأزهر ، وأبناء كلية اللغة ، وأبناء دار العلوم والأستاذ عبد الدود الخولى ، والأخ محمد محمد مبارك ، والأخ محمد غانم ، وأسرة التجارة الثانوية ، وأسرة اللغة العربية بتجارة الظاهر الثانوية ، وطلبة دبلوم ١٣ بتجارة الظاهر .

أما فروع الجماعة فقد تسابقت إلى نعيه فى الصحف ، وكان فرع المحلة السباق إلى هذا ، فقد نعماء مجلس إدارة الفرع ، ونعته مدرسة الهدى النبوى والنادى الرياضى التابعان للفرع بالمحلة الكبرى ، وفروع منطقة شربين كلها والمنصورة ودمياط ونكلا ومصر الجديدة . وغيرهم وغيرهم .

وقد جاء فى رسالة من فرع الجماعة بالربا مركز صدفا بأسىوط ما يأتى : « بلغنا وفاة المجاهد الكبير الشيخ محمد حامد الفقى تغمده الله برحمته منه وفضل ، فكان له وقع شديد فى نفوسنا

وذلك لفقد علم من أعلام السنة جله الله سبباً لهداية ملايين من البلاد الإسلامية .
وكذلك أرسل الأخ كزار أحمد محمد رسالة تفيض بالأسى واللوعة . والأخ الكريم
محمد حسن أحمد داود من الاسكندرية .

وقد جاءتنا بريقة وقمها مسلم ومسيحي جاء فيها : « عز علينا فقد الأب البار من بيننا وهو
الحجة الفقيه ثقتنا وثقة أنصار السنة أسكنه المولى الكريم فسيح جناته ، وأسبغ عليه وعلينا
من بعده رحماته وعوض عارفي فضله خيراً يبقى مع ذكره خالد أبداً الدهر ، وإنا لله وإنا
إليه راجعون » طه مدين - إدوار أبراسيان .

وقد نعاه في جريدة الأهرام الدكتور ماهر مسيحة بهيئة القنصل : وهكذا كان الشيخ
رحمه الله ، يطبق الإسلام تطبيقاً صحيحاً في معاملاته مع الناس جميعاً مسلمهم وغير مسلمهم .
ويقول الأستاذ الحاج ماهر إسماعيل الداعية إلى السنة النبوية ببلانه ببلاد النوبة :
« كان لنعي المرحوم الشيخ حامد الفقي رئيس الجماعة أثره البالغ في نفوسنا لما كان له من
الأثر في الدعوة إلى الله ، ونشر سنة رسول الله ، وما كان يؤمن به من معاني الكتاب
والسنة ، وعلم الله أنه كان عالماً جليلاً يشار إليه بالبنان في شتى مراحل حياته التي قضاها
مبرزاً بدعوته ، عاملاً بحجته ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه جنات الخلد التي أعدها
للخالصين من عباده ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

إخواني : أكتب إليكم معزياً في الفقيده من أعماق قلبي ، فقد اهتزت لفقدته ،
وتأسفت لوفاته ، لما كنت ألتبس من صفحات حياته ، وأعرف من أصول دعوته ، فإله
أرجو وإليه أضرع أن يحفظ دينه ، وينشر دعوته ، بما يتخذها من عباده المؤمنين .
وأسأله تعالى أن يجعل للإخوان خلفاً خيراً سلف ، والله المستعان ، وصلى الله وسلم وبارك
على نبينا محمد وآله أجمعين » .

ويقول الأستاذ عوض صالح حسن معروف رئيس الوحدة الاجتماعية ببلانة :
« ببالغ الأسى والحزن تلقينا بالأمس خبر وفاة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي رئيس
الجماعة ، وقد وقع خبر وفاته كالصاعقة علينا وعلى جميع إخواننا الذين كانوا يعلمون بجهادهم

العظيم في سبيل الله ، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يسكن الفقيد فسيح جناته ، ويدخله مدخلا كريما ، وهذه سنة الله في خلقه . والمصيبة عظيمة وفادحة ، ولكنها امتحان من الله تعالى لنا . هل نستطيع أن نواصل جهادنا ونسير بدعوة الله إلى الأمام كما كان معنا ؟ .
إن رجاءنا في الله خير وأن نسمع عن الجماعة أحمد السير في طريق التقدم بالدعوة العظيمة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .»

ويقول الأديب فتحى سليمان كلفت الطالب بدبلوم المعلمين بقورته ببلاد النوبة :
« كان يوم الاثنين ١٩ يناير كئيباً حزيناً بالنسبة لى ، ولعل هذه الحالة السوداء قد مرت بأنصار السنة قبل أن تمر بى . . أجل . . قد مرت بهم فى يوم الجمعة ١٦ يناير سنة ١٩٥٩ فحوت بهجة أنصار السنة المعهودة فى أيام الجمع وحبورهم إلى عبوس . ففى ذلك اليوم بلغنى أن الله اختار لجواره فضيلة الرئيس الشيخ محمد حامد الفقى ، وأن الحنة كانت قاسية لا يتحملها إلا الصابرون ، وهم قليلون ، تجهمت وقتئذ وما زلت كذلك ، الفجعة ولا شك عظيمة ، فقد مات رجل الإنسانية والسنة الحمديّة . لقد كان إنساناً بكل ما فى الكلمة من معنى سام ، أعزى الإنسانية فى ذلك العام الذى رفع راية الدين القويم ، لقد جاهد فعلا فى الله حق جهاده ، ظل كالطود قوياً لا يتزعزع ، عملاقاً لا ينال منه الأقرام من كل سنح وجنس ومذهب ، ومع كل هذا لم يتطرق الغرور إلى نفسه ، ولم تبطره نشوة الانتصار فى أكثر من ميدان ، وظل يبحث وينقب وينشر نور التوحيد حتى وافته المنية .

والموت يختار النفيس لنفسه منا كما نختار نحن فما اعتدى نظرت إلى نفسى « كترموتر » لأفيس به مدى تأثر أنصار ونصيرات السنة ، بفقد أيهم الروحى ، فوجدت المؤشر ينذر بالخطر . . إذ كان حزنى مما لا يمكن ذكره . فقلت فى نفسى : أنا عُشر ، أو واحد من مائة ، أو دون ذلك من أقل أنصار السنة ، فما حال المتوسطين . ثم الذين فوقهم .

عزائى إليكم جميعاً ، وإلى الذين يمتنون إلى الفقيد بصلة مادية كانت أو روحية .
تعمد الله فقيدنا برحمته الواسعة ، وأسكنه فسيح جناته التى وعد بها أوليائه الصالحين ،
ووهبكم الصبر وقوة العزيمة لتمضوا فى الطريق قدماً إلى الأمام ، وطبت حياً وميتاً .

ونشرت مجلة الشبان المسلمين الفراء في عددها الصادر في شهر رجب سنة ١٣٧٨ تحت عنوان (فقيد العروبة والإسلام الشيخ محمد حامد الفقى) :

انتقل إلى رحمة الله في الساعة الخامسة وخمس دقائق من صباح يوم الجمعة ٧ رجب سنة ١٣٧٨ الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٥٩ فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية . بعد أن أفنى عمره العاشر بالصالح والتقوى في خدمة الدين والإسلام . وقد تخرج الفقيد - رحمه الله - في الأزهر الشريف حيث نال شهادة العالمية عام ١٩١٧ وانقطع منذ تخرجه إلى خدمة كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين . وجعل منها نبزاً يسير على هداه وطريقاً مستقيماً لا يسلك سواه .

وقد أنشأ المغفور له الشيخ محمد حامد الفقى جماعة أنصار السنة المحمدية في عام ١٩٢٤ تقريباً . حيث كان كبار موظفى قصر عابدين يحمون أهل البدع وعباد الطواغيت . وحاولوا بكل السبل صد الناس عن مقابلته والاستماع لدعوته حتى سخروا له من شرع في قتله . ولكن صرخة الحق أصمت آذانهم وكلمة الله فلت جموعهم . وانتصر الإيمان الحق على البدع والأباطيل .

وظل الشيخ محمد حامد الفقى يعلن كلمة الله العليا ويواصل حربه على الضلال . . . ولم يقصر في نشر دعوة الحق للناس عن طريق محاضراته وعظاته ، أو عن طريق الكتابة في مجلة « الهدى النبوى » التى تصدرها الجماعة . . أو عن طريق الكتب العديدة التى ألفها أو قام بتحقيقها .

وكانت دعوته تقوم على إرشاد الناس إلى أخذ دينهم من نبعه الصافين : صريح الكتاب وصحيح السنة . . ومجانبة البدع ومحدثات الأمور والخرافات .

وبقى الشيخ محمد حامد الفقى على عهده يعظ الناس ويخطب فيهم فى مسجد المدارة - ببغداد - الذى كان إمامه . . وعندما أحيل إلى المعاش أبقت له وزارة الأوقاف ليوصل فيه دعوته . . وظل يخطب فيه ويلقى الدروس دون أجر بل تطوعاً لوجه الله ولخدمة الدين الحنيف . . وقد أثمرت دعوته . . فعند ما جاءت حكومة الثورة المباركة حاربت البدع

والخرافات وعملت على تطهير الموالد من الخزعبلات التي تشوه جلال الدين وأخذت بكثير من آرائه القيمة في أمور الشرع . فاطمأن قلبه وارتاح ضميره . ومات رحمه الله و « أنصار السنة المحمدية » يملأون الأرض إيماناً في السودان والحجاز وسوريا والعراق وأندونيسيا وأسمرة وسيام وارتيريا وجميع بلاد العالم الإسلامي عدا كثير من الفروع في مختلف المحافظات والمديريات والمراكز في الإقليم الجنوبي للجمهورية العربية المتحدة .

وقد أجرى الشيخ محمد حامد الفقي في أخريات أيامه عملية جراحية بمستشفى العجوزة ولكن حدثت له مضاعفات شديدة بعد إجرائها . وتوفي في المستشفى وقلبه يلهج بذكر الله . وبعد أن فاضت روحه الكريمة إلى بارئها أصدر السيد وزير الأوقاف - مشكوراً - أمراً بإبقاء مسجد الهدارة الذي كان يخطب فيه لتقيم فيه جماعة أنصار السنة المحمدية صلاة الجمعة وتواصل جهودها .

... لقد كانت خسارة العالم الإسلامي في فضيلة المغفور له الشيخ محمد حامد الفقي فادحة ، كما كانت فجعة المسلمين فيه كبيرة . . ولكن الذي يعوضنا جميعاً ويخفف أحزاننا أن دعوته قد أثمرت وأن مبادئه قد صارت ملء القلوب والأسماع .

و « الشبان المسلمين » تدعو الله أن يتغمده برضوانه ويسكنه فسيح جناته . ويلهم ذويه وتلاميذه ومريديه الصبر والسلوان . »

اسأل الله

قال أبو العتاهية .

ألا أيها الطالب المستغيث بمن لا يفيد ولا يرفد
ألا تسأل الله من فضله فإن عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردّ وأحشاؤه ترعد
ففر إلى الله من لؤمهم فإني أرى الناس قد أصلدوا

برقيات التعازى

برقية الرئيس جمال عبد الناصر

تفضل زعيم العروبة العظيم ، فأرسل إلى الجماعة هذه البرقية « للفقيد الرحمة ، وللأسرة خالص عزائى ومواساتى » هذا وقد اشترك السيد الجليل والد الرئيس فى تشييع الجنازة والصلاة عليه . إذ هو - أمد الله فى حياته ، ومتعه وتمتع المسلمين والعرب بحياة شبله العظيم الرئيس جمال عبد الناصر - من السابقين الأولين فى نشر دعوة الحق فى ربوع الاسكندرية .

برقية جلالة الملك سعود

لقد تأثرنا لوفاة الفقيد الشيخ حامد تغمده الله برحمته وألهمكم الصبر .
برقية سمو الأمير فيصل رئيس مجلس وزراء المملكة العربية السعودية وولى العهد كدبرنا وفاة والدكم عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم ، وتغمده برحمته .

برقية فضيلة الأستاذ الجليل شيخ الجامع الأزهر

« أعظم الله أجركم فى مصابكم^(١) » .

برقية فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف

« أحسن الله عزاءكم » هذا وقد اشترك فضيلة الأستاذ الكبير فى تشييع الجنازة بنفسه من دار الجماعة. حتى الصلاة عليها فى مسجد الهدارة حيث كان يخطب الفقيد العظيم .

برقية فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسن مأمون مفتى الجمهورية العربية المتحدة

« نشاطركم أحزانكم »

(١) نبتل إلى الله أن يمن على فضيلة الشيخ الجليل بالشفاء ، وأن يوقه فيما نصب نفسه له وهو أن يعيد إلى الإسلام رونقه وبهاء وصفاء .

برقية سمو الأمير السعودي خالد الناصر

« تأثرنا لوفاة الوالد تغمده الله برحمته وأحسن عزاءكم » .

برقية فضيلة الشيخ الجليل مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم

« أحسن الله عزاءكم في والدكم الشيخ حامد الفقي تغمده الله برحمته ، وألهمكم الصبر

والبركة فيكم بخير » .

برقية فضيلة الشيخ الجليل عبد الملك بن إبراهيم رئيس هيئات الأمر بالمعروف بالحجاز

« تكدرنا لوفاة والدكم ورئيسكم نصير السنة الشيخ حامد الفقي . غفر الله له ورحمه وأدخله

فسيح جناته ، ورفع درجته أحسن الله عزاءكم وجبر مصابكم » .

برقية الأستاذ الكبير سعادة الشيخ حافظ وهبه سفير المملكة السعودية في لندن

« يحزنتني أن أسمع هذا النبأ الفاجع . للفقيد الرحمة والرضوان ولكم الصبر الجميل » .

برقية عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين

« يمنعني المرض من مواساتكم بنفسى ، فألهمنا الله صبراً وعزاء » .

برقية فضيلة الشيخ الكبير عبد اللطيف بن إبراهيم

مدير عام المعاهد والكلديات بالرياض

« نعزيكم في الشيخ محمد حامد الفقي غفر الله له ورحمه وخلفه عليكم بخير » .

برقية فضيلة الشيخ الجليل رئيس القضاة بمكة

« ساءنا وفاة والدكم الشيخ حامد ، غفر الله له وألهمنا وإياكم الصبر » .

برقية الأستاذ الكبير « محمد عمر دمرdash » وكيل الأوقاف السابق

« رحم الله الفقيد الكريم ، وأنزله منازل الرحمة والرضوان ، وأجل عزاءكم » .

برقية العالم الإسلامي الجليل الشيخ محمد نصيف بمجدة

« عظم الله أجركم والجماعة في الفقيد الشيخ حامد الفقي ، رحمه الله ووفقكم الله جميعاً لما فيه رضاه آمين »

وجاء من الأخوين الكريمين فضيلة الشيخ محمد الحركان قاضي جده والشيخ سليمان الصنيع مدير مكتبة الحرم المكي وعضو مجلس الشورى .

« نشاطركم الأسي لوفاة نصير السنة وفقيد الجميع تغمده الله برحمته » .

وجاء من الأخ الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم نجل فضيلة المفتي الأكبر بالملكة السعودية ، ومن شقيقه الأخ الأستاذ الشيخ إبراهيم مالمى :
« من الأول » .

« نغزيكم في الفقيد ونرجو له الرحمة ، ولكم جميل الصبر » .

ومن الثاني :

« أحسن الله عزاءكم في والدكم تغمده الله برحمته وألهمكم الصبر والسلوان » .

ومن الشيخ عبد الله السعد بالرياض .

« أحسن الله عزاءكم ، وعظم أجركم ، بوفاة فضيلة الوالد ، أسكنه الله جنات النعيم ، وألهمكم الصبر والسلوان ، وعوض الإسلام خيراً فيه وفي أمثاله » .

ومن الأخوين الكريمين عمر باد حدح وسعيد العمودي من أنصار السنة بمجدة ومن كبار تجارها .

« عظم الله أجر الجميع في فقيد السنة الحمدي ، ونسأله تعالى أن يقابل الفقيد بما يرضيه ويعوضنا خيراً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

ومن فضيلة العالم السلفي الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى عميد كلية اللغة العربية السابق .
« عوضكم الله خيراً »

ومن الإخوة الأجلاء الشيخ عبد الله حمد ، وإسماعيل . وحسن قسم السيد عن جماعة أنصار السنة بالأبيض ، السودان .

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنين قوم تهدما
أحسن الله عزاءنا في قد المرشد الإسلامي الجليل . إنا لله وإنا إليه راجعون .
عضوا على الدعوة بالنواجذ ، وسيروا بها قدما^(١) .

وقد جاءتنا برقيات من الإخوان والأصدقاء ، نذكر منهم مع حفظ الألقاب :
مراد صبار ، وهبي جمال سليم ، عبد الله بهجت أحمد ، حسون أحمد العدل ، عبد المهيمن
السمح ، جماعة السيدات المسلمات برئاسة السيدة الجليلة حرم الدكتور محمد عبد الحى ،
زكريا حسن ، محبوب مختار عن إخواننا جماعة أنصار السنة بالسودان ، زغلول
شعبان ، محمد محمد أبو علو ، جماعة أنصار السنة ببور سعيد البلد ، جماعة أنصار السنة
بسوهاج ، محمود زاده ، عبد الحميد الحفناوى يسيون ، محمد عبد الرحيم ، ماهر إسماعيل ،
عبد الرحمن بركة ، عثمان حاج ، محمد حسين السيد وولده نوح ، وجماعة أنصار السنة
بمخان يونس ، حامد نظيفة ، أبو الفضل إبراهيم ، حسين محمد عبده ، محمد عبد الوهاب البنا ،
وأحمد عثمان ، صابر عبد الرحمن ، على محمد ، عبد الهادى السيد عجاج ، حسين أيوب ،
جعفر صالح ، زكريا حجا ، أحمد بدوى ، عمران حسن ، آدمون ومحمد عبد الحميد ، سركيس
اسبجنيان ، محمود الشرقاوى ، يوسف وهبي بالخرطوم ، عثمان عبد الرحمن العجيل ، على
الخفيف ، عبد الفتاح القاضى ، محمد على الداعر ، محمد عبد القادر ، محمد بدر الدين الفقيه ،
محمد محمد السمان ، عبد الهادى السيد عجاج ، شريف إبراهيم ، محمد عبد الحليم قطيط ،
مصطفى عبد الجواد ، محمد احمد حاج ، عبد اللطيف حمزة ، صالح معروف ، عوض معروف .
هذا قليل من كثير مما أ برق إلينا به أولئك الكرام الذين أحسوا بفاجعة العالم الإسلامى ،
في فقيد الإسلام العظيم ، وفي العدد القادم نشر بقية البرقيات ، ونعتذر عن عدم ذكر
الألقاب ، ونؤكد أن الترتيب جاء على حسب ورود البرقيات .

(١) لبطمن إخواننا أنصار السنة في السودان الشقيق ، إنا بإذن الله وعونه حريصون
كل الحرص على دعوتنا حتى يتحقق الهدف الأكبر ، وهو توحيد العالم الإسلامى تحت
راية القرآن .

عزاء يا أنصار السنة

كلمة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن راشد

عزائي إليكم جميعاً يا أنصار السنة في الأستاذ الرئيس الشيخ حامد الفقي ، كما أعزى آله ، وأعزى نفسى بقول النبي صلى الله عليه وسلم عند المصيبة : « إنا لله وإنا إليه راجعون . إن الله مأخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى » فلنصبر ولنحتسب ، كما أذكر الأخوان ونفسى ، بقول الله تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم »

رحم الله الشيخ حامداً ، وألحقه بالصالحين ، وجزاه خيراً على قيامه بنشر الدعوة إلى توحيد الله ، وعوض الجماعة فيه خيراً ، وأحسن الله عزاءنا فيه . لقد ترك في الجماعة فراغاً قل من يسدها ، ولكن أملنا ورجاءنا في الله كبير أن يجعلنا جميعاً خير خلف لخير سلف .

فلقد ناضل رحمه الله عن توحيد العبادة لله خير نضال ، وعمل على هدم الشرك وبيان مداخله على جمهور الناس فوق الأربعين عاماً ، بطرق وأساليب برز فيها وبز بها جميع الدعاة من أهل عصره . غير هيب ولا وجل ، لا يخاف في الله لومة لائم .

لقد أثمرت هذه الجماعة المباركة التي أسسها رحمه الله ورعاها حق الرعاية ، حتى أثمرت وأبنت الخير الكثير - والله الحمد والمنة - فعلها ، والحالة هذه ، أن تحافظ على هذا التراث العظيم ، الذي هو دعوة جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وعلى كل فرد من أفراد الجماعة ، وقد ذاق الجميع حلاوة التوحيد ، أن يبذلوا في سبيل كل مرتخص وغال ما وسعهم الجهد . ولا يثنى عنهم عن متابعة نصرة الحق وإعلاء كلمة الله أى عائق .

فاعملوا يا أنصار السنة على تطهير القلوب والعقول ، وخصوصاً في هذا الزمن الذي كثر

فيه إلحاد للادين ، واستهتار الجملة بالدين وأهله ، والخروج على شريعة المسلمين ، وهدم دعوة المصلحين .

فدعوتى إليكم - يا أنصار السنة - أن لا تجمعوا للشيطان سبيلاً إلى تثيبتكم بعد فقد رئيسكم ، وإدخال اليأس إلى قلوبكم : واذكروا قول الله تعالى حين أرجف المناقون وأشاعوا بأن محمداً قد قتل : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً) إلى قوله (والله يحب المحسنين) . أنزل الله هذه الآيات ليأخذ المسلمون منها العظة والعبرة ، وليثبتوا عند الشدائد والحن ، ليميز الله الخبيث من الطيب .

فاصبروا وصابروا يا أنصار السنة - فبالابتلاء يمحس الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين .

والذى أوصى به كل مسلم وخصوصاً جماعة أنصار السنة الحمديّة ، أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من تبليغ دعوة التوحيد إلى الناس أفراداً أو جماعات وعلى الداعية أن يكون على علم وبيئة مما يأمر به وينهى عنه ، وأن يكون قدوة صالحة ، عملاً وقولاً ، فيما يأخذ ويدع . وعليكم أن تتكاتفوا وتعاونوا لتكون جماعتكم منبعاً لصوت الحق ، ودعامة يلتفتون حولها . والله أسأل أن يسدد خطانا جميعاً ، ويجمع كلمتنا على الإسلام ، وأن يهدينا وأمتنا لما اختلف فيه من الحق بإذنه .

وصلى الله وسلم على إمام الدعاة والمصلحين ، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

شكر

أنصار السنة الحمديّة يتقدمون بجزيل شكرهم إلى كل من واساهم في فقيد الإسلام والعروبة فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد حامد الفقى رئيس الجماعة . سواء من اشترك منهم في تشييع الجنازة ، أو اعتذر بالمرض ، أو أرسل برقية ، أو رسالة ، أو حضر بنفسه إلى دار الجماعة . ونسأله تعالى أن يجزيهم خيراً ، وأن يشكر لهم سعيهم ، وجميل مواساتهم .

« امام السلفيين »

جاءتنا كلمة مطولة من الأخ الكريم محمد علي حسين نجزيء - لضيق المكان منها بما يأتي شاكرين معتردين :

كان يأمرنا بتقوى الله ومراقبته في جميع شئوننا وفي نشر دعوة التوحيد والسلفية بالحسنى والدليل . . مع الحرص كل الحرص على التمسك بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون .

وكان حريصاً على توديعنا قبل سفره إلى ضيافة الله بقوله [أسألكم بالله إن كان لأحدكم مظلمة عندي فليعرضها عليّ ، فإن كنت أسأت إليه في وقت كنت فيه غضبان - ولست بالمعصوم - فهذا جسي فليقتص مني ، إنما أنا منكم وأتم مني ، وإنما أنا بكم كما أنكم بي . . بالله أناشدكم أن لا تتركوا في قلوبكم شيئاً إلا وأظهرتموه لي حتى أكون على بصيرة من ظلمي لنفسي أو لأحدكم] .

ولا ننسى أبداً ما كان يحتم به درسه مودعاً للجميع بقوله :

[أستودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم ، فإنه من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له] . . . وبعدها يصلي ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينصرف ذاهباً - في ساعة متأخرة من الليل إلى بيته يتبعه إخوانه وتلاميذه حيث يقضى بقية الليل بين أهله ويصبح مبكراً إلى المطار ليطير بسلامة الله وقلبه عامر بالإيمان إلى ربه الكريم وبيته المحرم .

كانت حياته وخطبه ودروسه ومؤلفاته وسفره لنصرة التوحيد وإقامة دين الله صابراً محسباً لا يبالي بكلام الناس حتى العلماء منهم ولا يخشى في الله لومة لائم .

وهنا يجدر بي أن أذكر مئات الألوف من أنصار السنة الحمديدية المنتشرين في أرض الله الواسعة :

مامات من ترككم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلكم محمد حامد الفقي .

فأنتهوا حول المركز العام معتصمين بحبل الله متعاونين على البر والتقوى ولتذكر كل

محب لفقيد العروبة والإسلام كلمة مختصرة قالها لى مرة أخوكم الحبيب الوكيل الأول الأستاذ محمد صادق عرنوس رحمه الله قبل وفاته بقليل بالمدينة المنورة .

[. . لا تقطع زيارتك للأخوان فى مصر وإذا ما زرت الجمعية فكأنما زرتنا ، فالهدف واحد والغرض متحد ، ونسأل الله أن يمن علينا بالرضا وحسن الخاتمة] .

فالتفوا حول المركز العام وأتموا مأسسه وما بناه وما تركه من ميراث السلفية والتوحيد الخالص . . وإن كان الكل قد خففته العبء عند سماع خبر وفاة الأستاذ الإمام أبى الطيب ولنقل ما أمرنا الله أن نقوله (إنا لله وإنا إليه راجعون) وما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عند موت فلذة كبده « القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول إلا ما يرضى ربنا » . . وإنا بوفاة أبى الطيب لمحزونون وعلى فراقه باكون وعلى مصيبتنا به صابرون محتسبون . . يرحم الله إمام المسلمين فى هذا العصر فلقد كان آخر دعاء له ونصيحة منه لنا نشرتها مجلة الهدى النبوى فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ قبل مرضه الأخير وشهر رجب هو الذى توفى فيه .

[. . . نفعنى الله وإياكم بما فى القرآن الكريم من الآيات والذكر الحكيم . وجعلنا من الذين يتلونه حق تلاوته ويفهمونه حق فهمه . ويعرفون مقاصد منزله سبحانه منه . وعرفنا ما أراد لنا من إجمال كل شىء ثم تفصيله وآتانا من فرقان القرآن ما فرقه ونميز به الخير والشر والطيب والخبيث والنافع والضار والهدى والضلال . والحق والباطل والنور والظلمات والحكمة والسفه والرشد والغى والتوحيد والشرك والإيمان والكفر والتقوى والفجور والطاعات والعصيان وأسباب القوة والعزة والرقى والسمو على معارج الكرامة وأسباب الضعف والتدهور والتسفل فى درجات اللهو والفسوق والانحلال الخلقى ومحاربة سنن الله العليم الحكيم .

والله نسأل أن يجعل قبره روضة من رياض الجنة وأن يبدله أهلاً خيراً من أهله وداراً خيراً من داره وأن لا يحرمنا أجره ولا يفتتنا بعده وأن يغفر لنا وله وأن يلحقنا به على الإيمان الصادق والعمل الصالح .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد على حسين

شبين القناطر

أستاذنا الراحل

بقلم الأستاذ الفاضل عبد الحليم محمود

إخواني :

لقد هز كياني هذا النبأ المفجع ، نبأ لحاق أستاذنا المبرور المجاهد الشيخ محمد حامد الفقي بالرفيق الأعلى . إن الموت حق وإن الآخرة خير وأبقى . ولكن هذا الجهاد المتواصل ، وهذا الصوت الصارخ الفتي ، وهذه العقيدة السليمة ، وهذا الإيمان العارم القوى ، وهذا الالتفاف الحاشد على مبدأ التوحيد ، كل أولئك كان له رنينه وله صدهاء وهو ينبعث صوتاً حاراً من لسان أستاذنا الراحل .

فلا غرو إذا أحس تلاميذه وحواريوه بالوحشة حين فقدوه ، وبالحزن يعتصر قلوبهم حين تلفتوا حولهم فلم يجدوه . ولكن عزاءهم أنه خلف وراءه من يحملون الرسالة ويرفعون المشعل ويحرصون على اللواء .

عزائي في هذا المصاب الجلل أيها الأخوة الأحبة من الأنصار - لنفسي أولاً ثم لكم جميعاً باسمي وباسم الجماعة التي أمثلها - جماعة الرباط الاجتماعي - وهي فرع من جماعة أنصار السنة المحمدية ووليدة تربت في حجرها .

أرجو لتفقدنا الكريم أن ينزله الله منازل الأبرار ولإخوانه وأبنائه من الأنصار ، أن يسدد خطاهم ويجزل لهم المثوبة وينصر بهم الدعوة ، ويجمعهم على الهدى والسلام .

أفؤكم

عبد الحليم محمد حموده

رئيس جماعة الرباط الاجتماعي

شكراً يا فضيلة الأستاذ الكبير

شكر مرفوع إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ « أحمد حسن الباقورى » وزير الأوقاف توجه وفد جماعة أنصار السنة المحمدية إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ، لشكر فضيلته على تعزيتة الكريمة فى وفاة فقيد الإسلام العظيم رئيس الجماعة ، ولقى الوفد من الوزير الشاب المجاهد الساحة المؤنسة والأريحية النبيلة ، وحينما رجاء الوفد أن يظل المسجد الذى كان يخطب فيه الشيخ الكرم الراحل لأنصار السنة المحمدية يقيمون فيه الشعائر ويخطبون الجمعة . تفضل الأستاذ الكبير مشكوراً مدعوأ له من الجميع . فقال : « إن فضيلة الشيخ حامد كان والدأ لنا وأستاذأ للجميع » . ثم حقق لنا فضيلته هذا الرجاء الكريم .

وإننا لنرفع إلى الوزير العظيم أخلص الشكر ، وتؤكد له أن منبر هذا المسجد سيظل مناراً لدعوة الحق ، ونبتهل إلى الله سبحانه أن يجزيكم عن الدين الحق وأهله أعظم الجزاء . وللأستاذ الكبير آيات زاهرة مشرقة من البر بدعوة الحق ، يكتب الله بها جميل الثواب عنده . ألهمكم الله السداد والتوفيق ، وأعز بدعوتكم الإسلام الصحيح والداعين إليه^(١) .

(١) وبهذه المناسبة نشكر فضيلة الشيخ الكريم شية الحمد الفقى إذ هو الذى بدأ الحديث فى مسألة المسجد . وأخانا الأستاذ المحامى الكبير الأستاذ محمود أبو زيد ، فهو الذى جاهد حتى تمت كل الإجراءات .

تنبيه الأذهان

تأليف الأخ الأستاذ محمد صالح - سعادته

كتاب قيم يؤيد دعوة الحق بحجج دامغة وأسلوب ممتع ، ويهدم دعوة الباطل ، ويرد كيد أعداء الدعوة إلى نحورهم . صدر فى ٢٧٢ صفحة ثمنه ٢٠ قرشاً يباع فى مكتبة الجماعة .

شهيد الإسلام البار

حمل إلينا البرق نبي الإمام شهيد الإسلام ، قائد أنصار السنة المحمدية وحامل لواء القرآن الشيخ محمد حامد الفقي ، فرحة الله تظله تحت كنفها الدافئ الجميل ، وما عند الله خير وأبقى .

لقد هز الخبر نفوسنا هزاً عنيفاً ، وكان الفراق علينا شاقاً ومؤلماً ومخزناً وعصيباً ، ولكنها غاية كل حي ، ومصير كل إنسان ، وكل من عليها فإن . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

استشهد القائد الجريء ، والمركة في عنفوانها مشبوبة الأوار ، عنيفة الصدام ، وقد تكشفت نواجزها الحادة ، والخطر الداهم يحتم متربصاً متحفزاً ليقضى على تراث السلف ، ويمحو مبادئ القرآن وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجنود السنة المحمدية في أشد الحاجة لقيادته الحكيمة ، وإرشاداته القوية ، وفهمه السليم ، وعلمه الغزير ، وتجاربه النافعة ، وحيويته الدافقة ، وإيمانه الصادق ، ووفائه الأكيد ، وإخلاصه الصحيح .

فإنا لله وإنا إليه راجعون .

واقائده !! صرخة من أعماق القلوب ، أبت إلا أن تجلجل وتملأ الفضاء على الرغم من التحمل الجليل على المصاب الجليل ، ولكننا بقضاء الله راضون وبحكمته مؤمنون ، وعلى ماأصابنا إن شاء الله لصابرون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وإماماه !! من السنة الفراء يجلو غامضها في دقة كاملة وبيان شافٍ ليرتع المسلمون في رياضها الفناء ، فتجلو صدأ قلوبهم وتسمو بأفكارهم وأرواحهم ، وتحفظ عليهم إنسانيتهم الكريمة ، وترفعهم عن مواطن الذل والخنوع ، فتمتلئ نفوسهم بالحرية السامية وتعاف الخضوع والخشوع لغير الله رب الأرباب - إنه والله لفقد أليم لايعوض ، وخطب جسيم لاينسى ، وألم داخلي لا يفتأ ينكأ جراح الذكرى فيجدد الألم . فلنا العذر إن أبت الدعوى أن تقف منحدره تبل اللحى ولعل في الدمع مايشفي اللوعة ، ولكننا لا نقول إلا مايرضى الرب :

واشهاداه !! من للبدعة الجائرة البَخيفة يدمغها بالحجة القوية الحاسمة ، ويدمغها بالأدلة الرشيدة الساطعة ، ويردها بالقول الثابت النير ، ويحاربها حرباً شعواء لاهوادة فيها ولا لين ، حتى يبين عوارها ويبدد فسادها فيصفو الاعتقاد المشوب بعد الكدر ، وتطهر العبادة الممزوجة من الأدران والغير ، فتمتلئ القلوب بحلاوة الإيمان ، ويربح الناس ما يترتب عليهما من فوائد لا تقدر بشئ ، ولكننا رضينا بما يرضى الله ، ولا راد لقضاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وامحمداه !! في جنة الخلد الملتقى إن شاء الله . لقد عشت كريماً ومت عظيماً وجاهدت في الله حق جهاده ، وأخلصت العبودية لله وحده فما أخافك سلطان الأرض وما غرّتك زخارف الدنيا ، فإلى ثواب الله ورحمته مصيرك إن شاء الله .

المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان

يوسف عمر أغا

النكرتير العام

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمحللات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والحبال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحمزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

سلام عليك في مثواك

إخواني أنصار السنة المحمدية ، وأسرة الفقيده .

إنها والله القارعة والكارثة ، ولكنه ابتلاء عظيم فهل لنا وإياكم أن نجتازه . فقدرونا
وآلمنا فقد إمامنا العظيم المجاهد الشيخ محمد حامد . فكلماته تخيلناه وذكرنا تفانيه في سبيل
دعوة الحق ، انهمرت الدموع من مآقينا غزيرة ، وجاشت النفوس بالبكاء وأجهشت ،
واضطرب الجسم متفاعلا مهزوزاً ، والعبرة تكاد أن تشد حلقنا . ولكن لعل ماني الدمع
ما يطفى لهيب الغضب . فالعين تدمع ، والقلب يألم ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب .
إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم ارحم الشيخ حامداً وأنزله منازل الأبرار ، وأهملنا
وأسرته الصبر على مصابه العظيم .

حقاً إنه لم يكن فقد أسرته . ولا أنصار السنة فحسب ، ولكنه فقد العروبة والإسلام ،
والدرع الواقي والحصن الحصين والذائد عن حياض السنة لا تشوبها البدع والأباطيل .
اللهم تقبله أحسن قبول وأنزله منازل الأبرار واجعل من خلفه ذرية أو زمالة من يسير
على نهجه يحمل راية الجهاد خفاقة لا تهوى إلى الأرض فيتلقفها مجاهد عن مجاهد إلى أن
يرث الله الأرض ومن عليها .

سلام عليك في مثواك وسلام عليك يوم تبعث حيا .

محبوب مختار

أم درمان بالسودان

أرى الصبر محموداً وفيه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ
هناك يحق الصبرُ ، والصبرُ واجب وما كان منه كالضرورة أوجبُ
فشدَّ امرؤُ بالصبر كفاً ، فإنه له عصمة أسبابها لا تقضب

ابن الرومي

أريحية عظيمة من الرجل العظيم

معالي الوزير الكبير الأديب العظيم

الشيخ محمد سرور الصبان

ذهب وفد من الجماعة على غير موعد إلى معالي الوزير الجليل الأديب الكبير الشيخ « محمد سرور الصبان » لشكر معاليه على تعزيتة الكريمة في وفاة فقيد الإسلام صديقه الراحل رئيس الجماعة ، وما إن علم معاليه بوجود الوفد ، حتى تفضل مشكوراً باستقباله في ترحاب أريحي نبيل ، ولقاء يجعل من مثل مقابلة الوزير الجليل متعة روحية سامية ، يشهد فيها الإنسان ، جمال التواضع ، وجلال الوقار ، وسمو النبيل ، وبشاشته السمحة التي تشعر أنك تجلس في حضرة أخ وصلتك به من قبل أسباب المودة الوثيقة وأسبغ عليك منذ زمن رحمة الإخاء الصني ، وعطف الصداقة الغمير .

وقدم الوفد لمعاليه الشكر وقال : « نرجو يا معالي الوزير أن تظل صلتكم بالجماعة كما كانت في عهد الإمام الراحل » فقال معاليه : « لقد خسرنا بوفاة الشيخ مجاهداً عظيماً ، وإن رزؤنا فيه رزء المسلمين عامة ، ولكننا لن ننسى مادعاً إليه فإنها دعوة الله » ثم قال مؤكداً « اعتقدوا دائماً أنني لكم ومنكم » .

فشكر الوفد لمعاليه هذه الروح السامية العظيمة ثم تفضل معاليه فسأل عن حال الجماعة . فقال وكيل الجماعة : « إن العقبة التي صادفتنا بعد وفاة الشيخ العظيم هي المسجد ، فهو تابع يا معالي الوزير لوزارة الأوقاف ، ولولا فضل الله ثم فضل الأستاذ الكبير وزير الأوقاف ، لوقعت الجماعة في حرج بالغ . ولهذا كان أول شيء صممنا على أن نصب أنفسنا له هو الدعوة إلى بناء مسجد للجماعة » .

فقال معالي الوزير الكريم : « إنها ليست عقبة إن الذين يعملون لله يؤيدهم الله . والله لا يتخلى أبداً عن يعملون له » ثم قال في كرمه المهود وعطفه السابغ : « ما عليكم إلا أن تشتروا قطعة الأرض . أما الباقي فعلى الله سبحانه »

(البقية في ص ٤٥)

مع سعادة السفير السعودي

توجه وفد من الجماعة لشكر سعادة السفير السعودي الشيخ الجليل إبراهيم السليمان آل عجيل لشكر سعادته على اشتراكه في تشييع جنازة الفقيد العظيم هو وأشباه الأبرار وأذن سعادته فوراً بالمقابلة ، وقال وكيل الجماعة : « هؤلاء يا سعادة السفير وفد جماعة أنصار السنة أقبلوا يشكرون ، وهم على صدق الاعتراف بالجميل لسعادتكم » .

وهنا قال سعادة السفير في تأثر بالغ « الحقيقة يا إخواني إن المصاب في الأخ الشيخ حامد ليس مصاب الجماعة وحدها . بل هو مصاب المسلمين جميعاً . فقد ضرب لنا فضيلته رحمه الله مثلاً عالياً في الشجاعة والجرأة والإقدام والبطولة في الدعوة إلى الله مما يجعلنا نشعر بفداحة المصاب فيه . وأنا أدعو لكم بالتوفيق ، وأرجو أن يوفقكم الله في السير على نهجه في شجاعته وجرأته في الجهر بكلمة الحق وخدمة الإسلام » .

وخرج الوفد من عند سعادته شاكرًا داعيًا . وقد تفضل سعادة الوزير المفوض الشيخ الزغبى ، فواسى وفد الجماعة وعزاه أصدق عزاء مما جعل قلوبهم تلهج بالدعاء وصادق الثناء .

(بقية ص ٤٤)

وهكذا أكرمنا الوزير بما لم تكن نيتنا الحديث فيه ، ولكنها شفافية النفس المؤمنة الملهمة ، وإحساس المؤمن الصادق ، وأريحية الجواد المطبوع على خير معاني الجود . والجماعة وفروعها يرفعون إلى معالي الوزير العظيم أخلص ماتنطوى عليه القلوب من الشكر الصادق وعرقان الجليل .

وتبتهل إلى الله سبحانه أن يسبغ على معاليه نعمة الصحة والعافية .

هوى ركن عظيم من أركان الدفاع عن السنة

بقلم الأستاذ محمد غليل السبكي

أخي الوكيل :

مصاب أليم ، وخطب جسيم ، ورزء عظيم ، وحزن عميم . ذلك النبأ المفزع ، والخبر الحزن . هذا الذي قرأته في الصحف صباح أمس وأنا في طريقى إلى المدرسة . لقد ذرفت الدموع من عيني فجأة - رغم ندرتها - ولم أستطع منعها وأنا في الطريق . وقرأت النعى مرة ومرة ، وكأنى لم أصدق وكأنى أريد أن أتناكد وكان أحداً يخبرنى به . وأنا أريد تكذيبه . والدمع من عيني ينهمر حتى خشيت على نفسى أن ألفت أنظار المارة في الطريق ، فحاولت جهدى حبس الدموع حتى تواريت عن الأنظار . هكذا كنت يا وكيل حينما قرأت نعى الوالد الراحل الكريم السلفى الصالح الورع التقي الشيخ حامد الفقى . أسكنه الله فسيح جناته وأسبغ عليه واسع الرحمة والرضوان .

لقد فقد العالم الإسلامى بفقده ركناً عظيماً من أركان الدفاع عن السنة وعلماً شامخاً من أعلام الحق . فقد الإسلام رجلاً أوقف حياته كلها على إحياء السنة والذود عن حياضها ، كان قلمه نعم المدافع عن سنة الرسول الكريم . كان قلمه وفكره وجسمه وماله دفاعاً صادقا عن الحق . لم يخش فى الله لومة لائم ، وكم تحمل من العنت والمشقة فى سبيل نشر السنة وهدم البدعة . فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزى المجاهدين . فلقد كان مجاهداً حقاً بما قدم للإسلام والمسلمين من هدى وإرشاد ، فقد أنار الطريق لمن يريد أن ينهل العلم الصحيح من منابعه الحققة . لقد ترك فراغاً كبيراً ، وإن الزمان بمثله لبخيل . اللهم أنزل عليه الرحمات الطيبات المباركات ، واحشره فى زمرة الشهداء والمجاهدين الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

يا وكيل : إن حزنى على هذا الرجل لشديد . وكلما تذكرت حساده الأوغاد اللثام ،

الذين طالما أسدى إليهم المعروف - ازداد حزني وألمى . هؤلاء اللثام - وما أكثرهم -
 المنافقون الذين كانوا يظهرون له الود ، ويضربون في نفوسهم البغض والحقد . كثيراً ما
 تمنوا له الشر وتربصوا به الدوائر . ولكن الله لهم بالمرصاد وستدور عليهم دائرة السوء .
 رحم الله شيخنا الراحل فإنه كان نعم المجاهد . وأسأل الله تعالى أن يلمك ويلهمنا ويلهم
 آله وذويه ومحبيه وعارفي فضله ، الصبر على فقدته وعوضنا عنه خيراً . إنه يجزى الصابرين .
 وإنا لله وإنا إليه راجعون . وكل نفس ذائقة الموت ، وليس البقاء إلا لله الواحد القهار .
 فاصبر يا وكيل وتجلد . فقد كان رحمه الله يحبك ، ولقد أحببته لأمر منها أنه كان يحبك ،
 واصبروا يا أنصار السنة وتجلدوا وكونوا يقظين لمن حولكم ، والله تعالى مع المؤمنين
 المخلصين ، ولن يترهم أعمالهم .
 محمد خليل السبكى

من علماء الأزهر والمدرس بوزارة التربية والتعليم

عظة الشيخ

الحمد لله القوى السلطان القاهر فوق عباده الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن
 عملاً . وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الكريم محمد خير من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .
 أيها الإخوة ما الموت وهو مصيبة إلا قدر مقدور يأتى المرء فى ميعاده المحتوم لاشفاعة فيه
 ولا إمهال وهو إذا وقع على حبيب أو قريب يحب على الإنسان أن يتقبله بالصبر وأن يستسلم
 للقضاء فقد سبق فى علم الله مواعده وميقاته .

أيها الإخوة : علمت بالمصاب فانتابنى الدهول ثم تذكرت أن هذا هو القضاء فأذعنت
 فباسم الله صبرت وبقول الله تعزيت وبطلب العوض منه دعوت .

أيها الإخوة : حسبنا من عظة فقيدنا أن نتمسك بما فى كتاب الله وسنة رسوله من
 شريعة غراء والله يلهمنا الصبر ويحقق لنا العوض إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم وبارك على
 محمد إمام المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الحسينى إبراهيم سرور

نداء الى المسلمين كافة

من المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

قال جل ذكره في سورة التوبة: (إِنَّمَا يَفْتَرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ، فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) .
وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه . أنه قال عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم أكثرتم على » . وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بنى مسجداً ابتغى به وجه الله بنى الله له بيتاً فى الجنة » وفى رواية « بنى الله له مثله فى الجنة » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

بهذا الهدى السماوى ، نذكر إخواننا المسلمين فى كافة أنحاء العالم الإسلامى ، ونذكر إخواننا أنصار السنة حيث كانوا .

لقد صممت الجماعة - والله الموفق المعين - على بناء مسجد لها ، مسجد تدوى من على منبره كلمة التوحيد فى قوة ، مسجد تتجاوب جنباته بالضراعة الخالصة إلى الله وحده .
مسجد ينفى إليه أنصار السنة من كل مكان يذكرون ربهم ، ويخلصون له الدين .
مسجد يكون مصدر إشعاع للدعوة الخالصة ومثابة لمن ينشد عرفان الحق من دينه .
مسجد يجمع على كلمة الحق جنود الدعوة ، ويلم شتات الداعين إلى الله فى كل جمعة ،
فيجددون العهد بين يدي الله ، ويجددون الميثاق مع الله ، ويجددون مع أنفسهم العهد على أن يكونوا دائماً واحداً وصفاً واحداً فى المعركة ، معركة الدعوة إلى الله وحده .

وصممت الجماعة أيضاً على بناء دار لها مع المسجد تكون مركزاً تشع منه دعوة التوحيد وتنبعث منه هذه القوة الهائلة الجبارة التى تحطم أوثان الإلحاد والشرك ، والوثنية والمذاهب الهدامة ومكايد الاستعمار وعملاءه .

وقد ألفت الجماعة لجنة خاصة لهذا المشروع الكبير ، وستجعل لما يجمع من تبرعات حساباً خاصاً منفصلاً عن حساب الجماعة .

فإليكم أيها المسلمون توجه النداء ، وإليكم يا أنصار السنة في كل مكان .
 فهللوا إلى الخير الوفير ، إلى رضوان الله ، إلى الحق تؤيدونه وتناصرونه .
 هللوا إلى ما وعدكم الله به من أجر عظيم ، تبرعوا بما يمكنكم أن تبرعوا به .
 ليحل كلُّ منَّا يوماً من الشهر لهذا المسجد فيتبرع له بما كان سينفق في هذا اليوم -
 ويوم واحد من الشهر لن يضير ، هذا نداؤنا وهذا رجاؤنا .
 ومن غيركم يستجيب لهذا النداء ؟ ويعمل جاهداً لتحقيق الرجاء ؟ جماعة أنصار السنة
 المحمدية .

لجنة المشروع: الرئيس : الأستاذ عبد الرحمن الوكيل . أمين الصندوق : الحاج عبد المجيد
 رضوان . الأعضاء : فضيلة الأستاذ الشيخ شعبة الحمد الفقي ، والشيخ شاكر الفقي ، والأستاذ
 محمد الطيب الفقي ، الأستاذ محمود أبو زيد ، الأستاذ رشاد سليمان ، الأستاذ رشاد الشافعي ،
 الأستاذ سيد متولى .

مجلة الهدى النبوى

بمشيئة الله ستصدر المجلة في غرة كل شهر عربى ، فيها من تفسير كلام الله ما يروى غلة
 الظالمين ، ومن بيان السنة ما يهدى الحائرين ، ومن حقائق التاريخ ما يكشف لنا عن جلال
 ماضينا العظيم ، ومن حقائق تطيح بكل بدعة تطل بقرنها ، أو أسطورة تحرك ذنبها ، ومن
 بيان جلى يكشف لنا عن أسرار هذه الفرق ^(١) التى انتسبت إلى الإسلام . ومن نقول أدبية
 يجد فيها الفكر متعة ، واللسان تقويماً ، والبيان فصاحة وبلاغة وغير ذلك مما يعين على
 تفهم الدين الصحيح ويقضى على خرافات العقول ويثقف العقل والفكر ، ويصنى عواطف
 القلب . ونسأل الله سبحانه أن يعيننا على الوفاء بوعدنا . فقد عزمنا الوفاء به مخلصين .
 ودعوة حارة إلى الكتاب الموحد في الجمهورية العربية المتحدة بإقليمها السورى
 والمصرى وفي جميع أنحاء العالم الإسلامى أن يمدوا المجلة بنفثات أقلامهم ، وأن يُسهِموا
 مشكورين ولهم الأجر والثوبة في تحرير المجلة ، فكلنا مجتهدون لخدمة الحق ونشر دعوة الحق
 وإنا لمنتظرون شاكرون .

(١) المقصود بها الفرق الضالة عن الهدى المستقيم

نداء الى أصدقاء الشيخ

إليكم في كل مكان نوجه هذا النداء .

لقد أحبكم الشيخ ، وأحببتموه ، وأخلص لكم الود ، وأخلصتموه له . ولم يكن هذا الحب أو الإخلاص لمفهم يناله أو تنالونه ، وإنما كان لله وفي سبيل الله يشرق من قلوبكم نوره الأسمى ، وينبع سلسيله من أعماق قلبه الوفى ، أحببتموه لدعوته وشجاعته وبطولته ، وأحبكم لإيمانكم بدعوة الحق . وتأيدكم الكامل له في جهاده وكفاحه . وقد مات الشيخ رحمه الله وغفرله . وبقي ما كان يدعو إليه ، لأنها دعوة الله سبحانه ، دعوة التوحيد الخالص ، والإيمان الصادق ، بقي تلاميذه ، بقيت الجماعة التي بناها بكل مايملك من جهد ومال ، فكم خطر مرّ به فلم يعبأ به ، وكم هول اقتحمه ، وكم عقبات اجتازها فتى القلب قوى العزم جبار الإرادة ، مشتعل الحماس ، صادق الإيمان . وإن الولاء لدعوة الحق ، والوفاء لصداقة الشيخ لتقتضيك أن تظلوا لتلاميذه كما كنتم له ، وأن تناصروا جماعته كما ناصرتموه ، وأن تؤيدوهم في كفاحهم كما أيدتموه . هذه داركم يا أصدقاء الدعوة . وهؤلاء إخوانكم يا أحبة الشيخ . وهذا منبره تدوى من فوقه صيحة الحق ، وأيدينا مفتوحة وفيها قلوبنا ترحب بكم ، وتحب أن تراكم هنا في هذه الدار دار جماعة أنصار السنة المحمدية . كما كانت تراكم وتسعد بكم من قبل .

جماعة أنصار السنة المحمدية

أخ لي كذّوبِ الشهد طعمُ إخوانه	إذا اختلفت بيضُ الليالي وسودها
كأمنية الملهوفِ حَزْمًا وناثلاً	وعوناً على عمياء أمرٍ يكيدها
له نعمٌ عندي ضعفت بشكرها	على أنه في كل يوم يزيدها
تحمل عني شكرها ، فأراحني	وللشكر مرقاة كؤود صعودها

« الخزيمى فى مدح الإخوان »

دعاء

أيها الإخوان : والله لقد تألمنا بوفاة حبيبنا الرجل الغيور المجاهد في سبيل الله الأستاذ
الشيخ محمد حامد الفقى وإنا لله وإنا إليه راجعون .
اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيراً منه .
اللهم فاعظم أجرنا وألهمنا الصبر والسلوان .
اللهم ارحمه رحمة واسعة بفضلِكَ ورحمتِكَ .
واغفر اللهم لنا وله . وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات .
اللهم إنه عبدك وابن عبدك . اللهم فوسع مدخله وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً
خيراً من أهله .
اللهم اجعلنا وإياه من أهل جنتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .
وبعد : فإننا لفراقك يا حامد لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضى الرب . وإن القلب ليحزن
والعين تدمع .
أهالى دار السلام بدر او
عنهم : يوسف محمد سليمان وطه محمد سليمان و بسطاوى عثمان حسين وعبدہ سليمان هارون
وأحمد محمد على حسنى .
« الهدى النبوى » نعتذر للإخوان عن نشر كلماتهم كاملة لضيق المكان ، ونرجو
التفضل بقبول العذر .

من محاسن كلام العرب

الصَّبْرُ يناضل الحدثان - خاطَرَ مَنْ اسْتَفْنَى برأيه . المغفور زكاة الجاه - خمول الذكر
أسنى من الذكر الذميم - من نال استطال والفاحشة كاسمها .

أسرة الفقيد العظيم

حينما فجئنا في الشيخ العظيم رحمه الله لمسنا من حضرات أصحاب الفضيلة أشقاء الشيخ وأشبال أشقائه وذوى قرابته ما أشعرونا به أن مصابنا فيه قبل مصابهم فوقفوا الموقف النبيل الذي يدل على أصالة في الطبع كريمة .

ولنضرب لذلك مثلاً احترامهم العميق لرغبة تلاميذ الشيخ في حمل الجنازة على أعناقهم من مكان الصلاة عليه حتى المقبرة . على بعد الشقة ، لقد ترك أشقاء الشيخ وأنجالهم الأمر لتلاميذ الشيخ على ما كانوا فيه من نصب وتعب شديدين كذلك رأيناهم يفتدون إلى دار الجماعة يتقبلون العزاء في هذه الدار التي كان يتعشقها الفقيد العظيم أما نجله أخونا الحبيب (الطيب) . فكان الصبور القوي الجلد على شدة الحنة وقد ترك لنا نحن إخوته كل شيء بعد أن أعد هو ما يجب أن يعد لمثل هذا اليوم . لم يعارض في شيء ، لم يتحكم في شيء ، لم ير نفسه رأياً يتشبث به ، ذلك لأنه رأى مما حوله جميل العزاء . إخلاص جيشاش ، ووفاء فياض ، وحرص قوى على التزام حدود السنة . ودعاء تجأ به القلوب إلى خالق الموت والحياة بالرحمة والمغفرة للراحل العظيم ، واحتشاد ضاقت به الطرقات من تلاميذ الشيخ . وصفوف لا يبلغ الطرف مداها وقفت خاشعة متلاصقة تصلى عليه . وتطلب من الإمام أن يطيل في الصلاة وفي الدعاء .

ونحن نقدر هذا الموقف الكريم من أسرة الشيخ ونحترمه ونجمله خالص الإجلال . ونستلهم الله لنا ولهم الصبر الجميل .

من حكم العرب

السخاء سُلَّم المجد - الفكرة مُخُّ العمل - الحياء عنوان الكرم - المعروف غُلٌّ لا يفكه إلا شكر أو مكافأة - الأدب عروة العز - من قوى عقله كثر حلمه ، وقل غيظه - الخمول دفن الحَيِّ .

رائدى الذى رحل

اختار الله لجواره الأخ الحاج إسماعيل السيد إسماعيل (آل السكرى) مؤسس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بياكوس الرمل بالأسكندرية فى يوم ١٩ جمادى الآخرة ١٣٧٨ . وكان - رحمه الله رحمة واسعة - من أعضاء أنصار السنة المحمدية العاملين منذ شبابه حتى أتاه اليقين ، وكان رحمه الله يعمل بشركة البواخر الخديوية بالأسكندرية ، ثم نقل إلى مصنع شركة السماد بالسويس حوالى أربعة سنوات ، وكان إمام وخطيب مسجد المصنع بها . ونسأل الله تبارك وتعالى أن يتغمده برحمته الواسعة ، ويسكنه فسيح جناته التى وعد بها أوليائه الصالحين ، وقد نشرت جريدة المساء بعدها الصادر فى ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ الموافق أول يناير سنة ١٩٥٩ كلمة للأستاذ مصطفى بهجت بدوى - بعنوان « رائدى الذى رحل » نقلها بنصها :

روحى ولدت هناك ، ولا أطلب من الله أكثر من أن تظل تحوم هناك وتنهل من ينابيع الذكريات العذبة والدروس العاطرة . هناك فى بقعة هادئة من رمل الأسكندرية حيث التقيت به منذ عشرين عاما ، وأنا بعد فى السابعة عشرة من عمرى وقد كبح طيش الشباب فى نفسى وغير مجرى حياتى كله ، لم أتأثر بإنسان ولا بكتاب ولا بتاريخ ولا بشيء على الإطلاق فى ماضى وحاضرى قدر ما تأثرت به . كان أشبه بنبي بعث خضيصاً لهدايتى . . . وإن كان قد هدى كثيرين غيرى . . أعطانى طاقة روحية ضخمة ، أعترف بأنما فترت بفعل السنين والأحداث ، ولكنها لا تزال أغلى ما أملكه . لا مال ولا أبناء أؤمن عندى منها كان شعاره ودينه ، وأفعاله قول الرسول عليه الصلاة والسلام « اتق الله حيثما كنت . اتق الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة إذا اجتمعت على أن يضروك بشيء فلن يضروك إلا بشيء قد قدره الله لك . وإذا اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . » .

وهذا هو الإيمان فى حرارته وحلاوته .

كنت أجلس إليه هناك في محله . . وكان عاملاً يكسب قوته يوماً بيوم . فقيراً بماله غنياً إلى أبعد حدود الغنى بعلمه ودينه وخلقه وفضله . كان سمكياً نافخ كبر ، ولكن المسك والطيب والعطور تضيع في أحاديثه وحكمته وتعليمه . كنت أفاخر به أترابى . راحوا ينهكون شبابهم بصحبة الغانيات والمتع المعقولة وغير المعقولة . وزهدت في ذلك كله . . . سخرُوا منى ورثيت لحالم . لم أخجل أبداً من صحبتى له حتى وهو في أرث ثياب العمل . الله ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا لا إلى صورنا وجاهنا . ولم أندم قط على لحظات قضيتها معه . . بل على العكس على لحظة لم أقضها معه . كنت أوقن أن ما كان لله دام واتصل . . وما كان لغير الله انقطع وانفصل . العظلة الصيفية كانت ملكاً خالصاً له . في مسجد أنصار السنة المحمدية . . في صلاة الفجر ودروس ما بعد صلاة العشاء . . وعلى « بنك اللحم » والمصنع الصغير في محله يروى الأحاديث النبوية ويتبعها بالشرح العصري السائغ من القلب إلى القلب . والرصيد الذى حفظته خلال تلك الفترة الجميلة الزاهية من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة هو زادى في حياتى كلها ، كان حوله شيوخ متنطعون كثيرون ، ولكنه لم يكن متنطعاً ، كان على العكس بسيطاً وساحراً وموهوباً في هداية الناس . . . من ذلك الصنف الذى تفتتح له حبات القلوب « الدين يسر » ولن يُشَادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه » هكذا كان يترنم ويخط طريقه في سماحة ورفق .

كان أستاذى وأخى الكبير وصديقى ومرشدى .

وإذا كانت أيام الصبا بطبعها - بل الأيام كلها - لاتدوم فإن الود الخالص الذى تضيفه الأئدة يعمرها ويعمر ويدوم . لم تلبث صحبتنا اليومية - اليومية بالفعل - أكثر من عامين ثم تفرقنا هو إلى السويس عاملاً في مصنع السماد يعمل بصلابة وكفاح ، وأنا إلى القاهرة أسير في رحلة حياة تتغير وتتجدد ، ولكنها ما برحت أبداً تستظل بماض أعمق من أن ينسى وأشرف من أن يهدر . كنا نلتقى بين الوقت والآخر هناك في تلك البقعة الهادئة من رمل الأسكندرية حيث ولدت روحي وبدأت قوة الدفع التى هى دليلى في رحلة الحياة .

والليلة . . . ينما كنت أكتب « مع الناس » نعى إلى الناعى أتقى وأتقى من عرفت

واصطفيت من الناس . نعى إلى « إسماعيل السيد إسماعيل » الصحابي الذي ظهر في القرن العشرين .

وهكذا قدر أن أعود مرة أخرى إلى تلك البقعة الهادئة من رمل الإسكندرية . مرة حزينة أبكى فيها قطعة من نفسي وشبابي ، وذكرياتى هناك حيث تألفت دروس بينت الحلال والحرام ، وغرست الاستقامة والزهد والدين القيم .

رجع « الحاج إسماعيل » إلى ربه راضياً مرضياً ، بعد أن أحسن إلى الناس وإلى نفسه . لقد أدى رسالته كاملة ، وترك من بعده جيلاً « محلياً » يمشون في الطريق الصعب . يحافظون على دينهم في زمن اختلطت فيه القيم ، ويبلغون دعوة الله ولو لاقوا في سبيلها الأذى . .

ليس من الضروري أن يشتهر إنسان كي يعد عظيماً من العظماء . كم هناك من العظماء المجهولين .

لقد كان « الحاج إسماعيل » قمة في العظمة الروحية على بساطته ورقة حاله . كان رائداً عظيماً . . ومثل هؤلاء الرواد خالدون يعيشون في وجداننا .

ترى هل تستطيع ذكرياتى الناضرة عنه - هل تستطيع أن تسد الفراغ الذي خلفه بوفاته ؟ رحمة الله عليه رحمة واسعة

قال أبو فراس الحمداني :

إذا لم يكن ينبجى الفرار من الردى على حالة فالصبر أرجى وأكرم
فإن جل هذا الأمر فالله فوقه وإن عظم المطلوب فالله أعظم
وقال :

ونحن أناسٌ لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في العالى نفوسنا ومَنْ خَطَبَ العلياء لم يغله المهر
على طَلَابُ العز من مستقره ولا ذنب لى أن أخرتنى المطالب
إذا الله لم يحرك مما تخافه فلا الدرعُ مناعٌ ولا السيف قاضب

١ - مقتطفات من كتاب

تنبيه الأذهان

بعد أن طفق كيل الشيخ عبد ربه^(١) لأنصار السنة الحمديّة في كتاب له سماه :
(فيض الوهاب) في جزئين ، انبرى له الأخ محمد صالح سعدان ، فألف في الرد على كتابه
ذلك ، كتاباً سماه (تنبيه الأذهان للرد على مفتريات الشيخ عبد ربه سليمان) دافع فيه عن
التوحيد والسنة (منهج أنصار السنة) وأبان فيه عقائدهم رداً على كل ما تقول عليهم به
خصوم دعوة التوحيد .

ثم رد على هذا الشيخ ، فأصاب كبّد الحقيقة ببيان خطأ هذا الرجل
وحماقته .

وإننا بسبيل تلخيص بعض فصول كتاب الأخ سعدان^(٢) بقدر ما تسمح به صفحات
المجلة . على أن نعاود تلخيص ما يحويه الكتاب كله في الأعداد القادمة إن شاء الله .
استهل الأخ سعدان كتابه بمقدمة أبان فيها ما يجب على أهل العلم من القيام بواجب
تبين العلم وعدم كتمانهم لما أخذ الله من العهد والميثاق ، وأن لا يكتُموه ، وأنهم مؤاخذون
إذا لم يقوموا بهذا البيان .

ثم ذكر الدواعي التي حفزته لتأليف هذا الكتاب ، وأن الواجب يقتضي أنصار السنة .
أن يردوا على الرجل لبيان جهله ، ولئلا يظن ظان أن أنصار السنة أعجز من أن يردوا على
هذا الشيخ الخرف في مفترياته وأباطيله .

(١) هو من ألد أعداء السنة وأنصارها ، وهو موظف بالمكتبة العامة بالأزهر ، ولا
يخرج من أن يكون أحد الكتبة أو المعاونين لإدارة المكتبة .

(٢) نكتب هذا ونحن نعلم أن الأستاذ أبا الوفاء محمد درويش سيوفى الكتاب حقّه في
كل ماله وما عليه .

وقد مهد لكتابه بتعريف الأدلة المجمع عليها في الدين ، وأنها ثلاثة : الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، وأن القياس يأتي بعد هذه الثلاثة على خلاف فيه بين العلماء ، وأنه ليس لأحد كائنا من كان أن يضع للناس عقيدة أو عبادة من عنده ، بل الواجب الاتباع لا الابتداع .

وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج من هذه الدنيا (إلى الرفيق الأعلى) إلا وقد علم المسلمين وبين لهم جميع ما يحتاجون إليه في دينهم بدليل قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) .

التوحيد

ثم ذكر التوحيد بأنواعه الثلاثة : توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ثم توحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته . وأن التوحيد في مجموعه هو أول مادعا إليه رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم . ثم ذكر فصلا مهما في التوسل والوسيلة والمشروع ومنها وغير المشروع . وأورد أحد عشر وجها في التوسل المشروع من الكتاب والسنة ، وأن الذين يلجأون إلى الأولياء وغيرهم للتوسل جهلوا حقائق التوسل المشروع فراحوا يستنجدون بالموتى دون الحى القيوم .

ثم ذكر فصلا في أنه لا يستشفع بالله على خلقه وأورد بعد هذا ، نموذجا عن خطأ الشيخ عبد ربه ، حين يقول (اقتديت برب العالمين) ثم أخطأه الكثيرة في التعبير . وقد أحسن حين ذكر عقيدة أنصار السنة (في صفات الله تعالى) وأنهم يثبتون له سبحانه ما أثبتته لنفسه ، وما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن أنصار السنة لا يأخذون بما يراه المتأخرون من أهل الكلام والمناطق الملهدين الذين يؤولون صفات الله تعالى بتحريفهم الكلم عن مواضعه .

ثم أجمل القول في المخالفين لأهل السنة السابقين ، وأنصار السنة الحاليين ، أجل القول فيهم حين وصفهم بأنهم يزعمون العمل بالسنة ، في الوقت الذي يخالفون فيه أهل السنة

والجماعة بنفيهم أو تعطيلهم لصفات الله تعالى ، وأورد النصوص وأقوال أئمة السلف الصالح في الاستواء وفي سائر صفات الله تعالى .

وأما عقيدة أنصار السنة في الأولياء وأهل البيت رضى الله عنهم ، فقد أوضح كل الإيضاح ما يعتقدونه فيهم من الحب والإجلال من غير غلو ولا إفراط ، وأنهم يعتقدون أن من أخلص لله في الطاعة والعبادة أيّاً كان (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

الأئمة الأربعة

وقد أورد فصلاً خاصاً نفي فيه ما يقوله الجاهلون من أن أنصار السنة ينكرون الأئمة الأربعة أو مذهبهم ، وأن أنصار السنة إنما يدعون إلى الاستمسك بالكتاب والسنة لأن النجاة لا تكون إلا بهما ، وأن الكتاب والسنة ليس فيهما تغيير ولا تبديل لأنهما بوحى من الله تعالى ، وأما قول غير المعصومين فإنه يتبدل ويتغير (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

وليس معنى هذا أن أنصار السنة يدعون إلى ترك ما قاله الأئمة المجتهدون ، ولكنهم يقولون بلزوم التأسي بهم ، طالما قالوا بحكم الأدلة الشرعية ، إما من الكتاب والسنة ، وأما استنباطاتهم ، فلم تكن إلا في جزئيات الشريعة ، أما أصولها وكنياتها فإنه لا يختلف فيها أحد .

ومع احترامهم وتقديرهم لهؤلاء الأئمة رضى الله عنهم ، فإنهم لا يقدمون قول أحد منهم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكفى للدلالة على صدق هذا الفهم قول الإمام مالك رضى الله عنه حين واجه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « كل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه ، إلا صاحب هذا القبر » .

وإنما يقاومون ترك الفتوى بالكتاب والسنة ، وترك الأخذ بهما ، لأن المتأخرين من فقهاء المذاهب الذين ذهبوا مذاهب خالفوا فيها أئمتهم ، حتى إن منهم جعل رأى إمامه حجة معصومة من الزلل ، وأن ما خرج عن قول إمامه باطل ، فإن مثل هذا الرأى والقول

هو الذى يقف حياله ، أنصار السنة بالمرصاد يقاومونه دفاعاً عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى فصل (هل يجوز التقليد فى الدين) بين المؤلف أن الدين ليس بتقليد الأئمة والمشايع وأن ما كان كذلك فليس بدين ، وإنما الدين بمعرفة الدليل ، وإن كان بسؤال (أهل الذكر) لأن أهل الذكر المقصودون فى الآية الشريفة هم أهل العلم بالقرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما عرف دليله من القرآن والسنة ولو بسؤال أهل العلم فليس بتقليد ، وقد أفاض فى بيان فساد التقليد وأنه ليس بدين ، وأنه تعبد لله بغير علم . والعبادة لاتكون إلا عن معرفة و يقين بحق الواحد المعبود .

وفى فصل (هداية القرآن) أبان أن القرآن أنزله الله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وأن من تنكب هدايته فقد ضل وغوى ، لأن (من طلب الهدى فى غيره أضله الله) .

وأن جميع العبادات لا تؤدى ، ولا تؤتى إلا بما جاءت به النصوص من الكتاب أو السنة ، وأن الله لا يقبل عبادة متعبد إلا إذا جاءت وفق المشروع . لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وأن النطق بكلمة التقوى (لا إله إلا الله) لاتنفع قائلها إلا إذا كان قائماً بأداء الفرائض والواجبات ، واجتناب الفواحش والمنكرات ، وأن من لم يؤد الصلوات الخمس فهو كافر فإن تاب وإلا قتل .

وفى فصل (إقامة الحجة على المخالفين) بين أن الشيخ عبد ربه قائم عليه الحجة لعلمه بكتب السلف فى العقائد الإسلامية الصحيحة ، ونكوصه على أعقابهِ بعد إذ علم تلك الحقائق ، وأن غيره ممن ينتهج منهجه حجته داحضة عند ربهم يجادلون فى الحق بعد ماتبين (كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون) .

هذا بعض ما عثرنا أن تقتطفه من كتاب (تنبيه الأذهان) ولنا إليه عودة إن شاء الله إشادة بما بذله فيه مؤلفه من جهد نسأل الله أن يثيبه عليه .

ذكريات

لأستاذ رشاد الشافعي

قد يصدّم الإنسان صدمة قوية ترج كيانه ، وتهز وجدانه ، وتبعث من حافظته
ذكريات قديمة ظنها ذهبت في زوايا النسيان ، ومحaha الزمان .

في مساء ذلك اليوم الذي اختار الله لجواره فضيلة الأستاذ الإمام الرئيس الشيخ محمد
حامد الفقى ، وبعد أن فرغنا من الجنّزة والدفن وألقينا الكلمات الباكية المناسبة عدنا إلى
دار المركز العام للجماعة ثم ذهب كل منا إلى داره . فأخذت ذكرياتى مع الفقيد الراحل
- رحمه الله أوسع رحمة - من أول يوم عرفته فيه إلى آخر لحظة رأيته فيها ، تمر مرور
الشريط السينمائي الناطق أمامى . وكلها ذكريات - والله الحمد والمنة - فى طاعة الله ، وفى
سبيل الدعوة إلى دينه ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

إنها ذكريات تدل على مبالغ ما كان يتحلى به رائد الدعوة - رحمه الله - من سعة
الصدر ، وسمو النفس ، ورعاية القلب الحانى العطوف . إنه كان يسع بخلق آلاف
الإخوان والتلاميذ من مختلف اليثات والأعمار والأجناس والثقافات . فكان لهم جميعاً
الأستاذ المعلم المرشد ، وكان لهم الأب البر الشفيق الرحيم .

أذكر أننى أول ما ذهبت إلى دار المركز العام للجماعة وكانت ثورة عرب فلسطين على
الإنجليز واليهود معاً فى أشد وأعنف أطوارها . وكان الخطباء فى كل مكان يدعون المصريين
للتطوع لمحاربة الإنجليز مع ثوار فلسطين ، والتبرع لهم بالمال ، فوقفت بعد أن انتهى فضيلته
من محاضرته ، وألقيت كلمة أدعو للتطوع والتبرع لفلسطين ، فأبدى إعجابه بى وبكلامى ،
وشجعتنى وقال لى : إن منبر أنصار السنة تحت تصرفك فى كل وقت ونحن نرحب بك فى
هذه الدار فى كل يوم . ومنذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا لم أقطع عن أنصار السنة لحظة
واحدة ، بل صرت من دعايتها بكل ما أوتيت من قوة ، ذلك لأن الرجل أسرنى بخلق
ودينه وصراحته من أول يوم .

ثم دارت الأيام حتى انتخبت عضواً بمجلس إدارة الجماعة ، وقرر المجلس في أحد اجتماعاته شراء كراسى للجلوس المستمعين للمحاضرات التى تلقى بدار الجماعة لأن الجلوس على الحصر لا يليق بكرامة الجماعة ، وكان الشبان منا متحمسين لهذه الفكرة وسرعات ما نفذناها واشترينا الكراسى . ولكن الشيخ - رحمه الله - لم يكن يعبأ بالشكليات والمظاهر قدر اهتمامه بتعليم السنة والدين الصحيح ، وكنا نرى من ناحيتنا أن الأجدر والأليق أن نجتمع بينهما ودخلت إلى الدار ذات ليلة وإذا الشيخ يلقي درسه وهو والإخوان جميعاً جالسون على الحصر ، فطلبت منه أن ينتظر قليلاً ، وأخذت أنا وبعض الإخوان نصف الكراسى ، فخرج فضيلته غاضباً وحلف أن لا يلقي الدرس فى تلك الليلة وبعد لحظة عاد من الطريق - وكنا قد أتمنا رفع الحصر ووضع الكراسى - وجلس على منصة المحاضرات وبدأ قائلاً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف على أمر ووجد خيراً منه ، فليفعل الذى هو خير وليكفر يمينه » ومضى وأتم درسه ، ثم خرجنا وليس فى قلبه ولا فى نفسه أى أثر من غضب أو غل أو كراهية .

وأذكر مرة أنه خطب فى اتباع السنة وحمل حملة قاسية على الذين يتنكبون طريق السنة البيضاء الواضحة النيرة إلى طريق البدع والخرافات المظلمة . ثم عرج على الذين يدخنون الدخان ويسرفون فيما لا يعود عليهم إلا بالضرر . ثم على الذين يخلقون لحامهم متشبهين بالنساء ووصفهم بالتخنث ، فما أن حققت الصلاة حتى وقفت أرد عليه ، قائلاً : إننا لا ننكر السنة ، وأن حلق اللحية مخالف للسنة . ولكننا لا نقر وصفهم بالتخنث وخصوصاً وظروف الأعمال فى هذا العصر معروفة ، وفضيلته أعرف الناس بها . وما كدت أتهى من كلمتى حتى رأيته - عفا الله عنه وغفر له - يمر قريباً منى وينظر إلى تلك النظرة التى كانت تنزل على القلوب برداً وسلاماً بما كانت تحمل من معانى الشفقة والرحمة ، فما ملكت أن تبسمت وقد زال عني كل غضب .

وأذكر أننى ذهبت مع بعض إخوانى إلى منزله - وكان قريباً من دار الجماعة - لتتفاهم

(البقية على ص ٧٤)

بطولة عربية تنقذ الانسانية

« في التاريخ عبر خوالد تنير للمكافحين الطريق ، وتبين لهم سبيل النصر ، وتكشف لهم عن أسباب الهزيمة ، إنها للدعاة الذين يستلذون المخاطر ، ويقتحمون فجاج المخاوف في سبيل تحقيق مثلهم العليا . إن عبر تاريخهم كتاب مفتوح لأبصارهم وبصائرهم يطالعون فيه ما يهديهم إلى السبيل السوي في الكفاح ، وإلى الطريق الذي يوصل - بعون الله - إلى النجاح ، ونحن إذ نكشف عن تاريخنا المجيد أستار النسيان ، إنما نستهدف من وراء ذلك أن يتذكر المسلمون ، وأن يتذكر العرب أن - جلّ التاريخ تشرق فيه حقائق النصر بوحدتهم ، وأنه - وبأسفاه - يسجل عليهم عار الهزيمة كلما ضربت الأهواء بهم في تيه التفرق وفي ظلمات الشقاق والاختلاف ، فلا يعرفون لليلهم صباحا هاديا ، ولا لصحرائهم واحة ندية ، وتنساب عليهم في ستمائم الهجير أفاعى العدو تنهشهم ، وفي ظلمات لياليهم الحائرة ذئاب الاستعمار تفرق عظامهم . فليطالع دعاة الحق ، دعاة التوحيد حقائق التاريخ الصادق ، ليحذروا ، وليعتبروا ، وليتأكدوا أن الوحدة الصادقة هي العودة التي تبنى أمجادهم وهي السد الذي يحول بينهم وبين أن يحرفهم الطوفان ، وهي العدة التي سلحهم بها الدين الحق ، ليكون لهم النصر دائما والغلب » .

ظلت أحقاد « الصهيونية » ملتهبة ضد الإسلام الذي قضى على ماديتها الصماء ، ومجآتها الخلقية الفاسدة التي تتاجر في شرف الأعراس ، وتردّر كل القيم الخلقية الرفيعة ، لأنها تقوم كل شيء في الحياة بما يساوي من « دراهم » ؛ لهذا كانت الفضائل عندها لذات وشهوات . لقد ظفرت الصهيونية بفهدا الماكر « عبد الله بن سبا » ففضى اللئيم يؤجج أوار

(١) تحت هذا العنوان نرجو من إخواننا الذين يحفون بالتاريخ أن يكتبوا لهذا الباب ما يكشف للقراء عن كفاح المسلمين ضد الوثنية الباغية ، ونعدهم بنشر كل ما يصل إلينا مما يحقق هذا الهدف .

العاطفة المشبوبة بحب آل بيت الرسول ، حتى استنزل هذه العاطفة بمكره ودهائه فأخرجها إلى الإسراف الذى يجعل من بعض البشر آلهة . واحتشدت معه كل الأحقاد التى أثارها الانتصار الساحق للإسلام على كل مذهب هدام ودين وضعى زائف يؤله النار ، أو يعبد الشيطان ، أو يجعل من كواكب الليل أرباباً معبودة ، كل هذه الأحقاد المضطربة تجمعت واحتشدت ، واندفعت بكل ما فيها من غلٍّ وخنقٍ ، لتسكيد للإسلام ، ولتدمر أيجاد المسلمين واتخذت لها اسماً خادعاً خلافاً لساحر التوشى ، ماكر الفتنة يزعمون به أنهم شيعة على وأنصاره ، أثاروا الفتنة الشعواء فى عهد عثمان ذى النورين الشهيد المظلوم ، فكان أن سفك دمه البرىء ، وأثاروا الفتنة بين عليّ رضى الله عنه ومعاوية ، فاضطربت بينهما الخصومة ، حتى إذا همت الطائفتان أن تفيثا إلى السلام أثاروا فتنة الخوارج ، لتحطيم قوة على الذى يزعمون أنهم أنصاره !! حتى لا يسحق جند معاوية ، فيخلو الجو لعلى ، أى للإسلام مرة أخرى . وأثاروا الخوارج ، فقتلوا علياً وكادوا يفتكون بمعاوية وعمرو بن العاص لولا أقدار الله الغلبة القاهرة وجاء الحسن رضى الله عنه بكل ما فيه من إيمان وخشية ، وحب للوحدة الشاملة يلتقى على نار الفتنة صيباً من حكمته ، فيتنازل راضياً لمعاوية تحرصاً على الوحدة الإسلامية . ولكن الصهيونية وأحقادها ، وأحقاد الذين شايعوها . ظلت تخادع ربحانة اللجنة الحسين رضى الله عنه ، وتزيّن له أنهم جنوده وأنصاره ، وأنهم يملأون البصرة والكوفة ، وما زالوا به حتى قتلوه ، وكان الذين دعوه إليهم لينصروه فى مقدمة الكتيبة التى قتلتهم . وانصدعت الجماعة الإسلامية صدعاً خطيراً ، وراح قتلة الحسين الذين لبسوا قناع أنصاره يذكون الفتنة ، ويثيرون الشحناء ، ويتخذون من دم الحسين الزكى الطهور مناحة دائمة . على حين قد سفكت من قبله دماء غالية أعز وأغلى ، دم عمر ، دم عثمان . دم البطل المغموار على !! ولكن تلك الدماء لا تلهج الصهيونية بالمناحة عليها ، وإنما تلهج بطلب الثأر لدم الحسين وحده !! وانهار بناء الدولة الأموية تحت ضربات الصهيونية الساحقة الماكرة ، وجاءت دولة بنى العباس التى أقام ركنها مجوسى خادع النسب هو « أبو مسلم الخراسانى » الذى وجدت فيه الصهيونية فتاها المرجى بعد عبد الله بن سبأ . فحقق رجاءها .

ولكن المنصور أدرك بفطنته هدف أبي مسلم ، أدرك أنه يريد دولة بنى العباس ، فارسية الدين ، فارسية اللغة ، فارسية التقاليد ، فارسية الحكم ، لتستعلن المجوسية مرة أخرى في قوة طاغية جبارة أدرك المنصور هذا فقتله^(١) ، قبل أن يقتل الجماعة الإسلامية وأمة العرب ، وخنست الصهيونية تكيد في الخناء ، وتدبر في الخفاء ، تكيد - كما صنعت من قبل للمقيدة الصحيحة بما تزيّن من أساطير ، وبما تدبج من وثنية . فما أمدّ المسلمين بشوكتهم القوية إلا عقيدتهم القوية الصحيحة فإن قضوا على قوة عقيدتهم ، قضوا على قوتهم . وظلت تكيد ، وتستعلن بالكيد في صور توارت تستهدف تقويض أركان الدولة العباسية وفي صور مجادلات رعاء حول ما صوروه أنه من حقائق الدين ، فكان النزاع الفكري المشوب بالمتشعب الذي انشعبت به الجماعة الإسلامية . وأتت الفتن الدولة الإسلامية من أطرافها ، فراحت تنقسم إلى دويلات صغيرة ، لا تنتسب إلى الخلافة في بغداد إلا بالاسم فخب ، لقد تمزقت الوحدة . وأصبح العالم الإسلامي منقسماً على نفسه يخضع لأمراء مختلفي الأهواء متنازعي المشارب .

وأفاق العالم الإسلامي على دوي رهيب من براكين تتفجر ، فتجرف أمامها كل ما يعترض طريقها . إنهم التار . لقد انحدروا كالسيل العرم لا يبقى ولا يذر ، انحدروا كالمنايا

(١) قتل في ٢٥ شعبان سنة ١٣٧ هـ : ١٩ فبراير سنة ٧٠٥ م : وقد انهار الطاغية أبو مسلم أمام المنصور ، فكان مما قاله له : اسدقني لعدوك بأمر المؤمنين ، فقال أبو جهمر : لا أبقاني الله إذا أبقيتك ؟ وأي عدو أعدى لي منك ؟ وأوده الحرس بسيفهم حتى قتلوه ، وهو يصيح العفو ، فقال المنصور : يا بن الخناء ! العفو والسيوف قد اعتورتك ثم قال المنصور بعد أن قتل .

زعمت أن الدين لا يقتضى وستوف بالكيل أبا مجرم
سقت كأساً لت تسقى بها أمرى الحقيق من العلقم
وكان أبو مسلم قد قتل في دولة المنصور ستمائة ألف « أنظر الطبرى واس الأنير في حوادث سنة ١٣٧ هـ » .

الرهية تقضى على كل شيء . لقد أغرى التار ما عليه العالم الإسلامى من ضعف ، وماهم فيه من تفتت ، فراحوا يلتمهون الإمارات الإسلامية واحدة بعد أخرى دون أن يقف بطشهم الباغى المدمر قوةً وأين هى القوة ؟ لقد ملأ الرعبُ الطائشُ كلَّ قلب ، ففرَّ كلُّ إنسانٍ يبنى النجاة لنفسه ، لا يلوى على دين يكافح عنه ، ولا عرض يحميه ، ولا وطن يقاتل دونه . واهتبلتها الصهيونيةُ فرصةً سانحةً ، فراحوا يمدون الغزاة من التار بكل عون وراءه . حقدٌ مصمم على الانتقام وثراراتٌ لم تهدأ تحلم بالتدمير . تدمير المسلمين والقضاء على الإسلام . حتى وقف الغزاة على مشارف بغداد ، وأخافتهم تلك القداسة التى لما نَزَلَ ترف من الخلافة الإسلامية فى بغداد .

فوقفوا قليلاً يعدون العدة لتحطيم مقر الخلافة يهدفون من وراء ذلك إلى القضاء على كلِّ مقاومة ، فإنهم ظنوا أن القضاء على عاصمة المسلمين الكبرى ، بغداد ، سيجعل اليأس يستبد بالقلوب ، فلا يندفعون إلى مقاومة ، بل يحتجبون وراء الخوف القاتل ، والرعب الشديد تاركين البلاد الإسلامية للتار يعيشون فيها فساداً كما شاء الهوى . وكان على كرسى الخلافة فى بغداد عبد الله أبو أحمد المستعصم بالله^(١) .

وكان كما يقول صاحب الفخرى : « مستضعف الرأى ، ضعيف البطش ، قليل الخبرة . بأمور المملكة ، مطموعاً فيه غير مهيب فى النفوس ، ولا مطلع على حقائق الأمور^(٢) » . وهجم هولاكو قائد التار على بغداد^(٣) ، فسقطت فى يديه ، وأعملَ فيها النهب والسلب والتخريب والفتك الذريع ، وقتل الخليفة نفسه ، حتى امتلأ الجوُّ برائحة الجثث العفنة التى زكت الطرق ، حتى اضطر هولاكو إلى أن يتعد عن بغداد أياً فراراً من الرائحة الكريهة ، وخرب التار مكتبة بغداد ، فأحرقوا بعضها ، ورموا البعض الآخر فى نهر دجلة . بغية القضاء على التراث الفكرى الإسلامى ، وقطع صلة المسلمين بتاريخهم الماضى المجيد ،

(١) تولى له الخلافة سنة ٦٤٠ .

(٢) ص ٢٤٤ الفخرى ط سنة ١٩٢٧

(٣) كان ذلك فى سنة ٦٥٦ هـ ، ١٢٥٨ م

ثم انحدروا سراعاً - وقد قضوا على المعقل الكبير - إلى سورية ، ففتك بخمسين ألفاً من سكان حلب ، واستولى على أكثر مدن سورية ، وطمع هولاء في مضر ، المعقل الأخير القوى للإسلام والعروبة ، فأرسل إلى ملك مصر سيف الدين قطز المعزى سنة ٦٥٨ هذه رسالة المتعجرفة التي تمتلئ غروراً فجاً وقحاً : « من ملك الملوك شرقاً وغرباً القان الأعظم باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء .

يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم ، يتمتعون بأنعامه ، ويقتلون من كان سلطانه بعد ذلك .

يعلم الملك المظفر ، وسائر أمراء دولته ، وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال .

إننا جند الله في أرضه ، خَلَقْنَا مِنْ سَخَطِهِ ، وسلطانا على مَنْ أَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبَهُ .

فسلموا إلينا أموركم تسلموا قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا وقد عرقتم أننا خربنا البلاد وقتلنا العباد ، فلکم حقاً الحرب ولنا خلفكم الطلب ، فما لكم من سيوفنا خلاص ، خيولنا سوابق ، وسيوفنا قواطع ، وقلوبنا كالجبال ، وعدونا كالرمال ، ومن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم ، فإن أتم لشرطنا وأوامرنا أطعتم ، فلکم مالنا وعليكم ما علينا ، فقد أعذر من أنذر ، وقد ثبت عندكم أننا كفره ، وثبت عندنا أنكم الفجرة ، فأسرعوا إلينا بالجواب قبل أن تُضْرم الحرب نارها ، وترميكم بشرارها ، فلا يبقى لكم جاه ولا عز ، ولا يعصمكم منا جبل ولا حرز ، فما بقي لنا مقصد سواكم .

والسلام علينا وعليكم ، وعلى من اتبع الهدى ، وخشى عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى^(١) . »

(١) ص ٦٤ ج ٨ صبح الأعشى ، وقد أخطأ صاحبه - ولعله خطأ مطبعي - فجعل تاريخ هذا الكتاب سنة ٧٥٨ هـ على حين أرسل في سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م ، والسلوك للمقريزي ج ١ القسم الثاني ص ٤٢٦ .

وقد حمل هذا الكتاب الوقح « كتبنا » أحد أمراء هولاء كو ، ومعه أربعة من التار
ويقول ابن إياس : « فلما أن سمع الملك المظفر قطز مضمون ما في كتاب هولاء كو ،
أحضر الأمراء واستشارهم فيما يملكون من أمر هولاء كو ، فقال الأمراء : نجتمع العساكر
من سائر البلاد ونخرج إليه ونقاتله أشد ما يكون من القتال ، ثم إن الملك المظفر قطز
نادى في القاهرة بأن النفير عام إلى الغزو في سبيل الله تعالى ^(١) » واشتعلت القلوب حماسة
وحمية ، واندفع الشعب العربي كله في أنحاء مصر يبذل من ماله الشيء الوفير عوناً على
القتال ، وحمل كل قادر على حمل السلاح سلاحه ، لقد صمموا على أن يأخذوا بثأر الإسلام
من هؤلاء الغزاة الطغاة البغاة ، لم يرهبهم أن هولاء كو سحق من قبل كل مقاومة ، ودمر
كل حصن ، ورد على أعقابهم مدحوراً كل جيش ، لم يخفهم بطش التار ولا بغيتهم الفاجر
على كل شيء وانتقامهم الرهيب من كل بني الإسلام ، لم يخافوا هذا ولم يفكروا فيه ،
بل كان كل همهم أن يردوا هذا الطوفان عن العالم الإسلامي ، بل عن الإنسانية كلها ،
كان همهم سحق هؤلاء الذين طحنت القسوة كل مافي القلوب من رحمة أو حنان ، إنهم
يعلمون أن التار ينحدرون كالموت القاصف والريح العاصف ، ولكنهم يعلمون أيضاً ،
ويؤمنون أيضاً بأنها المعركة الفاصلة بين الإسلام والكفر المتوحش ، لقد عزَمَ التارُ
وسحقوا كل من لاقاهم ، ولم يبق إلا المسلمون في مصر إلا العرب الذين ملأوا التاريخ
أعجاءاً وفتوة وإقداماً وأريحية وفداية وتضحية ، فإذا حانت الهزيمة بالمسلمين في مصر
غرب نجم الإسلام وراء الأبد ، واندكت عمده تحت الهوى التائهة السحيقة . لهذا صم
المسلمون في مصر على القضاء على هذا الخطر الداهم الذي يهدد الإنسانية كلها بالدمار والفناء
ورد « قطز » على هولاء كو حينما زلزل من غروره ، فقد رفض الإنذار وقتل رسله ،
واندفع الجيش العربي المصري بقيادة القائد المظفر الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري .
يقول ابن إياس : « ثم رحل - أي قطز - من الصالحية وجد في السير إلى أن وصل إلى
عين جالوت ^(٢) من أرض كنعان ، فتلاقى هناك عسكر هولاء كو ، وعسكر السلطان قطز ،

(١) انظر ص ٩٦ ج ١ تاريخ مصر لابن إياس ط ١٣١١ هـ

(٢) عين الجالوت بلدة بين نابلس وبيسان مهرة عمال فلسطين .

فكانت بينهما ساعة تشيب فيها النواصي ، وقتل من الفريقين مالا يحصى عدده ، فكانت الكسرة على التار فكسروهم وشتتوهم إلى « بيسان ^(١) » وكان ذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ومضان من السنة المذكورة ^(٢) ، ثم وقعت بينهما وقعة ثانية على بيسان أعظم من الأولى ، قتل من التار نحو النصف وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة من خيول وسلاح وغير ذلك ، فلما جرى ذلك توجه السلطان قطز إلى نحو الشام ، فدخلها في موكب عظيم ، وجلس للحكم ^(٣) .

وتتبع قطز بجيشه العربي المصري جموع المغول حتى طردهم من بغداد ، وأبى إلا أن يعسكر في منطقة الفرات ليصد عن بغداد غارات المعتدين .

وهكذا انقذ الجيش العربي المصري الشرق والغرب من خطر ماحق ، فلو أن المسلمين في مصر هزموا في هذه المعركة لاندثر الشرق ولعبرت هذه الجموع التتيرية البحر الأبيض ، ودمرت أوروبا نفسها . إنها كانت معركة الحياة بالنسبة للمسلمين بخاصة ، وللإنسانية كلها بعامة ، وهكذا يثبت الدين الرحم القوى بين أهله ، وأنه الموجه إلى الغايات ، تتألق فوق قباب النجوم ، والذي يجب أن يتصور قيمة هذه المعركة يجب أن يتصور قوة التار التي اجتاحت آسيا ، وكل الشرق حتى دقت أبواب حدود مصر ، وأن هذه القوة الطاغية العنيفة أبادت كل مقاومة ! ! ثم يتصور ماذا كان يحدث لو أن التار انتصروا ؟ .

هذه عبر التاريخ ، تاريخكم أيها المسلمون ، تاريخكم أيها العرب ، والاستعمار يحاول اليوم أن يفعل بكم كما فعل التار ، فهل تتعظون ؟ .

عبد الرحمن الوكيل

(١) مدينة بالأردن بالمغفور الشامي « مرصد الاطلاع » .

(٢) أي ٦٥٨ هـ (٣) ص ٩٧ تاريخ ابن إياس ج ١ .

(٤) وعدنا الأخ الكريم الدكتور النابغة إسماعيل حنى مشكوراً بإلقاء محاضرات صحيحة بالمرکز العام للجماعة احتساباً لوجه الله ، وكتابة مقالات صحيحة أيضاً بالمجلة خدمة لدعوة الحق ، ونحن نشكر دكتورنا العزيز على هذه الأريحية الكريمة .
عبد الرحمن الوكيل

تاريخ فقيد الاسلام الشيخ محمد حامد الفقي

رضى الله عنه

لقد طلب إلى إخواني أنصار السنة الحمديّة أن أكتب بمجلة الهدى النبوي تاريخاً لشقيقى الشيخ محمد حامد الفقى رضى الله عنه ، وكان طلبهم هذا فى اليوم السابع من وفاته . وأنا فى غمره من الحزن العميق لفقده ، فقد كان لى صديقاً ورفيقاً قبل أن يكون لى أخاً شقيقاً .

وإنه لمن الصعب علىّ جداً أن تطاوعنى ذاكرتى لأستليها تاريخ أخى الراحل ومن لى بهذه الذاكرة والألم بفقده يملاً جوانحى ويقطع علىّ سبل تفكيرى ، ولكنى رأيته وسمعتة ينادينى ويطلب منى الصبر على فقده وترك الحزن والجزع لموته ، ويقول لى إننى لم أمت مادامت كلمة الله هى العليا وكلمة الشيطان والخرفين هى السفلى ، فدوى صوته فى أذنى كما كنت أسمع فى خطبه وأصمت لقوله وتعاليمه التى طالما ذكرنى بها . وقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وربُّنا الرحمن المستعان على ماتصفون .

ولأن الفقيد رضى الله عنه لم يكتب عن نفسه ، فإن مرجعى فيما أكتبه عنه ذاكرتى فها أنا ذا أجيب طلبتهم بقدر ماتمنحنيهِ الذاكرة ، والله ولىّ المتقين .

مولده

ولد رضى الله عنه بقرية جزيرة نكلا العنب فى سنة ١٣١٠ هجرية ، وكان وهو صغير قد نقش هذا التاريخ على ذراعه الأيسر بالوشم ، وتوافق هذه السنة سنة ١٨٩٢ ميلادية وقرية جزيرة نكلا العنب من قرى مركز شبراخيت مديرية البحيرة ، تقع على الشاطئ الأيسر لفرع رشيد على مسافة ١٢٨ كيلومتر تقريباً من القناطر الخيرية ، وسميت جزيرة لأن مياه النيل كانت تحيط بها أيام الفيضان من جهاتها الأربع قبل إنشاء جسر النيل الحالى الذى أنشئ منذ ١٢٠ سنة تقريباً .

ونسبت هذه الجزيرة لنكلا العنب ، وهى بلدة كبيرة تجاور هذه القرية ، ونسبت الجزيرة إليها لأنها هى الأصل ، وكلمة نكلا قد رأيتها فى الخرائط القديمة مكتوبة نخلة ، ويغلب على الظن أن تكون نكلا محرفة عن نخلة .

أما العنب : فلأن هذه المنطقة كانت فى الأصل تزرع بأشجار فاكهة العنب وإن كانت زراعته فيها الآن قليلة جداً - وتُسابُ جزيرة نكلا بلدة القصابة مديرية الغربية على الضفة اليمنى للنيل ، وليس بين القريتين إلا عرض فرع النيل .

أبواه

ولد الفقيد رضى الله عنه من أبوين كريمين ، فوالده الشيخ سيد أحمد عبده الفقى ، كان زميلاً فى الدراسة بالأزهر الشريف للأستاذ الإمام محمد عبده رضى الله عنه .

فلقد حدثنى والدى رحمه الله عن ذلك ، وقال إنه كان يساكنه فى بيت واحد بشارع الباطنية ، ولم يتم الوالد الدراسة بالأزهر لظروف اضطرتة إلى تركها بعد أن قطع فيها شوطاً بعيداً ، وهو إن كان قد انقطع عن الأزهر الشريف إلا أنه لم ينقطع عن الدراسة بالقرية ، فدرس فيها تفسير القرآن وأحاديث البخارى .

أما والدته ، فقد كانت السيدة الوحيدة فى القرية التى تحفظ القرآن الكريم وتجيد القراءة والكتابة .

وبين هذين الوالدين نما وترعرع وحفظ القرآن الكريم ، وأتم حفظه فى شهر رمضان سنة ١٣٢٢ هجرية ، إذ كانت سنة وقتذاك اثنى عشر عاماً .

ولقد كان والده رحمه الله أثناء تحفيظه القرآن يوضح له معانى الكلمات الغريبة ، ويعلمه مبادئ الفقه مما جاء بالآيات القرآنية ، كما كان يعلمه المواقف وأسبابها والغن والمد وغيرها من علم الترتيل ، حتى إذا أتم حفظ القرآن كان ملماً إلماماً خفيفاً بعلومه ومهياً فى الوقت ذاته لتلقى العلوم بالأزهر الشريف على الطريقة التى كانت متبعة وقتذاك .

قدومه إلى الأزهر

كان والدنا رحمه الله قد قسم أولاده الكبار على المذاهب الأربعة المشهورة ليدرس كل واحد منهم مذهب منها ، فجعل ابنه الأكبر الشيخ عبد الرازق الفقى مالكيًا ، وجعل ابنه الثانى الشيخ محمد نعمان الفقى حنفيًا ، وجعل ابنه الثالث كاتب هذا المقال شافعيًا ، وجعل ابنه الرابع وهو الشيخ محمد حامد الفقى حنبليًا ، وكان المسئول الأول عن تنفيذ هذا البرنامج الابن الأكبر المرحوم الشيخ عبد الرازق لأن والده أرسله لطلب العلم بالأزهر سنة ١٣٠٢ هـ فدرس مذهب مالك ، وجاء أخوه نعمان فنسبه حنفيًا سنة ١٣١٦ هـ وجاء كاتبه فنسبه شافعيًا سنة ١٣١٨ هـ ، وجاء الفقيد فأراد الشيخ عبد الرازق أن ينفذ له توزيع والده ليدرس حنبليًا فوجد عقبة فى طريقه ، وكانت تلك العقبة أمرًا عجبًا ، ذلك أن رواق الحنابلة بالأزهر وقتذاك كان يقيم نحو ثلاثين طالبًا فقط وعالمين اثنين فلما قدم للفقيد فى رواق الحنابلة قال شيخه وكان حريصًا على ديناه « إنكم تريدون إدخاله برواق الحنابلة ليأخذ جريئة من الرواق ، فيقلل نصيب كل واحد منا لأنه إذا زاد المقسوم عليه صغر خارج القسمة . وكانت النتيجة أنه أبى على الشاب حامد أن يقيد برواق الحنابلة . وأبى عليه أيضًا أن يدرس مذهب أحمد بن حنبل ، وما كان هذا الشيخ يدري أن هذا الشاب حامد الفقى سيكون إمامًا من أئمة الحنابلة رضوان الله عليهم أجمعين ، فانتسب بالأزهر حنفيًا وقيد فى الدفاتر حنفيًا .

دراسته بالأزهر

بدأ دراسته بالأزهر فى شهر شوال سنة ١٣٢٢ هـ التى توافق سنة ١٩٠٤ ميلادية كان الطلبة الصغار وقتئذ يبدأون دراستهم فى الأزهر المعمور بعلمين اثنين هما علم الفقه وعلم النحو ، وكانت الدراسة المقررة كتبًا لا سنوات فيبدأ الطالب الحنفى فى الفقه بدراسة مراقى الفلاح ويبدأ فى النحو بكتاب الكفراوى وهذان الكتابان هما السنة الأولى الدراسية ولا ينتقل منهما حتى يتقن فهمهما . فإذا أتمهما فهما انتقل منهما إلى كتاب الشيخ خالد فى النحو

وكتاب مُنَلا مسكين في الفقه وهكذا لا ينتقل من كتاب حتى يتم دراسته فهما وتحصيلاً فينتقل إلى ما هو أرقى، ولقد كان الطلبة يختارون أساتذتهم (شيوخهم) فحين يحضر الطالب إلى الأزهر يجد المشايخ يدرسون الكتب المختلفة في النحو والفقه على المذاهب الأربعة فيحضر الطالب دروسه على شيخ فإذا أعجب به بقي عنده وإذا لم يفهم منه تركه وانتقل إلى آخر وهكذا حتى يستقر في دراسته على شيخ وكثيراً ما كان الطالب بعد هذا الاستقرار يستمر في دراسته على شيخه الذي اختاره حتى يقطع معه مرحلة طويلة في الدراسة ومرحلة في الزمن أيضاً وحتى يتم دراسته في العلم الذي بدأه بدراسة أكبر كتاب في هذا العلم فكان آخر كتاب في النحو الأشموني وكان آخر كتاب في الفقه حسب المذاهب في الحنابلة الدليل وعند الشافعية التحرير وعند الحنفية الهداية وعند المالكية الخرشي .

أما بقية العلوم الأخرى كالمنطق وعلم الكلام والمعاني والبيان والبدیع وعلم أصول الفقه فكان الطالب لا يبدأ في شيء منها إلا بعد ثلاث سنوات حيث كان يدرس المنطق أو علم الكلام الذي كانوا يسمونه التوحيد .

وكان للطالب بعد أن يقضى في الأزهر اثني عشر عاماً في الدراسة الحق في دخول إمتحان شهادة العالمية فإذا دخل ونجح كان بها وأصبح مدرسا بالأزهر . أما إذا لم ينجح فإنه يظل يدخل الإمتحان مرات متعددة حتى ينجح وهو إذا لم ينجح يبقى طالباً في الأزهر ولو قضى فيه حياته كلها مهما كانت هذه الحياة طويلة . وكثيراً ما كان في الأزهر طلبة قضى بعضهم عشرين عاماً وآخر خمسة وعشرين وآخرون ثلاثين وأكثر من الثلاثين .

وكان الطالب الذي يدخل امتحان العالمية وينجح من أول مرة نادراً جداً والغالبية العظمى لا يكون النجاح إلا بعد مرات متعددة .

أما الفقيه رحمه الله فإنه قد بدأ دراسته في النحو بكتاب الكفراوى وفي الفقه بكتاب مراقي الفلاح وأتمهما في سنته الأولى ثم في سنته الثانية درس كتابي الشيخ خالد في النحو وكتاب مُنَلا مسكين في الفقه ثم بدأ في العلوم الإضافية بالسنة الثالثة فدرس علم المنطق . وفي السنة الرابعة درس علم التوحيد ثم درس في الخامسة مع النحو والفقه علم الصرف وفي السادسة

درس علوم البلاغة وفي هذه السنة وهي سنة ١٩١٠ بدأ دراسة الحديث والتفسير وكان سنة
وقتنذ ثمانية عشر عاما فتفتح بصرة وبصيرته بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانبعث
فيه روح السنة المحمدية فسطع في قلبه الإيمان وسرت في جسمه روح الهداية كما يسرى الماء
في العود الأخضر .

وكانت دراسة الحديث في ذلك الوقت نوعان العبادة يقصد منها التفهم والفهم للعاني ،
إنما كان يقصد البركة والتبرك بالفاظ الأحاديث وكان الكثيرون يتعبدون بتلاوتها لا بتفهمها
وفي كثير من الأحيان كانت إذا نزلت بمصر نازلة في زرعها أو زرعها أو أصابها ضر من
ظالم أو عسف من مؤذ متعسف لجأ العلماء إلى البخارى وجلسوا في القبلة القديمة يتلونه
ليكشف الله البركة هذه التلاوة عنهم ويرفع بها كرتهم ويترشح الظالم عن مركزه
ويقصى المتعسف عن سلطانه .

وآخرون كانوا يتخذون من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوانا يضعونه
حيث يشاءون ليشقوا به لأنفسهم طريقا للارتزاق وجلب المنافع الدنيوية وماهم بباحثين عن
هدى رسول الله في أمور دينهم ودنياهم ليصلوا به إلى سعادة آخرتهم .

وكل هؤلاء يأخذون القشور ويحرصون عليه ويتركون اللب ويهملون الحصول عليه
وليس لأحاديث الرسول في قلب أحدهم موضع ولا في أذهانهم منها أثارة من علم فكل
مالديهم من ذلك بضاعة مزجاة لاتنفعهم في الدنيا ولا يجعل لهم من الآخرة درجة عند الله .

ولما أمعن الفقيده في دراسة الحديث على الوجه الصحيح والتمسك بسنة الرسول الأعظم
لفظا ومعنى وروحا التف حوله نفر من إخوانه في الدراسة ناصروه وأيدوه واتخذوه شيخا
لهم لجرأته وإقدامه .
(يتبع)

محمد سبيح الحمد الفقي



ذكريات

(بقية النشور على ص ٦١)

فى بعض الشئون فتصادف أن جلس معنا ابنه سيد أحمد - رحمه الله - فى غرفة الجلوس ، فتحدثنا فى أمور شتى وتناقشنا حتى احتدم الجدل والنقاش بينى وبين سيد أحمد ثم علت الأصوات وتطورت الألفاظ بل كدنا أن تهاك . وفى هذه اللحظة دخل فضيلته فسكتنا ، ثم علم بما حدث فنهز سيد أحمد واشتد عليه فى القول - لا بمجاملة لى فما كان يعرف ذلك - وأيدنى فيما ذهبت إليه لأنه رأى الحق معى .

تلك بعض ذكرىاتى مع الرئيس الراحل رحمه الله رحمة واسعة وأنزله منازل الأبرار مع الذين أنعم عليهم من النبیین والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . وأرجو أن أعود للكتابة عن هذه الذكريات مرة ومرات إن شاء الله .

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات للمنازة التى تحظى برضاء وإعجاب العملاء فى أنحاء مصر والسودان

لمناتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتى

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل فى الدفع على أقساط شهرية

استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعى

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين إرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترجو السادة المتعمدين إرسال ما بهدتهم . ولهم جميعاً الشكر .

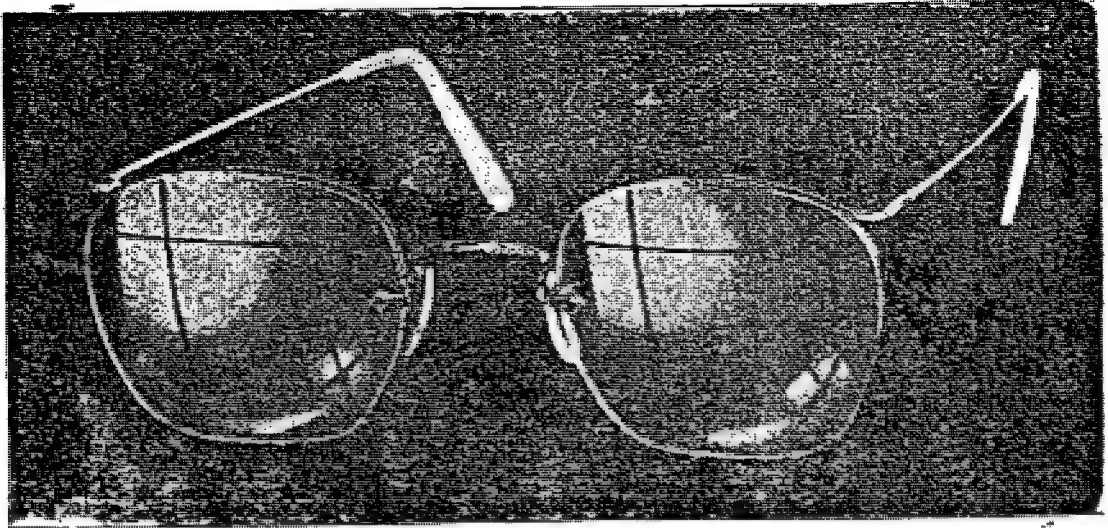
في أي مكان تجده يتألق ويزهو



آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكريسي النموذجي
انتاج، حسن علي حقاد

إنه الكرسي النموذجي

في المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
موبيليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل .
حسن علي صمد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندي سجل تجاري ٤١١٠١



أحدث النظارات الرائعة نجدها عند الأخصائي

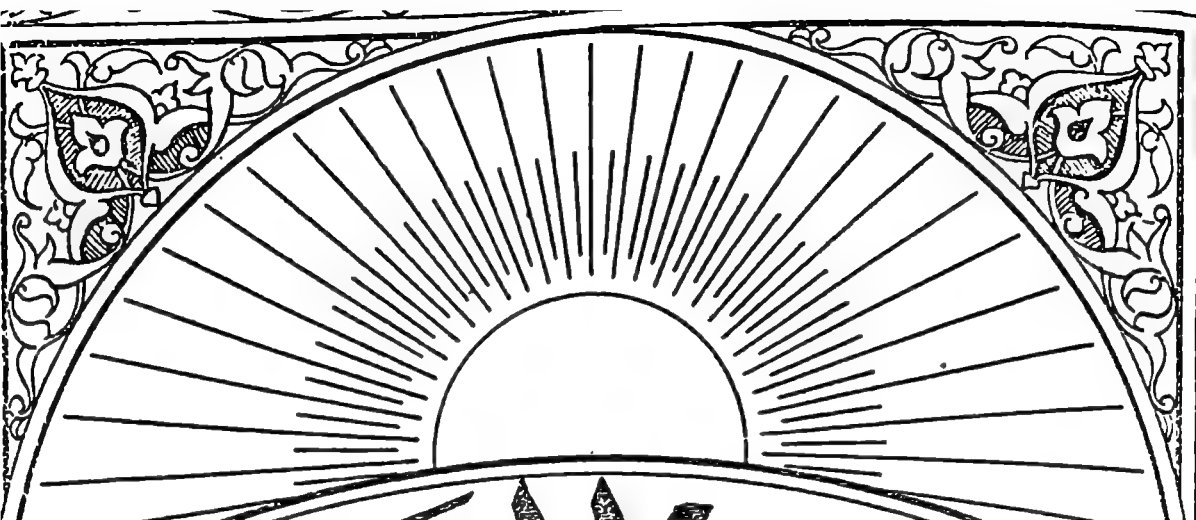
أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ ب ميدان القبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شباير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع



المَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣	التفسير بقلم الأستاذ الشيخ عبدالرحمن الوكيل
١٤	« كتاب تنبيه الأذهان » لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
١٨	عقيدة القرآن والسنة لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس
٢٣	خطبة منبرية بقلم الأستاذ رشاد سليمان محمد
٢٩	الصوم بقلم السيدة حرم المرحوم الدكتور محمد رضا
٣٤	حول تحضير الأرواح بقلم الأستاذ محمد سليمان عثمان
٤٠	رجل عظيم للأديب سعد صادق محمد
٤٤	رئيسنا الراحل للأديب عبد السلام رزق الطويل
٤٨	الحراقة التي رددتها القاهرة » » » »

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات الممتازة التي تحظى برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان

لمئاتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

محلات محمد حبيب الساعاتي

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل في الدفع على أقساط شهرية

استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعي

الهدي النبوي

مدير الإدارة
محمد رمزي غلبيل

الاشتراك السنوي

٢٠ - في مصر والسودان

٣٠ - في الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

الإدارة :

٨ شارع قوله

بعبدين مصر

ت ١٧٦٥٧٦

العدد ٩

رمضان سنة ١٣٧٨

المجلد ٢٣

نور من القرآن^(١) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى جل ذكره :

(١٧ : ١٣ - ١٥) وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) فسر فضيلة والدنا الجليل المرحوم للبرور المغفور له - بإذن الله - الرائد الأول لجماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ محمد حامد المقي - غفر الله له ، وأنزله منازل الأبرار والصادقين إلى أول الآية التي بدأت بتفسيرها مستعيناً بحول الله وقدرته ، متوسلاً إليه بالضراعة الخالصة أن يفقهنا في تدبر آياته ، وأن يهب لنا حسن البيان عما نفهم . ومنهجى في التفسير يقوم على أساس تتبع معاني الألفاظ كما وردت في لغة العرب دون أن نحمل اللفظ مصطلحاً فقهياً أو أصولياً ، أو كلامياً أو فلسفياً . مما تواضع رواد هذه الفنون عليه ، حتى لا تجرد اللفظ من معناه الحق الأصيل ، ونستهدف الهوى والرأى الفطير فما نكتب ، ولن نستطرد في مباحث نحوية أو بلاغية إلا بقدر نحتاج إليه حاجة ماسة في الكشف عن إعجاز البلاغة القرآنية ، ولن نشير إلى ما يواهم فروض العلم أو نظرياته ، فهذه عرضة للتبديل والتغير ، والقرآن العظيم أسمى وأجل من أن تغير آياته بالأفكار البشرية التي يمرض لها الخطأ والصواب ، والحق والباطل ، ثم بعد شرح معاني الألفاظ نذكر معنى الآية كلها مستعينين بالله سبحانه ولا نبتغي بما نكتب إلا الإسهام في الكشف عن دلائل الهداية القرآنية ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ، ولكنه الخطأ الذي لا يعود إليه الفكر أو القلم أو الهوى ، ونسأل الله أن يغفره إن عثر بنا ، أو عثرنا به .

كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا . من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها ، ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا .

« أزمانه » قال الراغب : لزوم الشيء طول مكثه ، وقال ابن فارس : اللام والزاي والميم أصل واحد صحيح يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً .

« طائره » قال الراغب : الطائر كل ذى جناح يسبح في الهواء ، وَتَطَيَّرَ فلانٌ وَطَيَّرَ ، أصله التفاضل بالطير ، ثم يستعمل في كل ما يُتَفَاءَل به وَيُنْشَأَم (٣٦ : ١٨) قالوا : إنا تطيّرنا بكم) وقال : (٧ : ١٣١) وإن تُصَبِّه سِبْئَةً يَطَيِّرُوا بِمُوسَى وَمِنْ مَعِهِ) أى يتشاءموا (٧ : ١٣١) ألا إنما طائركم عند الله (أى شؤمهم ما قد أعد الله لهم بسوء أعمالهم ، وعلى ذلك قوله سبحانه : (٢٧ : ٤٧) قالوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ، قال : طائركم عند الله (٣٦ : ١٩) قالوا طائركم معكم) ، (١٧ : ١٣) طائره فى عنقه (أى عمله الذى طار عنه من خير كان أو شر .

وقال ابن فارس : الطاء ، والياء والراء ، أصل واحد يدل على خفة الشيء فى الهواء . . . ومن الباب : طائر الإنسان ، وهو عمله .

وقال صاحب لسان العرب : الطيران حركة ذى الجناح . . كل حركة من كلمة أو جارية مجرى فهو طائر مجازاً ، والطائر ما تيمنت به ، أو تشاءمت ، وأصله فى ذى الجناح ، وقالوا للشيء يَطَيِّرُهُ به من الإنسان وغيره : طائِرُ الله لا طائرك ، فرفعه على إرادة : هذا طائرُ الله ، وفيه معنى الدعاء ، وقال ابن الأنبارى : معناه فعل الله وحكمه لا فعلك وما تتخوفه . . . والمصدر منه الطَّيْرَةُ ، وجرى له الطائرُ بأمر كذا . وجاء - أى الطائر - فى الشر ، قال الله عز وجل : (ألا إنما طائركم عند الله) المعنى : ألا إنما الشؤم الذى يلحقهم هو الذى وعدوا به فى الآخرة ، ما لا ينالهم فى الدنيا : وقال بعضهم : طائركم : حظهم . قال الأعشى :

جرت لهم طير النحوس بأشام

وقال أبو ذؤيب :

زَجَرْتُ لَهْمَ طَيْرِ الشَّامِ فَإِنْ تَكُنْ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوَى يَصْبُكَ اجْتَنَابُهَا

وقال أبو عبيدة : الطائر عند العرب الحظ ، وهو الذي تسميه العرب : البخت .

وقال الفراء : الطائر معناه عندهم : العمل ، وطائر الإنسان عمله الذي قُدَّه ، وقيل :

رزقه ، والطائر الحظ من الخير والشر . . وطائر الإنسان : ما حصل له في علم الله مما قدر له ،

وقوله تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) قيل : حظه ، وقيل : عمله . وقال

المفسرون : ما عمل من خير وشر ، ألزمناه عنقه إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وقال صاحب القاموس : والطائر الدماغ ، وما تيمنت به ، أو تشاءمت ، الحظ وعمل

الإنسان الذي قُدَّه ورزقه ، والطَّيْرَةُ والطَّيْرَةُ والطَّيْرَةُ ما يتشائم به من أفعال الردى ،

وتطير به ومنه .

وأقول : إن أحسن ما قيل في معناها وأعمه وأشمله ، هو قول القائل : الطائر كل حركة

من كلمة أوجار ، وأنها عمل الإنسان الذي طار عنه من خير وشر ، أما المعاني الباقية كلها

فداخلة تحت هذا المعنى .

« الكتاب » قال الراغب : الكتاب في الأصل : الصحيفة مع المكتوب ، ويعبر عن

الإثبات والتقدير والإيجاب والغرض - العزم بالكتابة .

وقال ابن فارس : الكاف والتاء والباء ، أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى

شيء . من ذلك الكتاب والكتابة . . ومن الباب الكتاب وهو الغرض .

« يلقاه » قال الراغب : اللقاء مقابلة الشيء ومصارفته معاً ، ويقال في الإدراك بالحس

وبالبصر وبالبصيرة .

وقال ابن فارس : اللقاء : الملاقاة وتوافي الاثنين متقابلين .

« منشوراً » قال الراغب : نشر الثوب ، والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث

بسطها .

وقال ابن فارس : النون والشين والراء أصله صحيح يدل على فتح شيء وتشمُّه به :

« حسيباً » قال الراغب : من يحاسبك ، ثم يعبر به عن المكافئ بالحساب . .
والحساب : استعمال العدد .

وقال ابن فارس : الحاء والسين والباء أربعة أصول . فالأول : العدد . ومن قياس
الباب : الحُسبانُ : الظن ، لأنه يعده من الأمور الكائنة . ومن الباب : الحَسَبُ الذي
يُعدُّ من الإنسان ، معناه : أن يعد آباءه شرافاً .

ومنه : احتسب فلان ابنه إذا مات كبيراً^(١) ، وذلك أن يعده في الأشياء المذخورة
له عند الله ، والحسبة : احتسابك الأجر .

« المعنى » فهنا - قبل - من آيات الله أن الإنسان في فتنة الحياة يدعو بما يسبب
له الخير كدعائه بما يسبب له الشر : يطلب من الله أن يهيء له أسباب الخير ، كما يطلب
منه سبحانه أن يهيء له أسباب الشر^(٢) ، هذا لأن مفهوم « الخير » عند الإنسان هو
« اللذة » فكل شيء يحققها له ، فهو خير ، وإن كان جريرة آثمة ، أو خطيئة فاسقة ،
وفهنا - كذلك - أن ليس للإنسان من عذر فيما يتردى فيه من شر أو يتهاوى فيه من
سوء ، أو يهلك به من خطايا النفس والجسد ، هذا ، لأن الله سبحانه فضل له في الكتاب
كل شيء ، فصل له ما يميز به بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال ، بين الخير والشر ،
بين الحلال والحرام ، فلا تختلط عليه بهذا التفصيل الجليّ قيَمُ الأمور ، ولا تغم في فكره
حقائقها ، فالحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وفصل له الله جل شأنه حقائق الأشياء في الدنيا ،
فيعرف بهذا التفصيل ما ينفعه وما يضره . إذا منحه من القوى الفطرية ما يحقق له هذه
المعرفة ، وجعل لما ينفعه سمات وآيات واضحة تحدثه أنها نافعة له ، وجعل لما يضره كذلك
دلائل جلية يعرف منها جيداً أنها ضارة له .

بين الله في كتابه الحق المهيم على كل كتاب ما فيه هدى الإنسان وسعادته بياناً

(١) إذا فقد صغيراً لم يبلغ الحلم ، قيل : اقترطه اقتراطاً

(٢) ترى من المجرمين وقت اقترافه الجريمة من يسأل الله أن يستره ، ومن يسأله أن يعينه

على اقتراف الجرم

مُشْرِقُ الْوَضَحِ ، ومنحه العقل الذى به يفكر ويتدبر ، والقلب الذى به يجد ويشعر ، والجوارح التى بها يتذوق ويعمل ويقدر ، منحه القدرة التامة على الاختيار ، كما منحه القدرة التامة على التمييز ، وعَبَّدَ له سبيل العمل إذ هداه النجدين ، وألهمه فجوره وتقواه ، وسخر له مافى السموات وما فى الأرض ، مما يحتاج إليه ، وتستقيم به إنسانيته .

ومن الناس من يقترف الشر ، ومنهم من يكسب الخير ، وفاعلُ الشر يَبْرُدُ أن لو تَنَوَّسِيَ له ما اقترف من آثام ، حتى لا يحزى بها إذا حان يوم الحزى أو لا يحزى بها إذا أسفر يوم الجزاء ، يود النسيء أن ينسدل ستارُ كثيف من النسيان على سيئاته ، وأن تضل أصداءُ خطاياهم وراء الأفق السحيق العميق ، فلا يذكر له أحد عمله ، ولا يَذْكُرُ يوماً من أحد عمله ، يود أن لو كان عمله طائراً يذهب فى الآفاق ، ولا يعرف كيف يعود إلى صاحبه . وكاسب الخير فى سبيل الله يود أن يبقى له عند الله ما قدم من صالحات يوازن بها ما يمنح إليه أحياناً من خطايا ، أو يتوسل بها إلى مثوبة من عند الله مباركة طيبة .

لهذا ينذر الله فى هذه الآيات مقترف الشر ، ويبشركاسب الخير ، وهذا فى قوله سبحانه (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) ينذر ربنا تعالى ويُبشِرُ به كل إنسان قد ألزمه الله سبحانه عمله إلزاماً لا يستطيع أبداً أن يتخلص منه ، وكيف وهو محيط بعنقه كالدائرة ، فإن كان العمل خيراً فهو كقلادة الحلى العظيمة ، يقلدها صاحبها عن جدارة وحب ، فترفع من مكانته وتزينه ، وإن كان العمل شراً ، فهو كالغِلِّ يَسِمُ صاحبه بالعار والحزى ويشينه .

يبشِرُ الله وينذر الإنسان بأن كل ما يطير عنه من خير أو شر لا يضل عنه أبداً ، بل هو باق معه ملازم له متمكن منه تمكن الغل ، أو القلادة من العنق ، يبشرو وينذر الإنسان بأن كل حركة نفسية يعبر عنها بلسانه بقولا أو بجوارحه عملا ، ملازمة له حتى يلتقى بها الله يوم القيامة .

فلا يطمع مقترف الشر فى الفكاك من غل عمله ، ولا يخف كاسب الخير أن يجرد من حُلِيِّ صالحه ، وإنه لإعجاز فى القهر والغلبة أن يطلق طيرك الذى أنت صاحبه ، ثم يقهره غالب على أن يلازمك أثنى مشيت وحيثما كنت فى مدارج الحياة ، أو فى مهاوى القبور .

فإذا ما أسفر يوم القيامة ، وجد كل امرئ صحيفه أعماله مبسوطه أمامه ، وقد سجل فيها كل صغيرة وكبيرة ، وبصره حديد ، وما فيها واضح كل الوضوح ، ثم يؤمر أن يقرأ بنفسه ، ليكون هو الحاسب على نفسه ، فيحصى لها ما قدم من حسنات ، ويحصى عليها ما اكتسب من سيئات . وإنه لبرّ عظيم بالعدل أن يجعل الله الإنسان هو الحاسب على نفسه ، لتبلغ به الطمأنينة إلى أقصى ما تشعر به النفس من طمأنينة ، ليقن تمام الإيقان إلى أنه لم يُظلم ، وإلى أنه لن يلحقه ظلم ، وإلى أنه لم يسجل عليه شيء غير ما عمل ، وإلى أنه سيُجزى بما عمل ، إلا أن يتفضل الله ، وهو رب التقوى ، ورب المغفرة .

ترى أفى مقدور إنسان ما ، أو قوة ما إنجاه المسىء من عمله؟! أيستطيع بشرى ، أو غير بشرى أن يفك غلّه عن عنقه ، والله سبحانه هو الذى أحاطه به ، وألزمه إياه؟! قولوا لعبدة الموتى ، وسدنة الرمم . قولوا لهؤلاء الذين يضرعون إلى غير الله ، ويجدون من الناس من يستحهم على هذه الضراعة ، أن كل إنسان قد ألزمه الله طائره في عنقه . فهل فى مقدور هذه الأصنام الجامدة الخاملة أن تأخذ بالطير من يد الله ، فتطلقه إلى حيث تشاء؟ الإلزام من الله . فمن ذا الذى يستطيع حتى التفكير فى النيل من هذا الإلزام؟! قولوا لهم إن الله يقول (٧٤ : ٣٨ ، ٣٩ كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا أصحاب اليمين ^(١)) .

ويقول (٣٥ : ١٨) ولا تزرّ وزرّ أخرى ، وإن تدعُ مُثَقَلَةٌ إلى حملها لا يُحملَ منه شيء ، ولو كان ذا قربى ^(٢)) . إنه عهد الله مع رسله وعباده منذ نزل دين الإسلام . (٥٣ : ٣٥ - ٣٨ أم لم يُنبأ بما فى مُحَفِّفِ موسى ، وإبراهيم الذى وفى ، ألا تزرّ وزرّ أخرى؟!) .

(١) هذا لأن الله سبحانه لا يؤاخذهم بسوء أعمالهم ، ولكن يفرها لهم ، كما وعدهم (٤٦ : ١٦ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) .

(٢) معناها : وإن تطلب نفس ذات ثقل من الذنوب من يعينها على حمل ذنوبها ، أو يحملها عليها ، فإنها لن تجد من يحمل عنها شيئاً وإن يك بينها وبينه قرابة قريبة .. فأين نفع أصنامكم يا عبدة الأوهام ؟

وما زال من الشيوخ من يزعم أن رمم القبور تستطيع أن تحمّل الإساءة إحساناً ، والطلّح صالحاً مما عمل الإنسان . إن هذه الآية تحدد المسئولية الجزائية تحديداً قاطعاً صارماً جلياً .
تحدد أن كل امرئ مسئول وحده عن عمله^(١) ، ومحاسبٌ وحده عليه ، وأن مسئوليته لن تكون إلا بين يدي الله وحده .

ثم يقول ربنا سبحانه (من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه) .

معاني المفردات : « اهتدى » قال الراغب : الهداية دلالة بلطف ، ومنه الهدية ، وهو اذى الوحش : أى متقدماتها الهداية لغيرها ، وخص ما كان دلالة بهديت وما كان إعطاءً بأهديت ، وهداية الله للإنسان على أربعة أوجه : فى الهداية التى عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية . ومنه قوله سبحانه : (ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ، ثم هدى) .

« الثانى » الهداية التى جعل الناس بدعائه إياهم على السنة الأنبياء ، وإنزال القرآن ونحو ذلك : (وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا) .

« الثالث » التوفيق الذى يختص به من اهتدى (والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم) .

« الرابع » الهداية فى الآخرة إلى الجنة : (سيهديهم ، ويصلح بالهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وهذه الهدايات الأربع مترتبة ، والإنسان لا يقدر أن يهدى أحداً إلا بالدعاء^(٢) وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات . وكل هدايه ذكر الله أنه منع الظالمين والكافرين ، فعلى الهداية الثالثة والرابعة . انتهى كلام الراغب .

وأقول : إن ماورد فى الآية هو « اهتدى » على صيغة « افعل » ومن معانى هذه

(١) يزعم ابن عربى وأحلامه أن لامتئولية ، لأن الله عنده هو كل شئ ، فهو إذن فاعل كل شئ ، والله لا يسأل نفسه ، ولا يعذب نفسه ۱۱ أفينتسب مثل هذا إلى الإسلام ؟

(٢) أى لا يملك الإنسان من هذه الهدايات إلا واحدة ، وهى دعوة الناس إلى اتباع الهدى ، وتبيين طريق الهداية لهم .

الصيغة : التصرف ، أى الاجتهاد والاضطراب فى تحصيل أصل الفعل . فعنى اهتدى :
جد واجتهد فى تحصيل الهدى .

« ضل » قال الراغب : الضلال العدول عن الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً قليلاً
كان أو كثيراً . . . وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً قليلاً كان
أو كثيراً : صح أن يستعمل الضلال لمن يكون منه خطأ ما . . . ولذلك نُسِبَ الضلال إلى
الأنبياء وإلى الكفار وإن كان بين الضالين بون بعيد .

وقال ابن فارس : الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو ضياع الشيء
وذهابه فى غير حقه . وكل جائر عن القصد ضال . . . ومما يدل على ما ذكرنا قولهم : أُضِلَّ
الميت : إذا دُفِنَ ، وذلك كأنه شيء قد ضاع .

« وازرة » قال الراغب : الوَزَرُ ، الملجأ الذى يلتجئ إليه من الجبل . والوزر : الثقل
تشبيهاً بوزر الجبل .

وقال ابن فارس : الواو والزاي والراء أصلان صحيحان ، أحدهما الملجأ ، والآخر الثقل
فى الشيء .

وقال صاحب اللسان : الوَزَرُ ، أصل الوزر ، الجبل المنيع وكل معتل وزر ، وكل ما التجأت
إليه ، وتحصنت به فهو وَزَرٌ ، وانْوَزَرُ : الذنب لثقله وجمعهما أوزار .
وأقول : « لاتزر » أى لاتحمل نفس وزراً . و « الوازرة » النفس الحاملة للوزر والتى
لأزمها الوزر حتى اتصفت به .

« معذبين » قال الراغب : العذاب هو الارتجاع الشديد . وقد عذبه تعذيباً أكثر
حبسه فى العذاب ، واختلف فى أصله . فقال بعضهم : هو من قولهم عَذَّبَ الرجل إذا ترك
المأكول والنوم . فهو عاذب وعذوب . فالتعذيب فى الأصل هو حمل الإنسان أن يعذب
أى يجمع ويسهر . وقيل : أصله من العذب ، فعذبه أى أزلت عذبة حياته ، وقيل : أصل
التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أى طرفها .

« نبث » قال الراغب : أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه ، ويختلف البعث
باختلاف ما علق به .

وقال ابن فارس : الباء والعين والياء أصل واحد وهو الإثارة . ويقال : بعثت الناقة ، إذا أثرتها . وقال ابن أحرر^(١) :

فبعثتها تقص المقاصر بعدما كبرت حياة النار للمتور
« رسول » قال الراغب : أصل الرسل : الانبعاث على تودة . . والرسول يقال تارة
للقول المتحمل كقول الشاعر :

* ألا أبلغ أبا حفص رسولا *

وتارة لمحمّل القول والرسالة . والرسول يقال للواحد وللجميع .
وقال ابن فارس : الراء والسين واللام : أصل واحد مضطرد منقاس يدل على الانبعاث
والامتداد .

« المعنى » من جدّ واجتهد بكل ما يملك من قوى تعينه على الجد والاجتهاد في تحصيل
الهدى ، حتى يكون كل شيء فيه مهدياً : عقله وقلبه وجوارحه وعمله ، فإن ثواب ذلك
كله راجع إلى نفسه . مقام كرم في الدنيا ، ومقام كرم في الآخرة : إنسانية تسير في
الحياة نوراً هادياً ، ويقيناً ثابتاً ، وإيماناً يقهر الأحداث ، وعوادي الظنون والريب ،
واستعلاء صادقاً على الشهوات ، فلا تستزِلُّها نزوة ، ولا تهفوها إلى السقوط ريبة - ولا
يُنجح بها عن إيمانها وقوتها جبروت باغ ، ولا تقف بها عقبة في الطريق ، لأنها تسلك
سبيل الهدى ، وسبيل الهدى ليس فيه عقبات .

هذا في دنيا المهتدي . أما هو في آخرته : فرضوان دائم من الله ، وجنة خالدة أبدية
النعم . . والهدى كله في كتاب الله سبحانه ، ولن يكون الإنسان مهتدياً إلا إذا جد في تدبر
القرآن وألزم نفسه العمل بهداه .

والآية الكريمة تحطم أصنام التقليد ، وطواغيت التبعية الصماء . فصيغة « اهتدى »
كما بينت من قبل تفيد الاجتهاد في تحصيل أصل الهدى ، والاجتهاد لا يكون إلا بتلاوة
وتدبر لما يتلو . والمقلد غير مجتهد في شيء أصلاً ، إنما هو بيفاء تماكي ماتسمع دون وعي ،

(١) نبه في اللسان إلى ابن عقيل .

وقد يحاكي ما يرى دون فهم ، أو بهيمة عجماء يسوقها دعاء صاحبها أو سوطه إلى ما يريد .
المقلد سجين العقل في يد ظالمة ، خامد الحس ، هامد الشعور ، ميت القلب . فهو لا يتدبر ،
لا يحس ولا يشعر ، ولا يفقه شيئاً مما حوله ، ولا مما يعمل من عمل يظن أنه يهديه إلى الله ،
إنما هو عبد مسخر في يد عبدٍ مثله تسخره أهواؤه . شهواته وخرافاتهِ وأساطيره ، ويسخر
بها سواه ممن خدعهم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها .

ثم يقول ربنا سبحانه « ومن ضل فإنما يضل عليها » ومن جار عن القصد ، وعدل عن
طريق الحق والهدى ، فإنما يحمل على نفسه وحدها جزاء ضلاله . لقد ضيّع عقله ، وضيع
قلبه ، وضيع عمله . وضيع عقله ؛ إذ عطاه ظالماً عما فطره الله له من النظر في آيات الله ودلائل
قدرته . وضيع قلبه ، فلم يحبب أو يبغض الله ، ولم يرض أو يبغض الله ، فذهبت عواطفه غير
مذاهب الحق والصدق والخير ، فهو معلق القلب بما يهوى سواه يصرف له حبه وبغضه ،
رضاه وسخطه ، طمأنينته وخوفه ، وكل ما يعتمل في قلبه من عواطف وميول . وضيع عمله
إذ اكتسب ما ليس فيه غناء ، ولا خير . فالعمل مرتبطٌ بحقيقة الإيمان وتعبير مُحس عنها ،
والعمل له إرادة وراءه تبعته ، وعقل ينبغي به غايةً وهدفاً . والمقلد مُضيّع الإيمان والعقل
والإرادة . فليس له من عمل إلا وهو رهنُ الضياع أيضاً ، فهو ضائعٌ في كل شيء . وهو
بهذا مُهلكٌ لنفسه ، لأنه ضيّعها ، حمل عليها^(١) ، ما كان يجب ألا يحمله عليها من النكبات
الثقال .

ثم بين الله سبحانه أنه جلّ شأنه ، لم يُنذِر بالعذاب أحداً إلا بعد أن أرسل رسوله
تهدى الناس إلى طريق الحق والخير والسعادة^(٢) ، ولكنهم تنكبوا السبيل ، فذهبوا

(١) نلاحظ أن الآية بينت أن ثواب الاهتداء لنفس المهتدي ، وأن ثواب الضلال عليها ،
واستعمال كلمة « على » يفيد أن ثواب الضلال أشبه ما يكون بالحمل الثقيل يحمله صاحبه على
نفسه ، واستعمال كلمة « لـ » في « لنفسه » يفيد أن ثواب الهدى كأنه هدية مقدمة إلى نفس المهتدي
(٢) شجر خلاف عميق حول أطفال الكفار أهم معذبون أم غير معذبين . على حين أن
الآية هذه حجة بينة لمن يريد تدبرها . فالله ينفي العذاب عن من لم يرسل إليهم رسلاً ومنهم الذين
لا يفقهون ما أرسل الله به رسله ، كالمجنون والصبي الصغير ، فكيف يعذب الله من سلبه القدرة
على الفهم .

بأنفسهم إلى أعماق الجحيم . لقد أضاء لهم الصراط ، ووضع عليه مناراتٍ ودلائل صادقة ، ولكنهم أبوا إلا أن ينعطفوا إلى الشَّبابِ المظلمة ، والأودية الضالة التي لا يهتدى فيها سالك ، ولا يطلع فيها صباح ، فهم أبد الدهر في ليلٍ دامس ومصير مهلك ، فما ذَنْبُ الْقَدَرِ ؟ خلق الظلمات والنور ودعاكَ إلى النور ، ومنحك القدرة على تلبية دعوته ، ورُغبتك في تلبية مادعاكَ إليه . ولكنك أبيت أيها الظُّلُومُ إلا أن تلج في أعماق الظلام ، ولم يمنعك من ولوجه ، لأنه سبحانه عادل معك ، لأنه ترك لك الإرادة الحرة في سلوكك ماشئت . ووهب لك القوَى التي تعينك على السلوك بوجهيه . فيك الحب والكراهة ؛ فيك الغضب والرضا فيك الشجاعة والجلين . بهذه تسلك الخير ، وبها نفسها تسلك الشر . فإن جعلتها لله ، فهي خير ، وإن جعلتها لغيره ، فهي شر . إن اعتلجت بها مشاعرك عن أمر الله ، سلكت بك الهدى ، وإن اعتلجت بها مشاعرك عن أمر غيره ، سلكت بك سبيل الضلال^(١) . فما ذَنْبُ الْقَدَرِ ؟ ما ذنب القدر حتى يقول المشرك : (٦ : ١٤٨) سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) . ليتهم يتدبرون قول الله : (٤١ : ١٧) وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا^(٢) العمى على الهدى) .

إن هذه الآية فيصَلُّ بين الحق والباطل . بل قوة إلهية قهارة تدك دعاوى أولئك الذين يزعمون أن القَدَرِ يحمل كل تبعه عنا .
وقفنا الله إلى أن نسلك دائماً سبيل الهدى ، إنه سميع مجيب .

عبد الرحمن الوكيل

قال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم .
وقال أكرم بن صيفي : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر : الصبر .

(١) اقرأ قوله تعالى (٤١ : ٢٥) وقبضنا لهم قرناء ، فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) .

(٢) لاحظ أن الاستحباب وراء إرادة طلبت حب العمى ، فلا استحباب إذن إرادة وطلب

لشيء ، بهذا استحقوا العقاب ، لأنهم أرادوه وطلبوه .

بَابُ الْكِتَابِ

كتاب تنبيه الأذهان

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

كتاب قيم ، وسفر جليل ، وبحث ممتع ، ومنطق مقنع ، وأدلة قاطعة ، وبراهين ساطعة وحجج مفرجة ، ومقاس ملجم لا يعتمد صاحبه إلا على الحق الثابت من كتاب الله ، وصحيح سنة رسول الله ، وإن فيها لغنية لطالب الحق ، وإن فيها هداية لمبتغى الرشد ، ومن لم يستغن بهما فلا أغناه الله ، ومن لم يهتد بنورها فلا هداه الله .

وضع هذا الكتاب القيم الباحث المدقق الأستاذ محمد صالح سعدان من كبار أنصار السنة وسماء : تنبيه الأذهان للرد على الشيخ عبد ربه سليمان في كتابه فيض الوهاب . وليس من اليسر تلخيص هذا السفر الجليل في هذه السطور القليلة من مجلة الهدى النبوى الغراء . والتلخيص لا يغنى عن القارىء الحب للوقوف على الحقائق شيئاً . فمن الخير لحبي الحقائق أن يطلعوا على هذا الكتاب . وأن يقرءوه باباً باباً . بل صفحة صفحة ، بل سطوراً سطوراً ، حتى لا يفوتهم شيء ، من درره الغوالى . ولقد عنت مجلة الهدى النبوى في عدد رجب وشعبان بإبراز تلخيص لأهم أبواب الكتاب ومقتطفات نافعة منه تشير إلى موضوعه ، وتدل على بعض ما انضمت عليه جنباته .

وضع الأستاذ الجليل هذا الكتاب ليرد على شخص سود صفحات سماها (فيض الوهاب) تصدى فيها لأنصار سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاول أن يفند أقوالهم ، ويبطل عقائدهم ، فكان رده عليه رداً حاسماً ، وصدمة قوية ، وطعنة قاتلة لدعاة الضلالة ومروجى الباطل .

لاجرم أن هذا السفر القيم لم يكن رداً على مسود صفحات (فيض الوهاب) وحده ، ولكن رد على جميع أولئك الذين يذهبون مذهبه ، ويسلكون سبيله من عبّاد القبور ، وعشاق التأويل الذين يحرصون على أن يبنوا ماجاء الإسلام لهدمه من فاسد العقائد وباطل الضلالات .

لا أعرف صاحب فيض الوهاب ، لم أقرأ له شيئاً ولم أطلع على فيضه ولم أر منه إلا الفقرات التي نقلها الأستاذ مؤلف كتاب تنبيه الأذهان . وقد دلتني هذه الفقرات على أن تسمية هذه الصحائف السود بفيض الوهاب من باب الأضداد كما يسمى العامة القدح الفارغ بالملآن ، وكما يسمى العرب اللديغ بالسليم . ذلك بأن ماجاء به لا يسوّغ الإيمان اعتباره فيضاً من الوهاب جل ثناؤه ، بل هو من وسوسة الشيطان ، لأن الوهاب تقدست أسماؤه لا يُفيض مافيه هدم دينه وتبديل كتابه والتكرار لسنة رسوله . وإنما ذلك من الشيطان . (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعموهم إنكم لمشركون ١٢١ : ٦) .

رد الأستاذ سعدان على هذه المفتريات ودحض هذه الأباطيل والترّهات في صراحة ووضوح ، وقوة ومضاء ، وشدة عارضة ، ودلل على أنه بين من ينتظم في صفوف العلماء منهم في أسس الحاجة إلى أن يتعلموا العقائد من العامة الذين لم تفسد فطرتهم باتصالهم بأنصار البدعة وعبيد الخرافة .

إن كتاب : تنبيه الأذهان مكتبة في كتاب ، لأنه يُمدّد - بحق - خلاصة وافية لجميع ما كتبه العلماء المحققون الذين نالخوا عن التوحيد . ودافعوا عن السنة ، وكافوا البدعة والخرافة .

هو مكتبة في كتاب ، بل دائرة معارف إسلامية تغني القارئ عن كثير من الكتب المؤلفة من مختلف الموضوعات التي عالج الكلام فيها . وذلك إلى سلامة العبارة ، وقوة البيان ، وسلامة المنطق وروعة الأسلوب .

نحن في عصر ازدهت فيه الأعمال ، وضاعت الأوقات ولا يجد فيه غير المتفرغين لطلب العلم فحة من الزمن للاطلاع على المطولات والموسوعات ، فحسب القارئ الذي يريد

أن يصحح عقيدته ، ويقف على حقائق دينه أن يقرأ هذا الكتاب فهو خليق أن يرشده إلى كل ما يلزمه الإلزام به من صحيح العقائد ، وأن يحول بينه وبين ما يهذى به المبطلون من الأباطيل والضلالات ، والبدع والخرافات والأوهام والخرعبلات .

لئن عذرنا الفقراء الذين قدرت عليهم أرزاقهم ، ولم يهتدوا سبيلا إلى الكسب الحلال ، فراحوا يتجرون بدينهم ، ويتخذونه حرفة ومرزقا وأقبلوا على العوام يخدعونهم ويفتلون لهم في الذروة والغارب طمعاً في السحت الذي يمدونهم به ليجدوا لقمة الخبز وجرعة الماء . ما عذر هؤلاء الذين بسط الله لهم الرزق وكفأت الدولة لهم ما ينفقون وأجرت عليهم الراتب الكبير إذا أخذوا مأخذ المحرومين وسلكوا سبيل الدجالين والحتالين ؟

ماذا يبتغون من وراء إفساد عقائد الناس ، ونشر الخرافات وإذاعة الضلالات ؟
ماذا يستفيدون من طمس النور ، وإشاعة الظلمات ؟ .

ماذا يريدون من عداوة الحق وصدقة الباطل ؟ .

ماذا يحنون من التسكر للخير ومناصرى الشر ؟

أمل ورجاء

أملى أن يصل كتاب تنبيه الأذهان إلى جميع الذين أفستت الخرافة أذهانهم ، وغلبهم المضلون على أمرهم ، فاتبعوا خطواتهم وانساقوا وراءهم بغير علم .
ورجائى أن يستشفوا بما وصف لهم من دواء ناجع فإن فيه شفاء من الأمراض الخبيثة التى انتقلت إليهم العدوى .

إن أنصار السنة يقرءون ما كتب أنصارهم وخصومهم على سواء لأن رائد هم الحق ، يبتغونه أنى وجدوه ، ومقصدهم الحكمة يلتقطونها أنى صادفوها . أما خصومهم فيحذرون مريديهم وأتباعهم قراءة كتب السنة . والاستماع إلى خطبهم وحضور ندواتهم لأنهم يعلمون أن للناس عقولا ، وأن للحق نوراً أبلج يلج في العقول فينيرها ويتسرب في النفوس فيهديها . ولأنهم يعلمون أن أنصار السنة لا يستدلون إلا بكتاب الله وسنة رسوله . فمن اطلع على كتبهم أو استمع إلى خطبهم أو محاضراتهم أو دروسهم فسرعان ما يتبين له الحق ويجد نفسه مدفوعاً

بقوة إلى اتباعه ، نادماً على الأوقات الثمينة التي أنفقها في متابعة الباطل ، آسفاً على العمر الذي أضاعه في صحبة المضلين .

من لى بمن يوصل هذا الكتاب لهؤلاء المفتونين بسادتهم وكبرائهم؟ .
من لى بمن يضعه فى أيديهم أو تحت أبصارهم ؟ وأنا على يقين من أن الأذكاء منهم إذا وقفوا على ما حواه يثوبون إلى رشدهم ويلعنون الشياطين الذين أضلّوهم عن الحق بعد إذ جاءهم .

* * *

وكل ما آخذه على المؤلف - حفظه الله - ورعاه - أنه وعد فى فاتحة الكتاب أن يوضح ما الإسماعيلية وما نحلّتهم وما البهائية وما معتقدهم ولكن شغله الرد على الشيخ عبد ربه فلم يفرغ للوفاء بما وعد به . ولعله يوضح ذلك فى كتاب آخر يخرجّه للناس إن شاء الله .
هذا ، والرغبة إلى أنصار السنة أن يحملوا نسخة من فيض الوهاب بعد أن يضعوا خطوطاً بالمداد الأحمر تحت الأباطيل التى احتواها مؤلفه على ترويحها .
بارك الله فى مؤلف كتاب تنبيه الأذهان ، ونفع المسلمين بكتابه ، ووفقه إلى إخراج أمثاله من الكتب النافعة آمين .

الشركة الاقتصادية العامة

(هــول و الشافى)

لتجارة الشاى والبن والبقالة وغيرها

بالجملة - والقطاعى

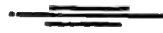
شارع الترجمان المتفرع من شارع القلمة (محمد طى سابقاً) عمر الشامى

تليفون ٤٥٧٢٢

عقيدة القرآن والسنة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين



تمهيد : نرى من الواجب ونحن نريد أن نكتب عن العقيدة الإسلامية كما نطق بها الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة ، وكما فهمها السلف الصالح رضى الله عنهم من نصوص هذين المصدرين الكريمين ، أن ننبه الأذهان إلى جملة من المبادئ والأمور العامة التى لابد من الوقوف عليها قبل الدخول فى المقصود ، لأنها تعين القارىء على فهم المنهاج الصحيح الذى يجب أن يتبع معالجة هذه المسائل الكبار التى هى أصول الدين والفقه الأكبر ، وهذه الأمور هى :

أولاً : أن الكتاب والسنة هما النوران الهاديان والنبعان الصافيان اللذان قد تكفلا ببيان الدين كله أصوله وفروعه ، فيجب أن نستمد منهما جميع الأحكام الدينية ، اعتقادية كانت أو عملية ، ولا يجوز أن يعارضا بشيء من أقيسة العقل ، أو الكشف والإلهام ، أو تؤول نصوصهما بما يخرجها عن معانيها التى دل عليها الوضع اللغوى والعرف العام من أجل ما يزعمه بعض الناس من قرائن عقلية ، ونحو ذلك .

ثانياً : أن مسائل العقيدة هى أصل الدين والأساس الذى تبنى عليه جميع الأعمال من عبادات وغيرها ، فيجب أن نرتفع عن مستوى الخلاف والجدل ، وأن لا تثار حولها الشكوك والشبهات ، لأنها جميعاً من قبيل الأخبار الصادقة التى يجب أن تقابل بالتصديق والإذعان لا بالتشكيك والنكران .

ولهذا كانت متفقة فى جميع الأديان ، قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال آمراً لنبه عليه الصلاة والسلام بعد ذكر من سبقه من الرسل (أولئك الذين

هداهم الله فبهدهم اقتده) فالمراد به الاقتداء في أصل الدين من التوحيد والإيمان . . . ولهذا أيضاً لا يسوغ فيها الاجتهاد ، كما يسوغ في العمليات التي هي متعلق الأمر والنهي .

ولم يؤثر عن السلف الصالح رضى الله عنهم أنهم اختلفوا في عقائدهم كما أثر ذلك عنهم في الفروع ، وقد ذم الله المختلفين في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى في سورة آل عمران (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقوله في سورة الأنعام (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) .

ثالثاً : جميع الخلافات الاعتقادية التي فرقت دين الأمة وجعلتها شيعاً وضمرت بينها نار العداوة والبغضاء ، وجعلت بأسها بينها شديداً ، وأضعفتها أمام أعدائها كانت كلها بحمد الله وليدة عوامل أجنبية لا صلة لها بالدين ، فكان أصحابها لا يصدرزون فيها عن فهم صحيح الكتاب والسنة واستنساك بهما ، ولكن يصدرزون إما عن هوى غالب ، أو عصبية محمقة ، أو تقليد أعمى ، أو تأثر بالفلسفات الأجنبية ، والأفكار الدخيلة ، أو خدمة أغراض خاصة ، أو حقد وموجدة على الإسلام ورغبة في إفساده على أهله ، إلى غير ذلك من عوامل هي أبعد ما تكون من الدين .

ولهذا ذم السلف رضى الله عنهم جميع الفرق المختلفة الخارجة عن دائرة الكتاب والسنة من خوارج ، ومرجئة وشيعة ، ومعتزلة ، وقدرية ، وجهمية وغيرها ، واضطروا إلى عقد المناظرات وتأليف الكتب للرد على هذه الفرق والدفاع عن عقيدة أهل الحق مع كراهتهم الشديدة للخوض في علم الكلام ، وذهمهم للمستغلين به حتى قال الشافعي رحمه الله :

« حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في العشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة » ولعل تلك الكراهة الشديدة لعلم الكلام وأهله كان منشؤها اعتقاد السلف رحمهم الله ، أن الكتاب والسنة قد تكفلا في هذا الباب بما لا حاجة معه إلى قول أحد ورأيه ، وأن جميع العقائد الإيمانية مع أدلتها التفصيلية اليقينية موجودة فيهما بأجل أسلوب وأوضح عبارة .

رابعاً : يزعم كثير من المشتغلين بعلم الكلام من أشعرية ومعتزلة وفلاسفة : أن أدلة العقل وحدها هي التي ينبغي أن يعول عليها في التوصل إلى العقائد الصحيحة لأنها أدلة برهانية تفيد اليقين .

وأما الأدلة التي يسوقها القرآن الكريم لإثبات توحيد الله عز وجل ، وقدرته وعلمه وحكمته وغيرها ، فهي بمعزل عن إفادة اليقين لأنها خطائية ، لا تفيد إلا الظن ، ولا تصلح إلا لإقناع العامة - وهذا القول في شناعته وجرمه يضاهي به أصحابه قول المستهزئين ، الذين جعلوا القرآن عضيئ - وإن شناعته أعظم من أن يقدموا أدلة عقولهم المأفونة على أدلة القرآن الكريم ، فيجعلوا عقولهم حاكمة ومهيمنة على كتاب الله - سبحانه هذا بهتان عظيم ، وجهل فاضح بقدر القرآن ، بل وبقدر من أنزله وجعله هدي للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وعله موعظة وشفاء لما في الصدور ، وأنزله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

إن أدلة القرآن ، لا تعتمد على تلك الجهليات والظنون الكاذبة ، والأوهام الضالة التي تعتمد عليها أدلة عقولكم ، ولكنها تعتمد على أسمى ما في النفس من مشاعر وأحاسيس ولا تقوم إلا على ما يراه الناس بأعينهم ، ويلسونه بأيديهم من عجائب الخلقة ودقيق الصنعة ، وتباين الأشكال واختلاف الصور ، وما أودع في الأشياء من عظيم المنافع وضروب المصالح ، إلى غير ذلك مما يسكب في النفس برد اليقين ، ويملاها إيماناً محضاً لا تشعر باختلاجة ريب ولا بريح شبهة .

وليست أدلة القرآن عقلية فقط كما زعمتم ، ولكنها عقلية وعقلية ، فهي عقلية من جهة ورودها على لسان الشرع ، وعقلية من جهة دلالتها ، بل هي أسمى ما يمكن أن يصل إليه العقل في الاستدلال ، ولهذا يجيء كثيراً بعد سوق هذه الدلائل في القرآن أن تحتم الآية بما يفيد أنها نزلت لقوم يعقلون ويتفكرون ويعلمون ويسمعون .

وكيف لا تكون أدلة القرآن عقلية ، وهو إنما نزل يخاطب العقل ويدعوه إلى البحث والنظر ويفتح أمامه آفاق التفكير واسعة ، ويطلبه بأن لا يؤمن بشيء إلا إذا قام

عليه البرهان وأثبت العلم الصحيح ، ويحذره دائماً من الجرى وراء الهوى والظن والإنسياق وراء التقليد الأعمى بلا مناقشة ولا تفكير .

خامساً - وهناك فرية أخرى تلوكها ألسنة هؤلاء المنهوكين المخدولين يجب التنبه لها ، فقد خدعوا بها كثيراً من السذج ، وهى قولهم (أن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم) .

وهذه العبارة تنادى على نفسها بما تنطوى عليه قلوب هؤلاء المغرورين بما عندهم من قشور فارغة من إزراء بمقادير السلف وتجهيلهم وأنهم لم يبلغوا من العلم والتحقيق مبلغ هؤلاء المتأخرين المتحذلقين . وقد يشتد بك العجب إذا علمت أنهم إنما يعنون بالسلف خير قرون هذه الأمة وأكملها علماً وإيماناً من الصحابة والتابعين ومن جرى على نهجهم من أئمة الهدى الذين جانبوا البدع ووقفوا عند الكتاب والسنة دون تزيّد أو تقصير فلم يخوضوا كما خاض هؤلاء فى جدل عقيم وتخرصات كاذبة ولم يقولوا على الله مالا يعلمون .

وكيف يجوز فى عقل عاقل أن هؤلاء الكرام الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، يكونون أقل علماً وحكمة من هؤلاء المخالفين للكتاب المختلفين فيه . فمن تلوثت عقولهم بالفلسفات الدخيلة والأفكار العفنة التى نقلت إليهم عن المجوس والنصارى وعبدّة الأوثان وصابئة حران .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند تعرضه لرد هذه الفرية فى عقيدته الحموية :
« إن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف ، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني) وأن طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات . فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التى مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر . وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف .

سادساً - مما تقدم يعلم أن المنهج الذى سنلتزمه فى هذا البحث هو ما جرى عليه السلف رضى الله عنهم من الإيمان بكل ما ورد به الكتاب والسنة فى باب الصفات وغيرها من غير لجوء إلى تأويل متكلف يخرج اللفظ من معناه ويحرف الكلم عن مواضعه ، من غير موجب لذلك من قرينة ونحوها .

وأما ما يدعيه كثير من المتكلمين المعطلة من قرائن عقلية توجب تلك التأويلات : فغير مسلم لهم ، بل العقل الصريح الخالى من الهوى والتقليد لابد أن يكون موافقاً لما دلت عليه النصوص ، فشعارنا إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل . والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل .

محمد فليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

(يتبع)

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمحللات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والجبال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحمزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

خطبة منبرية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله الغفور الرحيم ، الودود الكريم ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، نحمده سبحانه أن هدانا للإسلام ، ووفقنا لاتباع الهدى ودين الحق الذي أرسل به رسوله عليه الصلاة والسلام ، وحجب إلى نفوسنا الإيمان ، وَكَرِهَ إلينا الكفر والفسوق والعصيان .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شرع لنا من الدين ما فيه فلاح الدنيا والآخرة ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، بلغ الرسالة . وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فجاءه الله خير ما يجزي نبياً عن أمته ، اللهم صل وسلم على هذا النبي الكريم والرسول الأمين ، وعلى آله ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول ، وهو أصدق القائلين : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ، وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَا كُمْ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ، وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ . أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن

باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، ولا تبashروهن وأتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) .

أيها المسلمون : إن الصوم شعيرة من أعظم شعائر الإسلام ، وفريضة من أكد الفرائض الدالة على الإيمان ، ولذلك يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) فخطبهم بصفة الإيمان ، وقد فرضه الله في وسط الإسلام في العام الثاني من الهجرة ، بعد ما توطنت النفوس بالتوحيد والصلاة ، وألفت أوامر القرآن ، وذائق حلاوة الإيمان ، فإن من أشق الأمور وأصعبها على النفوس فطمها عن رغباتها ومألوفاتها ، وشهواتها ، وكان ذلك هو المقصود من الصوم .

فبالصوم يربي الله المسلم على الصبر ، وقوة الإرادة ، وضبط النفس ، والثبات عند الشدائد وَيَعُدُّهُ به لطلب ما فيه سعادته ونعيمه ، وقبول ما تزكوه نفسه في الحياة بكسر حدتها وسورتها بالجوع والظما ، وبالصوم تضيق مجارى الشيطان في العبد ، وتجنس قوى الأعضاء من استرسالها مع شهوات الغرائز ، مما يضرها في معاشها ومعادها ، وليكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه ، وتلجم بلجامه ، فالصوم لجام المتقين ، وجنة المؤمنين ، ورياضة الأبرار والمقربين .

وقد خص الله سبحانه وتعالى الصوم من بين العبادات بأنه له ، فقال سبحانه في الحديث القدسي « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به » فالصوم سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه سواه ، فمن ذا الذى يعلم صدق صوم الصائم غيره سبحانه ؟ والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة ، وأما كونه ترك طعامه وشربه وشهوته ، وما تشهى نفسه من أجل معبوده ، فهو أمر لا يطلع عليه بشر ، وذلك حقيقة الصوم ، وسر التقوى ، ولذلك يقول الله (لعلكم تتقون) .

وفوائد الصوم حقيقة مؤكدة تشهد بها العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، فى سلامة الأبدان ، وحفظ الجوارح ، فالصوم أشبه بعملية تطهير الترع والمصارف والقنوات كل سنة

مرة ، تَنَقَّى من النباتات والحشائش والطى والقاذورات التى نبتت وتراكت طول العام ، وبالصوم كذلك يَنَقَّى الجسم فى شهر من كل سنة مما تراكت فيه من الفضلات والأملاح والسكر وغيرها ، والطب يشهد بذلك ويقرره ولا ينكره ، أما علاجه لأمراض القلوب والنفوس ، فذلك ما لا يعرفه إلا المؤمنون المتقون ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصوم جَنَّةٌ » أى وقاية ، وبقوله : إنه وجاء للشهوات والرغبات .

والصائم أيها المسلمون فى عبادة مع ربه ، ويجب أن يكون ذا كراماً له فى غاية الخشوع والأدب ، وسمو النفس ، وأن يتحلى بمكارم الأخلاق ، فلا تمتد عينه إلى ما حرم الله ، ولا يده إلا إلى ما يحب الله ، ولا تسعى قدماه إلا فى مرضاة الله ، ولا ينطق لسانه إلا بالخير ، من أمر بمعروف أو نهى عن منكر فى رفق ولين ، لا يغضب ، ولا يفحش ولا يشتم ، ولا يسب ولا يلعن ، ويقابل جهالة الناس وأذاهم بصدر واسع ، وخلق رضى ، ونصيحة خالصة لوجه الله ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ويقول : « فإذا سابه أحد أو شتمه ، فليقل إني صائم ، إني صائم » وليس مقصود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس : إني صائم ، إنما غرضه وقصده أن يقول لنفسه ذلك ، فلا يقابل العدوان والسفه بمثله ، بل يدفع بالتي هي أحسن ، ويقابل السيئة بالحسنة ، ويكون بفعله وقوله وسلوكه قدوة حسنة ، ومثالا يشار إليه فى الأدب ومكارم الأخلاق .

أيها المسلمون : لقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يخص رمضان من العبادات بما لا يخص به غيره من الشهور ، فيكثر فيه من تلاوة القرآن ، والصلاة والذكر والاعتكاف ، وكان عليه الصلاة والسلام من أجود الناس وأكرمهم ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، فيكون فيه أجود بالخير من الريح المرسلة ، ليكون لنا فيه القدوة والأسوة الحسنة ، إن من حولنا كثيراً من الأقارب والجيران والإخوان ، فى حاجة إلى العطف والإحسان ، فلنمد إليهم أيدينا بالعمون مهما كان ضئيلاً قليلاً : لا يستصغرن أحد منكم ما يتصدق به على أخيه مما أفاء الله عليه مما قل منه أو كثر ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اتق النار ولو بشق

تمرة « فليس الكرم عن ظهر غنى ، ولكن مما يكون بيدك ، فحاربوا في هذا الشهر المبارك شح الأنفس ، وعودوها على البذل والسخاء ، كونوا مع الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

ولقد فُضِّلَ هذا الشهر على سائر الشهور بنزول القرآن الكريم فيه ، وهذا ميزته وفضله ، فاجعلوا تلاوة القرآن وتدبره وفهمه شغلكم الشاغل في هذا الشهر ، ولا تضيعوا لحظة من لحظاته في لهو ولا باطل ولا زور ، بل اجعلوها في مدارس القرآن ، وقد كان جبريل عليه السلام يدارس رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن في رمضان .
اللهم إنا نألك التوفيق والسداد في اتباع هدى رسولك المصطفى في الصوم وغيره حتى نلقاك وأنت عنا راض ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ذى العرش المجيد ، الفعّال لما يريد .
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ولا ند ولا نظير ولا معين ، ولا ظهير له وهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .
وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا أيها المسلمون - لقد فرض صوم رمضان أداء على وجه التخيير بينه وبين أن يُطعم عن كل يوم مسكيناً . ثم نُقِلَ من ذلك التخيير إلى تحميم الصوم ، وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمرأة ، إذا لم يطبقا الصيام - فيفطران ويطعمان عن كل يوم مسكيناً ، ورخص للمريض والمسافر والحامل ، والمرضع إذا خيف على النفس - أن يفطروا ويقضوا ، وأما إذا خافت الحامل والمرضع على ولديهما - زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم ، لأن فطرهما لم يكن لخوف مرض ، وإنما كان مع الصحة ، فجبر بإطعام المسكين . يفهم ذلك من سياق الآيات التى تلونها عليكم ، ومن الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب الصحيحة .

ومن سننه صلى الله عليه وسلم ، أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة ، أو شهادة ، وكان يكتفى بشهادة واحد ، بشرط أن يكون الشاهد مسلماً ، فإن لم تكن شهادة ورؤية ، أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً ، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان لا يخرج من رمضان إلا بشهادة شاهدين ، فإن لم يكونا أكمل الصوم ثلاثين يوماً ، وكان يعجل الفطر ويؤخر السحور إلى آخر وقته ، وكان يحض على الفطر بالتمر ، فإن لم يجد فالماء ، وكان يقول عند فطره : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم » ولم تحدد السنة مسافة السفر التي يباح بها الفطر في رمضان ، وإنما حددها فعل أصحابه رضوان الله عليهم ، فإنهم كانوا يفطرون ويقصرون الصلاة ومعالم المدينة ظاهرة ، بل توجد الآثار الصريحة ، أنهم كانوا يفعلون ذلك إذا أنشأ أحدهم سفرًا في أثناء يوم من رمضان ، كما جاء في آثار أخرى أنهم رضوان الله عليهم كانوا يسافرون فيفطر بعضهم ويصوم بعضهم ، ولا يعيب أحدهم على الآخر ، وقد روى في الصحيحين أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، « أصوم في السفر ؟ » ، وكان كثير الصيام - فقال : « إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر » ورؤي أيضاً عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فنزلنا منزلاً في يوم حار ، فسقط الصوامون وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الذي يفطر به الصائم : الأكل والشرب والجماع والقيء والحجامة ، أما من أكل أو شرب ناسياً ، فإنه يظل صائماً ولا يقضى ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من نسى وهو صائم ، فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » . وثبت أنه عليه الصلاة والسلام ، كان يكتحل ويستاك ويصب على رأسه الماء ، ويمس الطيب وهو صائم ، ولا نعلم من أين أخذ القائلون بأن التداوى بالقطرة أو الحقن من المنفطرات ، ولو أخذ المسلمون دينهم من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، لمآ وجدوا فيهما إلا كل يسر ، ولما وضعوا في أعناقهم الآصار والأغلال .

أيها المسلمون : أتدرون ماذا قال الله تعالى بين آيات الصوم (وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) . إنه يوجه الصائمين إلى إخلاص الدين كله لله رب العالمين ، وأنه قريب مجيب لمن أخلص الدعاء له وحده ، فإن الصائم أكثر الناس ذكراً لربه ، وأولاهم للاستجابة له ، ولا ينبغي له أن يجعل في قلبه شريكاً لله من الموتى والأحياء ، يعظمه ويرجوه ويخاف منه ، بل يجب عليه أن يكون خالصاً لله رب العالمين في دعائه وعبادته واستغاثته وسؤاله ، فإذا تحقق بذلك وأثر به قلبه في رمضان ، خرج منه مؤمناً صادق الإيمان ، موحداً لربه ، عارفاً قدره ، معظماً له ، شاكراً لأنعمه ، عارفاً لرسوله صلى الله عليه وسلم فضله ومنزلته ، موقراً له متبعاً لهديه وسنته .

اللهم إنا نسألك بفضلك ورحمتك أن تحقق لنا وإخواننا المسلمين ذلك . وكان من هديه صلى الله عليه وسلم الإكثار من الصوم تطوعاً ، ويرغب فيه ، ويحض عليه ، فقال : « من صام يوماً في سبيل الله ، بعد الله وجهه من النار سبعين خريفاً » وكان يتحرى صوم يومى الإثنين والخميس ، ويوم عرفة ويوم عاشوراء ، وثلاثة الأيام البيض من كل شهر ، أى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وكان ينهى عن إفراد صوم يوم الجمعة ويومى الفطر والنحر ، وما أتم صوم شهر قط غير رمضان .

اللهم إنا نسألك ضارعين إليك ، أن توفقنا لاتباع هدى رسولك الكريم ، وأن تقبل بفضلك وجودك وواسع رحمتك ، صيامنا وقيامنا وسائر أعمالنا ، يا نعم المسئول ، يا نعم المجيب (ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

تنبيه الأذهان

تأليف الأيخ الأستاذ محمد صالح سعاد

كتاب قيم يؤيد دعوه الحق بحجج دامغة وأسلوب ممتع ، ويهدم دعوة الباطل ، ويرد كيد أعداء الدعوة إلى نهمهم ، صدر في ٢٧٢ صفحة ثمته ٢٠ قرشاً يطالب من مكتبة الجماعة .

الصوم

بقلم البيرة مرم المرموم الدكتور محمد رضا

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

الصوم : كف البدن عن شهواته ، وحبسه عن ضرورياته وملذاته ، لترويضه على الاحتمال والخضوع لسلطان العقل ، ولتمرين العقل على كبح جماح غرائز الجسد ، ودفعه إلى الجهاد معه في سبيل الله .

فكما أن الترف يفسد النفس ، ويحطم عزيمتها ويعودها اتباع هواها . فإن الصوم يعلمها كيف تصبر على ما تكره وعما تحب ، ويعودها الرضوخ لنهاها . فيطلقها من قيود العادات ويحررها من رق الشهوات ، ويوطنها على احتمال الصدمات والصعوبات . وذلك : لأن الصائم - الذي استمر شهراً كاملاً يراقب ربه ويتقيه ، فظل يحرص على طاعة أوامره واجتناب نواهيه ، ويحبس كل جوارحه عن الحرام وعما يشتهي - : تعود الصبر ، فاستطاع أن يقهر هواه ويقاوم كل ما يغريه ، وقويت إرادته فاستطاع أن يصبر عما يفضب الله وعلى ما يرضيه . فلا يربى الإرادة ويقوى ملكة الصبر والجلد . كتدريب النفس على ترك ما أحبته ومخالفة ما ألفته ، وهجر ما تنوق إليه وهو في مقدورها .

والصبر : أكبر عون على احتمال المشاق والصعاب في معارك الحياة . فلا يقوى على الكفاح في الحياة ويغالب الأيام ، ويفتحم العقبات إلا صابر . ولا يثابر على تحصيل العلوم إلا صابر . ولا يحسن عمله ويتقن فنه إلا صابر . ولا يعبد الله حق العبادة ويتقيه إلا صابر . ولذا أشار تعالى إلى حكمة الصيام والسبب الداعي إليه بقوله (لعلكم تتقون) .

فالصوم : وقاية من الشرور والآثام ، بما يضيفه على المرء من قوة في الإرادة وصبر عن الحرام . ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم « الصوم جنة » وأشار به على الشباب

الذين لا يملكون نفقة الزواج ، ولا يستطيعون إليه سبيلاً ليتعففوا حتى يغنيهم الله من فضله ، فقال « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أحسن للفرج وأغض للبصر . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

وفي الصوم : تذكير بالحن وتقدير للنعم . إذ لا يقدر نعمة الشبع كمن أحس بألم الجوع . ولا يعرف معنى الحرمان إلا من حرم ما يشتهي وما يحتاج إليه . ومن الحال أن يقدر المرء آلام غيره إلا إذا قاسى ما يقاسيه ، فمن تصور الشيء منعكساً على مرآة مخيلته ليس كمن شعر به فانطبع على صفحات ذاكرته .

ولذا : كان الصوم اختباراً وتجربة لبعض ما يعاني الفقير من حرمان . وشعوراً بمثل ما يشعر به الجائع من ألم ، فيدفعه هذا الشعور إلى الرحمة والعطف على الفقراء والمحرومين : وإلى تقدير ما هو فيه من رخاء وآلاء ، وينبئه إلى ما لم يكن يفتن إليه من نعم ، لأن استمرار التمتع قد ينسى المرء قدر النعم .

ومن هنا : نفهم الحكمة في قوله تعالى بعد ما أمر بالصوم (لعلكم تتقون) لأن الصوم يدفع المؤمن إلى التقدير والشكر كما يعود الصبر ، ولا يتقى الله ويتعظ بآياته كصبار شكور ، كما بين تعالى بقوله (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) .

والصوم : عبادة تبطلها المعصية ككل العبادات . ولذلك كان من أهم شروط قبول الصوم والإثابة عليه ، كف اللسان ، وغض البصر ، وحفظ كل جارحة مما حرم الله . وكل صوم لم يردع صاحبه عن المعاصي حبط أجره ، وضاع نفعه كما ضاع تعب . فليس كل من جاع وعطش وزعم الصوم صام .

فهل صام من حبس نفسه عن الطعام ، ولم يحبسها من اقتراف الآثام ؟ .

هل صام من أطلق عينه ترتع وسلط لسانه يلسع ، ولم يكفهما عن الحرام ؟ .

هل صامت من تجملت وتعطرت وتسكمت في الطرقات ، وهامت كالهوام ؟ ؟ .

هل صام من أسقم جسده وأبعد عن الله قلبه لإفراطه في التمتع بالطعام ؟ ؟ .

فما أكثر من يجوع وما أقل من يصوم ، ويحظى بنوائد الصيام ، وما أصدق قول

الرسول صلى الله عليه وسلم « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش »

وما أجمل قول الشاعر :

إذا لم يكن في السمع منى تصاون وفي بصرى غضٌ وفي منطى صمتُ
فخطى من صومى هو الجوع والظما وإن قلت إني صمت يوماً فاصمتُ

نعم ، فكم من زاعم للصيام يقضى يومه بالسخط والغضب ، وينطلق لسانه بالبذاءة والسب والشتم ، ويتخذ من الصيام عذراً يشفع له ويبرر سوء خلقه ، كأن الصيام يدعو إلى الفظاظة وضيق الصدر ، مع أن أهم غرض منه هو التعود على الحلم والصبر .

وكم من زاعم للصيام ، لأنه كف عن الطعام بطنه ، ولكنه لم يكف عن أخبث الآثام لسانه ولا عينه ، إذ لا يتورع عن انتهاك الأعراض والاعتياب ، ولا يستحي من أن يلتمهم بناظره . بدن كل امرأة ، ثم لا يزال يكرر بلسانه : اللهم إني صائم ، وهو قد أفطر على لحم الغيد الحسان ، وأكل لحم أخيه ميتاً ، وليته أفطر على لحم الطير والأنعام .

وكم من زاعمة للصيام ، لأنها حبست جسدها عن الطعام ، ولكنها أطلقت فتنة للناظرين وسلطته مهلكة للصائمين ، ثم تظن بعد ذلك أنها صامت ، وهي قد أفطرت ، بل وفطرت إذ أشبعت بلحمها عيون الجائعين ، فظلمت نفسها وظلمت من رآها من الشرهين .

وكم من زاعم للصيام ، يقضى نصف نهاره نائماً ، ونصفه الآخر غافلاً عن يصوم له منكباً على اللهو واللعب والثرثرة ليقتل ساعات يومه ، فيقتل ثمرات صومه ، ولينسى الجوع والعطش ينسى ربه ، وينسى صومه ، مع أنه مأمر بالصوم إلا ليشعر بالجوع والعطش فيذكره الصبر عليهما بمن يصوم له فيحظى بأجر الصائمين الصابرين ، إذ كيف يفوز بأجر الصوم من لم يشعر بالصوم ؟

فمن الحال أن تصح عبادة الله مع الغفلة عن الله أو مع المعصية لله .

وليس الصوم جوعاً وعطشاً وتعبداً بالجسد وحده من دون القلب ، لأن الجسد من غير القلب جثة لا تعى ماتعمل وما تقول . و « إنما الأعمال بالنيات » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالقلب هو الذى ينقصد على النية الصالحة ، وهو الذى يعبد الله ويستعمل البدن فى عبادته ، فلا صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا عبادة بلا حضور القلب مع الله وتقواه ، وفي

الحديث « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » .
 وكم من شره أكل يزعم الصيام ، وهو يقضى نهاره فيما يرضى بطنه لافيا يرضى ربه ،
 إذ كلما أحس بآلم الجوع ثارت شراسته ، فانطلق بخياله يبحث عما يمتعها ، وظل يسبح في بحار
 القدور ، ويحوب في عالم الطعام لينتقى لها ما يرضيها . حتى إذا عاد من عالم الخيال إلى عالم
 الحقيقة سعى إلى تحقيق حلمه فأشرف بنفسه على إعداد وليمة لشراسته الجامحة . ثم رصف
 على المائدة ماتفن في طهوه من حلو وملح ، وجلس ينظر إليه في شغف وشوق ، وهو يعد
 الدقائق ولعابه يسيل . وما إن سمع مدفع الإفطار حتى انقض على الطعام انقضاؤا النسر
 على فريسته ، ولم يعرف أنه شبع ، إلا بالطعام وقف في حلقه ، إذ لم يجد له مكاناً في معدته ،
 ثم زحف إلى أقرب مقعد فارتدى عليه وهو يلث ويتصبب عرقاً ، وغلبه الدوار والنعاس
 كالأفعى بعد ما تبتلع فريستها . فلم يستطع أن يتحرك أو يتكلم لشدة ما يقاسى من ضيق
 واحتناق .

وهكذا يتكرر كل يوم هذا العذاب بعد هذه اللذة القصيرة حتى تكل معدته
 وتضرب عن العمل ، فيجنى ثمرة هذا الإسراف في الأكل والشرب : المرض والألم ، عقاباً
 على معصية الشراهة التي نهى الله تعالى عنها بقوله (كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب
 المسرفين) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « ما بلأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » لأن
 البطن ينبوع الشهوات ومصدر العاهات والآفات ، فلا شيء أفسد للصحة وأجلب للمرض
 من الإسراف في الطعام والشراب ، والانتقاد لشهوة البطن . ولا عدو للمرء ألد وأعظم
 شراً من بطنه إذا سيطرت عليه وغلبته على أمره .

وما أمرنا تعالى بالصوم إلا ليعودنا القناعة والصبر . وكما أمرنا بالصوم نهانا عن
 الإسراف في الأكل والشرب ، فكيف نأتمر بما أمر به ولا ننتهى عما نهى عنه ، ونقرن
 الطاعة بمعصية ، فنحبط الحسنة بسيئة ؟ .

وقد هدد تعالى الذين يأترون ببعض آيات الكتاب ، ويعصون بعضها ، ووصف
 الطيعين لأوامره بالإيمان ، والعاصين لها بالكفر في قوله :

(أفْتُمْنُون ببيع الكُتاب وتكفرون ببيع ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خِرَى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون) .
ومن أدل الأدلة على غربة الإسلام ، وجهل الناس به وبعدم عنه : أن أكثر الذين يزعمون الإسلام يتخذون رمضان موسماً للمأكَل والمشرب ، بل وموسماً للهو واللغو والسهو والطرب والمجون . فيقيمون الحفلات الساهرة الراقصة ، ويحيون لياليه باستماع المغاني المبتذلة ورؤية الرقص الخليع ولغو الحديث والثرثرة ، ويقيمون الولائم فتصخبُ المطابخُ وتتأججُ الموادر وتزدحم الموائد . وهكذا يجعلون من شهر الصوم شهر الأكل والتمتع بالإسراف في الأكل . ومن شهر العبادة والورع ، شهر مرح وقصفٍ وطرب . ومن شهر الصبر والطاعة والقناعة ، شهر لذة وتبذير وشراهة ، وذلك لأن الجشع الذي تعود الانتعاش في اللذة فلم يعرف الصبر والحرمان ، تنور شراهته كلما حبست نهراً ، فتنتلق ليلاً من قيود الصوم والحرمان إلى التماهي فيما يتمتعها ، وكلما شعرت بالضغط انفجرت وفجرت ، فدفعها ما قاست من جوع إلى الإفراط في الأكل وما قاست من ألم الحرمان إلى الإفراط في اللذة واللهو ، فالشره يعكس بإسرافه غرض الصيام فيقلب النفع ضرراً والأجر وزراً ، ولن يجنى ثمرة الصوم في الدارين إلا من عرف كيف يصوم ، ولمن يصوم ولماذا هو يصوم .
فما الصوم إلا جهاد يعبر عن رضوخ العبد لربه واحترام أمره ، ومدى صبره في سبيل طاعته ورضاه .

فكيف يكون صبر مع إسراف ، واحترام مع استخفاف ؟

وكيف تكون طاعة مع عصيان ، وعبادة مع لهو ونسيان ؟ ؟ .

والخلاصة : أنه ينبغي لنا أن نحفظ صيامنا ونتق ما يبطله . ويضيع صبرنا وتعبنا سدى . وذلك بأن نصوم بالسنن ، وآذاننا وأعيننا عن الحرام ، لا يبطنا فقط عن الطعام ، وأن نذكر الله كثيراً وتؤدي كل ما فرضه علينا من عبادة ، وأن نراعى الاعتدال في طعامنا وشربنا ، ولا نطعم أمر شهيتنا الجائعة الثائرة وما تغرينا به لننجو من الأمراض ، ومن عصيان أمر الحكيم العليم بمصلحتنا في قوله (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين) .

حول تحضير الأرواح

للمؤلف محمد سليمان عثمان

انعقدت ندوة بدار لواء الإسلام ، وقد ضمت لقيفاً من جلة العلماء وقادة الرأي والفكر في نظر بعض الناس ، ودار الحديث حول تحضير الأرواح على النحو الذي يدعيه ، محتضنوا هذه الفكرة في مصر وغيرها من البلاد الأوربية لعصرنا الحاضر . . . وكان من بين الحاضرين الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير زعيم من ينتحلون هذه الفكرة في مصر ، فأدلى في الموضوع برأيه المعروف بما نعهد من ثرثرته فيما يكتب ، وما سمعناه في محاضراته العديدة . . وأدلى كل من الحاضرين بما فتح عليه في ذلك .

وليس العجب من أمر أبي الخير وأمثاله الذين خلطوا في أقوالهم وآرائهم ، فهم غرباء عن كل ما يتصل بكتاب الله ، وما جاءت به الدلائل الصحيحة من سنة رسول الله ، فلذلك اضطربت موازين الأدلة في أيديهم ، وعدموا الفرقان الذي يميز بين الحق والباطل ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

ولكن العجب من أمثال الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبي زهرة الذي نعرف من سعة اطلاعه في علوم القرآن ، ودرايته بأقوال علماء الأمة ، كيف جانبه الصواب في هذا الموقف . وكيف يجمال الأستاذ الكبير ويحاجي في الحق مهما كانت صداقة هذا الشخص المخالف ، ومهما كان مقداره وشأنه في دنيا الناس ؟ . . أين ذهبت تلك الصولة والقوة التي عهدناها في مواقفك الكثيرة ؟ ؟ . ماعهدناك خواراً ولا رعيداً ، بل صلباً قوياً في الحق لا تأخذك لومة لائم ، ولك في ذلك مواقف مشهورة ، وجهود مشكورة ، أعرفها ويعرفها الكثيرون من الناس . . ثم ماذا حدث ؟ ما هذا التغير المفاجيء ؟ .

لقد كنت حريصاً على أن أعرف فيصل التفرقة في المسألة من حديثك ، ولكن حين قرأت عبارتك في الندوة ، أنكرت عيني وطفقت أردد البصر مرة بعد مرة ،

وأسائل نفسى : هل أنا أمام تلك العبارات المشرقة ، والبراهين النيرة ، التى عودنا إيّاها الرجل فى كتاباته وأحاديثه . . أهذه هى عبارة الرجل الذى وقف وقفته المشهورة فى مؤتمر لاهور وثار ثورته العاتية فى وجوه أعداء الإسلام ورد كيدهم فى نحورهم ؟ . أم هى عبارات تناولتها الأيدى بالاختصار والمسخ ؟ .

عفا الله عنك ، فإنه ليس أمضٌ فى نفس المؤمن ولا أنكى بفؤاده من زلة الحكيم فى زمن قلت فيه الحكماء ، وضلت فيه الآراء .

تقول : إن الأستاذ أبا الخير عالم ثقة فى علمه !!

إنه يقول^(١) بتناسخ الأرواح . . إنه يكذب بعذاب القبر على النحو الذى تواترت به الأخبار من سنة رسول الله وتلقته الأمة بالقبول . . إنه يرى الأرواح كوائن مهمة فى عالم الأثير ، إنها كالدمية فى يديه يطلقها ويقبضها متى شاء !! ' . أو كحيوانات « السيرك » يستدعيها الإنسان بشيء من المعالجة والترويض !! .

وتقول : إنك تنظر ما تسفر عنه تجاربهم ، حتى إذا ما أسفرت تلك التجارب

(١) اقرأ ما كتبه الأستاذ أبو الخير فى العدد ١٣٦ من مجلة عالم الروح تحت عنوان للس الروحى ، فإنه يقول عن الس الروحى : إنه غزور روح ضال أو مشاغب هالة إنسان ، أى حلوله فى مجموعة الاهتزازات الأثيرية التى تعلو الرأس - إلى أن قال هذه الشخصيات الماسة غير المتطورة تكون أرواحاً ضالة وقد تكون أرواحاً لم تشعر بعد بانتقالها إلى عالم الروح ، « تأمل » فلتطبق بعالم المادة عن طريق تخفيض اهتزازاتها دون وعى منها وتسبب إيذاء ومرضا لكانه ، ثم يقول والانتقال الفجائى إلى عالم الروح كما فى الحرب والحوادث العارضة من الوسائل الفعالة فى هذا الصدد لأن الموت يكون فجائياً ، فيجهل الكثيرون من القتلى حقيقة الحال ، وقد يظنون فى جهلهم هذا سادرين سنين إلى أن ينهمهم سكان عالم الروح بمن سبقوهم « فنأمل هذا الكلام أهو كلام رجل يؤمن بما أخبر به القرآن وما جاءت به الأخبار عن رسول الله وما آمن به المؤمنون بحالة الروح فى البرزخ وعذابها ونعيمها » أم هو كلام رجل عابث يرى الأرواح مهمة هائلة فى عالم الأثير ؟

من حقائق تأولت ظواهر القرآن بما يتفق مع تلك الحقائق حسب القاعدة التي وضعها الغزالي وأمثاله ؟ . أو ما قرأت تلك القاعدة النفيسة التي وضعها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه « العقل والنقل » فهدم بها تلك الصروح الكلامية على رؤوس الغزالي والرازي ، وأمثالهما ؟ . ثم من أين يستجلب أبو الخير والدكتور راضى وأضرابهما تجار بهم وعلومهم ؟ . إنهم يستجلبونها من علوم غريبة عن علوم القرآن ، يستجلبونها من أمريكا بلد الإرساليات التبشيرية التي حشدت كل جهودها وقواها لهدم الإسلام ، والتي أغدقت من ثرائها على الملاحدة لإثارة الشكوك والشبهات ، وتوهين صلتنا بثقافتنا الإسلامية ، فأنشأوا من بيننا ذلك الجيل الرقيق المتحلل الذي لا يفكر إلا بعقلية الغرب ، ولا يعرف قيم الأشياء إلا بميزان الغرب . . ثم لا عجب من ذلك كله قول الأستاذ ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء لدراسة الروح !! . .

فإذا كان عالم الغيب والروح ، لا يؤخذ علمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فلنقف فيه عند الحد الذي أوقفنا عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأننا إذا تجاوزناه استهوتنا الشياطين ، وأوقفنا في الحيرة واللبس ، كما أوقعت هؤلاء . . فمعن نأخذ هذا العلم ؟ أعن روح المرشدة « سوزان » التي جن بها هؤلاء ؟ . أم عن ذلك الوسيط الذي بعث لإحضاره الأستاذ أبو الخير من أمريكا ؟ . ألم يكن روح القدس هو الذي يؤيد رسول الله وينتف في روحه ؟ أليس رسول الله هو الذي رأى جبريل بالأفق المبين ، وراه ليلة أسرى به عند سدرة المنتهى ثم أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي كشف لنا أحوال الدجالين من أمثال ابن صياد وغيره^(١) من إخوان الشياطين الذين كانوا يتمتعون بتلك الوساطة الروحية الشيطانية ؟ ، وأحوال ابن صياد وغرائبه أعجب من أطوال هؤلاء . . فقد كان ابن صياد ينفخ حتى يملأ بعض طرق المدينة وينخر ببعض الأمور الغائبة ، وكان يقول : إنه يأتيه صادق وكاذب ، وأنه يرى عرشاً على الماء . فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه

(١) قصة ابن صياد مذكورة في صحيح البخارى ومسلم .

واختبره وكشف حاله وأخبره أنه من الكهان إخوان الشياطين . . فإذا عساه ياترى كان يفعل أبو الخير وأشياعه لو وجدوا وسيطاً كابن صياد .

فإذا كان الأمر لو تبدى لأمثال هؤلاء البؤساء الذين لاحظ لهم من فقه ولا دين ، إذاً لجثوا على الركب وخروا له على الجباء سجداً ، وقالوا : سبحانك ما أعظم شأنك ! كما انخدع هذا الأحمق بروح المرشدة أو الشيطانية « سوزان » .

ثم أليس القرآن الكريم قد حدد لنا مصير الأرواح بعد الموت بكلام صريح لم يدع مقالاً لقائل ، ولا تأويلاً لمأول ؟

أليس ربنا جل وعز يقول : (٥٦ : ٨٣ - ٩٦ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين . فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم . إن هذا هو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم) ويقول (٦ : ٦١ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته إرسلاً وهم لا يفطنون) ويقول (٤٠ : ٤٦ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) ويقول (٧١ : ٢٥ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) ويقول : (٦ : ٩٣ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق . وكنتم عن آياته تستكبرون) ويقول : (٨ : ٥٠ ، ٥١ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) إلى غير ذلك من الآيات ، فبماذا تؤول ظواهر هذه الآيات إذا أسفرت تجارب هؤلاء عن تلك الحقائق التي يدعونها ؟ ولعمر الإله إذا تأولنا ظواهر هذه الآيات بما يتفق وأهواء هؤلاء لساغ لآخر ممن ينكرون البعث والنشور أن يؤول آيات البعث بما يتفق وهواه كما تأولتها زنادقة القرامطة والاسماعيلية من قبل .

والأستاذ أبو الخير وأشياعه يكذبون بالحق البين . ويقولون إن الأرواح مطلقة
تسرح وتمرح كيف شاءت في عالم الأثير . بل لقد بلغ بهم الهذيان أن قالوا إن في عالم
الروح مسارح ودورا للسينما ومعاهد للموسيقى ومعاهد وجامعات للتعليم يستكمل فيها الأرواح
الجاهلة علومها وقد صرح بهذا الأستاذ أبو الخير في أعداد من مجلة عالم الروح ولا زال
يبدئه ويعيده فيما يكتب على نحو ما جاءت به الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة .
ويسميه بلهاء المتدينين . . أفبعد هذا تثق بعلم الرجل وتنتظر ما يسفر عنه تجاربه لتؤول
لها ظواهر القرآن ؟ . . فيأيها الشيخ الجليل ما أظن إلا إنهم خدعوك بما يظهرونه من
بهرج القول فيأياك أن تفتن بهم . فإنهم أهون على الله من أن يكونوا على حظ من العلم
ما داموا قد ولوا وجوههم شطر أمريكا منبت الصهيونية ، يستمدون منها معارفهم
وعلومهم وليس عندهم إلا زخرف القول الذى تنزل به شياطين الجن إليهم . . ليردوهم ..
وليلبسوا عليهم دينهم . . أما أنت أيها الشيخ لا أزيدك على هذا القدر سوى حديث
واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من جوامع حكمه ونصحه لأُمَّته ، بأبي هو
وأُمى ، وهو منارنا إذا ادلهمت الفتن في هذا الزمان ، والتبست الأمور ، وطوحت الأهواء
بالناس ذات اليمين وذات الشمال وهو اخباره بما سيحدثه الناس من النظريات التى تعارض
علم النبوة . . وهو قوله صلى الله عليه وسلم « سيخرج^(١) قوم في آخر الزمان هم دجالون
كذابون يأتونكم بيدع من الأحاديث لم تسمعوها بها أتم ولا آباؤكم فيأياكم وإياهم
لا يفتنونكم » . . .

وبعد فهذه مقدمة عابرة أتينا بها ههنا بين يدي بحث مستفيض في هذا الموضوع
نشره في الأعداد التالية إذا اتسع له صدر المجلة إن شاء الله . .

(١) رواه ابن وضاح في كتاب البدع من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث جابر
ابن سمرة والطبراني من حديث النعمان بن بشير بألفاظ متقاربة.

مسجد ودار المركز العام

صرحت وزارة الشؤون الاجتماعية للجماعة بجمع تبرعات لإنشاء دار ومسجد للمركز العام وقد سارع كثير من أعضاء الجماعة بتقديم تبرعات تبشر لمشروع الجماعة بالنجاح وسيقوم بنشر قيمة تبرعاتهم تباعاً بالجلّة إن شاء الله ، وترجو من جميع إخواننا أن يسارعوا للمساهمة معنا كل حسب استطاعته .

مجلة الهدي النبوي

إلى قرأتى السادة بمصر الجديدة .

تطلب المجلة من الأخ الحاج عبد المعبود بلال مرجان بمسجد أنصار السنة الحمديّة بمصر الجديدة بشارع بليس رقم ٥ .

ليلة النصف من شعبان

كتاب مجلة (الإسلام)

سننشر في العدد القادم - إن شاء الله - مقالا للاستاذ محمد صالح سعدان بالعنوان المتقدم أرجأنا نشرها لضيق المقام .

(الدكتور اسماعيل حسنى)

نائب المستشفيات الجامعية والعامّة سابقا

كبير أطباء جراحة وأخصائى أمراض النساء والولادة بمستشفيات المدينة المنورة وجدة سابقا - عضو مجلس إدارة نادى أطباء القاهرة -

العيادة رقم ٢ ميدان الجامع - مصر الجديدة تليفون ٦٢٢٢٣

من الساعة ٥ إلى ٨

ومن العدد القادم بمشيئة الله يتفضل الدكتور بنشر مقالاته الطبية التي تستهدف نشر الوعي الصحى بين القراء وينشرها احتسابا لوجه الله كما سيحدد قريبا موعد محاضراته بدار الجماعة .

رجل عظيم

للأديب سعد صادق محمد

كتب كثيرون من عارفي فضل فقيدنا الراحل فضيلة الشيخ (محمد حامد الفقي)
- رحمه الله وغفر لنا وله - ومقدري علمه ، وأفاضوا فيما كتبوا فأحجبت عن الكتابة أولاً .
ولكن شيئاً في صدري ، وشعوراً في قلبي ألح عليّ للكتابة .

أجل .. كنت قد نويت أن لا أكتب ، ولكن لفقيدنا الكريم في قلوبنا مكانة
عززة غالية وله في نفوسنا حباً عميق الجذور ، لقد بكينا كثيراً وحرزنا طويلاً وما زلنا نبكي
ونحزن كلما عادت الذكريات وحنّ الشوق إليه .

ونحن لم نبك ولم نحزن لأن (حامداً) قد مات والموت نهاية كل حي (كل نفس ذائقة
الموت) ولكننا بكينا العلم الغزير الذي دفن معه .. وبكينا تلك الطاقة الروحية العظيمة التي
ذهبت معه إلى غير عودة .

لقد هزت الفجيعة فيه كيانتنا هزاً عنيفاً وأهلتنا المصيبة حتى إننا نسينا أنفسنا وكل
ما حولنا في ذلك اليوم ، واتجهنا إلى هذا الرائد الذي كان فينا نعمة الأب والمعلم والمرشد .
وقد تجلّى ذلك من وقت أن حملته تلاميذه ومشى وراءه محبوه وأصدقاؤه من دار المركز العام
حتى مشواه الأخير ... وتجلّى ذلك في أروع صورة ليعبر عن آيات المحبة والوفاء والاعزاز
التي تحملها قلوب أنصار السنة لمربيهم وأستاذهم ، وتحملها أيضاً قلوب أصدقائه وإخوانه .
ولا عجب .. وفهمه الذي أرشد الآلاف من الناس إلى طريق الهداية ومعرفة الله تعالى
من كتابه وسنة رسوله .

هو الذي علمهم الشرك من التوحيد والباطل من الحق .. كانت هناك أسراً شقية منشقة
بما قلدت وضلت . وكان هناك مجتمعاً جاهلاً مشركاً بما ورث ودان . جاء هذا الرجل المربي
فأرشد هؤلاء جميعاً إلى دين الهدى والاستقامة ، ورباهم التربية الإسلامية الصحيحة ، ودلهم

على منهج السلف الصالح ، فعرفوا الله ، وعرفوا رسوله ، وعمر الله قلوبهم بأنوار العلم والتوحيد والإيمان .

لقد كنت أنا واحداً منهم .. كنت ضمن هؤلاء الجهلة .. كنت أقلد الناس في كل شيء .. في الدين وفي غيره .. اخترت مذهب (مالك) تقليداً لبعض رفقائي في السوء والجاهلية .. وحتى هذا المذهب لم أكن أعمل به ، لأنى كنت أجهله تماماً ، وكنت أيضاً (مريداً) في الصوفية . تعرفت بأحد رجال الطرق الصوفية ، ولأسم في الجهل والسذاجة ، واستطاع بما قال لى ورغبني فيه أن يضمنى إلى طريقته التي اتخذتها ، وهذا المذهب ديناً لى دون دراسة ولا بحث .. كنت بهذا التقليد الأعمى شقياً معذباً ، وجسداً بلا روح ، ولا معنى ولا قلب ، كغيرى من الجهلة المقلدين .

ولكن الله سبحانه (وله الحمد وحده) أنقذنى من فساد هذه الطريقة ومن التقليد المذهبي حين قيض لى من عرفنى بدعوة إمامنا الراحل فاندمجت مع إخوانى (أنصار السنة المحمدية) وعشت معهم وعرفت طريق الحق ودعوة التوحيد وسبيل الهداية وشعرت أننى ولدت من جديد (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) .

لم أتأثر فى حياتى بشيخ ولا واعظ بقدر ما تأثرت بإمامنا الجليل ، وخاصة عند ما كان يتكلم فى التوحيد وفى فساد المجتمع وجهله وضلاله .. كنت أتأثر بهذا عند ما يتكلم ويتعمق ويمضى فيه فى قوة وعذوبة وحرارة .. كان هذا الكلام يهز وجدانى ومشاعرى ، وينقلنى إلى عالم آخر . عالم المعانى والإنسانية ، والإيمان .

نعم ولا عجب .. أنه الرجل العظيم الذى جاء به الزمان والذى جاهد فى الله حق الجهاد لتكون كلمة التوحيد على كل إنسان ، ودعوة الحق والهدى مهيمنة على كل قلب ، عاملاً بها وداعياً إليها كل مسلم .

لقد سعى أستاذنا الكريم لإحياء سنة سلفنا الصالح وبذل المال والجهد والوقت فى سبيل تبصرة الناس ، ليعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ويخرجوا من ظلمات الجاهلية إلى أنوار العلم والمعرفة حتى يصلح حالهم ويستقيم أمرهم .

جاهد وكافح ودعى الناس بكل ما يملك ليفهموا الإسلام صافياً نقياً ولينطلقوا من أسوار الوثنية الجائرة والشرك القبيح إلى حرية التوحيد الخالص .

عاهد الله وأخذ على عاتقه تعليم المسلمين حتى يعرفوا دينهم الحق من منبعه الصافين (القرآن والسنة) لامن التقاليد العمياء والخرافات الموروثة التي عاشوا فيها وشقوا بسببها وماتوا عليها .

انه الرجل الذى أمدّ مكتبة (التوحيد) بعشرات الكتب والمؤلفات التى أصدرها بتعليقاته وتحقيقاته لينشر آراء الأئمة من السلف الصالح وغيرهم ممن هداهم الله ليستفيد بها عشاق التوحيد وطلاب الحق والهدى والمعرفة .

أنفى عمره للدفاع عن السنة وتخليصها من بدع المضللين . ووقف أيامه لخدمة عقائد الإسلام الصحيحة وتنقيتها من أفك المزورين حتى يخرج ملايين المسلمين من ضيق الضلالات ، والأباطيل إلى رحبة الحق والهدى الواسعة .

أتعب نفسه وأجهدا ليعود الناس إلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم .. أيام أن نادى بتوحيد الله الخالق ، وبذ الآلهة المخلوقين ، وترك المعتقدات الباطلة .. أيام أن كان الإسلام يضىء قلوب المسلمين بنور التوحيد ويغمرهم بالإيمان والهدى والتقوى .

وهب حياته وأفناها ليرجع بالناس إلى عهد الصدر الأول من المسلمين الذين أطاعوا الله وأطاعوا رسوله ، واستقاموا على الشريعة فمكن الله لهم فى الأرض وأخضع لهم الجبابرة والطفاة .

فعل الفقيد العزيز كل ذلك فى وقت كان فيه أمثاله يخشون التحدث فى عقيدة التوحيد . ويخافون إظهار الحق بمجاعة العامة الذين أعماه التعصب الزمن وخوفاً على مراكزهم وإبقاء على هيبتهم أمام الناس الذين يحرصون على إحياء التقاليد والدفاع عن الخرافات ، والذين يجلون من يمشى فى ركبهم ، ولذلك كان الفقيد العزيز مكروهاً منهم مبغوضاً عندهم .

رحمك الله يا شيخ حامد ... لقد تركت فىنا برحيلك (الطويل جداً) فراغاً كبيراً نحن أعجز عن أن نسده وأضعف من أن نملاؤه لقد رحلت وتركت لنا مكاناً عظيماً ينتظر من

يملؤه ... ومن يملؤه ؟ عوضنا الله فيك خيراً ...

رحمك الله ، يا أستاذنا الجليل ... لقد ذهبت وتركت لنا مواعظ ودرراً مسجلة وعلماً وتوحيداً مدوناً ، وذكريات طيبة تفوح بالعطير وتأتى بالأريج مادمناً أحياء نرزق ... نسأل الله أن ينفعنا بما ترك .

رحمك الله ، يارئد التوحيد . . . إنا كلما تذكرناك .. كلما تذكرنا علمك وفقهك وجهادك تعود إلينا الأحزان ، ويتجدد الألم وتسيل الدموع .

يارئد التوحيد ... نم قرير العين مطمئن النفس ، فنحن على عهد الله . سنبذل المال والوقت والجهد في سبيل توصيل الدعوة إلى كل مسلم في العالم ... سنواصل الجهاد من بعدك . وسنسير بقافلة الحق والتوحيد رغم أنف دعاة الوثنية والضلال وصانعي الدجل والخرافات ، ورغم أنف الحاقدين والمفرقين الموتورين .

سنعمل من بعدك متضامنين متحابين في سبيل الله حتى تنتهي دولة الشرك والمستحذثات وتهزّم جيوش الجاهلية والخرافات وتهدم الأوثان والطواغيت وتنتصر دعوة الحق والهدى وترتفع راية التوحيد في كل مكان .

رحمك الله يا حامداً وغفر لك . ورزقنا نحن جميل الصبر والسلوان وقوة الإيمان .

اللهم اجعلنا وإياه من أهل جنتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين موافاتها باشترا كههم التي انتهت مدتها ، وترسل باسم السيد مدير المجلة ، كما ترجو من السادة المتعهدين موافاتها بإرسال ما بهدتههم ولهم جميعا الشكر .

منهج كداعية

لا تَعْرِفُ قيمة الشيء إلا إذا فقدته ؛ فلا تَعْرِفُ قيمة النور إلا إذا بدرته غياهب الظلام ، ولا تحس نفع الماء إلا إذا أضناك الأوام ، ولا تدرك لذة الصحة إلا إذا شفتك السقام وهكذا بضدها تميز الأشياء وفي الليلة الظلماء يفقد البدر .

وها نحن اليوم فقدنا إماماً من أئمة الحق ، وداعياً من دعاة الهدى ، وعلماً من أعلام التوحيد .

فقدناه وكنا نعمل في ظله الوارف ، ونستعين بنصحه الحكيم ، وإرشاده السديد ، ونرتشف رضاب الحق الصافي من حكمة غراء ، وحقيقة شماء ، من نبع نحاج لا ينضب ولا يغور وكيف وكتاب الله مصدره ، وهدى النبي مشرقه ومستقره؟! وحين فقدناه شعرنا بفراغ هائل ، ومكان شاغر ، وثغرة تفتح فاها الكريه والموقف يريد منا أن نكون رجالاً نمثل خير خلف ، لخير سلف ، مترسمين خطا فقيدينا العزيز ، ونظراءه من أئمة الهدى ، ودعاة الإصلاح .

والتحدث عن فقيدينا يجد جوانب الحديث متعددة ، فهناك جهاده ، وهناك إحياءه لآثار السلف ، وهناك أخلاقه ، وهناك سيرته في الحياة العامة ، ولكنني أخص القول بالحديث عن منهجه في الدعوة وما ذلك إلا لأنه كان يسير على منهج فريد ، ونمط ممتاز ، ويسلك سبيله فذاً في الدعوة إلى الله ، يتلخص في النقاط الآتية :

١ - كان لا يرى الحجة إلا لكتاب الله ، وسنة رسوله الصحيحة ، وسيقول البعض : إنه منهج مألوف وسبيل مطروق ، وأقول : ولكن من يحرص عليه في عصرنا غريب في أهله ، وحيد في مجتمعه ، وأقول : السنة الصحيحة ، ولهذه العبارة شأن عندنا أنصار السنة ،

إن هي سبيل وسط بين قوم فرطوا فقالوا : لإحجة إلا القرآن ، وقوم أفرطوا : فأخذوا بهريق الموضوع والدخيل والضعيف .

٢ - كان إمامه الحق ، يقيس الرجال بالحق ، ويزنهم بميزانه ، ولا يقيس الحق بالرجال ولا يجد حرجاً ألبتة في نقد الأئمة ، أو نقد ابن القيم وابن تيمية ، وغيرهم من أئمة السلف ، فلا قداسة لرأى إنسان مهما كان وكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا منهج سار عليه ابن تيمية من قبل .

٣ - كان له منهج خاص في تفسير القرآن ، أساسه استلزام اللغة العربية ^(١) ، والإعتماد على معاجمها لأنها لغة القرآن ، فلا يتقيد بما قاله المفسرون الذين كانت تفسيراتهم محشوة بالإسرائيليات ، أو كانت صورة لما نبغ فيه أربابها من فنون النحو والبلاغة والكلام ، بل يفسر بوحى من فطرته السليمة ، وفهمه الصحيح للدين ، وخبرته الصادقة بمقاصد الكتاب العزيز ؛ سمعته في خطبة من خطبه يفسر قوله تعالى : (بل كانوا يعبدون الجن) يقول : الجن : كل ما اجتن وخفى وحجب عن العين ، فالملوتى في قبورهم جن ، والشياطين جن ، والله ينهانا عن عبادة الجن . وهو حريص على المطابقة بين حياتنا العامة وهداية القرآن ، موازناً بين ماضى المسلمين ، وما صاروا إليه .

٤ - كان يجيد التحليل والتحليل ، وربط الأحداث بعضها ببعض ، وله نظرات فاحصة في القصص القرآنى ، ولفتات حية فيه ، أعجبنى منه تحليل طريف للظروف التى اكتتفت موسى عليه السلام في نشأته من إلقائه في اليم ، وتنشئته في بيت فرعون ، ولا بد أن يعد موسى إعداداً يناسب العبء الذى ينتظره ، ولا يتأتى ذلك إلا بأن يعيش في بيت عز وسطوة كيبت فرعون ، لا في بيت ذل ومهانة كبيت بنى إسرائيل حينذاك ، كما يرى أن رعى النبي محمد للفنم ، وتجارته الخديجة ما كانت إلا مدارس يختبر فيها الحياة ، ويعرف حالها ويتعلم منها أسباب القيادة ومناهج الدعوة ، وأخلاق المجتمع الإنسانى حينذاك .

٥ - كان أسلوبه في محاضراته ، وفي خطبه الأسلوب السهل الذى لا يهوى إلى

(١) راجع تفسيره بالجملة تجمد مصداق ذلك .

الإبتدال ، وفي الوقت نفسه لا يتأتى على أفهام عامة الإخوان ، مع قوة حجة ، ولباقة في الحديث ، وحسن تأت للموضوع الذى يعالجه ، يسلك إليه مداخل عجيبة ، ويدعمه بأمثلة بارعة ، أذكر مرة شخصاً زائراً للجماعة تحذاه في إحدى محاضراته ، وهو يحطم الحجب والستور التى تحول بين الناس وفهم القرآن ، فقال الزائر متحدياً : كيف يستطيع العامى أن يفهم القرآن ، ولا بد له من علوم يمارسها قبل ذلك ؟ فقال الشيخ : إن رغبة العيش مسور ، ومع ذلك نرى كل واحد منا يحطم أسواره لكي يخلص إليه ، وكذلك القرآن مسور ، فلماذا لا تحطم الأسوار بينك وبين القرآن حتى تخلص إليه وتفهمه وتدبره ؟!

وكانت له - رحمه الله - نبرة خاصة وإلقاء غير متكلف ، وعبارات للبدء والختام يمتاز بها عن عمداء .

٦ - كان ضليعاً في اللغة العربية حريصاً عليها مجيداً لها ، لا يتحمل خطأً نحوية يقع فيها مخاطبه ، فسرعان ما يبادر إلى تصحيحها ، أذكر أنى زرتة بالمستشفى قبل وفاته . بأيام فقلت بعبارة عامية (داحنا نتمنولك أطيب صحة) وشرعت في الإنصراف مع الزملاء . فنادانى وقال : ماذا تقول : ؟ ! فعدلت عن التعبير الأول وقلت : (نحن نتمنى لك أطيب صحة) فقال : هكذا يجب أن تكون حريصاً على الحديث بالعربية .

٧ - كان في بعض الأحيان يقسو في عباراته ، ويغلظ في قوله غير هياب ولا وجل ، وعذره أن الناس قد عموا عن الحق ، أو تعاموا عنه وأمعنوا في الخرافة والجهالة ، كما كان شجاعاً في أدب ، صريحاً في اتزان ، جريئاً حيث تحمد الجرأة .

٨ - كان يلتزم أسلوب الحكيم^(١) في كثير من مخاطباته ، فإذا سأل أحد الإخوان عن أمر ما ينبغي له أن يسأل عنه ، ولا يعنيه أن يبحث فيه ، أجابه بإجابة لسؤال غير سؤاله ليبين له أن ذلك هو الأخرى أن يسأل فيه ، مسترشداً في هذا بمنهج القرآن الكريم ، حين رد عن سؤال بعض الناس للرسول عن الأهلة ، والسبب في تطورها من هلال إلى تربع إلى

(١) يعرفه علماء البلاغة بأنه تلقى المخاطب بغير ما يترقب ، وإجابة السائل بغير ما ينتظر لغرض بلاغى طريف .

بدر !! فكانت الإجابة بغير ما يترقب السائلون قال تعالى : (يسألونك عن الأهلّة ؟ قل : هي مواقيت للناس والحج) .

فأجابهم عن الفائدة ، ولم يجبههم عن الماهية كما طلبوا .

٩ - كان يتحاشى فى أسلوبه الكلمات الدخيلة على الإسلام ، والتي لم ترد فى معجم الكتاب والسنة ، إذا كانت تعبر عن هدف دينى ، فقد كنت أتكلم ذات مرة فى مؤتمر لجماعة أنصار السنة المحمدية بنكلا فانتقدنى حين ذكرت فى كلامى كلمة (تعاليم) ، وقال : هذه الكلمة ليست إسلامية ولكن قل : (تشاريع) .

١٠ - كان يرى أن الصهيونية هي العدو اللدود للجماعة الإسلامية ، وهي التي أشاعت الفقرة فى حياة المسلمين الأولى ، وهي التي شوهت الإسلام ، وأبعدت الناس عنه وهي لا تزال تثبت سمومها فى المسلمين إلى الآن ، ولا بد لكل مسلم مكافح أن يضع فى حسابه جهادها ، ومكافحتها .

هذه بعض الخطوط التي يتكون منها منهجه فى دعوته .

وبالذات من منهج شديد ، وأسلوب مستقيم ، قلما اجتمعت خطواته لغيره ، وتكاملت نقاطه لسواه . لقد كان بهذا المنهج داعياً مجدداً ، ومصلحاً ناقداً ، وناصحاً مجرباً ، خبيراً بالناس والحياة .

رحمه الله لقاء ما قدم للإسلام والمسلمين من نصح وإرشاد

عبد السلام رزق الطويل

بكلية اللغة العربية

عن عمر رضى الله عنه أنه قال : « موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار ، أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه » .

الخرافة التي رددتها القاهرة

« ليست الأمية أمية القلم والمحبرة ، وإنما الأمية الحقبة أمية القلب والعقل ينضب معينهما من هداية الله ووحى السماء . حيث يسيطر عليها دين الخرافة ، وتنبط عليها أروقة الجمالة »

في ميدان باب الخلق من ميادين القاهرة حين تولى وجهك شطر محكمة الاستئناف ، تجد متسعاً من الأرض ، برز في إحدى زواياه بقايا بناء من طابقين ، أما المتسع فهو مكان المحافظة القديمة ، وأما بقايا البناء فضريح يضم رفات (سعادة) .
ولذلك البناء قصة أحدثك عنها ، هي قصة مزدوجة ، إن دلت على شيء ، فإنما تدل على حقيقة كثير من الأضرحة المنبثة في مصر والتي يلجأ إليها كثير من الناس لطلب المنافع ، ودفع المضار ، كما صور الشيطان لهم أن المقبورين فيها من أولياء الله الذين أعطاهم الله حفظاً كبيراً من التصرف في كونه .

تبدأ القصة حيث شرعت الحكومة بهدم هذا الجزء الباقي من المحافظة القديمة ، وحين ذاك شعر سدنة الضريح بأن معين رزقهم سينضب ، وأن رافداً من روافد رزقهم الخبيث سيجف ، فنسج خيالهم البارع طائفة من الأكاذيب قالوا : إن هذا ضريح الشيخة سعادة بنت الحسين بن علي ، وأنها تهدد على لسان خادمتها وسادنة قبرها كل من يقرب منها بالأذى الشديد ، وإذا حاولوا نقل رفاتهما ، فإنها ستطير من هذا المكان ولا يجدونها ، ثم دعوا هذه الأكاذيب بأدلة عملية ، فقالوا : إن العمال الذين شرعوا في هدم الضريح شل أحدهم ، وسقط الآخرون بين الموت والحياة هذا عدا الجرحى ، والإصابات الطفيفة . وتلقف السذج والبسطاء هذه الفري ، وتولوا كبرها ، وإشاعتها حتى إذا مررت بجانب هذا الضريح وجدت عجباً ، وجدت خلقاً كبيراً قد تجمعوا يسألون ويستفسرون عن حقيقة هذه الكرامات المذهلة ، وترى الناس حلقات يتجادلون ويأخذ بعضهم بتلايب بعض فمنهم من يقول : وهو موظف محترم ، والله لولا الأولياء في مصر لهلك من زمن بعيد ؟ ومنهم الجامعي الذي يقول :

الأولياء لهم كرامات ، ولهم ما يشاؤون عند الله !! فنقول له : أين العلم والثقافة؟! فيقول : العلم شيء والإيمان بهذه المعتقدات شيء آخر؟ ومنهم من ينكر ما يقال - وما أقله - ولكن يضيق صدره ، ولا ينطق لسانه ، فيغير المنكر بقلبه ، ويرضى بأضعف الإيمان .

هكذا وفي رحاب هذا الضريح تجمد صوراً شتى للطفولة الإنسانية ، وسداجة المتعلمين الذين محوا عن أنفسهم أمية القلم ، ولكنهم يعيشون في أمية أعظم نكراً وأقبح شأناً . وأريد الآن أن أناقش هذا الموضوع في هدوء ، على فرض أن هذا الضريح حقيقة واقعة ، وأن فيه الشيخة سعادة ابنة الحسين بن علي رضي الله عنهما .

إن أساس الفهم الخاطئ الذي تسرب إلى أذهان كثير من المسلمين هو أنهم لم يعرفوا المفهوم الحقيقي لكلمتي : الولي والكرامة . بل فهموها فهماً عاماً مشوشاً أملاًه عليهما الشيطان ولو نظروا في كتاب الله وفي سنة رسوله الصحيحة لوجدوا أن الولاية ما هي إلا صفة من صفات المؤمنين الذين قوى وازع الدين في نفوسهم ، وتمكنت تقوى الله من قلوبهم ، فهم الذين عبر الله عنهم بالسابقين المقربين ، وهم المحسنون ، وهم المفلحون ، وهم أولو الأبواب والولاية درجات ، وعلى قدر إيمان الإنسان يكون حظه من الولاية كما قال ابن تيمية في كتابه « الفرقان » .

وتكريم الله لهم يكون في حدود ما تيسر لهم الخير ، ويجلب لهم النفع في الدنيا والآخرة ، وليس من تكريمهم أن يكونوا وسطاء للناس لدى الله في قضاء الحاجات وكشف الكربات تعالى الله عما يفترون .

فليس الأولياء إذن جماعة مختارة من الناس ، وصنف مجتبي من البشر ، أعطاهم الله مفاتيح التصرف في الكون ، وملكهم زمام البشر ، ومنحهم البت في مصائر الناس !! كما يقول الصوفية .

ثم إذا كانت الشيخة سعادة من أولياء الله المؤمنين المتقين ، فهل من الإيمان سفك السماء وأذى الناس لا شيء إلا لأنهم قاموا بأمر كلّفوا به !! أين سماحة الإيمان ، وعفو المؤمنين .

أيّتها الولية المزعومة؟! ألم تقرّئي في تبتلك وأنت ولية - كما سموك - قول الله تعالى :
(ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعد له
عذاباً عظيماً) .

وعذراً : يا شيخّة ، فإني - لهذا - من ولايتك في شك مريب !!
ومالي أضرب في بيداء الفروض ، وأغذ السير في فيافي الخيال ، وقد ثبت أن الشيخّة
سعادة ، ماهي إلا إحدى خزانات القرن العشرين !!!^(١)

لقد طالعنا صحيفة (الأخبار) والإشاعات في أشدها بيان الأستاذ حسن عبد الوهاب عالم
الآثار المصري يكشف لنا حقيقة هذه الخرافة ، إن سعادة ، هذه ليست اسم امرأة ، بل هي
اسم رجل ليس ولياً ، وإنما هو سعادة بن حيان أحد قواد الجيش في العصور السابقة ، ثم
أشار إلى أن بعض الناس استغلوا هذا الاسم ، ونسجوا حوله هذه الهالة لكي يبتزوا أموال
السذج والبسطاء ، ثم قال : وكم بمصر من أمثال هذه الضرائح التي نظنها الأولياء والواقع
ليس كذلك ، ولكن بكل أسف نرى إذاعتنا تساهم في الاحتفال بها !!

أجل : الآن حصحص الحق ، ووضح نوره ، وانكشف حقيقة هذه الخرافة ، ولكن
برغم ذلك تمر على الضريح فترى القبلات تمس الجدار ، والدعوات تهز أركانه .

لقد أسمعت لو ناديت حياً . ولكن لا حياة لمن تنادى
ولو ناراً نفخت بها أضاءت . ولكن أنت تنفخ في رماد

عبد السلام رزق الطويل

بكلية اللغة العربية

(١) أي خزانات القاذورات وفضلات الناس .

حكم

أول العلم : الصمت والاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم نشره بين الناس .

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات المتازة في الصناءة والمتانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عظمه صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تسهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تسهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنيّة للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

الثنى ٢٠ ملجا

مطبعة السنة المحمدية

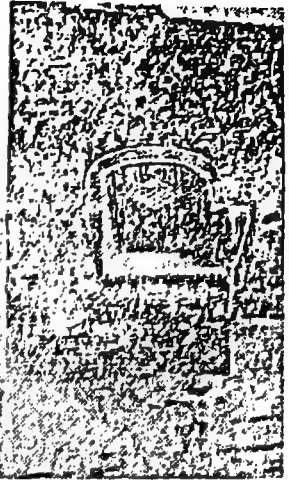
١٧ شارع شريف باشا الكبير

٧٩.١٧ ٥

في أي مكان تجده يتألق ويزهو

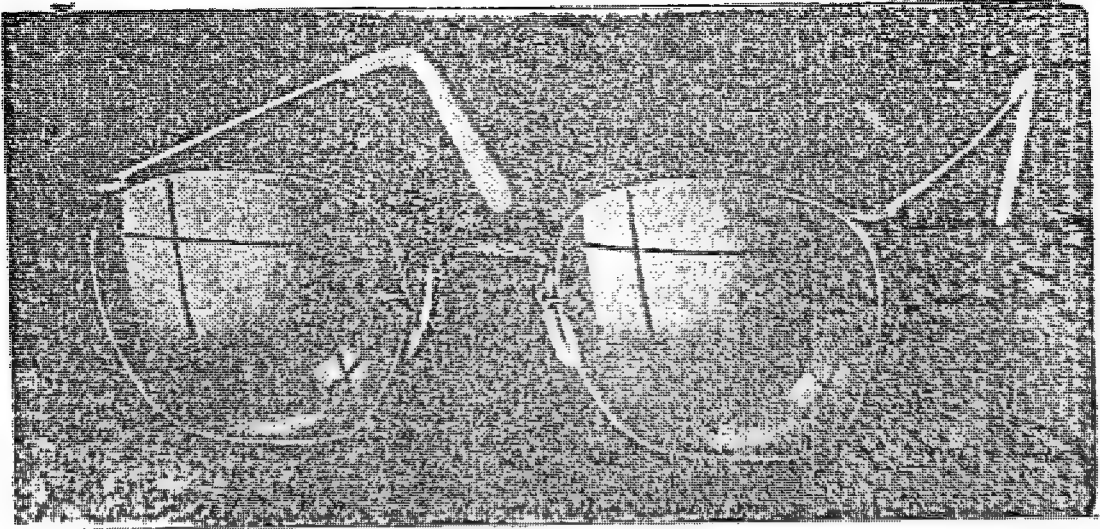


آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكريسي النموذجي
انشاج، حسن علف حفاة



إنه الكريسي النموذجي

في المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
موبيلات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل :
مس على صمد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندی سجل تجارى ٤١١٠١



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي


أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ بميدان القبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شباير النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع



المذكرى النبوية

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣	التفسير .	بقلم الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٦	فلنهدم هذه القباب .	لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
١٩	سنن العيدين .	بقلم الأستاذ رشاد سليمان محمد . .
٢٢	فاقد الشيء لا يعطيه . .	بقلم الأستاذ محمد خليل السبكي .
٢٥	الايان بالله . . .	بقلم السيدة حرم الرحوم الدكتور محمد رضا
٣٧	ليلة النصف من شعبان .	بقلم الأستاذ محمد صالح سعدان . . .
٤٦	من شرفات التاريخ . . .	لفضيلة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل .

«ساعات حبيب» السويسرية

الساعات الممتازة التي تحظى برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان

لمتانتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتي

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل في الدفع على أقساط شهرية

استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعي

الهدى النبوي

مدير الإدارة
محمد رضى خليل

الاشتراك السنوى

٢٠ - فى مصر والسودان

٣٠ - فى الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الله على محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

الإدارة :

٨ شارع قوله

عابدين مصر

ت ٧٦٥٧٦

العدد ١٠

شوال سنة ١٣٧٨

المجلد ٢٣

نور من القرآن :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال جل ذكره : (١٧ : ١٦) وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا) .

معانى المفردات

« الإرادة » قال الراغب : الإرادة منقولة من راد يرود إذا سعى فى طلب شيء ، والإرادة فى الأصل قوة مركبة من شهوة^(١) وحاجة وأمل ، وجعل اسماً لزوع^(٢) النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغى أن يفعل ، أو لا يفعل ، ثم يستعمل مرة فى المبدأ ، وهو نزوع النفس إلى الشيء ، وتارة فى المنتهى ، وهو الحكم فيه بأنه ينبغى أن يفعل أو لا يفعل ، فإذا استعمل فى الله ، فإنه يراد به المنتهى دون المبدأ ، فإنه يتعالى عن معنى النزوع ، فتنى قيل : أراد الله كذا فعناه حكم فيه أنه كذا ، وليس بكذا . وقد تذكر الإرادة ويراد بها معنى الأمر . كقولك : أريد منك كذا ، أى أمرك بكذا ، وقد يذكر ، ويراد به القصد ، نحو : (٢٨ : ٨٣) لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً أى يقصدونه ،

(١) لاحظ أنه يشرح معناها اللغوى . لا بالنسبة إلى الله سبحانه .

(٢) النزوع = الميل والشوق .

ويطلبونه . والإرادة قد تكون القوة التسخيرية والحسيّة ، كما تكون بحسب القوة الاختيارية . ولذلك تستعمل - أى الإرادة - فى الجّاد وفى الحيوانات نحو (١٨ : ٧٧ فوجدا فيها جداراً يريد أن ينفقَ فاقامه) .

وقال ابن فارس : الراء والواو والدال مُعْظَمُ بابِه يدل على مجيء وذهابٍ من انطلاقٍ فى جهة واحدة .

وقال صاحب اللسان : أراد الشيء شاءه . قال ثعلب : الإرادة تكون مَحَبَّةً وغير محبة ، وأردته بكل رِيْدَةٍ ، أى بكل نوع من أنواع الإرادة ، وأراد الشيء أَحَبَّه وَغَنِي به . « نهلك » قال الراغب : الهلاك ثلاثة أوجه افتقَادُ الشيء عنك ، وهو عند غيرك موجود ، كقوله تعالى (٦٩ : ٢٩ هلك عنى سُلْطَانِيَّةٌ) . وهلاكُ الشيء باستحالة وفساد كقوله سبحانه (٢ : ٢٠٥ يهلك الحرث والنسل) والثالث الموت : كقوله سبحانه (٤ : ١٧٦ إِنْ أَمْرُوْهُ هَلَكَ ، لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ ، فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ . . .) والرابع : بُطْلَانُ الشيء من العالم وعدمه رأساً ، وذلك المُسَمَّى فناءً المشار إليه بقوله سبحانه : (٢٨ : ٩٩ كل شيء هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) ويقال للعذاب والخوف والفقر : الهلاك .

وقال ابن فارس الماء واللام والكاف يدل على كسر وسقوط منه الهلاك . السقوط . وقال صاحب اللسان : اَهْلَكَ وَاَهْلَكَ ، هَلَكَ يَهْلِكُ هَلَكًا وَهَلَكًا وَهَلَاكَ مَاتَ . والهلك ما بين كل أرضٍ إلى التّى تحتها ، إلى الأرض السابعة . . . وقيل : الهلك ما بين أعلى الجبل وأسفله ، وقيل : الْمَهْوَاةُ بين الجبلين . .

« قرية » قال الراغب : القرية اسم للموضع الذى يجتمع فيه الناس ، وللناس جميعاً^(١) ويستعمل فى كل واحد منهما . قال تعالى (١٢ : ٨٢ واسئل القرية التى كنا فيها) .

وقال ابن فارس القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها

(١) معنى هذا أنها تقال على أهل القرية حقيقة لا مجازاً ، كما زعم من أكثروا من القول بالمجاز فى القرآن لهدف مقصود هو تأويل آياته تأويلاً يصدر عن الهوى والرأى الجامع .

وقال صاحب اللسان : أَمْرِيَّةٌ وَأَقْرِيَّةٌ لغتان : المِضْرُ الجامعُ .. والقَرِيَّةُ : من المساكن والأبنية والضياع ، وقد تطلَّق على المدن .

« أمرنا » قال الراغب : الأمر الشأن ، وجمعه أمور . ومصدرُ أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئاً وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها ، ويقال للإبداع : أمرٌ .. ويختص ذلك بالله تعالى دون الخلائق .. والأمر التقدمُ بالشيء سواء كان ذلك بقولهم : افعل ، لِيَفْعَلْ^(١) . أو كان ذلك بلفظ خبر .. أو كان بإشارة أو غير ذلك : وقيل أمر القوم ، أى كثروا .

قال ابن فارس الهمزة والميم والراء أصول خمسة : الأمر من الأمور ، والأمر ضد النهى ، والأمرُ النماء والبركة والمعلم والعجب . فأما الواحد من الأمور فقولهم : هذا أمر رضىته ، وأمر لا أرضاه . والأمر الذى هو تقيضُ النهى قولك : افعل كذا . قال الأصمى : يقال : لى عليك أمرّة مطاعة ، أى لى عليك أن آمرك مرة واحدة ، فتطيعنى ... ومن هذا الباب الإمر والإمارة ... قال ابن الأعرابى : أمرت فلاناً أى جعلته أميراً ، وأمرته وأمرته كلُّهن بمعنى واحد قال ابن الأعرابى : أمر فلان على قومه : إذا صار أميراً .. وأما النماء فقال الخليل : الأمرُ النماء والبركة وامرأةٌ أميرةٌ أى مباركة على زوجها . وقد أمر الشيء أى كثر ... ويقال أمر الله ما له وأمره ...

وقال صاحب اللسان : الأمر معروف تقيضُ النهى ، أمره ، وأمره إياه يأمره أمراً وإمارة ، فأتمر أى قبل أمره .. يقولون أمر الله المهرة أى كثرت ولدها ، وأمر القوم ، أى كثروا . قال الفراء قوله سبحانه (أمرنا مترفياً) من قرأ بالتخفيف ، فالمعنى : أمرناهم بالطاعة ، ففسقوا ، فإن قال قائل ألت تقول : أمرت زيدا فضرب عمرأ . والمعنى أنك أمرته أن يضرب عمرأ ، فضربه . فهذا اللفظ لا يدل على غير الضرب . ومثله قوله : (أمرنا مترفياً ، ففسقوا فيها) . أمرتك ففصيتنى ، فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر ، وذلك الفسق . مخالفة أمر الله ..

وقال أبو عبيد . فى قوله : مُهْرٌ مَأْمُورَةٌ : إنها الكثيرة النتاج والنسل . قال : وفيها .

(١) أى بصيغة الأمر الصريحة . أو المضارع للتصل بلام الأمر .

لعتان . قال : أَمَرَهَا اللهُ فَهِيَ مَأْمُورَةٌ ، وَأَمَرَهَا اللهُ فَهِيَ مُؤَمَّرَةٌ . . .

وقال أبو زيد : مهرة مأمورة هي التي كثر نسلها . يقولون : أَمَرَ اللهُ المِهْرَةَ ، أَيْ كَثُرَ وَلَدُهَا ، وَأَمَرَ الْقَوْمُ أَيْ كَثُرُوا . . . أَمَرَهُمُ اللهُ ، فَأَمَرُوا ، أَيْ كَثُرُوا . . . قال أبو عبيدة أَمَرَتْهُ بِالْمَدِّ ، وَأَمَرَتْهُ لَعْتَانُ بِمَعْنَى كَثُرَتْهُ .

« مترفيها » قال الراغب : التَّرَفَةُ التَّوَسُّعُ فِي النِّعْمَةِ . يقال : أَتَرَفَ فُلَانٌ فَهُوَ مُتَرَفٌ (٢٣ : ٣٣) وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (. . .) (أَمَرْنَا مُتَرَفِيهَا) وَهُمْ الْمُوصُوفُونَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : (٣٠ : ١٥) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ : رَبِّي أَكْرَمَنِي .

وقال ابن فارس : التاء والراء والفاء كلمة واحدة وهي التَّرَفَةُ يقال رجلٌ مترَفٌ مُنْعَمٌ وَتَرَفَهُ أَهْلُهُ إِذَا نَعَّمُوهُ بِالطَّعَامِ الطَّيِّبِ ، وَالشَّيْءِ يُخَصُّ بِهِ .

وقال صاحب اللسان : الترف التَّنَعُّمُ والتَّعَرُّفُ النعمة . وَعَسَى أَنْ يَمُوتَ مُتَرَفٌ إِذَا كَانَ مُنْعَمٌ الْبَدَنُ مُدَلَّلًا وَالْمُتَرَفُ الَّذِي فَدَّ أَبْطَرَتْهُ النِّعْمَةُ وَسَعَةُ الْعَيْشِ ، وَأَتَرَفَتْهُ النِّعْمَةُ ، أَيْ أَطْفَعَتْهُ . . . الْمُتَرَفُ الْمُتَنَعِّمُ الْمُتَوَسِّعُ فِي مَلَاذِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا . . . وَرَجُلٌ مُتَرَفٌ وَمُتَرَفٌ مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ وَتَرَفَ الرَّجُلُ ، وَأَتَرَفَهُ دَلَّاهُ وَمَلِكُهُ . وقوله تعالى : (٤٣ : ٢٣) إِلَّا قَالِ مِتَرَفُوهَا) أَيْ أُولُو التَّرَفَةِ ، وَأَرَادَ رُؤَسَاءَهَا ، وَقَادَةَ الشَّرِّ فِيهَا .

« ففسقوا » قال الراغب : فَسَقَ فُلَانٌ خَرَجَ عَنْ حَبْرِ الشَّرْعِ ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَسَقَ الرُّطْبُ إِذَا خَرَجَ عَنْ قَشْرِهِ وَهُوَ أَعْمُ مِنَ الْكُفْرِ ، وَالْفَسْقُ يَقَعُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَبِالْكَثِيرِ ، لَكِنْ تَمُورُ فِي مَا كَانَ كَثِيرًا ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ الْفَاسِقُ : لِمَنْ التَّزَمَ حَكَمَ الشَّرْعِ وَأَقْرَبَهُ ، ثُمَّ أَخْلَى بِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ ، أَوْ بَعْضِهِ وَإِذَا قِيلَ لِلْكَافِرِ الْأَصْلِيِّ فَاسِقٌ ؛ فَلَا أَنَّهُ أَخْلَى بِحَكِيمٍ مَا أَلْزَمَهُ الْعَقْلُ ، وَاقْتَضَتْهُ الْفِطْرَةُ . فَالْفَاسِقُ أَعْمُ مِنَ الْكَافِرِ .

وقال ابن فارس : الفاء والسين والقاف كلمة واحدة . وهي الفسق ، وهو الخروج عن الطاعة . تقول العربُ : فَسَقَتِ الرُّطَابَةُ عَنْ قَشْرِهَا إِذَا خَرَجَتْ .

وقال صاحب اللسان ، الفسق : العصيان ، والتركُ لأمر الله عز وجل ، والخروجُ عن طريق الحق . فَتَقِي وَيُفْسِقُ . وقيل : الفسوقُ الخروجُ عن الدين . وكذلك الميلُ إلى المعصية ، كما فسق إبليس عن أمر ربه . . . أى جار ومال عن طاعته . . . والعربُ تقول : إذا خرجت الرطبة من قشرها : قد فَتَقَتِ الرطبة من قشرها . وحكى شمر عن قطرب : فسق فلانٌ فى الدنيا فسقاً ، إذا اتسع فيها ، وهونَ على نفسه ، واتسع بركوبه لها ، ولم يُصَتِّعْها عليه . وفسق فلانٌ ماله : إذا أهلكه وأنفق . ويقال : إنه أفسقُ ، أى خروجُ عن الحق ، وقد يكون الفسق شركاً ، أو يكون إثمًا . ورجلٌ فاسق وفِسِيقٌ وفُسُوقٌ : دائمُ الفسق .

« حَقٌّ » قال الراغب : أصل الحق المطابقة والموافقة ، بكطابقة رجل الباب فى حقه لدورانه على استقامة - ثم فَصَّلَ الراغب أوجه الحق ، فذكر : إن الحق يقال على أوجه . وجعل منها أنه يقال : للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب ، وفى الوقت الذى يجب ، كقولنا : فعلك حقٌ ، وقولك حق . قال الله تعالى (١٠ : ٣٣) كذلك حقت كلمة ربك) ، (٣٢ : ٢٣ حق القول منى) ويستعمل - أى الحق - استعمال الواجب واللازم والجدير نحو : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

وقال ابن فارس : الحاء والقاف أصل واحد ، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته . فالحق نقيضُ الباطل ، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلقيق ، ويقال : حقَّ الشيء وجب .

وقال صاحب اللسان : حق الأمر يحق ويحقُّ حقاً ، وحقوقاً : صار حقاً وثبت . قال الأزهري : معناه وجب يجب وجوباً ، وحقَّ عليه القولُ ، وأحققت أنا . وفى التنزيل (٨٢ : ٢٣) قال الذين حقَّ عليهم القول . . .) أى ثبت (٣٩ : ٧١) ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى وجبت وثبتت .

« القولُ » قال الراغب : القول والقليلُ واحد . قال تعالى : (٤ : ١٢٢) ومن أصدق من الله قيلاً) والقول يستعمل على أوجه ، وأظهرها أن يكون المركب من الحروف المُبَرَز

بالنطق ، مفرداً كان أو جملة . وقد يستعمل الجزء الواحد من الأنواع الثلاثة ، أغنى : الاسم والفعل والأداة قولاً ، كما قد تسمى القصيدة والخطبة ونحوهما قولاً .

الثانى : يقال : للمتصور فى النفس قبل الإبراز باللفظ قولٌ (٣ : ٤٠) يُخَفُّون فى أنفسهم ما لا يبدون لك ^(١) .

الثالث : للاعتقاد ، نحو فلانٌ يقول بقول أبى حنيفة .

الرابع : يقال للدلالة على الشيء ، نحو قول الشاعر :

• امتلاً الحوض ، وقال : قَطْنِي ^(٢) .

الخامس : يقال للعناية الصادقة .

السادس : يستعمله المنطقيون دون غيرهم فى معنى فى الحد .

السابع : الإلهام (١٧ : ٨٦ قلنا إذا القرنين) .

وقال ابن فارس : القاف والواو واللام أصل واحد صحيح ، وهو القول من النطق .

وقال صاحب اللسان : القول الكلام على الترتيب ، وهو عند المحقق : كل لفظ قال

به اللسانُ تاماً كان أو ناقصاً .

قال سيبويه : واعلم أن قلت فى كلام العرب إنما وقعت على أن تحكى بها ما كان

كلاماً لا قولاً . يعنى بالكلام الجُمْل ، ويعنى بالقول : الألفاظ المفردة التى يبنى الكلام

منها . وقيل : القول فى الخير والشر ، والمقال والقييل فى الشر خاصة .

« دمرناها » قال الراغب : التدميرُ ، إدخال الهلاك على الشيء .

وقال ابن فارس : الدال والميم والراء أصل واحد يدل على الدخول فى البيت وغيره .

يقال : دَمَر الرجل بيته ، إذا دخله . قال الشيبانى والأصمعى : المدمرُ ، الداخلُ فى العُتْرَةِ ،

ويقال : دَمَرَ القنفذُ إذا دخل جحره . والدمار ، الهلاك .

(١) الآية ، الأظهر والأدق فى الدلالة قوله سبحانه : (٥٨ : ٨) ويقولون فى أنفسهم . لولا

يعذبنا الله بما نقول) .

(٢) أى حصى وكفانى هذا .

وقال صاحب اللسان : الدمارُ ، استئصال الملاك . دَمَرَ القومُ يَذْمَرُونَ دماراً هلكوا
وَدَمَرَهُمْ مَقْتَهُمْ . وَدَمَرَهُمُ اللهُ ، ودمّرهم تدميراً ، يقال : دمره تدميراً ، ودمّر عليه بمعنى .
« المعنى »

فهنا من الهدى الإلهى المشرق من الآيتين السابقتين أن كل فرد مسئول عما يعمل فى
دنياه ، وأن عمله هذا ملازمٌ له ، لا ينفكُ عنه ، حتى يحاسب هو نفسه بين يدي الله بأمر
الله يوم القيامة . إذ يقول سبحانه : (اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) .
وأشرق علينا من هدى سبحانه فى الآيتين السابقتين أنه جلّ شأنه غنى عن خلقه فلا ينفعه
من المهتدى هداه ، ولا يضره من الضال ضلاله ، وإنما نفعُ الهدى لمن يكسبه ، وإثم
الضلال على من يقتطفه .

وغمر قلوبنا اليقينُ أنه - برحمته سبحانه - لا يعذب أحداً من الناس إلا من يخالف
عن أمر الله بعد إرسال الرسل .

أما فى هذه الآية الكريمة ، فتحديدٌ وتوضيحٌ لمسئولية الجماعة بعد تحديد وتوضيح
مسئولية الفرد فيما سبق من الذكر الحكيم .

فالإنسان إذاً مسئولٌ كفردٍ عن عمله الخاص به ، ومسئول كذلك عن موقفه من
الجماعة التى يعيش معها ، ذلك لأن الإسلام يحتم على كل مسلم أن يعيش مقوماً لنفسه بما
طلب الله أن يقومها به ، ومقوماً للجماعة بما أمر الله سبحانه (٣ : ١٠٣) واعتصموا بحبل الله
جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ؛ إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم
بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته
لعلكم تهتدون) .

هذه هى خصائص الجماعة الإسلامية وصفاتها ومقوماتها ، اعتصامُ الجميع بحبل الله ،
الحمدُ الدائم لنعمة الله ، الأخوة^(١) الخالصة فى الله .

(١) والأخوة تستلزم وجود غير ، أى وجود أخ ، فالذى يعيش وحده إذن يعطل هذه
الصفة ، أى لا يكون أخاً للجماعة .

دوامُ الحرص على الاهتداء بآيات الله . فليس بمسلم خالص من يعيش منطوياً على نفسه ، عاكفاً على معبده ، غافلاً لاهياً عن جماعته التي يعيش معها و بينها ، لايهمه أن سلكت سواء السبيل ، أو تَنَكَّبَت الصراط المستقيم .

ليس بمسلم حق من يتفرد بوحده العابدة على قنّة جبل ، أو في مغارة تأهية في جنباته ، تاركا الجماعة ترتكب ما شاءت من منكر ، أو تدعو إلى ما شاءت من ضلالة ، أو غافلة عن طاعة الله ، ظاناً أنه بمنجوة من العذاب ؛ إذ يعيش في هذه الوحدة الكاكية الصماء ، وإذ تزرُ الجماعة من الأوزار مالا يزره هو . كلا . فهو مسئول عما تقترف جماعته كمشؤوليتها سواء ، لأنه بصفته عضواً في هذه الجماعة لم يقيم بما فرضه الله عليه نحوها . وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣ : ١١٠) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر) فالخيرية مقيدة بما ذكر الله ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إن السلم الحق لا يعيش سلبياً أبداً ، بل هو من يعيش إيجابياً ، فيناصر الحق ، ويحذل الباطل ، يجاهد في سبيل الخير ، ويحالد في قوة أسباب الشر ، يدعو إلى الإيمان الصادق ، ويكافح الكفر الباغي ، وإلا حقت عليه كلمة العذاب الذي أعده الله للجماعة التي خالفت عن أمره ، لهذا يحذر الله ، وينذر الجماعة ، ويحذر وينذر كل فرد من أفراد هذه الجماعة ، يحذرهم جميعاً من غضبه ، ويتوعدهم بالتدمير الذي لا يبقى منهم ولا يذر ، إذ يقول جلت حكمته ، وتسامى عدله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً) .

لماذا تستحق القرية كلها التدمير ؟ والاستئصال بالعذاب ؟ وقد يكون من بينها من هو صالح في نفسه ، لأن هؤلاء الذين نطن بهم الصلاح ، لم يؤدوا الغرض الحتم عليهم ، إنه مناهضة الفسقة ، والضرب على أيديهم ، ومكافحتهم بكل ما يمكن من وسائل مكافحة الشر ، فإن عجزوا عن صدّ هذا التيار الباغي المجنون من الفسق ، وخافوا أن يحرفهم معه ، فما عليهم إلا أن يهاجروا عن هذه القرية الظالم أهلها ، لتكون هذه الهجرة تعبيراً عملياً

عن مناهضتهم لهذه الجماعة ، وتحذيراً للجماعات الأخرى من أن ينحدروا إلى تلك الهوة الساحقة ، ودعوة إلى تعبئة القوى المناهضة للبغى ضدها .

(٤ : ٩٧ إن الذين تَوَفَّاهُم الملائكة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ ، قالوا : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) فإن لم يفعلوا فقد استوجبوا العقاب ، لأنهم سكتوا عن الشر ومقاومته ، والسكوتُ عن الشر ومقاومته مشاركةٌ في اقترافه ، مشاركةٌ في انتشار بغيه ، مشاركةٌ في انتشار دائه الويل ، إنهم عاشوا سَلِيمِينَ ، فشجعوا بِسَلِيمِيَّتِهِمْ هذه ، الْفَسَقَةَ الظَّالِمَةَ ، فحقَّ عليهم القول ، لحاق بهم الدمار .

إن ربنا العدل الحكيم يبين لنا في هذه الآية سنته في إهلاك القرى ، إنها سنةٌ عدله وحكمته ، فالإهلاكُ له أسبابه ومقتضياته ، وما أسبابه إلا الفسق الذي فجر به المتفرون ، وانغمس فيه - تبعاً لهم - غير المتفرين ، إنه الخروج عن أمر الله - وقد آمنت قلوبهم بأنه حق ، ولكنها جحدته - الذي يقترفه قادة الشر في القرية ، ويقترفه معهم أولئك الذين جنبوا عن مقاومتهم ، ولتندبر هنا بعض الآيات التي ذكر الله فيها سبحانه شأنه مع القرى .

لا يهلك الله قرية إلا بعد أن ينذرها على لسان رسول من عنده ، فتعصاه فتستحق عقابه (٢٦ : ٢٠٨ وما أهلكنا من قرية إلا لها مُنْذِرُونَ) (٢٨ : ٥٩ وما كان ربُّكَ مُمْلِكَ الْقُرَى ، حتى يبعث في أمِّها رسولا) ، (٦ : ١٣١ ذلك أن لم يكن ربُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) .

لا بد من ابتلاء كل قرية بالبأساء والضراء ، ليميز الله الخليث من الطيب وليذكروه . وليرجعوا عن غوايتهم (٧ : ٩٤ وما أرسلنا في قرية من نبيٍّ إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون) .

مجرموا القرية ، وقادة الشر فيها هم بلاؤها وأساس مأساتها (٦ : ١٢٣ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) ،

(٣٤ : ٣٤) وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا بما أرسلتم به كافرون ،
(١٢ : ٧) وما كان جواب قومهم إلا أن قالوا : أخرجوهم من قريبتكم) .

لا يهلك الله قرية إلا لأنها تستحق الهلاك بظلمها (١١ : ٢١) وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة ، وأنشأنا بعدها قومًا آخرين (١١ : ١١٧) وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (١٨ : ٥٩) وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا (١١ : ١٠٢) وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة (٢٢ : ٤٨) وكأين من قرية أهلكناها وأهلها ظالمة ، ثم أخذتها ، وإليَّ المصير) .

من الظلم الذي يؤدي إلى الهلاك : الكفرُ بأنعم الله (٢٨ : ٥٨) وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) .

على المسلم أن يفر بدينه من القرية الظالمة ، (٤ : ٧٥) ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) .

الله يبعث القرية الظالمة بعذابه (٧ : ٤) وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتًا أو هم قائلون ^(١)) .

تلك هي سنة الله مع القرى الظالمة ، وما أوردنا من الآيات المحكمة ، يتبين لنا أن الله لا ينزل العذاب بها إلا بعد أن تفعل هي ما تستحق به هذا العذاب ، وفي الآية التي تفسرها تبيان لهذا ، فعنى الآية : إن الله سبحانه إذا توجهت إرادته إلى إهلاك قرية وحكمت بأن إهلاكها واجبٌ ، فلا يكون هذا إلا بعد إعذار وإنذار ، يأمرهم الله بطاعته فيعصونه ، فيدمرهم ، وهنا أسئلة نوجهها لنجيب عنها .

لماذا توجهت إرادة الله إلى إهلاك هذه القرية ؟ .

وأقول : مما يعتقده المؤمن أن إرادة الله سبحانه ، إرادة حق وعدل وخير ، وأنها عن علم محيط بما كان وبما سيكون ، فهي إذن إرادة عليم خير ، إذا حكمت بأن هذا الشيء

(١) جاءها عذابنا ليلاً أو في وقت القيولة .

يجب أن يُفعل . كان حكمهما عن علم واسع محيط لا تخفى عليه خافية ، وقد علم الله أن هذه القرية ستعصاه حين يأمرها بما يحبه ، فأراد إبراز مكنون علمه الخفى المغيّب عن الناس . ولماذا اختص بالأمر متريفيها ؟ وكان ينبغي أن يوجّه الأمر إلى كل فرد فيها ؟ .

إن الأمر فعلاً مُوجّه إلى كل فرد ، فما دام الأمر قد وُجّه إلى أكابرها ، فهو بالأولى موجّه إلى الآخرين ، ولكن خُص المتفرون بالذكر لأنهم الذين يُظنّ فيهم معارضة أمر الله ومحاولة منع الباقين من الإيمان به ، والانصياع له فاختصاصهم بالذكر دليل على قوة الأمر وشموله وسؤال ثالث :

لماذا توجهت إرادة الله إلى التدمير ، والتدمير شرٌّ ، فهل تتوجه إرادة الله سبحانه إلى فعل الشر ؟ .

ليس الشر هنا شرّاً تَحْضاً ، وإنما هو شرٌّ نِسْبِيٌّ ، أى هو شر من ناحية ، وخير من ناحية ، هو شر بالنسبة إلى من وقع عليهم ، وهو خير لأنه إنقاذ للإنسانية من جماعة فاسدة مفسدة . القتلُ مثلاً شرٌّ بالنسبة إلى القتلى ، ولكنه خير كل الخير بالنسبة إلى الجماعة المؤمنة المسألة التي طالبت بقتل هؤلاء لتبقى على حياتها هي . وهكذا تجد الشرور كلها في الحياة ، ليست أموراً وجودية ، وإنما هي في حقيقة الأمر سلبية ، أو عدمية ، أى عدم الخير وسلبه .

ونحن هنا نذكرك ببعض آيات الله التي ذكرت إرادة الله وبعض صفاتها . إرادة الله قهارة غالبة (١٥ : ١٧ قل : فمن يملك من الله شيئاً ، إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) . لا ينسب الشر إلى إرادة الله (٧٢ : ١٠ وأنا لا ندرى أشرُّ أريدَ بمن في الأرض ، أم أراد بهم ربُّهم رشداً) . فعل الله سبحانه بإرادته هو وحده (٢ : ٢٥٣ ولو شاء الله ماقتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد) .

الله سبحانه لا يريد الظلم أبداً (٤٠ : ٣١ وما الله يريد ظلماً للعباد) كل هذا يجعلك توقن أن الله سبحانه لم يرد ظلماً أبداً في إهلاك هذه القرية .

ونلخص هنا ما ذكر الإمام العظيم ابن تيمية عن الإرادة الإلهية قال : « وينبغي أن يُعرَف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين : الإرادة الكونية ، وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد ، وهي في مثل قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعدُ في السماء) .

وأما النوع الثاني : فهي الإرادة الدينية الشرعية ، وهي محبة المراد ورضاه ، ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاؤهم بالحسنى ، كما قال تعالى (والله يريد أن يتوب عليكم) فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد ^(١) .

ولانحب هنا أبدأ أن نُفَلِّسَ الإرادة ، ولا أن نحشد أساطير الفلاسفة والمتكلمين ، فكتاب الله لم ينزل إلا بلغة العرب ، وليس من لغة العرب مصطلحات المتكلمين والفلاسفة ، ولا تلك المفهومات التي هي أمشاج من إرادة فاسدة دان بها فلاسفة اليونان وأضرابهم ، ونقلها المتكلمون وشيوخهم من المتفلسفة ، وفسروا بها إرادة الله .

وسؤال آخر : ما المأمور به في هذه الآية ، أهو الفسق ، كما زعمت طائفة ؟ أم هو شيء آخر غير مذكور بلفظه ولكنه يُفهم من سياق الكلام ؟ .

يقول ربنا سبحانه (٧ : ٢٨ وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، قل : إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟) (١٦ : ٩٠ إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (٢ : ٢٦٨ الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء) .

من هذا الهدى الإلهي ، تؤمن بأن الله سبحانه لا يأمر أبداً بفاحشة وبأن الشيطان هو الذي يأمر بها ، والفسق المذكور في الآية (أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها) إنما هو الكفر الملقب ، وَيَكْفُرُ من يزعم أن الله يأمر به (٣ : ٨٠ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ؟ !) وهذا ما يجعلنا تؤمن بأن الأمر ^(٢) في الآية لا يتعلق بالفسق ، وإنما يتعلق بما هو ضده ، أي

(١) ص ٧٠ الجزء الثاني من مجموعة الرسائل الكبرى .

(٢) أما إذا كان أمرنا يدل على الكثرة ، فيكون معنى الآية : كثرنا قادة الشرف فيها ، فغلبوا على أمر الباقين .

عدم الفسق ، فيكون معنى الآية : أمرنا مترفيها بالإيمان الحق ، وبما يتطلبه هذا الإيمان ،
 نخرجوا عامدين عما اعتقدت قلوبهم صحته ، واقتروا نقيضه ، فحق عليهم القول ، أى
 فأصبحت حالهم مطابقة تمام المطابقة لحال مَنْ أَعَدَّ اللهُ لَهُمُ التدمير ، والقولُ هنا إما قولُ
 الشيطان المذكور في الآية الشريفة (٤ : ١١٨) لعنه ^(١) الله ، وقال لأتخذن من عبادك
 نصيباً مفروضاً) فيكون المعنى . فطابق حالهم حال من قال عنهم إبليسُ إنهم نصيبُ
 المفروض من عباد الله ، فاستحقوا عقوبة هؤلاء لأنهم منهم . وإما قول الله المذكور في
 مثل قوله سبحانه (٦ : ٣٠) قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (٧ : ٧١) قال :
 قد وقع عليكم من ربكم رجسٌ وغضب) ، (٧ : ١٥٦) قال : عذابى أُصِيبَ به من أشاء
 ورحمتى وسعت كلَّ شيء) (١٧ : ٦٣) قال : اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم
 جزاء موفوراً) .

نضرع إلى الله سبحانه أن يجعلنا مِمَّنْ يخشونه ، ويتقونه وينيبون إليه ، إنه سبحانه

عبد الرحمن الوكيل

مجيب الدعاء .

(١) الضمير لإبليس .

الشركة الاقتصادية العامة

(هزل و الشافعى)

لتجارة الشاى والبن والبقالة وغيرها

بالجملة - والقطاعى

شارع الترجمان المتفرع من شارع القلعة (محمد على سابقاً) عمر الشامى

تليفون ٤٥٧٢٢

فلتهدم هذه القباب

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

أجل ، فلتهدم هذه القباب حتى تسوى بالأرض وتدرس آثارها ، فإنها أصل الداء ، وجرثومة البلاء .

فلتهدم هذه القباب ، ولينزع ما قامت عليه من المقاصير الحاققة من حول القبور ، إن كانت هنالك قبور .

فأما إن كانت هذه المقاصير من الحديد أو النحاس ، فلتسلم إلى مصانع الدولة الحربية تفعل بها ما تشاء من الأسلحة التي يزود بها الجيش عن حدود الدولة ، ويحمي جماها .
وأما إن كانت من الخشب ، فلتبّع لمن هو في حاجة إليها ، وليُضَفْ ثمنها إلى حصيد معونة الشتاء ليكون منها عون على إصابة بعض الأهداف .

أما الثياب والعائم : فلتؤت الفقراء والمعوزين يسترون بها عوراتهم ، ويدفعون غوائل البرد عن أجسامهم الضاوية ، ويحلبون الدفء لأبدانهم التي أنحلها المرض والجوع ، لأن الأخشاب التي تلبس في هذه الثياب لاتحس البرد ولا تحتاج إلى دفء .

أما الأوثان - أو التوايت الخشبية - فليصنع بها ما اقترحت أن يصنع بالمقاصير الخشبية من بيعها لمن يحتاج إليها ، وإيتاء ثمنها لجنة معونة الشتاء .

فإذا تم كل هذا ، كنا على رجاء من صلاح عقائد العوام من الأمة الإسلامية .

فلتهدم هذه القباب لكي يقوى الأمل في الإصلاح ويعظم الرجاء ، فإن ضَعُفَ أملنا في صلاح هذا الجيل الذي تحجرت عقائده على هذا الفساد ، رجونا أن يصلح الجيل الناشئ الذي سيخاف من بعد هذا الجيل ، ولا ترى أعينهم هذه القباب .

لقد وقر في أنفس الناس أن كل قبة ارتفعت هامتها في الفضاء ، تحتها ولى نفسه طاهر وسره حاضر ، يقضى الحاجات ، ويدفع الملأت ، ويجلب الخيرات ، ويشفع عند الله لما له عنده من رفيع المكانة وعظيم الجاه .

كان لدورة المياه في سجن بعض البلاد في الصعيد خزان يقع في فضاء واسع خارج السجن ، وكان سقف هذا الخزان قبة كبيرة ، فكان كل القرويين الواقدين على هذا البلد إذا مروا بهذه القبة وقفوا حيالها خاشعين خاضعين ، وقرأوا الفاتحة لصاحب هذا المقام !! وكان للضابط القضائي في محطة السكة الحديدية بهذا مكتب يتألف من حجرتين بنيتا أيام الحرب العالمية الأولى ، ولتعذر استيراد الخشب والحديد إذ ذاك ، أقيمت فوقهما قبتان عاليتان بدل السقف الخشبي أو المسلح . فكان المسافرون الذين يرون هاتين القبتين من نوافذ مركبات القطار يقرأون الفاتحة لساكني هذين الضريحين ويسألونهما قضاء ما يريدون من الحاجات .

وإن أنس ، لا أنس قروية جاءت ذات صباح في حفل حافل من أهلها وأولى قرابتها وجيرانها ، تريد أن توفى بنذر نذرته لصاحبي هذين الضريحين ، وكانت المصادفات قد عملت عملها ، والأقدار أصدرت حكمها بتحقيق أمل كان يداعب خيالها . وأناخوا جماهم بجوار سياج السكة الحديدية ، وذبحوا ذبيحتهم وهياؤا طعامهم وأكلوا وشربوا ، ثم أرادوا أن يوصلوا الجلد والذراع لسادن هذين الضريحين بعد أن ينعموا بزيارة ضريحهما الطاهرين فاحتال عليهما بعض الخبثاء وسلب منهم حظ الوليين وأخبرهم أن هذين الضريحين لا يفتحان إلا مرة واحدة في السنة هي ليلة النصف من شهر شعبان . ومضى القوم يومهم بجوار الضريحين يرجون بركتهما ويستمتعون بالقرب من جديتهما الطاهرين المباركين !!

ولما شدوا الرحال قافلين إلى قريتهم وتأهبوا للمسير قابلهم بعض معارفهم من أهل البلد واستبأهم : لم قدموا ؟ فلما أخبروه ضحك ملء شذقيه ، وأوضح لهم الحقيقة ، فعرفوا أنهم وقعوا في قبضة محتال ، وسخروا من أنفسهم وأيقنوا انه لا ولى هناك ولا ضريح ، وأن الله وحده هو الذى قضى حاجة صاحبة الحاجة ، وهو الذى أتاها سؤلها ، وبلغها منها .

أكتب هذا من أجل الضجة التي ترددت أصداؤها بسبب الشروع في هدم قبّة الشيخة سعادة التي تبين كما روت جريدة الأخبار عن بعض كبار علماء الآثار - أنها ليست للشيخة سعادة ولكنها للقائد الفاطمي الذي قيل : إنه دفن منذ أكثر من ألف سنة في هذه البقعة .

قائد من قواد الجيش الفاطمي كان قد غزا مصر وهي دولة إسلامية تعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لكي ينشر فيها المذهب الشيعي المنحرف المتطرف الذي أحدث معتنقوه جميع البدع المنتشرة إلى الآن في مصر والتي استعصت على إصلاح المصلحين وإرشاد المرشدين .

تقام العمد ، وفكت الأوبئة والطواعين بسكان هذا الحى الذى ثوى فيه رفات ذلكم القائد . ولحظ السكان الطارئون التأيث في اسم من يثوى في هذا الضريح فاعتبروه أثى سموها الشيخة سعادة .

وغضب أهل الحى لأن القبّة ستهدم ، وسيبطل الهدم عملها ، كأن القبّة هى التى تنهض بالكرامات . فإذا زالت القبّة ذهبت الكرامة ، وبطل السر .

وكم من قبة أقيمت في أرض فضاء ولا تنطوى جنباتها على رفات ، وليس فيها قبر ولا مقبور ، ولكن خيئاً ضاقت في وجهه أبواب الرزق الحلال ، ووثق من غفلة الناس وجهل الدهماء ، فأراد أن يرتزق من طريق الحيلة . فأذاع في الناس أن الوليّ فلاناً جاءه في النوم وأمره أن يبنى له في مكان كذا ضريحاً ، وأن يقيم قبة شاهقة فوق هذا الضريح ، وسرعان ما تنطلى الحيلة على السذج والغافلين فيسارعون إلى عونه . وما أسرع ما تقام القبّة ! وتساق إليها الهدايا ويمرّ سيل النذور !! ألا فلتهدم هذه القباب !

صلاة العيد

ستقوم جماعة أنصار السنة المحمدية (المركز العام) بالقاهرة صلاة العيد المبارك كعادتها كل عام بميدان الجمهورية (عابدين سابقاً) . وتقدم تهنئتها للأمة الإسلامية في جميع أقطار الأرض سائلة الله تعالى أن يجعله عيد خير ويمن وبركات على المسلمين أجمعين .

سنن العيـدين

بقلم الأستاذ سليمان رشاد عمر

أخذ الناس منذ أن عرفوا الحياة الجماعية أياماً يخلعون فيها لباس الجد والكفاح ،
ويلبسون فيها لباس المرح والفرح والسرور ، ويسمون بها أعياداً ومواسم . وكانت لهم فيها
تقاليد وعادات اتخذت طابعاً خاصاً عند كل أمة حسب دينها وبيئتها ، فكان للاغريق
والرومان وقدماء المصريين والفرس والهنود والصينيين والعرب وجميع الشعوب أعياد .
وكانت لهم في أعيادهم طقوس ومراسيم ، وكانوا يبيحون لأنفسهم فيها من الأفعال والألعاب
ما لا يبيحون لها في غيرها من الأيام . وكثير من تلك الأعياد والمواسم كانت تقام لأصنامهم
وأوثانهم ، وكانت أشبه بالموالد التي تقام عند أضرحة الموتى في أيامنا .

وكان للعرب في جاهليتهم أعياد ومواسم ، فجاء الإسلام فأبطلها وحرّمها كلها ، وأبدلهم
خيراً منها : عيد الفطر والأضحى . أما الفطر فإنه عيد يفرح فيه المسلم لأنه نجح في امتحان
الصوم ، وخرج منه وقد انتصر على النفس والشهوات والشیطان ، ويقول رسول الله
صلی الله علیه وسلم « للصائم فرحتان ، فرحة يوم فطره ، وفرحة يوم لقاء ربه » وأما الأضحى
فإنه عيد يشارك فيه المسلم إخوانه الذين يفرحون بإتمام مناسك الحج ، والتمتع بضيافة الله
عند بيته المكرم ، والنقاء من الذنوب والآثام .

وللعیدین سنن من أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأوامره ، فكان
عليه الصلاة والسلام يلبس للخروج إليهما أجمل ثيابه ، وكانت له حلة يلبسها للعيدین
والجمعة . وكان صلى الله عليه وسلم يأكل قبل خروجه في عيد الفطر تمرات . وفي الأضحى
لا يطعم حتى يرجع من المصلی ، فيأكل من أضحيته . وكان يغتسل للعيدین ، ويخرج إلى
المصلی ماشياً ، وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ، ويعجل صلاة عيد الأضحى . وكان عليه
الصلاة والسلام يصليهما في الخلاء ، ولم يصل العيد بمسجده إلا مرة واحدة أصابهم فيها
مطر . وكان يذهب إلى المصلی من طريق ، ويعود من طريق آخر ، وكان يكبر من بيته
إلى المصلی ، وكان تكبيره « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . الله أكبر ،

الله أكبر، والله الحمد » ولم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم شيء من هذه الزيادات والتكبيرات التي ابتدعتها الناس .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى المصلى أخذ في صلاة العيد من غير أذان ولا إقامة . ولم يرو عنه أنه صلى شيئاً قبل صلاة العيد ولا بعدها وكان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة . وكان يكبر في الركعة الأولى سبع تكبيرات متوالية بتكبيرة الافتتاح وفي الثانية خمس تكبيرات قبل القراءة . وكان يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة ، وكان يرفع يديه مع كل تكبيرة . وكان يقرأ بعد الفاتحة (ق والقرآن المجيد) في إحدى الركعتين . وفي الأخرى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وتارة أخرى كان يقرأ فيهما (سبح اسم ربك الأعلى) و (هل أتاك حديث الغاشية) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكمل الصلاة وانصرف منها ، قام مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم يخطبهم ، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم وينهاهم ، ويحثهم على الصدق ومواساة الفقراء والأيتام . ثم يشق صفوف الرجال حتى يأتي النساء وهن خلف صفوف الرجال فيعظهن ويأمرهن ، فكن أكثر من يتصدق ، حتى أنهن كن يتصدقن بحلین .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين في عيد الفطر أن يخرجوا زكاة فطرهم قبل الصلاة ، وقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال « أمر النبي صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى المصلى » كما روى أصحاب السنن أنه قال « من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » وكان في عيد الأضحى يأمر بذبح الأضاحى بعد الصلاة وقد روى في الصحيحين أنه قال « من ذبح قبل أن يصلى ، فليذبح أخرى مكانها ، ومن لم يذبح فليذبح بسم الله » وقال لمن ذكر له أنه ذبح شاة قبل الصلاة « شاتك شاة لحم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين أن يخرجوا زكاة الفطر عن أنفسهم وعن كل من يعولونهم : من صغير وكبير ، ذكر وأنتى ، حر وعبد . وحدد قيمة ما يخرج عن

الفرد بصاع من تمر أو شعير أو أقط أو زبيب أو دقيق أو نصف صاع من القمح . والصاع يقوم بقدره وثلث قدح بمكيالنا . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعطائها للمساكين . ولم يجعلها في مصارف زكاة المال ، حتى يوسع على الفقراء في هذا اليوم ، فيعم الفرح جميع المسلمين في يوم عيدهم . ولا بأس من إخراجها نقداً ، فقد أصبح النقد وسيطاً في جميع المعاملات ، وبه يستطيع الفقير أن يسد حاجته من الغذاء أو الكساء ، وقد كان تبادل السلع هو الأكثر في المعاملات في أيام السلف .

وبمضى الأعوام والأيام ، نسي المسلمون هدى نبيهم ، وسنن رسولهم عليه الصلاة والسلام ، وأصبحت لهم تقاليد وعادات قبيحة في العيدين . فتراهم يخرجون في العيدين إلى المدافن رجالاً ونساء ، وقد حملوا معهم الفُرش وأدوات الطهي ، ويقيمون عندها الليالي والأيام ، ويأتون عندها من المنكرات ما يندى لها جبين الفضيلة ، ويحدثون فيها ضجيجاً وعجيجاً ، وتسمع منهم عند المقابر الضحكات العالية ، والألوان البغيضة من السخرية والاستهزاء والإيذاء للموتى . وغفلوا عن لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لزائرات القبور ، وأنه أباح للرجال فقط زيارتها للاعتبار والاتعاظ وتذكر الآخرة ، وأنه نهى أشد النهى عن الجلوس على المقابر . إنهم يزعمون كذباً أنهم يزورون موتاهم في العيدين للترحم عليهم وإيناسهم وإحياء ذكراهم ، لو أنهم كانوا صادقين فيما يزعمون لكان حالهم مع ذوى أرحامهم وقرباهم وجيرانهم من الأحياء غير ما ترى . وتعلم من العداء والتدابير والتقاطع ، ولكنهم يخرجون إلى المقابر لحاجات خبيثة في نفوسهم . وعادة أخرى أقبح من تلك ، وهي حرصهم الشديد في عيد الفطر على عمل الكعك : الأغنياء منهم والفقراء . وكم لكعك العيد من المآسى والفواجع من بيع الحلى والأمتعة : أو رهنها ، ومن خراب البيوت والديون التي تنقل الكواهل ، ثم بعد ذلك الأمراض . والأوجاع التي تصيبهم من الإفراط في تناولها .

من لى بمن يعود بالمسلمين إلى هدى نبيهم وسنة رسولهم عليه الصلاة والسلام حتى يكون العيد سبباً من أسباب سعادتهم ، وجمع شملهم ، وإصلاح ذات بينهم ، وتوثيق الروابط الأخوية بينهم . وسبباً من أسباب قوتهم وعزتهم .

الله المستول وحده أن يحقق لنا ذلك

فاقد الشيء لا يعطيه

هذه قاعدة قديمة ، ألفاظها قليلة ، ومعانيها كثيرة وجميلة ، إن البائس المسكين إذا طلبنا منه التصدق والإحسان إلى الفقير كان هذا الطلب عبثاً لأنه فاقد للمال ، وإذا طلبنا من مريض طريح الفراش أن يزاول عملاً يحتاج إلى قوة جسم ، كان طلبنا غير ممكن التنفيذ لأنه فاقد القوة ، وهكذا كل من فقد صفة من الصفات لا ينبغي تكليفه القيام بها ، ولا يصح له ادعاؤها لنفسه ، ولا يحاول الزعم بمد غيره بها لأنه فاقد لها ، فكل داع إلى فضيلة من الفضائل يجب عليه أن يكون قدوة صالحة ، وبخاصة فيما نصب نفسه في الدعوة إليه ، وبذلك يكون له أثر محمود ، وتنفذ دعوته إلى قلوب السامعين له ، لأنه في تلك الحال يكون مؤمناً بما يقول ، فيكون كلامه نابعاً من قلبه ، فيجد التربة الخصبة الصالحة فينبت غرسه الطيب ، ويؤتى أكله بإذن ربه .

وإن من أهم الأمور التي يجب أن يكون فيها الإنسان قدوة صالحة ، ونبراساً يحتذى به ، مهنة التعليم ، تلك المهنة التي تقوم على تربية الروح وصقل النفوس ، وطبعها على الخير ، والبعد بها عن كل شر ورذيلة ، فواجب على المعلم في جميع مراحل التعليم أن يكون مثلاً طيباً لطلابه ، فيربيهم على الخلق القويم ، والصراط المستقيم ، ويكون مورداً عذباً لهم ، ومنهلاً سائغاً يرتشفون منه كل الفضائل ، فتطهر نفوسهم ، وتسمو أرواحهم إلى مغارج الكمال لأن رسالة المعلم قبل كل شيء رسالة روحية ، فالمعلم ذو الخلق الكريم يظهر أثره الطيب في نفوس طلابه ، والعكس بالعكس ، ورسالة المعلم ليس المراد منها تلقين الطلاب جملاً وعبارات يجتازون بها مراحل الاختبار من فرقة إلى فرقة فحسب ، وإنما رسالته تنشئة جيل متين في خلقه ، مستمسك بأهداب الفضيلة ، مبتعد عن دواعي الفحش والرذيلة ، حتى يرقى الوطن ويسعد بأبنائه ، وتكون الأمة كلها فاضلة إذا المعلمون أدوا رسالتهم على أكمل وجه وأحسنه .

أما إذا انحرف المعلم عن الجادة ، ولم يفهم رسالته ، فعليه وعلى طلابه العفاء ، بل يكون في تلك الحالة معول هدم في صرح الأمة ، وجراثومة فساد تنخر في عظامها .

ونحن الآن في شهر رمضان ، هذا الشهر الذي كرمه الله وفضله ، فأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، شهر جعل الله فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، شهر الرياضة الروحية للنفوس المؤمنة المطمئنة ، شهر الرجولة والبرورة ، والكرم ، والإحسان ، شهر في كل عام يختبر الإنسان فيه رجولته ، ليعرف مدى تغلبه على شهواته ، وكبح جماح نفسه الأمارة بالسوء .

ولكن من المؤسف الحزن ، أن تقع العين في هذا الشهر في كل ساعة من ساعات النهار على مناظر مؤذية ، على رجولة منهارة ، وكرامة مهذرة ، بل على آدميين هم كالأنعام بل هم أضل ، لا يراعون لهذا الشهر حرمة ولا كرامة ، ليس لديهم وازع من خلق أو دين أو فضيلة ، في المنازل والطرق ، في القطر والسيارات ، يأكلون ويشربون ، وهم عن أمر ربهم في غفلة ساهون ، وإن مما يحز في النفس ألماً ، ويندى له جبين الإنسانية والفضيلة خجلاً ، أن يرى الإنسان هذه المناظر المؤذية بين جدران معاهد العلم في جميع مراحل التعليم على اختلافها . يرى الإنسان بعض هؤلاء المربين ، رسل الفضيلة ، رسل الأخلاق ، رسل سمو النبل والكرامة ، هذا البعض الذي انسلخ من آدميته بدعوى التقدم والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ، وأن التمسك بالدين تزمّت ورجعية ، أو بدعوى أنهم علماء باحثون ذوو آراء حرة ، ليس للدين عليهم سلطان ، يراهم الإنسان يتهكون حرمة هذا الشهر جباراً واستهتاراً لا يراعون عهداً ، ولا ذمة ، لا يخشون الله ولا يستحون من أبنائهم الطلاب . هؤلاء حملة مشاعل الهداية والنور . كيف يستطيعون أداء رسالتهم ؟ ، كيف يكون لهم أثر كريم في نفوس طلابهم ؟ كيف يحترمون بعد أن أهذروا هم كرامة أنفسهم بما جنوا من قبيح أفعالهم ؟ والمعلم إذا فقد الفضيلة ونجس منها فكيف يدعو إليها ؟ ألا فيعلم هؤلاء الضالون المضلون أنهم في الدرك الأسفل في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا تسقط كرامتهم ، وتنحط منزلتهم عند كل من يراهم أو يسمع بهم ، وفي الآخرة مأواهم جهنم وساءت مصيراً . فيأبى المعلم المستخف بأمر ربك إن كنت تتسبى بأسماء المسلمين ، وكنت منتسباً إلى حظيرة أهل هذا الدين ، فاعلم أن دين الإسلام دين الخلق السامى والذوق الرفيع ، إنه

دين يدعو معتنقه إلى المحافظة على شعور الآخرين ، دين يقول نبيه صلى الله عليه وسلم للمسلمين « لا تؤذ جارك بقطار قدرك » محافظة على شعور الجار ، ويقول صلى الله عليه وسلم « يانسئ المسلمات : لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » إلى غير ذلك مما ورد في السنة المطهرة من الحث على مراعاة الشعور ، دين هذه بعض مبادئه ، وأنت منتسب إليه باسمك حبذا لو جاهدت نفسك وقهرت شيطانك ، وتغلبت على هواك وراعت شعور زملائك في العمل ، وأخذت في أسباب التوبة ، والإنابة إلى باريء السمات ، ومنزل الرحمت ، فيتوب عليك مولاك ، ويبدل سيئاتك حسنات ، ويفتح لك أبواب رحمته ، ويدخلك فسيح جنته ، هداانا الله جميعاً إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

محمد خليل السبكى

المدرس بوزارة التربية والتعليم باسكندرية

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمحللات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والحبال والدوابارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحمزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

الإيمان بالله

بقلم السيدة مريم المرمومة الدكتور محمد رضا

الإيمان بالله : إذعان القلب له ، ورضاه بمشيئته ، وخضوعه لشريعته : ثمرة معرفة له ، وعلم بصفاته ، وتفكر في سننه وآياته .

فهو نور الحق يتجلى فيجلو عن البصيرة ظلمات الشك والحيرة . وهو يقين يفيض على القلب قوة وثباتاً وثقة واطمئناناً . (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

والإيمان الصحيح لا يلج إلى القلب إلا عن طريق العلم والتفكير ، إذ لا يقين إلا بعد اقتناع . والاقتناع وليد البحث والتفكير ، لأنه من الحال أن يقتنع عاقل إلا بما تأكد من صدقه لما رأى من براهين فأيقن بأنه الحق . ولذا قال تعالى عن الإيمان بكتابه الكريم (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) وقال (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) أى كلما كان المرء أرسخ علماً وأوسع إطلاعاً كان أكثر فهماً لآيات الله فكان أقوى وأصدق إيماناً به وبكتابه . فكل يؤمن على قدر علمه وفهمه ويقوى إيمانه بالعلم والتفكير والعبادة ، كما أنه يضعف بالجهل واللهو والغفلة ، ولذا قال تعالى عن المؤمنين (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) لأنها زادتهم علماً وفهماً ، فزادتهم إيماناً وخشوعاً . وكما زاد المؤمن علماً بأسرار الكون وإحكام صنع الله ، فزاد فهماً لآياته ومعرفة لصفاته وقدر ما أعد من عقاب وعذاب في الجحيم : ارتاع قلبه هلعاً وخشية لهول ما علم . فلا يخشى الله تعالى كعالم فاهم لآياته عارف لصفاته ، يؤمن به ويقدره حق قدره ، فيوقن بصدق وعده ووعيده ، كما أخبر تعالى بقوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

خشية الله سبحانه آية الإيمان به إذ لا بد لمن عرف ربه وأيقن بشديد بطشه وألم عقابه أن يخشاه . بل لا بد له أن يحل قلبه رهبة وإجلالاً لذكر الله ، كما أكد تعالى في

قوله (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وفي قوله (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) .

ومن أعظم آيات الإيمان غير خشية الله إجلال الله وجهه ، إذ من المحال أن يعرف القلب جميل صفات ربه ويقدر جزيل نعمته وعظيم رحمته ثم لا يحبه ويحله . كما أنه من المحال أن يوقن بشديد بطشه وأليم عقابه ثم لا يخشاه .

فلا يشرف الإيمان قلب عبد إلا ويكون حب الله فيه فوق كل حب ، ورضا الله فوق كل أمل ، وطاعة الله فوق كل هوى . فلا يتردد في سبيل طاعته أن يحارب هواه ويعرض عن شهوته . بل هو لا يرضن بأن يضحي بما يحب وبمن يحب في سبيل رضاه . فلا يعدل به أحداً بل يتلاشى في حبه حب سواه .

(ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) .

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يمتحنه الله بأن يجاهد الوثنيين بنفسه وبكل ما يملك ، فيبلغ حبه وإجلاله لربه أن يعرض نفسه للتحريق بالنار ويرضى بذلك مسروراً فيجزيه الله بفضله أن يقول : (يا نار كوني برلاً وسلاماً على إبراهيم) ثم يمتحن طاعته بذبح ولده ووحيدده إسماعيل ، فغلب حبه لربه حبه لولده ، وذهب إلى ابنه ودعاه إلى طاعة الله ، فأجابته الولد البار المطيع لربه وأبيه : (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فشكر الله للوالد والولد وفدى الولد بذبح عظيم وجزى الوالد ياسحاق نبياً من الصالحين . وجزى الولد كذلك فجعله رسولاً نبياً عند ربه مرضياً .

وهكذا الشأن في كل مراحل حياة المؤمن ، جهاد وصبر ، وتأيد من الله ونصر .

أما من ضعف إيمانه فإنه يضعف أمام شهوات نفسه ويفر من ميدان الطاعة فيكون جزاؤه الخذلان في كل شئون الدنيا والآخرة .

وقد أكد تعالى أن المؤمن لا يرضن بماله ونفسه في سبيل الله بلا تردد لأنه لا يرتاب

في صدق وعده فلا يخاف ظلماً ولا هضمًا فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) .

وقال (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) أولئك هم المؤمنون حقاً يعني : أن المؤمن الصادق في إيمانه لا بد أن تجتمع فيه كل هذه الصفات . ومن لم تجتمع فيه فليس بمؤمن لأن (إنما) في كلام العرب تحيى لتثبيت شيء ونقي ماخالفه . فهو توهم ولم يؤمن . وتخيل ولم يستيقن .

فليس الإيمان مجرد دعوى باللسان إذ لا قيمة لقول لم يصدقه العمل . وليس بمؤمن من زعم لسانه الإيمان بالله ثم تولى وكذب زعمه بإعراضه عن رسالته وعصيانه لأوامره وشريعته كما أخبر تعالى في قوله : (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك . وما أولئك بالمؤمنين) نعم . وصدق الله ما أولئك بالمؤمنين إذ لا إيمان بلا إذهان . ولا اقتناع بلا اتباع .

وكل من يدعى الإيمان بلا طاعة ولا عمل إنما هو واهم مغرور غرور الأعراب إذ قالوا : آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم ، فقال لهم الله سبحانه مكذباً لقولهم (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) نهامهم عن هذا الادعاء الكاذب لأن الإيمان عمل لا قولي . فلا بد أن يدفع الإيمان بصاحبه إلى التقوى وهي أشد الحرص على الطاعة والإحسان . فاسمع لوصف الله تعالى للمؤمنين في قوله (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

وفي قوله : (إن المتقين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) .

وفي قوله (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) .

ولا بد أن يدفع الإيمان صاحبه إلى الجهاد في سبيل الله وعمل الصالحات ، ولذلك لم يقل الله تعالى : (الذين آمنوا) إلا أتبعها بقوله (وعملوا الصالحات) دلالة على أن الإيمان بالله من الحال أن يكون بلا ثمرات طيبة من عمل صالح وجهاد في سبيله . فلم يؤمن بالله إلا من اتقاه ما استطاع كما أمر ، وتركى فطهر نفسه من كل عيب ونقص ، وسعى وسارع لعمل الصالحات فكان جزاؤه النعيم كما قال تعالى : (ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تركى) .

والإيمان أساس صحة الأعمال وصلاحها وشرط قبول الله تعالى لها . فلا أجر لمن عمل صالحاً إلا وهو مؤمن . كما أنه لا صحة ولا ثمرة لإيمان مؤمن إلا وهو محسن . قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا . ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه إلى الله وهو محسن) .

وقد توعد الله سبحانه الذين يعملون على غير إيمان بالله وتصديق بوعدته بأن عملهم مردود عليهم وحابط في قوله (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) .

وذلك لأن الإيمان أعظم نعمة أنعم بها تعالى على عباده ، بل هو أصل النعم لأنه الشمس الكاشف نورها لكل نعمة ، الباعث شعاعها الحياة في القلوب لتعرف ربها ونعمه فتقدرها وتشكرها .

فمن يكفر بنعمة الإيمان . أى يعرض عن النور الذى بعثه الله هدى ورحمة به فقد حبط عمله مهما كان كثيراً وعظيماً لأن الله تعالى لا يقيم وزناً لما عمل لغيره ، ولا يتقبل عملاً لغيره ، ولا يتقبل عملاً إلا ممن عرفه فعمل له خوفاً وطمعاً .

وأخبر تعالى في القرآن الكريم بأن قلب المؤمن يشعر عند ذكره شعورين متناقضين في وقت واحد : شعور الاطمئنان ، وشعور الخوف معاً ، فهو تعالى يقول (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) كما يقول (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وذلك لأن القلب المؤمن الذي يثق ويوقن بصدق وعد الله للتائبين بالمغفرة وللمتقين الصابرين ، بحسن الجزاء لا بد أن يشعر قلبه بالاطمئنان ، ولكنه بالرغم من اطمئنانه يشعر بالوجل رهبة وخوفاً من غضب الله وعقابه لأنه يوقن كذلك بصدق وعيده للمذنبين بعذاب النار . بل إنه يفزع إليه ضارعاً : ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فبقنا عذاب النار .

فهو يحترم أمر ربه ويخشى عاقبة غضبه . فلا يستخف بذنبه . بل يكبره ويستنكره مهما كان صغيراً كما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله « المؤمن يرى ذنبه كالجيل فوقه يخاف أن يقع عليه . والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فأطاره » .

من يتدبر آي كتاب الله الكريم ، وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، يجد أنها تصف المؤمن بجميل الصفات وجيل الأعمال ، لا بالتصديق وعبادة الله لحسب ، بل وتؤكد أن الإيمان لا بد أن يسمو بصاحبه إلى ذروة الكمال وأن يهديه إلى الصراط المستقيم ، كما أكد ذلك تعالى في قوله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) .

وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك أن الإيمان لا بد أن يغرس في قلب المؤمن الفضائل وكريم الخلق ، فيحب ما يحب الله في قوله « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ومن كان هواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم تنزه من كل ما ينهى عنه الله من فواحش ومنكرات ، وتحلى بكل ما يأمر به الله من فضائل وجميل الصفات . فالمؤمن لحياته من ربه لا يطيق أن يقف أمامه موقف الأئيم الحقير احتفاظاً بكرامته وحرصاً على مكانته ، وطمعاً في أن يبقى جديراً بحبه ، وأهلاً لحسن جزائه لا خوفاً من غضبه وطمعاً في ثوابه لحسب . وكيف لا يستحي من ربه من يحبه ويخشاه . فلا يبالي أن يراد حيث نهاه ، ولا يدفعه حبه له إلى اتقاء غضبه والسعي لرضاه ؟ ؟ .

فلا يصون المؤمن من الزلل كالحياء من ربه . فإذا جمح إلى الشر ردعه ، وإذا لم

يسارع إلى الخير دفعه ، وإذا حاد عن طريق الرشد منعه . فيكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . ولذا قال « الحياء شعبة من الإيمان » .

وكما أن حب المؤمن لربه يدفعه إلى الحياء منه ، يدفعه كذلك إلى ذكره وشكره ، لأن من لوازم الحب أن يذكر الحبيب حبيبته ، وأن يقدر عمله ، ويشكر فضله ، ويحترم قوله ، فهو يذكر ربه في كل شأن من أشؤونه ، وفي كل حرركاته وسكونه ، ويفكر في بديع صنع السموات والأرض فيستنتج من هذا التأمل والتفكير أن الله تعالى لم يخلق كل هذا سدًى بلا سبب ولا هدف ، بل خلقه فتنة ليرى من يستحق بعمله نعيم الجنة أو عذاب جهنم فيهل قلبه ويطلب من الله ضارعاً النجاة من عذاب النار الرهيب . قال تعالى (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فبقنا عذاب النار) .

فإن من يديم التفكير في خلق الله ويظل ذا كراً لوعده ووعيده . فلا ينسى نعيم الجنة فيتمناه . كما لا ينسى عذاب جهنم فيخشاه ويتقيه . لا يجسر على عصيان ربه خوفاً من عقابه يوم الحساب . كما أخبر تعالى في قوله (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) .

نعم قد يخطئ المؤمن ساعة ضعف ، أو ساعة غضب ، ولكنه لا يأتي ما يأتيه مختاراً متعمداً ، بل يكون ساعة اقترافه فاقداً لوعيه ، ذاهلاً عن ربه ، فإذا ما بدرت منه هفوة ، أو ظلم نفسه عند غفوة ، ذكر ربه فأب إليه نادماً مستغفراً . فهو من (الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) .

والمؤمن صادق ، لا يجسر لحياثه أن يكذب أو ينكث عهده ، بل يقدم شرفه وكرامته على حياته ، ويتفانى ما استطاع ليقوم بواجباته ، فهو لا ينكث عهده ولو لقي في ذلك حتمه ، ويضحي بكل عزيز لئلا يوفى بوعده فيحفظ شرفه ، ويربأ بنفسه أن يقف موقف الكاذب الخائن ، ولا يألم لطئنة حسام كما لم يألم لنظرة احتقار ، وهو لا يحيد عن الحق لحب حبيب

حليم ولا لكره عدو أو غريم ، ولا شفقة على فقير أو يتيم ، ولا تزلفاً لغنى أو عظيم ، بل يؤثر الصدق حيث يضره على الكذب حيث ينفعه ، فاسمع لقوله تعالى في وصف المؤمنين : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك في جنات مكرمون) واسمع لقول رسوله صلى الله عليه وسلم في وصف المؤمنين « ثلاث من كنَّ فيه فقد استكمل الإيمان ، من إذا رضى لم يدخله رضاءه في باطل ، وإذا غضب لم يخرج به غضبه من حق ، وإذا قدر عفا » .

والمؤمن عظيم الصبر والحلم لأنه عظيم الثقة بالله مطمئن القلب بوعده ، فما الصبر إلا رضا النفس المطمئنة لإيمانها برحمة الله وعدله ، ولذلك أشار تعالى إلى المؤمنين بقوله (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (يأتيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى في عبادى . وادخلى جنتى) فهو لأنه يوقن بحسن الجزاء على صبره وحلمه ، يحتمل ما يؤلمه وما يفضبه ، راضياً خاضعاً ، ولأنه يوقن بسوء العقاب على ذنبه ينهى نفسه عن الهوى ، صابراً طائعاً ، ولأنه يثق برحمة الله وعدله يرضى بما قسم له شاكراً قانعاً ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم « عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » فهو من الفائزين في سرائه وفي ضرائه ، لأنه يحرص على سعادته في الدارين ، يحرص على رضائه في الحاليتين ، فيصبر إن أصابه شر ويشكر إن أصابه خير ليربح الأجر من الوجهتين ، ولذا سماه تعالى صابراً شكوراً في قوله (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) .

وأشار تعالى في هذه الآية إلى : أن الصبار الشكور ، وهو المؤمن ، يقظ حكيم يتعظ بما يسمع من عظات ويتذكر بما يرى من آيات ، فيصبر ويشكر لأنه عرف عاقبة الصبر على جهاده وألمه ، كما عرف عاقبة الشكر على فضل الله ونعمه .

وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ المؤمن من جحر واحد مرتين » تأكيد أن المؤمن لا بد أن يكون فطناً حريصاً يتقن ما يؤذيه في الدنيا كما يتقن ما يشقيه في الآخرة ،

فلا يقع في ذات الخطأ مرتين ولا يغفل عن مصلحته في الدارين . فهو من الذين (إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) .

والمؤمن كريم سخي ، لا يبخل بما آتاه الله من فضله ، كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب » لأن الإيمان لا بد أن يشمر الثقة بالله ، وكما قوى الإيمان قويت هذه الثقة ، ويلزم من ذلك ولا بد سخاء النفس ومساقتها إلى البر والإحسان وعمل الخير ، وإنه لمن الحال أن يعرف المرء ربه ويؤمن بمضاعفة الربح لما ينفقه في سبيله ، ثم لا ينفق ولا يبالي بعظيم ثوابه ، كما أنه من الحال أن يعرف قدر غضبه وانتقامه من البخل ، ثم يبخل ولا يبالي بشديد عقابه ، فلا يبخل في سبيل الله إلا من لا يصدق بوعده ووعيده ، فلا يخاف أليم عذابه ، إذ كيف يجروء على البخل في سبيل الله من يؤمن بقوله تعالى : (ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) .

فإن من يوقن بوعده الله ووعيده لا يعميه عن واجباته طمع ، ولا يلهيه عن نجاته جشع ، بل يسارع إلى خيره بمسارعة إلى معوته غيره . وذلك لأنه يعرف أن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، وأنه لا يفلح في الدارين إلا من يوق شح نفسه ، فينفق ماله ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من نفسه . ففي إنفاق المؤمن للمال في سبيل الله تثبيت للنفس وتمكين لها في منازل الإيمان لأن المال حبيب إلى النفس لا يهون بذله إلا على مؤمن يقدم على حبه حب الله . فلا جهاد ولا مقاومة من النفس تثبت إيمانها كمقاومتها وقهرها لهذا الحب الغريزي وتغليبها لحب الله عليه ببذلها مما تحب . كما أكد تعالى في قوله : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

فهو ينفق في السراء والضراء ، ويغيث الملهوف زاد دخله أو قل : كجنة بربوة تؤتي أكلاً ، إن أصابها وابل أو أصابها طل . يؤثر على نفسه من أجل نفسه ، لعلمه أن الإيثار في حب الله أعظم أثره ، إذ ما يضحيه في سبيل الله سيضاعف له أضعافاً كثيرة . فهو تاجر ماهر ، يعطي قليلاً لربح كثيراً ، فينفع لينتفع ، ويتعب ليستريح ، ويصبر ليسعد ، ويعفو

ليعنى عنه . ولذلك من المحال أن تسيطر على قلبه أنانية فتدفع به إلى ضرر نفسه بضرر غيره وتمنعه عن نفع نفسه بنفع غيره . إذ كيف لا يسارع إلى الخيرات ولا ينفق في سبيل الله ، وهو سعيد يؤمن بقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) وقوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم) .

فليس من المعقول قطعاً أن يعرف مؤمن السبيل إلى سعادته والسبيل إلى شقوته ثم يعرض عما يسعده ويسعى لما يهلكه مختاراً راضياً . فلا يعرض عن سبيل سعادته إلا من لم يوقن بأنه يفضى به حقاً إلى السعادة ، كما أنه لا يتخذ سبيل الشقاء مستهيناً إلا من ارتاب في أنه يفضى به حقاً إلى شقوته .

فالمؤمن لا يبخل ولا يبذر ، كما أنه لا يسرف ولا يقصر . بل يتحرى في نفقته وفي متعته الاعتدال . كما يسعى في عمله إلى الكمال . فهو من (الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) .

فلا بد أن يدفع الإيمان الصحيح بصاحبه إلى جد الحياة ، فلا يتهالك على زينتها ولا يسرف في متعتها ، لأن من تمتع قلبه بذكر الله وعبادته والتفكير في بديع صنعه وجميل صفاته وبلغ آياته . من المحال أن يقدم على هذه المتعة متعة . بل يستخف بكل هو . ويعرض عن كل لغو . ويضن بوقته وبماله أن يضيع بلا ثمرة طيبة تعود عليه في الدنيا أو في الآخرة . وقد أكد الله تعالى ذلك في وصفه للمؤمنين فقال : (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون) .

وهو لرحمته وجه لأخيه ونفسه : يؤله أشد الألم مهما كان غنياً أن يفقد بتبذيره شيئاً من ماله فلا ينفع به ولا ينتفع بأن يغيث به فقيراً ويربح به ثواباً .

فلا يستخف بتبديد المال سدى إلا أناني كفور يستخف بالأم وفقير غيره ، كما يستخف بنعمة الله عليه فيبذرها تبذيراً قال تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً) .

والمؤمن يصلح غيره كما يصلح نفسه وأهله ويرشده إلى الصراط المستقيم ، لأنه يجب له ما يجب لنفسه فلا يطبق أن يراه هاتماً في ظلمات الضلال ولا يسعى لإنقاذه بماله ونفسه ، ولا يرضى له قلبه الكريم أن يرى أعمى البصيرة على حافة الهاوية ولا يأخذ بيده لينقذه من الهلاك ويدله على السبيل .

فالأنانى الذى لا يبالي إلا بنفسه ، لا يكون مؤمناً كما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وأكد تعالى تبادل الحب والنصح بين المؤمنين في قوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم) .

فأهم صفة للمؤمن ، وأدل سجية على صدق إيمانه : ألا يطبق أن يرى الفسق يفترس الفضيلة ولا يقاتله . وأن يجد الظلم يسطو على الحق ولا ينازله . وأن يرى أخاه في حاجة إلى العوث ولا يحاوله . فلا بد أن يكون المؤمن مناراً ينشر الضوء من حوله ، فيهدى الضال إلى سبيل الرشد بقوله وعمله . ويفيئ الظالم من نفسه ، وينقل الجاهل من جهله . إنه عرف المعروف فأحبه ، واستنكر المنكر فاجتنبه ، وتمنى الخير لأخيه فسمى لإصلاحه وإنقاذه مادياً وأديباً ، وكان من الذين مدحهم الله تعالى بقوله : (يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) .

وكما أن المؤمن لا يطبق أن يرى غيره هاتماً في ظلمات الضلالة ، فهو لا يطبق طبعاً أن يرى أهله وأولاده مقترفين للمعاصي غافلين عن واجباتهم نحو الله تعالى ولا يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحاول إصلاحهم ما استطاع . ولذلك لا تجد مؤمناً صادق الإيمان ، يرضى عن تمرد على الله ولا يبغضه ولو كان أحب الناس إليه . فهو يحب في الله ويبغض في الله لأنه أشد حبا لله ، فيغضب ممن يغضب الله .

وقد جعل الله تعالى : النفور والكراهة في قلب المؤمن للفاسق برهان الإيمان الصحيح . وأكد ذلك في قوله : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم
روح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ،
أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

فالقلب الذى كتب الله تعالى فيه الإيمان وأيده بروح منه : من الحال أن يحب من
أصر على عصيان الله وتعدى حدوده ولو كان أقرب الناس إليه وأكثرهم نفعا له . بل يقتل
شعور الاحتقار فى قلبه شعور الحب مهما كان شديداً ، ولذلك قال تعالى مؤكداً لرسوله
(لا تجد) أى مهما بحثت فمن الحال ، أن تجد مؤمناً يودّ فاسقاً ولو كان ولده لأن ذلك سنة
الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وذلك ما أخبرنا به تعالى وأكده لنا ، ومن أصدق
من الله قبيلاً ؟؟

فإن من يستنكر المنكرات ويعاف قلبه الكريم الفاحشة ويستبشعها . لا بد أن يحترق
ويبغض من يقتربها ، وأن ينفر حياؤه من وقاحتها وجراته . وعلى قدر الاستنكار والاشمئزاز
من المعصية يكون الاحتقار والبغض لمقترفها . وعلى قدر الاستخفاف بها يكون الرضى عن
مقترفها . فلا يستخف بالفسق إلا فاسق ، ولا يرضى عن النفاق إلا منافق . ولذا قال تعالى
(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) فكل يميل إلى نده وينفر من ضده . فشبيه
الشيء منجذب إليه .

وقد بين تعالى : أن المؤمن لا يرأف بالجرم لأنه عدو الله وبغض إليه ، فلا يتردد فى
تنفيذ ما أمر الله به من عقاب مدفوعاً باحتقاره واستنكاره ، كما لا يتردد فى قتل أفعى لينقذ
غيره من شرها . قال تعالى (والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم
بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى إن المرء إن كان يؤمن حقيقة
بالله واليوم الآخر لا تأخذه بهذين الجرمين رأفة ، بل يشعر نحوهما بالقسوة لهول ما يأتیان .
نفهم من ذلك أن الرأفة بالزانى والحب للفاسق آية بعد القلب عن الإيمان لأن الإيمان
لا بد أن يظهر قلب صاحبه من رجس هذه الرأفة ، وهذا الحب القدر كما أخبرنا تعالى فى
كتابه الكريم .

وقد نزه تعالى المؤمن من أكبر الفواحش وباعد بين المؤمنين وبين الزانين والمشركين

ليلة النصف من شعبان

وكتاب مجلة (الإسلام)



منذ عشرين عاماً ونيفاً - في المحرم سنة ١٣٥٨ - كتبت كلمة بمجلتنا (الهدى النبوى) تحت عنوان « نقض مطاعن وافتراءات مجلة الإسلام » أبين فيها جهالة كتاب تلك المجلة، وتأيدهم لما عليه العامة من الخرافات والخزعبلات والأباطيل ، وقلت : إن العدد الواحد من (الإسلام) يحوى المتناقضات ، وضربت لذلك مثلاً بما نشرته من المدح والقدح فى ابن عربى ، ذلك الداعية الباطنى الخبيث ، فقد نشرت مقالا امتدحته فيه ، وجعلته من كبار الأولياء ، ثم نشرت مقالا آخر فى العدد ذاته ، بأنه رأس الكفر ، وعميد الداعين إلى عقيدة وحدة الوجود الكافرة ، وقلت : إن صاحب المجلة وكتّابها ليس لهم مبدء يسرون عليه ، ولا يحسنون فهم العقائد الإسلامية الصحيحة ، ولذا فهم ينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس ، بل إن ذلك واقع فى العدد الواحد من مجلتهم وأنهم جميعاً كخاطب ليل . كان ذلك منذ عشرين عاماً ، وها نحن أولاء نزاهم اليوم على ما كانوا عليه منذ ذلك العهد البعيد ، بل لعلهم ازدادوا بعداً عن فهم الدين الصحيح .

وسيرى القارئ الكريم صحة هذا الذى نقول من النموذج الذى سنقدمه بين يديه ، وقد كنا فى غنى عن التصدى لهذه المجلة وكتّابها ، لتفاهة شأنها ، وشأن ما ينشر فيها ، لولا ما رأيناه من الغمز واللمز من كتّابها لجماعة التمسكين بالكتاب والسنة ، والذابين عن التوحيد والدين الخالص .

وقبل الشروع فى بيان الأخطاء التى وقع فيها كتاب المجلة نريد أن نسأل أولئك الذين ذهبوا إلى أن ليلة النصف من شعبان هى التى تكتب فيها الآجال ، وتقدر فيها الأرزاق ، وتمحى فيها الشقاوة ، وتكتب السعادة إلى آخره :

هل الليلة المباركة التى ذكرها الله فى قوله تعالى من سورة الدخان (إنا أنزلناه فى ليلة

مباركة إنا كنا منذرين . فيها يُفَرَّق كل أمر حكيم) وفي قوله : (إنا أنزلناه في ليلة القدر)
وفي قوله : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) هل هي ليلة القدر ؟ أم هي ليلة النصف
من شعبان ؟ ومعلوم أن ليلة القدر في العشر الأخير من رمضان .

أتم جميعاً - يا كتاب مجلة الإسلام - تذهبون إلى أنها ليلة النصف من شعبان ، وعدد
مجلتكم (الخاص) بجميع كتابه يقول ذلك . فهل هما ليلتان مباركتان أم هي ليلة واحدة ؟
لا شك عندنا في أنها ليلة واحدة هي ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن ، من شهر
رمضان . ولا اعتبار لقولكم جميعاً أنها ليلة النصف من شعبان لمصادمة أقوالكم لنصوص
الكتاب والسنة .

إن مفسر القرآن في مجلتكم يقول إنها ليلة النصف من شعبان ، وقد أورد على رأس
مقال التفسير قوله تعالى : (لكل أجل كتاب . يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)
وذكر أن الحو والإثبات في تلك الليلة وليس في غيرها .

والذي نعلمه من سياق الآية قبلها ، أن الحو والإثبات هما في الشرائع التي جاءت بها
الرسول ، وليس في محو وإثبات آجال الناس وأرزاقهم ، وشقاوتهم وسعادتهم . فإن الآية قبل
قوله تعالى : (لكل أجل كتاب) تقول : (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم
أزواجاً وذرية ، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب . يحو الله
ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب) .

فهذا الحو والإثبات هما في نسخ بعض الشرائع ، وإثبات البعض الآخر ، فينسخ الله
- مثلاً - من شريعة موسى ما يشاء ، ويثبت في شريعة عيسى ما يشاء ، وكذلك ينسخ
من شريعة عيسى ما يشاء ، ويثبت في شريعة محمد ما يشاء ، صلوات الله وتسليماته عليهم ،
وهكذا ، وفق ما تقتضيه سنة الله في تطور البشر ، فينسخ ما يُستصوب نسخه ، ويثبت
ما تقتضيه حكمته .

ويؤيد هذا قوله تعالى من سورة الأعراف : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذين
يجدونهم مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ويُحِلُّ
لهم الطيبات ويُحَرِّمُ عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) .

فقد وضع الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الآصار والأغلال التي كانت على بني إسرائيل قبلها ، فحما الآصار والأغلال ، وأثبت التيسير والتخفيف ، وهو ما عنته الآية فيما نعلم .

أما أن يكون هناك : محو وإثبات في كل عام مزة ، في آجال الناس وأرزاقهم ، وشقائهم وسعادتهم ، وفقرهم وغناهم . فهذا ما لا نعلم له حقيقة ، فقد « رُفِمتْ الأقالام وجفت الصحف » و « جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة » كما هو نص أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أورد هذا المفسر أثراً عجيباً ، رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : « لما ارتقى موسى عليه السلام طور سيناء ، رأى الجبار في إصبه خاتماً ، فقال : يا موسى ما هذا ؟ - وهو أعلم - قال : شيء من حلى الرجال . قال : فهل عليه شيء مكتوب من أسمائي أو كلامي ؟ قال : لا . قال : فاكتب عليه (لكل أجل كتاب) .

نم علل الحكمة في الأمر بكتابة الآية . فقال : ليعلم موسى أن الله يصدر قضاءه في كل وقت وحين . هكذا علل المفسر الحكمة في الأمر بكتابة الآية على الخاتم . وكأن موسى عليه السلام - في زعم هذا المفسر - لا يذكر أن قضاء الله وقدره يصدران وينفذان في كل وقت وحين ، إلا إذا كتب الآية على الخاتم ، وإلا فهو في غفلة عن ذكر قضاء الله وقدره !!! أثر غريب ، وتعليل عجيب ، وأغرب منهما وأعجب ، أن يصدرا عن أستاذ بكلية الشريعة !!

* * *

وإذا تركنا محرر التفسير في خلطه للكلام ، وتخبطه في مسألة الحو والإثبات . بين النقص والإبرام ، لوجدنا محرر « الحديث الشريف » وقد جعل عمدته في الكلام عن ليلة النصف من شعبان ، حديثاً يرويهِ البيهقي عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يُطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

وهو حديث لا يستحق سمائه ولا روايته ، إذ ليس في فضائل ليلة النصف من شعبان

حديث يعول عليه ، كما أشار إلى ذلك أبو بكر بن العربي وغيره من أئمة هذا الشأن ، ولكن ما حيلتنا في هؤلاء الذين يجهلون ذلك ، ويجهلون أنهم يجهلون ، ثم لا يتورعون عن رمي غيرهم بما هم غارقون فيه .

ويذكر محرر « الحديث الشريف » أن أحد القراء طلب إليه البيان الشافي عن ليلة النصف من شعبان ، لأنه في حيرة من أمره بين مؤيدى الليلة وفضلها ، وبين النافين لوجودها على الإطلاق . فكتب يجيب السائل : إنها ليلة مباركة ، وأن عليه أن يعمل بما تعارف عليه الناس في تلك الليلة ، من تلاوة الدعاء المشهور ، وقراءة سورة (يس) . ويقول : لا تدع هذه الفرصة الكريمة تمر عليك بدون انتهازها ، وما دام قلبك يميل إلى إحياء ليلة النصف في المسجد ، على ما تعارف عليه الناس - واسترع انتباهك أيها القارئ إلى تعليقه - لأنه كله من الدين ، صلاة وقراءة قرآن ، ودعاء ، وتعاوناً على البر والتقوى . ثم يقول : « ولا تنصت للسطحيين الذين اعتادوا الشغب والتشويش على المسلمين ، وإثارة الفتنة ، والتفرق بينهم بغير سلطان لديهم » ويقول : « ولو نظر هؤلاء المنكرون إلى الجهة التي نظر إليها المجتمعون لإحياء ليلة نصف شعبان ، لما اختلفوا ، ولما تفرقوا ، واكنه الجهل بالدين » .

أى إن الذى لا يعمل مثل عمل العوام ، ولم يعرف مآثره العوام لتلك الليلة ، فهو الجاهل بالدين !!

اننا نرى أن عامة الناس يؤمنون المساجد في ليلة النصف من شعبان للدعاء ، بل إن غالبيتهم لا يطرق أبواب المساجد العام كله إلا في ليلة النصف ، لاعتقادهم - ومما يحضهم عليه جهالة العلماء - أن الدعاء فيها يكفيهم لأن يعيشوا السنة كلها بالأمن والأمان ، والعيش الرغيد ، ماداموا قد قاموا بتلاوة ذلك الدعاء المعروف ، الذى يجعل من الشقى سعيداً . ومن المقتر عليه في الرزق ذاسعة . ومن ناقص العمر طول الأجل إلى آخر ما يحويه الدعاء المعروف .

ويقول محرر الحديث أيضاً لمستفتيه : « لا بأس من إحياء هذه الليلة كما اعتاد الناس إحياءها بالدعاء المعروف » .

ونحن بدورنا نسأله : هل اجتماع العوام ^١ وَمَنْ في حكمهم من جهلة العلماء ، لقراءة ذلك الدعاء « أَللّهُمَّ يَا ذَا الْمُنَى » في تلك الليلة ، وانصرافهم عقب ذلك ، بحيث لا يستغرق وقت الصلاة والدعاء بعدها ، دقائق معدودات هل تَعْدُونَ هذا العمل في هذه الفترة الوجيزة من الزمن إحياء لتلك الليلة ؟ .

عجباً لكم أيها الناس حين تقررون أن هذا العبث ، وهذا اللهو واللعب إحياء لليلة النصف من شعبان !! .

إن قيام الليل ، وهو المقصود بإحيائه ، لا يكون إلا في الأوقات التي بينتها الشريعة بأنها وقت السَّحَرِ ، وقت الاستغفار ، وقت إجابة الدعوات . فهل هذا الزمن اليسير الذي تقرأون فيه ذلك الدعاء ، ثم تنصرفون بعده تعدونه إحياء لتلك الليلة ؟ .

نعم ، إننا نسمى مثل هذا العمل عبثاً ، وهزواً ولعباً ، لأنكم تتركون الناس في عمايتهم وجهالاتهم ومعاصيهم أيضاً طوال العام ، ثم تقولون لهم : تعالوا أحيوا هذه الليلة بهذا الدعاء ، وسترجعون وقد غُفِرَتْ لكم ذنوبكم ، وَحُيِّتْ شقاوتكم ، وكتبتم من السعداء ، ووسع لكم في أرزاقكم ، ومد لكم في آجالكم ، فما عليكم - والحال كما ذكر - إلا أن تريحوا أنفسكم طوال العام ، ولكم بعد ذلك أن تؤموا المساجد في مثل هذه الليلة من العام القابل ، وهكذا !! .

أليست هذه هي النتيجة الطبيعية لدعوتكم الناس إلى قراءة ذلك الدعاء في تلك الليلة بالكيفية التي تعارف عليها الناس ؟ .

ويقول محرر « الحديث الشريف » (إن الذي يتمسك بالخلافيات في مثل هذه الليالي المباركات ، فيزعم أن ليلة النصف من شعبان لا فضل لها ، ويعترض على الدعاء الوارد فيها ، ويصف المحتفلين بها بأنهم ضالون مبتدعون ، وهكذا مما اعتاد المنفلسون وأدعياء المعرفة ، من إثارته حول هذه الليلة) .

ونحن نقول وبالله التوفيق :

إن الأصل في العبادات وأوقاتها وكيفيةها ، هي النصوص الواردة بشأنها في الشريعة
بالمطرق الصحيحة الثابتة ، المأثورة عن صاحب الشريعة وصحابته الأكرمين ، ثم عن عامة
السلف الصالح بعدهم .

فهل ورد في الصحاح عن ليلة النطف من شعبان ، وفضائلها ما يؤيد الذي ذهبتم إليه ،
وما أتم وعامة الناس معكم عليه ، من اجتماعكم بعد صلاة المغرب من تلك الليلة ، وتلاوة
الدعاء المعروف « اللهم يا ذا المن » بكيفية هي أشبه بتكبيرات العيدين المشروعة ؟ . فهل
ورد عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما يؤيد فعله لدعاء نصف شعبان مثل
فعلكم ؟ أو أن الصحابة رضوان الله عليهم فعلوا ذلك . ؟

وهل لكم جميعاً - يادعاة إحياء هذه الليلة - أن تدلوننا عن أول مبتدع فعل ذلك ؟ .
وهل تؤدي العبادات والقربات حسب ما اعتاده جمهور المسلمين وألفه غالبيتهم ،
وإن لم تكن لتلك العبادات أثر ثابت ، أو دليل قوى يؤيده ؟ .

ثم نسألكم : هل الذي يجري على اتباع صحيح السنة ، ويدع العمل بما ابتدعه
المبتدعون ، ثم يدعو الناس إلى الصحيح دون المبتدع ، مشاغب سطحى التفكير ، مثير
للفتن ، مفرق لجماعة المسلمين ؟ .

وهل في معقولكم - أيها الذين تجارون العامة في جهالاتهم - أن الدين بالعبادات
والتقاليد وبما تعارف عليه الجمهور ؟ .

وإذا كان هذا مبلغ فهمكم للدين ، وأخذكم للشريعة ، فما الفرق بينكم وبين الجهلة
والعوام ؟ ؟ .

أتم تقولون عن الذين ينكرون ما لهذه الليلة من فضائل ، أنهم سطحيون - أي سطحوي
التفكير ، لا يغوصون إلى الأعماق - وأنهم مشاغبون - أديعاء معرفة - يفرقون جماعة
المسلمين - هذه صفات أضفيتموها على المنكرين لهذه الليلة وفضائلها .

فهل تطبقون هذه الصفات أيضاً على كل المنكرين على هذه الليلة من السلف ، ومنهم

الإمام محيي الدين النووي ، أحد أئمة الشافعية المشهورين ، حيث يقول : « إن القول بأن المراد بالليلة المباركة في الآية الكريمة (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) ليلة النصف من شعبان ، قول خطأ ، والصواب الذي قال به العلماء : « إنها ليلة القدر » ؟ .

ويقول الإمام أبو بكر بن العربي المالكي ، صاحب التفسير المشهور - أحكام القرآن والعواصم من القواصم والعارضة ، شرح الترمذى عن تلك الليلة : « ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ، لافي فضلها ولا في نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا إليها » .
فهل هذا الإمام أيضاً سطحي التفكير ، من المشاغبين ، ومن أدعياء المعرفة ؟ ومن الذين يفرقون كلمة المسلمين بالخلافات البسيطة ؟ ؟ .

إننا نريد الخير لأنفسنا ، ولعامة المسلمين معنا ، لأننا نرى أن الخير كل الخير في اتباع ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما ورد عنه بالأوجه الصحيحة النقية السليمة .
إننا ندعو الناس إلى الأخذ في الشريعة بمعالي الأمور ، والله سبحانه يقول :
(واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) ويقول : (فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فنحن ندعو الناس إلى اتباع الأحسن في دين الله ، والأخذ بعزائم الأمور وجدها ، وترك سفافها .

أما أن ندعو الناس إلى الأخذ بالأحاديث الواهية ، والعبادات المبتدعة المحدثه .
والزعم بأن ذلك مطابق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله » الحديث - فهذا ما برأ الله ناصري سنة نبيه صلى الله عليه وسلم منه .

إننا نخطب صاحب مقالات (وما كان عطاء ربك محظوراً) فنقول :
ذكرت في مقالك الأول عن (نصف شعبان) حديثاً عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يطلع الله في ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » هكذا رويت هذا الحديث .

فهل فى معقولك أن المشاحن قرين الشرك بالله ؟ هذا على فرض صحة هذا الحديث بزعمك وإن كان هذا دليلاً على وضع الحديث ، لأن الله يقول (إن الله لا يغفر أن يُشرك به . ويغفر ما دون ذلك) وهذا الحديث جمل المشاحن والمُشرك فى قرن واحد ، فهل تأخذون بهذا الحديث المكذوب وتردون القرآن ؟

أنت تذكر الحديث الذى رويته عن عائشة رضى الله عنها ، أنها افتقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، إلى أن وجدته ساجداً ولطول سجوده ظنت أنه قد قبض ، فقال لها : أتدرين أية ليلة هذه ؟ قالت قلت : الله ورسوله أعلم . قال : هذه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم . هكذا رويت ويرويه غيرك مثلك .

فهل تظن أيها الرجل أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعلم فضل هذه الليلة المباركة ، ثم لا يخبر أهله ليغتنموا فرصة القرب من الله والطلب إليه ، وهو الذى أنزل عليه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً . وقودها الناس والحجارة) ؟ .

أليس هذا ، مما يفيد وضع ذلك الحديث . وأنه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه من غير المعقول أن ينفرد بالعبادة والدعاء فى هذه الليلة المباركة . ويترك أهله وأمه دون أن يخبرهم بمزايا هذه الليلة ليغتنموا خيرها ، لأنه صلى الله عليه وسلم (أولى بالمؤمنين من أنفسهم) كما أخبر الله عنه ، فكيف تصدقون مثل هذا الحديث المختلق ؟ .

ثم مامعنى حديث معاذ رضى الله عنه « فيغفر لجميع خلقه » هل المسلمون هم جميع خلق الله ؟ أم أن بركة الليلة جعلت غفران الذنوب لجميع الخلق من مسلم وغير مسلم ؟ ومن حيوان ونبات وجاد ، وأرض وسماء ، وأن هؤلاء من خلق الله ؟ !! .

ألا يدل هذا الحديث كما أدرجته فى مقالتي « فيغفر لجميع خلقه » على الوضع ، وأنه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنكم لا تميزون بين الصحيح والضعيف ، أو بين الواهى والمكذوب ، لعدم ممارستكم لأحاديث الرسول الصحيحة ، كما هو الشأن عند جماعة أنصار السنة ؟ .

ثم لا تستحون أن تقولوا عن خيار الناس لهذا العصر - إن شاء الله - أنهم مشاغبون ،
سطحيو التفكير ، أدعياء معرفة .

أما أولئك الذين يحتفلون بهذه الليلة ، ويزعمون أنهم إنما يحتفلون بها ، لأنها الليلة
التي حُوِّلَتْ فيها القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرقة ، فقول خطأ ، وزعم باطل ،
وخلاف الصحيح ، ومع هذا فمن أين لهم أن يحتفلوا بمثل هذه المناسبات ؟ ومن الذى شرع
لهم أن يحتفلوا بمثل هذه الأعياد والاحتفالات التى لم يعهدها المسلمون الأولون الذين ورثنا
عنهم ديننا الحنيف .

أفكلما زين الشيطان لفريق من الناس أن يتدعوا أعياداً جاهلية ، وموارد وثنية ،
وجاراهم عليها غيرهم من العوام ، والكثرة الكثيرة من الناس تتخذونها ديناً وشرعة ،
وتدعون الناس إليها ، ثم تهمون مخالفكم فى هذه الشراكيات والوثنيات : بأنهم أدعياء
معرفة ، وأنهم مفلسون ، يتشددون فى الخلافات البسيطة ؟ ؟ .

خير لكم أن تقبعوا فى جحوركم ، من أن تنشروا هذه الجهالات على العوام باسم
العلم ، وقد ذم الله قوماً ابتدعوا فى الدين بغير علم فقال عنهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم
القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون) من سورة النحل .
(من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل الله فأن تجد له ولياً مرشداً) .

محمد صالح سمران

برقية عزاء فى وفاة فقيد أهل السنة

جاءنا من الأخ الكريم « نسيب الرفاعى » عن السلفيين بسورية مايلى :
إن لله ماأخذ ، وله ما أعطى ، وكل شئ عنده بأجل مسمى ؛ فلنصبر ولنحتسب .
« الهدى النبوى » : نشكر الإخوان بسورية ، ونسأل الله أن يلهمنا جميل الصبر ،
وأن يوحد القلوب فى شتى الأقطار الإسلامية ، على حبه سبحانه ، حتى نرى الدولة
الإسلامية الكبرى دولة التوحيد والحق والحب والسلام .

من صراع الإسلام ضد المجوسية

المؤنف عبد الرحمن الوكيل

أهوى أبو جعفر المنصور^(١) على أبي مسلم الخراساني فقتله ، ففضى على المجوسية التي حالقتها الصهيونية ، قضى على النمر الأحمر المتوثب الذي كان يعمل ، لتستبدل المجوسية ديناً ، ولغة وتقاليد وسلطاناً بالدولة الإسلامية ، ولتسيطر عليها سيطرة رهيبة ماجنة العدوان ، ولكن المجوسية التي تلهب أحقادها الصهيونية لم تنس تاراتها عند أبي جعفر . فحشدت جنودها من كل صقع ، وألهبت أحقادهم ، وبَعَرَت أضفانهم على دولة الإسلام وخليفاتها المنصور . وبثت في نفوسهم تلك الأسطورة التي توارثتها الصهيونية من قديم ، تلك التي تزعم أن روح الله سبحانه تجل في بعض البشر ، فتجعل منه إلهاً تسبح باسمه السماء والأرض . وقد أسبغت الصهيونية هذه الأسطورة الملحدة على عليّ رضى الله عنه ، ثم من بعده على أولاده وأسباطه وأحفاده . ثم جاء دور أبي مسلم ، لتدخله الصهيونية في مُتحف الآلهة ، حتى يعلم ذئابها أنهم يقاتلون في سبيل إله قتل ، وَيَفْتِكُون باسم إله سُفِّح دمه ، والقتال في سبيل إله غير القتال في سبيل بشر . إنه يكون قتالا وراء عقيدة مصممة ، وإرادة يلهبها الحماس الديني ، قتالا مريراً يَسْتَحِبُّ التضحية والاستشهاد ، ويتَّسِم بالفداية التي تحرص على الموت أكثر - مما تحرص على الحياة . هذا مادبرته الصهيونية قديماً ، لتفضى على كل مجتمع لا يدين بالصهيوية ، ولتجعل ممن يؤمنون بأساطيرها ، أناساً تستخفهم لما تريد هي من سلب ونهب وفتك وتدمير .

(١) ولد أبو جعفر المنصور سنة ٩٥ هـ في شهر ذي الحجة ، وبويع بخلافة الدولة العباسية في ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ ، ٨٨٥ م وتوفي في ٦ من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ ، فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة ، وقد مات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وشاعت في المجوسين ألوهية أبي مسلم ، فصمموا على أن يثأروا لهذه الألوهية التي انْتَبِيحَ جسدُها ، وبقيت روحها في قدس الخلود تشع إشراقها السماوي هدياً وإلهاماً ، والتي تتحين الفرصة ، لتختار جسداً آخر قسماً وسيماً ، فتخل فيه ، فتعود إنساناً إلهياً أو إلهاً إنسانياً .

وخرج بهؤلاء « سبناذ »^(١) في ثورة جامحة ، قبل أن ينسوا نار الألوهية المسفوحة الدم ألوهية أبي مسلم !! ومن أين ؟ من نفس المكان الذي ربت فيه الصهيونية نمرها الأحمر : أبا مسلم ، خرج من خراسان . خرج مطالباً بدم الإله القتل ، واستجابت له الأحقاد المغلوبة على أمرها ، فاستولى على « قومس والرى » وهناك خلع على نفسه لقب « فيروز أصبهذ » ، واستولى على خزائن أبي مسلم بالرى ، وراح يُعمل كل كراهيته وبغضائه ، فيسبي النساء ، ويسلب الأموال ، ويدمر الحرمات ، ملهياً أفواج الصهيونية بالحماس ؛ إذ أعلن لهم أنه سيهدم الكعبة . وعلم أبو جعفر المنصور ، فوجه إليه جمهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف فارس . فالتقى الجمعان بين همدان والرى على طرف المغارة . ورأى جمهور ألا بُدَّ من مطاولته حتى يضمن النصر ؛ إذ حشدت الصهيونية كل قواها لهذه المعركة ، لتنتقم من الإسلام ودولته ، ورأى سبناذ أن يخزي المسلمين ، وأن يكيد لهم ، فجعل على مقدمة جيشه السبايا من الملمات على الجمال .

وهنا يسجد التاريخ لقهر القدر وغلبه ، وهنا يسجل التاريخ لأولئك الملمات موقفاً بطولياً رائعاً . فانهن لم يبالين بمن وراءهن من جيش سبناذ أو بانهن معرضات للتحوف والمهلك ، إن فعلن شيئاً فيه استثارة لهم المسلمين ، ولكن هؤلاء الملمات لم يتذكرن إلا شيئاً واحداً ، هو الإسلام ، هو التضحية في سبيل أن يكون له ولدولته الغالب ، فقمن في محاملهن ، وصحن صيحة توقظ الحمية ، بل تسعرها حتى في الجداد . إذ نادين من أعماق الجراح ، ومن أبعد أغوار المأساة التي عانينها ، والتي رأين المسلمين فيها ، وهي أن تُسبي

(١) كان خروجه في سنة ١٣٧ هـ أي في السنة التي قتل فيها أبو مسلم ، وهو من إحدى قرى بياور . وفي بعض الكتب يسمى « سبناذ » وفي مروج الذهب يسمى « سنفاد » .

نساؤهم . وكان أمرهم غير ذلك . صحن : « وَاتَّخَذَهُ !! ذَهَبَ الْإِسْلَام » . ورحم القدر هذه الصيحة ، فاستجاب لها ، فكشفت للريح عن أثواب النساء ، مما جعل الجمال التي تحملهن تنفر ، وتتقهقر إلى الوراء في فزع وخوف ، فتثارت تباركا وخطلا في نظام جيش سنباذ ، ويتفرق عسكره ، ويتهمز المسلمون الفرصة فيهمجون على جيش سنباذ ، وقد ثارت فيهم حمية صادقة ، وعزيمة مصممة على النصر ، فكان أن هُزِمَ هذا الجيش الذي حشدته الصهيونية لتحطم به بناء الإسلام الضخم . هُزِمَ هزيمة منكرة ، وبعد قليل قتل قائده ^(١) .

وخنت الصهيونية إلى أن تمكنها الفرصة من الوثوب ، حتى سنة ٧٤٠ هجرية . فخرجت تتفنع بالحيلة وتحتال بالمكر ، وقد تسمت باسم « الراوندية » ومن دين هذه الطائفة الإيمان بتناسخ الأرواح ^(٢) ، وبأن روح الله سبحانه تتجلى على مدى الأعقاب فيمن يختارهم ليكونوا مظهراً لذاته . وأراد هؤلاء أن يخدعوا أبا منصور عن دينه . فزعموا أنه هو « ربهم » الذي يطعمهم ويسقيهم ، وأن عثمان بن نهيك قائد حرسه هو جبريل . ثم اندفعوا يطوفون حول قصر المنصور في الكوفة صائحين : « هذا قصر ربنا » ، ولكن المنصور لم يخدعه هذه الصيحة الكافرة عن دينه ، لم يسعده أن تخلع عليه صفة الربوبية ، بل نفر منها سمعه وقلبه ، فأمر بالقبض على هؤلاء ، واستحوذ سجن المنصور على مائتين من زعمائهم ، ووجد الراوندية أن دين المنصور لم يزل يعصمه من الفتنة ، فطاشت أحلامهم ، فاندفعوا يحملون نعشاً زاعمين أنهم يشيعون جنازة ميت ، ولم يتبين أحد حقيقةهم ، حتى إذا حاذوا

(١) قتل من جيش سنباذ ستون ألفاً غير من سبي من ذراريهم ، فما بالك بالجيش كله . أما سنباذ قائده ، فقصده إلى طبرستان ملتجئاً إليه ، فأرسل إليه عاملاً من قبله ، اسمه طوس ، يد أن سنباذ تعالى عليه ، فقتله طوس

(٢) الإيمان بتناسخ الأرواح : دين قديم يزعم أن الروح لها عودة إلى الدنيا ، فإن كانت سالحة ظهرت في صورة إنسان صالح ، وإن كانت طالحة ظهرت في صورة حيوان حقير ، أو إنسان شرير . ولهذا يقول الواحد من المؤمنين بهذه الأسطورة : لقد كنت موجوداً من قبل عدة مرات ، أو منذ آلاف السنين !!

السجين قتلوا حراسه ، وأطلقوا سراح زعمائهم ، ثم زحفوا مهرولين نحو قصر المنصور ، وقد صمموا تصميماً لا يرهبه بطش ، ولا يثنيه وعيد ، على قتل ذلك الذى قتل إلههم أبا مسلم . ولم يرض أن يكون لهم بعد أبى مسلم ربّاً يعبدونه ، أو قل لم يرض أن يكون خنجراً تغيبه الصهيونية فى صدر الإسلام . وكان عدد هؤلاء ستمائة رجل ، فى كل رجل منهم تلهب الأحقاد وآلاف الأضغان . فى كل رجل منهم تاريخ عتيق قديم للصهيونية يستحثه أن يعيد إليها هيكلها وملكها ومبكاها !! وتنادى الناس ، وغلقت أبواب المدينة على من فيها ، وساد الرعب والفرع فى صفوف سكان المدينة ، وعلم أبو منصور ، فاحتشد تاريخ الإسلام كله فى قلبه ، واثارت كل حمية عربية مسلمة فى نفسه ، ومرت بخاطره بطولات و بطولات ، فأبى إلا أن يضع للتاريخ مثلاً أعلى آخر للبطولة العربية المسلمة . فصمم على أن يخرج بنفسه لهؤلاء الذين يريدونه وحده . وقد خافهم الناس وهربوا منهم ، وتركوهم لأبى جعفر ، وتركوا أبا جعفر .

وهنا يسجل التاريخ موقفاً لا ينسى للشهامة العربية ، والمروءة العربية ، والنجدة العربية بعد أن صقلها الإسلام ، فجعل منها درة تضىء فى تاج أجداد التاريخ والأخلاق . كان ثمتَ معن بن زائدة الشيبانى وكان المنصور قد هدر دمه لقتاله مع ابن هبيرة ضد المنصور . ورأى معن الرواندية ، وقد احتشدوا بباب المنصور ، ورأى المنصور فى هذه الواقعة التى خلده التاريخ ذكرها ، رآه ، وقد خرج بنفسه ، وقد شرع سيفه ، وعلى وجهه التصميم القاطع ، وعلى سيفه تتوعد المنايا السود من يدنو منه ، رآه يندفع إلى الرواندية غير هباب ولا وجل ، بل رأى الإقدام البطولى المستشهد ، رأى ستمائة خقد ، ستمائة لؤم ستمائة مكر دنىء ، ستمائة بغضاء تتلظى فى قتلها لرجل واحد هو المنصور ، ورأى المنصور وقد صمد وحده لهؤلاء المهاجمين . ونسى معن بن زائدة نفسه ، نسى أنه مهدور الدم من المنصور ، وذكر تماماً أنها معركة الإسلام ، وليست معركة المنصور ، فاندفع مُتَلَمِّمًا ، يقاتل دون المنصور ، قتالا مريراً مُتَلَمِّمًا ، ترتجف من صولته قلوب وقلوب ، حتى دنا من المنصور ، فأمسك بلبجام بقلته قائلاً للربيع حاجبه « تَنَحَّ فَأَنَا أَحَقُّ بِهَذَا اللَّجَامِ مِنْكَ فِي هَذَا الْوَقْتُ وَأَعْظَمُ غَنَاءً » .

لقد أراد البطل العربي أن يفتدى عدوه المنصور بنفسه ، رضيعاً سعيداً ، أن يفتدى كرامة الإسلام وعزة الإسلام ومجد الإسلام ، وقال المنصور لحاجبه : « صدق فادفعه إليه » وأطاح سيف معن برقاب الكثير من المعادين ، فحال بينهم وبين المنصور ، وأبعد الخطر الداهم عنه . وقال المنصور للبطل المقنّع : من أنت ؟ وقال معن بن زائدة : طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة !! فقال المنصور وقد استبذت بفرحته وعجبه روعة المفاجأة ، وهذه الأريحية العربية المسلمة الرائعة : « آمَنكَ اللهُ عَلَى نَفْسِكَ . وَمَالِكَ وَأَهْلِكَ مِثْلَكَ يُضْطَمَعُ ^(١) » ورأى الناس إقدام المنصور ، واستهائته الموت ، فنفخوا سراعاً ، وقد استيقظت نخوتهم . وتذكروا ربهم ودينه الذى هدام به ، وما زالوا بهؤلاء الرواندية حتى قتلهم .. وانجلى للمعركة عن نصر حاسم .

وصلى المنصور الظهر ثم دعا بالعشاء ^(٢) . وأحضر معن بن زائدة ، ورفع منزلته ، ثم قال المنصور لعمه عيسى بن على بن عبد الله بن عباس « يا أبا العباس . ؟ سمعت بأشد رجل ؟ قال : نعم . فقال المنصور : « لو رأيت اليوم معن بن زائدة لعلمت أنه منهم » وقال معن : والله يا أمير المؤمنين . لقد رأيتك ، وإني لو جلّ القلب ، فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم وشدة الإقدام عليهم ، رأيت ما لم أراه من خلقٍ فى حربٍ ، فشَدَّ ذلك من قلبي ، وحملني على ما رأيت مني » .

تلك معركة خاضها الإسلام ضد الصهيونية التي تتنعم في كل حقبة من حقبة التاريخ بأقنعة مختلفة الصورة . معركة خاضها رجل بقوة وعزيمة وإيمان ، نخاضها معه آلاف المتحمسين لدينهم ، فاتصروا ، ثم مسحوا الدماء عن سيوفهم ، ليخوضوا مع الصهيونية معارك ومعارك م

(١) قال مروان بن حفصة بمدح معن في هذه الموقعة :

معن بن زائدة الذى زيدت به شرفاً على شرف بنو شيان
مازلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دور حليفة الرحمن
فدعت حورته وكنت وفاءه من وقع كل مهدو مسان

(٢) طعام ما بعد الظهر .

ساعات (شريف) السويسرية

الساعات الممتازة في الصناعة والمثانة

تجدها عند

الحاج محمد شريف عطية صالح

٨ شارع قوله بعابدين

ساعات من جميع الماركات العالمية

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المثانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

وبالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

الثن ٢٠ ملجا

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف بننا الكبير

٧٩.١٧ ٥

في أي مكان تجده يتالق وينزهو



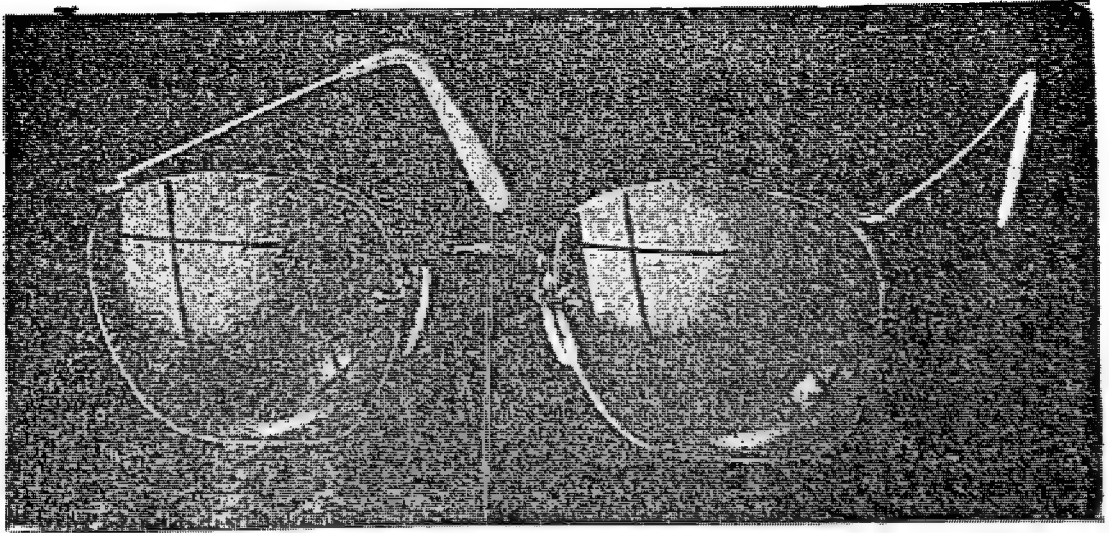
آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكرسي النموذجي
انشاج، حسن علف حقاد

إنه الكرسي النموذجي

في المائة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

مويليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل

مس على صمار للصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندي سجل تجاري ٤١١٠١



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ ب ميدان العتبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحدث شتات النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار في متناول الجميع



المَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣	التفسير بقلم الأستاذ الشيخ عبدالرحمن الوكيل
١٢	(كتاب فيض الوهاب) لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
١٤	طاغوت البلشفية بقلم إمامنا الراحل الشيخ حامد رحمه الله
٢٢	وجود الله بقلم الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس
٢٦	الصلاة بقلم السيدة حرم المرحوم الدكتور محمد رضا
٣٨	(محمد عبده) بقلم الأستاذ محمد سليمان الحاج
٤٣	من شرفات التاريخ بقلم الأستاذ محمود محمد البرماوى
٤٧	من رسائل القراء رسائل وتعاوى في قيد أهل السنة
٥١	التبرعات لمسجد الله

تذنية مهم

نرجو من الإخوان المشتركين في المجلة ، ومن المتعهدين أن يتفضلوا مشكورين بتسديد ما لديهم ، وما نحن بحاجة إلى أن نذكر الإخوان بواجباتهم نحو هذه الصحيفة التي هي لسان دعوة الحق ، أما أولئك الذين أصموا آذانهم عن ندائنا ، فنسئطر آسفين إلى نشر أسمائهم ، نخدمة الدعوة ، والعمل في سبيل إعلاء كلمة الله أكبر عندنا وأعظم من المجاملات ؟

إدارة المجلة

المهدي النبوي

مدير الإدارة
محمد رمزي غليل

الاشتراك السنوي

٢٠ - في مصر والسودان

٣٠ - في الخارج

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير البري خدي محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

الإدارة :

٨ شارع قوله

بجديد بمصر

ت ٧٦٥٧٦

العدد ١١

ذو القعدة سنة ١٣٧٨

المجلد ٢٣

نور من القرآن :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال سبحانه جل ذكره : (١٧ : ١٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ .
وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) .

معاني المفردات

« أهلكنا » : راجع معناها اللغوي في العدد الماضي .

« القرون » : قال الراغب الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني وفلان قرنُ فلان في الولادة وقرينه وقرنُهُ في الجِلْدَة والقوة وفي غيرها من الأحوال قال : (٣٧ : ٥١) إني كان لي قرين) (٥٠ : ٢٣) وقال قرينه : هذا مالدّي عتيد) إشارة إلى شهيد . . . وَالْقَرْنُ : القومُ المقترنون في زمن واحد وجمعه قرون (١٠ : ١٣) ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) .

وقال صاحب اللسان : القرن : الأئمة تأتي بعد الأمة . قيل : مدته عشرين سنين وقيل : عشرون سنة ، وقيل ثلاثون ، وقيل ستون ، وقيل : سبعون ، وقيل ثمانون ، وهو مقدار التوسط في أعماق أهل الزمان . وفي « النهاية » أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران ،

فكأنه المقدار الذي يقتزن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم . . . : وقيل القرن مائة سنة . . . والقرن من الناس أهل زمان واحد .

وقال ابن فارس : القاف والراء والنون أصلان صحيحان أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء . . . والآخر : شيء ينتأ بقوة وشدة . . . ومما شذ عن هذين البابين . القرن ^(١) الأئمة من الناس ، والجمع قرون . وقرن القوم : سيدهم ^(٢) .

« كفى » : قال الراغب : الكفاية : ما فيه سدّ الخلة وبلوغ المراد في الأمر قال : (٣٣ : ٢٥ وكفى الله المؤمنين القتال) (١٥ : ٩٥ إنا كفيناك المستهزين) (٤٨ : ٢٨ وكفى بالله شهيداً) .

وقال صاحب اللسان : كفى يكفى كفايةً : إذا قام بالأمر . . . ويقال : كفاك هذا الأمر : أى حَسْبُكَ ، وكفاك هذا الشيء . . . وقال أبو إسحاق الزجاج في قوله عز وجل : وكفى بالله ولياً . وما أشبهه في القرآن : معنى الباء للتوكيد .

« بِرَبِّكَ » : قال الراغب : الربُّ في الأصل : التريّة ، وهو إنشاء الشيء حالاً فخلاً إلى حد التمام . يقال : رَبَّهُ ، وربَّاه ، وربَّيّه . وقيل : لأنَّ يَرْبِيَّ رجلٌ من قريش خيرٌ من أن يَرْبِيَّ رجل من هوازن . فالرَّبُّ مصدر مستعار مستعمل للفاعل ، ولا يقال الربُّ مطلقاً إلا الله المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله (٣٤ : ١٥ بلدة طيبة ورب غفور) . وعلى هذا قال : (٣ : ٨٠ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) أى آلهة ، وتزعمون : أن الباري تعالى مسبب الأسباب والمتولى مصالح العباد . وبالإضافة يقال له ولغيره نحو : رب العالمين .. ويقال : رب الدار .

وقال صاحب اللسان : الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبّر والمربّي والقيّم والمنعم . ورَبَّهُ يَرْبُهُ رَبّاً : مَلَكُهُ . . . وإنه لَمَرْبُوبٌ بَيْنَ الرُّبُوبَةِ ، أى لملك . . . والعباد مر بوبون لله عز وجل .

(١) مما ذكره الراغب وصاحب اللسان : نعلم أنها ليست شاذة ، وأنها من الأصل الأول .

(٢) قال صاحب القاموس المحيط وهو يمدد معنى « القرن » . « ومن القوم سيدهم » .

وربّ ولدّه والصبيّ يَرْبُهُ رَبًّا . ورَبِّه تربيّا وتربية - عن اللحياني - بمعنى ربّاه .
 ورَبّ المعروف والصنيعة والنعمة يَرْبُهَا رَبًّا وربابا وربابة . ، ورَبِّها : نَمّاها .
 وزادها ، وأتمها ، وأصلحها ، ورَبَّبْتُ قرابته كذلك .
 وربيتُ الأمر ، أَرَبُهُ رَبًّا وربابة : أصلحته ، وحَسَنْتُهُ ، ورَبَّبْتُ الدُّفْنَ : طَيَّبْتُهُ ،
 وأجدته .

وقال ابن فارس : الراء والباء يدل على أصول . فالأول : إصلاح الشيء والقيام عليه .
 قالرب : المالك والمخالق والصاحب . والرب المصلح للشيء يقال : رَبّ فلان ضيعةًه : إذا
 قام على إصلاحها . . والله جل ثناؤه الربّ ، لأنه مصلح أحوال خلقه . . الخ
 « ذنوب » ذَنَب الدابة وغيرها معروف ، ويُعَبَّر به عن المتأخر والرّذل ، يقال : هم
 أذنبُ القوم . . . والذنب في الأصل : الأخذُ بذنب الشيء ، يقال : ذنبتُه : أى أصبت
 ذنبه . ويستعمل في كل فعل يُسْتَوْخَمُ عقباه اعتباراً بذنب الشيء ، ولهذا يسمى الذنب تبعه
 والعقربة اعتباراً لما يحصل من عاقبته ، وجمع الذنب ذنوب .

وقال ابن فارس : الذال والنون والباء أصول ثلاثة . أحدها : الجُرم . والآخر : مؤخر
 الشيء ، والثالث : الحظ والنصيب .

وقال صاحب اللسان : الذنبُ : الإثم والجُرمُ والمعصية . والجمع ذنوبٌ وذنوبات .
 جمعُ الجمع .

« عبادة » قال الراغب : العبودية إظهار التذلل . والعبادةُ أبلغ منها ، ولا يستحقها
 إلا مَنْ له غايةُ الإفضال ، وهو الله .

وقال صاحب اللسان : العبد : الإنسانُ حُرّاً كان ، أورقيقاً ، يذهب بذلك إلى أنه
 مَرْبُوبٌ لباريه . . والعبدُ : المملوكُ خلاف الحر . . والجمع أعبدٌ وعبيد ، وعباد ، وعُبد . .
 ومن الجمع أيضاً عِبْدَان . . وعِبْدَان . . وعِبْدَان ، وأعابدُ جمعُ أعبد . . ويقال : فلان عبد
 بين العبودية والعبودية ، والعبدية . وأصلُ العبودية : الخضوعُ والتذلل . . ومعنى العبادة .

في اللغة الطاعة مع الخضوع ، ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ ، إذا كان مُذَلَّلاً بكثرة الوطء ^(١) .

وقال ابن فارس : العين والباء والdal : أصلان صحيحان ، كأنهما متضادان .

والأول من ذَيْنِكَ الأصلين : يدل على لينٍ وذل ، والآخِرُ : على شدة وغلظ ، فالأول : العبدُ ، وهو المملوكُ ، والجماعةُ العبيد ، وثلاثةُ أعبد ، وهم العباد . قال الخليل : إلا أن العامة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين . . . ومن الباب : البعيرُ المَهْمُورُ ^(٢) بالقطران . وهذا أيضاً يدل على ما قلناه ؛ لأن ذلك يذله ، ويخفض منه . والمعْبُدُ : الدُّوْلُ . . والأصل الآخر : العَبْدَة ، وهي القوةُ والصلابة .

« خير » قال الراغب : الخبر : العلم بالأشياء من جهة الخبر ، وخبرته خُبْرًا وخبرة ، وأُخْبِرْتُ علمت بما حصل لي من الخبر ، وقيل : الخبرة : المعرفة ببواطن الأمور (٣ : ١٥٣) والله خير بما تعملون) . أى عالم بأخبار أعمالكم ، وقيل : أى عالم ببواطن ^(٣) أموركم . وقيل : خير بمعنى نُخْبِر ، كقوله : (خير بما تعملون) نحو : (فينبشكم بما كنتم تعملون) . وقال صاحب اللسان : الخبير من أسماء الله عز وجل ، العالم بما كان ، وما يكون . وخَبِرْتُ بالأمر ، أى : علمته ، وخَبِرْتُ الأمر أَخْبِرَهُ . إذا عرفته على حقيقته . . والخابر : المختبر المجرب . ورجل خابر وخبير : عالم بالخبر ، والخبير : الخبير .

وقال ابن فارس : الخاء والباء والراء أصلان ، فالأول : العلم ، والثاني : يدل على لين ورخاوة وغزر ، فالأول الخَيْرُ : العلم بالشيء ، والله تعالى الخبير : أى العالم بكل شيء .

« بصير » قال الراغب : البصر يقال : للجراحة الناضرة نحو قوله تعالى : (٥٤ : ٥٠) كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٣٣ : ١٠) وإذ زأغت الأبصار) والقوة التي فيها ، ويقال : لقوة القلب المدركة : بصيرة وبصر . نحو قوله تعالى : (٥٠ : ٢٢) فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

(١) كذلك قلب المؤمن مذل سهل مستو ليس فيه عقبات ، ولا منخفضات . ولا مرتفعات تحول بين النور ، وبين أن يندسط فيه كله ، أو بين الهدى وبين أن يسير فيه من أوله إلى آخره جيئةً وذهوباً دون أن تعترض طريقه عقبة ما . (٢) أى : المطلق

(٣) أى علم يبراعتها وغاياتها . علم بالنيات التي تكمن وراءها ، والإرادات التي توجهها .

حديد) . وقال : (٥٣ : ١٧ مازاغ البصر ، وما طنى) ، وجمع البصر أبصار ، وجمع البصيرة بصائر . قال تعالى : (٤٦ : ٢٦ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم) ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة ، من الأول : أبصرت ، ومن الثانى أبصرته ، وبصرت به . وقلما يقال : بصرت فى الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب ، والباصرة : عبارة عن الجارحة الناضرة الرؤية .

وقال صاحب اللسان : البصر حاسة ، البصر حس العين ، والبصر نفاذ فى القلب ، وبَصَرُ القلب نظره وخاطره ، والبصيرة عقيدة القلب ، قال الليث : البصيرة اسم لما اعتقد فى القلب من الدين ، وتحقيق الأمر ، وقيل : البصيرة الفطنة - عن اللحيانى - : إنه لبصير بالأشياء ، عالم بها .

وقال ابن فارس : الباء والصاد والراء أصلان . أحدهما : العلم بالشئ . يقال : هو بصير به والبصيرة : البرهان ، وأصل ذلك كله : وضوح الشئ .

المعنى

فهمنا من قوله سبحانه (وكل إنسان ^(١) أزمناء طائره فى عنقه) التحديد الواضح المبين لمسئولية الفرد .

فهمنا أن كل فرد سيحاسب يوم القيامة حساب العدل والنصفة ، وأنه سيُجزى عما كسبه ، أو اكتسب ، فما هنالك من يَحْمِيه ، ولا هنالك من يذود عنه ، ولا هنالك من يظلم حسناته أو سيئاته ، إنما هو بِفَرْدِيَّتِهِ المطلقة بين يدى الله سبحانه ، إن يعذبه فهو عبده ، وإن يَفْرِزَ له فإنه هو العزيز الحكيم .

وفهمنا من قوله جل ذكره : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً) . البيان الجلي الذى يحدد مسئولية الجماعة التى فسقت عن أمر الله ، وَنَكَصَ كل فرد فيها عن تقويم الجماعة بهدئى الله سبحانه ، عن دعوتها

(١) إضافة « كل » إلى إنسان ، وهى نكرة نفيد التعميم والشمول الكامل ، فلا يعنى من هذه المسئولية . ولا من هذا الإلزام إنسان إلا من أراد الله سبحانه .

إلى الخير ، وأمرها بالمعروف ، ونهيها عن المنكر ، وعن عمله هو بما دعا إليه ، فالداعي هو التطبيق الحى لدعوته ، والداعي هو المثال الصحيح لما دعى إليه ، والداعي بسيرته جزء مكمل لدعوته ، ليس يكفيه أن يدعو ، بل لا بد له أن يعمل بما يدعو إليه ، يجب أن يسمع الناس منه الحق ، وأن يراه الناس عاملاً بهذا الحق ، وأن يكون وراء قوله وعمله قلبٌ يحبسه على حُبِّ الله وتقواه ، والله على كل شيء شهيد .

وفهمنا أيضاً أن تلك المسئولية حتم لا يجد الفرد منها مناصاً ، ولا الجماعة عنها مهرباً ، لأن الله سبحانه قد منح الفرد من القوى ما يجعله أهلاً لهذه المسئولية ، منحه القوى التي بها يفكر ويعمل ، ومنحه الهدى الذي به يهتدى إلى أنبل الغايات وأكرم المثل . ولكل مسئولية جزأؤها الذي بين الله بطرقته الثواب والعقاب . وهو سبحانه لا يخلف وعده .

وبعد هذا الهدى الإلهي جاء قوله سبحانه (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) جاءت هذه الآية تأكيداً للمعنى المفهوم من الآيتين السابقتين جاءت وعيداً يزلزل جحود الباغى ، وطغيان الطاغية ، جاءت وعيداً لا بد من تحققه ، لأن من توعد به سبحانه يملكه ، فليس فوقه من يحول بينه وبين ما يريد ، ولا من يستطيع نسخ حكم حكيم به ، ولا من يحول بين وقوع الوعيد ، وبين من سيقع عليهم .

إنه سبحانه ينذر . وبين سبحانه أن مثل ما ينذرهم به قد وقع فليس هو مما يعجزه . يتوعد الله كل فرد يفسق عن أمر الله ، مهما يكن شأن حسبه أو نسبه ، ويتوعد كل جماعة لا سيمة لها إلا معصية الله ، ونشر الفساد فيمن حولها من الجماعات مهما يكن شأنها في كثرة المدد وقوة المدد ، يتوعدهم بأنهم سيلقون - إن أصروا على طغيانهم - نفس المصير الذي تردى فيه من قبلهم ممن ظلموا وأسرفوا على أنفسهم ، ولجأوا في طغيانهم يعمهون ، واستخفوا سفهاء عُمياً - بوعيد الله سبحانه .

وقوله سبحانه « من بعد نوح » يثير في النفس ذكرى ذلك الماضى الغابر البعيد ، ذكرى ذلك الطوفان الطاغى ، والإنسانية المؤمنة في قلة عددها تحملها رعاية الله على

السفينة ، تجرى في موج كالجبال ، ذكرى أولئك الذين وقفوا في عنادهم يتحدثون قدرة الله بِسَفَرِهِ وَحَاقَةَ مَظْلَمَةٍ ، ويسخرون من نوح وَفُلْكَه ، ويقول نوح في صبره النائر (إن تسخروا منا ، فإننا نسخر منكم كما تسخرون) ويحيى الأمر لكل تلك القوى التي أعدها الله لهذا اليوم المشهود ، وتؤدي كل قوة عملها الذي سخرها الله له ، فتنهزم السماء وتنفجر الأرض عيوناً ، وتجرى السفينة بسم الله مجريها ومرساها ، وتبلغ المأساة ذروتها ، وتبدولنا قدرة الله في هيمنتها القاهرة الغلابة ، ويتجلى الحق في وضحه وإشراقه ، في أن يذكر لنا الله سبحانه النجوى الحزينة بين نوح وابنه ، بين أبوة تفيض رحمة بالغة ، وعطفاً يغمر القلب كله حتى ينسيه بعض ما حكم به الله من قبل ، وبين بنوة استعلت بكفرها عن الحق ، ولجت في عنادها تجحد الأبوة الرحيمة ، هذه الأبوة التي شرفت بالرسالة لم تستطع أن تنقذ شيئاً ، هذا الأب العظيم - وقد جاهد في سبيل الله قروناً ، وأبلى بلاء عظيماً - لم يستطع أن ينقذ ابنه من قدر الله !! ! فأى صلة بالله أقوى من صلة الرسالة ؟ وأى عاطفة أنبل من عاطفة الأبوة ؟ ، ومع ذلك طغى الموج القوار على الابن ، ورداه في أعماق الظلمات الدامسة !! (وحال بينهما الموج فكان من الممرقين) فهل يعتبر عبادة الوثن وسدنة الأصنام ؟ أيعتبر أولئك الذين يربطون الناس بشهواتهم ، وأهوائهم ، فيزعمون لهم أن شيوخهم هم واسطة الفيوضات الربانية إليهم ، وهم يملكون لهم النفع والضرر. لهذا أبو الرسل بعد كفاح مرير ، وجهاد طويل لم يستطع أن ينقذ ابنه !! ! ولو كان هناك من البشر من يستطيع إنقاذ أحد ، لكان أولى بهذا رسوله من أولى العزم ، ولو كان هناك من تتوجه النفس لإنقاذه ورحمته ، لكان أولى بهذا ابن نوح ، وأبوه يستصرخه بالنجوى عبر الأمواج الغاضبة !! (فذلكم الله ربكم الحق ، فإذا بعد الحق إلا الضلال ؟) .

وقوله سبحانه « من بعد » يثير في النفس ذكرى تلك الصاعقة المدمرة التي دمر الله بها ثمود ، وتلك الريح العاصفة الغاضبة التي وصفها الله بأنها صرصر عاتية ، والتي أهلك الله بها عاداً (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، فترى النجوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية ؟) .

ويذكر الإنسان فرعون وقومه ، ويذكر قارون وجود شجته ، وتذكر الجماعة تلك الجماعات ، ويذكر الأفراد الذين هم قرون في قومهم ، أولئك الأفراد الذين كانوا أشد منهم بطشاً وقوة .

هذا ما يعينه في النفس قوله سبحانه : « من بعد نوح » . عبر هذه القرون البعيدة ، والآمال السحيقة ينتقل الفكر من طسورة إلى صورة ، ومن عبرة إلى عبرة ، مشاهد تتوالى على الفكر ، فيرى فيها جميعاً جبروت الله وقهره ، فتضائل قوته وقدرته ، ويحس عن يقين بالعجز الذليل أمام هذه القوة الجبارة الملاحقة التي أدالت من هذه القرون ، ويحس المؤمن بالطمأنينة التي تشيع في نفسه السكينة ، إذ يشهد كيف انتقم الله للإيمان من الكفر ، والتوحيد من الشرك ، والهدى من الضلال .

وفي كلمة « قرون » إبعاداً للفرد ، وإبعاداً للجماعة ، فهي جمع « قرن » والقرن - كما سبق - يدل على الجماعة من الناس ، ويدل كذلك على الفرد الذي له السيادة على قومه^(١) ، ففيها الوعيد لهذا ، ولأولئك ، يشعر الفرد أن فيها تخويفاً ووعيداً له ، وبمثل هذا الشعور تشعر الجماعة .

وجاءت كلمة « وكم » في أول الآية - وهي تفيد الإخبار عن كثرة ما بعدها - دليلاً على أن سنة القدرة الإلهية لا يغيرها مغيراً ، ولا يبدلها مبدل ، وعلى أنها تحدث وتحدث ، لأنه سبحانه فمال لما يريد ، وإليك بعض الآيات التي ذكر الله فيها إهلاكه القرون .

(١٠ : ١٣) ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، وما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزي القوم المجرمين) .

(٦ : ٦) ألم يرؤكم أهلكنام من قبلهم من قرن مكنام في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مذراراً ، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم ، وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) .

(١) قال الله سبحانه في قصة قارون (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جماعاً) فكلمة قرون هنا تدل على أنها تعني الأفراد الذين لهم السيادة على قومهم ، وقد تعطى المعنى الآخر .

ما أهلك الله سبحانه القرون إلا بظلمهم وكفرهم ، بآيات الله ورسله ونعمه . فلتخف
يطش الله القرون الظالمة .

وفي هذه الآية نفسها تنبيهٌ على سبب الإهلاك وذلك إذ يقول جلُّ شأنه (وكفى
بربك ^(١) بذنوب عباده خبيراً بصيراً) نفخ الآية بهذا فيه بيان لسبب الإهلاك .
والمعنى : يكفى أن يكون ربُّك يا محمد هو الخبير بما يقترب عباده من ذنوب ، العليم بها ،
فهو سبحانه يعلمها وهي نياتٌ في الصدور ، ويعلمها سبحانه ، وقد تجسدت هذه النيات عملاً
مادياً محسّساً . يعلمها جلُّ شأنه وهي في طوايا الصدور توحى إلى الجوارح أن تبرزها إلى
الواقع ، ويعلمها سبحانه ، وقد صارت قولاً أو عملاً ، فهو سبحانه لا تخفى عليه خافية . يعلم
ما ظهر ، ويعلم ما بطن . وفي ذكر كلمة « عباده » نورٌ يهدي إلى الحق . فيها بيان يدل على
أنه سبحانه هو الذي يستحق وحده أن يكون العليم البصير بذلك لأنهم عباده . وفيها نفحات
من الرحمت الإلهية تناسم روح أولئك الشاردين في تيه الضلالة ، إنها تدعوهم إلى الأوبة
النادمة ، والتوبة الصادقة ، لأنهم « عباده » لا عبيده فحسب .

ثم في إضافة كلمة « رب » إلى الضمير الذي يدل على محمد صلى الله عليه وسلم تعريف لها
وتشريف وتعظيم لمحمد صلى الله عليه وسلم . وفي هذا التعريف يوجب علينا أن نعبد الرب
الذي دعانا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، ونعرفه بالصفات التي جاء بها القرآن
الذي نزله الله على محمد عليه الصلاة والسلام ، ونسميه بأسمائه .

أما هذه الأرباب التي يدعوننا إليها الفلاسفة وابن عربي وأحزابه ، فإنما هي أرباب
صنعتها الأوهام ، ونسجتها الأساطير ، وشدت أطناها الوثنية ، فليتأمل كل ذي عقل في
هذه « الإضافة » الملهمة لروح الحق ، حتى لا يصرفه الملحدون ، والفلاسفة والصوفية عن
رب محمد صلى الله عليه وسلم .

ثبتنا الله تعالى على الحق ، وهدانا برحمته سواء السبيل ؟ . عبر الرحمن الوكيل

(١) قال صاحب المفنى وهو يعدد معاني الباء : « الرابع عشر : التوكيد ، وهي الزائدة
وزيادتها في ستة مواضع أحدها الفاعل ، وزيادتها فيه واجبة وغالبة وضرورة » ثم قال :
والغالبة في فاعل كفى نحو . كفى بالله شهيداً وقال الزجاج : دخلت لتضمن كفى : معنى اكتفت

بَابُ الْكِتَابِ

كتاب فيض الوهاب

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

١ - أقلام جامحة مجنونة سنكبج بالحق جماحها ، ونشفي جنونها ، وآراء عارمة مفتونة ، سنداوى بالدليل عرّامها ونفضح بالبرهان فتونها ، وفوضى في التأليف والتصنيف سنخضد شوكتها ، وتقها بالحجة الدامغة عند حدها ، وعبارات وقحة بذينة دنسة جمعت كل ماوسوس به الشيطان لعباده من الفحش والإقذاع ، والكذب والبهتان ، والظعن واللعن والنسب والشتم ، سنضرب الذّكر عنها صفحاً ، ونجعلها دبر آذانتا وموطئ أقدامنا ، لأننا لم نعتد مجازاة السفه والبذاء ، ولم نسمح لأقلامنا قط أن تسوم في المراعى الوبيثة ، أن تنغمس في حمأة الخطيئة . وإنما نريد أن نجلى الحق لمن جهله حتى يسفر عن وجهه المشرق محياه الطلق الصبوح . ونزهق الباطل حتى يولى خزبان مدحوراً ، ذليلاً حسيراً كسيراً ، نريد أن ندفع عن أنفسنا ما رمينا به كذباً وزوراً ، وإفكاً وفجوراً ، وربنا جل شأنه يقول : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ١٩٤ : ٢) ويقول جل شأنه (وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله . إنه لا يحب الظالمين ٤٠) ولمن انتصر بعد ظلمه فأئك ما عليهم من سبيل ٤١ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق . أولئك لهم عذاب أليم ٤٢ : ٤٢) ولقد عفونا بتوفيق الله تعالى عن السب والظعن والإقذاع ، ونريد أن نصلح ما أفسدته الأقلام الجامحة عن عقائد العامة وأشباههم من قضى عليهم سوء الطالع بالإطلاع على هذا الكتاب ليكون لنا عند الله حسن الثواب إن شاء الله .

ولقد اضطررنا أن ننظر في هذا الكتاب كما يضطر الطبيب النطاسي أن ينظر في براز المريض للوقوف على أصل بلائه ، وجراثيم دائه ليطب له ويعمل على أن يتخذ له اسباب شفائه

وإنه لخراج قدر بل دتل أليم ، بل سرطان خبيث أصيبت به المكتبة العربية ، وجدير
 بأطباء الأرواح أن يسلطوا عليه مباحض أقلامهم المرفهة حتى يستأصلوه استئصالاً ، ويشفوا
 المكتبة العربية من دائه الويل حتى لا تتلوث الأيدي الطاهرة بمسه ، وحتى لا تسرى
 جرائم دائه إلى النفوس الطيبة فتفسد عقيدتها ، أو تمس مشوى الإيمان والتوحيد فيها .
 إن من الكتب ما هو أضر من السل والسرطان والطاعون والهواء الأصفر . فلتن
 كانت هذه الأمراض تفتك بالأجسام ، والأجسام فانية ، إن هذه الكتب الخبيثة لتفتك
 بالأرواح وهي خالدة فإذا أصيبت ببلاء هذه الكتب ، فإنه يلجأ إلى هلاك أبدى .
 وشقاء طويل .

إن هذه الكتب لتضرب من لم يتمكنوا من علوم دينهم بدوام الإطلاع ، وإدمان
 الدرس ضرراً بليغاً ، وتفسد عليهم عقائدهم وبخاصة إذا خدعوا بما يدون على غلفها من
 الألقاب الخادعة والنعوت التي تستهوى السذج والبسطاء ومن قل حظهم من العلم ، وقسطهم
 من العرفان .

في هذا الكتاب سذاجة وبله ، وسخف وعته وممن وسفه ، وسنضع ذلك كله تحت
 أبصار السادة القراء ليعلموا مدى الفوضى التي أصابت التأليف ، ومقدار الانتكاس الذي
 مئى به الكتاب العربى .

لقد أبيع حى التأليف ، واتهكت حرمة المقدسة حتى لقد أصبح كل من يمسك قلماً
 مؤلفاً ، وكل من يلم بحروف الهجاء كاتباً ، وإنا لندرجو مخلصين أن يوضع حد لهذه الفوضى
 المفسدة للعقول العابثة بالأذهان .

لقد هُزلت حتى بدا من هزالها كلاها ، وحتى سامها كل مفلس

سنتبع هذا الكتاب باباً باباً وفصلاً فصلاً ، بل صفحة صفحة ، وسطراً سطراً ، وكلمة
 كلمة حتى نزهق باطله ، وندحض حجته ونحمل العقلاء من قرائه على أن يجعلوه طعمة للنار
 التى هو بها جدير ، وبئس المصير .

وإلى لقاء قريب إن شاء الله .

طاغوت البلشفية

مقتطفات من وصايا قعيد الإسلام والعروبة فضيلة الأستاذ الجليل
 الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله بوسع رحمته وأسكنه فسيح
 جنته وألمننا جميل الصبر على فراقه الأليم .
 « محمد رشدي خليل »

الطاغوت : كل ما أقامه الشيطان للإنسان من طريق الجهل والتقليد الأعمى ، والظلم ، والتفديس الجائر ، ليصرفه به عن صراط الله المستقيم ، الذي هو سبيل الفطرة التي فطر الناس عليها من معرفة الحقوق لأهلها ، والحرص على أدائها كاملة غير منقوصة .

الطاغوت : هو الذي يتمرد بك وتتمرد به على سنن الله وآياته ودينه وشرائعه ، وكتبه ورسله ، فتحقر وتصغر في نفسك كتب الله ورسله وشرائعه ووصاياه ونعمه ، وتبقى ألقاظاً على لسانك ، وصوراً على جوارحك مخادعة وغروراً . وعقيدتك وأعمالك وأخلاقك تحاربها وتهدمها ، فتكون من الفاسقين الخارجين على ربك ، الظالمين لأنفسهم بالكفر والفسوق والعصيان . وتنشر في مجتمعك بذلك كل أسباب القلق والاضطراب والخوف والفرع ، والعداوة والبغضاء .

الطاغوت : ما صرفك عن عبادة ربك إلى عبادته ، فتذكره وتنسى ربك ، وتدعوه خوفاً وطمعاً وتحارب ربك ، وتقسم به رغبة ورهبة ، وتتجرأ على ربك فتقسم به كاذباً بدون مبالاة ، وتبذل من نفسك ومالك في مرضاته بكل فرح وسرور ، وتنقبض نفسك ويدك أشد الانقباض ، ويضيق صدرك أبغض الضيق إذا دعاك إلى بر والديك ، أو صلة رحمك ، أو الإحسان إلى فقراء جيرانك وعشيرتك ، وتسارع إلى عمل ما يدعوك الطاغوت إليه ، وتولى مدبراً إذا دعاك ربك إلى مافيه سعادتك وفلاحك في الدنيا والآخرة ، وتقف في حضرة الطاغوت خاشعاً ذليلاً ، وتقف أمام ربك غافلاً لاهياً ساهياً ، ميت القلب

والروح ، وتلزم باب الطاغوت في ذلة ومسكنة ، ولا يخطر على بالك أن تطرق باب ربك ، وتسلك إليه السبيل الذي طالما دعاك وأرشدك إليه .

وقد أقام الشيطان للناس طواغيت كثيرة . من هذا : الطاغوت من الإنسان الميت والحي ، باسم الأولياء والشيوخ ، وما هم - إذا أبقى الإنسان على عقله سليماً - إلا عباد أمثالكم لهم من حقوق الإنسان مثل ما لغيرهم ، وعليهم من الحقوق لربهم وللإنسان مثل ما على غيرهم . رب الجميع ومدبرهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ، وباعثهم ومحاسبهم ، ومجازيهم واحد : هو الله وحده لا شريك له ، ولا وزير ولا مشير ، ولا معين له منهم ولا من غيرهم . (لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض) . ولكن أكثر الناس لا يفكرون ، ولا يعقلون .

الطاغوت : كل كتاب أو مبدأ أو مذهب أو طريقة أو نظام أقامه الشيطان ليصرف الإنسان به عن كتاب ربه ، وهدى نبيه ، وتشريعه الرشيد الحكيم في العبادة والطاعة ، والحلال والحرام ، والشرائع والأحكام المقومة لأعوجاج الفرد والجماعة ، وفي الحقوق والواجبات الفردية أو الاجتماعية ، للوالد على ولده ، وللزوج على زوجته ، وللأخ على أخيه ، وللجار على جاره ، وللرئيس على المرؤوس ، وللمرؤوس على الرئيس ، وللحاكم على المحكوم ، وللمحكوم على الحاكم . فإن ربنا العليم الحكيم الرحمن الرحيم : هو خالق الإنسان وبارئها وفاطره ، وهو أعلم بسره وعقله ، وبظاهره وباطنه ، وما يستقيم به وما يعوج ، وما يصح ويسلم به قلبه وخلقه وما يمرضه ، وما يهتدى به وما يضل . فإن مرجع كل ذلك في الصلاح والفساد والاستقامة والإعوجاج إلى العوامل النفسية ، والتقلبات القلبية ، وتحرك الإرادات بحركات الجبال الطبيعية . وغير ذلك مما تكنه الصدور ، وتنطوي عليه الضمائر ، وتهجس به الأنفس والله وحده هو العليم بذات الصدور (ألا يعلم من خلق ؟ وهو اللطيف الخبير) فالدين لله وحده ، والتشريع مآشرعه ، والحلال ما أحله ، والحرام ما حرمه ، والحد ما حده (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) والهدى والصلاح والخير والعيشة الراضية وحياة الأمن والمافية ، والصلاح والنجاة في الدنيا والآخرة : كل ذلك فيما أكمل رب الناس به الدين ،

وَأَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ ، وَرَضِيَهُ لِلْإِنْسَانِيَةِ كُلِّهَا دِينًا ، وَاخْتَارَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْلَغًا لَهُ ، وَدَاعِيًا بِهِ ، وَهَادِيًا إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ وَأَدَبِهِ وَخَلْقِهِ (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (قُلْ : هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .

فَكُلُّ كِتَابٍ ، أَوْ هَيْئَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ ، أَوْ بَيْتَةٍ ، أَوْ عَادَةٍ أَوْ تَقَالِيدٍ ، أَوْ وَرِثَاتٍ ، أَوْ أُسْرَةٍ عَشِيرَةٍ ، أَوْ زَوْجَةٍ ، أَوْ أَصْدِقَاءٍ صَرَفَتِ النَّاسَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَتَنْفِيزِ أَمْرِهِ وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ ، وَالْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِ نَبِيِّهِ ، وَشُغْلَتِهِمْ عَنْهُ بغيره : مَنْ رَأَى الْإِنْسَانَ ، وَتَشْرِيعَ الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْإِنْسَانُ ، وَطَيْشَ الْإِنْسَانِ وَسُفْهَهُ ، فَهُوَ طَاغُوتٌ . قَالَ تَعَالَى (٤ : ٦٠ - ٦٥) أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ ، يَرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ، رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ، إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ ، وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا) وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ » .

أَكْبَرُ طَاغُوتٍ يَهْدُوكَ ، وَيَهْدُرُ مَجْتَمَعُكَ الْيَوْمَ : هُوَ طَاغُوتُ الْبَلْشَفِيَّةِ فَإِنَّهَا تَحْطِمُ كُلَّ دِينٍ ، وَتَهْدِمُ كُلَّ شَرِيعَةٍ ، وَتَقْتُلُ فِي الْإِنْسَانِيَةِ كُلَّ مِيزَةٍ وَكِرَامَةٍ . تَعْمَلُ بِكُلِّ قَوَاهَا الشَّيْطَانِيَّةَ عَلَى هَدْمِ كَيَانِ الْأُسْرَةِ ، وَإِعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى الْبَهِيمِيَّةِ ، بَلْ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الْفَاجِرَةِ . إِلَهَ الْبَلْشَفِيَّةِ وَمَعْبُودَهَا : هُوَ الْمَادَّةُ ، وَعِبَادَتُهَا : إِنَّمَا هِيَ تَقْدِيسُ الْمَادَّةِ ، وَشَرِيعَتُهَا : الْإِنْسَانِيَّةُ كُلُّهَا قَطِيعٌ مَمْلُوكٌ لِرَأْسِهَا ، تَتَسَافَدُ تَسَافِدَ الْبَهَائِمِ ، وَتَنْسَلُ كَمَا تَنْسَلُ الْأَنْعَامُ وَالْخَيْلُ وَالْبَغَالُ وَالْحَمِيرُ ، وَتَكْدَحُ وَتَشْقَى لِتَنْتِجَ لِصَاحِبِ الْعِزْبَةِ ، طَاغُوتَهَا وَمَالُهَا الْمَتْرَبُ عَلَى كُرْسَى الْكُرْمَلِينَ ، يَسْتَبْقَى مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَذْبَحُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ ، وَيَطْعَمُهَا مَا يَشَاءُ وَيَمْنَعُهَا مِمَّا

يشاء ، تعمل بمشيئته هو ، لا بمشيئتها ، وتتكلم بإرادته هو ، لا بإرادتها ، لأن الأنعام والبهائم ليس لها إرادة ولا مشيئة ، ولا ينبغي أن يكون لها إرادة أو مشيئة ، بل ولا وجود شخصي ، ولا ذاتية من بنى الإنسان ، يرضى أن يقضى على نفسه بالهلاك الأبدى ، والشقاء فى الدنيا والآخرة ، بتجريده من إنسانيته ، وإركاسه بأن يعود بهيماً مفقود العقل والتفكير والإرادة والمشيئة ، محروماً من عاطفة الوالدية ، ومودة ورحمة الأسرة والزوجية ؟ .

لن يرضى بذلك إلا من مهد لهذا الشقاء بالكفر بالله وآياته وسننه ونعمه ، وحكمته ورحمته وكتابه ورسوله ، واتخذ من قبل طاغوت البشفية : طواغيت الأموات وقبائها ، والتقاليد والعادات الجاهلية وعمائها ، وأهواء الرجال وآراءهم المظلمة .

وهذا هو الذى يخذع بدعايات البلاء ، ويذهب - فى طواغية البهيم الداجن وبلادته - ليلقى بعنقه فى غل عبدة طاغوت البشفية الفاجرة الخاسرة ، مخدوعاً يزعم أن فيها العدالة الاجتماعية ، ورفع ظلم وطفيان واستعباد الرأسماليين للطبقات العاملة .

أما من كفر بكل الطواغيت وآمن بالله ، وأسمائه وصفاته وسننه ونعمه ورحمته ، وحكمته وآياته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فأخلص العبادة لله وحده ، واستقام فى كل أمره على ماتقتضيه حكمة الله وسننه ، وعلى ماتهدى إليه آيات القرآن وسنة الرسول الكريم فإنه لن يرى العدالة الفردية والاجتماعية ، ولن يرى الصلاح له ولمجتمعه ، ولن يرى القوة والعزة له ولأتمته - إلا فى السير على سنن الله ، والاستقامة على صراطه المستقيم . يرى الناس كلهم عبيداً مرزوقين ، والرب وحده الذى ينزل الخير لهم ، ويدبر ويسخر لهم الأرزاق بأسبابها وسننها التى لا تتبدل ولا تتغير (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) (ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) (وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) (وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين) .

فهو يؤمن أوثق الإيمان بأن الإنسانية كلها طبقة واحدة من أصل واحد ، وهو

التراب ، وخلق واحد في الصورة والمعنى وحياة واحدة على هذه الأرض وتحت السماء ،
 وآخره واحدة هي الحساب العادل بالأعمال ، لا بالأنساب ، والجزاء العادل الأوفى بما
 كسبت الأيدي : الجنة أو النار ، ورب واحد : هو المدبر وحده ، والرازق وحده ، ومالك
 الملك وحده ، والمحاسب والمكافئ في الدنيا والآخرة وحده ، وأن التفاضل في القرب عنده
 والزلفى لديه بالإيمان بذلك كله ، والعمل بمقتضاه ، وأن رياسات الدنيا ومرؤوسيتها ، بل
 وكل شيء فيها إنما هو امتحان وابتلاء ، الليل والنهار ، والغنى والفقر ، والآباء والأبناء ،
 والملوك والرعية ، والجوع والشبع ، والصحة والمرض ، والزوج بزوجه ، والكفر والإيمان ،
 والطاعة والمعصية ، والرسول والمرسل إليهم (خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)
 (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) (وهو الذي جعلكم خلائف
 الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . إن ربك سريع العقاب وإنه
 لغفور رحيم) . (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون ؟ وكان ربك بصيراً) (نحن
 قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
 بعضاً سُخْرِيًّا . ورحمة ربك خير مما يجمعون) أى ليكون كل واحد مسخرًا لخدمة الآخر .
 فالرئيس في عمله مسخر لخدمة المرءوس ، والمرءوس مسخر لخدمة الرئيس ، والعالم مسخر
 لخدمة المتعلم ، والمتعلم مسخر لخدمة العالم ، وهكذا .

فمن آمن بكل ذلك آمن أصدق الإيمان بأنه عامل عند ربه رب السموات
 والأرض ، لا عند صاحب الورشة ، ولا عند الرئيس فلان ، ولا الوزير فلان ، ولا الملك
 فلان ، وأن صاحب الورشة والرئيس والوزير والملك كذلك كل واحد منهم عامل عند
 مالك السموات والأرض (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) والليزية التي يمتاز بها عن ذاك
 في ملك أو رياسة . هو : أن مسئوليته أمام مالك السموات والأرض أكبر ، وحمله أثقل
 فهو بحاجة من الآخرين إلى المعاونة ، والمساعدة بالشفقة والرحمة ، لا بالذل والخنوع
 والعبودية ، ولا بالحقد والحسد والعداوة والمقت ، لأن الجميع يكونون أسرة واحدة ، مهمة
 أكثر أفرادها ، وتناءت بهم المنازل وبعدت الدار .

إن المؤمن بحكمة الله ورحمته وعدله في شرائعه وأحكامه ورسالاته . يعمل جاهداً ليطهر مجتمعه منه ، بتسليط أشعة شمس هذا الإيمان والهداية الإسلامية على جرائم هذه الطواغيت فيقتلها ويطهر القلوب والمجتمع منها ، بقوله وعمله وخلقه ، وتنفيذه في نفسه وأهله ويثبت شرائع الله ، ووقوفه بنفسه وبمن استرعاه ربه عند حدود الله ، وإيتائه الحقوق لأهلها ، وأخذ حقه بالحكمة والمعروف .

ثم اعلم أنه ليس من مستحدثات الشيطان الجديدة ، بل هو طاغوت قديم ، فإن التاريخ يحدّثنا : أن اليهود هم أول من حاول إقامته بزعامه وكيد عبد الله ابن سبأ اليهودي في أواخر أيام خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفي غبار هذه الفتنة البلشفية ذهب دم عثمان ظمأً هدرًا . وكان من ثمراته الخبيثة ما كان ، مما فتح الخبشاء اليهود الثغرة التي دخلوا منها في غفلة المسلمين ، وما زالوا يوسعونها بتضييق دائرة الإسلام في قلوب الغافلين من المسلمين ومجتمعهم ، حتى تمكنوا من أن يمهّدوا بما قدمت لك من طواغيت هيأت أرض القلوب الميتة لغرس طاغوت البلشفية الكافرة الفاجرة ، فمن قبله أقاموا طاغوت التفرق والاختلاف في الدين ، وألرد عند التنازع إلى غير الله والرسول . ثم طاغوت الصوفية بإلهها ومعبودها المادى : الحقيقة الأولى ، أو المادة التي هي أصل ومنشأ كل مادة ، فما تولد عنها ولادة خاصة سموها : الحقيقة ، والأنوار الأولى ، والبوذية ، أو الحقيقة الإبراهيمية ، أو الحقيقة العيسوية ، أو الحقيقة الحمديّة ، وما تولد منها ولادة عامة سموه الوجود كله : فربوبهم : هو النواة ، والوجود هو النخلة خرجت من النواة ، وتلك الأنوار أو الحقائق هي ثمرة النخلة ، وأخذوا يزخرفونها بمعسول الكلام في ظلمات الجهالة والتقليد الأعمى ، والخلافات المذهبية ، حتى تسمعت بها قلوب كثير من العامة ، ثم طاغوت الربا بقسوته واعتصاره لدماء الجهاد الطائشين وتحطيمه للأسر ، وتمزيقه لكل الصلات والأواصر ، وإيقاده نار العداوة والبغضاء وما جرّ وراءه ذبوله من طوام ومصائب ظهر بها الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، وانقلب بها المجتمع ذئاباً ضارية تكوى القلوب بنيران الحقد والحسد ، وتتلطى على جحيم الغل والضغن ، فكانت الفرصة المواتية من كل هذه الطواغيت : والنيران

التي ينضج اليهود عليها لقمتهم الخبيثة فوجدت من أكتاف هذه الطواغيت ممحلاً سهلاً ، وموطئاً ليناً ، وذبحت في نفوس موتى القلوب وعبدة الطاغوت كالنار في الهشيم ، لابسة ثياب العاهرة وأصباغها المزورة ، تفتن بها كلاب البشرية وخنازيرها وذئابها المسوخة ، والمؤمنون بالله وسننه وكتبه ورسله منها حذرون ولها مائقون ، ولفسادها محاربون ، بما هداهم الله إليه وأنعم به عليهم ، مما أوحى إلى عبده الكريم ورسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم (٤١ : ٣٠ ، ٣١) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) (١٤ : ٣٢ - ٣٤) الله الذي خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم . وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره . وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الإنسان لظلوم كفار) (٤٣ : ٢٠) من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا هتوته منها . وما له في الآخرة من نصيب) (١٧ : ٢٠) كَلَّا نُنَدُّهُ هُوَ لَاءَ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ . وما كان عطاء ربك محظوراً) .

والشيوعية كذلك تحطم كل حد أقامه الله بالرسالة والفترة ، فلا رجل ولا امرأة أعطى الله كل واحد منهما خلقه المناسب لوظيفته : المرأة في المنزل والحمل والولادة ، والوظيفة للرجل يضرب بها في مناكب الأرض ، ويكون قواماً على المرأة ، بل إنما هي عند الصوفية البلشفية ذكورة وأنوثة بهيمية . فهي تقتل ذكورة الإنسانية لشهامتها وغيبتها ، وحفظها للعرض والنسب ، وكذلك تقتل أنوثة الإنسانية بعفافها وحيائها وحصاتها ، وقصرها على الرجل القوام عليها . وتلغى كل شريعة شرعها ، وتجعل الناس حيوانات ، لا رابطة بينهم إلا ما يبد قطب الصوفية الأعظم ، وطاغوتها الجالس على عرش الكرملين ، والقابض على صولجان المنجل والمطرقة .

والحمد لله الذي عافانا وهدانا إلى صراطه المستقيم ، ونجانا من ظلمات وفساد ووثنية هذه الطواغيت .

ونسألك اللهم أن تفتح بصائر الأمة الإسلامية ، وأن تكشف عن قلوبهم بها حجب الغفلة . وتمحو عنها ظلمات الجهالة ، لهدى كتابك وسنة نبيك المصطفى الذي أرسلته رحمة للعالمين ، وتريها الهدى هدى فتسلك سبيله والضلال ضلالا ، فتأى بجانبها عنه . وأن تنجيها من شرور أنفسها ، ومن سيئات أعمالها ، ومن كيد أعدائها ، وأن تمكر لها ولا تمكر بها ، إنك يا ربنا سميع الدعاء مجيب . بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير . وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله أجمعين .

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات الممتازة التي تحظى برضاء وإعجاب العملاء في أنحاء مصر والسودان لمئاتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتي

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية - تساهل في الدفع على أقساط شهرية
استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة - البيع بالجملة والقطاعي

في سورية

مجلة الهدى النبوى

تطلب مجلة « الهدى النبوى » في سورية من الأستاذ محمد فهمي الحمداني صاحب « مكتب الدنيا » - بزازة - منطقة الباب بسورية .

وجـود الله

لفصحة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس

١

لا شك أن الإيمان بوجود الله جل وعلا هو أساس العقائد الإيمانية كلها، بل أساس جميع الأديان والشرائع السماوية لأنها جميعاً إنما قامت على أساس أنها نازلة من عند الله سبحانه . ولهذا كان أهم ما يهدف إليه أهل المروق والإلحاد من أعداء الرسل والأديان هو التشكيك في وجود الله تعالى كما نرى اليوم فيما يشغب به دعاة الشيوعية وأذناب الوجودية وغير هؤلاء وأولئك من عناصر الشر والقوضى والانتهازية .

ومن المؤسف حقاً أن نرى كثيراً من شبابنا المسلم المثقف يستجيب سريعاً لهذه الدعوات الخزنية مأخوذاً بما يزينه له شياطينها من زخرف القول وباطله وما يغرونه به من التحلل والانطلاق من قيود الدين والاخلاق . فلا يلبث أن يقع في شراكهم صيداً سهلاً فيسلبونه دينه وخلقه وجميع مقومات حياته التي يعتز بها ويعيش من أجلها ويصبح أداة طيعة في أيدي هؤلاء الأبالسة يستخدمونه لتحقيق مآربهم الخبيثة في الترويج لمبادئهم الهدامة التي ماسادت في أمة إلا سلبتها أعز ما تعتز به من دين وشرف وتقاليد وجميع مقدراتها الأدبية والروحية . ولست أدري كيف يسوغ لعامل يحترم عقله ويقدر نعمة التمييز التي أكرم به الله بها أن ينخدع لهذه الدعوات الإلحادية الخبيثة فيما تهذى به من انكار وجود الله وهو يراه سبحانه ظاهراً في نفسه وفي كل ماحوله من لأشياء التي هي آثار قدرته ومجالي علمه وحكمته وفيض جوده ورحمته ، والتي حمل النظر فيها كثيراً من علماء الغرب الملحد أن يقرؤا بوجود الله عز وجل على أنه ضرورة علمية لامناص منها لما عجزوا عن تفسير ظواهر الكون وأعاجيبه تفسيراً مادياً بحتاً ورأوا أنها تسير كلها وفق غاية مرسومة ونظام محكم دقيق ، وإذا كان وجود الله عز وجل يعتبر من أجلى البديهيات لدى العقول السليمة والفطر

المستقيمة التي لم يفسدها الهوى والتقليد الأعمى ، فهو ليس بحاجة إلى تلك الجدليات الفارغة التي اصطنعها علماء الكلام وسموها جهلا براهين كقولهم (العالم جواهر وأعراض والأعراض حادثة والجواهر لا تخلو عن الأعراض ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث فثبت حدوث العالم بجواهره وأعراضه) .

فهذا الدليل هو عمدتهم والاستدلال على وجود الله ، لأنه إذا ثبت حدوث العالم بجميع أجزائه فلا بد أن يكون له محدث ، وهو الله عز وجل مع أن الدليل كما ترى مبنى على مقدمات افتراضية غير مسلمة وعلى نظرية قديمة في العالم الطبيعي قال بها (ديمقريطس اليوناني وملخصها أن العالم مركب من ذرات في غاية الصغر متشابهة وأنها تجتمع بحركة تلقائية فتكون الأجسام ثم تتفرد كذلك فتتحلل الأجسام وتنفى) ولعل هذه النظرية الآن بعد نجاح العلم في تحطيم الذرة قد أصبحت في خبر كان .

ومن العجب أن هؤلاء المتكلمين يقدمون هذا الهذيان على أدلة القرآن ويزعمون أنه البرهان الأوحى على وجود الرحمن حتى يقول بعض هؤلاء الحمقى : أن من لم يؤمن بالله من طريق هذا الدليل لم يتم إيمانه ويوجب من أجله الإيمان بذرات ديمقريطس الوثني . فكم من المسلمين يستطيع أن يفهم هذا الدليل أو يقتنع به ؟ وعلى رأى هذا الجاهل لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا صحابته ولا التابعون لهم بإحسان ولا أحد ممن مات قبل اختراع هذا الدليل مؤمنا لأننا نعلم بالضرورة أن هذا الدليل مبتدع لا أصل له في كتاب ولا سنة ولا هو مأثور عن أحد ممن يعتد بدينهم وإيمانهم من سلف هذه الأمة .

إننا لنرجو مخلصين من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومعاونيه في إدارة تلك الجامعة الإسلامية الكبرى وكلهم بحمد الله دكاترة فضلاء يؤمنون بحرية البحث وتطور الفكر أن يرحموا عقول طلاب الأزهر من هذه الكتب الجافة العقيمة التي لا تحمل بين سطورها الإنتاج عقول مريضة وأفكار ونظريات غريبة عن الإسلام .

إن طريقة القرآن الكريم هي أقوم الطرق وأهداها وفيها لمن تأملها الكفاية والشفاء بل هي الأدلة التي يتعين الإيمان بالله وأسمائه وصفاته من طريقها ، وليس لقائل أن يقول

أنها أدلة عقلية لا يؤمن بها إلا من يعتقد بالقرآن، لأننا نقول أن أدلة القرآن عقلية وعقلية فهي عقلية من جهة ورودها ونصب الشارع لها، ولكنها عقلية من جهة دلالتها لأن الله عز وجل إنما نصبها للعقول جميعاً لننظر فيها ونستدل بها، وهي أقرب إلى العقل من تلك الألفاظ والأحاجي التي يستعملها أهل الكلام والجدل - فإنها تستند دائماً إلى ما يشاهده الناس ويقع تحت حواسهم ويتصل بحياتهم ويتفاعل مع مشاعرهم من اختلاف صور الأشياء وألوانها ومنافعها وما يتجلى فيها من دقة الصنع وإحكام التركيب وتناسب الأجزاء، وما يحصل من تحويلها وانتقالها وكيفية نشوئها وتولد بعضها من بعض وتأثير بعضها في بعض وما يترتب على ذلك من مصالح ومنافع مقصودة، إلى غير ذلك مما يراه كل أحد ولا يستطيع أن ينكره، ولهذا كانت أدلة القرآن هي التي تصلح لجميع الناس على اختلاف عقولهم وتفاوت ثقافتهم كما قال الله تعالى « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » .

وأرى بعد هذه المقدمة أن أعرض عليك أيها القارئ الكريم بعض النماذج من أدلة القرآن العظيم، تاركاً لك أن تتأملها بعقلك وتفتح لها قلبك ووجدانك حتى يتم انتفاعك بها (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

قال الله تعالى في سورة البقرة (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) .

وقال في سورة الأنعام (إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ذلكم الله فأنى تؤفكون . فائق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حساناً، ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية

وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه .
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون).

وقال جل شأنه في أول سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون . وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

وقال جلّت آلاؤه في سورة النحل (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ، وإن لكم في الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرأ ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون ، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) .

وقال تقدست أسماؤه في سورة فاطر (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها . ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) .

وقال جل ثناؤه في سورة الغاشية (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت) .

هذا قليل من كثير مما ورد في القرآن الكريم من دلائل وبراهين لاتدل على وجوده

البقية على ص ٣٧

الصلاة

بقلم السيدة مريم المروم الدكتور محمد رضا

الصلاة : اتصال قلب العبد بالله وتوسله إليه ، وإثبات ما يمكن له من حب وإجلال بسجوده بين يديه ، وهى أس العبادة وعماد الدين ، إذ يقوم عليها كل عمل المرء وجهاده ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن قبلت منه صلاته قبل منه سائر عمله ، وإن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله » .

وذلك لأن صلاة العبد إن صدقت كانت آية إيمانه ووجه الصادق لربه ، فكان عمله فى سبيل الله وابتغاء وجهه . وإن كانت صلاته صلاة جهل ورياء كانت آية كذبه فى دعوى الإيمان فكان عمله لغير الله .

فالصلاة أصدق برهان على إيمان العبد وخشوع قلبه ، وهى أوثق الروابط وأمتن الصلات التى تصله بربه ، وأقدس أوقات يعبرله فيها عن شكره وحبه . وأعظم شرف يكرمه ويسعده بأن يحظى بقربه « فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . إذ يرقى المؤمن إلى السماء بروحه عند ما يحز ساجداً على الأرض بجسده ، فالانخفاض بالسجود ، إرتفاع وصعود .

فيألها من رفعة ونعمة أن يتقرب المؤمن إلى مولاه ، ويثته شكواه ويسأله معونته وهداه وأن يفضى إليه بذات صدره ويلوذه عند محنته وحيرته ، فيزيد ذلك من قوة نفسه ويهون عليه ما يصعب احتماله .

فذكر الذى إن يمسسه بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يرد به بخير فلا راد لفضله :
يدخل على قلبه الجازع الهدوء والسكينة ، ويشعره الاعتماد على رحمته بالارتياح والطمأنينة .
(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « وجُمِلت قرة عيني في الصلاة » وكان كلما حزبه أمر أو ساوره هم : فزع إلى الصلاة . ونادى بلالا وقال له « أرحنا بها يا بلال » ولذلك وصى الله تعالى المؤمن بأن يستعين بالصبر وبالصلاة التي تمده به على متاعه وهمومه في قوله (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) .

وكما أن الصلاة تعبر عن الشكر والطاعة ، فهي تلهم قلب المؤمن الصبر والشجاعة . فتحمو ما جبل عليه من جبن وجزع ، وتقي نفسه شر الشح والطمع . فاسمع لنا كيد ذلك في قوله تعالى (إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) .

وذلك لأن المداومة على الصلاة تذكر المرء بربه وتعيده إليه كلما نأى عنه ، وتوقظ قلبه كلما غفل ، كأنها جرعة دواء يتناوله في مواعيد متتابعة متقاربة لينتش ويقيق ويقوى قلبه وتشتد عزيمته . فهي أقوى باعث على الصبر والبر والإحسان ، وأعظم مطهر يزكي الروح وينقى القلب من الأدراخ ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة كمثل نهر جار أمام باب أحدكم يغتسل فيه في اليوم والليلة خمس مرات ، فهل يبقى عليه ذلك من درن ؟ » .

فالمسلم الذي يتردد على ربه خمس مرات كل يوم ، وفي كل مرة يناديه ويناجيه ويحمده ويستغفره ويطلب منه الهداية والوقاية : أصبح مراقباً لله وعلى موعد دائم مع الله ، يعاود المشول بين يديه ولا يفارقه إلا ليلقاه . فهل يجروء بعد ذلك على عصيانه ولا يستحي أن يراه . حيث نهاه؟؟ .

فذكر الله أكبر ناه للمؤمن عن كل شر كما قال تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

فإن من يقيم الصلاة يكون دائماً التذكر لله ، حاضر القلب مع الله ، لتابعها وتقارب أوقاتها ومن كان حاضراً مع الله باستمرار ، من المحال أن يقدم على فاحشة وهو يوقن بأنه يراد ولا يغادر له صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وسجلها عليه ثم جزاه عليها الجزاء الأوفى .

وهذه هي الحكمة في تشديد الله سبحانه بالمواظبة على الصلاة في قنوت وحضور لينتبه القلب ويخشع فيحظى المصل بالفلاح ، كما أكد تعالى في قوله (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون) .

أما هذا الفارق في الفحشاء والمنكر وهو يظن أنه من المصلين ، فإنه لم يصل كما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « من لم تنته صلاته فلا صلاة له » إذ لو أقام الصلاة كما أمر الله لانتهى عن الفحشاء والمنكر كما أكد الله . ومن أصدق من الله قيلاً ؟ .

إن من لم تنته صلاته ، ولم يقلع عما يطلب من الله النجاة منه ، بل استمر على اقترافه ، كما استمر على إلفه ، كان كاذباً في دعواه يرجو بلسانه ما لا يرجوه قلبه ، وذلك : آية النفاق والبعد عن الله بروحه ، وإن صلى وجاهد بجسمه وماله ، ومثل دور الخاشع التقي في كل عباداته وأحواله ، إذ ليس من المعقول أن يرغب المرء فيما يتجنبه وأن يعرض عما يتمناه ، فإن من يضرع إلى الله ويرجوه أن يهديه إلى الصراط المستقيم كل يوم عدة مرات ويكرر في كل مرة هذا الرجاء ثم لا يستحي من ربه أن يخرج على الصراط المستقيم مختاراً ، ويتبرأ من المغضوب عليهم ويضرع إلى الله ألا يكون معهم ثم يسعى بعصيانته ليحشر معهم ، ويتبرأ من الضالين ثم يتعمد الضلال ويتجنب الهدى الذي يطلبه بقوله قد كذب قوله وصلاته ، وأثبت نفاقه بعمله . فلا بد لصلاة القلب أن تهذب القلب ، وتمكنه من أن يحكم الجسد ويقوده كيفما شاء ، وإلا فلا صلاة له .

وفي الصلاة استجمام للفكر ، وراحة للعقل المرهق بالعمل المتواصل في مشاغل ومشاكل الحياة . فهي ترويح للنفس المؤمنة ، وهدوء للعقل ، توقفه عن متابعة العمل ، وتصرفه عن همومه وشجونته إلى التعمق بمناجاة الله عز وجل بضع لحظات ، فيجسد ذلك نشاطه ، ويعود من نعيم الصلاة مزوداً من ربه بعزيمة أقوى ، وذهن أصفى ، وقلب أبقى . ويشعر بارتياح وانسراح إذا قام بما يجب عليه من إجلال خالقه ، وشكر لرازقه .

والصلاة تطبع المصل على الطاعة والمثابرة والنظام والدقة في المواعيد ، لأن المصل يعاود الصلاة في أوقات خاصة ، وساعات معينة ، ويؤديها على ترتيب خاص ونظام خاص ،

وينابر على إقامتها وتكرار ركعاتها في دقة ، ويحرص على أوقاتها في انتباه وحذر . فهل كل ذلك لا يعلم المرء ويمرته على الثابرة والحفاظة على النظام . ويعوده الطاعة واحترام المواعيد والأوامر في دقة وإحكام ؟؟ . إن ذلك ليوجب والله أن يكون المؤمن الذي يقيم الصلاة كما أمر الله على خلق عظيم .

فانظر إلى منافع الصلاة الصادقة للقلب . وكيف يسعد بها ويتطهر . وكيف تنهيه عن الفحشاء والمنكر . وكيف إذا استعان بها المرء عند الشدة والحزن تعزیه وتقوى صبره وتواسيه وتشرح صدره وتداويه وتمسح كدره وتسليه ، وتطرد ضجره . وكيف تضمد جرح قلبه . وتحقق ألم كربه . وتخمّد ثورة غضبه . وتردعه عن الإصرار على ذنبه . فترجعه إلى طاعة ربه . فكم صدت المرء عن التماهى في ظلم . وكم كفت لسانه عن الاستمرار في إثم . وكم أوقفت الإسراف في لهو . وكم منعت الإفراط في لغو . وكم قطعت الاسترسال في سهو . وكم نبهت قلب المؤمن وذكّرت به بربه فاستغفر لذنبه فكان من (الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) .

ولقد دعا الله تعالى عبده للتشرف بالسجود له والمثول بين يديه . وسمح له بأن يدعوه ويناجيه ويضرع إليه . وتفضل سبحانه ذو الجلال والإكرام بأن يصغى إليه . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

وليكون المسلم أهلاً لهذا الشرف العظيم : يجب أن يستعد له بتنظيف بدنه وقلبه فيغتسل ويتوضأ ويتوب ويستغفر ليمثل بين يدي خالقه ورازقه طاهر الظاهر والباطن ، فيفوز بالفلاح كما وعد تعالى فقال : (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى) .

ويجب أن يقف هذا الموقف المهيّب في رهبة وخشوع ووقار . وألا يسرع في حركاته وفي نطقه ويضرع إلى مولاه في ذل وانكسار . ويجب أن يكبح جماح فكره وبقيدته ، ويحصر كل وعيه فيما يقول ويركزه . فيعيده كلما شرد ، ويستحضره كلما ابتعد . يجب أن تسجد الروح لخالقها مع البدن ، وأن يذكر العبد أنه يمثل أمام من إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون . وأنه يشكر من جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون . وأنه

يناجى من غنت الوجوه له . قال الرسول صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا قام يصلى فإنما يناجى ربه . فلينظر أحدكم من يناجى » .

فإن الذى يعرف من يناجى فى صلاته يشعر قلبه عندما يقول لسانه : الحمد لله رب العالمين . بفضل ربه وجزيل نعمته . ويقدر عقله عندما يقول لسانه : الرحمن الرحيم . عظيم رحمته وعدله ورأفته . ويتصور عندما يقول : مالك يوم الدين . سعة ملكه وسلطانه وعظيم قدرته . ويشعر قلبه الخاشع عند ما يقول : إياك نعبد وإياك نستعين . بالاحتياج إليه وضعفه وعبوديته . فيضرع إليه فى حرارة ويتهل خاشعاً وهو يقول : اهدنا الصراط المستقيم . ويشعر بالرهبة عند ما يخرج ساجداً بيدنه ذلاً وخشوعاً وهو يكرر بلسانه : سبحان ربى الأعلى . سبحان ربى الأعلى ..

أما هذا الشقى ، الذى يتشبه بالمصلين ، فيقوم ينقر تقرات غراب ويسمىها صلاة وهو لا يعي مايقول لمولاه السميع العليم بذات الصدور الذى يسبر غور قلبه . فإنه لا يستفيد من من صلاته الصورية وحركاته الآلية فائدة لأن الجسد وحده ، هو الذى ركع وسجد . أما القلب ، وهو حياة المرء ومركز وعيه وشعوره .. فإنه لهاوسها ونأى عن ربه ولم يصل ، فكيف ينتفع ويثاب على شئ لم يعمل به ؟؟؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم « يا على . ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها » وقال « قد يصلى المرء وليس له من صلاته إلا نصفها .. إلا ثلثها . إلا ربعها . إلا خمسها إلى أن قال وقد لا يكون له من صلاته شئ » فعلى قدر خشوع القلب وحضوره مع الله تكون الفائدة من الصلاة ويكون الفلاح فى الدنيا والآخرة . كما قال تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .

وعلى قدر السهو عن الله عمداً ، يحول المتغافل بسوء أدبه الثواب عقاباً . فلينظر أحدكم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم من يناجى ، وبأى موقف يستخف وأمام من يلهو ويسهو ، وليسمع تهديد الله له (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون) .

إن هذا المرأى الذى لا يصلى إلا ليقال تقى . كما أنه لا يتصدق إلا ليقال غنى سخى . وإذا قام إلى الصلاة قام متكاسلاً . وإذا صلى صلى ساهياً مستعجلاً . فاسمع لوصفه فى قوله

تعالى (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) .

فالتكاسل والتناقل في القيام إلى الصلاة والحرم على تعجيل الفراغ منها : آية فراغ القلب من حب الله إذ من الحال ألا يتوق المرء إلى من يحب ، ولا يتمنى أن يطيل الحديث معه في غبطة وسعادة . فالصلاة عند هؤلاء المرائين تقليد أعمى لمن يراؤون ، أو غر ومظاهر تقوى يتباهون بها . وأمر اختياري لا فرض إلهي . ولذا يقدمون عليها هواهم ولهوهم ، ويضيعونها لأنفها الأسباب فربما ضيقت الصلاة من أجل حفلة أو نزهة أو حرصاً على أصباغ الوجه وتنسيق الشعر . وما أصدق قوله تعالى (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) إى وربى إنها كبيرة طويلة ثقيلة تشق على عبدهواه ، لأنها تعطل بعض شهواته وتنقص عليه لذاته . فيتبرم بها ويضجر من متابعتها وتكرارها . ويأسف على ما يبذله من مجهود ووقت في تأديتها ولا يطيق المداومة عليها وأن يتقيد بمواعيدها المتتالية التي تحبس حريته عما تقيد به مع الشيطان . فيحرص على تعجيل الفراغ منها ليفرغ للهوه ومتعه أو لعمله وبيعه بل ويعجز عن تكريس بعض وقته لها لأنه قد كرسه كله لهواه إذ لا يشعر بحب ربه ولا يكثر بغضه أو رضاه . . فهي لا تسهل إلا على الخاشع الذي يجد في مناجاته لربه سعادة روحه ومتعة قلبه . فيدفعه شكره وحبه لخالقه على إقامتها حتى الموت ، ولا تلهيه عنها سراء ولا ضراء ولا لهو ولا كسب (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) .

ولقد مدح الله تعالى المؤمنين ووصفهم بالخشوع في الصلاة وبالحفاظة عليها فقال : (في صلاتهم خاشعون) (على صلاتهم دائمون) (على صلواتهم يحافظون) (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة) وقال على لسان إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين دعا ربه : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) وقال حكاية عن عيسى صلى الله عليه وسلم (وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) وأثنى على إسماعيل بأنه (كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) وأنه لذلك (كان عند ربه مرضيا) وهكذا كان أول مامدح به إسماعيل هو تمككه بالصلاة والزكاة ودعوة أهله إليها .

وأمر الله تعالى بالصلاة وبالحث عليها وأمر الأهل بها والصبر على إقامتها . وهو بذلك

لا يسأل المصلى رزقاً بل هو الذى يرزقه ، فهو غنى عن صلاته وعن كل عباداته . وما أمره بالصلاة وأمره بأن يأمر بها أهله ، إلا لئلا تنهاه وتنهائم ، فتقى نفسه وأهله نارا وقودها الناس والحجارة ، وليكون له ولم حسن العاقبة فى نعيم الجنة جزاء التقوى ، كما بين تعالى فى قوله (وأمر أهلك بالصلاة . واصطبر عليها . لانسألك رزقاً نحن نرزقك . والعاقبة للتقوى) .

وقال تعالى على لسان لقمان ليعين لنا كيف كان ينصح لابنه ، ويأمره بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والصلاة أعظم معروف يؤمر به . وليعرفنا أن ذلك واجب الأب المؤمن نحو ولده (يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

وهكذا نفهم من آى القرآن وحديث الرسول : أن أمر الأهل بالصلاة وتنشئتهم على إقامتها من أقدس الأوامر الإلهية وأهم الواجبات على كل إنسان يؤمن بالقرآن . ولعظيم أهمية الصلاة وفائدتها للمرء فى الدارين : شدد الله تعالى الأمر بالمواظبة عليها ، وشدد الوعيد على تضييعها وإهمالها . ولذلك قال تعالى : (يقيمون الصلاة) ولم يقل يصلون فحسب . ومعنى إقامة الصلاة : المداومة عليها والاستمرار والمواظبة . فنعيم مقيم : أى مستديم . ودار المقامة : أى دار الخلود والبقاء ، ومعنى الإقامة أيضاً : التنظيم وإحسان التهيئة والتشديد . فأقام ولمية : أى أحسن تنظيمها وهياها كما ينبغى . وأقام منزلاً : أى شيده وجعله قائماً فوق الأرض متيناً متماسك الجدران . وأقام الصلاة إذن : أداها كاملة وأحسن أداها كما يجب . فاسمع لتشديد الله فى المحافظة على الصلاة وكيف أوجب للمؤمنين المحافظين عليها الخلود فى الفردوس . فقال (والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال (والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك فى جنات مكرمون) وقال (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلواتهم يحافظون) .

وبين تعالى أن لكل صلاة وقتاً معيناً وميعاداً محدداً لا تصح إلا فيه . فقال :

(إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) . وأنها إذا انقضى وقتها لا تعرض في غيره كالصيام لأنه سبحانه قال في الصيام (ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) ولم يقل ذلك في الصلاة، بل قال (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) وهذا منتهى التشديد في المحافظة على الصلاة في أوقاتها . فإنه تعالى لم يسمح بتأخيرها عن وقتها للمريض، بل أمره أن يصلي على جنبه بغير قيام ولا ركوع ولا سجود إذا عجز عن ذلك ولو كانت تقبل منه وتصح في غير وقتها : لجاز تأخيرها إلى زمن الصحة . وقد أمر تعالى المسلمين حال مواجهة عدوهم : أن يصلوا صلاة الخوف فيقصروا من أركانها ويستدبروا فيها القبلة ويسلموا قبل الإمام . بل يصلوا رجالاً أو ركباناً حتى لو لم يمكنهم إلا الإيماء أنوا بها على دوابهم إلى غير القبلة في وقتها . ولو قبلت منهم في غير وقتها وصحت : لجاز لهم تأخيرها إلى وقت الأمن .

وهذا يدل ويبرهن على أنها بعد خروج وقتها لا تكون جائزة ولا مقبولة منهم وهم يبذلون أرواحهم الغالية في سبيله وجهاد أعدائه . فكيف تقبل وتصح من صحيح لا عذر له يقدم عليها هواه أو مصلحته فيدعها حتى يخرج وقتها ثم يصلها متى شاء وكيفما شاء . فإن الغرض من الصلاة ليس عدد ركعاتها فحسب . إنما الغرض الأهم منها هو : التشرف باتصال قلب العبد بربه وذكره وشكره في هذه الأوقات المعينة في كل يوم ليسمو دائماً في درجات الكمال . ولو أنه كان الغرض منها صورتها وركعاتها لوجه الأمر إلينا بعدد من الركعات بدون تحديد هذه الأوقات .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فإن ذلك وقتها ولا كفارة لها إلا ذلك » قابل الناسي في الحديث بالنائم . فالناسي غير مؤاخذ كالنائم إذ لم يتعمد ترك الصلاة ولم تفته إلا بالرغم منه كالنائم .

ومعلوم أن من ترك الصلاة عمداً لا يكفر عنه فعلمها بعد الوقت إثم التنويت إذ يبقى معنى الحديث « من ترك الصلاة عمداً حتى خرج وقتها فكفارة إثم صلاتها بعد الوقت »

أى يتساوى من صلى في الوقت المحدد ومن صلى بعد خروجه . فهل هذا معقول أن يستوى الذين يحترمون أمر الله فيحافظون على الصلاة والذين يستهينون بها ولا يباليون بغضب الله ؟ وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقضاء صوم أيام الحيض في رمضان ولم يأمر بقضاء صلاة أيامه . وهذا يدل دلالة واضحة على أن لكل يوم صلوات محددة ينتهى وقتها بانطواء صحيفة ذلك اليوم كما قال أبو بكر : اعلنوا أن أهم أمركم عندى الصلاة . فإن من ضيعها فهو لغيرها أضيع . وإن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل . إن جناية الاعتقاد بصحة الصلاة ، وقبولها في غير وقتها المكتوب جناية عظيمة سهلت للشيطان أن يقطع القلوب عن ربها ، وأن يقيم للإنسان أتفه الأعذار لتضييع الصلاة ظناً منه أنه يستطيع قضاءها متى شاء ، فكم من جاهل جمع صلاة اليوم في غده ، بل وجمع صلاة الشهر وأجلها إلى الوقت الذى يلائمه فضيعها وضاع ، كمن تناول دواء شهر دفعة واحدة فانقلب نفعه ضرراً .

فيجب على المسلم الحريص على سعادته برضا ربه أن يحافظ على صلاته ويقدر وقتها وألا يمنعه عن إقامتها مرض ولا سفر ولا تعب ولا عمل ولا هم ولا هو ليكون من المؤمنين المتقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله ! (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) .

وتسهيلاً للصلاة ورحمة بالمصلين . جعل الرحمن الرحيم - الذى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر - : التيمم بدلاً من الوضوء والغتسال عند عدم المقدرة على استعمال الماء أو عند عدم وجوده . وشرع للمسلم أن يصلى حيث استطاع . فإن لم يستطع قائماً فليصل قاعداً . فإن لم يستطع فمضطجعاً . فإن لم تيسر له القبلة فحيث توجه . فإن لم يتيسر له ماء ولا تيمم صلى بلا وضوء ولا تيمم كالإنسان به جراح أو بشور بوجهه أو بيديه أو ماشابه ذلك . ولا يأذن الله له فى تأخير الصلاة عن وقتها . بل المريض أحق وأولى بالمحافظة عليها تضرعاً إلى الله ليعافيه . أو ربما يكون قد دنا أجله فيختم له بالإيمان والطاعة .

أما تارك الصلاة : فإنه عبد تافه ، استكبر عن الخضوع لسيده . وغلوق ضعيف جاهل
تمرد على خالقه ، ومملوك حقير خرج على مالكه واستهان بأوامره وقرآنه ، ولم يسجد لمولاه
طائفاً شاكراً ، فكفر بفضله وإحسانه . قال تعالى : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين) وقال : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

والصلاة : رأس العبادة فإنه تعالى لم يخلق الإنسان ثم يتركه سدى (أيحسب الإنسان
أن يترك سدى) . وإنما أعطاه هذه الحياة ليتلوه ، فجعله سمياً بصيراً ، وهداه السبيل :
إما شاكراً ، وإما كفوراً .

فتارك الصلاة عمداً استهانة واستخفافاً ، لم يمتنع بواجب الشكر والطاعة لمن خلقه ورزقه
فكان كافراً كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » .
وقال « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

وقال تعالى : (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) . وهذا
نص صريح في كفر تارك الصلاة ، لأن الله وصف الذي يؤمن بالآخرة ويؤمن بالقرآن ،
بأنه يحافظ على صلاته إذ لا بد لمن يؤمن باليوم الآخر أن يستمد له بإقام الصلاة . وكل من
يصدق بالقرآن لا بد أن يؤمن بما وعد الله به في القرآن المقيمين الصلاة ، فيحافظ عليها
خوفاً وطمعاً .

وقال تعالى : (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون . ويل يومئذ للكذابين) فحكم على
تارك الصلاة بأنه مكذب بكتابه ولقائه ، وأنه ما امتنع عن الركوع والسجود إلا لأنه لم
يصدق وعده بالفلاح للمصلين ، فلو صدق لصلى كما قال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن
كذب وتولى) .

قال ابن القيم : وقد خص الله سبحانه المؤمنين بها بأنهم أهل السجود ، فلم يؤمن بقوله
تعالى : (وأقيموا الصلاة) إلا من التزم إقامتها .

وقال تعالى : (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل
مرصد . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، غفلوا عنهم إن الله غفور رحيم) .

أمر الله تعالى المؤمنين بألا يرفعوا سيفهم عن أعناق المشركين ولا يكفوا عن قتلهم حتى يقيموا الصلاة . فإن لم يقيموا الصلاة ، فإنهم لم يدخلوا الإسلام . فشرط في صحة التوبة وإخراجها إياهم من الشرك إلى الإسلام : إقامة الصلاة .

وقال تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة) قصر الولاية وحصرها في المؤمنين ووصفهم بقوله : (الذين يقيمون الصلاة) فبين أن إقام الصلاة آية الإيمان ، وذلك لأنه من المحال أن يكون الرجل مصداقاً تصديقاً جازماً : أن الله تعالى فرض عليه في كل يوم ليلة خمس صلوات وأنه سيعاقبه على تركها بأشد العذاب ، وهو مع ذلك يصبر على تركها . هذا من المستحيل قطعاً . فإن الإيمان يأمر صاحبه بها ، فحيث لم يقر في قلبه ما يأمره بها ، فليس في قلبه شيء من الإيمان .

وليس الإيمان مجرد اعتقاد صدق الخبر دون الاقبياد له ، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيماناً ، لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح مؤمنين . قال تعالى : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) والجحود لا يكون إلا بعد معرفة الحق . فالتصديق لا يصح ولا يعتبر إيماناً إلا بالعمل .

فما أعظم خزي تارك الصلاة يوم القيامة . وما أشد ما يسري يومئذ من الندامة . إذ يجلس الله المؤمنين المصلين على أرائك الرضا ويمنّ عليهم بالأمن والسلامة ، فيستخرون من المجرمين قائلين لهم : ما سلكنكم في سقر ؟؟ وقد كنتم في الدنيا فرحين مرحين . (قالوا : لم نك من المصلين) فيزيدهم ذلك خزيًا على خزيهم ثم يزيد الله المؤمنين نعيماً وسروراً فيشرفهم بالسجود له مع الملائكة المقربين ، ويحول بين المجرمين وبين هذا الشرف العظيم لأنهم ليسوا له أهلاً ، إذ كانوا في الدنيا قد أعطاهم الله السلامة في أبدانهم والعافية وسهولة الحركة في أعضائهم ثم دعاهم إلى السجود شكراً على ما أعطاهم وأسبغ عليهم من نعم ، فأبوا وكانوا من الكافرين . فجازاهم في الآخرة أمام الخلائق بهذه الإهانة وسود وجوههم بإرهاقها بالذلة . فاسمع لقوله تعالى : (يوم يُكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) .

نعم . فقد كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود وهم سالون ، فلم يستجب من حق عليه العذاب لمن شرفه فدعاه . واجترأ على عصيان من خلقه فسواه . ومن لم يتشرف بالسجود لربه ولم يحظ برضاه . فهو حقير مهين مهما كان ثرياً عظيماً أو ملكاً جليلاً . إذ ليست الكرامة وعلو الدرجة لمن حظى بالثراء والعلو في الحياة الدنيا . بل لمن حظى بشرف الإيمان والتقوى . كما أكد تعالى في قوله : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

فاحرص على نجاة نفسك من العذاب يا من تخشى العذاب ، وسارع إلى التوبة من ترك الصلاة من قبل أن يجيء يوم لا ينفعك فيه مال ولا بنون . واسمع لتحذير الله تعالى : (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق) .

عقيدة القرآن والسنة

يقية المنصور على ص ٢٥

سبحانه فحسب ، ولكنها تدل أيضاً على وحدته وعلمه وقدرته ومشيبته وحكمته وجوده ورحمته ، وغير ذلك من صفاته التي ترجع إليها أفعاله ، فالمعقولات دالة على الأفعال ، والأفعال دالة على الصفات ، وهي تدل على وجود الموصوف بها جل شأنه . يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد :

« فأما المعقولات : فإنها دالة على الأفعال ، والأفعال دالة على الصفات ، فإن المفعول يدل على فعله ، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيبته وعلمه ، لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة » اهـ . يتبع

تنبيه الأذهان

تأليف الأديب الأستاذ محمد صالح سعادته

كتاب قيم يؤيد دعوة الحق بحجج دامغة وأسلوب متمع ، ويهدم دعوة الباطل ، ويرد كيد أعداء الدعوة إلى نحورهم ، صدر في ٢٧٢ صفحة ثمنه ٢٠ قرشاً يطلب من مكتبة الجماعة

محمد عبده

بقلم محمد - الإمام الحاج

في قرية صغيرة . . لاتكاد تظهر في خريطة الدنيا . . ولا تكاد تبدو من معالم الأرض . هناك في مديرية البحيرة . مركز شبراخيت . في قرية محلة نصر في سنة ١٨٤٩ م . رزق الفلاح البسيط عبده خير الله بابنه الأول « محمد » ورزقت به السيدة الوقور « جنيته » ابناً ثانياً . فقد كانت أما لطفل آخر ، من زوج آخر ، وعلى عادة الريف ذهب الطفل الصغير ليحفظ القرآن الكريم . فيتم حفظه في عامين على أحسن ما يكون . ويشد الرحيل بعد ذلك إلى المسجد الأحمدى بطنطا ليجالس العلم . ويخالط العلماء .

ولكنه يسمع من العلماء شيئاً لا يفهمه . شيئاً لا يستسيغه . فيفر هارباً إلى بلده بعد عام ونصف عام . وهو كما هو . لم يتقن درساً . ولم يستفد علماً . مفضلاً العمل في الزراعة . عن ذلك العلم الذي كان يلتقي بالمسجد الأحمدى حين ذاك .

وفي صباح هذا المبكر . يعرض عليه والده الزواج فيتزوج إحدى بنات العائلة وهو في سن السادسة عشرة من عمره .

ثم . . .

ثم يأتيه والده بعد أربعين يوماً من زواجه ويرغمه على أن يعود لمتابعة العلم بالمسجد الأحمدى مرة أخرى .

ولا يستطيع الشاب الصغير أن يقاوم إلحاح والده فيعود إلى طنطا . ومرة أخرى يجد نفسه في المسجد الأحمدى محاطاً في بداية عهده بالعلم . بالجدوين والدرائش .

وهكذا يبدأ الشيخ حياته متصوفاً . ويذهب بتصوفه إلى الأزهر سنة ١٢٩٢ هـ .

فماذا يجد في الأزهر الشريف . . ؟ ماذا يجد في الجامعة الأزهرية . تلك الجامعة التي كانت المنارة التي يهتدى بها الناس في ظلمات الحياة وديابجرها . . ؟

ماذا يجد في الجامع الأزهر . . ؟

أنه يجد أن « كل جديد في رأيهم بدعة . وإس أحسن عندهم من بقاء القديم على قدمه . فإقرار النظام محل القوضى يذهب بروحانية الجامع . واستبدال الحفريات بمحوض الوضوء يزيل بركته . وإنشاء الصيدلية فيه لمعالجة المرضى بالمقاير الأوروبية خروج عن ماعرف به السلف الصالح من التسليم بقدر الله .

والاهتمام بالنظافة تفرنج وتمنث يبعدان بالطلاب عن روح الرجولة والفضيلة .

يجد . « أن الناس يأتون إلى الأزهر إما رغبة في تعليم علوم الدين رجاء ثواب الآخرة . وإما طمعاً في بعض الامتيازات لطلاب العلم فيه . »

ووجد بعد ذلك كلمة « عدم الدفاع في دروس الأزهر ، فلا يسأل التلميذ فيه أيام الطلب عن شيء من أعماله . . ولا يبالي أستاذه حضر عنده الدرس أم غاب . فهم أم لم يفهم . صلحت أخلاقه أم فسدت . »

ورأى « كثيراً من الطلبة الذين لبنوا فيها - في الجامعة الأزهرية - خمسين سنة ،

وستين . وأكثر من ذلك وهم يطلبون العلم !! .

كل هذا . وأكثر من هذا بما لا يستحق سرده في هذا المجال .

أضعف كل ذلك من أثر الوسط الأزهرى وتعاليمه وأنماطه في أستاذنا منذ بدايته .

ورأى أن يستقل برأيه عن ذلك الهوس وتلك الجهالات التي كان يعيش فيها العلماء .

ومرت على الشيخ فترة اعتزل فيها الناس ، واشتأز منهم وزهد في معاشرتهم ، وثقلوا

على نفسه إذ وجدهم بعيدين عن الحق ، زاهدين فيه .

ولكن كان في حياة الشيخ شخصية أخرى لا شك أنها كانت يداً تسنده وتباركه .

هذه الشخصية الخفية وراء حياة الشيخ هو خال أبيه : الشيخ درويش خضر . . إذ كان

يمحرك همته قائلاً : « إلى متى هذه العزلة . . ؟ وما الفائدة في العلم والتحصيل إذا لم يكن

لك نور تهتدى به . ويهتدى به الناس . لو كانوا جميعاً مهتدين لما كانوا فى حاجة إليك . .
ثم يصحبه إلى مجالس العامة ويفتح الكلام فى الشئون المختلفة ويوجه إليه الخطاب
ليتكلم . فيتكلم الحاضرون فيجيبهم وينطلق فى القول على وجل من أول الأمر . . حتى
يجد فى نفسه شيئاً من الألفة مع الناس . والاستئناس بمكالمتهم .

* * *

وفى سنة ١٢٨٨ هـ حضر جمال الدين الأفغانى فى مصر . وكان يسعى لتخليص دول
الإسلام من النفوذ الأوروبى - ماديهِ وسياسيهِ - وأن يعمل على رقيها ويجمعها بممالك
مستقلة متحدة تحت لواء خليفة واحد . . مكونة لدولة قوية قادرة على صد العدوان
الخارجى . وفى سبيل هذا الأمل العظيم قضى جمال الدين الأفغانى عمره مهاجراً منتقلاً من
بلد إلى بلد دون أن يتخذ زوجة ودون أن يلتمس كسباً .

وكان من الطبيعى أن تلتقى روح ناثرة بروح ناثرة . وهكذا التقى محمد عبده وجمال الدين
الأفغانى وظل هذا اللقاء مايقرب من تسع سنوات متوالية .

واستطاع جمال الدين الأفغانى بتعاليمه المتحررة وأفكاره النيرة أن ينقذ الشيخ من
بعض الأفكار الصوفية الخبيثة التى كانت تحاول أن تبعده عن شرف الجهاد والإصلاح .
ولما نال الشهادة العالمية وهو ابن ثمان وعشرين سنة شعر لأول مرة أنه انتصر على
خصومه الخاقدين أعداء الإصلاح برغم جاههم وعصبيتهم . وزاده ذلك نشاطاً فجمع كل
ما فى نفسه من قوة الشباب . . وقوة العلم . . وقوة الرغبة فى الإصلاح . ووجه جميع ذلك
إلى العمل لإصلاح الأزهر . لاعتقاده أن صلاح أهل الأزهر صلاح للبلاد وأهلها . فإنا
لا نسمع إلا فعالمهم . ولا نرمى إلا أحوالهم . بل لا نسمع إلا بأذانهم . ولا نبصر إلا بأبصارهم
ولا ندوق إلا بذائقهم ولا نتكلم إلا بالسنتهم . حيثما مالوا مانا . وما ملوا مللنا . » .

ولكنه لا يجد أنصاراً يقفون معه . ولا أتباعاً يسمعون له . والكل يحاربه ،
والكل يعاديه . . والكل يحذره . . الخديوى ومعه بطانة القصر . . العلماء . . ومعهم
زبانية الدجل .

ويطل الشيخ محمد عبده من غرفته الصغيرة التى تطل على ذلك السوق العلمى . العجيب الواسع الأرجاء ، حيث يتلاقى الطلبة من أقصى بلاد الإسلام ، وحيث تختلط اللغات واللهجات المختلفة المتباينة بترتيل القرآن وذاورس المعلمين . وهو يشرف على ذلك كله وقد أرهقته المتاعب ، وأثقلت ظهره السنون . فيقول متنهداً ، وكأنه يخاطب الجمع الحاشد : « هأنذا كما تروننى وحيداً ، ليس لى من الأساتذة من يساعدنى ، ولا من دعاة الخير من ينصرنى . . أريد أن أعلم فى هذه الجامعة شيئاً نافعاً بدلا من هذه الشروح العتيقة البالية . الخالية من المعنى .

ولكن هل أجد من يساعدنى على ذلك ؟ .

وإن لم أجد . . فهل أقف فيه وحدى ؟ .

ولكنه لم يجد من يساعده وظل يعمل وحده كأنه النذير الذى جاء ليوقظ الأمة من رقادها ، فكان المصلح الاجتماعى . . والدينى . . والسياسى والثقافى . . فى آن واحد . . !!

* * *

ومن أجل ذلك خرجت أفاعى الحق تتبع خطاه ، وتبث السم فى الدسم الذى يقدمه للأمة ، وتبعث بالموت من حيث هو يبعث الحياة . . !!

ومن أجل مبادئه هذه السامية ، من أجل التجديد الذى نادى به ، من أجل الحياة التى فتح أبوابها المغلقة ، وحطم متاريسها الصدئة . .

طورد . . وعذب . . ونقى وشرد . . !!

ولكنه كان يجد فى كل مكان يذهب إليه أهلا وأخوة . . وفى كل بلد يمر فيه أحباباً وأنصاراً .

وفى سنة ١٢٩٧ هـ عين الأستاذ الشيخ محمد عبده محرراً فى الجريدة الرسمية ثم رئيساً لتحريرها . . وبهذا صار الأستاذ كالمسيطر على أعمال الحكومة . . والربى للأمة . . ولكن . .

ولكن . . يشاء الله أن يخطف هذا النجم اللامع بعد أن أدى ما عليه للوطن وللدن وللمجتمع . . ويعتريه مرض عضال وهو فى أوج مجده . . فيستسلم لداعى السماء ليلقى ربه فى

اليوم الحادى والعشرين من يوليو سنة ١٩٠٥ بعد جهاد عنيف مع الباطل .. وكفاح مرير مع الضلال ..

* * *

ومنذ أيام قريبة جلست مع السيدة الجليلة فاطمة عبده أخت الشيخ الإمام محمد عبده ..
والبقية الباقية من إخوانه الثلاث ..
إنها تعيش فى عين شمس .. فى نفس المكان الذى عاش فيه الأستاذ الإمام ثمانى
سنوات من حياته الحافلة ..

إنها مازالت تذكره .. مازالت ترى بشاشته فى كل حجره ..
إنها تعيش فى صورته .. تعيش فى ذكرياته .. تعيش فى جهاده وكفاحه ..
وهى تحدثك عنه فتنتقل خمسين عاماً إلى الوراء لتعيد فتنتلك ألف عام إلى الأمام ..
إلى حيث كان الإمام يود أن يرى العالم الإسلامى فى يوم من الأيام .
« الهدى النبوى » إنصافاً للحق ، تقول : إن الشيخ لم يتجرد التجرد الكامل ،
للسلفية الخالصة ولم يسهم بالنصيب المرجو ممن كان فى مثل منصبه فى بيان حقيقة الدعوة التى
جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم . شغله النضال السياسى عن النضال الدينى الحق ، كان فيما
يكتب الكثير من الفلسفة والكثير من التصوف ، والقليل القليل من السلفية الخالصة .

من كلمات الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

- لا ينبغي لإنسان أن يذل فكره لشيء سوى الحق .. والدليل للحق عزيز ..
- يا ويح الرجل الذى ليس له أمة .. !!
- إنما نعار الباطل فى غفلة الحق عنه ..
- إن الذى يحفظ العلم .. العمل به ..
- لا يكون أحد صادقاً ومخلصاً ، حتى يكون شجاعاً .
- أشد التعب أن ترى من حولك مرضى ولا تستطيع معالجتهم .

التضحية في سبيل العقيدة

الصحابي البطل : عامر بن ثابت

بقلم الأستاذ محمود محمد البرماوى

أنا ابن الأفلح

فتح التاريخ فاه إكباراً لهذا الرجل ، الذى حوّل مجرى الزمن وغير معالم الأرض ،
وحطم الطواغيت بآيات وافتحات وبراكين ساطعات وحجج بينات .
وفتح التاريخ مرة أخرى صفحات ناصعة البياض يكتب فيها أروع آيات البطولة لنصرة
الحق وإعلاء شأن الدين . ومحو آثار الشرك :

هذا هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الشريعة الإسلامية . ومعه أصحابه فرسان
الوغي وصناديد الحرب يخوضونها إعلاء لكلمة الله .

وهؤلاء كفار قريش على كواهلهم آصار الجاهلية . وفي قلوبهم حسرة على ضياع المجد
الزائف والعز الضائع ، خرجوا يلتقون بالرسول عند الجبل ، تتقدمهم طبول الحرب وتشيّعهم
زغاريد النساء ، وفي وسطهن [سلافة بنت سعيد بن سهم] إن لها جمالا رائعا ، هذا الجمال
يستبي أصعب الرجال مراسا ، ويأسر أصلب الشجعان قلباً ، يكنى أن نتسم في وجه الفارس
وتعده بجسدها الجميل وتفرها اللؤلؤى فتجمع الناس لقتال محمد . . . وتصرخ في ولديها
[الصقرين] والحقدياً كل قلبها : حرمت عليكم نساءكم وحرمت عليكم الخمر حتى ينتهى
أمر محمد ، فإن لم تقاتلوه خرجت لقتاله النساء .

وفوق الجبل التحم الجيشان ، وتطاير الشرر ، وتكسرت النصال على النصال ، ولاح
النصر للمشركين سرايا ، وأيقن جند الله بالفوز .

وتقف سلافة تنتظر بمين جاحظة إلى صدر ابنها الكبير [مصعب] قد اخترقه سهم
مريش مدّد نفذ إلى القلب فتحنى عليه انحناءة فيها حسرة . وتقول من أصابك ؟ فيقول

في حشرجة : لا أدري ، ولكن الرامي كان يرمى السهم فلا يخطيء من يصوبه إليه ويقول خذها وأنا ابن الأفلح .

ثم تلتفت إلى « الصقر » الثاني [صفوان] فترى سهماً انطلق إلى رأسه مزق فروتها واستقر في الجمجمة ، فتسرع ، لتتزع السهم ، ولكن هيهات لقد ارتقى ولدها يرفس الأرض ويتقلب ويقول : أماء ، رمانى ابن الأفلح ..

وترجع آخر النهار مع فلول جيش منهزم على وجهه قتار الخزي وعلى رأسه غبرة العار وتنظر سلافة عن يمينها فلا ترى مصعباً وعن يسارها فتفتقد « صفوان » فيصيبها السعار ، وتنطلق في الصحراء تحلف باللات والعزى وجميع الحجارة التي تعبدها ألا تشرب خمرأ إلا في حف رأس [عاصم بن ثابت ابن الأفلح] ويصبح هذا الاسم رمزاً للقوى الذي يدافع عن الحق والبطل الذي ينافح عن فكرة ورأى . ولكن من ياترى يستطيع أن يصصره ؟؟ لابد من الخيانة فهذا البطل لا يقتل إلا غيلة في مسجد أو على حين غرة في صلاة . أما أما وجها لوجه فهذا هو الأمر العسير .

الوعد الكاذب

إن الذي يقتل ابن الأفلح ويعطى رأسه « لسلافة بنت سعيد » سينال مائة من الإبل . مع ليلة قانية الاحرار في بيت [سلافة] مع شهرة ذائعة .

وتقاطر الأعراب يرجون الحصول على المكافأة ، ويحملون بالليلة التي تقضى مع هذه الغانية « أم الصقرين » .. وكان أكثر الأعراب حباً للإبل المائة [جبير ابن سهم] شقيق سلافة إذ كان رقيق الحال لا يحصل على رزقه إلا كما يحصل الثعلب الماكر . والنمر الشرس . فكر « جبير » أياماً حتى اختمرت الفكرة ، وأخرجها إلى حيز التنفيذ حينما ذهب مع وفد من هذيل أقوياء ، يجيدون أساليب الختل والخداع . ووصل بهم إلى المدينة فخبأ أكثرهم حولها ، واصطحب منهم ستة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يزعمون أن الله شرح صدورهم للاسلام ويرجونه أن يرسل لهم من يُبَصِّرهم بالأحكام .

ولما كان الرسول لا يعلم الغيب ولا يكتشف الحجب ولا يعرف ما يدور في أذهان الناس ، ولأمر ما أراد الله لم يطلعه على نوايا هؤلاء الأحماس . أرسل الرسول مع الوفد ستة من صحابته ، على رأسهم البطل المغوار عاصم بن ثابت بن الأفلح .

برح الخفاء

ويسير الوفدان . وقد امتلأ كل وفد إشراقة وبهجة . فوفد الرسول يعرف أنه سيرشد إلى الدين ، ويهdy إلى الخير وينظف الأدمغة الحيرى من دنس الجاهلية ، وأوضار الشرك وأقذار التقليد .

ووفد « جبير » تغمزه السعادة فإن رأس ابن الأفلح تترنح وتهتز للسقوط ولم يبق إلا أن يصلوا إلى المكان الذى اختبأت فيه جماعة هذيل . حتى إذا بلغوه صرخ « جبير ، إنه لا يطلب إلا رأس عاصم بن ثابت بن الأفلح » فمن دافع عنه هلك ، ومن تركه نجا بحياته . لكن أصحابه أبوا إلا أن يموتوا قبله . أويحكم الله بينهم وبين هؤلاء الخائنين .

وامتدت الحرب ساعات طوالا بين فريقين غير متكافئين . لكن النفر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يستشهدوا إلا بعد أن أفنوا من جاء من هذيل حتى لم يبق غير « جبير » وعميرة بن النصر ، وجريح مطروح فى الصحراء منهم هو العباس بن عامر القرشى ، وظل عاصم يقبل على غريمه ثم يدبر . ويكر ويفر حتى أراد الله أن ينطلق سهم طائش إلى صدر البطل فينظر إلى الدم الغزير يتدفق فيتسم فى علو ، ويشرق وجهه فى رفعة فهذه هى الشهادة قد آن له أن ينالها ...

لكنه ينظر إلى القرشية . [سلافة ، التى توعدته أن يشرب الخمر فى حفلة رأسه كما صرح له جبير ، وهو يراوغه فى القتال . فيقول بصوت خفيض يارب إننى طلبت الشهادة فأعطيتها . اللهم لا تمكن جسدى مشركا ولا تسلم جثتى إلى كفرة . وأغمض العينين فى غيبوبة دائمة إلى الأبد وفرح ابن جبير « أيما فرح فقد نال بغيته وأصبحت رأس ابن الأفلح » بين يديه فيتهز للنصر ويتأيل للعطاء . يغمض العين فيرى قطارا من الإبل ثم يفتحها فيجد رأس « عاصم » على مقربة منه .

« عناية »

ثم يتحول إلى الرأس يريد أن يحزها فيجد أن الله قد أحاطها بظلة من الدبر « النحل »
تقوم دونه فتحميه ولا يستطيع أحد كائناً من كان أن يصل إلى هذه الرأس .
و يشير العباس بن عامر « الذي أصابه شج عظامه ورماء في الصحراء . يشير إلى جبير »
أن يتريث حتى يأتى المساء فيصرف الليل الدبر وعند ذلك يقطع جبير وصديقه عميرة رأس
غريمهم . وظل الثلاثة يترقبون الليل حتى أقبل . وأقبل الليل ومعه سيل جارف وتيار
مزجر ، وريح عاتية وطوفان صخّاب حمل الجسد إلى حيث لا تراه عين ولا تصل إليه قدم ..
ووقف جبير مذعوراً ووقف صاحبه محسوراً . ونظر إليهما صاحبهما مسروراً لعله اطلع على
سر أو سمع مالم يسمعه صاحبه . ولو سمع ما لم يصدقا .

غدر وصراع

إنهما ينتظران تسليم الرأس باليمين لتمتد إليهما الأنامل الرخصة اللينة بالعتاء ، فإلى أى
ناحية يسيران بعد هذا الفشل؟! إنهما سمعا صوت صاحبهما الجريح يقول : يا أخوى ، سمعت
قتيلكما يقول وهو يلفظ آخر انفاسه : اللهم إنتى حميت دينك أول النهار ، فاحم لحى آخر
النهار . فهاج جبير وعفر وجه محدثه بالتراب وسار مطأطىء الرأس يرخى أهدابه فيرى قطار
الإبل ويفتح عينيه فيرى الخلية ، وظلام الدنيا أحلك من الظلام الذى فى قلبه .
أما صاحبه عمير . فإنه أراد أن يرى الإبل المائة حقيقة ، وطرأت عليه فكرة . إن وجه
صاحبه « جبير » يشبه إلى حد ما وجه ابن الأفلاح : بعد حفرة صغيرة بجوار العين ، وتتوء
بجوار الخد ، وجدع خفيف للأنف ، وقطع بنسيط من شحمة الأذن .. إن الفرصة إذا دنت
فلا بد من اقتناصها . من يستطيع إنكار المعركة التى دارت ، ومن يأت برأس عاصم من
السليل .. واغتم الفرصة ورفع السيف ونزل به على رقبة « جبير » فأطاحها بضربة قاسية
ونزل بها فى مكان يسوينا ويهذبها لتكون على غرار رأس ابن الأفلاح . وانتهى من الرسم
والتصوير ، والحفر والتحوير . وطوى الصحراء نفوراً مغروراً ، يوم سلافة لينال منها فوق
ما يريد ... « لها بقية »

ومن الأنخ الحبيب الأستاذ عبد الرحمن ذهب بالسودان :

إخواني جماعة أنصار السنة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

علمت بوفاة والدنا الربى الشيخ محمد حامد الفقى ، رحمه الله رحمة واسعة ، وألهمنا جميعاً الصبر . (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) . إن دعوة أنصار السنة مسئولية خطيرة ، وأن الله سبحانه وتعالى سائل كل فرد عما قدمه من جهد فى سبيل نشر الدعوة ، وكل فرد منا جندى مسئول مسئولية كاملة .

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) .

لقد لقي حامد ربه الكريم الغفار ، ونشهد أنه أدى الأمانة وجاهد فى سبيل الحق خير جهاد . فلئن جاز لنا البكاء . فواجب علينا أن نستشعر أنفسنا المسئولية التى تصدىنا لها ، فلنؤدها فى قوة وعزم ، فإن هذا الاسم - أنصار السنة - يطالبنا أمام الله بكل حقوقه ، فهيا إخواني فلنؤكد ولنجدد عهدنا الأول (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا) . وعزاء وصبراً .

ومن الإخوان فى كادقلى بالسودان هذه البرقية :

إلى أنصار السنة بالجمهورية العربية المتحدة - بالقاهرة .

فجعة المسلمين فى الشيخ محمد حامد الفقى عظيمة ، نعزيكم والمسلمين قاطبة ويرحمه الله .

العوض أحمد ، و خليل محمد ناصر ، وزكى الصائغ

وجاءنا من الأنخ محمد بن على بن أحمد بافضل — من مقدشو صوماليا ، الرسالة التالية :

جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة — السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد ، فنتقدم إليكم مع بالغ الأسى وعظيم الحزن بالتعزية فى فقيد الإسلام وفقيد السنة

صاحب الفضيلة الشيخ محمد حامد الفقى . رحمه الله جزاه خيراً وأخلفه بخلف صالح ليتبوء

تلك المكانة السامية والاضطلاع بحمل الأعباء الشاقة . . عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم .

لقد كان لهذا النبأ المفجع هزة عنيفة فى قلوبنا ، وارتباك فى ألسنتنا واضطراب فى

أفكارنا ، لما للراحل الكريم من محبة في أفئدتنا ، لخدماته الجليلة وأعماله المشكورة ،
وثباته في السعى نحو تدعيم السنة بكلتا يديه ، ومؤلفاته التي خلدها في سجل الدهر ، والتي
سيكتسب المطلع عليها دراية كاملة في دينه ، وفهماً تاماً بسيرة نبيه ، فجزاه الله عن الإسلام
خيراً . وأحله منازل المقربين ، وأعلى درجته في عليين .

وختاماً تقبلوا من إخوانكم أنصار السنة بالصومال جميل العزاء وعظيم الولاء ،
وأكيد المحبة .

وجاءنا من الطائف هذه البرقية من الأخ محمد شوقي .
نشاطركم الأحران في فقيدنا ووالدنا الراحل ، نغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح
جناته آمين .

وجاءنا من الداعية الكريم الأخ الفاضل الأستاذ عبد الله صالح الفارحي من زنجبار
رسالة تعزية نبيلة ، نشكره عليها أجزل الشكر ، ونعد الأخ الكريم بأننا بإذن الله
سنحقق له ماطلبه ، ونسأل الله أن يعينه على نشر الدعوة ، وأن يؤيده .
ومن إخواننا الأفاضل بالعراق هذه الرسالة :

﴿ وداعاً يافقيد العروبة والإسلام - وإلى الأبد ﴾

نحن مشتركو هذه المجلة الغراء من أبناء الجمهورية العراقية - لواء كركوك :
لقد حملت إلينا المجلة نعي أستاذنا المفضل ، وقد وقع علينا هذا النبأ وقع الصاعقة .
لقد هزنا هزاً عنيفاً جسامه المصاب ، وأعظم الكارثة ، لقد بقينا في حيرة ودهشة وأسى
عميق وقلوب مكلومة .

وقد ذرفنا الدموع الغزار ، ورددنا عبارات الحزن ولواعج الأسى ، علناً نتخفف عما
أصابنا من هذا المصاب الجلل ، ولكن ومع هذا لم نقل إلا ما يرضى الرب سبحانه وتعالى .
(إنا لله وإنا إليه راجعون) .

لقد قرأنا لفقيدنا الراحل تفاسير ومؤلفات وردوداً وغيرها ، ومنذ اللحظة الأولى التي
اتصلت أنظارنا بكتاباته اتصلت قلوبنا به أيضاً ، وحقاً وجدنا أقواله خارجة من قلبه

الظاهر ، فلم ترض إلا القلوب مثوى لها .

نعم . يافقيد الإسلام ، كانت عباراتك التي تحمل بين طياتها كل معاني الإخلاص والتي غذت عقولنا خير الغذاء ، وتفقهنا على يديك بصورة غير مباشرة فجزاك الله عنا خير الجزاء ، وأسكنك فسيح جناته .

إذا فليس من العجيب أن نبكيك يا أستاذنا الوقور ، كيف لا نبكيك وأنت ذاك العالم الورع ، والحارس الأمين لنصرة دين الله القويم .
كم وكم وقفت موقف العالم الثبت ترد أباطيل خصوم الحق وتظهر الحق أبلغ كفتل الصبح . أمام من غاب عنهم وكم ، وكم كانت مواقفك المشرقة التي ترفع راية العلم خفاقة عالية ، وكنت آنذاك كالطود الأشم في موقفك أمام أباطيل الخصوم ومروجي الخزعبلات ، وكنت أنت أنت الصخرة التي تتحطم عليها افتراءات المبطلين ، المارقين والمشعوذين .

خطبٌ عظيمٌ أعقب الأحرانا بل هذ من ركن التقى أركاننا
يا طيب اصبر واحتسب أو لا ترى حكم المنية يصرع الإنساننا
لقد أفل كوكب من كواكب الإسلام ، طالما أثار السبل وهدى إلى الحق بهدى محمد المصطفى لمن استنار بضياءه ، واقتبس من سنائه .

لقد هوى علم من أعلام المسلمين الأماجد ، ذلك الشهم الذي كان يحمل راية الإسلام خفاقة حتى وصل ظلها إلى أقصى حدود المعمورة .

فرحمك الله يا أبا الطيب ، يامن كنت لنا نعم الأستاذ ، ونعم الأب ، ونعم العالم الورع الذي كنا نرتشف من مداد قلمك القرآني .

اللهم إنا نسألك وتنصرع إليك بأن تجعل قبره روضة من رياض الجنان ، وأن تبدله أهلاً خيراً من أهله وداراً خيراً من داره ، وأن لا تحرم أهله وذويه ، ونحن أيضاً من أجره ولا تفتنا بعده ، وأن تغفر لنا وله ، وأن تلحقنا به على الإيمان الصادق والعمل الصالح عزاً ونا في هذا المصاب الجلل إلى ولده البار ، وأهله أجمع ، وإلى تلاميذه وإخوانه في

(البقية على الصفحة التالية)

التبرعات لمسجد الله

ودار الجماعة

تفضلت وزارة الشؤون الاجتماعية فددت أجل التبرعات لبناء المسجد والدار ثلاثة أشهر. أخرى ، وقدرت تكاليف هذا المشروع بنحو أربعين ألفاً من الجنيهات ، وإن الجماعة لتشكر أجزل الشكر هذا البر الكريم بدعوتها بمد أجل هذه التبرعات ، وندعو جميع إخواننا إلى أن يسارعوا إلى تحقيق هذا الخير الكريم لأنفسهم ولدعوتهم ، وقد بادر الكثير من إخواننا مشكورين وسارعوا إلى هذا الخير الوفير من الجمهورية العربية المتحدة ، ومن البلاد العربية الإسلامية الأخرى وما زلنا ننتظر من إخواننا المبادرة إلى هذا العمل العظيم .
فهم يا أخى وأجب داعى الله .
(يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحسمكم) .

(بقية رسائل القراء)

الجهاد ، وإلى جميع أهل الدار قاطبة ، ونحث إخواننا من زملاء وتلاميذ الراحل العظيم أن يلتفوا حول المركز العام معتصمين بحبل الله ، متعاونين على البر والتقوى .
إبراهيم عبد الحميد الحيورى ، الحاج إبراهيم الصالح ، إبراهيم عيسى ، عبد الرحمن عبد اللطيف ، على عيسى ، محمد حسن ، عباده مصلح ، خلف أحمد ، إبراهيم محمد ، حميد الصالح ، خلف العوضى ، إبراهيم الحاج عزيز ، ملا عمر ، جاسم الصالح ، دخيل محبوب ، صالح المصلح .

كركوك - العراق - شركة النفط العراقية - دائرة سى . إى . بى .

التمن ٢٠ ملابا

مطبعة السنة المحمدية

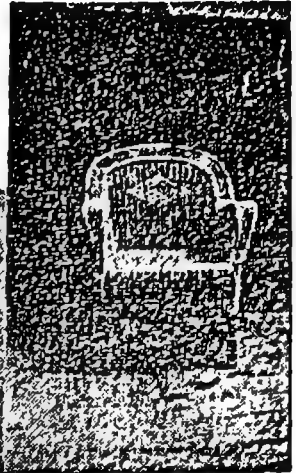
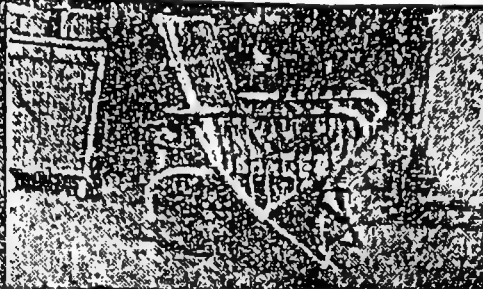
١٧ شارع هريف بلاسا الكبير

٧٩.١٧ ٥

في أي مكان تجده يتألق ويزهو



آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران
الكرسي النموذجي
انشاج، حسن علف حفاة



انه الكرسي النموذجي

في المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

موبيليات العرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل

من علي صماد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندی سجل تجارى ٤١١٠١

الجودة

حسن المعاملة

الأمانة

بمحللات

الحاج زكير على

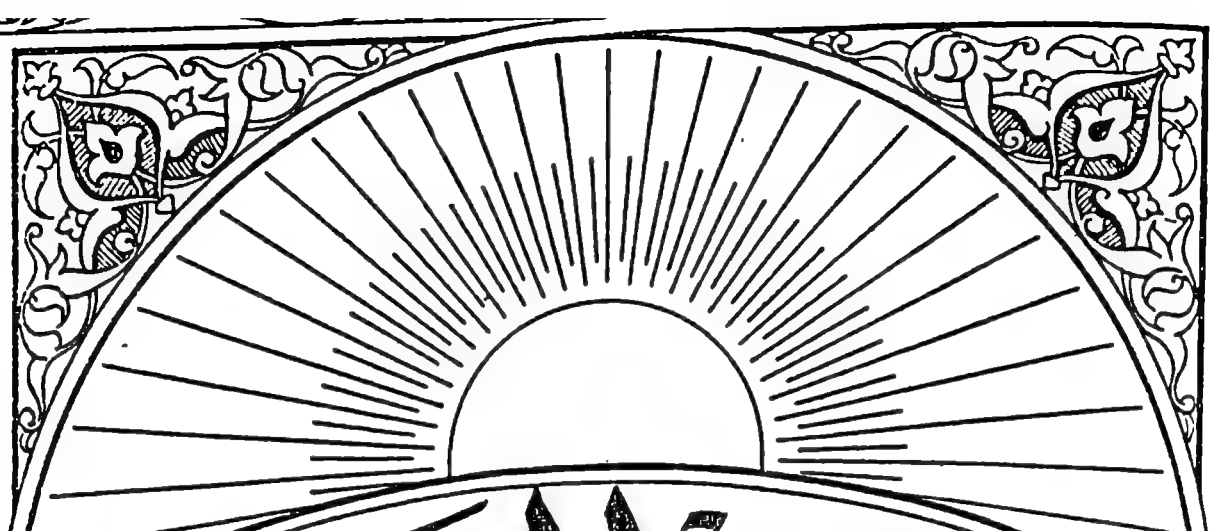
تاجر عموم أصناف الخيش والحب ————— ال والدوباره

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥



المذكر النبوي

مجلة دينية علمية

تصدرها

جماعته أنصار السنة المحمدية

خير الهدى

هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

٣	التفسير بقلم الأستاذ الشيخ عبدالرحمن الوكيل
١٢	أوصيك ونفسى بقلم إمامنا الراحل الشيخ حامد رحمه الله
١٨	وجود الله بقلم الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس
٢١	(كتاب فيض الوهاب) لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
٢٤	الزكاة بقلم السيدة حرم المرحوم الدكتور محمد رضا
٣٦	روحانية الأضرحة بقلم الأستاذ عبد الفتاح الزهيري . .
٣٨	من شرفات التاريخ بقلم الأستاذ محمود محمد البرماوى . .
٤١	كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله
٤٣	الشيخ محمد المدنى
٤٥	الإسلام دين العمل للأديب رمضان ييوى زامل . . .
٤٧	من وحي التوحيد » حسن جمعه المبارك
٤٩	استقيموا معشر القراء » طه عبد الفتاح مقلد
٥٠	وجوب التزام النصوص في العبادات

تذبيته مهم

نرجو من الإخوان المشتركين في المجلة ، ومن المتعهدين أن يتفضلوا مشكورين بتسديد ما لديهم ، وما نحن بحاجة إلى أن نذكر الإخوان بواجباتهم نحو هذه الصحيفة التي هي لسان دعوة الحق ، أما أولئك الذين أصموا آذانهم عن ندائنا ، فنسئطر آسفين إلى نشر أسمائهم ، نخدمة الدعوة ، والعمل في سبيل إعلاء كلمة الله أكبر عندنا وأعظم من الجاملات ؟

إدارة المجلة

المهدي النبوي

مدير الإدارة

محمد رشدي خليل

الاشتراك السنوي

٢ - في مصر والسودان

٣ - في الخارج

مجلة شهرية دينية

صدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدي خدي محمد بن عبد الله عليه وسلم

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

الإدارة :

٨ شارع قولة

بمابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

العدد ١٢

ذو الحجة سنة ١٣٧٨

المجلد ٢٣

نور من القرآن :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قول الله جلّ ذكره (من كان يُريد العاجلة عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا . ومن أراد الآخرة ، وسعى لها سعيها - وهو مؤمنٌ - فأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا . كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءَ ، وهُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وما كان عطاؤه ربك مُحْظُورًا) .

معاني المفردات

« العاجلة » قال الراغب في مفرداته . العَجَلَةُ طَلَبُ الشَّيْءِ وَتَحَرُّيهِ قَبْلَ أَوَانِهِ وَهُوَ مَنْ مُقْتَضَى الشَّهْوَةِ ، فَذَلِكَ صَارَتْ مَذْمُومَةٌ فِي عَامَةِ الْقُرْآنِ ، حَتَّى قِيلَ : العَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ . . . وقوله : (من كان يريد العاجلة عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا . . . الآية الأعراض الدنيوية » . وقال صاحب اللسان : « العَجَلُ وَالْعَجَلَةُ السَّرْعَةُ خِلَافُ الْبُطْءِ . . . والعاجل والعاجلة نقيض الآجل والآجلة عامٌّ في كل شيء . . . العاجلة : الدنيا » . وقال ابن فارس في معجمه : « العين والجيم واللام أصلان صحيحان يدل أحدهما على الإسراع والآخر على بعض الحيوان . ويقال للدنيا : العاجلة . وللآخرة الآجلة .

« نشاء » قال الراغب : الشيء هو الذى يصح أن يُعْلَمَ ، ويُخبر عنه . . . والمشئنة عند أكثر المتكلمين كالإرادة سواء ، وعند بعضهم : المشئنة فى الأصل إيجاد الشيء وإصابته ، وإن كان قد يستعمل فى المعارف موضع الإرادة ، فالمشئنة من الله تعالى هى الإيجاد ، ومن الناس هى الإصابة ، قال : والمشئنة من الله تقتضى وجود الشيء . ولذلك قيل : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والإرادة منه لا تقتضى وجود المراد لا محالة ، ألا ترى أنه قال : يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ^(١) .

« جعلناه » قال الراغب : جَعَلَ لفظٌ عام فى الأفعال كلها وهو أعمُّ من « فَعَلَ » ، وصنع ، وسائر أخواتها ، ويتصرف على خمسة أوجه . الأول : يجرى مجرى صار . والثانى : يجرى مجرى أوجد نحو قوله عز وجل « وجعل الظلمات والنور » والثالث : إيجاد شيء وتكوينه منه نحو « جعل لكم من أنفسكم أزواجاً » والرابع : فى تصيير الشيء على حالة دون حالة نحو « الذى جعل لكم الأرض فراشاً » « جعل لكم مما خلق ظلالاً » والخامس : الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلاً . فأما الحق فنحو قوله تعالى : « وجاعلوه من المرسلين » وأما الباطل فنحو قوله عز وجل « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » .

وقال صاحب اللسان : « جَعَلَ الشيء وضعه وجعله صنعه وصَيَّرَهُ » وجعل البصرة بغداد ظنّها إياها وجعل يفعل كذا أقبل وأخذ ، وجعل : عمل وهياً وخلق « انتهى باختصار » .

(١) قال ابن القيم : « لفظ المشئنة كونه ، ولفظ المحبة ديفى شرعى ، ولهظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية ، فتكون هى المشئنة وإرادة دينية ، فتكون هى المحبة » ص ٤٨ من كتاب شفاء العليل ط سنة ١٣٢٣ هـ .

ومعنى هذا أن هناك فرقاً دقيقاً بين المشئنة وبين الإرادة ، فما يشاء الله لا بد أن يكون . وما يريد الله قد يكون ، وقد لا يكون .

« جهنم » : اسم لنار الله الموقدة ، قيل : وأصلها فارسيّ معرّب وهو جهنم .
وقال صاحب اللسان : الْجَهَنَّمُ : الْقَعْرُ البعيد ، وبثّر جَهَنَّمَ وَجِهَنَّمَ بعيدة الْقَعْرِ ،
وبه سُمِّيَتْ جهنم لبعد قعرها .

وأكثر النحويين : جهنم اسم النار التي يعذب الله بها في الآخرة ، وهي أعجمية .
وقال آخرون : جهنم عربيّ سميت نار الآخرة بها ، لبعد قعرها .
« يصلّاها » قال الراغب : أَصْلُ الصَّلَى لِإِيقَادِ النَّارِ . قال الخليل : صلى الكافرُ
النَّارَ : قاسى حَرَّهَا .

« مذموم » قال صاحب اللسان : الذم تقيض المدح . . والعرب تقول : ذم يذم ذماً .
وهو اللوم في الإساءة .

وقال ابن فارس : الذال والميم في المضاعف أصل واحد يدل كله على خلاف الحمد . .
ومن هذا الباب الذمّة ، وهي البئر القليلة الماء .

« مدحور » قال الراغب : الدَّحْرُ : الطرد والإبعاد .

وقال صاحب اللسان : دَحَرَهُ يَدَحَرُهُ دَحْرًا ودُحُورًا ، دفعه وأبعده . الدَّحْرُ
تبعيدك الشيء عن شيء . الدَّحْرُ : الدفعُ بعنف على سبيل الإهانة والإذلال .
« الآخرة » قال ابن فارس : الهمزة والحاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه . وهو
خلاف المتقدم .

« سعى » قال الراغب : السعى المشى السريع ، وهو دون العدوّ ، ويستعمل لِلْجِدِّ
في الأمر خيراً كان أو شراً ، قال « وسعى في خرابها » وقال « نورهم يسعى بين أيديهم » .
« مؤمن » قال الراغب : أصل الإيمان طمأنينة النفس وزوال الخوف .

وقال ابن فارس : الهمزة ، والميم والنون أصلان متقاربان . أحدهما : الأمانة التي هي
ضد الخيانة ، ومعناها سكون القلب ، والآخر التصديق ، والمعنيان كما قلنا متدانيان .

« مشكورا » قال الراغب الشكر تصور النعمة وإظهارها .

« نمد » قال الراغب : أصل المد الجَرْ . . وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب ،
والمَدُّ في المكروه .

وقال ابن فارس : الميم والذال أصل واحد يدل على جَرَّ شيء في طول واتصال شيء
بشيء في استطالة .

« عطاء » قال الراغب : العطاو التَّناوُل . . واختص العطية والعطاء بالصلة .
« محظور » قال الراغب : الحظر : جمع الشيء في حظيرة ، والمحظور المنوع^(١) .

المعنى

عَوْدٌ عَلَى بَدْءٍ : فهمنا مما سبق ذكره ، أن كل إنسان مسئول عن عمله ، محاسب
عليه ، مجازى به ، وأنه لن يجد يوم الفصل مَنْ يحمل عنه مِنْ أَوْزَارِهِ . أَوْ يُخَفَّفَ عنه من
أعبائه ، وأن الله سبحانه هو الغنى عن العالمين ، فلا يزيد في غناه هداية مُهْتَدٍ ، ولا ينقص
منه ضلالة ضالٍّ ، وأنه جل شأنه - الحكيم في عبده ، الكريم في رحمته ، فلا يعذب
فرداً أو جماعة إلا بعد أن تبين لهم الرسل : فيخالقوا عن أمر الله .

وفهمنا أيضاً أن الجماعة متكافلة فيما بينها ، وأن كل فرد فيها مسئول عن موقفه تجاه
جماعته كما هو مسئول عن موقفه تجاه نفسه ، وأن كل جماعة مسئولة عما تُصَرِّفُ به أمور
حياتها وعما تصرف به أمور أفرادها .

وقد عقب الله سبحانه بعد هذا البيان الشافي بوعيدٍ ، يبعث في النفس ذكرياتٍ من

(١) قيل لى : لماذا تتوسع في شرح معاني الفردات ، تقلا عن أمهات كتب اللغة ؟ .

قلت : إننى لا أفسر قول إنسان ، وإنما أحاول تفسير قول الله سبحانه ، فلا بد من الحذر
والدقة والحكمة والفهم الدقيق لمعاني كلمات الله وبسط كل ما ورد لها من معاني في لغة العرب
منقولة عن إبداع المصادر ، هذا شيء . وشيء آخر : هو أننى لا أحب أن أفرض رأى على
إخواني القراء ، لهذا أضع بين أيديهم معاني الكلمات مبسطة بسطاً رحيماً لعل منهم من
يفتح الله عليه بفهم أجود ، ورأى أصوب ، والله سبحانه هو الموفق إلى الصواب .

عبد الرحمن

القرون الغابرة ، وَيُصَوِّرُ تاريخَهَا البعيد تصويراً جلياً ، حتى ليكاد الإنسان يبصر معالم هذا التاريخ بعينه ، فيرتعد الكافر ، وتبطش بهدوئه هذه الذكريات وتصف بسكينته آيات انتقام الله مَن جحدوا ، ويطمئن قلب المؤمن إلى وعد الله ووعيده ويفرح الهدوء الساجي واليقين الثابت المتجدد في كل لحظة ، إنه يكاد يسمع - وهو يقرأ - قَصَفَ الرعود ، وزئير الرياح وهدير الموج ، وقد غَطَّى قِمَّةَ الجودي ، وَالتَّمَّ في ظلمات أغواره ابن نوح عليه السلام يكاد يسمع زَنْجَرَةَ الأعاصير الْفِضَابِ الطاغية وهي تهلك جبابرة عاد .

نفوس و نفوس :

وفي هذه الآيات التي نقبس من نورها في هذا العدد يُجَلِّي لنا الله سبحانه طبيعة النفوس الإنسانية ، فيذكر لنا أنها في سعيها إنما تطلب ماتظن أنه هو الخير لها ، غير أنها تختلف اختلافاً يَبِيناً في تحديد مفهوم هذا الخير ، وفي تحديد السبيل الذي ترى أنه يوصل إلى هذا الخير .

فهناك نفس ترى أن الخير هو « اللذة » ، لأنها تدين بمقاييس خُلُقِيَّة صنعها الأهواء ووضعتها الشهوات .

وهناك أخرى ترى أن الخير هو « السعادة » لأنها تدين بمقاييس خُلُقِيَّة ، شرعها الله سبحانه ، واطمأن إليها بالإيمان الثابت ضميرها الْحَيُّ . النفس الأولى عَجَلَةٌ تحب كُلَّ عاجل ، فتسلك كل سبيل ترى أنه يؤدي بها إلى لذاتها ، والأخرى حكيمة هادئة تفكر وتتدبر ، وتضبط إرادتها بحكمتها ، وغرائزها بَعْلَهَا ، وعواطفها بضميرها ، فلا تريد إلا ما يحقق لها سعادتها ، ولا تسلك إلا السبيل الذي بَيَّنَّ الله أنه يهدي إليها .

لهذا كانت النفس الإنسانية في مجال السلوك الإنساني نوعين . نوعاً لا يميل إلى الْجَدِّ . ولا إلى الكفاح ، ولا يطبق صبراً على جِدِّ أو كفاح ، ويستعجل الغايات التي حَبَبَتْ إليها إرادته ، وتعلقت بها أهواؤه ، فيضطرب في سعيه . ولا يميز فيه بين هدى أو ضلال ، ولا بين حق أو باطل ، ولا بين حلال أو حرام ، لأن الهوى غَشَّى عينيه

بعصاة دامة ، فلا يبصر بها سبيلا ، ولا نوراً ، فهو يرتكب ما يرتكب من منكرات وحسبه أن يصل إلى غايته . لهذا يقول ربنا سبحانه « من كان يريد العاجلة » أى الدنيا ولذاتها ، سواء أكانت حسيّة أم معنوية ، سميت عاجلة لأنها تنقضى بسرعة ؛ لأنها لا تعرف الدوام ، وإنما تسوق ركبها بسرعة إلى الفناء ، لأنها قلبٌ فى أطوارها وأحوالها ، لأنها تضطرب بمن يستعبده حبّها ، وهو يضطرب بها ، فتعجل بالقضاء عليه .

فمن كان يريد هذه : فالله سبحانه يعجل له ما يريد ، ولكنه سبحانه قيّد التعجيل بأمرين ، قيّد المراد بمشيئته سبحانه وقيّد المريد بإرادته جل شأنه ، إذ يقول « عَجَّلْنَا له فيها ما نشاء لمن نريد » فلا يعجل سبحانه بكل ما يرد ، ولا يعجل لكل من يريدون . حتى هذه اللذات التى تعصف بها العجالة يخوف الله من يريدونها بأنها قد تتحقق ، وبأن بضع من يريدونها قد ينالها ، وبعضاً لا ينالها ، وهنا تتجلى هيمنة المشيئة الإلهية ، وقهر الإرادة الربانية ، وضعف الإرادة الإنسانية والمشيئة البشرية « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » .

المجاهرون والمنافقون : والذين يريدون العاجلة نوعان . نوعٌ يطابق سعيه إرادته أو يطابق مظهره مخبره ، فظاهره إثمٌ ، وباطنه إثمٌ . وهم أولئك المتجاهرون بالفواحش والمنكر ، هم الكفرة الفجرة .

ونوع آخر أشد خطراً ونكراً ، وهم الذين لا يطابق مظهرهم مخبرهم ، أو لا يدل ظاهرهم على باطنهم ، فيعملون ما قد يحسبه الناظر أنه سعى من يريد الآخرة ، أولئك هم المنافقون المراءون ، باطنهم إثمٌ وظاهرهم خيرٌ . كمن يجاهد فى سبيل الله طلباً لجاء أو ثناء من الناس ، عرض مادى ، أو ينفق ماله رثاء الناس . أو بمعنى عام : يعمل ما هو ظاهره خير ولكنه لا يبتغى به وجه الله . وهؤلاء وأولئك يعاقبهم الله سبحانه على تلك الإرادة الآئمة وإن لم تتحول إلى عمل ، يكفى - لكى يستحقوا عقاب الله - مجرد الإرادة ، وإن لم تتجسد فى عمل صالح المظهر أو طالحه ، هذا ؛ لأن النية هى التى تقوم بالعمل وتجعله أهلاً لكى يوصف فى ميزان الحق بأنه خير أو شر ، فإذا كانت النية خيرة .

هذه النفس وصفها الله بثلاث صفات متلازمة مترابطة « نِيَّةٌ صَادِقَةٌ ، عمل صالح ، إيمان صادق ثابت » أليس الله يقول : ومن أراد الآخرة ، وسعى لها سعيها ، وهو مؤمن . . . الآية . لا تكفى إرادة الخير ، بل لا بد مع الإرادة من السعى في سبيل الحصول على هذا الخير أو تحقيقه . وهذا السعى ليس مطلقاً ، بل مُؤَيَّدٌ بأنه السعى الذى يوصل فعلاً إلى نعيم الآخرة وسعادتها . يتجلى هذا فى قوله سبحانه : « وسعى لها سعيها » أى سَعَى سَعَى الحق الذى يوصل حقاً إلى الآخرة ، وهذا السعى يبينه الله سبحانه . ثم لا بد مع الإرادة والسعى من شيء آخر يطيّبهما ويكون الهادى لهما فى مسالك الحياة ، ودوافع الوجدان ، ومسارب الشعور ، ونوازع العواطف ونوازع الغرائز . ذلك هو الإيمان الحق الثابت . الإيمان بسعيه ، الإيمان بأن غايته تستحق هذا السعى ، وفوق هذا الإيمان بمن دعاه إلى هذا السعى ووعده بتحقيق الغاية الطيبة من مسعاه .

ثواب أصحاب الآخرة

وقد بين الله سبحانه ثواب أصحاب الآخرة بقوله : فأولئك^(١) كان سعيهم مشكوراً . فلمهم - إذن - ثوابان أحدهما روحى ومعنوى ، وآخر مادى حِسِّى يتجلى الأول فى التعبير بكلمة « الشكر » . . . شُكْرُ مَنْ ؟ إنه شكر الله خالق كل شيء يجزى به عبده الشكور : وما أروع وأسماء وأجله من ثواب .

ويتجلى الثواب المادى فى نفس هذه الكلمة التى تعبر عن الشكر ، لأن الشاكر ، هو الجواد الكريم المنان سبحانه ، وليس من برّه ولا كرمه جَلَّ شأنه أن يجعل شكره ثناء كلامياً فحسب - وإن كان هذا الثناء فى نفسه ثواباً جليلاً - وإنما يجعل سبحانه شكره العظيم فضلاً عظيماً وكرماً رحيماً ودوداً ، يتحقق فيما وعد الله به من ثواب كريم فى الدنيا وفى الآخرة . إذا كان المؤمن الشاكر هو من يعبر عن شكره بالقول وبالفعل فما بالك بالله سبحانه ؟ ! والله المثل الأعلى ! ! .

(١) أولئك اسم إشارة للبعد . وقد عبر عن الإشارة إلى أصحاب الآخرة بأولئك مع قرب ذكرهم ، لبيان سمو مكانة هؤلاء ، وعلو مقامهم ، ورفعة شأنهم .

عطاء الله غير ممنوع

ثم يذكر الله سبحانه دليلاً على أوسع رحمته وبالع كرمه الشامل العام المحيط . وهذا في قوله سبحانه : « كَلَّا نُمِدُّ » أى يمد بعطائه الكريم كلا من المؤمن والكافر وهو عطاء متواصل يتصل بعضه ببعض . أما الكافر ، فلا ينال من مدد الله شيئاً إلا في دنياه ، فاعل هذا المدد الكريم يخضع من شوكة جحوده ، أو يكون له عقوبة مدمرة مهلكة ، إذ يدفعه المدد إلى التمدد في غيّه وطغيانه ، هذا لأن الله يبغضه ويمتته أشد البغض والمقت عقاباً له على بغضه لله ورسوله . فقد بين الله هذا في قوله عن المنافقين « الله يستهزئ بهم ، ويمدهم في طغيانهم يعمهون » .

أما المؤمن . فينعم الله عليه بالمدد من العطاء في الدنيا وفي الآخرة ، لأنه سخر دنياه لدينه ، ووازن في حكمة بين مطالب الدنيا ، ومطالب الآخرة .

ثم يقول الله سبحانه : « وما كان عطاء ربك محظوراً »^(١) « ما كان صلات الله ممنوعة على أحد أو من أحد . فلا الله يمنعها ؛ لأنه الكريم الرحمن الرحيم ، ولا أحد يستطيع منعها عن أحد ؛ لأنه القدير القهار المهيمن .

وإنك لتلمح عظمة الربوبية ، ورحمتها وعدلها في قوله سبحانه « هؤلاء وهؤلاء » لا يقولها إلا ربٌّ عن عبده ؛ لأنها إشارة إلى مُسمَّياتٍ ، وكان يمكن ذكر أسمائهم ، ولكنها كبرياء الربوبية وجلالها .

ولا يقولها إلا ربٌّ رحيم ينظر إلى عبده بنوعيه المطيع والمعاصي بعطائه ، ثم هذه المساواة في الإشارة « هؤلاء وهؤلاء » عدالة تؤكد أن الله ليس بظلام للعبيد .

نضرع إلى الله سبحانه أن يمدنا بعطائه في الدنيا وفي الآخرة ؟

عبد الرحمن الوكيل

(١) عدم ذكر الجار والمجرور المقدر بكلمتي « على أحد » يفيد شمول العطاء وعمومه .

أوصيك ونفسي - ٢ -

مقتطفات من وصايا قعيد الإسلام والعروبة فضيلة الأستاذ الجليل
 الشيخ محمد حامد الفقى - رحمه الله بوسع رحمته وأمكنه فسيح
 جنته وألهمنا جميل الصبر على فراقه الأليم .
 « محمد رشدى خليل »

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على إمام المهتدين وعلى آله وبعد ، فإن كنت
 تريد فلاح الدنيا والآخرة فأوصيك ونفسي :

١ - اعرف ربك بنعمه التى يريك بها وحده وبالتفكر فى آياته فى نفسك وفى
 الآفاق التى تجرى على سنن الحق والحكمة ، وبأسمائه وصفاته التى تعرف بها إليك فى
 كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنك إن عرفت ربك عرفت حقه عليك ،
 وعرفت أنه لا ينبغى الإلهية والعبادة إلا له وحده فإنه الغنى ، والكل فقير ، وإنه القوى ،
 والكل عاجز ، وإنه الحى القيوم ، والكل موتى .

٢ - اعرف أن العبادة : هى ذل القلب وخضوعه وخبه وتعظيمه ، وانقياده لله ، وأن
 القلب هو الملك على الجوارح ، فإذا دان بهذه العبودية لله ، فقد صلح ، وفى صلاح القلب ،
 صلاح الجوارح .

٣ - أخلص العبادة لربك وحده : فإنه الذى يريك ويربى جميع العالمين بنعمه ،
 فإياه فاعبد ، وبه فاستعن ، ولا تخف إلا إياه ، ولا ترجو ولا ترغب إلا إليه ، (ألا له
 الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (إياك نعبد وإياك نستعين) .

٤ - احذر أن تشرك بربك أحداً أو شيئاً فى صفة من صفاته أو فى حق من حقوق
 عبادته ، فهو السميع الذى يحيط سمعه بكل شيء ، وهو البصير الذى لا يخفى عليه شيء فى
 الأرض ولا فى السماء وهو القوى العزيز الذى لا يعجزه شيء ، ذو البطش الشديد الغفور

الودود الفعال لما يريد ، القاهر فوق عباده الحكيم الخبير . وهو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق ، فأياك أن تنادى ميتاً وتدعوه لكشف ضر ، أو قضاء حاجة ، فإنك بذلك تعطيه من صفة سمع الله ورحمته وقدرته وحياته وقيوميته ، وإنك بذلك تعطيه ما هو حق الله وحده من العبادة فتكون من أظلم الظالمين لنفسك (إن الشرك لظلم عظيم) .

وفى الحديث « أظلم الظلم أن تجعل لله نداً وهو خلقك » .

٥ - احذر أن تعبد الله إلا بما أحب وشرع فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . فإن العبادة هى حق لله وهى السبيل إلى مرضاة الله ، ولا طريق إلى معرفتها إلا من قبل الله صاحب الحق فيها ، وهو الذى يهديك بها للوصول إليه فإن أى حق للغير فى عنقك لا تبرأ ذمتك منه إلا بأدائه على الوجه الذى سجل فى مستنده بهيئته وصفته ، وقدره وميعاده ، وليس لحق الله مستند صحيح معتمد عنده وعند كل مؤمن به : إلا كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٦ - احذر ما يخذلك به الشيطان من مستندات مزورة على الله يزخرها لك باسم البدع الحسنة ، ويسوقها لك على لسان فلان وفلان ، وفى صورة الكثرة والجمهور والشيوخ فإنها شرع مالم يأذن به الله ، والقول على الله بلا علم وافتراء الكذب عليه (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين) ، وفى الحديث « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وفيه « تركتكم على الخنيفية البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك » .

٧ - زك نفسك من قذارة الجهل والهوى والشهوات ، وطهر قلبك من حظ الشيطان ونزغاته : بتلاوة القرآن حق تلاوته ، متدبراً لآياته فأما لمعانيه ومقاصده ، مهتدياً بهداه ، فإن الله يقول فيه (هدى للمتقين) (هدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم) (يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى

الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى) (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) .

٨ - احذر التقليد الأعمى فى أى عمل من أعمالك الدينية أو الدنيوية ، فإن التقليد

الأعمى : هو الذى جعل العبادات صوراً آلية ميتة ، لا تهذب النفوس ، ولا تتركى القلوب ، ولا تحيى ميت الأرواح ، فأغلقت دونها أبواب قبول الرب سبحانه .

فكانت « لا إله إلا الله محمد رسول الله » حروفاً وألفاظاً تلاك باللسان ، بلا تعقل ولا فهم ولا معرفة لمقتضاها ، فهدمتها العقائد الشريكية والأعمال الجاهلية ، والتحاكم إلى الطاغوت : والإعراض التام عن كتاب الله وهدى رسوله والتأسى به : باتخاذ مئات الشيوخ والمتبوعين والمقلدين ، حتى أصبحوا على شرائع شتى وملل مختلفة وعادوا مختلفين فى الدين مخالفين للدين ، فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وأحزاباً (كل حزب بما لديهم فرحون) .

وكانت الصلاة حركات تقليدية باللسان والجوارح ، لا تمس القلب ولا الأعمال ولا الأخلاق ، فلم تغسل القلب ولم تترك النفس ولم تأمر بمعروف ولم تنه عن فاحشة ولا منكر ، ولم تدع إلى بر ولا إحسان ولا صلة ما أمر الله به أن يوصل .

وكان الصيام جوعاً وظماً وتعذيباً للصائم وشقاء فى المبدأ والغاية ، فلم يتعلم الصائم صبراً ولم يستفد قوة عزيمة ولا سعة صدر ولا جميل حلم ، بما هو عادة النجاح فى الحياة يتقى بها ويدفع عن نفسه كل ما كره . وهو الذى دعاه الله إليه بالصيام فى قوله : (لعلكم تتقون) أى تكسبون بالمران فى الصيام كل أسباب القوة على اتقاء ماتخافون فى الدنيا والآخرة ، لكن الصيام التقليدى لا يكسب شيئاً من ذلك ، فلم ينه عن قول الزور والعمل به ، بل دعا أكثر الصائمين إلى شغل أوقات الصيام باللهو واللعب والخمول والكسل والتعطل ، والفسوق والعصيان باسم تسلية رمضان .

وكانت الصدقات مغرمات ، لا يبذل قرش إلا رياء وسمعة ، أو تقرباً وزلنى لمخلوق يرجوه ويخافه .

وكان ذكر الله سخرية ولعباً ورقصاً وزمراً ، وكان القضاء والحكم ظلاماً وعبثاً وكانت الزوجة شقاء ونكدًا ، والأخوة عداوة وبغياً وحسداً . كل ذلك وغيره نتيجة التقليد الأعمى في الدين .

أما التقليد الأعمى في بقية الأعمال : فمحا شخصيتك وأفناها في غيرك ، حتى كنت في كل ماتناول من شئونك طفلاً أخرق ، لا تزال تشعر بم حاجتك إلى من يسندك ويأخذ بيدك ويرفمك ، ثم يسوقك ويدفعك ، فتضيع عليك بذلك أكثر فرص الحياة إن لم تضع عليك كلها ، فتعيش دائماً كئيباً حزيناً .

ومن النتائج الوخيمة لهذا التقليد الأعمى : أنك أخذت فسوق أوربا الكافرة مؤمناً بها ، حتى غشتك في بيتك ومسجدك وعملك وخلقتك ، وأخيراً تغلبت على دينك ، فمحت وجودك الشرقي العربي الإسلامي ، وأصبحت بها رجلاً في ريبك ، طفلاً في تفكيرك وعقلك وعملك ، تعتقد أنك بأشد الحاجة إلى من يحضنك ويكفلك ، فتلفتك يد العدو ، زاعمة لك - لطفولتك وسفاهتك - أنها كفيلة بتربيتك وتعليمك وتهيتتك للحياة . فطوقت عنقك بمخالبها وأنيابها ، واعتصرت خيرك لنفسها ، واستنفدت قواك وعناصر حياتك كلها ، حتى أصبحت لا تستطيع أن تجابه شئون الحياة في شجاعة ولا قوة الإنسان المسلم الذي يمشى سوياً على صراط مستقيم .

٩ - خذ نفسك بكل حزم وقوة على أن تكون محسناً في كل عمل من أعمالك بعزيمة ثابتة ، وقصد صحيح ، ونية صادقة من لب سليم ، وقلب قد ربط الله عليه بالعلم الصحيح النافع والهدى الواضح ، والإيمان الصادق ، فإن ذلك سيدعوك إلى أن تعرف مقامات العمل وأسباب صحته وبطلانه ، وما يستدعيه ويدعو إليه ، وسبيله الذي يصل بك إلى الغاية التي تعمل هذا من أجلها ، فيتجدد العمل في نفسك ، وتكون له صورة واضحة في ذهنك غير ملتبسة ولا مختاطة لغيرها ، فلا تتدافع الأعمال في نفسك ولا تتزاحم ، فيفسد بعضها بعضاً ، وتخرج منها جميعها بغير نتيجة ولا عمل ، وبذلك يتحقق لك النجاح والفلاح

في كل عمل ، ويعطيك الله ثمرته الطيبة ، وذلك هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
 « إنما الأعمال بالنيات » .

فالأعمال المرضية - من صلاة وزكاة وصوم وحج ، وبر وصلة وإحسان ونحوها - :
 ينبغي ألا تدخل فيها إلا بعد التهيؤ لها بصفاتهما وشروط صحتهما ، وبكل ما تستدعيه هذه
 العبادات من حسي ومعنوي ، ولا سبيل لك إلى ذلك إلا من كتاب الله وهدى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فإذا ورد قلبك هذا المنهل العذب من العلم النافع : أقبلت على العبادة
 بقلب سليم يقظ ، ونفس محتاجة فقيرة أشد الحاجة والفقر إلى ما في هذه العبادة من رضوان الله
 وإصلاح لها ، وعلاج لأمراض قلبك . ودواء لمجتمعك من كل ما تشكو منه ، ثم ادخل
 في العمل وقد اتصلت نفسك به وامتزجت كل الامتزاج ، بحيث لا يكون في ذهنك سواه ،
 حتى كأنك خلقت الآن لهذا العمل ، وأنت ميت بعده مباشرة ، وأنه هو الذي ستلقى به
 ربك ولا تزال كذلك حتى تتم عملك ، فتجد إن شاء الله : أن ربك قد غرس في جنة
 قلبك شجرة مباركة طيبة يثبت أصلها في قلبك وتذهب فروعها في السماء ، فتؤتيك أكلها
 في كل حين بإذن ربها : من زيادة إيمان وهدى ، وزيادة علم بربك وحب وخشية لربك ،
 وتقدير وشكر لنعم ربك ، وينفعك كل ذلك في كل شأنك مع أهلك وإخوانك وفي
 عبادتك المستقبلية ، فلا تزال تزداد إيماناً وهدى وحباً وكرامة ، ورفعة على معارج الكمال
 الإنساني والكمال الديني .

وهكذا الشأن في عملك الدنيوي ، اعرف مقدماته ومبداؤه وسبيله وغايته ، وأقبل عليه
 بعزم صادق وروية وحكمة وسداد ، مؤمناً بسنة ربك في التدرج ، فإنه الذي خلق السموات
 والأرض في ستة أيام ، ولو شاء لخلقها في طرفة عين ، فاعرف ذلك جيداً ، وخذ سبيلك في
 كل عملك على هداية ، بحيث لا تنتقل من خطوة إلى أخرى إلا إذا ثبت قدم علمك وعقلك
 وتقديرك في الأولى ، وعرفت موضع خطوك في الثانية كذلك ، وهكذا ، فإنك بذلك تبلغ
 الغاية التي تسعى إليها على هدى ورشد ، وتنال الفلاح في دنياك وآخرتك .

ومن هذا تعرف السر في خسران أكثر الناس وحبوط أعمالهم الدنيوية والدنيوية ،

لأنهم يدخلون في أعمالهم على غير هدى ، ولا علم ، فيدعونهم جهلهم وضلالهم أن يدخلوها
 بغير عزيمة ولا صدق نية ، ولا حكمة ولا رشد ، ويخدعون أنفسهم بأن قولهم « نويت
 الوضوء » « نويت صلاة كذا » « نويت الصيام » نية نافعة ، لأنهم اعتقدوا بتقليدهم :
 أن الغرض منها إعلام الله بأنهم يصلون له أو يصومون ، وجعلوا حقيقتها وحكمتها والغرض
 منها ، لأنهم مقلدون ، موتى القلوب ، فلو حطموا عن أعناق قلوبهم أغلال التقليد لخرجت
 نشطة قوية إلى ميدان العلم الفسيح من سنن الله وآياته ، وهدى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وإذن لعلموا أن هذه النية هي وصدق العزيمة في الدخول في العمل إنما لزمتم لكل
 عامل ليُجرَّد عمله ويتقنه بالعلم وباليقظة والتأثر والاصطباغ به ، والانتفاع منه ولا يكون
 ذلك إلا بمعرفة المقدمات والمبدأ والسبيل والغاية والاتصال الروحي والعقلي بالعمل أتم
 اتصال ، حتى يعرف نقصه وعيبه المؤدى إلى عكس الغاية ، فيتداركه أثناء العمل ، أو في
 العمل الآخر ، وعندئذ يشعر العامل أن عمله خير نفسه هو والمزيد من أسباب الحياة الطيبة
 له هو ، فأما الله فهو غنى عن العالمين (إن أحستم أحستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) .
 (من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها) (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) (قد أفلح
 من زكاهها وقد خاب من دساها) .

الشركة الاقتصادية العامة

(هزل و الشافعى)

لتجارة الشاى والبن والبقالة وغيرها

بالجملة - والقطاعى

شارع الترجمان المتفرع من شارع القلعة (محمد على سابقاً) عمر الشامى

تليفون ٤٥٧٢٢

٢ - وجود الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد غنبل هر اس

كتبنا في العدد السابق عن الاعتقاد بوجود الله عز وجل وقلنا أنه أمر مركوز في الفطر كما حكى الله عن الرسل عليهم الصلاة والسلام أنهم قالوا لأئمتهم (أفنى الله شك فاطر السموات والأرض) وقد منا بين يدي القراء جملة صالحة من آيات القرآن الكريم التي تدعو إلى النظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله فيهما من أشياء تنطق بعظيم قدرته وجسيم وبالغ تدبيره وحكمته . وتركنا لهم أن يتأملوا بأنفسهم في هذه الآيات حتى يدركوا ما تتضمنه من الدلائل والبراهين وكنا نحسب أن فيما قدمناه الكفاية ، ولكن بعض الإخوان رغب إلينا أن نزيد هذا الموضوع تجلية نظرا لأهميته وحاجة الناس إليه بسبب ما يليق به الملاحظة في أوساط الشباب من سموم الجحود والأفكار لاسيما وقد اتسم هذا الإلحاد بسمة العلم ولبس ثوب التفلسف ، فلا بد من مقابله بالأدلة التي تكفي لاستئصال شأفته ودحض فريته .

وأرى قبل أن أجيبهم إلى طلبهم أن أذكرهم بحكاية ذلك الأعرابي الذي قيل له بم عرفت ربك ؟ فأجاب على البديهة (البعرة تدل على البعير والقدم يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا تدل على اللطيف الخبير) - وهي حكاية نسوقها كشاهد على أن الفطرة السليمة التي لم تتدنس بالجحود ولم تفسد بالتقليد الأعمى والجري وراء الأهواء والشهوات لا تحتاج في إيمانها بالصانع الأعظم جل وعلا إلى أن تحشد لها الحشود من الأدلة والبراهين .

فليس مناط الأفكار هو قلة الأدلة ولا قصورها عن إفادة المطلوب فإن كل شيء مما يراه الإنسان أو يحسه صالح لأن يكون دليلا . ولكنه الإغراض والغفلة والاستكبار عن النظر في

آيات الله عز وجل والتعالمى عنها . والغرور الأحمق بما وصل إليه علم الإنسان من تقدم في الكشف والاختراع . ونسيان الإنسان نفسه وعدم تفكيره فيما خلق له ، حتى ظن أنه واحد من هذه الحيوانات التى تملأ البر والبحر فليس لوجوده غاية ولا من وراثته حكمة وإنما هو وليد الصدفة وسليل التطور إلى غير ذلك مما تهجس به أفكار الناس فى هذا العصر الذى لا يعرف إلا المادة وقوانين المادة ، ولا يكلف نفسه النظر إلى ما وراء ذلك من الغايات البعيدة والحكم العالية التى يشهد بها هذا الاتساق العجيب بين أجزاء الكون وهذا التناسب والانسجام الذى يلح به البصير فى كل ذرة من ذراته فلا عوج ولا فطور ولا تفاوت ولا تنافر بل نظام والتشام كما قال تعالى (صنع الله الذى أتقن كل شئ أنه خير بما تفعلون) (الذى أحسن كل شئ خلقه) (أأنتم أشد خلقاً أم السماء . بناها . رفع سمكها فسواها ؟ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحائها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم) .

يحكى ابن كثير فى تفسيره أن جماعة من الزنادقة جاؤا إلى أبى حنيفة رحمه الله وطلبوا إليه أن يقيم لهم الدليل على وجود الله فقال لهم نعم سأفعل ولكن أمراً قد بلغنى الساعة فألقننى وحيرنى وقد جتتم وأنا أفكر فيه قالوا وما ذاك قال بلغنى أن سفينة بعرض دجلة موقرة بأنواع المتاع تمشى وحدها بلا ربان يقودها ثم ترسو على الشاطئ بنفسها فتفرغ حمولتها وحدها ثم تعود لتمتلئ ثم تجيء فتفرغ ليس معها أحد . فقالوا له وهل ذاك يعقل ؟ فقال لهم إذا كنتم لاتصدقون هذا ولا تعقلونه فى سفينة صغيرة فكيف ساغت عقولكم أن هذا الكون العظيم الممتلئ بما لا يحصى من الأجرام العلوية والسفلية يسير وحده بلا مدبر فرجع هؤلاء الزنادقة عن أفكارهم وأسلموا .

ويذكر ابن كثير أيضاً أن هارون الرشيد سأل مالك بن أنس رحمه الله دليلاً على وجود الله فاستدل له باختلاف الألوان واللهجات والأصوات . ولا شك أنه استدلال صحيح والقرآن الكريم نفسه قد نوه به وجعله من جملة الآيات قال تعالى فى سورة الروم (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين) .

وقال في سورة فاطر : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء) . وما يستوقف النظر هنا أن كلا من الآيتين قد ختمت بما يفيد أن آية الاختلاف في الألوان والأصوات قد اختص بإدراكها العلماء وأى عالم يسمعه إلا أن يطأطئ الرأس أمام هذه الآية الكبرى التي لا يزال العلم رغم تقدمه عاجزاً عن تعليلها مما يشهد بأن هذا التنويع والتخصيص إنما هو بتقدير العزيز العليم .

ويروى ابن كثير عن الإمام الشافعى رحمه الله أنه قال بصدد الاستدلال على وجود الله عز وجل (هذه ورقة التوت شئ واحد تأكله النحلة فتخرج عسلاً وتأكله الدودة فتخرج أبريسم وتأكله البهيمة فتخرج لبناً .

ومن هذا أن الشافعى يستدل بالاستحالات المختلفة التي يصير إليها الشئ الواحد وهو باب واسع جداً من أبواب الاستدلال ويكفى أن يتأمل الإنسان في نفسه فهذا الدم الذى يجرى في عروقه شئ واحد ومع ذلك يدخل في تركيب الأعضاء المختلفة وهو في الفم لعاب وفي العين دمع وفي الأصلاب نطف وفي الأثداء لبن الخ .

وهذه النطفة التي يتخلق منها قد تقلبت في أطوار عدة واستحالت من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام حتى صارت بشراً سوياً فتبارك الله أحسن الخالقين . وأما الإمام أحمد رحمه الله فيحكى عنه ابن كثير أنه قال (هاهنا حصن محكم أملت ليس به منافذ ولا ثقوب فبينما هو كذلك إذا انفتح الحصن وخرج منه حيوان سميع بصير) فالحصن هو البيضة تظهر ملساء لا ثقوب بها يتخلق فيها الطائر حتى إذا اكتمل ، نقرها وخرج منها .

وأخيراً فليتأمل البصير فيما يحدث حوله من أشخاص النبات والحيوان : فهل يعقل أن أن تكون قد أحدثت نفسها أو أحدثت بلا يحدث ؟ وهل يخرج العدم وجوداً وهل تنشئ الفوضى نظاماً ؟ وهل يحدث بيت بلا رسم وتصميم سابق ؟ وصدق الله (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون) ؟ .

كتاب فيض الوهاب

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

رئيس أنصار السنة المحمدية بسوهاج

٢ - رجع ما انقطع

خطبة الكتاب

ويا لها من خطبة !

إن شئت أن تتعلم كيف تكون المعازلة ، وضعف التأليف وفساد التركيب ، وإسفاف المعاني ، وسقم الذوق فاقراً هذه الخطبة تجد فيها أمثلة حية لجميع ما ذكرت لك .
فلقد جاءت بها عبارات تبرا ألفاظها بعضها من بعض ، وتنفر العقول السليمة ، والأذواق الصحيحة من معانيها . ولن نشير منها إلا إلى ما هو مفرط في السخف ، مغرق في الفساد بحيث لو فهمت عباراتها على حسب ما تدل عليه ألفاظها كانت شركاً صراحاً ، ولغراً بواحاً .

مصدر التجليات الإلهية ؟!

ففي السطر الثامن عشر من الصفحة الثالثة من هذا الكتاب وردت هذه العبارة بحروفها : (وصلاة وسلاماً على مصدر التجليات الإلهية ، ونقطة باء البداية الأصلية . ومهبط الأسرار الرحمانية) فإن كانت هذه العبارة تعني أن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون الرسول مصدر التجليات الإلهية ، ومعلوم أن مصدر الشيء هو ما يصدر عنه ذلك الشيء ، فإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام هو مصدر التجليات الإلهية فعني ذلك بصراحة ووضوح : أن التجليات الإلهية تصدر عنه صلى الله عليه وسلم ، وأنه لولا الرسول ما كانت لله تعالى تجليات ، لأن الرسول مصدر هذه التجليات .

وَبَدَّهِيَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَوْجَدْ مَصْدَرُ الشَّيْءِ لَمْ يَوْجَدْ ذَلِكَ الشَّيْءُ . وَلَكِنْ ثَبَتَ يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجْلِيَّاتٍ مِنْ قَبْلِ مَوْلِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَقَدْ تَجَلَّى سُبْحَانَهُ لِلْجَبَلِ لَجْعَلَهُ دَكَّا ، وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا . وَإِذَا فَلَيْسَ الرَّسُولُ مَصْدَرُ التَّجْلِيَّاتِ الإِلَهِيَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، بَلْ تَجْلِيَّاتِ اللَّهِ تَعَالَى ذَاتِيَّةٌ صَادِرَةٌ عَنْ ذَاتِهِ الْقُدْسِيَّةِ . فَالْقَوْلُ بِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصْدَرُ التَّجْلِيَّاتِ الإِلَهِيَّةِ افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَذَبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِطْرَاءٌ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي نَهَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَلْ شَدَّدَ التَّكْبِيرَ عَلَى مَنْ يَعْمَدُ إِلَيْهِ ، وَغُلُوفِي الدِّينِ حَرَمَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِقَوْلِهِ الْكَرِيمِ : (لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) . وَكَيْفَ تَكُونُ التَّجْلِيَّاتُ تَجْلِيَّاتِ اللَّهِ ثُمَّ تَصْدُرُ عَنْ شَخْصِ الرَّسُولِ ؟ وَلَعَلَّ الْكِتَابَ يَعْنِي أَنَّ تَجْلِيَّاتِ اللَّهِ هِيَ تَجْلِيَّاتِ الرَّسُولِ وَأَنَّ اللَّهَ وَالرَّسُولَ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، كَمَا هُوَ مُقْتَضَى عَقِيدَةِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ الَّتِي لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَالْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ . تِلْكَ الْعَقِيدَةُ الَّتِي ضَلَّ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا .

وَإِذَا كَانَ الْكِتَابُ يَقْرَأُ مِنْ غُنْوَانِهِ ، وَإِذَا كَانَتْ فَاتَحَتُهُ اسْتِهْلَالًا لِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُهُ فَحَدَّثَنِي - بَرَبُكَ - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ أَيُّ مُسْلِمٍ يَحْتَرِمُ عَقْلَهُ وَيُقَدِّسُ دِينَهُ ، وَيُوَحِّدُ خَالِقَهُ ، وَيَسْتَجِيبُ لِأَمْرِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ مُسْلِمٍ هَذِهِ صِفَاتُهُ يَبِيحُ لِنَفْسِهِ أَنْ يَنْظُرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ؟ وَهَذَا الْإِلْحَادُ كُلُّهُ فِي فَاتَحَتِهِ فَمَاذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِي أَعْمَاقِهِ ؟

نقطة باء البداية الأصلية !!

وما معنى أنه عليه الصلاة والسلام نقطة باء البداية الأصلية ؟

يا لها من جملة !

إنها جملة ذات رنين مدوّ ، وطنين عال ، ولكنه رنين كرنين الإناء الفارغ ، وطنين

كطنين الذباب ليس وراءه معنى .

ألا تناقض هذه الجملةُ الجملةُ التي سبقتها أشدَّ التناقض ؟؟

إذ بينما الجملة الأولى تسمو بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن تجعله مصدر تجليات الله ،

إذ تنحدر به هذه الجملة حتى تجعله شيئاً تافهاً حقيراً وحاش لله أن يكون رسوله بهذه المثابة -

حاش لله أن يكون رسوله الكريم نقطة مكملة لحرف من حروف الهجاء !
 أى تأليف هذا ! وأية فوضى في التأليف هذه ؟

وكيف لاتصادر أمثال هذا الكتاب الذى ينقل عبارات من كتب ألفت في عصر
 - الجهل المطبق والظلام الدامس - كتبها جهال يهرفون بما لا يعرفون ، وأدعياء أقل ما يقال
 فى أحدهم :

فَعَدَّ عن الكتابة لست منها ولو لطخت وجهك بالمداد
 تنقل هذه الكتب هذه العبارات التافهة بغير أن تفقه لها معنى ثم تصف بها أكرم
 الخلق عند الله .

سبحانك هذا بهتان عظيم !
 وما باء البداية الأصلية التى جَعَلَ هذا الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطعها ؟

مهبط الأسرار الرحمانية

وما معنى أن الرسول مهبط الأسرار الرحمانية ؟
 والمعلوم أن الأسرار جمع سر . ولكلمة « سر » فى لغة العرب معان أذكرها للقارىء
 الكريم لعله يشحذ قريحته ويعمل فكره عسى أن يقف على المعنى الذى يوائم هذا
 التركيب .

السرفى لغة العرب كما فى القاموس المحيط هو : ما يكتُم ، والجماع والذَّكر ، والنكاح ،
 والإفصاح به ، والزنا ، وفرج المرأة ، ومستهل الشهر أو آخره أو وسطه ، والأصل ، والأرض
 الكريمة ، وجوف كل شيء ولبّه ، ومحض النسب وأفضله ، وبطن الوادى وأطيه ،
 وما طاب من الأرض وكرم ، وخالص كل شيء ، ووادٍ بطريق حاج البصرة ، ومخلاف
 باليمن ، ووادٍ فى بطن الحلة ، وموضع بنجد .

هذه هى معانى كُلمة السرفى لغة العرب ، ولا يصح أن يكون الرسول الكريم مهبطاً
 لشيء من هذا كله لا حقيقة ولا مجازاً ، فما هذه الفوضى فى التعبير ؟

« البقايا تتوالى تباعاً بإذن الله »

الزكاة

بقلم السيدة مريم المصوم الدكتور محمد رضا

أصل الزكاة : النمو والزيادة ، يقال : زكا الزرع أى : نما وزاد ، وسميت هذه العبادة : الزكاة . لأنها تزيد المال وتنميه فى الدنيا والآخرة . قال تعالى : (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) . وقال (من ذا الذى يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم) .

والزكاة أيضاً : الطهارة والتنقية من الأقدار كما بين تعالى فقال (قد أفلح من تزكى) وقال (قد أفلح من زكاها) أى طهر نفسه ونقاها من الأخلاق الذميمة والصفات القبيحة ، فالزكاة : تطهر قلب المرء من داء البخل الفتاك بكل فضيلة فى الإنسان وما يحيط به من المجتمع ، إذ تعودده الجود والكرم فتقيه شح نفسه وما يدعو إليه من ظلم وفجور وقطيعة كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » .

والزكاة : صدقة نسبية محددة وفريضة من أهم أركان الإسلام ، لأنها أقوى دعامة يقوم عليها بناء المجتمع الصالح الذى ترتبط قلوب أفرادهِ بروابط الإخاء والتعاون والإيمان بأن على كل فرد حقاً لازماً فى ماله ونفسه ، لأخيه وبلده . ومن ثم جاءت الأوامر بها ، والترغيب فيها والثناء على المتصدقين فى كثير من آى الذكر الحكيم ، فلم يأمر الله بالصلاة إلا وأمر بجانبها بالزكاة ، ولم يمدح المصلين إلا وأثنى معهم على المتصدقين ، لأن الصلاة : شكر نعمة العقل والجسد ، والزكاة : شكر نعمة المال ، ولا تنظم حياة الإنسان وتقوم إلا على النعمتين ، ولا يسعد العبد إلا بالشكرين .

وقد بين تعالى الذين يستحقون الصدقات فى قوله (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من

الله ، والله عليم حكيم) فرض مساعدة هؤلاء فريضة ، وهم : الفقراء والمساكين ، والعاملون عليها هم الذين يجمعونها من أهلها في البلاد ثم يوصلونها إلى من يتولى توزيعها وهم الذين يسمون الآن بالمحصلين ، والمؤلفة قلوبهم : هم الذين دخلوا في الإسلام وتركوا أهلهم وأموالهم فالواجب أن تتعهدهم الحكومات والجماعات الإسلامية والأفراد بإعطائهم من الأموال ما يكفي لحاجتهم ومعيشتهم حتى تطمئن قلوبهم بالإسلام ويستغنوا بمجهودهم عن الصدقة ، وفي الرقاب : يُشترى من أموال الصدقات العبيد والإماء المسلمون ويعتقون ويحررون من الرق والعبودية ، والغارم : هو الذي تحمل من الديون ، والغرامات مالا قبل له به ولا قدرة له على سداذه فيعطى من الصدقة ما يساعده على التخلص من رق الدين وذلك . وفي سبيل الله : المصالح الإسلامية العامة من جهاد في سبيل نشر الدين بالتعليم أو الدفاع عنه بالآلات الحربية وتموين الجيوش الإسلامية والمرافق العامة من المستشفيات والملاجيء وغيرها . وابن السبيل : الذي انقطع عن أهله ووطنه ، وليس معه ما يصل به إلى بلده ولا ما يعيشه فيعطى من الصدقة ما يساعده على الوصول إلى وطنه من أجرة السفر والطعام ونحوه .

لقد قضت حكمة العزيز الحكيم أن يجعل أفراد الناس متفاوتي المراتب في المال . فمنهم من بسط له الرزق ووسعه . ومنهم : من قدر عليه رزقه وضيقه . وجعل للفقراء حقاً معلوماً وشركة في مال الأغنياء . وكل ذلك لحكمة منه جل شأنه ليبلو أعمالهم وليتبين من آمن ممن كفر فيكافئ من أنفق في سبيله وشكر ، ويعاقب من طمع وبخل وادخر . قال تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم) .

وسمى الله تعالى ما يقدم في سبيله قرضاً ، لأن القرض لابد أن يرد إلى صاحبه مع الشكر له . وسماه قرضاً حسناً ، لأنه لابد أن يكون من أجود وأطيب ما يملكه المرء ، وأن يكون من حلال اكتسبه عن طريق شريف . قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقال (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) .

ووعده الله تعالى المتصدقين بالرحمة في قوله (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) ووعدهم بدخول الجنة بعد تكفير السيئات في قوله (لنن أقمتم

الصلاة ، وآتيتكم الزكاة ، وآميتكم برسلى ، وعززتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفرن عنكم سيئاتكم ولا دخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) .

وبين تعالى أن الصدقة لا تكون مقبولة - ولها هذه الثمرات الطيبة في الدنيا والآخرة - إلا إذا كانت عن إخلاص وابتغاء وجه الله وطمعاً في رضاه ، وكل صدقة أنفقت رغبة في جزاء أو شكر وثناء من الناس أو حباً في الزهو والفخر ، أو أتبت بمن وأذى . فهي حابطة باطلة . قال تعالى (وسيجنبها الأتقى ، الذي يؤتي ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) .

وقال (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) .

وقال (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا متناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني جلیم . يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثل كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل ، فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) أى إن المن والأذى يبطلان الصدقات ويحبطان أجرها كما يحبطها الرئاء وحب الأحداث عند الناس .

ولا يحظى بأجر صدقاته وينوز بأضعاف ما قدم من خير ، إلا من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من نفسه في منازل الإيمان لأن المال شقيق الروح . فمن جاد به ابتغاء مرضاة الله لا ابتغاء مرضاة هواد أو مرضاة الناس ، كان بذله مزيداً في إيمانه وإصلاحاً لروحه في الدنيا ، كما كان بذله مزيداً في أجره في الآخرة .

وقد أدب تعالى المؤمن وأمره بأن يعطف على اليتيم ولا يقهره ، ويرأف بالسائل

ولا ينهره . ويحدث بفضل ربه ويشكره . قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث) .

وينبغي على المسلم التقى أن يعطى الفقير وهو مسرور محب لذلك غير ساخط ولا كاره . . .
والأيمن عليه مهما فعل من سوء أو كفر بإحسانه لأنه إنما يعطيه حقه ويرد إليه الأمانة ،
فلا يرى له على الفقير فضلاً يستوجب منا ويقتضى مباهاة ونفراً ، ولا يستلزم من الفقير ولا
من الناس ثناء ولا شكراً ، وهو يعرف أنه فقير مثله ، والفضل الحقيقي لله الغنى الذى تفضل
وأعطى ، ويسر له الفقير يساعده على بلوغ ما يحب ويرضى (يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى
الله ، والله هو الغنى الحميد) .

ولو تأمل العاقل لعرف أن الصدقة تنفع معطيها أكثر مما تنفع آخذها : لأن الآخذ
يملاً بها بطنه أو يكسبها بدنه . أما المعطى : فإنه يزكى بها نفسه ويعلى بها قدره . فإين نفع
الآخذ الوقتى المادى . من نفع المعطى العظيم الأبدى . ؟؟

فينبغي على المعطى أن يشكر الآخذ لا أن يمن عليه ، ويراه بقبوله صدقته متفضلاً عليه ،
لأنه هو الذى فتح له باب الخير والرحم فى الآخرة فلولا لما ربح هذا الأجر العظيم ، ولما ادخر
عند الله متاعه فى جنات النعيم .

وقد ضرب الله تعالى المثل لقلب المنافق الذى يرائى الناس بعمله لأنه لا يؤمن بالله
ولا يرجو فضله ، بصفوان عليه تراب أى حجر صلد عليه قليل من التراب أصابه مطر غزير
نجرف ما كان عليه فعاد أماس لا يصلح لزرع ولا يأتى بخير . ومثل المؤمن المنفق فى سبيله
وابتغاء مرضاته وتثبيتاً لنفسه فى منازل الإيمان ، ببستان بأرض جيدة مستوية مرتفعة
لا يركد فيها الماء ، فالربوة أجود الأرض وأخصبها . تؤتى ثمرها بأقل ما يصيبها من الماء الذى
هو الطل أى المطر الخفيف ، فكيف بها لو أصابها مطر وابل ؟ إنها تخرج ثمرأ مضاعفاً
وتؤتى خيراً كثيراً لخصوبة أرضها وجودة تربتها وحسن موقعها .

فالمؤمن المنفق ابتغاء مرضاة الله كالجنة الجيدة التربة العظيمة الخصب فى كثرة بره
وإنتاقه . إن أصابه خير كثير أغدق ووسع فى الإنفاق وكثر نفعه للناس . وإن أصابه خير

خير قليل أنفق منه بقدره . فهو يجود بقدر سعة ، بل يؤثر على نفسه ، أما الكافر : فإنه إذا أصابه خير كثير طغى وبغى وزاد ضرره وظلمه للناس كلما زاد ماله ونفوذه ، وإذا أنفق أنفق رثاء الناس لأنه لا يريد إلا الحياة الدنيا ولا يوقن بثواب الصدقة ، ولأن قلبه تجرد من الرحمة فصار كالحجر الصلد كما شبه تعالى به لقسوته وبين أنه لا يجنى من عمله أى ثمرة لأنه كان لغير الله ومرضاته . والوايل والطل : هما كناية عن سعة الرزق وما دون السعة .

ومن العجب أن نرى أكثر الناس ينفقون أموالهم رثاء الناس ، ولحبهم الظهور بالكرم والغنى يسرفون على أنفسهم وعلى غيرهم ويتوسعون . ويكثر من الولائم والحفلات ويقدمون لأصدقائهم الاثرياء الهدايا الغالية الثمينة ، ولا يبخلون بالكثير حباً فى التفاخر والعلوفى الأرض ، ويبخلون بالقليل على الفقير المحتاج فيطعمون الشبعان ويحرمون الجوعان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة ، يدعى إليه الشبعان ويحبس عنه الجوعان » .

فواجباً لهؤلاء الذين يفرحون لما يرضى الناس من نفقة ، ويألمون لما يرضى الله من صدقة فينفقون رثاء الناس وهم مبتهجون ، ولا ينفقون فى سبيل الله إلا وهم كارهون كما وصفهم تعالى (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) .

ومن الناس من لا يتصدق إلا على من يأمل الانتفاع منه ويرجو خدمته . أو من يتملقه ويتزلف إليه ، ويحرم الأحق والأولى بالصدقة ، وهذا لأنه لا يتصدق إلا ليرضى هوى قلبه ، لا ليحظى برحمة ربه ، فليس لمثل هذا أجر على صدقته الهوائية ، لأنه أخذ أجرها فى الدنيا خدمة ومداينة .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تحل الصدقة لغنى وذى مرة سوى » .

فالصدقة لا تحل إلا لاحتاج فقير ، أو عجوز مريض لا عائل له ، أو من به عاهة تمنعه عن العمل . فحرام على الغنى أو القوى سوى أن يأخذ من حق الفقير العاجز فى كل أموال الناس بالباطل ، وحرام كذلك على المتصدق أن لا يوصل الأمانة إلى أهلها فيعطى رجلاً قوياً سويّاً قادراً على العمل لا عذر له فى الاستجداء ، فيحرضه على البطالة والكسل ،

ويعوده استمراء الكسب الهين الذى يناله بلا تعب ولا عمل ، فإن كثيرا من الوحيين يدعون الاحتياج ويتصنعون الفقر ويسألون الناس إلخافاً ليتوسعوا ويتمتعوا وليدخنوا ويرتعوا ، فالويل لهم من عقاب الله لأنهم يتمتعون بحاجة اليتيم ودواء المريض ولقمة الجوعان وكسوة العريان . قال صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس تكثراً فإني سأله جحراً فليستقل أو لىستكثر » وقال : « ما سأل عبد مسألة إلا زاده الله بها ذلاً » .

وقال تعالى فى بيان من هو أهل للصدقة وأولى بها (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلخافاً) أى لا يطلبون من الناس صدقة مع أنهم فى أشد الحاجة إليها لما هم فيه من الفقر ، بل يتظاهرون بالغنى تعففاً لأن عزة نفوسهم تمنعهم من السؤال . فهم يؤثرون غنى أنفسهم بالكرامة على غنى يدهم بالاستجداء ، بل ربما إذا أعطوا رفضوا العطاء .

فيجب على المتصدق أن يتحرى مواضع الاحتياج فى إغاثة للمهوف ، وإسعاف المريض ، وتربية اليتيم ، وإشباع الجوعان . لا إشباع الشره الكسلان .

ويجب أن يعطى الفقير قدر حاجته وضرورته لا قدر متعته وشهوته وأناقته ، لأن الله تعالى يأمر بعدم التبذير وعدم إعطاء الفقير إلا حقه أى ما يستحقه من ضرورة فى قوله (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً) إن الله تعالى يحذر المتصدق فى هذه الآية الكريمة من التبذير الذى تدفع إليه الغريزة الفطرية من رحمة وعطف على ذوى القربى ومن شفقة على المسكين وابن السبيل ، وذلك : لأن المتصدق إذا أغدق العطاء على من يجب ومن يشفق عليه من الحق المعلوم للسائل والمحروم ، فتصدق على القريب الفقير لينعم ويتوسع أوليدخر ويجمع لا ليكتسى ويشبع ، حرم غيره مما هو لازم لضرورته ، ولم يعط صاحب الحق حقه فكان من الظالمين ، وحرص على الطمع والاعتداء على حق الغير فكان بصدقته من المنسدين المبذرين . فليس مال الصدقات ملك المتصدق حتى يوزعه كما يشاء وعلى من يجب إنما هو أمانة أوصاه الله تعالى بأن يؤديها إلى أهلها ، ووصفهم له ليجتنب عنهم . فليحذر المؤمن ألا ينفذ وصية ربه وألا يقوم بما كلفه به خير قيام فيحول الصدقة إلى تبذير وتقصير . وأجرها

إلى وزر ، وليحذر أن يفضب ربه ليرضى قريبه أو حبيبه وأن يكون بتبذيره ممن وصفهم الله تعالى بقوله (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) .

وقد أمر تعالى بالإففاق سرأً وعلانية لحكمة عظيمة في الحاليتين .

فالإففاق سرأً : خير للمعطي وللآخذ معاً . إذ لا يشعر المعطي بالزهو بما أعطى أمام الناس فتحبط صدقته . ولا يشعر الآخذ بذلك الاستجداء وخجل الاحتياج أمام الناس ، فتحفظ كرامته .

وأما الإففاق علانية : فيكون في بعض الأحوال قدوة حسنة للناس تحثهم على المسارعة في الخيرات وتشجعهم على الإكثار والاستمرار في التصدق ، ففي كلتا الحاليتين حكمة وفائدة في الأولى نفع للفقير وللمتصدق . وفي الثانية نفع للمجتمع ولذلك يقول الله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) ويقول (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرأً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ويقول (قل لعبادى الذين آمنوا : يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرأً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) .

فالمسلم العاقل يتحرى ما هو الأفضل والأنسب لكل حال فيخفى الصدقة إذا كان فيها ذلة وتحقير للفقير ، ويعلنها إذا كان فيها حض للغنى أو تحجيل للبخل .

وفي الحديث أن جماعة من الفقراء جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فخطب الناس ورجعهم في الصدقة على أولئك الفقراء فقام رجل إلى بيته وجاء بصرة لا يكاد يحملها بل عجز عن حملها فلما رآه الناس تسابقوا في الصدقة وجاء كل بأكثر مما يستطيع حتى اجتمع شيء كثير سبر له النبي صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وقال - مشيراً إلى هذا الرجل - « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » .

وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقال (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) وقال (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه . واعلموا

أن الله غنى حميد) يقول تعالى إنكم لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من مال وثمار وطعام وغيره .

فيجب أن يكون ما تقدمونه إلى الله من أجوده وأطيبه لا من الخبيث الذي لا ترضون مثله لأنفسكم ولا تقبلون أخذه إلا على كره واضطرار فيلجئكم أن تتساهلوا فيه تساهل من أغض عينيه عنه فلم يرعيه .

وقوله تعالى (أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض) أى : أنفقوا من كل ما أنعمت به عليكم من شتى أنواع الرزق سواء كان سببه كسب أيديكم أو ما أخرجكم لكم من نبات الأرض ومعادنها أو مما ترثون فكل ذلك فضل منه يجب شكره له بنفقة بعض الجيد منه في سبيله وابتغاء مرضاته .

فكلما كثر مال المرء وزاد تمتعه وتنعمه وجب عليه شكر كل لذة ومتعة كالبية بصدقة تنيل الفقير حاجته الضرورية ، فيغيث من يقاسى الحرمان ويتألم ، كما وسع الله عليه فتتم ، قال تعالى (وأحسن كما أحسن الله إليك) .

فالمؤمن لا تلهيه النعمة عن شكر المنعم ولا يدعوه حب نفسه إلى نسيان غيره .
وقال تعالى (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) أى : الذين ينفقون في وقت اليسر وفي وقت العسر ، فإنفاق المال في السراء وفي الضراء أدل على التقوى وأشق على النفس ، فبذله في سبيل الله في السراء والغنى وكثرة المال الذى يدعو إلى الأشر والبطر وشدة الطمع وبعد الأمل ويدفع إلى الترف واللهو والانغماس في اللذات التى تبعد المرء عن ربه وتلهيه عن ذكره يدل على التقوى والإيمان .
وفي الحديث « خير الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح صحيح ترجو الحياة وتخاف الفقر »
وأما الإنفاق في الضراء : فلأن الإنسان يرى نفسه معذوراً إن لم يعط وهو أولى بما يعطيه .

ولكن المؤمن مهما كان فقيراً فإنه في سبيل مرضاة الله وطمعاً في مضاعفة جزائه ، يؤثر بالقليل الذى في يده ويعطيه من هو أحوج وأفقر منه في نظره (ويؤثرون على أنفسهم

ولو كان بهم خصاصة) فهو كما قال تعالى كجنة بريرة تؤتى . أكلها إذا أصابها طل ، ولا ينقطع خيرها زاد سقيها أو قل . وهو كالزراع العاقل الذى يبذر فى أرض جيدة بعض ما عنده من القمح بالرغم من قلته لينال فيما بعد الخير الكثير والربح الجزيل . فهو يصبر اليوم على الجوع والحرمان ليتمتع غداً بما يحب ويشتهى .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم « على كل مسلم صدقة ، فإن لم يجد : يعمل بيديه لينتفع نفسه ويتصدق ، فإن لم يستطع : يعين ذا الحاجة الملهوف ، فإن لم يستطع : يأمر بالمعروف أو الخير فإن لم يفعل يمسك عن الشر فإنها صدقة » .

فالصدقة والنصيحة والمعونة : فرض على كل مؤمن غنياً كان أو فقيراً عالماً أو جاهلاً ، كل على قدر ماله وعلمه وقوته .

فالفقير يعطى من هو أفقر منه ، والجاهل يرشد من هو أجهل منه ، والقوى يعين من هو أضعف منه . فلا بد لكل مؤمن أن يتصدق بما رزقه الله وينفع أخاه مادياً وأدبياً .

وقد بين الله تعالى لنا أنه سيضاعف الصدقات مضاعفة مختلفة من ضعفين إلى سبعائة وإلى أكثر من ذلك (والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وهذا يدل على أن الصدقة تختلف قيمتها ويتفاوت جزاؤها على حسب إخلاص وإيمان منفقها وعلى نسبة ماله قلة وكثرة وعلى الظروف من الشدة والرخاء وعلى حسب حال الفقير . فربما كان قرش من الفقير أعظم أجراً من مائة دينار الغنى بالنسبة لما يملكه .

وربما كان قرش من تقى أنفقه ابتغاء مرضاة الله أعظم من ألف أنفقها جاهل تقليداً لغيره أو رثاء الناس أو أنفقها كارهاً مرغماً خجلاً من أن يقال : بخيل . ورغيف فى وقت المجاعة خير من دينار فى وقت الرخاء . وقرش أغاث ملهوفاً أو أنقذ مريضاً من الألم خير من دينار رفه ومتع طاعماً كاسياً . بل ومليم أخرجه فقير من ضرورته لينقذ غيره خير من آلاف أخرجه أغنى من فضل مائه فلم تغير شيئاً من كيفية معيشته ولم تنقص من ترفه ومتعه ولحمه فلم يشعر بها كما شعر الفقير بنقص مليمه . قال الرسول صلى الله عليه وسلم « دينار سبق ألنا . قالوا يارسول الله كيف سبق الدينار الألف ؟ قال : رجل لا يملك إلا دينارين فتصدق

بأحدهما فقد تصدق بنصف ماله . ورجل تصدق بالآلف من عرض ماله قال بالآلف هكذا)
وقال الشاعر :

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود ومالديك قليل
فالويل للقاسية قلوبهم الذين مثلهم الله بصفوان عليه تراب إذا أصابه وابل تركه صلدا
لا يقدرّون على شيء مما كسبوا إذ ركبوا من الإسراف مطايا جامحة إلى منع حق الفقير فيما
خولهم الله من مال ، زاعمين أن استنفاد أموالهم في الملاذ والكاليات عذر في عدم الصدقة
ولعل الله يعفو عنهم بذلك العذر!

ولقد خاب فآلم لأن الله تعالى قد نص في كتابه على أن للفقير حقاً معلوماً في هذه
الأموال حين تقع في يد صاحبها بقوله (وآتوا حقه يوم حصاده) أى : قبل أن تنفقوا من
المال على أنفسكم يجب أن تعطوا حق الفقير أولاً ، فلا يتوهمن منسرف بعد هذا أنه بغير
مطلوب منه ولا محاسب عن صدقة في ماله مادامت اللذات والزينات تستغرق كل دخله ،
ومادامت المدينة الكاذبة تفرض عليه من زخرفها وترفها ما يمنعه من أداء ما يفرضه عليه
الله تعالى . وليعلم أنه لو اقتصد في معيشته فأعطى للفقير حقه ، لأنقذ نفسه وغيره . ولكن
كيف الفلاح بين هوى جاذب ، وجهل غالب ، وأمل كاذب ، وحرص دائب ؟؟

أليس من الحماقة أن ينعم الله تعالى على الغنى بنعمة نافعة له في الدنيا والآخرة فيحولها
إلى مضرة ؟ و بدل أن يستفيد منها له يسلطها أذى عليه ، فيشتري بها عذابه في الجحيم بدل أن
يشتري بها سعادته في جنات النعيم . ؟؟

حقاً إن الأحق لعدو نفسه ، لأن من أحسن فبنفسه ابتدا . ومن أساء فعلى نفسه
اعتدى ، ومن اعتدى فلنفسه اعتدى ، والشقي هو من يجمع المال لغيره ، ويبخل عن نفسه
بغيره ، فلا يفوز بأجره . ولا يسلم من شره ، بل يشتري به أوزاراً يحملها على ظهره .

قال تعالى (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) وقال (ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم) وقال (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله
إن الله بما تعملون بصير) .

إن للفقراء حقاً معلوماً في مال الأغنياء وأمانة يجب أن يردوها إلى أصحابها . فكيف لا يستحي غنى من أن يعتصب حق الفقير ويخون ما ائتمنه الله عليه . وقد أعطاه الكثير فطمع في القليل وسولت له نفسه الجشعة أن يستأثر به كله . ؟ فما أوقعه وأجرأه على الله وما أعظم الخيانة التي يقتربها بسرقة قوت الفقير وحاجته . إنه يسرق طعام الجوعان ، ليدخر ويجمع ، ويعذب أخاه الإنسان ، لينعم ويرتع ، لويذيقه ألم الحرمان ، ليسرف ويتوسع ، فظلمه لنفسه أشد من ظلمه لغيره ، لأن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا وأفظع . (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) .

تأمل أيها الإنسان فضل الله ورحمته وكرمه إذ يعطيك المال ويسبغ عليك نعمه ثم يتقبل القليل منها ويعتبره قرضاً وهو من جوده ، ثم يضاعف ويكافئ عليه وهو من عطاء يده وكرمه ثم تصور صفاقة وجهك إذ لا تقرض من رزقك وأغناك ، وتضن بالنذر اليسير مما أعطاك ، وقد وعدك بأنه سيرده إليك مضاعفاً في يوم رهيب يوم لا ينفعك فيه مال ولا ينجيك فيه حبيب ، ثم يقول لك : أقرضني ، فلا تستحي من أن تتصامم ولا تحجب . ؟
إنك يا هذا تنجبل من عيد أحسن إليك وتسارع إلى طاعته إذا طلب منك شيئاً ، فكيف لا تنجبل من ربك الذي خلقك من قبل ولم تك شيئاً . ؟؟

لم يبق بعد هذا الترغيب والترهيب وبعد هذا التعليم والتهذيب ، إلا أن يكون المؤمن بهذا الهدى أشد الناس رغبة في الصدقة في سبيل الله بحسب سعته وحاله ، وأن يكون في بذله مخلصاً متحرراً بواقع الفائدة لينفع وينتفع بماله .

فأسرع أيها العاقل إلى الإنفاق في سبيل الله ولا تلق بنفسك إلى الهلاك . (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وتذكر أن نصيبك من مالك هو الذي تدخره ليوم مالك ، فكل ما يدخره المرء في هذه الدنيا سيفقده ، أما كل ما يقدمه لنفسه و يدخره عند ربه فسيجده (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) .

فكن حريصاً على مصلحتك الأبدية ولا تبخل عن نفسك فتدخر لها العذاب وبادر إلى تقديم ما أخرت من زكاة في ماضى عمرك ، لأن الله لا يتقبل التوبة ويغفر إلا لمن تاب

وأصلح . فأصلح تقصيرك وتقريطك في جنب الله وأخذ نفسك من عذاب يوم عبوس
قطرير ، لا ينفعك فيه شفيع ولا ولي ولا نصير (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من
قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون) .
فاحذروا أيها الناس أن تظلموا أنفسكم وغيركم ببخلكم وأن تحرموا فتحرموا وتندموا
حيث لا ينفع الندم ، فمن يرحم يرحم . ومن يحرم يحرم ، ومن يبخل يندم ، ويكوى بما
كنز في نار جهنم (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
أليم ، يوم يحس عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم
لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .
صدق الله العظيم .

الأمانة

حسن المعاملة

الجودة

بمجلات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والحب ————— مال والدوابة
ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التبكشية بالجالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحمزاوى بوكالة مذكور تليفون ٥٥٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

روحانية الأضرحة

قال صاحبي :

— إسمح لي أن أقول لك يا أخى : إتنى عند مأزور الأضرحة : أشعر بروحانية بهيجة ؛ تهتز لها نفسى ويسعد بها قلبى ! مع أنى أومن بأن الأولياء الصالحين لا يملكون لنا نفعاً ولا ضرراً ... فما رأيك فى ذلك . ؟

قلت :

— واسمح لي يا أخى أن أقول لك : إتنى لأقبل أن أزور الأضرحة ، ويخيل الى إتنى لوزرتها - افتراضاً - لاشمأزت نفسى واقشعر بدنى .. وأنا أومن مثلك بأن الأولياء الصالحين لا يملكون لنا - ولا لأنفسهم - نفعاً ولا ضرراً ... فما رأيك أنت ؟

قال صاحبي : لا أدرى .

— قلت : المسألة فى الحقيقة ترجع إلى العقائد التى يؤمن بها الإنسان ، والأفكار التى يدين نفسه بها .. ولأضرب لك مثلاً :

المسيحى الذى يزور ضريح مار جرجس أو سانت تريزا ؛ يشعر بروحانية تهتز لها نفسه ويسعد بها قلبه ... فهل هذا يدل على صدق عقائد هذا المسيحى • وصحة عمله عند الأضرحة ؟

قال صاحبي : لا .

قلت : تبعاً للعقائد التى يؤمن بها الإنسان ؛ تندفع جوارحه إلى أعمال يراها فى غاية الصحة والسداد ؛ فإذا فتش فى هذه العقائد ، وبحث أصولها وحكم عقله فيها بغير تحيز ؛ فاهتدى إلى عقائد أخرى منافية لها ، فآمن بها ؛ وكفر بالعقائد الأولى ... فلا شك أنه سيندفع إلى أعمال أخرى غير تلك الأعمال الأولى أيضاً ، وسيضحك من نفسه ، ويشعر بغباوتها عند ما كان يقوم بتلك الأعمال .

فالمسلم الذى يضيء قلبه نور التوحيد؛ يتعجب كيف كان فى يوم من الأيام : يقبل
الأعتاب ، ويهيل على رأسه التراب ؟ وكيف كان يشعر بأن ذلك روحانية وسمو ... وهو
يراهنا اليوم إشرافاً كاوثنية .

قال صاحبي :

— بماذا تعلل هذا الارتياح والنشوة التى يحس بها زوار الأضرحة . ؟

— هذا يرجع إلى ميل القلب وهوى النفس ، إذا كانت العقيدة سليمة ، مالت

النفس إلى الطيب .

انظر إلى ذلك السكير الذى يؤمن بأن الخمر (مزاج) تراه يتذوق مرارتها حلاوة ،
ويعتبر خبلها نشوة ، وصداعها انسجاماً ، والجلوس مع السكارى أمثاله انتعاشاً بصفوة ممتازة .
أنظر إلى ذلك الحشّاش الذى يؤمن بأن الحشيش (مزاج) تراه يستطعم نكهته
الخيثة ، ويعتبر بلادة الإحساس حكمة والغيوبة فلسفة ، والجلوس مع (المساطيل) أمثاله
سعادة ما بعدها سعادة .

هذا فى الخبث للمادى كالخمر والحشيش ، وكذلك الأمر فى الروحى منها .

فهل ميل الإنسان لهذه الأفعال دليل على صحتها ، بمعنى أنها توافق الفطرة . ؟

كلا . فليس كل مالمالت إليه النفس حقاً فى ذاته ، بل على العكس : أغلب ما تميل إليه
النفس يكون شراً ... وإن النفس لأماراة بالسوء . إلا ما رحم ربي ..

فما بالك إذا كانت النفس قد فسقت عن أمر ربها ، ففسدت الفطرة ، وملحت عذوبة

القلب ؟ ؟ .

قال صاحبي : اتقنت وشكر الله لك .

قلت : وأعاذك الله من روحانية الأضرحة .

عبد الفتاح الزهبرى

ضابط بالقوات المسلحة

التضحية في سبيل العقيدة - ٢

المصباحي البطل عامر بن ثابت

بقلم الأستاذ محمود محمد البرماوي

« ملخص ماسبق : استشهد ابن الأفلح في سبيل الله ، وكانت سلافة قد وعدت من يأتيه برأسه ببلية يعربد فيها الشيطان معها . وعى الله على قاتلي البطل فاجتزوا رأس غيره ، وهم يظنونها رأس ابن الأفلح » .

عقدت الدهشة لسان « سلافة » وغمرتها فرحة وأذهلتها مفاجأة كانت سارة ، أهدته رأس ابن الأفلح ؟ أهدته الرأس التي كانت على كتفي فارس إسلامي ، أذل قومها وقتل ولديها ، ونادى بالتوحيد مع محمد ، فلا عزي ولا هبل ، ولا إساف ولا نائلة ؟ ؟ هيه يا ابن الأفلح ؟ ؟ .

استطعت بجمالي وسحري ومالي أن أذرحج رأسك عن كتفيك ، وأجرها تطوى الصحراء ذليلة ؟ .

وسرعان ما التأم سامرها حولها ووقفت تزغرد وتهتز وتغنى وتمايل ، قد اشتد عطشها إلى الخمر وازداد ميلها للشراب ، وأقسمت أن تجعل هذه الليلة يتناقلها الرواة من قریش ، وتتحدث بها الأجيال . . وارتدت للحفل ثوباً شفافاً كاشفاً عما تحته ، ولقت وسطها بحزام مطرز ، ووضعت على رأسها منديلاً مُنْقَلَباً بِحِجَابِ الخرز ، ثم نحرت الإبل ، ومدت الموائد وملأت كؤوس الخمر ورقصت على رنين الدفوف وضربات الأكف وصفير الرقصاء من الخمورين ، وصبت أول كأس لنفسها في قحفة رأس ابن الأفلح ولم تشرب ، بل أدارت الكئوس على خلانها وطلاب المتعة من جسدها !! .

وعمد فارس الحلبة وبطل الحفل يتعجل نهاية الحفل لينقم بالجسد الرخيص ، والمتعة المحرمة ، والليله التي تنقطع دونها أنفاس الصناديد ، وتمتد إليها رقاب المغاوير ، وتشرب لها أعناق الفحول ، كم من قلب نبض بحبها ، وخفق لقربها وهفاً للانفراد بها .

فرحة لم تتم

ويريدُ الله ألا تتم الفرحة ، بل يريد أن ينقلب الفرح مآتماً فَبَيْنَمَا القوم في سكرهم والخمر تدور برءوسهم وسحر « سلافة » ينعشهم ، إذا بهم يسمعون صوتاً قادماً من بعيد كأنه مطارق من حديد . أو كأنه صف الرعود في أسماع الشكارى !! التفتوا حول صاحبه يسألونه ما الخبر؟؟ ويتفرسون في وجهه . وإذا هو صاحبهم « العباس بن عامر القرشي » يلوح بيده في الهواء ويضع الأخرى على جرح في جبهته يكتم الدم الذي ألح عليه التزف . رفع عامر رأسه وقال في صوت يشبه الهمس ، إلا أنه مُتَمَيِّزٌ مسموع ، وقد حبس القوم أنفاسهم لثلاث ففوتهم حرف واحد من الكلمات التي يقولها « العباس » ، استمعوا له وهو يشير إلى الفاجرة ويقول : لا تشربى الخمر يا سلافة في القحفة التي بين يديك لأنها رأس أخيك جبير « وقص عليها القصة كاملة والقوم في ذهول ينظرون إليه نظر المغشى عليه من الموت وينصتون ناكساً رهوسهم لأن العباس معروف بحقه على محمد ودين محمد وضغنه من محمد صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب محمد رضوان الله عليهم .

والفضل ما شهدت به الأعداء

ولم يكن عندهم كذباً وبخاسة ، وهو يلفظ آخر أنفاسه ويسرع به أجله ليدينه من النهاية ، فكيف يقص هذه القصة بأمانة وصدق ، ثم ما الذي يدعوه إلى أن يتحمل المشاق لينفض هذا الخبر ؟ ! ثم ما الذي يُجبره على أن يرويهِ للناس ؟ وما الفائدة التي تعود عليه من نشر محاسن الدين ومحاسن أهله ، وهو المشرك مثلهم الذي قوض الإسلام مجده الزائف الغابر وأدال من سطوة أوهام اللات والعزى وسائر الحجارة المنصوبة لأهل الجاهلية ؟ ! . وما الذي يعود عليه من هذه القصة التي كلها دعاية صالحة للدين الجديد ؟ بل كان

الأولى له أن يرمّج على منزله يستشفى به من جرح أصيب به من أيدي المسلمين ١٩ .
 إن العباس أذاع الخبر ، وأذاع معه شيئاً زعزع عقائد الكافرين في آلهتهم وحول
 أنظارهم وأفهامهم لهذا الدين ، إنهم عبدوا الصخور فلم تسمع لهم دعاء ولم تلبّ لهم نداء ،
 ولكن عاصماً عبَدَ الله رب محمد ورب الناس أجمعين . ثم دعاه فاستجاب دعوته وحفظه ،
 ولم يستطع أحد من المشركين أن يعثر عليه .

شهادة

وترى سلافة « الصاجات » وتحمل الحزام وتجلس على الأرض وتضع رأس العباس
 في حجرها وتهزه في لهفة تستوثق مما قال ، فيقول لها ماقاله آنفاً ثم يشح عن الوجه المحسور
 والقوم الكارى ويغمض عينيه رويداً رويداً ، ويتمتم في نغم طيب شجي وهو يخوض
 غمرات الموت ، فيقول : اللهم رب محمد ، إن محمداً على حق ، وأصحابه الذين آمنوا معه على
 حق . وقد رأيت الدليل وأبصرت وسمعت ، يارب أنا معه ومعهم ، يارب تقبل منى .
 أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وكل واحد يقلب كفيه حسرة وندامة ،
 ويرددُ بغير وعى آخر كلمة نطق بها صاحبهم قبل أن تطوى صحيفة حياته إلى الأبد لتسطر في
 سجل الخلود .

محمود محمد البرماوي

مدرس بمدرسة عمر مكرم بشبرا مصر

في الزقازيق

مجلة الهدى النبوى

تطلب مجلة الهدى النبوى من مكتبة عرفات بالزقازيق

كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله

أرسل إخواننا أنصار السنة إلى فضيلة الأستاذ الكبير مدير الوعظ والإرشاد شكوى مطولة من جماعة نصَّبوا للوعظ والإرشاد ، فأبوا إلا أن يكونوا دعاة فرقة وتحزب مقيت . وإليك بعض ماجاء في شكوى إخواننا أنصار السنة بقرية الملايكة تبع أولاد مهنا مركز بلبس إلى مدير الوعظ والإرشاد :

وإلى سيادتكم بعض ما أفتوا به : ففي يوم الجمعة ٩ شوال سنة ١٣٧٨ هـ . حضر أحد الوعاظ وأفتى بما يخالف الحق . وعندما وجهنا له السؤال بأن يأتى لنا بدليل غضب وواجهنا بالشدة والعنف وقال : إذا قلت : يا رب جائز . وإذا قلت - يا سيدة جائز ولا حرج . ودعاء الأولياء جائز كما أن دعاء الله جائز . ولما طلب إليه الدليل مرة أخرى من أكثر من شخص أجل الرد ووعد به ثم أسر للبعض بأنه لم يأت ليقرر حقا ولكن ليزيل خلافا . . . ؟

كما قال عن الجهر بقراءة سورة الكهف في المسجد بأنه متواتر . وأمر بوضع الراديو في المسجد وبهذا زاد اشتعال نار زعم أنه أطفأها ، ونهانا أن نصعد المنبر بعد ذلك وقال : إنه سيأتى مرات متتابعة أو يرسل من ينوب عنه .

وفي يوم الجمعة ١٦ من شوال أرسل مدرسا من المدرسين بمعهد بابيس الدينى ليتعم مابداً ويؤيد ما قال .

وفي يوم الجمعة ٢٣ شوال سنة ١٣٧٨ هـ . أيضاً ، أرسل واعظاً حيث سار على نفس التحدى ومتابعة المنهج وكلهم يرفض الدليل وهذا أفضل ما نطقت به ألسنتهم . أما نحن فقد لزمنا الصمت ولم نجد للمحاجة من سبيل إلا أن تمر بسلام .

« الهدى النبوى » إن فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد

رجل نعرف عنه أنه من أكبر أنصار دعوة الحق ، وأنه عالم جليل . له جهاده العظيم في خدمة الإسلام هنا وفي ربوع البلاد الإسلامية في إفريقية وغيرها . ونحن لاستعديه على هؤلاء الذين أغفلنا ذكر أسمائهم ، وإنما كل مانريده أن يقول أخونا الأستاذ الجليل هؤلاء إننا لا نعيش في عصر الجيف والرم ، ولكننا نعيش في عصر الحياة المكافئة المناضلة ، ونضالنا في سبيل عزة الإسلام يربط قلوبنا بالله وحده ، لابهذه الرمم التي أكل منها الدود ونخر فيها السوس . ونحن على يقين من أن الأستاذ الكبير لا يرضيه مطلقاً أن ينسب قول هؤلاء إلى الإسلام .

إعلان

تنتهى بهذا العدد السنة الثالثة والعشرون لمجلة (الهدى النبوى) وتستهل بالعدد القادم إن شاء الله سنتها الرابعة والعشرين .
وبهذه المناسبة نرجو إدارة المجلة من السادة المشتركين الذين اتهم اشتراكتهم بهذا العدد أن يتكرموا موافاتها باشتراكتهم للعام الجديد مشكورين .
كما نرجو السادة المتعهدين بأن يتكرموا بإرسال مالدتهم من أثمان المجلة :
والإدارة تهنىء السادة القراء والمسلمين عامة بعيد الأضحى المبارك وكل عام وهم جميعاً بخير أعاد الله أمثال هذا العيد المبارك بالخير والبركات على المسلمين أجمعين .

رجاء

إدارة المجلة نرجو من الأستاذ قطب أحمد جاد رئيس الجماعة بفرع البتانون مزيد التكرم بالاتصال بها لتسديد حساب المجلة المتأخر لديه وشكراً .

الشيخ محمد المدني (رحمه الله)

توفي في شهر ذي القعدة الماضي فضيلة الأخ الشيخ محمد ملوخية المدني بمدينة دمنهور ،
وكان رحمه الله مشهوراً بلقب (ملوخية) نسبة إلى أسرته الكبيرة المعروفة بهذا الاسم في
مديرية البحيرة . وقد طلب العلم في صباه بالازهر الشريف ، وشغف بعلوم السنة بصفة
خاصة ، حتى أصبح ذا بصيرة نافذة في الحديث ورجاله .

وفي مستهل حياته طاف بأكثر البلاد الإسلامية ، تارة يطلب العلم ، وتارة أخرى
يعلمه للناس . فرحل إلى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة فترة طويلة ، ورحل إلى نجد والهند
وجاوة وتركستان وأفغانستان وإيران والعراق وتركيا والشام ، وكان همه الأكبر في رحلاته
دعوة الناس إلى التوحيد ، والتعرف إلى أحوال المسلمين في شتى البلاد ، وكان - رحمه الله -
يروى كثيراً من الطرف والنوادر عن أحوال الشعوب الإسلامية وعاداتهم وأخلاقهم
وشئونهم في دقة ومعرفة قلما تجتمع لإنسان في هذا العصر .

وكانت تربطه بفضيلة الإمام الراحل الشيخ محمد حامد الفقى صداقة أخوة ومحبة قديمة
ترجع إلى مايقرب من نصف قرن . وكانت له زيارة سنوية للإمام فيحتفى به حفاوة بالغة ،
وكان يعده في شيوخه ، ولما بلغه نبأ وفاة الاستاذ الإمام حضر إلى القاهرة ومكث بها أياماً
عزى إخوانه فيه وتلقى تعازيهم ، ثم عاد إلى دمنهور ، ثم ذهب إلى الإسكندرية ، وهناك
شعر بالمرض فعاد إلى بلدته دمنهور حيث وافته المنية ، فذهب إلى ربه راضياً مرضياً
(إن شاء الله) .

اللهم اغفر للشيخ محمد المدني وارحمه وتجاوز عن سيئاته ، اللهم وسع مرقدده ، ونور قبره
واجعله روضة من رياض الجنة ، اللهم احشره في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين تحت
لواء نبيك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

إدارة المجلة

مسجد الله

بمعون الله تعالى :

اعتزمت جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة بناء مسجد تلحق به مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وقاعة للمحاضرات ، ومستوصفاً لعلاج الفقراء ، وقد حصلت من وزارة الشؤون الاجتماعية على التصريح رقم ٤٣ لسنة ١٩٥٩ لجمع التبرعات . ويتهى أجل هذا التصريح فى ٤ / ٨ سنة ١٩٥٩ .

وترجو الجماعة أن يمد لها ذوو الفضل واليسار والغيرة على الدين ، وخصوصاً أنصار السنة المحمدية أينما كانوا يد المساعدة حتى تستطيع أن تنهض بهذا المشروع الذى سيكون إن شاء الله مناراً للدين الصحيح ، وحرماً على الخرافات والبدع ، والمبادئ الهدامة .
وترجو التفضل بإرسال ما تجود به نفوس الخيرين لهذا المشروع العظيم ، باسم السيد / سليمان محمد سليمان حسونه أمين صندوق الجماعة : ٨ شارع قوله ببابدين — القاهرة والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ؟

« ساعات حبيب » السويسرية

الساعات للمنازة التى تحظى برضاء وإعجاب العملاء فى أنحاء مصر والسودان

لمناتها العظيمة وقوة احتمالها وشكلها الأنيق الجذاب

بمحلات محمد حبيب الساعاتى

٢٠ شارع نوبار بالقرب من وزارة الداخلية تليفون ٢٠٦٧٦

أسعار مغرية — تساهل فى الدفع على أقساط شهرية

استعداد تام للتصليحات الفنية الدقيقة — البيع بالجملة والقطاعى

الإسلام دين العمل

للأزبب رمضان يومي زامل

عنى الدين الإسلامى الحنيف بالعمل عناية كبرى ، وحث الله تعالى عباده على العمل والسعى فى الأرض لتحصيل أرزاقهم . فقال تعالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » وقد استجاب أسلافنا الأولون إلى هذا الأمر الكريم بكل أمانة وعناية . فعملوا وجدوا واجتهدوا ولم يعيشوا على هامش الحياة بل نزلوا إلى معتركها وعملوا بأيديهم وتاجروا فى أموالهم حتى بلغ بعضهم مبلغاً عظيماً فى الثراء كعبد الرحمن بن عوف . وغيره من كبار التجار فى صدر الإسلام : وما ذاك إلا لأنهم فهموا الإسلام على حقيقته . فهموه على أنه دين عمل ، لا تكاسل فيه - دين جد لا تواكل فيه - دين اجتهاد لا خمول فيه . ولقد رباهم النبي صلى الله عليه وسلم على حب العمل . رباهم على أن يكونوا عصاميين فى هذه الحياة وقد أثمرت هذه التربية النبوية المباركة ثماراً طيبة ، فأنشأ النبي صلى الله عليه وسلم جيلاً من الرجال العاملين نفع الله بهم الإسلام فبذلوا أموالهم فى سبيل الدعوة الإسلامية وعاونوا إخوانهم على صروف الدهر ونوائب الأيام ، وساعدوا الرسول عليه السلام فى كثير من مواطن البذل والتضحية وخير شاهد على ذلك ، ما نقله إلينا كتاب السيرة من حديث جيش العسرة . ونحن إذا تأملنا حياة الرسول الكريم عليه السلام وجدناها مليئة بالنشاط حافلة بالعمل . فهو يقول فيما يروى عنه : « مابعث الله نبياً إلا رعى الغنم . فقال الصحابة وأنت . قال : نعم . كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة » .

وإذا أمعنا النظر فى كتب السنة وجدنا أن الرسول عليه السلام يوصى بأن يأكل الإنسان من عمل يده بل يجعل الأكل من عمل اليد من أحب الأعمال إلى الله . فيقول : « ماأكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » . بل ترى الرسول عليه السلام يبارك جهود الكادحين فيدعو

لهم بالبركة قائلاً : « اللهم بارك لأمتي في بكورها » ويقول عليه السلام حائثاً على طلب الرزق وأنه حتم لازم على كل مسلم : « لأن يحتطب أحداكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه » .

فعلى المسلم أن يناضل ويكافح ويأخذ بالأسباب حتى يكف وجهه عن ذل السؤال . على المسلم أن يصون حياته عن الخدش وكرامته عن الإهدار . فالرجل الشريف هو الذي يعمل طول يومه ثم يأتي آخر اليوم ليس لأحد بعد الله عليه منة إلا عمله . والمسلم حقاً هو الذي ينظر إلى هذه الدنيا على أنها دار عمل . وأن الله أوجدنا فيها لنعمل على عمارتها واستخراج كنوزها والاستمتاع بخيراتها . قال تعالى : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) وقال تعالى (وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعاً منه) . هذا هو موقف الإسلام من العمل - أمر من الله به وحث من الرسول عليه ، ودعاء منه عليه السلام للعاملين الكادحين ، ولكن فريقاً من الناس فهموا أن الإسلام دين العزلة ودين الكسل ودين التواكل ، ودين يجبذ الفقر ويدعو إليه ، فراحوا يسيحون في الأرض لا عمل لهم . يعيشون عائلة على الناس ، وعبئاً ثقيلاً على المجتمع ينتقلون من بلد إلى بلد بحثاً عن المطعم اللين الهين وجرياً وراء العيش الحرام . فإذا مادعوتهم إلى عمل شريف يتعيشون منه ، قالوا : نحن قوم زهدنا في الدنيا ، ونحن قوم متوكلون على الله . كذبوا . والله وقالوا زوراً وبهتاناً . فليس من التوكل أن يعيش الإنسان كلاً على غيره . « المقال بقية »

تذبيه الأذهان

تأليف الأرخ الأستاذ محمد صالح سمرانه

كتاب قيم يؤيد دعوة الحق بحجج دامغة وأسلوب ممتع ، ويهدم دعوة الباطل ، ويرد كيد أعداء الدعوة إلى نحورهم ، صدر في ٢٧٢ صفحة ثمنه ٢٠ قرشاً يطلب من مكتبة الجماعة

من وحي التوحيد

للأديب من محمد المبارك

زار النبي صلى الله عليه وسلم دار عبد الى بن عمرو بن العاص فقال لزوجته كيف أنت؟ قالت حرم فلا ينام ، ولا يفطر ، ولا يأكل اللحم ، ولا يؤدى لأهله حقوقهم قال فأين هو. قالت : خرج ويوشك أن يعود الساعة قال إذا رجع فأجبني على . وخرج الرسول ولما عاد قال يا عبد الله : ما هذا الذى بلغنى عنك أنك لا تنام قال أردت بذلك الأمن من الفزع الأكبر ، قال وبلغنى أنك لا تفطر قال أردت بذلك ما هو خير منه فى الجنة ، قال وبلغنى أنك لا تؤدى إلى أهلك حقوقهم قال . أردت بذلك خيراً منهم . فقال صلوات الله عليه « إن لك فى رسول الله أسوة حسنة فرسول الله يصوم ، ويفطر ، ويأكل اللحم ، ويؤدى إلى أهله حقوقهم ، يا عبد الله أن لك عليك حقاً ، وإن لبدنك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً .

— اذكر أنتى — فى صغرى — كنت أتخذ هذه القصة حجة على والدى — الصوفى ، الرفاعى الطريقة — فكنت أخرج بهما كلما ضمنا مجلس نقاش ، ولكنه كان — يسكتنى باستغلاله سطوة الأبوة وسلطانها . ولكنى كنت أعيش فى معنى هذه القصة الكبيرة فيزداد كرهى للصوفية والمتصوفة .

يا أخى إن كل إنسان مركب من مادة وروح ، ولكل من المادة والروح نظام خاص ، وعالم يحياه ويعيش فيه ، فمن استطاع أن يوفق بين نزوات الجسد ، ونداء الروح ، ومن استطاع أن يلجم هياج المادة بروية الروح من استطاع ذلك فهو إنسان آمن بربه حق الإيمان ، ووحدته حق التوحيد وعرف سر الوجود ، وفطن إلى كنه الحياة .

وعلى الإنسان فى هذه الحياة حقوق ، حق لربه ، وحق لجسده ، وحق لنفسه ، وحق لقلبه . فإذا لبس كان لباسه كى يحفظ جسمه قوته ويرد عن بدنه هجمات الطبيعة وعاداتها . وإذا أكل كان طعامه لكى يقوم جسمه ويتقوى على عبادة الله فيستطيع بذلك أن يداوم

على طاعة الله . ومن هنا كان على الإنسان أن يحول بين قلبه ومتاع الدنيا لأن القلب الحى أكثر القلوب تأثراً بآيات العفاف والطهر ، وأكثرها إحساساً بما يفيض عليه . لا من فيوضات الدنيا حيث سائر الدواب ، بل من الأفق الأعلى الذى يستمد منه جماله وسموه ونعيمه .

وأحب هنا أن ألفت نظر أخى القارئ إلى حقيقة أخطأ فى فهمها أدياء الصوفية ، فهم يعتقدون أن فى الزهد والعزوف عن الحياة الدنيا والإغراق فى الروحانيات منجاة لهم من شرور الدنيا فيرضى الله عنهم ويدخلهم جناته ولكن هذا فقه أعوج لدين الله وسنة رسوله الكريم صلوات الله عليه - فليس الزهد روحانية تبعد الإنسان عن واقع الحياة وعن الجهاد والسعى إنما الزهد صرف النظر عن محارم الله ، وعن عورات الناس وأن يتغنى فيما أتاه الله الدار الآخرة ، وقد سئل الإمام الجليل أحمد بن حنبل هل يكون المرء زاهداً ومعه ألف دينار قال نعم قيل وما آية ذلك قال : آيته أنه إذا زادت لم يفرح ، وإذا نقصت لم يحزن . . وكتاب الله قرر هذه الحقيقة (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) .

فكل إنسان مأمور بأن يكون له حيتان . مادية وروحية يؤدي بالمادة لنفسه مطالب البدن ويؤدي بالروح لنفسه الطمأنينة والسعادة واليقين . وجنوح الإنسان إلى إحدى هاتين الحالتين تحريف لسنة الله وبعد عن هدى الرسول صلوات الله عليه . وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم فالإنسان الذى يعيش عيشة أهل العصر مقبلاً على المال منافساً على اللقمة ، جاعلاً كل هم وجده غذاء يملأ به بطنه شغوقاً بمطالب الجاه والسايطان مـخـراً قوته لمتاع زائف وعرض حائل . هذا الإنسان بعمله هذا قطع ما بينه وبين سنة الله التى تصله بالعالم العلوى . ومثل هذا . ذلك الرجل الذى ينصرف عن الدنيا ويعرض عن الناس إلى صومعة يقضى فيها سحابة النهار صائماً وطول ليله مصلياً قائماً يقنع بالطعام الجاف والخبز الجاف ومن اللباس الأسمال الممزقة ويكفيه أنه نجح فى الابتعاد عن الدنيا وزخرفها ، وعن شهوات البطن والبدن . مثل هذا زهده وورعه كمثل سابقه فى شهواته ومطالبته ، كلاهما عطل سنة الله ، وحالف هدى نبيه الكريم وإن المنبت لأرضاً قطع ولاظهر أبقى .

استقيموا معشر القراء

بهذا العنوان جاءتنا كلمة من الأخ طه عبد الفتاح مقلد الطالب بكلية الآداب بإسكندرية نقبسن منها ما يأتى ، راجين من الله أن يوفقه فى حياته الدراسية لىخدم بها حياتنا الإيمانية .
أيها القراء : إن الاستقامة أن تأخذ نفسك بقراءة القرآن قراءة تدبر لمعانيه ، وألا تكون كاللبغاء يردد ما يسمع فى غير إدراك أو وعى لما يقول . ولكن كونوا كالسلف الصالح - رضوان الله عليهم - الذين علموا علم اليقين كيفية قراءة القرآن . فقد ذكر أبو عمرو الدائى فى كتاب البيان له بإسناده عن عثمان وابن مسعود وأبى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزنها إلى عشر آخر حتى يتعلموا مافيه من العمل ، فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً . وذكر عبد الرازق عن معمر عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى . قال : كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشرة التى بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها . . ومن هذا كثير من الرويات التى تدل على مدى حرص السلف الصالح على معرفة أحكام القرآن ومن ذلك أيضاً فيما يروى فى موطأ مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانى سنين يتعلمها . وعن مراد بن محمد قال : حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر قال : تعلم عمر البقرة فى اثنتى عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً .

هذه هى صورة واضحة لموقف السلف الصالح من قراءة كتاب الله . ولكن نحن اليوم نقرأ القرآن ليقال عنا أننا نقرأ القرآن .

أيها المسلمون ينبغى لقارئ القرآن أن يأخذ نفسه بالتباعد عن طرق الشبهات . فلا يخوض . ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح ويأخذ نفسه بالحلم والوقار . ويتواضع للفقراء ويتجنب التكبر . وأن يؤمن شره ويرتجى خيره وأن يتعلم أحكام القرآن وقصارى القول أن يتحلى بفضائل القرآن حتى يستقيم - وعلى الله قصد السبيل .

وجوب التزام النصوص في العبادات

لا تؤخذ المسائل الدينية المحضة : وهي العقائد والعبادات ، والحظر والإباحة الدينيان إلا من نصوص القرآن الكريم ، ثم من بيان السنة لها بالقول أو العمل على الوجه والصفة التي كان عليها الصدر الأول من الصحابة ، فما أجمعوا عليه فلا عذر لأحد في مخالفته ، وما ثبت أنهم اختلفوا فيه ينظر في دلائله ويرجح بعضها على بعض ، وما ورد فيه نص تكليفي غير قطعي الدلالة ، أو حديث غير واه ولا صحيح فاختلف فيه الصحابة أو غيرهم من علماء السلف وأئمة الفقه للاختلاف في صحة روايته ، أو صراحة دلالته ، فمثل هذا يعمل به كل مكلف باجتهاد نفسه ، ويعذر كل من خالفه فيما ظهر له أنه الحق فلا يعيبه ولا ينتقده .

كما اختلف السلف في بعض أحكام الطهارة والنجاسة ، ولم يعب أحد مخالفه فيه ، ولم يمتنع من الصلاة معه ، لا إماماً ولا مقتدياً ، وكما فهم بعض الصحابة من آية البقرة في الخمر بتحريمها ، وبعضهم عدم تحريمها ، فعمل كل بما ظهر له ، ولم يعترض على غيره .

ومثله ما استنبطه العلماء من الكتاب والسنة في كل زمان . فمن ظهر أن ذلك من الدين ، وأن كلام الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم دالة عليه ، عمل به . ومن لم يظهر له ذلك فلا يكلفه تقليداً لمن استنبطه .

وقد نقل عن أشهر المجتهدين من الفقهاء أنه لا يجوز لأحد أن يقلدهم ، أو أن يأخذ بشيء من أقوالهم ، إلا إذا عرف مأخذه ، وظهر له صحة دليله ، وعند ذلك يكون متبعاً لما أنزل الله ، لا لأراء الناس ، فلا يكون مخالفاً لقوله تعالى : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) ولا يجوز بحال من الأحوال إحداث عبادة جديدة ، أو إتيان بعبادة مأثورة على غير الوجه الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وجمهور أصحابه رضي الله عنهم لا بقياس ولا بدعوى إجماع لمن بعدهم ، ولا لغير ذلك من العلل والنظريات .

(من كتاب تنبيه الأذهان)

.. للبحث بقية